دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

أخبار البلدان

لابن الفقيه الهمذاني

أحمد بن محمد بن إسحاق

القسم الثاني



نشرة نقدية أعدَّتها
د. سهير يوسف الحداد

مراجعة
أ. د. أيمن فؤاد سيِّد

المجلد الأول

أَخبَار البُلدان

لابن الفقيه الهمذاني

أحمد بن محمد بن إسحاق

القسم الثاني

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. هشام عزمي

ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن اسحاق بن إبراهيم الهمذاني،
... - نحو ٩٥١.
أخبار البلدان/ ابن الفقيه الهمذاني أحمد بن محمد بن اسحاق، نشرة نقدية اعدتها سهير يوسف الحداد؛ مراجعة أيمن فؤاد سيد .. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث، ٢٠١٨.
مج ١ ؛ ٢٤ سم.
المحتويات: [القسم الثاني]
تدمك 4 - 1335 - 18 - 977 - 978
١ - تقاويم البلدان
أ - الحداد، سهير يوسف (معد)
ب - سيد، أيمن فؤاد (مراجع) جـ - العنوان.
٩١٠,٣

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٤٩٢/ ٢٠١٨

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1335 - 4

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

أخبار البلدان

لابن الفقيه الهمذاني

أحمد بن محمد بن إسحاق

القسم الثاني

نشرة نقدية أعدتها
د. سهير يوسف الحداد

مراجعة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

المجلد الأول

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م)

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

أخبار البلدان

لابن الفقيه الهمذاني
أحمد بن محمد بن إسحاق
القسم الثاني

فهرست الموضوعات

صفحة

مُقـدِّمَة التَّحـقيق

فصُول القِسْمِ الثَّانِي من كِتَاب أخْبَار البُلْدان

مُقدِّمَة

الحَمْدُ لله، خلَق الإنسَان علَّمهُ البَيان، وهَداهُ أقْوَم سَبل البَحْثِ، ويسَّرَ له أسْبَاب الفِكْر والنَّظر في ملَكُوت السَّموَات والأَرْض، وصُولاً إلىٰ المَعْرِفة، وطَلبًا للحَقِيقَة، وَصلاةً وسَلامًا دائِمَين علىٰ خَاتَم رُسُلِه ومُصْطَفَاه، محمَّد بن عَبْد الله، الذي أرْسَلهُ بالرِّسَالة الهَادِية، والمَعْرِفة النَّقِيَّة الصَّافِية، والحِكْمَة البَالِغة، ففتَح الله بنُورها الأَبْصَار والبصَائِر، وأذْهَب بها الضَّلالَات، ومحَا بها الغشَاوَات، فكانت فَتْحًا مُبينًا للبشَرِيَّة خَطَت به نحْوَ التَّقدُّم والتَّحضُّر، وعَمُرت به الأَرْض، وتَحضَّرت به الإنْسَانيَّة، وسَعَت حَثِيثًا نحو البَحْث والنَّظر لتُحَقِّق مُرادَ الله منها،

وبعـــد

فمُنْذُ انبثَاق عَصْر التَّدْوِين في مُنْتَصَف القَرن الثَّاني للهِجْرة/ الثَّامن للمِيلَاد، صنَّف المُسْلِمُون في مُختَلَفِ العُلوم والفنون، وبخاصَّة في عِلْمي التَّاريخ والجُغْرَافيَا، بحَيْثُ أصْبحَا من الفُرُوع الرَّئِيسَة للمَعْرِفَة الإسْلَامية، وبانت مُصَنَّفَات المُسْلِمين المَخْطُوطَة فيهما تحْتَلُّ المكَان الأكْبر علىٰ أرْفُف المكْتَباتِ العَالَمِيَّة، حتَّىٰ إنَّهُ من الصُّعُوبة بمكَان إعْدَاد قَائِمَة كَامِلَة بالمُؤلفَات التَّارِيخيَّة التي أنْتجهَا الفِكْر العَرَبِي الإسْلَامي علىٰ امْتَداد ثَلاثَة عَشَر قَرنًا من التَّدوِين، والتي يظْهَر تفَاوت البَاحِثِين في مَعْرِفتَها تبعًا للعُصُور والمنَاطِق الجُغْرَافيَّة المُخْتَلفَة، خصُوصًا وأنَّ ما وصَلَ إلينا منها مقَارَنة بما تَذْكُره كُتب التَّراجِم والطَّبقَات وفهَارِس الكُتب يُعَدُّ نَزْرًا يسِيرًا.

وتنقَسِمُ مصَنَّفَات المُسْلِمين في هذا الحَقْل إلىٰ نَوْعَينِ أسَاسِيَّين:

- مصَادِر أصِيلَة كتَبها شُهُود عِيَان لأحْدَاث عَاصرُوهَا وبُلْدَان زَارُوهَا.
- مؤلفات مجمَّعة يستمد مؤلِفُوها مَعْلُومَاتهم عن طريق مُؤَلِفين أقدم.

وهذا القِسْمُ الأخِير هو الأكْثَر عَددًا بين المَخْطُوطَات العَربيَّة المُتنَاثِرة في مكْتَبات العَالم، علىٰ أنّه لَا تُوجَد عِلاقَة مباشِرة بين قِيمَة أي كِتَاب كمَصْدَر تَارِيخي، وأهمِيَّته في عِلْمِ التَّارِيخ، لأنَّ أيَّ كِتَاب يكْتَسِبُ أهمِيَّتَهُ من الشَّهَادة التي يَحمِلُها لإعَادَة بِنَاء المَاضِي.

كما أن الصِّفَة الموسُوعيَّة التي اتَّسَمت بها أعْمَال المُصنِّفين المُسْلِمِين جعَلَت الحُدود بين العُلُوم المُخْتَلِفَة من الضَّعْفِ بحيثُ يَنْسَاح بعْضُها علىٰ بعْض، ففي إطَار التَّارِيخ تطَوَّرت المعَارِف الجُغْرافيَّة، وازْدَهَرت فنُون الأدَب، بل وظهَرت أنماطٌ متَنوِّعةٌ من التَّدوِين التَّارِيخي نفسه، مَا يؤَكِد علىٰ حيَويَّة عِلْم التَّارِيخ وقَابِليَّتُهُ الدَّائِمة للتطَوُّر.

وبالتَّالِي كان لا بُدَّ من ظُهُور مَدارِس جَدِيدة ومنَاهِج أفْضَل، فكلَّما تطوَّر العلم تطوَّرت المناهج؛ ولذِا اتَّجهَت الدِّرَاسَات التَّارِيخيَّة في الآوِنَةِ الأخِيرة اتِّجاهًا جَديدًا نحو تَأْصِيل المعَارِف من مصَادِرهَا، وإعَادَة النَّظر في المصَادِر التُّراثِيَّة ذاتها وفْقَ منْهَجيَّة أكثر التِزامًا بقوَاعِد التَّحْقِيق العِلْمِي للنُّصُوص.

ولعل أَهَمَّ العَوَائِق التي تَحُدُّ من عَملِيَّة نَشْرِ التُّراث التَّاريخِيِّ والجُغْرَافِيِّ العَرَبِيِّ الإِسْلَامِيِّ عَدمُ اهْتِمَام الأَوْسَاط الجَامِعيَّة بقَضِيَّة التَّحْقِيق، واعْتِبَاره عمَلًا غير إِبْدَاعِيّ، رغْمَ أنَّه عَملٌ يَحْتَاج إلىٰ دِرَايةٍ واسِعَةٍ بالمَكْتَبةِ العَرَبيَّة، ومعْرِفة كَبِيرة بعلَاقَات نُصُوص المُصَنَّفَات فيها، كما أنَّ أيَّة دِرَاسَة عِلْمِيَّة جَادَة لا يُمْكِن أن تَقُوم إلَّا علىٰ أصُول مُحقَّقَة خضَعت لأعْمَال النَّقْد المَنْهَجِي للنُّصُوص[1].

* * *

ولقد أدَّىٰ إدْرَاك أسَاتِذتي، متَّعهَم الله بالصِّحَة، لهذه المشكلة إلىٰ تَوْجِيهي نَحْو العَمل علىٰ إخْرَاج نَصٍّ من نُصُوص التُّراث الإسْلَامِي يَجمَع ما بين التَّارِيخ والجُغْرَافيا، وبعد بحْثٍ غَيْر طَوِيل وقَفْتُ علىٰ القِسْم الثَّاني من المُسَوَّدة الكُبْرىٰ لكِتاب أخْبَار البُلْدان لابن الفَقِيه الهَمَذَاني، فقُمْتُ بتَصْوِير مَخْطُوطَة الكِتَاب، وخُضتُ غِمار تَحْرير النَّص قبل أنْ أشرعَ في مُقَابلَتِهِ علىٰ مصَادِره الكَثِيرة، التي كان اكتشَافهَا والتَّنْقِيب عن نقُول المؤلِف منها عملًا بَالِغ الصُّعُوبة، احتَاج إلىٰ قِرَاءَاتٍ مُطَوَّلةٍ لمُصنَّفات أدَبيَّة ولغَوِيَّة وتَارِيخيَّة وجغْرَافيَّة متَنوِّعة؛ واسْتَغْرَقت أعمَال إقامة النَّص والمُقَابلةِ وقْتًا طَوِيلًا، واسْتَلْزَمت عِنَاية خاصَّة نظَرًا لأنني أعْمَلُ علىٰ مَخْطُوطَةٍ وحِيدة.

---

[1] للمزيد عن هذا الموضوع راجع أيمن فؤاد سيد: نشر التراث التاريخي ودراسته، ضمن كتاب قواعد تحقيق المخطوطات الإسلامية ومناهجها، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ٢٠١٣م.ص٩-١٩.

واسْتَقَام النَّصُّ بعد مُقَابلَتِهِ علىٰ مصَادِره وعلىٰ نُـقُولِ المتَأخِّرين منه، وبعد كَثيرٍ من المُـرَاجعَةِ والمُقَارَنةِ، عمِلْتُ علىٰ التَّعْليق عَلىٰ النَّص وشَرحِ غَوامِضِه والتَّعْريف بالأعْلَامِ الجُغْرَافيَّة والبَشريَّة في رِحْلةٍ عِلْمِيَّةٍ قَاربت الخَمْس سَنوات من أجْلِ التَّثبُّتِ من كلِّ كَلمةٍ والتَّأكُّد من كلِّ معْنَىٰ، وتِبْيَان كلِّ خَفيٍّ، وتَجْلِية كل مُبْهَم في هذا النَّص الغَنِي المُثْقل بالألْفَاظ الفَارِسيَّة والعَربيَّة الغَريبَة.

إن اقْتِحَام مَيْدَان التَّحْقِيق العِلْمِيِّ مثَّل لي تَحدِيًا خَاصًا، لَيْس فقَط لِثِقَل المُهِمَّة وصُعُوبَات العَمَل، ولكنْ لأنَّه تَجرِبتي الأوْلَىٰ في مَيْدَانِ النَّشرِ النَّقْدِيِّ للنُّصُوص، ورغْمَ كلِّ ما واجَهنِي من عقَبَاتٍ كانت الفَوائِد أكْبَر، لأنَّ هذا العَمَل فتَّح عُيونِي علىٰ جَوانِبَ أخْرَىٰ من التُّرَاث الإسْلَامِي لم يكن لي بها سَابِق مَعْرِفة، ووضَعَ قَدَمِي علىٰ بِدَايةِ طَرِيقٍ سَار فيه قَبْلِي أعْلَامٌ شَوامِخ، أسْأل الله أنْ يَجْعَلني ممن يُحْسِن التَّأسِي بهم.

ولابدَّ من تقْدِيم واجِب الشُّكر إلىٰ الزُّمَلاء البَاحِثين بمَركَز تَحْقِيق النصوص بجَامِعة الأزْهَر الشَّريف علىٰ ما أسهَمُوا به من جُهود لمُراجَعة نصِّ الدِّراسَة، وما بَذلُوا من نُصْحٍ وما أشَارُوا به عليّ من تَصْوِيبات، ولا أنسَىٰ ما بذله من أجْلِي جَمِيع العَامِلين بمَكْتَبة مَعْهَد الدِّراسَات الشَّرقيَّة للآباء الدومينيكان الذين سَاعَدُوني ولا يزَالُون، فلَهم خَالِص الشُّكر وصَادق العِرْفَان.

وليس لي إلَّا أن أقُولَ إنَّ ما كان من تَوْفِيقٍ فمن الله، وما كَان من تَقْصِيرٍ فمن نفْسِي، فما هو إلَّا جَهْد المُقِلِّ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

أهميّة الكِتاب

يَحْتَلُّ الأدَبُ التَّارِيخِي الجُغْرَافِي مكَانَةً مرْمُوقَةً فيما أسْهَمَ به المسلمون في مَيْدَان المَعَارِف البَشَرِيَّة. لقد أحْدَثَ تُراثُ الإِسْلَام في هذا الفَرْع من المَعْرِفَة رَدَّة فِعْلٍ شَدِيدة علىٰ المُسْتَشْرِقين الأورُوبِيِّين بمُجَرد تَعرُّفِهُم عليه، وأقَرُّوا منذ البِدَاية أنّه المَصْدَر الوَثِيق لِدِرَاسَة تَارِيخ وجُغْرَافيَّة العَالم الإسْلَامِي في حُدُود الزَّمَان والمكَان. وأنَّ أورُوبا الوَسِيطَة لم تُنْتِج شَيئًا يمكِن أنْ يضَارِع ما أنْتَجهُ المُسْلِمُون في هذا المجَال.

وتُشَكِّل نُصُوص التُّراثِ الجُغْرَافِيِّ العَرَبِيِّ رُكْنًا رَئِيسًا من أرْكَان تُراث الإسْلَام الحَضَارِي، فهي مَصْدَرٌ أسَاسِيٌّ لِدِرَاسة الحَضَارَة العَرَبيَّة الإسْلَاميَّة: أدبًا وتَارِيخًا وإِدَارَةً واقْتِصَادًا، فضْلًا عن مُحْتَـواها الجُغْرَافِيّ. وغَالبًا ما تكُون نُصُوص هذا التُّرَاث هي المُنْطَلَق لاسْتِعَادة تَرْكِيب صُورة المُجْتَمَعَات في ظِلَال بِيئَتها وحُدودِها الزَّمَنيَّة والمكَانيَّة ورسَم شَبَكة عِلَاقَاتِها وتعَامُلاتِها ومَرَاكِز اسْتِقْرارِها ومسَالِك الاتِّصَال الرَّابِطة بينها.

ذلك أنَّ الأدَب الجُغْرَافِيّ تَركَّز بصُورة أسَاسيَّة علىٰ وصَف دَارِ الإسْلَام وما يُجَاوِرها من الأقَالِيم المَعْمُورَة المَعْلُومَة لأهْلِ هذا العَصر، وأمدَّنا بمَعْلُومَات من الدَّرَجَة الأولَىٰ عن جَمِيعِ البِلَاد التي بلَغَها المُسْلِمُون من غير بُلْدَان دَارِ الإسْلَام، وقد تُمَثِّل المَادَة الجُغْرَافِيَّة العَرَبيَّة المَصْدَر الوَحِيد أو المَصْدَر الأهم في معْرِفتِنا بقُطْرٍ ما خِلَال حُقْبةٍ معَيَّنةٍ من تَارِيخِه؛ يتجَلَّىٰ هذا بوضُوح في ما بلغَنا من كِتَابات الجُغْرَافيِّين الأوَائِل الذين أثْرُوا المَكْتَبة العَرَبيَّة بمؤلَّفَاتِهم.

لقد سَار الأَدبُ الجغْرَافيّ في اتِّجاهَينِ متَميِّزين، فهو من نَاحِيةٍ يقْتَربُ من العُلُومِ الدَّقِيقَة، وذلك عندما تعرَّف المُسْلِمُون علىٰ التُّراث اليُونَاني في الجُغْرَافيا والفَلك، ونقَلُوه إلىٰ العَربيَّة في النِّصْفِ الثَّاني من القَرنِ الثَّاني للهِجْرَة/ الثَّامِن للمِيلاد.

أمَّا الاتِجَاهُ الثَّاني: فكان في مجَال الجُغْرَافيا الوَصْفِيَّة وهو الذي غلَب علىٰ الجُغْرَافية التَّاريخيَّة العَربيَّة ومنَحَها طَابِعها الخَاص وشَكْلهَا المُتميِّز الذي يَصْعُب إيجاد مَثِيل له بين آدَاب الأُمَم الأُخرَىٰ.

كمَا مَرَّت المَعْرِفةُ الجُغْرَافيَّة في العَالَم الإسْلَامِي بحِقَبٍ مُختَلفة، فلم تتَبلْوَر كعلْمٍ قَائم بذَاتهِ إلَّا مع أوَائل القَرْن الثَّالِث للهِجْرَة/ التَّاسِع للمِيلاد، وقبل ذلك لم تُوجَد مُصَنَّفَات جُغْرَافيَّة قَائِمَة بذَاتِها، وإنَّما تقَابِلنا من وقْتٍ لآخَر معْلُومات متَناثِرة حفَظَها لنا الأَدَب اللُّغَوي، أو تَردَّد صدَاهَا في الرِّحَلات الخيَاليَّة.

ولِذَا يُعَدُّ القَرن الثَّالِث للهِجْرَة/ التَّاسِع للمِيلاد بِحَق هو عَصْرُ الانْبِثَاق، إذ تمَّت فيه تَرْجَمة التُّرَاث اليُونَانِي في الجُغْرَافيَا والفَلك إلىٰ اللُّغَة العَربيَّة، وقرب نِهَاية هذا القَرْن ظهَرت المَداخِل الجُغْرَافيَّة والتي وضِعَ بعضُها لكُتَّاب الدَّواوِين، وبعضُها للمُشْتَغِلين بالأدَب، كذلك الأنْماط التي عُرِفت بأدَب الرِّحَلات الوَاقِعي منها، أو ما احْتُفِظَ بالطَّابع القَصَصِيّ[1].

---

[1] إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، طبعة تونس، ٢٠٠٨م المصورة عن طبعة بيروت ١٩٨٧م ص٢٠-٢٨؛ أيمن فؤاد سيد: النصوص الجغرافية غير المنشورة حصر وتقييم، منشور ضمن أعمال المؤتمر الخامس لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥، ص٢٠٣-٢٠٤.

ومع الازدِهَار الخَلّاق للأدَب الجُغْرَافِيّ العَربيّ الذي بَلغ أوجه في القَرْن الرَّابع للهِجْرَة/ العَاشِر للمِيلَاد، بظُهُور المؤَلَّفَات الكُبْرىٰ في مَيْدَان الجُغْرَافيا الوَصْفِيَّة والتي تَمَيَّزت باهْتَمامِها بوصْفِ المسَالِك والممَالِك، وصَاحبَها ظُهُور المُصَوَّرات الجُغْرَافيَّة أو الخَارِطَات لدىٰ المُسْلِمين.

وإلىٰ هذه المَرْحَلة البَاكِرة من مرَاحِل تكوُّن الثَّقافَة الإسْلَاميَّة، يعُود كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان »لأحمد ابن الفَقِيه الهَمذَانِي الذي يُعدُّ واحِدًا من النُّصوصِ الفَرِيدةِ في مَيْدَان تُراث الأدَب الجُغْرَافِيّ العَربيّ، حيث جمَع ابْنُ الفَقِيه في هذا الكِتَاب مَادةً غَزِيرةً تَشْمَل العَدِيد من الأخْبَار والمَعْلُومَات التَّاريخيَّة والطُبوغْرَافيَّـة والجغْرَافيَّة والحِكَم والأمْثَال والعَجَائِب.

لقد أوضَح ابنُ الفَقِيه طَرِيقة تَصْنِيف هذا الكِتَاب إذ يقول:-

« فكِتَابي هذا، يَشْتَملُ على ضُروبٍ من أخْبَار البُلْدَان، وعجَائِب الكُور والبُنْيَان، فمن نظَر فيه من أهْلِ الأدَبِ والمَعْرِفة، فلْيَتأَمَّلهُ بعَيْنِ الإنْصَاف، وليُعرنَا فيه حُسْن مَحضَره وجَمِيل رأيِه،...، ويَهب زَلَلِي لاعْتِرَافي، وإغفَالي لإقْراري. فإنّي إنّما ألْحقتُ في هذا الكِتَاب ما أدْرَكهُ حِفْظِي، وحضَرهُ سَماعِي من الأخْبَار والأشْعَارِ والشَّواهِد والأمْثَال»[١].

وهذا الاسْتِهْلَالُ القَيِّم يكْشِف عن طَبِيعَة الكِتَاب ويُحدِّد عنَاصِر القُوَّة والضَّعف في هذا المُصَنَّف، ويُؤكِدُ من الوَهْلَة الأوَلىٰ أنَّ هَدف الكِتَاب لَيس

---

[١] مختصر كتاب البلدان، تحقيق: ميخائيل جان دي خويه، طبعة ليدن، ١٨٨٥م، ص٢-٣.

جُغْرَافيًا بحْتًا، وإنَّما كانت الغَايَةُ من تَأْلِيفِهِ تَسْجِيل جُمْلَة من المَعَارِف التَاريخيَّة والأَدَبِيَّة حول بعْض من مُدِن دارِ الإِسْلَام، فالرَّجُل أَخْبَارِي أَدِيب واسِع الاطِلَاع والحِفْظِ، يُشَارك بمَعْلُومَاته حَول بُلْدَان العَالم الذي يَحْيَا فيه ويَنْتَمِي إليه.

إنَّ أهميَّة كِتَاب «أَخْبَار البُلْدَان» والتي تَظْهَر من خِلَال القِسْم الثَّانِي من مُسوَّدَته ـ التي بين أيْدِينَا ـ تَكْمُن ليس فقَط في مَوْضُوعِه ومُحْتَواه، وإنَّما في بيَان المُسْتَوىٰ الثَّقَافِي السَّائِد في المُجْتَمع، والمَوْضُوعَات التي تَسْتَرعِي اهتمام القرَّاء وتَسْتَلِفت انْتِباههُم عَصْرئِذ.

فلا يَكْتَسِبُ هذا الكِتَاب قِيمَتهُ وأهَمِيَّتهُ من مَوْضُوعِه فحَسب، بل من تَنوُّع مصَادِرَه، حيث يَحْفَل الكِتَاب بنُقُولٍ مطوَّلةٍ من مصَادِرَ مفْقُودةٍ أو شِبه مفْقُودَة، لم يَصِل إلينا سِوىٰ أسْمَائِها، أو علىٰ أحْسَنِ حَال وصَل إلينا من بعْضِها نتفٌ وشَذَرات مُتَفرِّقة في مَصَادر شتَّىٰ، ككِتَاب (فَضَائِل بغْدَاد) ليَزْدَجُرد الكِسْرَويّ، وكِتَاب (قِسْمَةُ المَعْمُور من الأَرْضِ وهَيْئَةُ الدُّنْيَا) لابن بَاغَار الرَّقيّ، و(رِحْلَة تَمِيم بن بَحْرٍ المطوَّعي).

كما حفِظَ لنا ابن الفَقِيه في كِتَابه عدَدًا من المُنَاظَراتِ الأَدَبيَّة، كتِلْكَ التي جرَت بين بَعْضِ أُدَبَاء بَغْدَاد في حَضْرَةِ الخَلِيفَة المأْمُون، ومنها مُنَاظَرات جَرَتْ في بَيت أبِيه مثل المُنَاظَرة التي جَرَتْ بين عَبْد القَاهِر بن حَمْزَة الوَاسِطِيّ، والحُسَين بن أبي سَرْح. وعن هذين الأخِيرين أخَذ ابن الفَقِيه العَدِيد من الأَخْبَار شَفاهَةً واعْتَمد علىٰ رِوَايتهما في غَيرِ مَوْضِعٍ من الكِتَاب.

إنَّ كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان» يُمَثِّل مَرْحَلةً فَائِقةً من مَراحِل ازْدِهَار الأدَب التَّارِيخِيِّ الجُغْرَافِيِّ العَربِيِّ بمَفْهُومِهِ الشَّامِل بسَبب تَنوُّع مَوْضُوعَاتِه وغِنَى مادَتِهِ، فهو تَارة عِلْمِيٌّ وتَارَة شَعْبِيٌّ، وهو طَورًا واقِعِيٌّ و آخر أسطُورِيٌّ، تكْمُن فيه المُتعَة كما تكْمُن فيه الفَائِدة؛ إذ يَحْتَوي مَضْمُونًا غَنيًّا مُتعَدِّد الجَوانِب، ففيه تقَابِلنَا المَداخِل العِلْمِيَّة التي وضِعَت من أجْلِ عمَّال الدَّوَاوِين وجمْهَرة المسَافِرين، كما نَجِد فيه الحِكَايَات التَّارِيخيَّة الحَقِيقيَّة والمُخْتَلقة، ويُقدِّمُ متْعَةً ذِهْنيَّة كُبْرىٰ إذ نَجِد فيه نماذِجَ أدَبيَّة فنيَّة رائِعَة صِيغَت بالسَّجْعِ أحيانًا وبالشِّعْرِ أحْيَانًا أخْرَىٰ، ولأنَّه من المُصَنَّفَات المَوْضُوعَة لجمَاهِير القُرَّاء يَتَراوح فيه العَرضُ بين الجَفَافِ والصَّرامَةِ من جِهَة، والإمْتَاع والحَيويَّة من جِهَةٍ أخرَىٰ، ما يُظهِر بَراعَة المُصَنِّف وقُدْرَتهُ الفَائِقةُ كوَاحِدٍ من النَّاثِرين الأفْحَاح، والأُدَبَاء ذَوي المهَارَات الرَّفِيعة[١].

وهو ما أهَّلَ ابن الفَقِيه ليُمارس تَأثِيرًا حَاسِمًا وغير متَوقِع في عِلْمِ البُلْدَان نَجِد صَدَاه واضِحًا فيما تَلاه من كِتَابات الجُغْرَافيِّين الآخَرين.

---

[١] كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٢٨؛ أندريه ميكيل: جغرافية دار الإسلام البشرية حتىٰ منتصف القرن الحادي عشر، ترجمة: إبراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣م، ص٢٥٩-٢٦٠؛ أندريه ميكيل، مادة (الجغرافيا)، منشور ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، بإشراف رشدي راشد ، وبمعاونة ريجس مورلون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٣، ص١٠٢٠.

ولعَلَّ المُسْتَعرِب الفِرنْسِي أنْدِريه ميكيل كان أكْثَر من تنبَّه لقِيمَة كتاب «أخْبَار البُلْدَان» لابن الفَقِيه، ولذَا منَحهُ قدْرًا كبِيرًا من اهْتِمامِه وتَركِيزه، إذ يرىٰ ـ والحَقُّ معه ـ أنَّهَ «يُعَبِّر عن واقِعٍ جَدِيدٍ نتَجَ عن تَغيُّراتٍ كَثِيرةٍ في الثَّقَافةِ الإسْلاميَّة، فللمَرَّة الأولىٰ تُهَيمِنُ مُعْطَيات الجُغْرَافيَا علىٰ الأدَب، ورَغم ما يَظْهَر في الكِتَاب من عَدم تَبْويب المَعْلُومَات إلَّا إنَّه تنَاول كل بَلدٍ علىٰ حِدَة، وشَكَّلت كل بَلدٍ الحَيِّز الذي كُتِبت في حُدُودِه أغْلَب العنَاصِر، ما يُكْسِبه اسْتِقْلالِهِ ووحْدَة مَوْضُوعِه.

لقد طَبَع ابن الفَقِيه الأدب الجُغْرَافيّ بطَابعهِ الخَاص رغم ما وُجِّه إليه من انْتِقَادات ممن أتوَا بعده، فقد كانوا يَلْجَئُون للاسْتِشْهَاد به، إمَّا لمَضْمُونه أو لمَنْهَجِه، واسْتِعَارة مقَاطِع من كِتَابه، ذلك لأنَّه في هذا السِّيَاق من الأدَبِ والثَّقَافة السَّائِدة لا يُمْكِن إغْفَال ابن الفَقِيه لمَوْهِبتِه التي تَظْهَر في شرُوعهِ لوَضعِ نهجٍ جدِيدٍ في عِلْم الجُغْرَافيَا بكل ما تَحمْلُ الكَلِمة من معْنَىٰ.

لم تَظْهَر الجُغْرَافيَا كعَلمٍ مُسْتَقلٍّ قَبل ابن الفَقِيه إلا في حُدُودٍ ضَيِّقَة ككُتُبِ المَسَالِك والمَمَالِك التي تُمَثِّل نَوْعًا طَرِيفًا من جُغْرَافيَا المُوظَّفِين كأعْمَال ابن خُرَّدَاذْبَه، وقُدَامَة بن جَعْفَر التي اتَّسَمت مضَامِينُها الجُغْرافيَّة بالمُنْحَىٰ الإدَارِي الشَّامِل، لكن لا يُمْكِن تَسْمِيتُها بعِلْم الجُغْرَافيَا، لكن مع ابن الفَقِيه تَبْدُو الأمُور واضِحَة، إذ تمَكَّن في ذلك الوقت من كِتَابة الجُغْرَافيَا بشَكْلٍ مخْتَلف وتَقْدِيمهَا كعِلْمٍ مُسْتَقلٍّ، إنَّ ابن الفَقِيه يُشكِّل مرْجِعًا لا يُمكِن إنكَاره أو تَجاوزه »[١].

[١] أندريه ميكيل، الجغرافيا، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج٣، ص١٠٢٠-١٠٢١.

إن الحَقِيقَة التي تتَجلّى في هذا الكِتَاب هي أنّه نصٌّ حَافِلٌ بالكَثِير من المَعْلُومَات والأخبَار التي تُمثِّل في مُجْمَلِها ثَقافة العَصْر الذي كُتِبت فيه. يَصِحُّ النَّظرُ إليه بِاعْتِبَاره نمَطًا خَاصًّا من التَّأْلِيف الجُغْرَافِيّ مُتَعدِّد الرَّوافِد و الفَوائِد، ونمُوذَجًا قيِّمًا نَادِر المِثَال بين مُصنَّفات الأدَب العَرَبيّ.

وهذه التَّرْكِيبَة الفَرِيدَة من الأدَبِ والتَّارِيخ والجُغْرَافيَا والأمْثَال والحِكَم والعَجَائِب والأشْعَار التي تُشكِّل بِنْيَة هذا النَّص هي التي تُعْلِي من قِيمتِه الأدَبيَّة والعِلْمِيَّة والتَّاريخيَّة، وتَجْعَل منه نصًّا مصْدَريًّا مهمًّا، يَسْتَحِقُّ عن جَدارةٍ كل الجُهْد الذي بُذلَ في تَحْقِيقِه.

*

* *

مَوْضُوعُ الكِتَاب وما أُلِّفَ فِيهِ مِنْ قَبْل

يَدْخُل موضُوع كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان» في مَيْدَان الجُغْرافيَا البَشريَّة، وهو نوعٌ من التَّألِيف ذُو نَزْعة إنْسَانيَّة خاصَّة يُعنى بِدرَاسَة المُجتَمعَات وبيئتها، ويَرْبِط بين البَشر والوَسَط الذي يعيشُون فيه، ويسْتَخْدِم ملَاحظَاتٍ ذكِيَّة ليَدْرُس العَالَم من خِلَال الإنْسَان، فيَسْتَنْبِط حقَائِق جَدِيدة للتَّعرُّف على نوَامِيس الكَوْن.

ويَرى المُتخَصِّصُونَ أنَّ هذا النَّوع من التَّألِيف الذي يُركِّز على صِفَات البُلْدَان وخصَائِصها البِيئيَّة والبَشريَّة، ويَتحدَّث عن البَشرِ أكْثر من حَدِيثِه عن البِلَاد نفْسِها، عُرِف في الحضَارَة الإسْلَاميَّة منذ العَصْر الأُمَوِي، وأزْدَهَر في العَصْر العبَّاسِي الأوَّل[1].

ويُعْتَبر «الجَاحِظ» رَائِد هذا المَنْهَج، حيثُ وضَعَ الخُطُوط الرَّئِيسَة لهذا النَّمط من التَّألِيف «فهو لَا يَكْتَرِث بالمسَافَات والمسَالِك ولا بِالمُلُوك والممَالِك، ولا بالأعْرَاضِ والأطْوَالِ، والفَراسِخ والأمْيَال، بل يُعْنى بالخَلْق الذي يَدُّل على الخَالِق، وبالعجَائِب التي تَدُّل على قُدْرَته تعَالى»[2]، وعلى هذا «فالجَاحِظ» هو مُؤسِّس هذا الاتِّجاه الجَدِيد في الكِتَابة الجُغْرَافيَّة، يتجَلَّى ذلك من خِلَال ما وصَل إلينا من كِتَاب «الأمْصَار وعجَائِب البُلْدَان» إذ «رسَمَ فيه الخُطُوط الرَّئِيسَة اللَّازم اتِّبَاعهَا لتَحْقِيق بَرْنَامجِه الوَاسِع، الذي يتَضمَّن البَحْث العَمِيق عن جمِيع مظَاهِر الحيَاة، وأشَار إلى المَنْهَج الوَاجِب تَطْبِيقُهُ على من يُرِيد أنْ يُعَمِّم عِلْمِ الجُغْرَافيا ويُوسِّع نطَاقهَا بإدْخَاله فيما تُسمِّيه العَرب بالأدَبِ أو بإدْخَال الأدَب فيها»[3].

---

[1] كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٤٠-١٤١.

[2] شارل بلا: الجاحظ رائد الجغرافية الإنسانية، مجلة المشرق، العدد ٦٠ بيروت، ١٩٦٦م، ص١٦٩.

[3] نفسه: ص١٦٩.

ثمَّ «جَاء ابْنُ الفَقِيه الهمَذَانِيُّ» ليَضَع أفْكَار «الجَاحِظ» مَوْضِع التَّنْفِيذ، ويُقدِّم من خِلَال كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان» طَرحًا جُغرافيًّا إنسَانيًّا فَرِيدًا طَبع فيه الجُغْرَافيَا بطَابع الأدَب، وتمثَّل خصَائِص مَدْرَسَةِ الجَاحِظ الرَّائِدة، فأتى كِتَابه على غَيْرِ مِثَالٍ سَبق، بل وكان آخر من صَنَّف في هذا النَّمط من التَّأْلِيف.

والمَوْضُوعَات التي يُعَالجهَا هذا الاتِّجَاه لم تَلْقَ اسْتِحْسَان الجُغْرَافيِّين التَّقْلِيديِّين الذين لم يَجِدُوا فيه فَائدة كَبِيرة، حين كانوا يَرْغَبُون في الكِتَابة عن المسَالِك وصِفَة الأَمْصَار، ولِذَا تجاهَلُوه ولم يُعِيرُوه كَثِير اهْتِمَام، ويَغْلُب على الظَّن أنَّ الوَرَّاقِين أغضُّوا الطَّرف عن كِتَاب «الجَاحِظ» ومن بَعْدِه كِتَاب «ابن الفَقِيه» وتَركُوا انتسَاخهُما لعَدم فَائدتهمَا في نَظَرِ زَبَائِنهم، ولعلَّ هذا ما يُفَسِّر عَدم وصُولِ كِتَاب «ابن الفَقِيه» إلينا كَامِلًا، واخْتِصَاره فيما بعد، كما يُوضِّح سَبب خُفُوت هذه النَّزْعَة الإنْسَانيَّة في التَّأْلِيف الجُغْرَافيِّ العَربيِّ بعد «ابن الفَقِيه».

*

*   *

مُؤَلِّف الكِتاب

لا تُمدُّنَا المَصَادِرُ التي تَرْجَمَت لابن الفَقِيه بالكَثِيرِ عنه، فَلَا نَعْرِف شَيْئًا عن مجْرَىٰ حَيَاةِ صَاحِب «أَخبَار البُلْدَان»، ولقلَّة المعْلُومَات والوقَائِع التي بَقِيت عن حيَاةِ الرَّجُل، ظَلَّت معْرِفتنَا به مُتَّسِمَة بالغُمُوض في مُعْظَم جوَانِبِها، فلا نَعْرِف سِوىٰ أنَّه وِلِدَ علىٰ الأَرْجَح في مَدِينةِ همَدَان ـ في فَارِس ـ لأُسْرَة أشْتُهِر أفْرَادهَا بعِلُوم الدِّين والأَدَب، واسْمُه: أحْمَد بن محُمَّد بن إسْحَاق بن إبْرَاهِيم بن الفَقِيه الهمَذَانِيّ، يُكْنىٰ: أبو عَبْدِ الله كما تَرْجَم له محُمَّد بن إسْحَاق النَّدِيم المتوفىٰ سنة [٣٨٠هـ/ ٩٩٠م] حيث قال:

« واسْمُه أحْمَد بن محُمَّد، من أهلِ الأدَبِ لا يُعْرَف من أمْرِهِ أكْثرُ من هذا، له من الكُتُبِ كِتَاب البُلْدَان نَحْو ألْفِ ورَقَة أخَذَه من كُتُبِ النَّاس وسَلَخَ كِتَاب الجَيْهَانيّ. وكِتَاب ذِكْر الشُّعَراء المُحَدَّثِين والبُلَغَاء منهم والمُفْحِمين» [١].

وهذه التَّرْجَمَة المُوجَزة نقَلهَا يَاقُوت الحَمَويّ: في «إرْشَادُ الأَرِيب» إلّا أنَّه أضَافَ إليها ما وجَدهُ لدَىٰ مُصَنِّف كِتَاب تَارِيخ همَذَان "شيْرَوَيه بن شَهْردار الدَّيْلَمِيّ" المتوفىٰ سنة [٥٠٩ هـ/ ١٥٠٠م] [٢]، إذ يقول:-

---

[١] النديم: محمد بن إسحاق الورَّاق البغدادي، ت.٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، كتاب الفهرست، قابله علىٰ أصوله أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م، ج١، ص٤٧٣-٤٧٤.

[٢] أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه فخنسروا الديلمي الهمذاني، المحدث الحافظ، سمع من أصحاب أبي بكر بن لال الهمذاني، ومن جماعة من شيوخ العربية ببغداد وبأصبهان وقزوين والجبل. له تصانيف مشهورة منها كتاب تاريخ همذان ووارديا. توفىٰ ٥٠٩ هـ/ ١٥٠٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن نقطة البغدادي: إكمال الإكمال [تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا] تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة، ١٩٩٠م، ج١، ص٢٩١-٢٩٢؛ ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محي الدين علي نجيب، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٤٨٦-٤٨٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، بيروت، ١٩٨٩م، ج٤، ص٣٨-٣٩.

«وقال شَيْرَويه: أَحْمَدُ بن مُحَمَّد بن إسْحَاق بن إبْرَاهِيم الأَخْبَارِيُّ أبُـو عَبْد الله، يُعْرَفُ بابن الفَقِيه ويُلقَّبُ بحَالَان، صَاحِب كِتَاب البُلْدَان. رَوَى عن أَبِيه، وإبْرَاهِيم بن الحُسَيْن بن دِيزِيل، ومُحَمَّد بن أَيُّوب الرَّازِيّ، وأبي عَبْد الله الحُسَيْن بن أبي السَّرْح الأَخْبَارِي، وذكر جَمَاعةً وقال: ورَوَى عنه: أَبُو بَكْر بن لَال، وأَبُو بَكْر بن رُوزنة، ولم يَذْكُر وفَاته»[1].

ومن المؤكَّد أنَّ والِدَه مُحَمَّد بن إسِحَاق بن إبْرَاهِيم، كان فقِيهًا اشْتُهِر بين النَّاس بهذا اللَّقَب فضلًا عن كَوْنِه أدِيبًا أخْبَاريًّا. هذا ما قَرَّرهُ ياقُوت الحَمَويّ - فيما نقَلَهُ عن شَيْرَوَيه أيضًا حيث قال:

«وقال شَيْرَويه: مُحَمَّد بن إسْحَاق بن إبْرَاهِيم الفَقِيه أبو أَحْمَد والد أبي عُبَيد، الأَخْبَاري، رَوى عن إبْرَاهِيم بن حُمَيد البَصْرِيّ وغيره، رَوى عنه ابْنُه أبو عَبْدِ الله».

وعلىٰ هذا فإنَّ أبَاه كان شَيْخهُ الأوَّل.

أمَّا شَيْخُهُ ابن دِيْزِيل: فهو الحَافِظُ الرَّحال أبو إسْحَاق إبْرَاهِيم بن الحُسَيْن الكسَائِيُّ الهمَذَانيُّ الملقَّب بَدابَّة عفَّان، أو سِيفَنَّة[2]، المُحَدِّث الثِّقَة المَأْمُون الذي طَبَّقت شُهْرَته الآفَاق، له كِتابٌ في أَخْبَارِ صِفِّين، تُوفي بهمَذَان سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م[3].

---

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٤٥٩-٤٦٠.

[2] اسم طائر مصري لا يحط علىٰ شجرة إلا أكل ورقها كله لا يُبقي منها شيئا، وكذا كان إبراهيم لا يأتي شيخًا إلا واستنزفه، إذ كان يتناول مشاهير المحدثين يأخذ كل ما عندهم. راجع الذهبي: تذكرة الحفاظ،ج٢، ص١٣٨.

[3] انظر في ترجمته وأخباره: ابن ماكولا: سعد الملك، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلِف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بيروت، ١٩٩٠م، ج٤، ص٢٦٥؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. ج٦، ص ٣٩٠-٣٩٢؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ،ج٢، ص١٣٨.

وابن ضُرَيْس: أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن أيُّوب بن يَحْيَىٰ البجَلِيّ الرَّازِيّ، إمامُ الرَّيّ ومُسْنَدهَا ومُحدِّثها. وصفةُ الصَّفَدِيُّ بقوله: « شَيْخُ الرَّيّ ومُسْنَدهَا رَوىٰ عنه ابْن أبي حَاتِم ووثَّقهُ وكان ذَا مَعْرِفة وحِفْظ وعُلُو رِوَاية»[1] .له تصَانِيفُ منها كِتَابُ فضَائِل القُرْآن، وهو مُحَدِّث ابن محَدِّث جَدُّهُ يَحْيَىٰ بن الضُّرِيس من أصْحَاب سُفْيَان الثَّوْرِي. تُوفِّىٰ بالرَّيِّ سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م[2] .

ومن شُيوخه الحُسَيْن بن أبي السَّرح، أبو عَبْد الله، الأخْبَارِي الأَدِيب، له ذِكْرٌ وأخْبَارٌ ومجَالسَاتٌ أدَبِيَّة وعِلْمِيَّة، اعْتَمد علىٰ بَعْضها ابن الفَقِيه في غير مَوْضِعٍ من كِتَابه ؛ ولعلَّ أهمَّها، ما انْفَردَ بذِكْره في المجَارَاة التي دَارت في بَيْتِ أبِيه بين عَبْد القَاهِر بن حَمْزَة الوَاسِطِي، وعَبْد الله بن الحُسَيْن بن أبي السَّرح في مدَح العِرَاق وهمَذَان وذَمهما [ورقة ١٢٠ظ].

وما من شَك في أنَّ قَائِمة شُيوخ ابن الفَقِيه تَضُمُّ آخَرين غير هؤلاء العُلَمَاء الحُفَّاظ الذين أسْهَمُوا بشَكْل مبَاشر في تكْوين ابن الفَقِيه، بيد أنَّه لم يَحْظ بشَرفِ التَّواجُد في كُتبِ التَّرْجَمات التي خُصِّصَت لعُلَمَاءِ السُّنَّة، وإنْ تَرْجَم له ولأبيه يَاقُوت الحَمَويّ في مُعْجَم الأُدَبَاء، ما يؤكِّد علىٰ شُهْرتِها بالأدَب، والأدَبِ فقط، ولعلَّ هذا هو الذي دفعَ النَّدِيم لأنْ يَضع ابن الفَقِيه في مصَافِّ النُّدَماء الذين كانوا يُجالِسُون

---

[1] انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م. ج٢، ص١٦٨.

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج١٣، ص٤٤٩-٤٥٠.

الخُلَفَاء والأُمَراء يَقصُّون عليهم الحِكَايَات والأخْبَار[١]. ما يُقَلِّل من أهْلِيَّته للَّحَاق بالحُفَّاظ المُسْنَدِين وعُلَماء الدِّين الأتْقِياء الذين اقْتَصَرت كُتب التَّرجَمَات علىٰ ذِكْرِهِم.

لقد كان عِلْم الأخْبَار علمًا ثَانويًّا في نظَرِ مُصَنِّفِي كُتبِ التَّراجِم والطَّبقَات، فهم لا يَلْتَفِتُون للمُشْتَغِلينَ به إلَّا في القَلِيلِ النَّادِر، وغَالبًا إذا ما كانوا ممن غَلبَ عليهم الاشْتِغَال بعِلْمٍ شَرْعِيٍّ قبل الأخْبَار والأدَب.

أمَّا مَنْ أخذُوا عنه فهُم:

أبُو بَكْر أحْمَد بن عَلِيّ بن أحْمَد بن مُحمَّد بن الفَرج بن لَال الهَمَذَانيّ الشَّافِعِي، الإمَام الفَقِيه، ورَدَ بغْدَاد وحدَّث بها فسَمِعَ منه الدَّارقُطْنِي وغيره[٢]، له مُصَنَّفات في عُلومِ الحَدِيث إلَّا أنَّه اشْتُهِر بالفقِه. قال الإمَام الذَّهَبِيُّ: «قَال شَيْرَوَيْه: كان ثِقَة أوْحَد زَمَانه، مُفْتِي البَلد، يُحْسِن هذا الشَّأن...، رَأيْتُ له "كِتَاب السُّنَن"، و"مُعْجَم الصَّحَابة"، مَا رَأيتُ أحْسَن منه، والدُّعَاء عند قَبْره مُسْتَجَاب... توفِّي سنة ٣٩٨هـ/ ٩٩٩م»[٣].

أبُو بَكْر الفَارِسيّ الكِسْرَوي: عَبْدُ الله بن أحْمَد بن مُحمَّد بن رُوزْبَه الهَمَدَانّي الزَّاهِد،

---

[١] أورد النديم ترجمة ابن الفقيه في الفن الثالث من المقالة الثالثة والتي خصصها للندماء والمغنين. انظر: الفهرست ج١ ص ٤٧٣-٤٧٤.

[٢] انظر: الخطيب البغدادي: ، تاريخ بغداد(تأريخ مدينة السلام)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي: بيروت،٢٠٠٢م، ج٥، ص٥٢١.

[٣] انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٧٥-٧٦.

روىٰ عنه "الخَلِيل بن عَبْد الله القَزْوِيني الحَافِظ"، وآخَرون، صَاحِب تصَانِيف منها: كِتَاب المُخْتَصَر في التَّبصُّر والتَّذكُّر. قيل إنَّه صنَّفه سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٢م[١]. سكَن همَذانَ وحدَّث بها، كان ثِقَةً صَدُوقًا. امْتَهنَ النِّسَاخَة فكان يَنْسَخُ الكُتب بالأُجرة، واشتُهِر بدقَّة خَطِّه، فكان يَكْتُب خطًّا دقِيقًا في دقَّة الشَّعر. وسُئل يومًا عن ذلك فقال:- « لقلَّة الْوَرِق والْوَرَق وخَفَّة الحَمل علىٰ العُنق»، وكان يَسْتَقِي المَاء للبيُوتَاتِ بهمَذانَ[٢]. توفِّي سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م.

* * *

لا تمدُّنا المصَادِر بشَيءٍ أكثر من هذا عن ابن الفَقِيه وشُيوخُهُ ومنْ أخَذُوا عنه، ولا تعرفنا بتاريخ ميلاده أو وفاته، ولَيْسَ أمَامنَا سِوَىٰ اسْتِثْمار هذه المَعْلُومَات القَلِيلَة في مُحَاولة تَقْرِيبيَّة لتَقْدِير الفَتْرة التي عَاشَها ابن الفَقِيه من خِلَال اسْتِقْرَاء الاحْتِمالَات في حُدُودِ سِنْي ميَلَاد ووفَاة من سَبقَتْ ترْجَمتهُم من شُيوخه وتلَامِذَته.

---

[١] انظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. ج٣٢، ص ١٨١-١٨٢؛ القزويني: التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص٢١١.

[٢] انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م. ج٨، ص٧١٢.

تقدير عُمْر ابن الفقيه:

إذا كَان ابن الفَقِيه قد بَدأ بتَحَمُّلِ العِلْم وهو في سِنِّ الخَامسَة عَشْرَة ، تقريبًا، وتوفِّي شَيْخُه ابن دِيزِيل سنة ٢٨١ هـ/ ٨٩٤م. فإنَّه غالبًا ما يكُون من مَوَالِيد العِقْد السَّابع من القَرْنِ الثَّالِث الهِجْرِي أي في الفَتْرَة مابين ٢٦١-٢٧٠هـ/ ٨٧٥-٨٨٤م.

ولما كَان تِلْمِيذُهُ ابن لَال قد وُلِد سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢١م. وغالبًا ما أخَذَ عنه العِلْم وهو ابن خَمْسَة عَشْر عامًا أيضًا، أي في العِقْد الثَّالِث من القَرْنِ الرَّابع الهجْرِي الفَتْرة من ٣٢١-٣٣٠ هـ/ ٩٣٣-٩٤٢م، ما يعني أنَّ ابن الفَقِيه بَقِيَ إلى ما بَعْد هذه المُدَّة، وهو ما يتَّفِقُ وإشَارَة يَاقُوت إلى أنَّه كان حيًّا في حُدُودِ سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥٢م[1]. وعلى هذا وبالجَمْعِ بين هذه القرَائِن يَظْهَر أنَّ حياة ابن الفَقِيه كانت تقريبًا في الفَتْرَةِ من ٢٦٥هـ إلى ٣٤٥ هـ / ٨٧٩م إلى ٩٥٦م، وأنَّه عَاشَ ما يَقْرُب من ثَمَانِين سَنَةً هجْرِيَّة (سبع وسَبْعُون سنة مِيلَادِيَّة) أو أقَلَّ من ذلك قَلِيلًا.

مؤلَّفاتُه:

تُشِير المصَادِر التي تَرْجَمت لابْنِ الفَقِيه إلى أنَّه صَنَّف كِتابًا بعِنْوَان: «ذِكْر الشُّعَراء المُحَدَّثِين والبُلَغَاء منهم والمُفْحِمين»[2]، لم يَصِل إلينا، إلَّا أنَّ عِنْوَانه يَدلُّ على اهْتِمَامِهِ الوَاضِح بالشِّعْرِ والشُّعَراء، وقد ظهَر هذا الاتِّجاه جليًّا في الشَّواهِد الشِّعْرِيَّة الكثيرة التي ضَمَّنها ابن الفَقِيه كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان» ، ويَذْكُر هو نَفْسُهُ أنَّه صَنَّف كِتابًا أسماهُ

---

[1] معجم البلدان : ج١، ص٥٢٦.

[2] النديم: الفهرست، ج١، ص٤٧٣-٤٧٤، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٤٥٩-٤٦٠.

«كِتَاب العَجَائِب» [١٣٢و] لم يَصِل إلينا هو الآخَر، وفي عِنْوَانِهِ دلالة واضحة علىٰ اهتمامه بعلم العجائب، وتَفْسِير لأخبار العَجَائِب الكَثِيرة التي حَرص ابن الفَقِيه أنْ يضَمِّنها كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان».

ويَبْدُو أنَّ كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان » آخَر وأهَم مَا صَنَّف الرَّجُل من كُتب؛ فهو الكِتَاب الأشْهَر من بين مَا سَطَّره بقَلَمِه حتىٰ عُرِفَ به وصَارَ عَلَمًا عليه، و به احتَلَّ مَوْقِعَهُ بين مُؤَرِّخِي وجُغْرَافِيِي عَالَمِ الإسْلَام، وقدْ ذكَر النَّدِيم أنَ «كِتَاب البُلْدَان نَحْو ألْفِ ورَقَة»[1]، ما يدُل علىٰ أنَّه شَكَّلَ خُلاصة معارفه وأفكاره، إذ وضع فيه ما انتهىٰ إليه في عالم الشعر وعالم العجائب، ويجعلنا نتشكك في التَّارِيخ الذي قدَّرَهُ بَارتُولْد لتَأْلِيف الكِتَاب نَحْو سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م.

*

* *

[1] الفهرست، ج١، ص٤٧٤.

تَرْتِيبُ الكِتَاب ومَنْهَجهُ

إنَّ الجُـزْء الذي بأيْدِينَا من نَصِّ كتَاب ابن الفَقِيه هو مُسَوَّدَة القِسْم الثَّاني من الكِتَاب، ومن ثَمَّ فإنَّ الأحْكَام التي نُطْلِقهَا هَاهنَا، من النَّاحِية المَنْهَجيَّة، تتعلَّق بهذا القِسْم وحَده، ومُرتكِزة علىٰ عمَلية التَّحْقِيق التي تمَّت له، ولكِنَّها تَسْرِي كذَلك علىٰ القِسْمِ الأوَّل الَّذي وصَل إلينا مُخْتَصرًا، ويضمُّ موضُوعَات أسَاسِيَّة نجدها في كَافة المُصَنَّفات الجُغْرَافيَّة الأُخْرَىٰ؛ مثل القَوْل في خَلْقِ الأرْض، والقَوْل في البِحَار وعَجائِب ما فيها، والفَرْق ما بين الصِّين والهِنْد، ثمَّ مَوضُوعات عِلْم البُلْدَان الإسْلَامي؛ كالحدِيث عن المَدِينة ومَكَّة وتُهامَة والحِجَاز واليَمامة والبَحْرِين واليَمن ومِصْر والنِّيل والمَغْرِب وبِلَاد الشَّام، والعِرَاق.

أما القِسْم الثَّاني فإنه يتَناوَل الحَدِيث عن باقي بُلْدَان العِرَاق، وعن بَغْدَاد وإقْلِيم فَارِس وبِلَاد خُرَاسَان، وبَعْض بُلْدَان آسْيَا الوسْطَىٰ "بلاد الترك"، وهي المنَاطِق التي تُشَكِّلُ الجِنَاح الشَّرْقِيَّ لعَالَمَ الإسْلَام، وتُمثِّل وجْهَتهُ الحضَارِيَّة مُنْذُ مُسْتَهلِّ العَصْرِ العبَّاسِي، وهي كذلك المَنْطقَة التي وُلِد ونشَأ فيها ابن الفَقِيه، ولِذَا فإنَّها تَحْظَىٰ لَدِيه بأهَمِيَّةٍ خَاصَّة.

بنىٰ ابْنُ الفَقِيه عمَلهُ علىٰ أسَاس جَمْع أكْبَر قَدْر مُمكِن من المَعْلُومَات حَوْل كُلِّ بَلدٍ تَحدَّث عنه، فمَثلًا عندما يتكَلَّم عن البَصْرَة نجِدَه يَذْكُر اسمهَا القَدِيم، وسَبب تسْمِيتها، ويتَنَاوَل تَارِيخ تَأسِيسها والرِّوايَات المُتعلِّقة بتَخْطِيطها، ويُشِير إلىٰ أهمِّ المُنْشئات التي بُنِيَت بها، وما احْتُفِر بها من مجَارِي المَاء، ويَجْمعُ الأقْوَال التي قِيلَت

في مَدْحِهَا وذمِّها، ثـمَّ يأتي بحَدِيث المُجَارَاة التي دَارَت بين البَصْريّين والكُوفيِّين عند الخَلِيفَة المَأمُون، وهكَذا في اسْتِطْرادٍ طَوِيلٍ مُمْتِعٍ يجْمَعُ بين الأخْبَار والأشْعَار والحِكَايَات الطَريفَة.

وبِذَات الطَّرِيقَة يتنَاوَل تَارِيخ مَدِينَة واسِط، ويَأتِي علىٰ ذِكْرِ بغْدَاد فيَمْنحهَا نحو رُبْعِ هذا الجُزْء من الكِتَاب، مع نَصٍّ مُتْرَعٍ بالتَّفاصِيل، ثمَّ يتَّجِه شَمالًا ليُحَدِّثنَا عن سَامِرَاء، ثمَّ شَرقًا ليَذْكُر سَوَاد العِرَاق وأرَاضِي دِجْلَة والفُرَات، ثمَّ إلىٰ إقْلِيم فَارِس الغَنِيِّ بأخْبَارِه العَجِيبَة وحِكَايَاتهُ الغَرِيبَة، ويَخصُّ همَذَان مسقَطَ رَأسِه بِقسمٍ كَبِيرٍ من النَّصِ، يَحْشُد خَلالَه كل مَا بلَغَهُ عنها من الأَخْبَار والعجَائِب مع بَعْضِ الاسْتِطْرَادَات الطَّرِيفَة، ثمَّ يمْضِي صَوْبَ أصْبَهَان ليُطِلَّ عليها إطْلَالَة سَرِيعَة، ومنها يتَّجِه إلىٰ قُم ومَا وراءها من البِلَاد، ولا يتَوقَّف عن حَدِيثِ الأعَاجِيب.

ليَصِل إلىٰ طَبَرِسْتَان فيَمْنَحنَا مَجْمُوعَةً طَيِّبَةً من الأَخْبَار التَّارِيخيَّة المَوثَّقة عن فَتْحهَا ووَلَاتهَا، ولا يَنْسَىٰ ذِكْر عجَائِبها، ثمَّ إلىٰ خُرَاسَان ومَا حَوْلَهَا من البُلْدَان والأنْهَار، لَيسْلُك الطَّرِيق نَحْو سمَرقَنْد فيُلِمَّ بشَيءٍ من أخْبَارِها، ومنها يتَّجِه بقَلمِه ليَصِف بُلْدَان التُّرْكِ في آسْيَا الوسْطَىٰ ولكِن بإيجَاز، هكَذا جَاء تَرْتِيب مَوْضُوعَات القِسْمُ الثَّانِي من كِتَاب أخْبَار البُلْدَان.

أمَّا مَنْهَج ابْنُ الفَقِيه فإنَّه يَنْتَمِي إلىٰ المَدْرَسَةِ الأدَبيَّة التي عَرِفتهَا الثَّقَافَة العَرَبيَّة الإسْلَامِيَّة مُنْذُ مطْلَع القَرن الثَّالِث للهِجْرَة، حيْنَما بَات الأدَب هو الوعَاء الذي ضَمَّ كُلَّ صُنُوف المَعْرِفَة، والشَّجَرة التي امْتَدَّت فُروعَها لتُمثِّل كَافَة العُلُوم في هذه الحِقْبَة.

والمِيزَة الأسَاسِيَّة التي يُمْكِن للقَارِئ أنْ يَلْحَظهَا في هذا الكِتَاب هي أنَّه تَأْلِيف مَوْسُوعِي يَشْتَمِل علىٰ ضُرُوب مُخْتَلِفَة من فُنون الأدَبِ والتَّارِيخ والرِّحْلَة ووصْفِ الأقَالِيم، مع عِنَايَةٍ خَاصَّة بما تَشْتَمِل عليه من الغَرائِب، ما يُعْرَف الآن بِاسْم عِلْم العَجَائِب أو "الكُوزمُوجَرافيَا".

لَقَد أوْضَحَ ابن الفَقِيه الفَائِدة من كِتَابه إذ يقُول:

«ولو لم يُفِدْكَ هذا الكِتاب من الأخْبَارِ العَجِيبةِ والأشْعَار الظَّرِيفة والأوَّليَّات الغَرِيبة، لكان فيما يُفِديكَ من أخْبَار البُلْدان وعجَائِب الكُوَرِ والأمْصَار بَلاغًا ومُتَّعًا؛ فكيف وقد أفَادكَ عِلمُ المَاضِين وأخْبَار الأوَّلين. وذلك عِلْمُ المَعْنيَيْن ووقَفكَ على الطَّرِيقَين وأرْشَدكَ إلى الأمْرَينِ جميعًا. حِكْمةٌ بَالِغةٌ ومَوْعِظةٌ مُوجَزةٌ تعرَّفت منه أخْبار المَاضِين، وأبْنية من قد سَلفَ من الأوَّلين» [ورقة : ١١٢و].

وعلىٰ هَذا فالكِتَاب مُصَنَّفٌ يُعنىٰ بنَوْعِيَّة مُتَميِّزَةٍ من المَعْرِفةِ لا يَسَع المُثَقَّفُ عصَرَئِذ أنْ يَجْهلهَا، كَمَا أنَّه يستَجِيب لمتَطَلِبَات طَيْف عَرِيض من القُرَّاءِ البَاحثِين عن قِصَصِ العجَائِب، والرَّاغِبِين في التَّعرُّفِ علىٰ خصَائِص بُلْدَان دَارِ الإسْلَام، عن طَرِيق وَضْع مَجْمُوعَة واسِعَة من الأخْبَار المُتعَلِّقَة بكُلِّ بَلدٍ من البُلْدَان التي أتىٰ علىٰ ذِكْرهَا بين يَدِي القَارِئ العَادِي، وإعَادَة إنْتَاج مَجْمُوعَة من المعَارِف المُخْتَلِفَة في إطَارٍ جُغْرَافِيٍّ ذي أسْلُوبٍ أدَبِيٍّ رشِيقٍ يستَلهِم رَوْح الثَّقَافَة السَّائِدة من خِلَال تَنْوِيع مصَادِره، ومُجَارَاة المُصَنِّفِين المَوْسُوعيِّين الكِبَار أمْثَال: الجَاحِظ، والمدَائِني، و البَلاذُرِيِّ، وابن قُتَيْبَة.

لقَد كَان الرَّحَالَة الفلسطيني أبُو عَبْد الله المَقْدِسي [ت.٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م] علىٰ جَانِبٍ كبيرٍ من الصَّواب، وهو يَنْظُر بعَينِ الجُغْرَافيِّ المُتمَرِّس، حين أشَار إلىٰ غَلبَةِ الأدَبِ علىٰ الجُغْرَافيَا في مُصَنَّفِ ابن الفَقِيه، بقوله: « وإذا نَظَرتَ في كِتَابِ ابن الفَقِيه فكأنَّما أنْتَ نَاظِر في كِتَاب الجَاحِظ »[١]، فالرَّجُل يَنْشُد رِعَايَة الجَاحِظ، ويَسِيرُ علىٰ دَرْبِه، ويَنْتَسِبُ إلىٰ المَدْرَسةِ التي أسَّسَها، لكِنَّه لم يُصَادِف مَا لقِيَهُ أسْتَاذِه من الحَظِّ والشُّهْرَةِ.

* * *

قَرَّر ابن الفَقِيه في مُقَدِّمة كِتَابه أنَّ عِلْم البُلْدَان يَسْتَهْدِف جَمْع كُلِّ ما قِيلَ أو كُتِبَ عن البُلْدَان، مَا يعْنِي أنَّ هذه المعَارِف سَوفَ تسْتَقَىٰ من كُتبِ السَّابقِين؛ لأنَّ التَّجْمِيع لا يَتِمُّ عَادةً إلَّا من خِلَال المُطَالعَة، ولَيْس المُشَاهَدة الحِسيَّة، ولِذَا تَأثَّرت مَوْضُوعَات الكِتَاب بحَجْمِ المَادَة المُتَاحَة عن كلِّ بَلدٍ.

فنَجِد أنَّ حَدِيثَهُ يطُول عن بُلْدَان العِرَاق [الكُوفَة والبَصْرَة ووَاسِط]، ويخَصِّص رُبْع هذا القِسْم لمَدِينة بغْدَاد، فيَمْنَحنَا تفَاصِيل دَقِيقَة حوْلَ طُبوغْرَافيَا عَاصِمَة الخِلافَة، تَسْتَنِد ـ في كَثِيرٍ من الأحْيَان ـ إلىٰ المُشَاهَدةِ ـ لكنَّها لَيْسَت مُشَاهدَاته هو علىٰ أيَّة حَال ـ وذلك لأنَّ الأخْبَار عنها كَثِيرةٌ جدًّا والمصَادِر التي يَسْتَقِي منها مَادَّتهُ مُتعَدِّدة موفُورَة، كذلك الحَال فيما يخَصُّ إقْلِيم فَارِس وهمَذَان. علىٰ النَّقِيضِ من ذلك نجد المَادَة التي خصَّصَها لبَعْضِ بُلْدَان المَشْرِق البَعِيدة مثل [سَمرْقَنْد، قَزْوِين، بِلَاد التُّرْك] بُحُوثًا قَصِيرةً نِسْبيًّا بسَببِ قِلَّة المعْلُومات المُتَاحَة، لذلك نجدُهُ يكْتَفِي

---

[١] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٤٠.

ببعضِ الأخبَار الشَّائِعَة أو المَعْلُومَات المُتدَاولَة المُتعلِّقَة بالفُتُوح وأسْماء بعْضِ القَادَة والولَاة، مع بعْضِ بيَانَات شَحِيحَة عن الخَرَاج. وعلىٰ هذا النَّهج يمْضِي ابن الفَقِيه، فهو يصُوغ مبَاحِث كتَابه في ضَوْءِ المَادَة المُتَاحَة، ويتحرَّك في حُدودِهَا.

* * *

تحظَىٰ بغْدَاد بأهمِيَّةٍ خَاصَّة في هذا القِسْم من كِتَاب «أخبَار البُلْدَان»، فلَقَد بَقِيَت شَخْصِيَّة ابنُ الفَقِيه الجُغْرَافيَّة خَافِتة غير واضِحَة المعَالِمِ علىٰ مَدَىٰ أبْوَابِ الكِتَاب الأولَىٰ، حيْثُ طغَتْ عليه رَوْح الأدِيبِ المُولَع بنقْلِ الأخْبَار، والمُصِّرِ علىٰ إبقَاء القَارِئ في حَالةٍ من التَّشوُّق لِقرَاءَة المزِيد من المُنَاظَرات الأدَبِيَّة جَيدة السَّبك، والعِبَارَات النَّثرِيَّة ذَات الصِّفَات البَلاغِيَّة المُتفَاوِتَة قُوَّةً وضَعْفًا، مع عَددٍ ضَخْمٍ من الأشْعَارِ والأمْثَال، مُكْتَفِيـًا بِدورِ نَاقِل الأخبَار والمَرْوِيَّات.

حتَّىٰ إذا مَا ابْتَدأ بالحَدِيث عن مَدِينَة بغْدَاد، أخَذت شَخْصِيَّتهُ البُلْدَانيَّة في الظُّهُور رُوَيْدًا رُوَيْدًا، إذ بَدا وكَأنَّه يَقرأ تفَاصِيل المَدِينة من كَفِّ يَدِهِ، وأخَذَ يُشِيرُ إلىٰ معَالِمِهَا بمُنتَهىٰ الدِّقَة؛ فَأظْهَر خِبرَةً واسِعَةً بطُبُوغْرَافيَا عَاصِمَة بنِي العبَّاس، وإلمَامًا بتَطوُّرِهَا العُمْرَانِيِّ، وما اسْتَجدَّ فيها من إنْشَاءَات، ومَا جَرىٰ بها من تَغـيُّرات، وما طَرأ عليها من تَجْدِيدَات وتَوسُّعَات، فقَدَّم في هذا البَابِ مَادةً طُبوغَرافيَّة لا مَزِيد عليها كانت أسَاسـًا جَيِّدًا لمن جَاءَ بعْدَه من المُؤلِفين، حيث كشَفت هذه المَادَة عن مَلامِح المَدِينة بِشَكْلٍ وافٍ، وقُدِّمت بمسْتَوىٰ من الأمَانَة والدِّقَة يفْتَقِرُ إليه ابن الفَقِيه في غَيْرِ هذا البَاب.

ذلك أنَّ تفَاصِيل تَخْطِيط المَدِينة، ومَا تضُمُّه بين أسْوَارِها وخَارِجهَا من شَوَارِع، وأَرْبَاض، وطَاقَات، وقُصُور، و إقْطَاعَاتٍ، وما احْتَوت عليه من دُورٍ وبيُوتَاتٍ، وأَزِقَّةٍ، ومسَاجِد، وسَاحَات ـ تُشكِّلُ مَادةً غنِيَّة للغَاية ـ اسْتَقَاهَا ابن الفَقِيه من مصَادِر مُتنَوِّعة، وجمَعهَا من مَوارِد عِدَّة، الأمْرُ الذي جعَلهُ يَلْجَأ أحيانـاً إلى تِكْرَار الخَبر أو المَادَة التي سَبق وأنْ ذكرَهَا؛ لأنَّ في الرَّاوِيَة الثَّانِية بعْض التَّفَاصِيل التي فَاتتهُ، وربَّما كان هَدفهُ من ذلك التَّثبُّت من سَلاَمَةِ الأخْبَار التي ذكَرهَا آنِفـاً.

***

منَحَ ابنُ الفَقِيه إقْلِيمَي فَارِس وخُرَاسَان عِنَايةً ظَاهِرة عمَّا سِوَاهمَا من أقَالِيم المَشرِق، ولاغَرْو فالرَّجُل همَذَانِيُّ المَوْلِد فَارِسِيُّ الهَوىٰ، وتظْهَر في ثنايا الكتاب مَعْرِفتهُ الجَيِّدة بالتَّارِيخ الفَارِسِيِّ القَدِيم، بل وفَخْرهُ بتَارِيخ الفُرْس قبْلَ الإسْلَام، مع إبْرَاز لِدورِهِم في التَّارِيخِ الإسْلَامِيِّ البَاكِر، وثَناء الرَّسُول والصَّحَابَة والعُلَماء عليهم، ويكثر الحديث عن دور الخُراسانيين في تقويض الدولة الأمويَّة وإقامة دولة العبَّاسيين.

ونلْحَظ إحَاطَتهُ بالكَثِير من المَعْلُومَات حَول قُرىٰ ومُدن هذه المنْطِقَة وعجَائبهَا، وما تتميَّز به عن سَائِر بُلْدَان الإسْلَام من المُنتجَاتِ والصِّنَاعَات، فضلًا عن مَزْرُوعَاتهَا وفواكِههَا، وما كان فيها من مُنْشَئات الأكَاسِرة، وما تَركُوه من القُصُور العِظِيمَة والتَّماثِيل المُدْهِشَة، والآثَار البَدِيعَة، ولا يَفُوتُه ذِكْر المَقَابِر والطَّلاسِم ومحَاسِن الشِّتَاء، وكلّ ما قِيلَ في همَذَان وأخْلَاق أهْلِهَا وعجَائِبهَا.

وهذه المَادَة الثَّرِيَّة نَدَرَ أنْ نجِد لها نظِيرًا علىٰ هذا النَّسَق فيما بين أيْدِينَا من المُصَنَّفاتِ الجُغْرَافيَّة الأخرَىٰ، إنَّمَا إحْدَىٰ العَلامَات المُميِّزة في مُصَنَّف ابن الفَقِيه، ولعلَّ حُبَّهُ لمَوْطِنِهِ كان هو الدَّافِع لإبْرَاز قِيمَته وتفْضِيله علىٰ سَائِر أقَالِيم دَارِ الإسْلَام، وَمَنْحِهِ هذه المسَاحة الكَبِيرة من كِتَابِهِ.

تنَاوَل ابن الفَقِيه في آخِر الكِتَاب بعْضًا من أخْبَارِ التُّرك، وذَكَر عَددًا من «مُدِن التُّرْكِسْتَان الشَّرْقِيَّة الشَّماليَّة» القَرِيبَة من بلَاد الخَزَر «الأرْمَن» أي في المَنطقَة التي تُعْرَف الآن بـ «أوراسِيَا»، أو«رُوسَيا أُورُوبَّا». والمَعْلُومَات التي أوْرَدهَا ابن الفَقِيه عن هَؤلَاء الأقْوَام فَرِيدة في بَابِها، إذ نَجِده يُعرِّف بمُدُنِ هذه المِنْطَقَة، ويَذْكُر بعض عجَائِبَها، وعَادَات أهْلهَا وصِفتهم ومَا يُعْرفُون به من أخْلَاق، وذكَر أنَّ لغَتهُم غير لُغَة الأتْرَاك، كمَا أشَار إلىٰ شجَاعتهِم وحُروبهِم وصِفَاتهِم البَدنيَّة، وهذا الجُزْء من النَّص من أغْنَىٰ وأجْمَل ما في الكِتَاب.

* * *

علىٰ أنَّه يُعْطِي حَديثَ العَجَائِب أوْلَوِيَّةً واضِحَةً في الكِتَاب، ويَنْتَقِل من المَوْضُوع الذي يُعَالِجه إلىٰ مَوْضُوعٍ آخَر دُون أنْ يُتِم الكَلَام في المَوْضُوع الأوَّل، لرَغْبَتِهِ في تَدْوِين كلِّ ما وقَعَ عليه من الحِكَايَات الغَرِيبَة والأخْبَار العَجِيبَة، فمَثلًا نجِدُه يُدْخِل في سِيَاقِ حَدِيثِهِ عن عجَائِب همَذَان كَلامًا كَثِيرًا عن عجَائِب نهَاوَنْد ـ دونَما دَاعٍ لذلك ـ ثمَّ نرَاه بعد قَلِيلٍ يتَنَاول نهَاوَنْد وتَارِيخ فَتْحِهَا وبَعْض معَالمهَا في مَادةٍ خَاصَّةٍ بها، كان من الأوْلَى أنْ يَضُمَّ إليها حَدِيثَهُ عن عجَائِبَها.

لكنَّه آثَر أنْ يَأتِي بحَدِيثِ العَجَائِب كلِّه مَرةً واحِدةً، وربَّما كان قُرب المَدِينتَيْنِ من بعْضِهمَا وانْتِماؤهما إلى إقْلِيمٍ واحِدٍ السَّبب في ذلك.

جعَل ابنُ الفَقِيه من العجَائِب مَوْضُوعًا أسَاسِيًّا يجِبُ التَّوقُّف عنده والتَّنْوِيه به في كُلِّ بلدٍ تصدَّى للحَدِيثِ عنه، باعْتَبارِها جُزْءًا لا يتَجزَّأ من أخْبَارِ تِلْكَ البُلْدَان، شَأنهَا شَأن المسَالِك والتَّقْسِيمَات الإدَارِيَّة والخصَائِص الطَّبِيعيَّة، في اسْتِجَابةٍ ظَاهِرةٍ لثقَافَةِ الوَسَطِ الاجْتِمَاعِيِّ الذي ينتَمِي إليه، والمُحِبُّ لِمثْلِ هذه النَّوعيَّة من المَعْرِفةِ، وكذلك لميُولِه وذَوْقِهِ الأدَبِيِّ.

وفي طُغْيَان الأخْبَار التَّارِيخيَّة والقَصَص العجَائِبيِّ على نصِّ الكِتَاب، ما يُؤكِّد على صِفَةِ الأخْبَارِيِّ الأدِيب التي وصِفَ بها ابنُ الفقَيه من قِبَل من تَرْجَمُوا له، لكِنَّها مع ذلك لا تُؤخِر تَرْتِيبَهُ بين جُغْرَافيي عَصْرِه[1].

*

* *

[1] يؤكد شيوع هذا النوع من المعرفة عصرئذ ما قاله محمد بن إسحاق النديم: «كانت الأسمار والخرافات مرغوبًا فيها مشتهاة في أيام خلفاء بني العباس، وسيما في أيام المقتدر فصنَّف الورَّاقون وكذبوا فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلَّان واسمه أحمد بن محمد بن دلَّان، وآخر يعرف بابن العطار وجماعة». الفهرست ج٢ ص٣٣١.

مَضْمُون الكِتَاب[1]

إذا مَا سِرْنَا في سِيَاقِ حَرَكَةِ النَّصّ نجِد أنَّ مَيْدَان الأخْبَار من وجْهَة نظَرِ ابن الفَقِيه يعْتَمِد علىٰ أسَاسٍ واحِدٍ هو: المَعْرِفة المَوْرُوثَة المَنْقُولَة عن السَّابِقِين. أمَّا الدِّرَاسَة المُتعَلِّقَة بقُطرٍ مَا بحدِّ ذَاتِه، فهِي أبْعَد من مُجرَّد ذِكْرٍ للأخْبَار، إنَّها نَظْرَةٌ شَامِلَةٌ تتضَاءَل فيها الجُغْرافيَا أمَام المعَارِف الأخرَىٰ؛ والحقِيقَة أنَّه لا كَثِير من الجُغْرافيَا هَاهُنا، اللَّهمَّ إلَّا نِظَام تصْنِيف الأخْبَار المُرتَّبة علىٰ البُلْدَان والحَدِيث عن بعْضِ مميزَاتِها؛ فالطَّابع الثَّانويّ الذي وضَعَ ابنُ الفَقِيه الجُغْرافيَا في إطَارِه خِلَال فُصُول الكِتَاب، إنَّما هو عمَل يتمَاشَىٰ مع ثقَافةِ المُجتَمع، حيث تُعْطَىٰ الأوْلَوِيَّة للظَّواهِر الشَّاذَة وأحَادِيث العَجَائِب.

فالجُغْرافيَا التَّقْلِيديَّة تكَاد أنْ تَنْحَصِر، فيما يتعَلَّق بالخَراجِ والمسَالِك والتَّقْسِيمَات الإدَاريَّة الخَاصَّة بكلِّ إقْلِيم في بَعْضِ الفقَراتِ المأْخُوذَة عن ابن خُرَّدَاذْبَه، وبِضْعَة نقُولٍ عن قِسْمَة المَعْمُورِ علىٰ الكَوَاكِب من تَرْجَمة كِتَاب بطْلَمْيُوس، وفَضَائِل البُلْدَان التي تتداخَل بَذورِهَا مع الشَّواهِد القُرْآنيَّة والأحَادِيث النَّبويَّة ـ الضَّعِيفَة غَالبًا ـ مع مَجْمُوعَةٍ من الأمْثَالِ والحِكَم والأقْوَال المَأثُورَة، والأخْبَار التَّارِيخيَّة المَأْخُوذَة في مُعْظَم الأحْيَان من البَلاذُرِيّ وابن قُتَيْبَة، فيما يَخُصُّ تَارِيخ الفُتُوحَات الإسْلَاميَّة في أقَالِيم المَشْرِق، وبَعْض من وقَائِع الصِّدَام مع الإمْبراطُوريَّة الفَارسيَّة، في حين تَطْبَع الأسَالِيب العَربيَّة الكِتَاب بطَابَعهَا البَارِز فتأْخُذ الأشْعَار حِصَّة الأسَدِ بما يَزِيد عن مِائَتيّ شَاهِدٍ بعْضهَا لفُحُول الشُّعَراء كَذِي الرُّمَة، والفَرَزْدَق، وجَرِير، وأبو تمَّام

[1] الأفكار الرئيسة لهذا المبحث مأخوذة عن تحليل أندريه ميكيل لعمل ابن الفقيه. انظر: جغرافية دار الإسلام البشرية ج١، ص٢٥١-٢٩٤.

الطَّائِي، مع تَصْرِيحَات بالأَخْذِ عن النَّاثِرِين الكِبَار أمْثَال الجَاحِظ والمَدَائِني، فَضْلًا عن تَخْصِيص مِسَاحة كَبِيرة لقَصَصِ العجَائِب ذي التَّقالِيد الفَارسيَّة. هذه هي العنَاصِر التي تشَكَّلت منها بِنيَة الكِتَاب.

فإذا مَا تجاوَزْنَا هذه النَّظْرة العَامَةِ إلىٰ عُمْقِ النَّص نَجِد أمَامنَا ثَلاثَة جَوانِب يُعَالجهَا المُصَنِّف، هي: المَرَاحِل التَّاريخيَّة، والمنَاطِق الجُغْرَافيَّة، والمعَارِف المُتنوِّعَة.

فمن النَّاحِيةِ التَّاريخيَّة تتوزَّع المُعْطَيات الزَّمنيَّة علىٰ ثَلاثِ فتَرَاتٍ رئِيسَة، أوَّلًا: العُصُور القَدِيمَة [بَدأ الخَلْقِ وعَصْر الطُّوفَان، وأنْبِيَاء بني إسْرَائِيل «دَاودُ وسُلَيْمَان»]، ثانيًا: ما قبل الإسْلَام، ثالثًا: التَّارِيخ الإسْلَامِي [الخِـلافَة الرَّاشِدة، ثمَّ الدَّوْلَة الأُمَويَّة، فالْعَصْر العبَّاسِي]. وهذه الأقْسَامُ تَنْتَظِمُ النَّصَّ كُلَّه، وتَظْهر الشَّخْصِيَّات التَّاريخيَّة من هذه الفتَرَات الزَّمنيَّة المُتبَاينَة خِلَال مَواقِف مُختَلفَة تُلَائِم صَيْرُورَة السِّيَاق وإطَاره فيمَا يخُصُّ كلَّ بلَدٍ.

إذ نَجِد أرْضَ الكُوفَة آخِر أرْضٍ تَبْلَع مَاءَ الطُّوفَان أيَّام نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأسْوَار تُسْتَر بنَاهَا سَامُ بن نُوحٍ، كما أسَسَّ بنفسِه مَدِينةَ سَامِرَاء، وسُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ عَاجِزٌ عن اتِّقَاء شَرِّ الأنْبَاط، رغم أنَّه أمَر الجِنَّ بنَقْلِ الأحْجَار من فَارِس لبِنَاء بَيْتِ المَقْدِس، ومن الشَّام إلىٰ فَارِس لبِنَاء قُصُورَه. ويتَّضِحُ أنَّ مُفجِّر مَاء دِجْلَة والفُرَات هو النَّبِيُّ دَانْيَال، وأنَّ الإسْكَنْدَر الأكْبَر هو البَانِي الحقِيقِي للمَدائِن عَاصِمة فَارِس، ولَيْس كِسْرَىٰ أبَروِيز صَاحِبُ قَصْرَ شِيرِين العَجِيب، في حين أنَّ رجُلًا من بقَايَا عَاد هو الذي احْتَفر الآبَار علىٰ طَرِيقِ البَصْرَة، أما كِسْرَىٰ أنُوشُرْوَان فهو المُؤسِس لَمجْدِ الفُرْس المُتَسِبين إلىٰ أحَدِ أحْفَاد إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

في المُقَابِل فإنَّ شَخصِيَّات التَّارِيخ الإسْلَاميِّ المَعْرُوفَة أمْثَال : عُمَر بن الخطَّاب، وعَليُّ بن أبِي طَالِب، والحُسَين، ومُعَاوِيَة، وعَبْد المَلِك، والحَجَّاج، وهِشَام، والسَّفَاح، والمَنْصُور، والرَّشِيد، والمَأمُون، يمثِّلُون رِجَال الدَّوْلَة الذين فتَحُوا الأقْطَار، ومصَّرُوا الأمْصَار، وقَمعُوا الكُفَّار، وواجَهُوا الأخْطَار، وهم أصْحَابُ الحِكْمَةِ البَالِغَة، والتَّصَرُّفَات السَّدِيدَة، وإن اخْتَلفَ مَوْقِف المُصَنِّف منهم حسَبَ مُيُولِه وتَوجُّهَاتِهِ.

و إلىٰ جُوَار هؤلَاء وهؤلَاء نَجِد حُشُودًا منَ الأشْخَاص كالأدَباءِ والشُّعَراء والعُلَماءِ والوزَرَاء، والكُتَّاب، والحُكَماء، والنُّدَمَاء، والمُغَنِّين والقَادَة العَسْكَرِيِّين، ورجَال السِّياسَة، وأنَاسٍ مجْهُولِين من مُخْتَلفِ الأعْرَاق.

وهذا النَّمطُ من التَّدوِين التَّارِيخِي المُرتَّب علىٰ البُلْدَان دَاخِل سِيَاقٍ متَّصلٍ يُمثِّل تَقْلِيدًا جَدِيدًا في الكِتَابةِ التَّارِيخيَّة، لم يَلْق بعد عِنَاية البَاحِثِين، فهذا النَّص يَشْتَمِل علىٰ طَائِفةٍ متبَاينةٍ من الأخْبَار تَبْدأ من عَصْرِ نُوحٍ إلىٰ عَصْرِ المؤلِّف، ومن ثَمَّ فإنَّ المَضْمُون التَّارِيخيَّ والإطَار الزَّمنيّ الوَاسِع الذي يُغطِّيه ابن الفَقِيه يَضَع كِتَابه في مصَافِّ المصَادِر التَّارِيخيَّة القيِّمَة.

من النَّاحيَة الجُغْرَافيَّة: تُمثِّل بُلْدَان دَار الإسْلَام النِّطَاق المكَانِي الذي تَركَّز عليه عمَل ابن الفَقِيه، ما يُثْبِت تَوَجُّهَهُ إلىٰ القَارِئ العَادِيّ الذي لَا يَكْتَرِث كَثِيرًا بمَا ورَاء هذه الدَّار، وهو في هذا القِسْم من الكِتَاب يَأْخُذ بأيْدِينا لُيعرِّفنَا ـ علىٰ طَرِيقَتِهِ ـ بأقَالِيم المَشْرق الإسْلَامي، فيَبْدَأ من العِرَاق، ثمَّ يتوقَّف طَوِيلًا في بِلَاد فَارِس، ثمَّ إلىٰ خُرَاسَان وما حَوْلهَا، وإقْلِيم الجَبَل ثم أخيرًا بلاد الترك.

إنَّ اتِّجاه السِّياق يضَعنُا أمَام جُغْرَافيا شَرقيَّةٍ خَالِصَةٍ تستَلْهِم مُعْطيَاتٍ فَارِسيَّةً صِيغَت في قَالبٍ عَربيٍّ من الأَخْبَار والأَشْعَار، وهو بهذا يُقَدِّم نمُوذَجًا نَاصِعًا للتَّأْلِيف والمَزْج بين مَا هو أَعْجَمِيّ وما هو عَربيّ، أو بين ما هو سَاسَانيٌّ كِسْرَوِيٌّ وما هو مُسْتَحْدَث علىٰ يَدِ المُسْلِمين؛ ووراء هذا التَّوازُن تَكْمُن مَقْدِرةٌ أدبيةٌ واضِحَةٌ، ومقَاصِد سِيَاسِيَّة ودِينِيَّة لا تَخفَىٰ علىٰ الدَّارِسِين.

علىٰ أنَّنا نَجِد المُعْطَيات الجُغْرَافيَّة التي عَالجهَا ابنُ الفَقِيه تَنْصَبُّ غَالِبًا علىٰ الخَصَائِص المُمَيِّزة لكُلِّ بَلدٍ كُتب عنه، أيًّا ما كانت هذه المُمَيِّزات، سَواءً أكانت في طِبَاعِ أهْلِهَا وأخْلَاقِهم وعَاداتِهم، أمْ في تَخْطِيط البِلَاد وعُمْرَانها وأسْوَارهَا وحُصُونهَا، أم في رِجَالهَا وأعْلَامهَا ومَنْ أخْرَجَتْهُم من النَّابِهِين، أم في تُرْبتهَا ونبَاتَاتهَا ومحَاصِيلهَا، أم في أسْوَاقهَا ومتَاجِرهَا وما فيها من الأَلْطَافِ والغَرائِب، و رُبَّمَا ظَهرت الخَصَائِص في مُنَاخهَا وتضَارِيسهَا، وبِيئتهَا الطَّبِيعيَّة، ومعَادنهَا وصِنَاعَاتهَا، وطبَائِع حيوانهَا، وحَال مِيَاههَا وهوَائهَا؛ ثمَّ هو بعد ذلك يَلْفِت انْتبَاهنَا إلىٰ أثَرِ ذلك كُلِّه علىٰ حَيَاةِ النَّاس، وعلىٰ رَخَاءِ بِلَادِهِم أو فَقْرهَا، وما تَنْتِجُه من المُنْتجَاتِ، وتَمُدُّ به غيرهَا من الصَّادِرَات، وعلىٰ مَا تُدِرُّه هذه البُلْدَان علىٰ الدَّوْلَة من خَرَاج.

وفِي السِّيَاق ذَاتِهِ يَظْهَر حِرْصه علىٰ ذِكْر العَجَائِب، ليس فقَطْ لأنَّهَا من خَصَائِص البُلْدَان، بل لأنَّها من مقَاصِد التَّصْنيف المُوجَّه إلىٰ القُرَّاءِ العَادِيِّين، فهي من مُتطَلَّبَات ثقَافَة العَصْر، ومن أسْبَابِ رَوَاجِ الكِتَاب؛ لقد جعَل ابْنُ الفَقِيه من عِلْمِ البُلْدَان أدبًا يَخْضَع لمُعْطَيَات جُغْرَافيَّة بِيئيَّة وإنْسَانيَّة أخْلَاقيَّة مُتفَاوِتة القُوَّة في التَّأْثِير علىٰ وضْعيَّة البَلد دَاخِل حُدُود دَارِ الإسْلَام.

فعلىٰ قَدْرِ فضَائِلهَا وخصَائِصها، ورُبَّما أحيانًا عجَائِبهَا أو مثَالِبهَا، تكُون مَنْزلتُها. كَما يتَأكَّد لنَا أنَّ خصَائِص البُلْدَان، التي تَسْتَهْوِي ابن الفَقِيه، هي المَوْضُوع الجُغْرَافِي الرَّئِيس الذي يَمْنَح هذا النَّص صِبْغَته البُلْدَانيَّة، و يُبْقِي علىٰ تَصْنِيفه بين كُتُبِ الجُغْرَافيَا العَربيَّة.

* * *

علىٰ صَعِيد المَعْرِفَة يَضُم الكِتَاب مُكْتَسبَات هَائِلَة من العِلْمِ والفِكْر والثَّقَافةِ العَائِدة إلىٰ القَرْنِ الثَّالِث للهِجْرَة/ التَّاسِع للمِيلَاد، جَاءت من الرَّوافِد التي تشَكَّلَت منها البِيئَة الحضَارِيَّة المُسْلِمَة، فإلىٰ جِوَار المصَادِر العَربيَّة الإسْلَاميَّـة الأسَاسِيَّة كالقُرآن الكَرِيم والسُّنَّة النَّبويَّة والتَّارِيخ، يَحْوِي النَّص مفَاهِيم فَارِسيَّة تَقْلِيدِيَّة كَثِيرة، فَضْلًا عن بَعْض التَّأثِيرَات اليُونَانِيَّة الوَاضِحَة في الأخْذِ عن بَطْلَميُوس، وأبقْرَاط، وثَازِينُوس، وغيرهم، لكنَّ هذه المعَارِف الوَافِدة جَرىٰ تَعْرِيبهَا ونُسِبَت إلىٰ الأئِمَة الذين وطَّنُوهَا في الثَّقافَة العَربيَّة كالجَاحِظ مثلًا، وعَبر الأدَبِ تمَّت صِياغَتهَا في قَالبِ عَربيٍّ مَتِين، فأصْبحت جُزْءًا حَتْمِيًّا في المَعْرِفَة المُتَاحَة عصرئذ.

هكَذا يَقُوم الأدَب بدَوْرٍ رَاسِخٍ في بِنَاء المَعْرِفَة الإسْلَاميَّة إبَّان صُعُودهَا، ويُصْبح الوِعَاء الذي يَضُم كَافَة المعَارِف، إنَّه الوَسِيلَةُ النَّاجِعَة التي اتَّخذ منها ابن الفَقِيه أدَاةً لسَبْكِ نَصٍّ مُتَماسِك مُتَرَابِط غَنِيٍّ، رَغْم تَعدُّد مصَادِره وتنَاقُض مشَارِبه، بأسْلُوبٍ تَمْتَزِجُ فيه المُعْطيَات المَعْرِفيَّة العَربيَّة والمُعْطيَات المُسْتَعْربة، حيث زَالَتْ الحُدُود بين مَا هو عَرَبِيّ وبين ما هو وَافِد، وذَاب تُرَاث الأُمَم الأخْرَىٰ في الأدَبِ العَربيِّ.

لَقد أُخضِعَت كَافَّة المعَارِف لُمتطَلَّبَات التَّقسِيم البُلْدَانِي، فالأفكَار والحِكَم والتَّجَارِب مَوْضُوعَة في أماكنها تمامًا، ووَفْقَ طَرِيقَةٍ مُعَالجَةٍ تَنْظِمُهَا في سِلْكِ السِّيَاق دُونَ أدْنَى تنافُر، مهْمَا حمَلَتْ من فَوَارِقَ نَوْعِيَّة عَبْر الأزْمَان والأصْقَاع، لتُصْبِح من العُلُوم التي يُعنَىٰ بها عِلْمُ البُلْدَان، وبهذا أُعِيدَت صِيَاغة المَعْرِفَة المُتَاحَة حَسب قَواعِد الأدَبِ، وطِبْقًا لُمقْتَضَيَات نَسَقٍ مَعْرِفيٍّ يَقْتَرب من مُسْتَوىٰ المَوسُوعَات.

* * *

في التَّحْلِيلِ الأخِيرِ لَمضْمُون كِتَاب أخْبَار البُلْدَان نَضَع أيْدِينا علىٰ ممَيِّزَاتٍ واضِحَةٍ لهذا النَّص، أقَلُّهَا أنَّه مُنْسَجِم تَمامًا مع مناهِج أدَبِيَّة واقِعيَّة تُدْرِك رَوْح العَصْرِ الذي كُتِبَت فيه، فمَبْدَأ العَلاقَة بين المُؤلِّف وعَصْرِه وجُمْهُوره يَظْهر بُوضُوحٍ في اتِّجاهَات الرَّجُل واخْتِيَارَاته، ما يَنْفِي عنه تُهمَة اللَّامُبَالَاة التي ألْصَقهَا به المَقْدِسِيُّ، إذ هو علىٰ العَكْسِ كَاتبٌ يُوْلِي دَوْرَهُ عِنَايَةً فَرِيدَةً جدًّا، مع التِزَامِه بنِظَام معَارِفٍ مُتَماسِك للغَاية.

ويتجلَّىٰ تَشَبُّثه بقَواعِد مَدْرَسَة الأدَبِ المَوْسُوعِي التي رَادهَا الجَاحِظ في طَرِيقَتِهِ لصِيَاغَةِ مَادَة كِتَابِه وفْقَ مُخطَّطٍ مُحكَم التَّنْسِيق، تَتناوَب فيه بانْتِظَامٍ العُرُوض ذَاتَ الصِّفَة الجُغْرَافيَّة، والفَواصِل الأدَبيَّة المُمْتِعَة.

ففَي هذا القِسْم من الكتَابِ، وبعد الحَدِيث عن الكُوفَة والبَصْرَة، ووَاسِط، وقبل أنْ يَأتِي علىٰ وَصْفِ مَدِينة السَّلَام، يتَوقَّف في اسْتِراحَةٍ تَرْفِيهيَّةٍ عند النَّبط ومَا جَاء فِيهِم، ثمَّ يَمْضِي قُدمًا في حَدِيثِه عن بَغْدَاد، ليَمْنَح القَارِئ في مُنْتَصَفِ الطَّرِيق اسْتِراحَةٍ أخرَىٰ في المُفَاضَلةِ ما بين بَغْدَاد ومَصْر، ثمَّ يَسْتَكمِل ما بَدأه عن بَغْدَاد، ليَدْخُل منها إلىٰ سُرَّمَرَّىٰ، وسَواد العِرَاق وإقْليم فَارِس، فيُعْطِي فُسْحَة يَذْكُر فيها

قِصَّة الفَرَسِ شَبْدِيز، يُخَفِّف بها من إرْهَاق القَارِئ، ثمَّ يَذْكُر خَواصَّ الأَبْنِيَةِ والبُلْدَان، وينتَقِلُ بعْدَهَا إلى وصْفِ هَمَذان، فيَمْنَحُنَا فَاصِلًا عن فَضْلِ المَاء وخَواصِّه، يعُودُ بعْدَه إلى همَذَان من جَدِيد، ثمَّ يتوقَّف ليُعْطِينَا دَفْعَةً أدبيَّةً رَشِيقَةً في حُبِّ الأَوْطَان، يسْتَأنِفُ بعْدَها الحَدِيث عن عجَائِب همذان، يعْقُبه فَاصِل يتَنَاول فيه فَضْلَ النَّار، يتَلكَّأ بعْدَه عند ذَاتِ الحَوافِر ونَاوُوس الظَّبْيَة، قبل أنْ يَصِل إلى نهَاوَنْد وأصْبَهَان، فيَمْنَحُنَا فَاصِلًا يَذْكُر فيه قِصَّة البُيورَاسِيف، ليَخْتَتِم الكِتَاب بالمَنَاطِق الشَّرْقِيَّة الشَّماليَّة "طَبرِسْتَان، خُرَاسَان، بِلَاد التُّرك".

هكَذَا نَجِدُ المُخَطَط الإجْمَالي للنَّصِ يَعْكِس وحِدَة بَحْثٍ حَقِيقيَّة، تَسِير بالفَواصِل وفْقَ أفْضَل تقَاليد الأدَبِ، وتُرفِّهُ عن القَارِئ لتُرِيحَهُ من عنَاء مُتَابعَة عَرْضٍ مَعْرُوفٍ بصُعُوبتِهِ، ما يقُودنَا في النِّهَايَة إلى عَدَمِ التَّسْلِيم بالحُكْمِ الشَّائِع حوْلَ افْتِقَار ابن الفَقِيه لخِطَّة يَسِيرُ عليهَا في بِنَاء كِتَابه[1].

إنَّ هذا التَّنوُّع الظَّاهِري في المُعْطَيَاتِ، وهذا التَّشعُّب في العَرْضِ، وتِلْكُم الاسْتِطْرَادَات، هي الرَّوابِط التي تُؤلِّف بين مَوْضُوعَات الكِتَاب، وتَصْنَع هذه الوحْدَة الحَقِيقيَّة العَمِيقَة جِدًّا التي لَا يُمْكِن إدْرَاكها إلَّا من خِلَال النَّظر المُتَأنِي القَادِر على اكْتِنَاه كَوامِن النَّص، واسْتِنْبَاط مَنْهَج المُصَنِّف عبْر سَبْرِ أغْوَارَه وفَهْمِ مقَاصِدِه، فهو يُؤلِّف على طَرِيقَة الصُّورَة الكُلِّيَّة التي تُجمَع من أشْتَات مُتَفرِّقَة ويُضمُّ بَعْضُها إلى بَعْضٍ فتَصِير كَيانًا مُتَكَامِلًا.

---

[1] راجع رأي كراتشكوفسكي في هذا الصدد، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٧٨.

إنَّ طَرِيقَته هذه هي مِيزتُهُ الأسَاسِيَّة، وسَبب تَفرُّدِه وتَأْثِيره البَاقِي، حيث نَجِده وقد اسْتَطَاع أنْ يُعِيد تَقْدِيم عِلْمِ البُلْدَان في قَالبٍ خَاصٍّ به، تُمَثِّل الجُغْرَافيَا إطَارَه العَام وحُدُودِه ومَظْهَرهُ الأهم، والأخْبَار التَّارِيخيَّة و العجَائِبيَّة مَوْضُوعَهُ الرَّئِيس، والأدَبُ صِيغَتهُ ووسِيلَتهُ، والمُتْعَة والتَّرفِيه هَدف فوَاصِلَه، والمَعْرِفة غَايَتهُ الأخِيرَة.

ولاشَكَّ أنَّ ورَاء هذه المَنْهَجِيَّة إرَادَةً واعِيةً خلَّاقَةً، وظَّفَت المعَارِف المُتاحة لِبنَاء نَصٍّ لم يتكَرر علىٰ مثل هذا النَّسَق بعد ابن الفَقِيه؛ فهذا الفَن من الكِتَابة القَائِم علىٰ الاسْتِعَانة بعُلُوم غَير جُغْرَافيَّة في أغْلَبِيَّتهَا لمعَالجَة مواضِيع جُغْرَافيَّة، هو الذي يُسَمِّيه أنْدِريه ميكيل "مَنْهَجِيَّة اللَّامَألُوف".

وابنُ الفَقِيه يُكرِّس هذه المَنْهَجِيَّة فِعْلًا بالانْفِتَاح علىٰ أسَالِيب الأدَب، والارْتِقَاء بِعلِم البُلْدَان إلىٰ مُسْتَوىٰ يتجَاوَز النَّمَط التَّقْلِيدِي للجُغْرَافيَا الإدَارِيَّة، ليُقَدِّم لَوحَةً مُعبِّرَةً عن النَّزعَات والاتِّجَاهَات الأدبيَّة للمُجْتَمع المُسْلِم المُثَقَّف في نِهَايَة القَرْن الثَّالِث للهِجْرَة، مَا يَعْنِي، بِاخْتِصَار، أنَّه مُصَنِّفٌ حضَارِيٌّ من الدَّرَجةِ الأولَىٰ.

لقد مثَّل ابنُ الفَقِيه مَدْرَسة الأدَب المَوْسُوعِي تَمْثِيلًا جَيِّدًا، وإنْ لم يَقُم بِإبْدَاعِها، لكِنَّه عمَلَ ما هو أكْثَر بكَثِير من أجْلِ مُسْتَقْبَل الجُغْرَافيَا الإسْلَاميَّة، حين ظَهَر في مُنْعَطَفٍ زَمنِيٍّ حَرِجٍ، فطَبَعَ الجُغْرَافيَا بِطَابع الأدَب، ووَسَّع دَائِرة المعَارِف التي تَنْضَوِي تَحْتَ لِوَاء عِلْم البُلْدَان لِيُصْبح أكْثَر شُمُولًا واتِّسَاعًا، وأرْحَب أُفُقًا، وأغْنَىٰ مَادَّة، وأقْرَبُ إلىٰ الذَّوْقِ العَام، كمَا ضَمِن لنَفْسِه مكَانًا مَرْمُوقًا بين المُصَنِّفِين الكِبَار سَواء في مَيدان الجُغْرَافيَا أو في مجَال التَّدْوِين التَّارِيخي، يُؤكِّد هذا تَأثِيره المُسْتَمِر فيمن أتَىٰ من بَعْدِه، وحضُوره الدَّائِم في مُخْتَلف المُصَنَّفَات التَّارِيخيَّة والجُغْرَافيَّة التَّالية له والتي أخَذَت عنه الكَثِير.

مَصَادِر الكتاب

إنَّ تَنوُّع مَصَادِر الكِتَاب جَعَلتْهُ حَافِلًا بنُقُولٍ مطَوَّلَةٍ من مصَادِرَ مَفْقُودَةٍ لم تَصِل إلينا، أو شِبْهِ مفْقُودَةٍ لم تصل إلينا بالْكَامِل، وإنَّما وصلَ إلينا مِنها نُتفٌ وشَذرَات مُتفَرِّقَة في مصَادر شَتَّىٰ تطلَّب اسْتِقْصَائُها جَهْدًا كَبِيرًا ووقْتًا طَوِيلًا واحْتِياطًا بَالِغًا، وتَنْقَسِم المصَادِر التي اعْتَمدَ عليها ابنُ الفَقِيه في بِنَاءِ كِتَابه إلىٰ مُصَنَّفات مَكْتُوبة، ورِوَايَات شَفَهِيَّة، حيث اسْتَمَدَّ صُلْبَ مَادَة الكِتَاب عبرَ النَّقْل من مؤلَّفاتِ المُصَنِّفِين السَّابِقِين عليه أو المُعَاصِرينَ له، وأضَاف إليها ممَّا وعَاه صَدْرُه، وحفِظَتهُ ذَاكِرتُهُ ما اسْتَطَاعَ من الأقْوَالِ المَأثُورَة والأشْعَار المُنَاسِبة للمَوْضُوعَات.

ولا شَكَّ في أن التَعرُّف علىٰ مَصَادِر الكِتَاب من أهَمِّ أهْدَافِ النَّشَراتِ النَّقْدِيَّة، لكِنَّ المشْكِلة الأسَاسِيَّة التي تُقَابِل من يتَصَّدىٰ لتَحْقِيق هذا النَّوع من الأعْمَال هي؛ التَأكُّد من أمَانَة هذه النُّقُول، وكيفِيَّة اخْتِيَار المؤلِّف لها وطَرِيقَتهُ في اسْتخدَامهَا، ولقد كَشفَت مُقَابَلة النَّصِ الذي بأيدينا علىٰ مصَادِرِه عن وجُود مصَادِر أفَادَ منها ابن الفَقِيه علىٰ امْتِدَاد الكِتَاب، وأخْرَىٰ أفَاد منها في مَوْضُوعَات مُحَدَّدة، ورَغْمَ أنَّه يُصرِّح في بعض الأحْيَان بالمَصْدَر الذي يَأْخُذ عنه إلا أنَّه لم يَذْكُر أهمَّ مصادر اعْتَمدَ عليها في عَشَراتِ المَوَاضِع، بل ونقَل عنها موْضُوعَات كَامِلة وهي مؤلفات الجَاحِظ، ومؤلفات ابن قتيبة، ومؤلفات البَلاذُرِيِّ.

أولًا: المَصَادِر المصرَّح بها:

١- المَصَادِر المَكْتُوبَة:

المصَادرُ الَّتي صرَّحَ ابْنُ الفَقِيهِ بالنَّقلِ عنْها أو اقتباسِ بعْضٍ مِنْ مضْمُونِها في موضُوعاتٍ مُحَدَّدةٍ تُشكِّلُ نِسْبةً لا بأسَ بها بين مصَادرِ الكِتَاب، لعلَّ مِنْ أبْرزها ما نَقَلَهُ مِنْ مُصنَّفاتِ المُؤرخ والنسَّابة الشَّهير هِشَام بْن مُحمَّد بْن السَّائِب الكَلْبيّ المُتوفى سَنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٠م[١]. إذ عَادةً ما يُقول: قال ابْنُ الكَلْبيّ، أو قال أبو المُنْذِر، أو قال هِشَامُ بْنُ السَّائِب، دونما إشارة إلى اسم الكِتَاب الَّذِي ينْقِل مِنْه؛ في حينِ أنَّ النَّديم أحْصَى لهُ عَشْرَ مؤلَّفَاتٍ في موضُوعاتِ عِلْم البُلْدان[٢] لم يصل إلينا منها شيء.

ولقَد تعدَّدَت المَوَاضِعُ التي أفَاد فيها ابْنُ الفَقِيه من ابْن الكَلْبيِّ، فأخَذَ عنْهُ بعضَ أخبارٍ تتعلَّق بتمْصِير البَصْرَةِ، وأخْبَار عن أصلِ النَّبط، وأسْبابِ تسْميةِ بعضِ إقْطَاعاتِ بغْداد، وبعْضًا مما قِيلَ في ذمِّها، وبضْعَةَ فَقراتٍ تتعلَّقُ بإقليمِ بَابِل، وسَبَبِ تَسْمِيةِ كِرْمان، وخَبَرَ في فتْحِ خُرَاسَان، وعلَّة تسْمِيةِ هَمَذَان، وذِكْر بعض عجائبها، والطَّلاسِم الَّتي بها، ونِسبة اسم نَهاونْد، و أصْبَهان، والرَّي، ويبْدُو أن ذِكْر نِسبَة أسْماءِ البُلْدان كانَ موضُوعًا لكتابٍ من مُصنَّفات ابْن الكَلْبيِّ يُعرفُ بكِتَابِ

---

[١] راجع في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م ص٥٣٦؛ النديم: الفهرست، ج١، ص٣٠١-٣٠٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٦، ص٦٨-٧٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٩، ص٢٨٧- ٢٩٢؛ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٣٧-١٣٨.

[٢] الفهرست: ج١، ص٣٠٥.

«أنسَابِ البُلْدان»، اطلَّعَ عَليه ياقُوت وأفاد مِنْه غيرَ مرَّة في مُعْجَم البُلْدَان[1]، إلَّا أنَّه لَيسَ بين قَائِمَة مؤلَّفَاتِه الطَّويلَةِ الَّتي أورَدَها النَّديم، ولَيسَ ثمَّةَ شَكٍّ في إفادة ابْن الفَقِيهِ مِنْ هَذا الكِتَاب.

ويَنْتَمِي إلىٰ نَفْسِ طَبقَة ابن الكَلْبِيِّ صِنْوُه الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ الكُوفِيّ، المتوفىٰ سنة (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)[2]، من العُلَماء بالشِّعْرِ والأخبَار والأنسَاب، اشْتُهِر بمنَادَمة خُلَفَاء بَنِي العبَّاس فجَالسَ: المَنْصُور، والمَهْدِي، والهادِي، والرَّشِيد، وهو كَاتبٌ مُكْثِرٌ تزِيد مؤَلفَاتُه عن مِئة كِتَابٍ؛ حظِيت المَوْضُوعَات البُلْدَانيَّة بنَصِيبٍ طَيِّبٍ بين مُصَنَّفاته، وللكُوفَة فيها مكَانة خَاصَّة، إذ كَتبَ عن خِططِ الكُوفَة، وولَاة الكُوفَة، وفخَر أهْلِ الكُوفَةِ علىٰ أهْلِ البَصْرَةِ، كما كتَب أيضًا عن نزُول العَربِ السَّواد وخُرَاسَان، وصنَّف كتابًا عن الخَرَاج، فضلًا عن كِتَابه الكَبِير في التَّارِيخ المُرَتَّب علىٰ السِّنِين.

ورغَمَ أنَّه لم يَصِل إلينا شَيء من مُصَنَّفاته الكَثِيرة، فقد احْتفَظَت بعْض المصَادِر اللَّاحِقَة بنُقُولٍ طَوِيلةٍ من مُصَنَّفاتِه، وعلىٰ الأخص أنْسَابِ الأشْرَاف للبَلاذُرِي، والمعَارِف لابن قُتَيبَة، وتَارِيخ الطَّبَرِي.

اسْتَفَاد ابن الفَقِيه من الهَيْثَم بن عَدِي في مَوْضُوعَات واسِط، والنَّبط والسَّوَاد،

---

[1] معجم البلدان: ج٢، ص١٢٦؛ ج٥، ص٧١؛ ج٥، ص٣٢٥.

[2] انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٨-٥٣٩؛ النديم : المصدر السابق، ج١، ص٣١١-٣١٣؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١٦، ص٧٦-٨٢؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١٩، ص٣٠٤-٣١٠.

وأَصْبَهان، والأهْوَاز، دُون تَسْمِيَة كُتبه التي نقل عنها، حيثُ اسْتَنَدَ إلى الرِّوَايَات الشَّفَهيَّة التي جمعَها البَلاذُرِي بسَنَدِه إلى الهَيْثَم ، فحَذَف السَّند، وابْتَدأ الأخْبَار بقوله: قَال الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ، نجِدُ ذلك في مَوْضُوعَات تَمْصِير الكُوفَة، وصُلْح الدِّينَور، وفَتْح الرَّيِّ، وسَجِسْتَان، وكَذلك فَتْحُ خُرَاسَان.

كَذلِك فقَد اعْتَمَد ابن الفَقِيه علىٰ مُؤلَّفَات أبي الحَسَن عَلِيِّ بن مُحمَّد بن عَبْد الله المَدَائِنِيِّ، المتوفىٰ (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)، وهو مُؤرِخ نسَّابة غَزِير الإنْتَاج، تتجَاوَز قَائِمة مُصَنَّفَاتِه مِائَتَي عُنْوان، تنَاوَلت مُعْظَم فُرُوع المَعْرِفةِ الأدَبِيَّة في القَرْنَين الثَّانِي والثَّالِث للهِجْرَة[١]، أفَاد منه ابن الفَقِيه في العَدِيد من أخْبَار المَشْرِق لاسيَّما ما يتَعلَّق بأخْبَار السَّواد، والمَدَائِن، وذَمِّ البِنَاء، وكذلك فتُوح خُرَاسَان، وخَرَاجِها، ولم يُحدِّد عنَاوين كُتبِه التي استَفَاد منها، علىٰ الرَّغْمِ أنَّ من بين مُؤَلَّفَات المَدَائِني العَدِيد من الكُتُبِ التي تتَّصِلُ مبَاشَرةً بمَوْضُوع كِتَاب أخْبَار البُلْدَان، مِثل مُصَنَّفاتِه في أخْبَار الخُلَفَاء ، وكُتبِه عن الفُتُوحِ، ومُؤَلَّفَاتِه عن رِجَال قُرَيْش وكُتبِهِ عن الأَمِين والمَأْمُون والفِتْنَة .

وأفَاد ابن الفَقِيه من مُصَنَّفَات اللُّغويِّ والأخْبَارِيِّ الفَارِسيِّ الأصْلِ أبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّىٰ المتوفىٰ ٢٠٩هـ/ ٢٢٥م[٢]، وهو من أشْهَر النَّحوِيِّين البَصْرِيِّين، وأوْسَع النَّاس دِرَايةً بتَارِيخ العَرَبِ في الجَاهِلِيَّة والإسْلَام حتىٰ قِيلَ أنَّ «دِيوَان العَرَب كان في

---

[١] انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف: ص٥٣٨؛ النديم: الفهرست، ج١، ص ٣١٥-٣٢٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٥١٦-٥١٨.

[٢] انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٥٤٣؛ أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٧٦-٧١.

بَيْتِه»، إذ تَزِيد قَائِمة مُصَنَّفاتِه التي أوْرَدهَا له صَاحِب الفِهْرِسْت عن مِائة كِتَاب، من بينها مُصَنَّفات تَارِيخيَّة مُهِمَّة مثل: كِتَابه عن الحجَّاج، وكِتَاب السَّواد وفَتْحِه.

واسْتَفَاد ابن الفَقِيه منه في مَوْضُوعَات أخْبَار الأُمَم السَّابِقَة مثل النَّبط والفُرسِ، وأخَذَ عنه أخْبَارًا في تَمْصِير البَصْرَة ومَسْحِ السَّوَاد.

* * *

واسْتَخْدَم ابن الفَقِيه عند حدِيثِه عن بَغْدَاد طَائِفة كَبِيرة من المُصَنَّفات التي اسْتَعَان بها لبِنَاء هذا القِسْم الفَرِيد من الكِتَاب، فأخَذ الكَثِير من الأخْبَار عن إقْطَاعَاتِها وخِطَطِها من مُؤَرِخِين مَعْرُوفِين منهم: أحْمَد بن مُحَمَّد بن الحَارِث الخَرَّاز المتوفَى ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م، صَاحِب المَدَائِني، ولا نَعْرِف من أي كُتبِه اسْتَفاد إلَّا أنَّ له كِتَابًا يَحْمِل العِنْوان الشَّهِير «المَسَالِك والمَمَالِك»[١].

وأخذ من أبي الفَضْل أحْمَد بن أبي طَاهِر طَيْفُور المَرْوَزِي الكَاتِب[٢] المتوفَى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، مُصَنِّف كِتَاب «بَغْدَاد» الشَّهِير ما يخص حدود بغداد، وأفاد أيضًا من كتَابه «بلَاغَات النِّسَاء» فيما قِيل عن ذمِّ الكُوفَة.

---

[١] انظر في ترجمته: النديم: المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣-٣٢٤؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج٥، ص١٩٨-١٩٩؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص ٣-٨.

[٢] انظر في ترجمته:ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٤١٦؛ النديم: المصدر السابق، ج١، ص ٤٥١-٤٥٣؛ الخطيب البغدادي: ج٥، ص٣٤٥.

كذلك فقد أفَاد ابن الفَقِيه من الأخْبَار والمَرْوِيّات المَنْسُوبة إلىٰ بَعْضِ القَادَة ورِجَال الدَّوْلَة الذين أسْهَمُوا في بِنَاء المَدِينة، أو حَازُوا من إقْطَاعَاتِها أمثَال: سُلَيْمان بن مُجَالد أخُو أبي جَعفَر المَنْصُور من الرَّضَاعة، ومُحَمَّد بن مُوسَىٰ بن الفُرَات الكَاتِب، أبو الوزَرَاء، والقَائِد حمَّاد التُّركِي، ويَحْيَىٰ بن الحسَن خَال الفَضْلُ بن الرَّبِيع حَاجِب هَارُون الرَّشِيد؛ وهؤلاء جميعًا شُهود عيَانٍ علىٰ تطَور عَاصِمَة بني العبَّاس وما عَرِفتهُ من تَوسُّعَات.

هذا فضْلًا عن اسْتِشْهَاد ابنُ الفَقِيه بمقُولَات عَددٍ من الأخْبَاريِّين منهم: عَبْدُ الله بن عيَّاش المَتُّوف الهَمَدَاني الكُوفيّ، المتوفىٰ ١٥٨هـ/ ٧٧٥م، وأبو العبَّاس الثَّروي المتوفىٰ ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م، وإسْحَاق بن إبْرَاهِيم المَوْصِليّ المتوفىٰ ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م، وأحْمَد بن الهَيْثَم بن فِرَاس، وأقْوَال عدَدٍ من المُنجِّمِين أمْثَال: أبُو سَهْل بن نُوبَخْت المُنجِّم، وأحْمَد بن مُحَمَّد الحَاسِب الفَلكِيّ، وعَبَّاس بن بَاغَار الرَّقِيّ، صِاحِب كِتَاب «قِسْمَة المَعْمُور من الأرْضِ وهَيْئَة الدُّنْيَا»، وذلك فيمَا يخُصُّ مَوْقِع بَغْدَاد وفَضْلِه.

كمَا أكْثَر من الاسْتِشْهَاد بأقْوَال الصَّالِحِين والزُّهَاد والعُلَمَاء أمْثَال: بِشْر بن الحَارِث المتوفىٰ ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م، الفُضَيْل بن عِيَاض، وإبْرَاهِيم بن الجُنَيْد فيمَا يَخُصُّ ذَمَّ بَغْدَاد.

* * *

علىٰ أنَّ أهمَّ مَصْدرٍ عاد إليه ابن الفَقِيه فيما يَخصُّ بغْدَاد هو كِتَاب «فضَائِل بَغْدَاد وصِفَتهَا» للمُؤرِّخ والفَيْلَسُوف والمُنَجِّم يَزْدَجِرْد بن مُهَنْبَـدَاذ الكِسْرَوِيّ[1]، حيْثُ نقَل عنه نصًّا طوِيلًا جدًّا يتَضمَّن إحْصَاءَات تتعَلَّق بما كان في بَغْدَاد من الحَمَّامات، والفَنَادق، والأَسْواق، والمَسَاجِد، والدُّور، والشَّوارع، وما كانت تسْتَهلكُه من أنْوَاعِ الطَّعَام وأصْنَاف الأَغْذِية، واللِّبَاس والزِّينَة وأصْنَاف الأدْوِية، وأنْوَاع الزُّرُوع والثِّمار، وصُنُوف الأشْرِبة، وما كان في أسْوَاقها من الصِّنَاعَات وغَرائِب الطُّيور والأسْماك، وما تَحْتَاج إليه بيُوت قَاطِنيهَا من أنْوَاع الزَّيت، وأصْنَاف الصَّابُون وما يُسْتَهْلَك فيها يَومِيًّا من اللُّحُومِ والحَطَب والحِنْطَة والشَّعِير، فيما يُمْكِن تَسْمِيته بـ «عِلْم الخِطَط الإحْصَائِيّ».

ويمثِّل هذا القِسْم من الكِتَاب قِيمَة عَظِيمَة جدًّا خَاصَّة وأنَّه من المَوْضُوعَات التي حذَفهَا «الشِّيرازِي» صَاحِب المُخْتَصر، ولَوْلَا هذه النُّسْخَة ما كان لنا أنْ نَقِف عليه.

كذلك اسْتَفاد ابن الفَقِيه من الفَيْلَسُوف والرِّيَاضِيّ الأَدِيب أَحْمَد بن الطَّيِّب السَّرخسِي تلْمِيذ الكِنْدِيّ المُتوفَّىٰ سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م[2]، فأَخَذَ عنه مَادةً طيِّبَةً تتعَلَّق بمُمَيِّزات مَوْقِع بَغْدَاد المتَوسِّط بين البَرِّ والبَحْرِ والسَّهلِ والنَّهر ومَوْقِعها بين الأقَالِيم، وهي مَادةٌ لم يَنْقِلهَا عنه مبَاشَرةً وإنَّمَا أخذَهَا ضِمْنَ ما أخَذ من كِتَاب

---

[1] انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج١، ص ٣٩٦؛ الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص٦-٨.

[2] انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج١، ص٤٥٩، ج٢، ١٩٥-١٩٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٥-٦؛ القفطي: أخبار الحكماء، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٦٤-٦٥.

يَزْدَجِرْد بن مُهَنْبَـدَاذ الكِسْرَوِيّ، الذي يَبْدُو أنَّ هذا الأخِير أَلَّفهُ علىٰ غِرَار كِتَابِ للسَّرَخَسِيّ يَحْمِل عُنْوَانًا شَبِيهًا هو «فضَائِل بَغْدَاد وأخْبَارُهَا» وهو، كَكُل كُتبِ السَّرَخْسِي، لم يَصِلْ إلينَا.

وتتفق أكْثَر مَادَّة القِسْم المُتعَلِّق بالسَّواد وصِفتِه وأعْلَامه، عند ابن الفَقِيه، مع ما أورده الجُغْرَافِيّ الفَارِسِيّ أبو القَاسِم عَبْد الله بن أحْمَد بن خُرَّداذْبه المتوفىٰ في حدود سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م[١]، وهو صَاحِب أوَّل نَصّ في الجُغْرَافيَا الوَصْفِيَّة من القَرْنِ الثَّالِث للْهِجْرَة يصِل إلينا كامِلًا[٢]؛ كان ابن خُرَّداذْبه من نُدَماءِ الخَلِيفَة المُعْتَمِد، وقد تولَّى البَرِيد والخَبَر بنواحِي إقْلِيم الجبَل[٣]، ثمَّ شَغَل وظِيْفَة رئيس مَصْلَحةِ البَرِيد في بَغْدَاد وسُرَّمرَّي، وأتاحَت لهُ الوظائِفُ التي شَغَلَها معرِفَة الكَثِير عن أعْمال الدَّوْلة وأقَالِيمها،وقد خَصَّص ابن خُرَّداذْبه، قِسْمًا من كِتَابه للحَدِيث عن السَّواد وتَقْسِيماتِه الإدَارِيَّة، وأنْوَاع الضَّرائِب التي تُجْبَىٰ منه، وطُول المسَافَات بين بِلَاده، وهو ما نقَلهُ ابن الفَقِيه عنه دُونَما إشَارَة.

---

[١] انظر في ترجمته: النديم: المصدر السابق، ج١،ص ٤٥٧-٤٥٨؛ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٦٧-١٧١.

[٢] يري "دي خويه" أن كتاب ابن خُرَّداذْبه الذي وصل إلينا ما هو إلا موجز متأخر لكتاب أكبر. راجع:- كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص١٦٨-١٦٩.

[٣] النديم: المصدر السابق، ج١، ص٤٥٧-٤٥٨، عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م، ص١٠٦-١٠٩.

ولعلَّ هذه النُّقُول التي أَخَذَها ابْنُ الفَقِيه من كِتَاب «المسَالِك والممَالِك» لابن خُرَّداذْبه، كانت السَّبب ورَاء اتِّهام النَّديم لهُ بأنَّه سلَخَ كِتَاب الوَزِير السَّامَانِي «أَحْمَد بن نَصْر الجَيْهَانِيّ» المتَوفَّىٰ بعد سَنةِ ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م، لأنَّ هذا الأخِير إنَّما أَسَسَ عمَلُه، الذي لم يَصِل إلينا نصُّهُ العَربيُّ، علىٰ كِتَاب «المسَالِك والممَالِك» لابن خُرَّداذْبه، يَدُلُّ علىٰ ذلك ما قَرَّرهُ المَقْدِسي، في صَدْرِ كِتَابه «أَحْسَنُ التقَاسِيم» عِنْدَما قَدَّم وصْفًا تفْصيليًّا لكِتَاب الجَيْهَانِيِّ المَوْسُوم، وفقًا للعُرْفِ السَّائِد، بالاسْم الشَّهِير «المسَالِك والممَالِك».

حيثُ قال: «ورَأيْتُ كِتَابه فِي سَبْعِ مُجلَّداتٍ في خَزائِن عَضُدِ الدَّوْلَةِ غير مُتَرْجَمٍ وقيل بل هو لابن خُرَّداذْبه، ورَأيْتُ مُخْتَصَرَيْنِ بنَيْسَابُور مُتَرْجَمَيْنِ أحدهُما للجَيْهَانِيِّ والآخَرُ لابْن خُرَّداذْبه تتَّفِقُ معَانيها، غير أنَّ الجَيْهَانِي قد زَاد شَيْئًا يَسِيرًا»[١]. وقال أيضًا: «ألا تَرىٰ أنَّك إذا نَظَرْتُ في كِتَابِ الجَيْهَانِيِّ وجَدتهُ قد احْتَوىٰ علىٰ جَمِيعِ أَصْلِ ابن خُرَّداذْبه وبنَاهُ عليه»[٢].

وعلىٰ هذا فَلا عِلَاقَة مبَاشَرة بين كِتَاب الجَيْهَانِيِّ وكِتَاب ابن الفَقِيه، لأنَّ الأخِير قَدْ ألَّف كِتَابهُ قبل كِتَاب الجَيْهَانِيِّ بما يَقْرُب من ثَلاثِين عامًا.

* * *

---

[١] انظر: المقدسي، ص٤.

[٢] نفسه، ص٢٤١.

وأفَاد ابْنُ الفَقِيه من الأدِيبِ العبَّاسِي مُحمَّد بن عَبْدُوس الجَهْشِيَارِيِّ، المتوفَّى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م[١]، صَاحِب كِتَاب «الوزَرَاء والكُتَّاب»؛ إذ نقَل عنه قَائِمة الخَرَاج التي أوْرَدَهَا في كِتَابه، والتي يَنُصُّ الجَهْشيَارِيُّ علىٰ: « أنَّ أبا الوَزِير عُمَر بن مُطرِّف الكَاتِب من أهْلِ مَرْو، وأنَّه كان يتقلَّد دِيوَان المَشْرِق للمَهْدِيِّ، وهو وَلِي عَهْد، ثمَّ كتبَ له في خِلَافَتِه، ولمُوسَىٰ وهَارُون، وأنَّه عَمِلَ في أيَّام الرَّشِيد تَقْدِيرًا عرضَهُ علىٰ يَحْيَىٰ بن خَالِد، لمَا يُحمَل إلىٰ بَيْتِ المَالِ بالحَضْرَة من جَمِيع النَّواحِي من المَالِ والأمْتِعَة»[٢]، بينَما قال ابنُ الفَقِيه « وكان المعْروفُ بأبِي الوَزِير الكَاتبِ عَمِل تقْدِيرًا للدُّنْيَا وعرضَهُ علىٰ يَحْيىٰ بن خَالدِ البَرْمَكِيِّ في خِلافةِ الهَادِي سنةَ سبْعِين ومِائة» [ورقة: ٨٧ظ] ، وهو بذلك يَعُود بهذه الوَثِيقَة المُهِمَّة إلىٰ أيَّام الهَادِي ولَيْسَ الرَّشِيد، علىٰ أنَّه تصرَّف فيها بالحَذْفِ والإضَافَة والتَّقْدِيم والتَّأْخِير، ودون إشَارَة إلىٰ مَصْدرِه الأصْلِيِّ وهو ابن عبْدُوس الجَهْشيَارِيُّ.

ونظرًا لأهميَّة البَيانَات التي أوْرَدهَا ابن الفَقِيه حَوْلَ موْضُوع الخَرَاج، فقد ذيَّلتُ هذا التحقيق بقَائِمة مقَارَنة لتَقْدِيرَات خَرَاج كُور السَّوادِ، وقَائِمة أُخرَىٰ مُقَارَنة بين ما أوْرَدَهُ ابن الفَقِيه والجَهْشيَارِيُّ.

---

[١] انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج٢، ص٣٢٣-٣٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات: ج٣، ص١٦٧.

[٢] الجهشياري: محمد بن عبدوس، المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤٢م ، الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١.

في الجُزْءِ الذي خصَّصَهُ ابْنُ الفَقِيه للحَدِيثِ عن أبْنِيَةِ البُلْدَانِ وعجَائِبِهَا رَجعَ إلىٰ كِتَاب «المجِسْطِي» «لبَطْلَميُوس القَلُوذِي»[١]، أشْهَر فَلكِّي العَصْرِ الهِلنسْتِي، وصَاحِب نَظَرِيَّة الأقَاليم السَّبْعَة، التي سَيْطَرت علىٰ الفِكْر الجُغْرَافِيِّ العَرَبيِّ، وتَأسَّسَت عليها مَعْرِفةُ المُسْلِمين الجُغْرَافيَّة، ولا نَدْرِي إلىٰ أيِّ تَرْجَمَةٍ من تَرْجَمَاتِ الكِتَاب رجَع ابنُ الفَقِيه، غيرَ أنَّني قَابَلْتُ هذا النَّص علىٰ ما جَمَعَهُ وتَرجمَهُ «ثَابِت بن قُرَّة الحَرَّانيُّ» لَمَا قَالَه بَطْلَمْيُوس في «قِسْمَةِ الأرْضِ علىٰ البُرُوج والكَوَاكِب»، وهو جُزْءٌ مَخْطُوط اُكْتُشِفَ سنة ٢٠١٠م، في إحْدَىٰ مَكْتَبات اسْطَنْبُول[٢]، والنُّصُوص التي وجَدنَاهَا لدَىٰ ابن الفَقِيه لَيْسَ لها مَا يُنَاظِرهَا بنَفْسِ النَّسقِ في المُتَاح بين أيْدِينَا من تَرْجَمَات كِتَاب «المجِسْطِي»، ولا حتىٰ في نَصِّ «ثَابِت بن قُرَّة»، ومن المُلاحَظ تطَابقهَا مع ما نقَلَهُ «ابن الحَائِك الهَمَدَانِيُّ» من «المجِسْطِي» في صَدْرِ كتَابه «صِفَة جزِيرَة العَرب»، ما يَعْنِي أنَّ الرَّجُليْنِ قد رَجِعَا إلىٰ نَفْسِ التَّرجمَةِ والتي غَالِبًا لم تَصِل إلينا.

* * *

كَمَا عَاد ابنُ الفَقِيه إلىٰ كِتَاب «الأهْوِيَة والبُلْدَان» المَنْسُوب إلىٰ «أبُقرَاط» أشْهَر أطِبَّاء العَالَم القَدِيم[٣]، وصَاحِب الأثَر البَاقِي في المعْرِفَة الطِّبِّيَّة لدىٰ المُسْلِمين، ورغْمَ تشَكُّك المؤرخِين في صِحَّةِ نِسْبَة كِتَاب «الأهْوِيَة والبُلْدَان» إلىٰ «أبقرَاط»؛ إلَّا أنَّه كان كِتَابًا ذَائع الصِّيْت، تَرْجَمهُ «حُنَيْن بن إسْحَاق» المتوَفَّىٰ سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، وأفَاد منه الأطِبَّاء العَرَب والجُغْرَافيون علىٰ السَّواء.

---

[١] عاش بَطْلَمْيُوس بين سنتي: ٨٧–١٥٠م، هذا ولم تصل إلينا الترجمة العربية لنص كتاب "المجسطي". للمزيد راجع: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢١٤–٢١٦؛ القفطي: أخبار الحكماء، ص٧٨–٨٠.

[٢] نشره فؤاد سيزكين في فرانكفورت، سنة ٢٠١١م.

[٣] انظر في ترجمته: النديم: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧١–٢٧٣؛ القفطي: المصدر السابق، ص٧٤–٧٦.

وصرَّح بالنَّقل عن كِتَاب الطِلَّسْمات «البَلِنْيَاس الحَكِيم»، يَقْصِد كِتَاب «الطَّلاسِم الكَبِير» لأبولُونيس الطَّياني ـ كان حيًّا في القَرن الأوَّل للمِيلَاد[١]، وكِتَابه هذا من النُّصُوصِ التي نقَلهَا إمَام المُتَرْجِمِين «حُنَيْن بن إسْحَاق»، وهو من المَصَادر المُهِمَّة التي عوَّل عَليها ابْن الفَقِيه كَثِيرًا، إذ نقَلَ عنه أخْبَار الطَّلاسم التي اتَّخذها ملُوك فَارِس في إقْلِيم الجبل، وقَرْمَيسين، وما أُخْذِث منها في هَمَذان ونَهَاوَنْد وقَزْوِين، ويَبْدو أنَّ هذا الكِتَاب كان ذا جَاذِبِيَّةٍ خاصَّة لابن الفَقِيه بسَببِ مُحْتَواه العَجَائِبي.

و يَنْقُل ابْنُ الفَقِيه من كِتَاب «فِردَوْس الحِكْمَة» للطَّبِيبِ الأَدِيب «عَليّ بن ربَّن بن سَهْل الطَّبَريّ» المتوفَّى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م،[٢] خَبر السِّفَارَة التي تَوجَّهت إلى جَبلِ دُنْبَاوَند للتَّعَرُّف علىٰ حَقِيقَة أَخْبَارِهِ العَجِيبة، كما أنَّه نقل منه بعْضِ الأخْبَار عن عَجَائب طَبَرِسْتَان، لكِنَّه لم يُصَرِّح بمَصْدر هذه الأَخْبَار.

* * *

واسْتَقَىٰ ابنُ الفَقِيه مَرْوِيَّاته عن مَعْبَد النُّوبَهَار من كِتَاب أَخْبَارِ البَرامِكَة للمُؤَرِّخ البَغْدَادي «عُمَر بن الأَزْرَق الكِرمَانِيّ» وهو من تلاميذ الجَاحِظ ومعَاصِريه، رَوىٰ عنه في كِتَابه هذا طَرَفًا من أَخْبَار بَنِي بَرْمَك، ويبدو أنَّه كان شَخْصِيَّة مَرْمُوقة في بلَاط العَبَّاسِيِّين حتىٰ أنَّ المأمُون عَرَض عليه الوزَارة فتَرَفَّع عنها.

---

[١] انظر: النديم: المصدر السابق، ج٢،ص٣٤١.

[٢] انظر في ترجمته وأخباره:النديم: الفهرست، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٧؛ القفطي: أخبار الحكماء، ص١٧٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٦٢.

ويُشِير «إحْسَان عبَّاس»[١] إلىٰ أنَّ مُعْظَم مَروِّيَّـات الكِرْمَانِي عن البَرامِكةِ اعتَمِد فيها علىٰ « مُحَمَّد بن يَحْيىٰ بن خَالِد البَرْمَكيّ» ما يَعْني أنَّه لقِي بعض ممن لَحِقَ نَكْبَة البَرامِكة.

وعند حَدِيثه عن بِلاد التُّرك التُّغْزْغُز «الأيجُورِيِّين» يعتَمِدُ ابن الفقِيه علىٰ ما ذَكَره «تميم بن بَحْر المطَّوعيّ» من أَخْبَار بِلاد الأتْرَاك المُتَاخِمَة لحُدود الصِّين، حيثُ يَصِف الطَّرِيق البَرِّي الذي يخْتَرِق آسيا الصُّغْرىٰ نحو الصِّين «طَرِيق الحَرِير»، ويَذْكُر أسماء بَلْدَات الأتراك وصِفتها، ويَتَناوَل بعض عَادَات سُكَّان هذه المَنَاطِق، وبهذا فإنَّ تَمِيم بن بَحْرِ أوَّل عَرَبِيٍّ يَصِف الطَّرِيق البَرِّي إلىٰ الصِّين، وأوَّل من يَمُدُّنا بمَعْلُوماتٍ عن قبَائِل الأتْرَاك «الأيجُورِيِّين» تَسْتَنِد إلىٰ مُشَاهَداتٍ مُبَاشِرة، وهو إلىٰ جَانِب المَعْلُومَات الطَّرِيفَة عنهم، يَصِف ديَانَاتِهم وبعض عجَائِب بُلدانهم مثل قصَّة «حَجَر المَطَر».

والقِطْعة التي احتفَظَ بها ابن الفَقِيه من أَخْبَار سِفارة «تَمِيم بن بَحْر المطَّوعيّ» تُعْتَبر أوْفَىٰ ما لدَيْنا إلىٰ الآن من نصِّ هذه الرِّحْلَة، ولوْلَا مخْطُوطَة مَشْهَد التي بين أيدينا ما كان لنَا أنْ نَقِف علىٰ هذا النَّص بَالِغ الأهَمِيَّة.

واستكْمَل ابن الفقيه مَادَّته حول هذه المِنْطَقَة وما يقَعُ في شَمالِها وشَرْقِها من الرَّحَّالة« سَعِيد بن الحسَن السَّمرقَنْدِيّ» الذي يبْدُو أنَّه توغَّل في الأصْقَاع الوَاقِعة شَمال نَهْر الفُوْلجا وطوَّف في المنْطقة ما بين آسْيَا وأوُرُبَّا التي تَشْتَهِر في المصَادِر العَربيَّة باسم «بِلَاد الصَّقَالِبة»؛ حيث ذكَر أسْماء المُدن التي يسْكُنونهَا وما يتَميَّزُون به من طِبَاع، وقَال: « لهم مُدنٌ ما وصَلَ إليهَا إنْسَان من المُسْلِمين» [١٧٧و] . وعلىٰ هذا فالسمرقندي هو أول من بلغ هذه المناطق وأول من وصفها.

---

[١] إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

٢- الرِّوَايَات الشَّفَهِيَّة:

أَفَادَ ابْنُ الفَقِيه فِي شَتَّى مَوْضُوعَات الكِتَاب من مَرْوِيَّات شَفَهِيَّة لأُنَاسٍ لَقِيَهُم، وأَخَذَ عَنْهُم وحَفِظَ من أَقْوَالِهِم وأَشْعَارِهِم، فكَثِيرًا ما يقُول: « حَدَّثَنِي فُلَان» أو«أَخْبَرَنِي فُلَان»أو«أَنْشَدَنِي فُلَان»أو «وسَأَلْتُ فُلَان».

ومن أَهَمّ الشَّخْصِيَّات التي اعْتَمدَ عليها ابْنُ الفَقِيه في مِثْل هَذه الرِّوَايَات: الحُسَيْن بن أبِي سَرْح، وعَبْد القَاهِر ابن حَمْزَة الوَاسِطِيُّ، وعَبْد الرَّحْمَن بن سُلَيْمَان الكِرْمَانِيُّ، وأَبُو حَامِد أَحْمَد بن جَعْفَر المُسْتَمْلِيّ، وأَبُو عَبْد الله الحُسَيْن بن أُسْتَاذَوَيهِ، وأَبُو الفَضْل الوَاشْجَرْدِيُّ، وأَبُو العبَّاس المَرْوَزِي، وغيرهم.

ومن الوَاضِح أنَّ هَؤُلَاء كَانُوا من أعْلَام عَصْرِ ابن الفَقِيه، غير أَنَّنا لم نَجِد لبَعْضِهم تَرْجَماتٍ فيما بين أَيْدِينَا من مصَادَرِ، ولعَلَّ السَّبَب في ذلك أَنَّهم من دَائِرة معَارِفهِ القَرِيبَة الذين قَابَلَهُم وسَمِع منهم وحدَّثَ عنهم.

* * *

ثانيًا : المصادر غير المصرح بها.

يَأتِي عَمْرُو بن بَحْرٍ بن مَحْبُوب الكِنانِيّ الشَّهِير بالجَاحِظ (١٦٣- ٢٥٥ هـ = ٧٨٠- ٨٦٩م)[١] علىٰ رَأسِ المصَادِر التي أفاد منها ابن الفَقِيه ولم يصرح بها، فالجَاحِظ، بِلَا

[١] انظر: النديم: الفهرست، ج ١، ص٥٧٨-٥٨٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٢٤-١٣٢؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٦، ص٧٤-١١٤؛ طه الحاجري: الجاحظ حياته وآثاره، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م؛ فاروق عمر فوزي: الجاحظ مؤرخًا، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٨م.

مُنَازع، إمَام أهْل الأَدِبِ في القَرْن الثَّالِث للهِجْرَة، وأحَد أكْبَر الشَّخْصِيَّات الأدَبيَّة في تَارِيخ الإسْلَام؛ ويتَّضِح من مُقَابَلة النَّص أنَّه كان أبْعَد المُصَنِّفين أثرًا في كِتَاب «أخبَار البُلْدان»، لا من حَيْثُ عدَد النُّقُول، فما نقَلهَ ابن الفَقِيه عن البَلاذُرِيِّ أكثَرُ عددًا، لكن أثَرَ الجَاحِظ كان أوْضَح ما يكُون في أسْلُوبِ ابن الفَقِيه وطَرِيقته في بِنَاء كِتَابه وعَرْضِ مادَّتِه، وإن لم يُصَرِّح باسْمِه إلا نَادرًا، غير أنَّ رَوْح أدَبِ الجَاحِظ ظلَّت بَادِية من خَلْفِ العِبَارات والاسْتِشْهَادَات والأشْعَار.

ومع ذلَك فإنَّ ابن الفَقِيه لم يَتْرُك كِتَابًا نَعْرِفهُ للجَاحِظ إلَّا وأفَادَ منه وأخَذَ عنه، فأكْثَر النَّقل من كِتَاب «الحيَوان»، وهو كِتَابٌ حَافِلٌ بالأفْكَارِ الجَدِيدَة والمُلاحَظَات الذَّكِيَّة والمَعْلُومَات ذَات الصِّبْغَة الأنْثروبُولُوجِيَّة «الإنَاسِيَّة» والإثْنُوجَرافيَّة «العرقيَّة». واسْتَعَان كَثِيرًا بكِتَاب «البَيَان والتَّبيين»، وأعَاد صِيَاغَة رِسَالَة «الحَنِين إلى الأوْطَان» ضِمْن حَدِيثِه عن مَوْطِنَه همَذَان.

فضلًا عن اقْتِبَاسَاتِه من رسَائِل الجَاحِظ العَدِيدَة مثل: «رِسَالة التَّبصُّر بالتِّجَارة»، و«فَخْرُ السَّوْدَان على البِيْضَان»، و«العِرْجَان والبِرْصَان والعِمْيَان والحوْلَان»، وكِتَاب «المحَاسِن والأضْدَاد»، وما أخذَهُ من كِتَاب «البُخَلاء» ذَائِع الصِّيت، حيثُ وجَد ابن الفَقِيه فيها مَادَّة خِصْبَة مَنحَتْ كِتَابه هذا الذَّوْقَ الأدَبِي الخَاص، وأكَّدَت انْتِمَاءَه إلى مَدْرَسةِ الجَاحِظ الأدَبِيَّة الرَّائِدة.

ويُمْكِن القَوْل، بكِلِّ اطْمِئنَان، أن ابن الفَقِيه تَابعَ الجَاحِظ في الكِتَابة عن خَواصِّ البُلْدَان وفضَائِلهَا، وهو نَوْعٌ من الأدَبِ الجُغْرَافِيِّ ازْدَهَر في العَصْرِ الأُمَوِيِّ

[٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م] [١]؛ حيثُ نجِدَه يقْتبِس من الجَاحِظ مَواد تتعَلَّق بعَجَائِب البَصْرَة ومسَاوِئها، وخَصَائِص بَغْدَاد، والكُوفَة، والرَّيِّ، ونَيْسَابُور، وسَمَرقَنْد. وسَيجِدُ القَارِئ إشَارَات مُتعَدِّدَة إلى هذه النُّقُول في حَواشِي الكِتَاب.

***

أمَّا البَلاذُرِيُّ: أحْمَد بن يَحْيَىٰ بن جَابِر، المتوفَّى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م [٢]، فهو أخْبَارِيٌّ أدِيب شَاعِرٌ نسَّابة مُتَرجِم، كان نَدِيمًا للخَلِيفة المُتوكِّل، يَحْتلُّ مكَانَةً مَرْمُوقَةً بين مُؤرِخِي القَرْنِ الثَّالِث للهِجْرَة/ التَّاسِع للمِيلَاد كمُؤَرِّخٍ جَامِعٍ حلَّت مؤلَّفَاته شيئًا فشَيئًا محَلَّ مصَادِرِهَا.

يمَثِّل البِلاذُرِيُّ المصْدَر الرَّئِيس لابن الفَقِيه في مُعْظَم ما يتَعَلَّق بالفُتُوحَات، وتَأسِيس الأمْصَار الإسْلَامِيَّة، والتَّقْسِيمات الإدَارِيَّة، وأخْبَار الأبْنِيَةِ الشَّهِيرة، حيثُ يَرْجِع إلى كِتَابيه المعْرُوفِين «فتُوح البُلْدَان» و«أنسَاب الأشْرَاف»، ويَنْقِل منهما نُقُولًا مُطوَّلَة.

ومن المُلَاحَظ أنَّ ابن الفَقِيه كَثِيرًا ما يَنْسِب الرِّوَايَات التي أخذَها عن البَلاذُرِيِّ إلى نفْسِهُ، أو إلى بعض مصَادِر البَلاذُرِيّ الشَّفَهِيَّة؛ فمثلًا عند حَدِيثه عن عُيُون الكُوفَة يقول: « سَألْتُ بَعْض المشَايخ » بينَما الخَبَر لدى البَلاذُرِيّ: «حدَّثَني بعْضِ المشَايخ».

---

[١] كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٤٥.

[٢] عنه راجع :- النديم: الفهرست، ج١، ص٣٤٧-٣٤٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٥٣٠-٥٣٥؛ كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص ١٧٦.

أو يقول: «قال: جَعْفَر بن مُحَمَّد الرَّازِي» وهو يتحَدَّث عن جَعْفَر الرَّازِي شَيْخُ البَلاذُرِيُّ ، كما أجْحَفَ حقَّه كَثِيرًا إذ نقَل عنه نُصُوصًا طَوِيلَةً جِدًّا ولم يُشِر إليه، كالنَّص المُتعَلِّق بعُيُون الطَّفّ والقُطْقُطَانة والرَّهِيمَة وعَينِ جَمَلٍ، وتَمْصِير البَصْرَة، وأخْبَار كَثِيرة أخرىٰ.

بل إنَّه أحْيانًا يَنْسِب الأخْبَار المَنْقُولة عن البَلاذُرِيِّ إلىٰ مَجْهُولِين كأن يقول: «قالوا» أو «حدَّث بَعْض أهْل العِلْم»، بيد أنَّ الرِّوَايَات المُتعَلِّقَة بكُور خُراسَان والتي صَدَّرها بـ «قال البَلاذُرِيّ » لَيْسَت في فتُوح البُلْدَان الذي بين أيْدِينَا رَغْم إشَارَة المَقْدِسيِّ ويَاقُوت إلىٰ صِحَّة نِسْبتِهَا إليه، وعلينا هنا أنْ نَذْكُر قَول النَّدِيم أنَّ للبَلاذُرِيِّ كِتاب « البُلْدَان الصَّغِير»، وكتَاب «البُلْدَان الكَبِير» لم يَتِمَّه[١].

وتَدلُّ طَرِيقَةُ ابن الفَقِيه في التَّعامُل مع النُّصُوصِ التي أخذَهَا عن البَلاذُرِيِّ علىٰ رَغْبَتِهِ الوَاضِحَة في التَّغَاضِي عن ذِكْرِهِ، و إخْفَاء عَلَاقته بهذِه الأخْبَار، ولَيْسَ ثَمَّة تَفْسِيرٍ لهذا سِوَىٰ أنَّ المُعَاصَرة حِجَاب، علىٰ أنَّه من الإنْصَاف الإشَارَة إلىٰ وجُود مصَادِر مُشْتَرَكَة عَاد إليها ابن الفَقِيه كما عَاد إليها البَلاذُرِيّ.

---

[١] الفهرست: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٨؛ وقد أشار فؤاد سيزكين إلى أن كتاب "البلدان الصغير" هو الذي نشر بعنوان "فتوح البلدان". انظر: تاريخ التراث العربي القسم الأول، المجلد الثاني، ص١٥٢-١٥٣، وربما يكون ابن الفقيه قد اطلع على نسخة أتم من التي بأيدينا من كتاب فتوح البلدان، أو على كتاب البلدان الكبير الذي لم يصل لنا.

ومن المصَادِر التي اعْتَمدَ عليها ابن الفَقِيه و لم يُصرِّح بها كثِيرًا مؤلَّفات الفَقِيه الأدِيب والنَّاقِد واللُّغَوي والمُؤرِّخ المَوْسُوعِيّ أبي مُحمَّد عَبْد الله بن مُسْلِم بن قُتَيبَة (٢١٣ - ٢٧٦هـ/ ٨٢٨ - ٨٨٩م)[١] أحَد أبْرَز تلَامِيذ الجَاحِظ، وإمَام المَدْرَسَة البَغْدَاديَّة في النَّحو، صَاحِب المُصَنَّفات العَدِيدَة في عُلُوم القُرْآن والحَدِيث والفِقهِ، تَعُود شُهْرَتهُ في مَيْدَان الأدَبِ إلىٰ كِتَابه «الشِّعْر والشُّعَراء»، وما أثَارَ فيه من قضَايَا نقْدِيَّة.

ويُعدُّ ابن قُتَيبَة مصْدَرًا ذَا أهمِيَّة خاصَّة لابن الفَقِيه، أفَاد من كُتبِهِ علىٰ مَدىٰ فصُول الكِتَاب، مُعْتَمِدًا علىٰ ثَلاثةٍ من أهم مُؤلَّفَاتهِ: «عُيُون الأخْبَار»، و«المعَارِف» وكِتَابه الأشْهَر «الشِّعْر والشُّعَراء» إذ نقَل من الأخِير العَدِيد من الأشْعَار التي تنَاولَت ذَم بِلَاد العِرَاق، وأوصَاف إيْوَان كِسْرَىٰ.

وشكَّلَت مؤلَّفَاته لابن الفَقِيه مَعِينًا لا ينْضَب فيمَا يَخُصُّ أخْبَار الفُرْس القَدِيمَة؛ وبخَاصَّة كِتَابيهِ: «عُيُون الأخْبَار»، و«المعَارِف» فمِنْهُما أخذَ العَديد من الرِّوَايَات المُتعلِّقَة بأنْهَار الأهْوَاز، وإقْلِيم بَابِل، والكَثِير عن مُدنِ وأقَالِيم بِلَاد فَارِس، مع بَعْضِ الأسَاطِير الفَارِسيَّة مثل قِصَّة البيُوارَسِيف، وكذا أخْبَار أصْبَهان وأذْرَبِيجَان، كما أعَاد ابنُ الفَقِيه صِيَاغَة المَعْلُومَات التي أوْرَدَهَا ابن قُتَيبَة عن خُرَاسَان بِأسْلُوبهِ؛ فأظْهَر بَرَاعَةً أدَبيَّةً ومَقْدِرةً علىٰ إعَادَة صِيَاغة النَّص تَلْخِيصًا وإجمَالًا.

---

[١] انظر في ترجمته: النديم: الفهرست؛ ج١، ص٢٣٥- ٢٣٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص ٤١١-٤١٢؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤-١٩٧٤م. ج٢، ص١٤٣-١٤٧.

لقد تحيَّرتُ كثيرًا من أسلوبِ ابْن الفَقِيه في التَّعامُل مع مصَادِرِه، ومن طَرِيقَة إيرَادِه للنُّصُوصِ التي يَنقلهَا عن سَابِقيهِ، فتَارَةً يَنْقلُ بأمَانةٍ تَامَّة ويَعْزُو ما يَنْقلُهُ بتمامِه إلىٰ مَصْدَرِه ودُونَما أدْنىٰ تَحْرِيف، وتَارَة أُخرَىٰ نَجِده يُهمِل الإشَارَة إلىٰ مصَادِرَه فيأتي بالخبَرِ أو الرِّوَاية، أو الحَادِثةِ دون إشَارَةٍ إلىٰ مَصْدَرهَا، ويَسْرِد رِوَايَاتِ المُتقدِّمِين عليه دون أيِّ ذِكْرٍ لمَصْدَرِ معْلُومَاته؛ حتىٰ يَظْهَر أمَام القَارِئ وكَأنَّه هو صَاحِب الرِّوَايَة أو هذا الخبَر، وتَارَة ثَالِثَة يَقُوم بتَحْوِير وتَغِيير في النَّص المَنقُول [بالتَّقْدِيم والتَّأخِير، والحَذْف والإضَافَة] وكأنَّ ما يُورِدُهُ من بَنَات أفْكَاره.

وفي كَثيرٍ من الأحْيَان نَجِده يَسْتَخْدِم الرِّوَايَات المُسْنَدَة عن الثِّقَات من الرُّوَاة في أغْرَاضٍ أخرَىٰ، وسِيَاقَاتٍ مُغَايِرة لسَياقَاتها الأصْلِيَّة التي وضِعَت فيها ومن أجْلِهَا؛ فيُوظِّف النُّصوص في غير معَانِيها ومقَاصِدهَا، ويَنتَزِع الرِّوَايَات من مسَارَاتها الأصْلِيَّة ليَضِعهَا في سِيَاقَات تُؤدِي إلىٰ معَانٍ مخَالِفَة، وتُسْفِر عن مفَاهِيم مُغَايِرة، تَخْدِم أهْدَافَه من السِّيَاق [كحَدِيثِه عن الأنبَاط وأهْلِ العِرَاق]. وعند مُقَارَنة الأخْبَار الوَارِدَة لدىٰ ابن الفَقِيه بالمصَادِر التي وصَلتْنَا، نَجِده في مُعْظَم الأحْيَان لا يُصَرِّح بالمَصْدَر الذي نقَل عنه مُبَاشَرةً، وإنَّما يَضِع الرِّوَاية مَنْسُوبَة إلىٰ الرَّاوِي الأوَّل الذي يَنْقِل عنه مَصْدَره المُخْتَفِي دَائمًا. وربَّما قصَد من وَرَاء ذلك أحَد أمْرَين؛ إمَّا أن يُعمِّيَ علىٰ القَارِئ مصَادِرَه التي نقَل منها. أو أنْ يُظْهِر نَقْلَه عن رِوَاةٍ مُتقَدِمين كانوا مُشَارِكِين في هذه الأحْدَاث أو شُهودًا علىٰ هذه الرِّوَايَات.

علىٰ أنَّ مَنْهَجهُ في الكِتَابة واعْتِمَداه علىٰ النَّقْل من المصَادِر دُونَ الإشَارَة إليها، أو الإشَارَة إلىٰ مَصَادِر بَعْضِ المؤلِفِين السَّابقين عليه، دون الاهْتِمَام بِذْكرهم، يُمثِّل طَبِيعَة خَاصَّة في طَرِيقَة التَّأْلِيف عند القُدَمَاء، تُعْرَفُ في عِلْم عِلاقَاتِ النُّصُوصِ بـ"النَّمْذَجَةُ النَّصيَّة"[١]، وهي ذلك النَّوع من النَّقْلِ والتَّضْمِين واستخدام نصُوصٍ مُتنوِّعَة المشَارِب، وبما يَشْمَل العَلاقَات المُصرَّح بها والمُتغَاضَىٰ عنْها؛ ويَدلُّ علىٰ هذا المُسْتَوىٰ من الصِّيَاغة الذي يَسْتَخْدِم الجَمْع المُتزَامِن بين مصَادِر مُؤلِّفِين مُعَاصِرين وآخَرين سَابِقِين ما يُشكِّل حَالَة من التَّناص والتَّماهي بين مَضْمُون كِتَاب ابن الفَقِيه والعَدِيد من المصَادِر التَّارِيخيَّة والجُغْرَافيَّة المُعَاصِرة أو قَرِيبَة العَهْد من عَصْرِه.

*

* *

---

[١] كمال عرفات نبهان: عبقرية التأليف العربي، علاقات النصوص والاتصال العلمي، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٤٧٧.

نُقُولُ المُتَأَخِّرِينَ من الكِتَاب

تعرَّض كِتَاب أَخْبَار البُلْدَان لابْنِ الفَقِيه للكثير من الانْتِقَادات من قِبل الذين أتَوا من بعده، كان أوَّل هؤلاء النَّاقِدين: مُحَمَّد بن إسْحَاق النَّديم، صَاحِب الفِهْرِسْت، الذي قال عن هذا الكِتَاب:

«نقلَهُ من كُتُبِ النَّاس، وسَلَخ كِتَاب الجَيْهَاني»[1].

ثمَّ أتى الرَّحَالة أبو عَبْد الله المَقْدِسيُّ البِشَاريُّ، فوَجَّه إلى هذا الكِتَاب انتِقَادات لَاذِعَة حيثُ قال:

«وأمَّا ابْنُ الفَقِيه الهَمَذَانيّ فإنَّه سَلَك طَرِيقَة أُخْرى ولم يَذْكُر إلَّا المَدَائِن العُظْمَى، ولم يُرتِّب الكُوَر والأجْنَاد، وادْخَلَ في كِتَابِهِ مَا لَا يَلِيق به من العُلُوم، مَرَّة يَزْهَد في الدُّنْيَا وتَارَة يَرْغَبُ فيها، ودُفْعَة يَبْكِي وحِينًا يَضْحَكُ ويَلْهَى»[2].

وفي سبِيل مَزِيدٍ من التَّقْلِيل من شَأْنِ الكِتَاب وإظْهَار مَزَايا كِتَابه قال المَقْدسيُّ:

«وأمَّا كِتَابُ الأمْصَار للجَاحِظ فصَغِير، وكِتَاب ابْنُ الفَقِيه في مَعْنَاه غيْرَ أنَّه أكْثَر حَشْوًا وحِكَايَات، واحْتَجَّا بأنَّا إنَّما أدْخَلْنَا خِلَال كُتبِنَا ما أدْخَلْنَا ليَتفرَّج فيها النَّاظِرُ إذا مَلَّ وربَّما كُنْتُ انْظُر في كِتَاب ابْنِ الفَقِيه فَأَقَعُ في حِكَايَاتٍ وفُنُون أنْسَى أيْنَ كُنْتُ من البُلْدَانِ ولم اسْتَحْسِن أنَا هذا».

---

[1] ج١، ص٤٧٣-٤٧٤.

[2] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤.

ومَع كُل ما وَجَّههُ المَقْدِسيّ إلىٰ ابْن الفَقِيه من انْتِقَادَاتٍ فإنَّه لم يَتردَّد عن النَّقْلِ عنه دُون تَصْرِيح؛ فوَقَع فيمَا عَاب عليه، وأخَذ منه ولم يَرْجِع إلىٰ مصَادِرِه في عِدَّة موَاضِع من كِتَابه المَوْسُوم " أحْسَن التَّقاسِيم"؛ فعَاد إليه عند الحَدِيث عن خُرَاسَان بقوله:

« يُحكَى عن ابْنِ قُتَيْبَة أنّه قَال: خُرَاسَان أهْل الدَّعْوَة وأنْصَار الدَّوْلَة... »[١٥٩ظ]

وهو لم يَطَّلِع علىٰ ما كَتَبهُ ابن قُتَيْبَة، وإنَّما نقَل ما لخَصَهُ ابن الفَقِيه من كِتَاب «عُيُون الأخْبَار»، فأخَذَ منه عِدَّة فقْرَات ضَمَّنهَا كِتَابه، دونَما أدْنَىٰ إشَارَة. وكذلك عِنْدَ الحَدِيث عن عجَائِب طَبِرسْتَان، وفي هذا دَلِيل واضِح علىٰ اعْتِرَاف المَقْدِسيّ بقِيمَة كِتَاب ابن الفَقِيه وصدَارَته بالرَّغم مما كان له عليه من مَآخِذ .

* * *

أمَّا أهَم النَّاقِلينَ قَاطِبةً من كِتَاب ابن الفَقَيه فهو الوَرَّاق الشَّهِير «يَاقُوت بن عَبْدِ الله الرُّوميُّ الحَمَويُّ» المتوفَّىٰ سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، الذي أعَاد اكْتِشَاف كِتَاب «أخْبَار البُلْدَان»، واسْتَخدَمهُ كمَصْدَرٍ رَئِيس لعَملِه الجُغْرَافي الأشْهَر« مُعْجَم البُلْدَان»، حيْثُ شَكَّلت نُصُوص كِتَاب «أخبَار البُلْدَان» العَمُود الفَقَريَّ لمُعْجَم البُلْدَان في كُلِّ ما يتعلَّق بالعِرَاق وبِلَاده وبَأقَاليم المَشْرِق الإسْلَامِيّ، وببِلَاد التُّرك، إذ استَفَاد يَاقُوت من كُلِّ ما كَتَبهُ ابن الفَقِيه عن هذه المَنَاطِق من الجُزْء الذي بين أيْدِينا من الكتَاب.

ويَبْدُو أنَّ يَاقُوتًا كَانت بَحوْزَتِهِ نُسْخَة كَامِلَة من الكتَاب نقَل منها نُقُولًا مُطَوَّلَةً، ضَمَّنها في كِتَابه مُبَاشَرةً؛ حيثُ فرَّق ما فيها من فَوَائِد علىٰ مَوْضُوعَات «مُعْجَم

البُلْدَان» مُصرِّحًا بالنَّقْلِ من ابْنِ الفَقِيه مَرةً، ومُتجَاهِلًا الإشَارَة إليه عشَرات المرَّات، يتَّضِحُ ذلك من خِلَال مُقَارنَة النُّصُوص التي أوْرَدهَا يَاقُوت بها لَدَىٰ ابن الفَقِيه، نَجِد أنَّ أسْلُوب ابن الفَقِيه ومَادَّتهُ هي ما يُطَالِعُه المَرء عندما يَقْرَأ ما لَدىٰ يَاقُوت من مَوادَ مُتعَلِّقَة بالمَشْرِق؛ إذ كان يَاقُوت نَاقِلًا مُحْتَرِفًا لا يتَدخَّل في النَّصِّ ولا يَعُود إلىٰ مصَادِرِه الأولىٰ مُطْمَئِنًّا إلىٰ أسْلُوبِ ابن الفَقِيه وطَرِيقَته في التَّصْنِيف.

* * *

ونَظرًا لأهَمِّيَّة القِسْم المُتعَلِّق ببَغْدَاد من الكِتَاب، وجَدنا يَاقُوتًا الحَمَويَّ يعْتَمِد علىٰ هذه المَادَّة الغَزِيرَة في كلِّ مَا يتَعلَّق بعَاصِمَة العبَّاسيِّين، حيثُ قسَّمَ مَادَّة ابن الفَقِيه وحوَّلهَا إلىٰ مَوَادَ مُفْردةٍ مُتفرِّقةٍ في أنْحَاءِ «مُعْجَم البُلْدَان» مُرتَّبة علىٰ حُرُوف المُعْجَم، مُضْيفًا إليها مَا اسْتَجدَّ من تطَوُّرَاتٍ حتىٰ عَصْرِه، ومن هُنا نرىٰ الأثر الكَبِير الذي طَبَعَ به ابْنُ الفَقِيه كِتَاب يَاقُوت.

جدير بالذكر اتِّفَاق ابن الفَقِيه والخَطِيب البَغْدَادِيّ في عَشَراتِ الأخْبَار المُتعَلِّقَة ببغْدَاد، غير أنَّ المَادَّة التي أوْرَدهَا الخَطِيبُ البَغْدَادِيّ جمعَها بنَفْسِه وبسَنَدِه عن شُيُوخٍ لقِيهُم ونقَل عنهم وسَمِع منهم مَا صَنَّفه في المُجلَّد الأوَّل من تَارِيخه، وهؤلاء جميعًا يمَثِّلُون طُرقًا أُخرَىٰ لإسْنَاد هذه الأخْبَار، ومصَادِر مُغَايِرة لمصَادر ابن الفَقِيه؛ ومن ثمَّ فإنَّ المادَة التي قدَّمهَا الخَطِيب البَغْدَادِي عن مَدِينَة السَّلَام كانت بمثَابَة النُّسْخَة الثَّانِية التي علىٰ أسَاسهَا تمَّ التَّثبُّت من سلَامة النَّص الذي بين أيدِينَا عبر مُقَارنَتِه بنصِّ ابن الفَقِيه، فيما يَخُصّ الحَدِيث عن مَدِينة السَّلَام فقط.

لَقد أتَاحَت أوصَاف ابْن الفَقِيه لطُبُوغْرَافيَا مَدِينَة السَّلَام ومَا قدَّمَهُ من مَعْلُومَاتٍ عن تطَوُّرهَا العُمْرَانيِّ ـ علىٰ الأقَلّ ـ حتىٰ نِهَاية العَصْر العبَّاسِيِّ الأوَّل، مَادَّة قيِّمَة تَدَاولَتْهَا المصَادِر التَّارِيخيَّة والجُغْرَافيَّة فيمَا تَلا من العُصُور حتىٰ القَرْنِ السَّابع للهِجْرَة/ الثَّالِث عَشْر للمِيَلاد، عندما وظَّفهَا يَاقُوت الحَمَويُّ في مُعْجَم البُلْدَان بِشَكْلٍ يُمكِّن القَارِئ والبَاحِث من تكْوِين فِكْرَةٍ واضِحَةٍ عن تَخْطِيط المَدِينة، بل وإنْشَاء مُعْجَم طُبُوغْرَافيٍّ شَامِلٍ لهَا ولمَا طَرأ عليها من تَطوُّرَاتٍ إلىٰ ما قبَل الاجْتِيَاح المَغُوليّ علىٰ أقَلّ تَقْدِير.

* * *

وكَانت مَوْضُوعَات العَجَائِب الكَثِيرة لدَىٰ ابن الفَقِيه سَببًا في اعْتِمَاد الكُزْمُوجْرَافيّ المَشْرقيّ «زَكَرِيَّا بن مُحمَّد بن محْمُود القَزْوِينيّ» المتوفَّىٰ سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م علىٰ كِتَاب أخْبَار البُلْدَان، في عِدَّة مواضِع من كِتَابه «آثَار البِلَاد وأخْبَار العِبَاد» حيثُ أخَذ عنه أخْبَار عجَائِب قَرْمَيسين، وقَزْوِين، وهَمَذان ونَهَاوَنْد، ونقَل عنه أخْبَارًا تَتعلَّق بعَجَائِب المَغْرِب وبِلَاد الرُّوم من غير هذا القِسْمِ من الكِتَاب.

نسخة الكتاب

لم يَصِل إلينا من نُسَخِ الكِتَاب سِوىٰ القِسْم الثَّانِي من المُسوَّدَة الكُبْرَىٰ لكِتَاب «أخبار البُلْدَان» لابن الفَقِيه الهمَذَانِيّ، والتي تقَعُ ضِمْن مَجْمُوع يَحْوِي بالإضَافَة إليها رسَالتَيْن في الجُغْرَافيَا، الأولَىٰ رِسَالَة أبو دُلَف اليَنْبُعِي (٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) و الأُخرَىٰ بها نَصُّ رِحْلَة ابن فَضْلَان (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)[١].

وأَصْلُ هذا المَجْمُوع مَحْفُوظٌ بالمكْتَبَة الرَّضَويَّة بمَشْهَد الإمَام عَلِيّ الرِّضَا بإيرَان، تحت رقم ٥٢٢٩ في ٢١٠ورقة، وقَد عَثر عليه البَاحِث التُّركِيُّ «أحمد زكِي وليدِي طُوغَان» [١٨٩٠-١٩٧٠م] سنة ١٩٢٤م[٢].

يقَع كِتَاب ابن الفَقِيه في أوّل هذا المَجْمُوع، وعلىٰ ظَهْرِيَّتِهِ عُنْوَانُ الكِتَاب والكَثِير من التَّمَلُّكَات وعَلامَات الشِّراء والأختَام، تَنْقُص منه الصفحة التي بها ظَهْر الوَرَقَةِ الأولىٰ ووجْهُ الثَّانِية، بها مُقَدِّمَة الكِتَاب ودِيبَاجتُهُ، ويبْدَأ النَّصُّ من ورَقَة [٢] وجه.

يَبْلُغ عَدَد أوْرَاقها ١٢٣ وَرَقَة، بكُلِّ ورَقَةٍ وجْهٌ وظَهْرٌ، أي ٢٤٦ صَفْحَة، مُرقَّمٌ بالأرْقَام الهنْدِيَّة، كُتبِت بخَطٍّ نسْخٍ عَادِيٍّ، واضِحٌ نِسْبيًّا ومَقْرُوء، مُضْطَرِبَة النَّقْطِ في

---

[١] جاء في مقدمة الناسخ: ذَكَرْنا [أن] أُضِيفَ إلىٰ ما صَنَّفَهُ أحمد بن محمد الهَمَذَاني في آخر كتابه رِسَالَتَان كَتَبَهُما إلينا أبُو دُلَف مُسَعَّر بن المُهَلْهِل، حَكَىٰ في إحدَاهُما أخبار التُّرك والصِّين بِمُشَاهَدَتِهِ ذلك، وفي الأُخرَىٰ أشياء رآها وشَاهَدَها في عِدَّة من البُلْدان. وأضَفْنا إليه كِتَابًا جَمَعَهُ أحْمَدُ بن فَضْلان بن رَاشِد بن حماد، مَوْلَىٰ محُمَّدِ بن سُلَيْمان الهاشِمِي في أخْبار التُّرْك والخَزَر والرُّوس والصَّقالبَة والباشغِرد [وغَيْرِهِم] مما وَقَفَ عليه ونَظَرَ إليه، لأن المُقْتَدِر بالله أنفَذَهُ إلىٰ بَلَد الصَّقالِبة في سَنَة تِسْع وثَلاث مِائَة [٣٠٩هـ/ ٩٢١-٩٢٢م] بِاستِدعاء مَلِكِهم ـ ذلك رَغبَة منه ـ في الإسْلَام فَحدَّثَ بِجَمِيع ما شاهَدَهُ في هذه البُلْدَان بِمُعَايَنَتِهِ ونَظَرِه إليه.

[٢] راجع تقدمة فؤاد سيزكين لمصورة مخطوطة مشهد التي طبعها في فرانكفورت سنة ١٩٨٩م.

كَثيرٍ من المَوَاضِع، و بها خَرم مِقْدَار ورَقتَين، بين ورقتي [١٦٨] و[١٦٩]، وكُتِب فَوقَ صَفْحَة الوَجْه عِبَارة «هُنا نَقْص مِقْدَار ورَقتَين»، وهي نُسْخَةٌ مُصَحَّحةٌ، لا نَعْلِم علىٰ وجَهِ التَّحْدِيد من قَام بقَراءتِها وإِصْلَاحِها، ولكن المَوجُود علىٰ هَامِش صَفْحَة [٣ظ] ، [٤ظ] ،[٦و] وغَيرهَا الكَثِير يُدلِّل علىٰ ذلك.

بها نِظَام التَعْقِيبَة (نِظَامُ تَرْقِيم للَورَق والكَرَّاسَات، يُكْتَب أَوَّل كَلِمَة في وجْهِ الورقة تحْتَ نِهَايَة آخِر كَلِمَة في ظهر الورقة السابقة مع مَيلٍ طَفِيف).

مَسْطَرتُها ١٩سَطْرًا، وقيَاسهَا ١٨ × ١٣ سم، بها خَتْم وقْفِيَّة وشَرط بالمطَالِعَة بالُّلغَة الفَارِسيَّة علىٰ الهَوامِش اليُسْرَىٰ للوجُوه الآتية ٢٩، ٤٩، ١٠٩، ١٨١، ٢١٥، ٢٥٥، ٣١٥ إلخ.

ونظَرًا لاعْتِمَادَنا علىٰ صُورَة ضَوْئِيَّة من أصْلِ المَخْطُوط لا نسْتَطِيع تَقْدِيم وصْف كُودُيكُولُوجِيٌّ لها.

*

* *

نشْرَات الكِتَاب

أولًا: نَشرة دِي خُويَه:

كَانت أوَّل نَشْرَة صَدَرت للكِتَاب هِي النَّشْرة التي أعدَّها المُسْتَشْرِق الهُولَنْدِي «مِيخَائيل جَان دِي خُويَه» (١٨٣٦- ١٩٠٩م)، ضِمْن «مَكْتَبِة الجُغْرَافيِّين العَرب» وهي سِلْسِلَة من ثمانِية مُجلَّدَاتٍ تَضُمُّ النُّصُوص الجُغْرَافيَّة التي نُشِرَت ما بين عَاميْ ١٨٧٠-١٨٩٤م، مثَّل مُختَصَر كِتَاب البُلْدَان لابن الفَقِيه المُجلَّد الخَامِس فيها، وذلك سنة ١٨٨٥م، بالاعْتِمَاد علىٰ ثَلاث مَخطُوطَات نَجِد رُمُوزهَا في هَامِش فُرُوق النُّسَخ هي:

(B) نُسْخَة المَتحَف البِريطَانِي. (I) مَخطُوطَة مَكْتَب الهِنْد. (S) مَخطُوطَة بِرْلِين.

والذي عَمِل هذا المُخْتَصَر في عام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، شَخْصٌ يُدْعَىٰ أبا الحَسَن عليّ بن جَعفَر الشِّيرازي، ربَّما كان هو نَفسهُ النَّاسِخ الذي نسَخَ نُسْخَة إصْلَاح المَنْطِق لابن السِّكِيت المَحْفُوظَة في مَكْتَبة كُوبِريلِّي[١].

أحْرَز «مِيخَائيل دِي خُويَه» مكَانتهُ المَرمُوقَة في عَالم الاسْتِشْرَاق بِفَضْلِ قيَامه وحْدَه بتَحْقِيق ما أَطلَق عليه «مَكْتَبِة الجُغْرَافيِّين العَرب»، إذ كَان المُمثِّل الأوَّل للحُقْبَة الفِيلُولُوجِيَّة «اللُّغَويَّة» في عَالم الدِّراسَات الشَّرقيَّة، لكنَّ المَنهَج الذي سَار عليه «دِي خُويَه» في تَحقِيق نُصُوص هذه المَكْتَبة كَان بَسِيطًا وكِلَاسِيكيًا إلىٰ حَدٍّ بَعِيدٍ، وقد نجَمت عنه أخْطَاءٌ كَثِيرة سَواء في ضَبْطِ النَّصِّ أو في سَلَامَة سِيَاقهِ.

---

[١] أيمن فؤاد سيد: النصوص الجغرافية غير المنشورة حصر وتقييم، ص٢١١.

فَضْلًا عمَّا شَاب ضَبْطِ أَسْمَاء المَوَاضِع والبُلْدَان من اضْطِرَابَات، حيث عمِل علىٰ إِثْبَات نَصّ «نُسْخَة الأَصْلِ» حتىٰ وإنْ كَان فيه خَطأ ظَاهِر أو تَحْرِيف في النَّصّ، فأدَّىٰ ذلك إلىٰ اخْتِلَاف في ضَبْطِ كَثِير من الأَعْلَام الجُغْرَافِيَّة.

وعلىٰ الرَّغْمِ من إدْرَاكِه تشَابُه نُصُوص هذه المُصنَّفَات وتشَابكهَا، نظَرًا لكَوْنها تَأْتِي من مَدْرَسةٍ واحِدةٍ، فإنَّه لم يَتَنبه سِوىٰ لاشْتِرَاك نَصّ ابن حَوْقَل والإِصْطَخْرِي؛ بحيث اسْتَخْدَم كُلّ واحِدٍ منهما كَشَاهِدٍ علىٰ الآخَر، بِيد أنَّ هذا التَّشَابُك يَسْرِي بَشْكلٍ واضِحٍ فيما بين نَصّ «مُخْتَصَر كِتَاب ابن الفَقِيه» و«نص ابن خُرَّدَاذْبَه»، وبِشَكلٍ أو بآخَر يَرْتَبِط بهمَا نَصّ كِتَاب المَقْدِسِيّ «أَحْسَن التَّقَاسِيم»، ورغم هذا الارْتِبَاط الوَاضِح بين هذه النُّصُوص الثَّلاثَة نجِد أنَّ «دِي خُويَه» لم يُشِر إلىٰ كَثِيرٍ من التَّشَابه بينها.

وكَنَتِيجَة مبَاشِرة للأسلوب ـ اللَّاخْمَانيّ[1] ـ الذي اتَّبعَهُ «دِي خُويَه» فإنَّ أَسْمَاء العَدِيد من الأَعْلَام الجُغْرَافِيَّة والمَوَاضِع البُلْدَانيَّة رُسِمَت بشَكْل مُضْطَرب في الكُتبِ الثَّلاثَة، وهو مَا يُشَكِّك في جَدْوَىٰ المَنْهَج الفِيلُولُوجِيّ النَّاقِد للنُّصُوص علىٰ أَسَاسٍ لُغَوِيٍّ بَحْت دُونَ اكْتِراثٍ بسَلامَةِ النَّصّ أو معرفة بعَلاقَات النُّصُوص العَرَبِيَّة.

كما أنَّ لِسَان «دِي خُويَه» غَير العَرَبِيّ جعَلَهُ غير قَادِر علىٰ إدْرَاك كَامِل حَقِيقَة النَّصّ العَرَبِيّ والاقْتِرَاب من رَوْحِهِ، ما يَكْشِف عن ضَعْفٍ لا يَسْهُل تَصَوُّره في لُغَوِيٍّ كَبيرٍ ومُسْتَشْرِقٍ مُحْتَرِفٍ مِثْلُه.

---

[1] نِسبةً إلىٰ العالِم الألمانِي" كارل ليخمان" (١٧٩٣- ١٨٥١م) الذي وضع أسس علم النشر النقدي للمخطوطات في العصر الحديث.

ومن ثمَّ جَاء تَحْقِيق «دِي خُويَه» مُلائمًا للمَدْرَسةِ الفِيلُولُوجِيَّة التي كَانت سَائِدةً في أورُبَا أواخِر القَرْنِ التَّاسِع عَشر ومطْلَع القَرْنِ العِشْرِين بأكْثَر من اسْتِجَابتِهُ ومُلَائَمتِهِ للنَّصِّ العَربيِّ ذَاته، ولِذَا لا مَناص من إعَادَة نَشْر نُصُوص المَكْتَبةِ العَربيَّة الجُغْرَافيَّة علىٰ أسُسٍ جَدِيدَة يُسْتَفَاد فيها من المعَارِف التي أنْتَجتْهَا العُلُوم الكُودُيكُولُوجِيَّة بعد اسْتِقْرَار عِلْم تَحْقِيق النُّصُوص.

ثانيًا: النَّشْرات الجُزْئِيَّة:

- رِحْلَة تَمِيم بن بَحْر إلى الأيْغُورِيِّن:

كان أوَّل من اهْتَمَّ بمَخْطُوطَة مَشْهَد: المُسْتَشْرِق الإنْجلِيزِيُّ ـ الرُّوسِيُّ الأصْلِ «فَلَادِيمِير مِينُورِسْكِي- V.Minorsky» [١٨٧٧-١٩٦٦م] الذي نَشَر في سنَةِ ١٩٤٨م، رِحْلَة تَمِيم بن بَحْرٍ المُطَّوِعِيِّ، مع تَرْجَمةٍ إنْجلِيزِيَّة في مَجلَّة: BSOAS الصَّادِرَة في بُروكْسِل بعُنْوَان: «رِحْلَة تَمِيم بن بَحْر إلىٰ الأيْغُورِيِّن»، فكَان هذا النَّص الصَّغِير أوَّل مَا نُشِر من هذه المَخْطُوطَة.

- بغداد:

في عام ١٩٦٨م نشَر المُسْتَشْرِق الرُّوسِيُّ «تسكي تُسِلي ـ O.V.Tskitisuili» في تَفْلِيس الجُزْء الخَاص بمَدِينة بَغْدَاد من مَخْطُوطَة مَشْهَد.

وفي عَام ١٩٧٧م قَام المُؤَرِّخ والبَاحِث العِرَاقِيُّ الكَبِير «صَالِح أَحْمَد العَلِي»، بنَشْرِ الجزْءِ الخَاصّ بمَدِينة السَّلَام في طَبْعَةٍ خَاصَّة صَدَرَت عن وِزَارَة الإعْلَام العِرَاقيَّة، لكِنِّي لم أتمَكَّن من العُثُور علىٰ نُسْخَة من هذه النَّشْرة.

وفي عام ١٩٧٩م قَامَ أَحَد المُسْتَشْرِقين ويُدْعَىٰ A.S.Jamgotsigan بنَشْر القِسْم الخَاص ببَغْدَاد ووَاسِط معًا.

وأنجز الدكتور «زكريا فان لار ـ Zacharias Van Lar » بحثًا أكاديميًا يضم تحقيقًا جزئيًا للكتاب مع تحقيق رسالة أبو دُلف في بروكسل سنة ١٩٨٥م.

- **السَّواد والأهْوَاز والتُّرك:**

في عَام ١٩٩٧م قَامَ البَاحِثَان السُّعُودِيَّان: ضيف الله يَحْيَىٰ الزَّهْرانِيُّ، ومِريزِن سَعِيد عِسِيري، بنَشْرِ نُصُوصٍ لم تُحَقَّق من كِتَاب أخْبَار البُلْدَان لابن الفَقِيه الهَمَذَانِيّ، تَخُصُّ السَّواد والأَهْوَاز والتُّرك، مع دِرَاسَةٍ عَامَّةٍ عن المُؤَلِّف، والنُّصُوص المَنْشُورَة المُتعلِّقَة بالخَرَاجِ وبيَان أهَمِيَّة المَعْلُومَات التي أوْرَدهَا ابن الفَقِيه.

ثالثًا: نَشْرَة «يُوسُف الهَادِي»:

أنْجزهَا المُحَقِق العِرَاقِي يُوسُف الهَادِي، وصَدرَت في بَيْرُوت سَنة ١٩٩٥م، واكْتَفَىٰ فيها بإعَادَة صَفّ نُسْخَة المُخْتَصر صَفًّا جَدِيدًا دُون أدْنَىٰ إضَافَة، بل ولم يُرَاجِعْها علىٰ أيّ من أُصُولهَا الخَطيَّة، ولم يُشِر في حَواشِيها إلىٰ أيّ المصَادِر التي رَجِع إليها المُصَنِّف، وأفْسَد عَمل «دِي خُويَه» بحَذْفِ هَامِش فُرُوق النُّسَخ، وضَمَّ إليها نصّ نُسْخَة مَشْهَد كما هو، بكلِّ ما فيه من مُشْكِلَات، حَيْثُ لم يَسْتَوفِ مُقَابَلته علىٰ مَصَادِره أو علىٰ نقُول المُتَأخِرين منه بشَكْلٍ عِلْمِي، وكانت تَعْلِيقَاتُهُ قَلِيلَة الفَائِدة؛ ويُحسَب لهُ أنّه أوّل مُحقِّق يُنْجِز نَشْرة كَامِلَة للكِتَاب تَضُم جُزْئَيه الأوّل والثَّاني.

عَلاَقَة المُخْتَصر بالنَّصّ الأَصْلِي

قَال يَاقُوت الحَمَوِيُّ وهو يُجِيبُ علىٰ من طَلَب إليه أنْ يَخْتَصِر كِتَابه «مُعْجَم البُلْدَان»: حُكِي عن «الجَاحِظ» أنّه صَنَّف كِتَابًا وبوَّبه أبْوَابًا. فأخَذَه بعْضُ أهْلِ عَصْرِه فحَذَف منه أشْيَاء وجعَلَهُ أشْلَاء. فأحْضَره وقَال له : يا هذا! إنّ المصنِّف كالمُصَوِّر. وقد صوَّرتُ في تَصْنِيفي صُورَة كانت لها عَيْنَان فعوَرتهمَا- أعْمَىٰ الله عَيْنَيك- وكان لها أُذنَان فصَلمتَهُما ـ صَلَمَ الله أُذنَيْك ـ وكان لهَا يَدان فقَطَعْتَهُما ـ قطَع الله يَديْك ـ حتىٰ عدَّ أعْضَاء الصُّورة. فاعْتَذرَ إليه الرَّجُل بجَهْلِه هذا المِقْدَار وتَاب إليه عن المُعَاوَدة إلىٰ مِثْلِه[1].

وتَنْطَبِق مقُولَة «الجَاحِظ» هذه علىٰ مُخْتَصر كِتَاب «أخْبَار البُلْدان»، فقد سَارَ الرَّجُل علىٰ غَيرِ مَنْهَج في التَّعَامُل مع النَّصّ الذي صَاغَه «ابن الفقيه»، وتَسبَّب اخْتِصَاره في تَشْوِيه بِنْيَة النَّصّ الأصْلِي الذي أرَادَه المؤلف.

فعِنْدمَا قَابَلْتُ النَّصَّ الذي بين أيْدِينَا بالمُخْتَصر تَبيَّن أنَّ حَجْمَ الخَلَل الذي تَرتَّب علىٰ عمَلِيَّة الاخْتِصَار كان أكبَر مما نَظُن؛ حيثُ حَذَف المُخْتَصِرُ أسَانِيد الرِّوَايَات فأفْقَد الكِتَاب الكَثِير من ميزَاتِه التَّوثِيقِيَّة، وبالتَّالي أفْقَدنَا القُدْرَة علىٰ تَحْدِيد زَمَان هذه الرِّوَايَات، وأضَاع فُرْصَة التَّعرُّف علىٰ كَثِيرٍ من مصَادِر «ابن الفَقِيه» التي لم تَصل إلينَا.

---

[1] معجم البلدان: ج١، ص١٤.

وبلَغَ اخْتِصَارُهُ حَدًّا جعَلَ الكَثِير من العِبَارَات غَير مُتَّسِقَة مع سِياقَاتِهَا، فجَاءت غَامِضَة المَعْنَىٰ قَلِقَة التَّرْكِيب، إذ إنَّه لم يَلْتَزِم بمَنْهَج واضِحٍ في عَملِه، فنَراهُ تَارَةً يقُوم بِصَيَاغَة مَادَّة ابن الفَقِيه بطَرِيقَته الخَاصَّة، وتَارَةً أُخْرَىٰ يَنْقِل ما يَحْلُو له من النَّصِّ ويَتْرُكُ ما يَحْلُو له، وثَالِثَةً يَنْقِل نُقُولًا مُطَوَّلة بُدون أيِّ اخْتِصَار.

فَضْلًا عن حَذْفِهِ لنُصُوصٍ بَالِغَةِ القِيمَة كَالمَوَادِ المُتعلِّقَة بأَخْبَار الكُوفَة، وما جَاء في ذَمِّ البَصْرَة، والمُنَاظَرة التي عقَدهَا المَأْمُون بين الكُوفِيِّين والبَصْرِيِّين، وكذلك المَادَّة التي تَصِف وَاسِط، وكَامِل مَادَّة بَغْدَاد، والأَخْبَار المُتعَلِّقَة بخَراجِ السَّوَاد وتَقْسِيمَاتِهِ الإدَارِيَّة، ومَادَّة الأَهْوَاز، والمَعْلُومَات المُهِمَّة التي أوْرَدهَا «تَمِيم بن بَحْرٍ المُطَّوعيُّ» عن الأيغُورِيِّين، وما جَمَعهُ ابن الفَقِيه من أَخْبَار عن مُدن التُّرْكِسْتَان.

في حين أنَّه أبْقَىٰ علىٰ مُعْظَم المَوْضُوعَات التي تَخُصُّ الأَقَالِيم الفَارِسِيَّة: فَارِس، كرْمَان، إقْلِيم الجَبَل، همَذَان، نهَاوَنْد، أصْبَهَان، قُم، قَزْوِين.

*

* *

طَرِيقَة إخْرَاج النَّص

إنَّ النَّصَّ المُثْبَت في هذه النَّشْرة هو النَّصُّ المَوْجُود بنُسْخَة مَشْهَد التي سَبق وصْفُها، ونظَرًا لأنَّ نَاسِخ المَخْطُوطَة علىٰ أغْلَب الظَّنّ شَخْصٌ فَارِسِيّ لَا يُتْقِن العَرَبِيَّة، يَرْسِم كَمَا يَسْمَع أو يَرْسِم مَا لَا يَسْتَطِيع قِرَاءَتَه من الكِلَمَات، فقد شَابَ النَّص الكَثِير من الأخْطَاء التي شَمِلَت في جُمْلتهَا سِيَاقَات الأخْبَار والأوْصَاف، وكَذا أسْمَاء الأعْلَام والأمَاكِن، وهو مَا تطَلَّب لتَصْحِيحه تتَبُّعًا دَقِيقًا للمَصَادِر التي اسْتَقىٰ منها ابن الفَقِيه مَادَّة كتَابه، والتي لم تَصِل إلينَا كُلُّها؛ وإنَّما وصَل إلينا بعْضَها فقط، وذلك لتَصْحِيح أخْطَاء النَّاسِخ ـ التي لَا حَصْرَ لهَا ـ والتي وقَع بسَببهَا العَدِيد من المُتَعَامِلِين مع هذا النَّص في الأوْهَام والقِرَاءَات الخَاطِئة، ففي نُسْخَة الأصْل عشَرَات من الألْفَاظ الفَارِسيَّة المُعَرَّبة التي جَاء رَسْمُهَا مُخَالِفًا للصَّواب نتِيجَة الإبْدَال والتَّحْرِيف، واخْتِلَاف النُّطْقِ ما بين مخَارِج الحُرُوف العَربيَّة والفَارِسيَّة، ما أوْقَع النَّاسِخ في الكَثِير من الأخْطَاء.

وكان اتِّسَاع دَائِرة المَصَادر التي اسْتَند إليها ابن الفَقِيه لبِنَاء كِتَابه أوَّل ما واجَهَنِي من صُعُوبَات، حيث اسْتَلْزَم الأَمْرُ التَّنْقِيب في مُجْمَل ما وصَل إلينا من مصَادِر التُّراثِ العَائِد إلىٰ القُرُون الثَّلاثَة الأولَىٰ من تَارِيخ الإسْلَامِ، أدبًا وتاريخًا وجُغْرافيَا ولُغَةً، فَضلًا عن البَحْثِ في مصَادِر كَثِيرةٍ مُتأخِرة عن زَمنِ تَأْلِيف الكِتَاب لحَلِّ مُشْكِلات النَّص.

فكَثِيرًا ما كانت تُواجِهُنِي مشكلة الجَهْلِ بمَصْدر رِوَايةٍ مُعيَّنةٍ، أو مَعْرِفة معْنىٰ كَلِمَة ما، أو قضَاء وقْتٍ طَوِيلٍ جدًّا في البَحْث عن تَرْجَمة عَلمٍ من الأعْلَامِ دون

الوُصُول إليها بعدَ الرُّجُوعِ إلىٰ المظَان المعتبرة، أو في قِرَاءة ورَقة سَيِّئة الخَطِّ، مليئَة بالتَّصْحِيفَات والتَّحْرِيفَات التي وقعَ فيها نَاسخُ النَّص، زِد علىٰ ذلك مَا لاقَيْتُ من عَنَتِ البَحْثِ بين مُجلَّدَات المعَاجِم اللُّغويَّة، ودَواوِين الشِّعر، والمصَادِر الأدَبيَّة، والمُدوَّنَات التَّاريخيَّة، بحْثًا عن ضَبْطِ كلِمَةٍ أو اسْتِجْلَاء معنىٰ، أو التَّعْرِيف بمَوْضِعٍ من المَوَاضِع، أو توثيق حدثٍ، أو ضَبْطِ بيتٍ من الشِّعْرِ، فكم من كلِمَةٍ جاء رَسْمُها في المخطُوطِ علىٰ خِلَاف الصَّواب، وكم من عَلَمٍ كُتب اسْمُه بخلَاف الحَقِيقة.

وزَاد من صعُوبَة المهمَّة وجُود كَثير من الأَسْقَاط والتَّحْرِيفَات في نُسْخَة الأصْلِ، والعَدِيد من أسْمَاء الأشْخَاص المَغْمُورِين الذين لا ذِكْرَ لهم في كُتبِ التَّراجِم والطَّبقَات، والكَثِير من المَوَاضِع والأمَاكِن التي انْدَرسَت فتجَاهلَتها مؤلَّفَات الجُغْرَافيِّين والرَّحَّالة، فضلًا عن أسْمَاء الأدْوِيةِ والأعْشَاب والنبَاتَاتِ والثِّمار والطُّيُور والحيوَانَات التي لم تضْبِطها معَاجِم اللُّغَة، وإنَّما وجِدَت في كُتبِ الغَرِيب.

والكَثِير من الأشْعَار والأخْبَار وقِصَص العجَائِب التي يَحْفَل بها النَّص، والتي كان البَحْث عن مصَادِرها وعَزْوهَا إلىٰ رُواتِها الأصْلِيِّين معَاناة مُمْتدَّة بامْتِداد صَفحَات الكِتَاب، وقد جَاء النَّص مَلِيء بالأخْطَاء النَّحْويَّة والإمْلَائيَّـة التي صَوَّبتُهَا في بعْضِ المَوَاضِع دون الإشَارَة إليها، وقُمْتُ بضَبْطِ النَّصّ ضَبْطًا كَامِلًا بعد العَوْدَة إلىٰ كُتبِ اللُّغَة والمعَاجِم من أجْلِ تصْحِيح السِّيَاق.

واعْتَمدَت عَمليَّة إخْرَاج النَّصّ علىٰ مُقَابلَته بمَصَادِره، وبمَا نقَلهُ المتَأخِّرُون عنه، فقُمْتُ بمُقَارَنة واسِعَة النِّطَاق لكَافةَ المظَان التي يُمْكِن أنْ تتقَاطِع مضَامِينُها مع نَصِّ هذا الجُزْء من الكِتَاب، وقَابَلتُ النَّصَّ بمَصَادِره التي وصَلت إلينا،

أو بالمصَادِر الأُخرَىٰ التي نَقَلت عنه، أو بالمصَادِر المُشتَرَكَة التي عَرِفتهَا من خِلَال تتبُّع الأخبَار والأوْصَاف في دَائِرةٍ واسِعةٍ من المُصَنَّفَات تُغطِّي مُعْظَم أرْكَان المَكْتَبة العَربيَّة، شَمِلَت كُتب الأدَبِ، والتَّارِيخ، والجُغْرَافيَا، والمعَاجِم، ودَواوِين الشُّعراء، والمصَادِر المُعْتَبَرة في عُلُوم الحَدِيث، والتَّفْسِير، وكُتبِ البَلَاغَة والتَّراجِم والطَّبقَات التي أعَانت علىٰ تَصْحِيح وتَدْقِيق السِّيَاقَات.

* * *

وكان أوَّل ما قَابَلْتُ عليه المَوَادَ المُشْتَرَكَة الوَارِدَة في «مُخْتصَرِ كِتَاب البلدان»، حَيْثُ اتَضحَ أنَّ ما وصَل إلينَا من الكِتَاب مُخْتَصرًا كان نصًّا مُشَوّهًا تَسبَّبت طَرِيقَة اخْتِصَاره في تَحْطِيم بِنْيَة الكِتَاب الأصْلِّية، ولِذَا عِنِدْ المُقَارَنة مع نَصِّ المُخْتَصر قُمْتُ بإثْبَات ما يَحْتَاج السِّيَاق إليه ليَتِمَّ المَعْنَىٰ، أو لِيَسْتَكْمِل النَّصَّ - دُونَ زِيادة - وأشَرْتُ في الهَامِش إلىٰ العبَارَات المُكَرَّرَة والزِّيَادَات التي لا تُضِيفُ شَيئًا بعدَما تَأكَّد لي أنَّ الذي وضَعْت في المَتْنِ هو بِلَا أدْنَىٰ شَكٍّ من كَلامِ ابن الفَقِيه.

وجَعلْتُ من كِتَاب «مُعْجَم البُلْدَان» ـ وهو المَصْدَر الأكْثَر أهَمِيَّة في المكْتَبِة الجُغْرَافيَّة العَربِيَّة ـ نُسخَةً ثَانِية أقَابِل عليها نُصُوص مَخْطُوطَة مَشْهَد بعْدَما تَبيَّن لي حَجْم النُّقُول التي أخَذهَا يَاقُوت من الكِتَاب، بالإضَافَة إلىٰ تتبُّع الأخْبَار في المصَادِر الأُخرَىٰ القَرِيبَة زَمنِيًّا من وَقْتِ تَأْلِيف الكِتَاب، وعلىٰ رَأسِها كِتَاب فُتُوح البُلْدَان للبِلَاذُرِيِّ، ومُؤَلَّفَات الجَاحِظ، حيثُ كَانت هذه النُّصُوص الأدَوات الرَّئِيسَة التي أعَانت علىٰ تَقْوِيم وتَكْمِلَة نصِّ ابن الفَقِيه.

وقُمْتُ أحيَانًا بَضَبْطِ الأعْلَام الجُغْرَافيَّة دونَما إشَارَة إلىٰ ذلك اعْتِمَادًا علىٰ المصَادِر الجُغْرَافيَّة التي نقَلَتْ عن المؤلِّف، ومَا ورَدَ لدَىٰ يَاقُوت الحَمَويّ في «مُعْجَم البُلْدَان»، حيثُ بَات بين أيدِينَا ما يُكْمِل السِّيَاق.

وقد أعَانَت عمَلِيَّة المُقَارنَة هذه علىٰ اسْتِيفَاء كَثيرٍ من النُّصُوص التي أتَت نَاقِصَة أو مَبْتُورَة في مَتْنِ المُسوَّدَة، فضلًا عن ضَبْطِ كثيرٍ من الأعْلَامِ الجُغْرَافيَّة وجِدَت مُضْطَربَة الرَّسْمِ في المَخْطُوطَة.

وقَد وضَعْتُ كَافَة الزِّيَادَات التي أكْمَلْتُ بها المَتْنَ بين مَعْكُوفَتينِ [] هكَذا سَوَاء أشَرتُ إلىٰ ذلك أو لم أُشِر، وأمَّا ما كَان زِيَادَةً أو تِكْرَارًا أو فُضُولًا من الكَلَام فقد أشَرْتُ إليه في الهَامِش الأوَّل المُخَصَّص للمُقَابَلة بين النُّصُوص.

جَدِيرٌ بالذِّكرِ أنَّ التَّنْوِيهَات التي كرَّرْتُها في الحَاشِيَة السُّفلِيَّة والتي تَطْلُب من القَارِئ المُقَارَنة بين نصّ ابن الفَقِيه وبين مؤلَّفَات الجَاحِظ، وابن قُتَيبَة، والبَلاذُرِي، والخَطِيب البَغْدَادِي، ويَاقُوت الحمَوِي وغيرهم؛ تَهْدُف إلىٰ تَوْضِيح تَارِيخ هذه الأخْبَار، ومن ثمَّ تَارِيخ النَّص الأوَّل نفسه، فضْلًا عن لَفْتِ انتِبَاه القَارِئ إلىٰ المَوَاضِع المُشْتَركة بين نُصُوص هؤلاء المُصَنِّفِين. هذا بالإضَافَة إلىٰ تَأكِيد سَلَامة النَّصّ الذي قُمْتُ علىٰ تَحْقِيقِه.

إنَّ تتبُّع الأخْبَار والنُّقُول من مصَادِر الكِتَاب أو المصَادِر التي نقَلت عنه هو نَوعٌ من تسْلِيط الضَّوء علىٰ طَبِيعَة العَلَاقة بين نُصُوص المَكْتَبة العَربيَّة، وبيَان لطَرائِق القُدَمَاء في التَّألِيف، وفيه أيضًا احْتِفَاء بنُصُوص كَادت أنْ تَبقىٰ مَجْهُولَة في بطُون الكُتبِ دونَ الوقُوف عليها أو تَجلِيتهَا.

وقَسَّمْتُ هوَامِش الكِتَاب إلىٰ قِسْمَين: قِسْم للمُقَابَلات واخْتِلاف القِرَاءَات «فُروق النُّسَخ»، وقِسْم للتَّعليقَات والتَّخْريجَات والشُّروح، والتزَمْتُ بالإحالَة علىٰ مصَادر الكِتَاب، ونقُول المتَأخِّرين منه في هَامِش الكِتَاب.

إنَّ العِنَاية التي أولَيْتهَا لمصَادِر الكِتَاب قَادتني إلىٰ اتِّبَاع مَنْهَجٍ واضِح في التَّعْريف بها، والتَّعْلِيق في هَامش التَّعلِيقَات علىٰ ما يَحْتَاج إلىٰ التَّعْلِيق.

وقد وضَعْتُ خَطًّا تحتَ كلِّ مَصْدَرٍ من مصَادِر النَّصّ سَواء كان موثَّقًا، أو مَصْدرًا لخَبرٍ أو رِوَايةٍ نقلَها ابن الفَقِيه دون إشَارَة إلىٰ من أخَذها عنه، فحتىٰ إذا كان صَاحِب الخَبر الذي ذكره ابن الفَقِيه مَصْدرًا غير مَشْهُور أو عَلَمًا غير مَعْرُوف، فإنَّه يقُودنَا، في الأغْلَب، إلىٰ مَعْرفَة المَصْدَر الذي اسْتَقىٰ منه ابن الفَقِيه مادته.

واشتَمَلَت الكشَّافَات التَّحْلِيلِيَّة للكِتَاب علىٰ سَتَّة كشَّافَات : الأمَاكِن والمَوَاضِع والبُلْدَان ـ الأعْلَام ـ الفِرَق والقَبائِل والطَّوائِف والأجْنَاس والجمَاعَات ـ المُصْطَلحَات والألْقَاب والوظَائِف والحِرف ـ الآيَات القُرآنيَّة ـ القَوافِي.

*

* *

اللوحات



ظهرية النسخة وما عليها من التملكات والأختام


خسروان ولما انقضى من القادسية والمدائن دفع ما جلا عنه الاعاجم من ارض [illegible]
الى المسلمين واقطعوه فصارت عشرية ايضا وكان مجرى عيون الطف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
القول في البصرة قال ابو عبيد معمر بن المثنى سميت البصرة لانه
كان فيها حجارة رخوة والبصرة الحجارة الرخوة تضرب الى البياض [illegible]
[illegible] وقالوا سميت البصرة لانه كان فيها حجارة
سود [illegible] وقال محمد بن شرحبيل بن حسنة انما سميت البصرة لان فيها حجارة سود
صلبة وهي البصرة قال خفاف بن ندبة شعر
ان تك جلمود بصر لا اوبسه اوقد عليه فاحميه فينصدع [illegible]

القول في البصرة

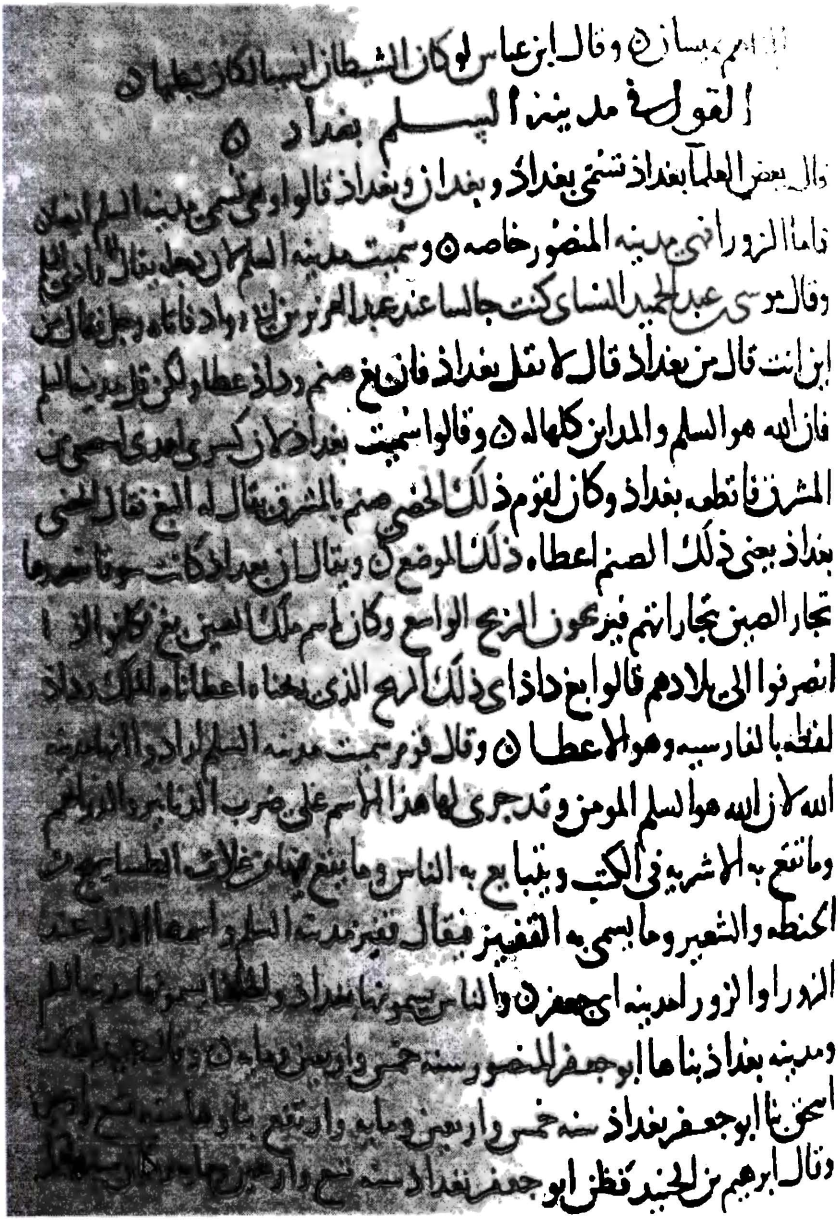
وليس بنا تعدي والخارجي فقال المامون للبصريين قد نظرت في امركم وسمعت
لكم وفهمت احتجاجكم فما المتكلم في جدال ولا مدافعة ولكني رايت مثلكم في مثل
اهل الكوفة كقول القايل شعر

يا حار قد كنت في عز ومكرمة لو ان سعاه من جاريته امم

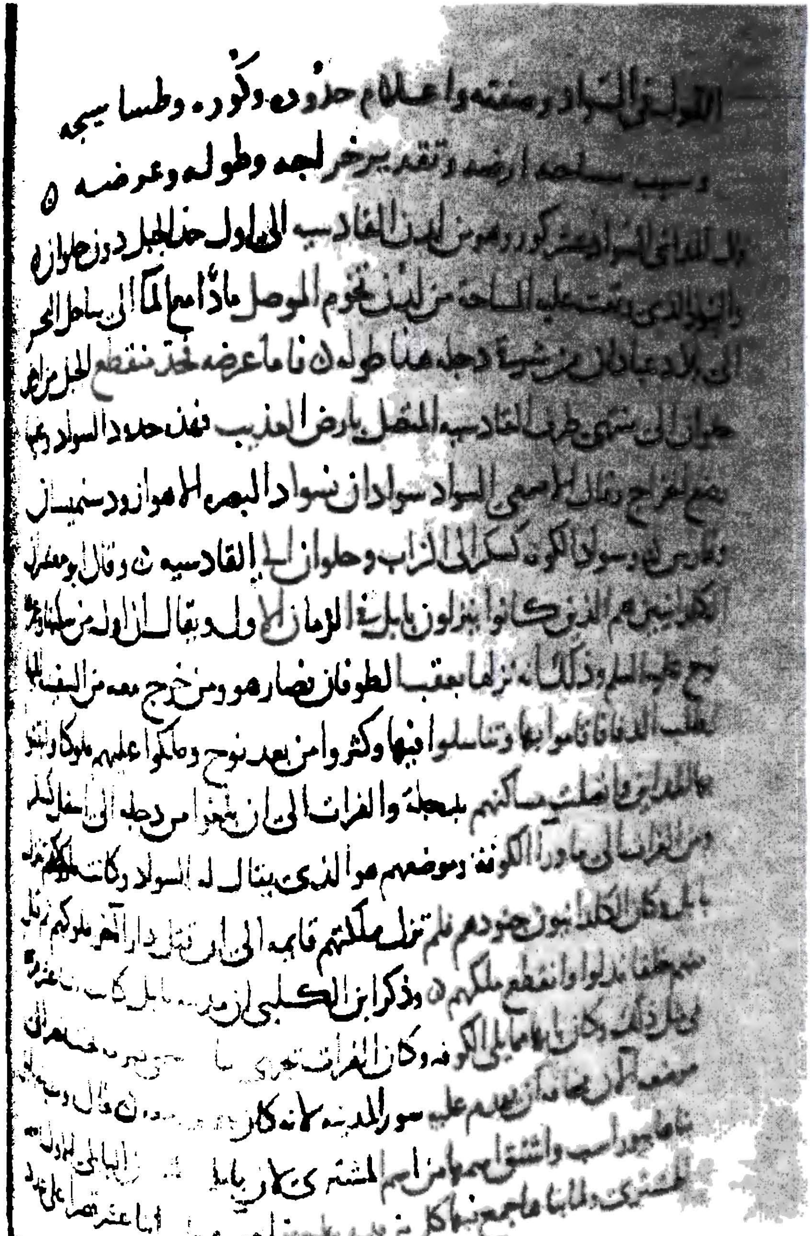
ثم دعا المامون صاحب بيت حكمته فقال اجعل هذا الكتاب في خواص كتبنا ثم
قال علي بن صلح للقوم انهضوا فنهضوا وانقضى المجلس والحمد لله رب العالمين

القول في واسط وانما ذكرنا واسط في هذا الموضع لانها توسطت
المصرين اعني البصرة والكوفة ولذلك سميت واسط ○ وقال يحيى بن مهدي بن
كلال بنا الحجاج بن يوسف في سنتين وكان فراغه منها في سنة ست وثمانين في
السنة التي مات فيها عبد الملك بن مروان ○ ويروى ان عمر بن عبد العزيز قال
ان الحجاج انما بنا واسط اضرارا بالمصرين يعني الكوفة والبصرة وقد اردت ان
اهدم مسجدها واخربها وارد كل قوم الى وطنهم فقال له ابو منبه يا امير المؤمنين
انهم قد تواموا فيها وولدوا وبها نشوا لا يعرفون غيرها ومسجد جماعة قد قرى فيه
القرآن ونسك ○ وذكر بعض اهل الكوفة قال سالت حازما ابا عبد الله الضبي
ان يشهد على دار اشتريتها بواسط فقال لا اشهد على شي بيع بواسط قلت
ولم ذاك قال لان الحجاج غصب عليها ○ وذكرت واسط عند ابي سفين الحميري
فقيل ليس بها فاكهة فقال لانها مشومة بناها رجل مشوم ○ وقال ابو سفين
الحميري ولي الحجاج العراق عشرين سنه قدمها سنه خمس وسبعين ومات
سنه خمس وتسعين في شهر رمضان ليلة سبع وعشرين وكانت ولايته في

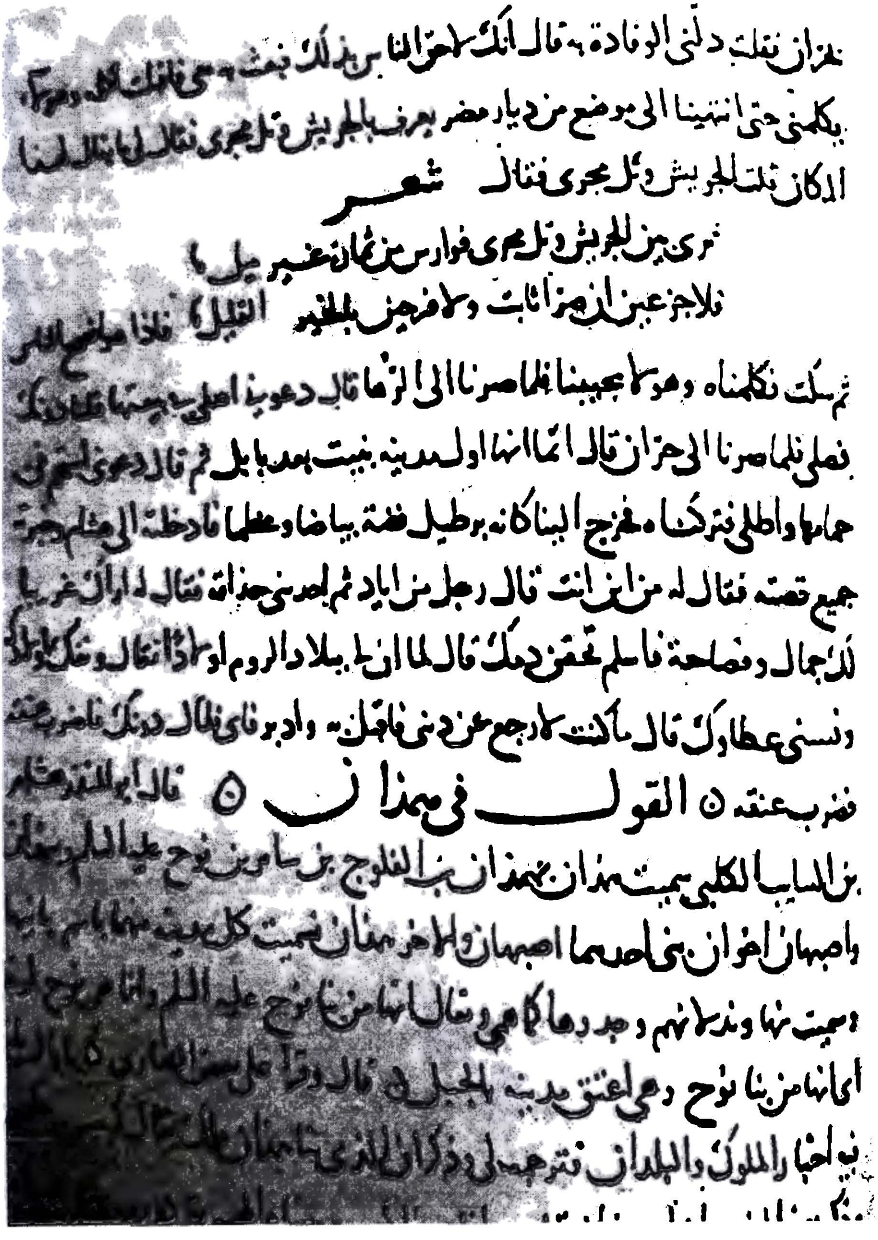
نهاية المناظرة في مجلس المأمون، والقول في واسط


[illegible] بستان وقال ابن عباس لو كان الشيطان انسيا لكان نبطيا هـ
القول في مدينة السلم بغداد هـ
وقال بعض العلما بغداذ تسمى بغداذ وبغدان وبغداذ قالوا وهي تسمى مدينة السلم ايضا
فاما الزوراء فهي مدينة المنصور خاصه وسميت مدينة السلم لان دجلة يقال لها وادي السلم
وقال موسى بن عبد الحميد النساي كنت جالسا عند عبد العزيز بن ابي رواد فاتاه رجل فقال له من
اين انت قال من بغداد قال لا تقل بغداذ فان بغ صنم وداذ عطا ولكن قل مدينة السلم
فان الله هو السلم والمداين كلها له وقالوا سميت بغداذ لان كسرى اهدى اليه خصي من
المشرق فاقطعه بغداذ وكان لقومه ذلك الخصي صنم بالمشرق يقال له البغ فقال الخصي
بغداذ يعني ذلك الصنم اعطاني ذلك الموضع ويقال ان بغداد كانت سوقا يقصدها
تجار الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا اذا
انصرفوا الى بلادهم قالوا بغ داذ اي ذلك الربح الذي ربحناه اعطاناه الملك وداذ
لفظة بالفارسية وهو العطا وقال قوم سميت مدينة السلم لانهم ارادوا [illegible]
الله لان الله هو السلم المومن وقد جرى لها هذا الاسم على ضرب الدنانير والدراهم
وما ينقش به [illegible] في الكتب ويتبايع به الناس وما ينقش [illegible]
الحنطة والشعير وما يسمى به القفيز فيقال قفيز مدينة السلم واسمها الاول [illegible]
الزوراء والزوراء المدينة [illegible] والناس يسمونها بغداذ والخلفاء يسمونها مدينة السلم
ومدينة بغداذ بناها ابو جعفر المنصور سنة خمس واربعين ومائة [illegible]
اسحق بنا ابو جعفر بغداذ سنة خمس واربعين ومائة وارتفع بناؤها [illegible]
وقال ابرهيم بن الجنيد نظر ابو جعفر بغداذ سنة تسع واربعين [illegible]

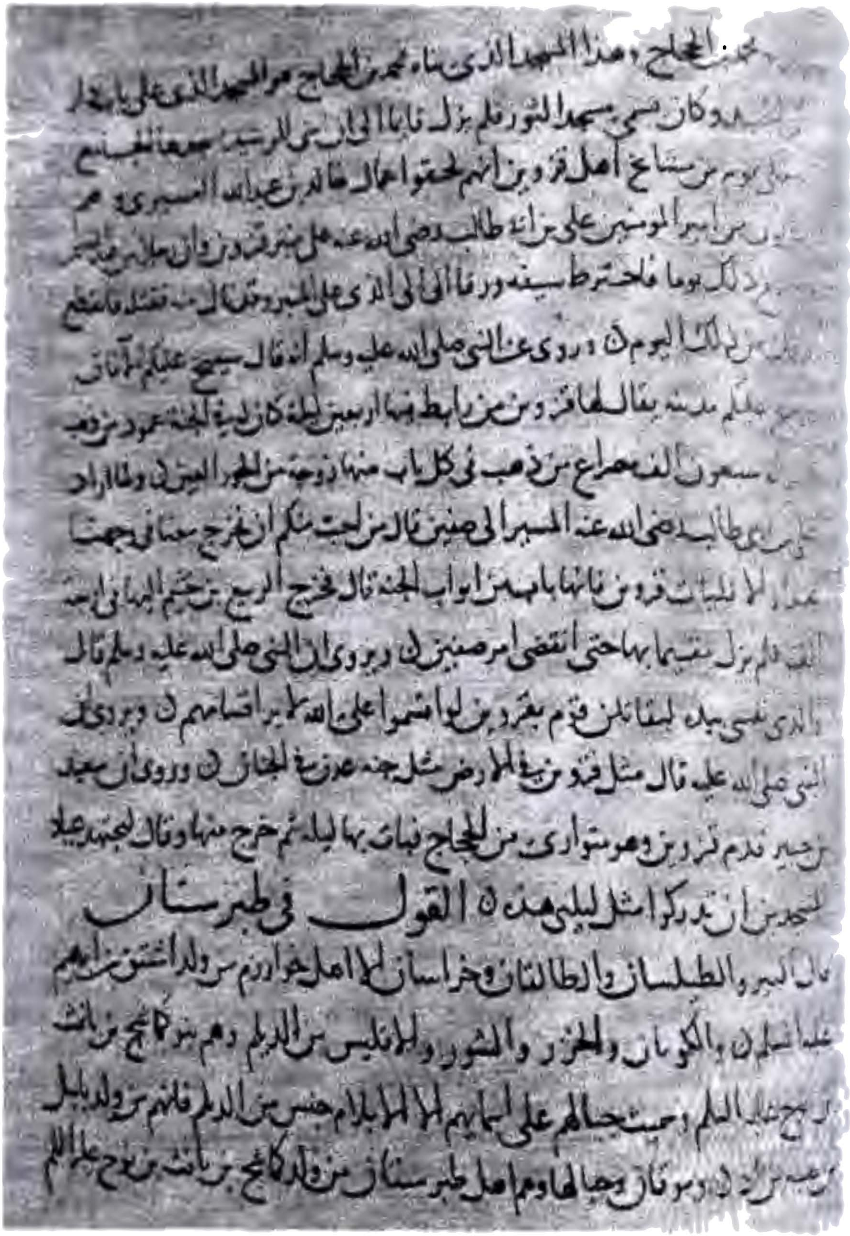
القول في مدينة السلام بغداد


القول في السواد وصفته واعلام حدوده وكوره وطساسيجه
وسبب مساحته ارضه وتقدير خراجه وطوله وعرضه
قال المدائني السواد عشر كور وهو من لدن القادسية الى اول حد الجبل دون حلوان
والسواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل مادا مع الماء الى ساحل البحر
الى بلاد عبادان من شرقي دجلة هذا طوله فاما عرضه فحده منقطع الجبل من ارض
حلوان الى منتهى طرف القادسية المتصل بارض العذيب فهذه حدود السواد وعليه
وضع الخراج وقال الاصمعي السواد سوادان فسواد البصرة الاهواز ودستميسان
وفارس وسواد الكوفة كسكر الى الزاب وحلوان الى القادسية وقال ابو معشر
الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمان الاول ويقال ان اول من سكنها
نوح عليه السلام وذلك انه نزلها بعقب الطوفان فصار هو ومن خرج معه من السفينة الى
[illegible] فاقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح وملكوا عليهم ملوكا وابتنوا
بها المداين واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات الى ان بلغوا من دجلة الى اسفل كسكر
ومن الفرات الى ما وراء الكوفة وموضعهم هو الذي يقال له السواد وكانت ملوكهم تنزل
بابل وكان الكلدانيون جنودهم فلم تزل مملكتهم قائمة الى ان قتل دارا اخر ملوكهم ثم قتل
منهم خلقا فذلوا وانقطع ملكهم وذكر ابن الكلبي ان مدينة بابل كانت اثني عشر فرسخا في
مثل ذلك وكان بابها مما يلي الكوفة وكان الفرات يجري ببابل حتى صرفه بخت نصر الى
موضعه الان مخافة ان يهدم عليه سور المدينة لانه كان يجري معه قال وسمي
[illegible] واشتق اسمها من اسم المشتري لان بابل باللسان البابلي الاول اسم
المشتري فلما استجمع بناؤها [illegible] اثنا عشر نهرا على عدد

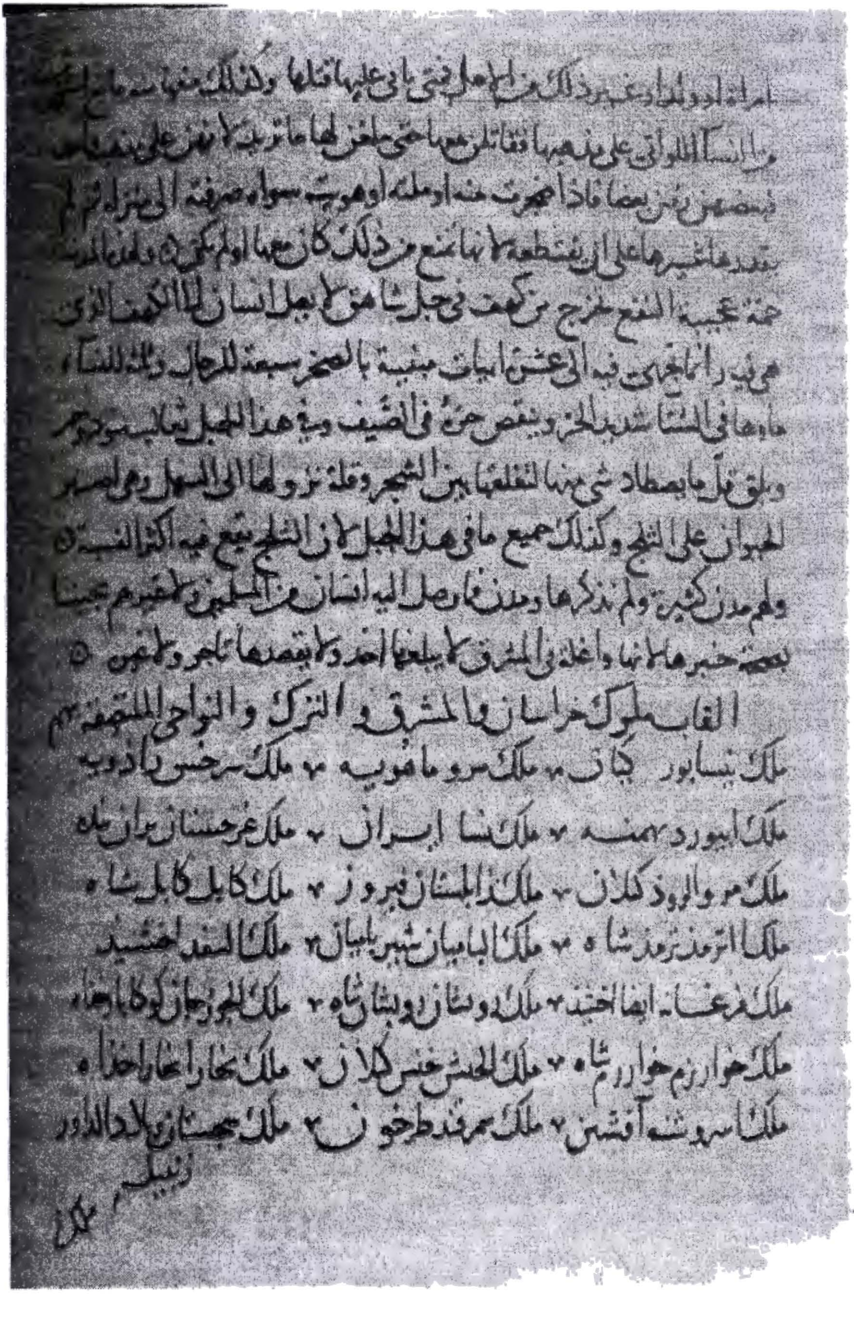
القول في السواد واعلام حدوده


حران فقلت دلني الرفادة ، قال انك لاحرى الناس بذلك فمشت [illegible]
يكلمني حتى انتهينا الى موضع من ديار مضر بين غربا الجريش وتل محرى فقال لي اما [illegible]
المكان بين الجريش وتل محرى فقال شعر
ترى بين الجريش وتل محرى فوارس من نمارة غير ميل
فلا جزعين ان نزلت نوائب ولا فرحين بالخير القليل
فاذا موضع [illegible]
ثم سكت فكلمناه وهو لا يجيبنا فلما صرنا الى الرها قال دعوني اصلي في بيعتها فتركناه
فصلى فلما صرنا الى حران قال اما انها اول مدينة بنيت بعد بابل ثم قال دعوني انظر في
حماها واصلي فتركناه فخرج الينا كانه برطيل فضة بياضا وعظما فادخلناه الى [illegible]
جميع قصته فقال له من اين انت قال رجل من اياد ثم احدثني حداثة فقال له ان فيك غربا
لذ جمال وفصاحة فاسلم تحقن دمك قال اما ان لي ببلاد الروم اولادا فقال ونحن لك اولاد
ونسيني عطاؤك قال ما كنت لارجع عن ديني فاقتلني . وادبر فاني فقال دونك فاضرب عنقه
فضرب عنقه ٥ القول في همذان ٥ قال ابو المنذر هشام
بن السائب الكلبي سميت همذان بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام وهمذان
واصبهان اخوان بنى احدهما اصبهان والاخر همذان فسميت كل مدينة منهما باسم بانيها
وسميت بها وبذلك [illegible] وجددها كما هي وقال انها من بنا نوح عليه السلام وانها من نوح [illegible]
اي انها من بنا نوح وهي اعتق مدينة بالجبل قال وقرأت على بعض الفارسي [illegible]
في اخبار الملوك والبلدان فترجمه لي ذكر ان الذي بنا همذان [illegible]

القول في همدان


محمد بن الحجاج وهذا المسجد الذي بناه محمد بن الحجاج هو المسجد الذي على باب دار
...د وكان يسمى مسجد الثور فلم يزل قائما الى ان بني الرشيد جامعا للقصبة
... من مشايخ اهل قزوين انهم حدثوا ان خالد بن عبد الله القسري وهو
... من امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه على منبر قزوين وان رجلا من العجم
... ذلك يوما فاخترط سيفه ورمى الى الذي على المنبر ... فقطع
... من ذلك اليوم. ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستفتح عليكم الآفاق
وستفتح عليكم مدينة يقال لها قزوين من رابط فيها اربعين ليلة كان له في الجنة عمود من ذهب
... سبعون الف مصراع من ذهب في كل باب منها زوجة من الحور العين. ولما اراد
علي بن ابي طالب رضي الله عنه المسير الى صفين قال من احب منكم ان يخرج معنا في وجهنا
هذا والا فليأت قزوين فانها باب من ابواب الجنة قال فخرج الربيع بن خثيم الهمداني اليها
... فلم يزل مقيما بها حتى انقضى امر صفين. ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده ليقاتلن قوم بقزوين لو اقسموا على الله لابر اقسامهم. ويروى عن
النبي صلى الله عليه قال مثل قزوين في الارض مثل جنة عدن في الجنان. ويروى ان سعيد
بن جبير قدم قزوين وهو متوار من الحجاج فبات بها ليلة ثم خرج منها وقال لمجاهد عليك
... ان تدركوا مثل ليلتي هذه. القول في طبرستان
قال الكسروي الطيلسان والطالقان وخراسان لا اهل خوارزم من ولد اشتق بن ابرهيم
عليه السلام والكومان والخزر والشرور والاتليس من الديلم وهم بنو كامخ بن يافث
بن نوح عليه السلام وجبالهم على اسمائهم الا الديلام فهم من الديلم فانهم من ولد باسل
بن ضبة بن اد ... وجبالها وهم اهل طبرستان من ولد كامخ بن يافث بن نوح عليه السلام

القول في طبرستان


[illegible]

حمة عجيبة النفع تخرج من كهف في جبل [illegible]

[illegible]

ولهم مدن كثيرة ولم نذكرها ومدن ما وصل اليه انسان من المسلمين ولا غيرهم [illegible]

بصحة خبرها لانها واغلة في المشرق لا يبلغها احد ولا يقصدها تاجر ولا غيره ٥

القاب ملوك خراسان والمشرق والترك والنواحي المتصلة بهم

ملك نيسابور كنار ∴ ملك مرو ماهويه ∴ ملك سرخس زاذويه

ملك ابيورد بهمنه ∴ ملك نسا ابراز ∴ ملك غرجستان براز بنده

ملك مرو الروذ كيلان ∴ ملك زابلستان فيروز ∴ ملك كابل كابل شاه

ملك الترمذ ترمذ شاه ∴ ملك الباميان شير باميان ∴ ملك السغد اخشيد

ملك فرغانة ايضا اخشيد ∴ ملك دوشتان دوشتان شاه ∴ ملك الجوزجان كوكانا [illegible]

ملك خوارزم خوارزم شاه ∴ ملك الختل ختل كلان ∴ ملك بخارا بخار اخذاه

ملك اشروسنه افشين ∴ ملك سمرقند طرخون ∴ ملك سجستان [illegible] زنبيل

ألقاب ملوك خُراسان والمشرق والترك

القِسمُ الثَّانِي

من المسوَّدَةِ الكُبرَى

من كِتَاب

أخْبَار البُلْدَان

لابْن الفَقِيه الهَمَذانِي

أحْمَد بن مُحَمَّد بن إسْحَاق

[١ظ] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ[١]

[مُقَدِّمَةُ النَّاسخ]

[فُصُولُ كِتَابِ أَخْبَار البُلْدان]

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِين وصلَّىٰ الله علىٰ نَبِيِّهِ محمد وآله أجْمعين الطَّاهرين. هذا بقيَّةُ القول في العِرَاق والبَصْرَة وأخبارِها وفَتحِها، والوَقْتِ الذي بُنِيَت [فيه]، وما فيها من العَجَائِبِ.

القول في الأُبُلَّةِ، والقولُ في البَطَائِح، والقولُ في واسِط، والقولُ في النَّبطِ والحُوزِ، والقولُ في بغدادَ[٢] وأَخْبَار كُورِ دِجْلَة، والقَوْلُ في سُرَّ من رَأىٰ[٣].

القَوْلُ في خَراجِ الدُّنْيَا وما كان يُحْمَلُ إلىٰ بَيْت السُّلطَان من بَلَدٍ إلىٰ بَلد. القَوْل في الأَهْوَاز وفارِس ومُدُنِـها. القَوْل في قَرْمِيسِينَ وأَخْبار شِبْديز. القَوْل في هَمَذَانَ وعَجائِبِها. القَوْل في نَهاوَنْد وأَصْبَهَان وقُم وعَجَائِبِها. القَوْل في الرَّيِّ ودُنْبَاوَنْد، وأَخْبار بِيورَاسْف. القَوْل في قَزْوِين وأَبْهَر وزَنْجانَ وطَبَرِسْتانَ. القَوْلُ في خُرَاسَانَ ومُدُنِها وأَخْبَارِها. القَوْل في التُّرْك وأَخْبارِهم وقَبَائِلِهم وشَرَائِعِهم.

---

[١] بداية نسخة المكتبة الرضوية في مشهد.

[٢] في سائر النصّ "بَغْدَاذ" بالذال المعجمة، وهي لغة من ستٍّ فيها.

[٣] في سائر النص "سُرَّمَرَىٰ".

ما جاءَ في ذَمِّ الكُوفَة

[٢و] من ذلك غَدْرُهم بأمِير المُؤْمنِين عَليٍّ عَلَيْهِ السَّلَام حَتىٰ قُتِلَ بَينَهُم، وخِذْلانهم له حتىٰ في تَجهُّم[a] غيره، وخِذلانهم الحُسَيْن بن عَلِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ بعد مُكاتبَتهِم إياهُ حتىٰ قُتِل بين ظَهْرانَيهم، وهم يَنْظُرُون، بل هم كانوا أصحَابهُ وقَتَلتَهُ، وقبل ذلك غَدْرُهُم بالحَسَن[b] ومُكاتبَتُهُم مُعَاوِيةَ ومَصِير أكْثَرِهِم إليه، وطعنهم الحُسَيْن وسَلْب مَتَاعِهِ.

[قَتْلُهُم أهْل بَيْت رَسُول الله ﷺ]

وقَتْلُ مُسْلم بن عَقِيل[1]، وإسْلامُهُم إياهُ، وغَدْرهُمْ بِزَيْد بن عليٍّ[2] - رضي الله عنهما - بعد مُبَايعَتِهِم له، وكذلك فِعْلهُم بِيَحْيَىٰ بن عُمَر[3]. وغيره من أهْل بَيْت رَسُول الله ﷺ.

---

[a] كذا في الأصل. [b] في الأصل: الحُسَيْن.

---

[1] مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، أرسله الحسين بن علي - رضي الله عنهما - إلى الكوفة ليكشف له موقف أهلها منه، وعلى إثر ذلك قتله عبيد الله بن زياد أمير الكُوفَة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرىٰ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٤، ص ٤٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.ج٢، ص ٧٧-٧٩؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلِف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب، ج٧، ص٢٣٤-٢٣٥.

[2] زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان أحد العلماء الصالحين. قتل وصلب أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق. قيل إنه توفي في صفر سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م. انظر في ترجمته: الزبيري: نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٣، دت، ص ٥١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٢٩.

[3] يحيىٰ بن عمر بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد، القائم بأمر الكوفة أيام الخليفة المستعين وقُتل بها، ولم يُعقب، وكان فاضلًا حسن القول في جميع الصحابة. عنه انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، طبعة بيروت المصورة عن طبعة دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٣م، ص ٥٨؛ السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م،ج٣، ص ١٦٨.

وقَتَلُوا المُخْتار بن [أبي] عُبَيْد[١] وقد خَرَج طَالِبًا بِدماء أهْل البَيْت. وكَثْرَة شِكَايَتِهِم للعُمال، شَكَوْا سَعْدًا بْنَ أبي وَقَّاص[٢]، فدعا عَلَيْهم أن لا يُرْضِيَهُم الله بِوَالٍ، ولا يرضىٰ والٍ عنهُم[a] وشَكَوا عمَّار بن ياسِر[b]، والمُغِيرة بن شُعْبَة[٣]، والوَلِيد بن عُقْبة[٤]،

---

[a] في المختصر: عَلَيْهم.

[b] في المختصر بزيادة: لا يعقل.

---

[١] المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ويكنىٰ أبو إسحاق، ثار علىٰ بني أمية بالكوفة، بعد أن انضم إلىٰ عَبْد الله بن الزبير. قتله مصعب بن الزبير ومن معه. و ذلك في عام ٦٧هـ/ ٦٨٧م. انظر أخباره في الواقدي: كتاب الردة، تحقيق: يحيىٰ وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م.، ص ٢١٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الأولىٰ، القاهرة ١٩٧١م، ج٦، ص٣٨- ٦٦.

[٢] سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهره، وكنيته: أبو إسحاق، وهو أوّل من رمىٰ بسهمٍ في الإسلام، أحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن سعد: الطبقات الكبرىٰ ج٣، ص ١٣٧-١٤٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص١٠٢١.

[٣] المغُيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مالك الثقفي. ولّاه عمر بن الخطاب البصرة، ثم ولاه الكوفة، ومات عمر وهو على الكوفة، فعزله عثمان بن عفان، ثم ولاه معاوية الكوفة مرة ثانية فمات بها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن سعد: المصدر السابق،ج٦، ص٢٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٤٤٥.

[٤] الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، يكنى أبو وهب، أخو عثمان بن عفان لأمه، ولاه الكوفة فابتنى بها دارًا إلى جانب المسجد، ولم يزل بها إلى أن قتل عثمان ﷺ وكان قد اعتزل الفتنة. وتوفي بالرَّقة من بلاد الشام. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٧٦.

و[سعيد][a] ابن العَاصِ[1] وأخرَجُوه من الكُوفَة. وكان [ ][b] يقول: ما أُبالي بَعد السَّبْعِين لو دَحَّيْتُ[2] صَخْرَةً قَتلت بها عَشَرة من أهْل الكُوفَة. وقال: إذا كان رأس السَّنة فلو صَعِدْت مَسْجِد الكُوفَة وألْقَيتُ بِصَخرةٍ ما خَشِيت أن أقْتُل مُؤمنا[3].

وقال عُمَر[c] [ابن الخطَّاب: أعْضَل بِي أهْل الكُوفَة؛ لا يَرضون بِأمِير، ولا يَرضَاهُم أمير، إنِ اسْتَعْمَلت][c] عَلَيْهم الضّعِيف خَوَّنوه، وإنِ اسْتَعمَلت [d]عَلَيْهم القوي فَجَّروه[d] [4].

---

[a] التكملة من المختصر. [b] بياض في الأصل.

[c-c] بياض في الأصل بمقدار نصف سطر، وتتمة العبارة من كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، ونصها: « قال عُمَر بن الخَطَّاب: أعضل بي أهْل الكُوفَة، إذا وليت الفاجر القوي فجَّروه، وإذا وليت المؤمن الضَّعيف هَجَّنوه. فقال المغيرة: المؤمن الضَّعيف له إيمانه وعليك ضعفه، والفاجر القوي لك قوته، وعليه فجوره، قال:صدقت وولاء الكُوفَة». [d-d] مطموسة في الأصل، والمثبت من محاضرات الأدباء.

---

[1] سعيد بن العاص بن أمية بن عَبْد شمس، أقيمت عربيّة القرآن على لسانه، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ تولى إمارة الكُوفَة "لعثمان بن عفان" اعتزل الفتنة بعد مقتل "عثمان بن عفان" ولم يقاتل مع معاوية. اخْتُلِف في سنة وفاته: على أقوال منها أنه توفي في سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م. ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٣٠-٣٨.

[2] الدَّح: هو الدفع وإلصاق الشيء بالأرض، وقيل هو الضرب بالكف. انظر: ابن منظور: لسان العرب بيروت، ١٩٥٥م. ج٢، ص ٤٣٣.

[3] لم أقف على هذه العبارة المنسوبة إلى سعيد بن العاص في مظانها، وأقرب ما وقفت عليه هي الرواية المسماة برواية يوم الجرعة ونصها: « بَعَثَ عُثْمَانُ ابن عَفَّانَ ﷺ يَوْمَ الْجَرَعَةِ سَعِيدَ بن الْعَاصِ إلى الكُوفَة، قال: فَخَرَجُوا إليه فَرَدُّوهُ، قال: وَكُنْتُ قَاعِدًا مَعَ ابن مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ، فقال ابن مَسْعُودٍ: ما كُنْتُ أَرَى أن يَرْجِعَ هَؤُلَاءِ وَلم يُهْرَقْ فيهَا مِحْجَمَةٌ من دَمٍ، وما عَلِمْتُ من ذلك شَيْئًا، إِلَّا شَيْئًا عَلِمْتُهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَيٌّ أن الرَّجُلَ يُصْبِحُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ، يُقَاتِلُ في الْفِتْنَةِ الْيَوْمَ، وَيَقْتُلُهُ الله غَدًا، يَنْكُسُ قَلْبُهُ وَتَعْلُوهُ اسْتُهُ، قُلْتُ: أَسْفَلَهُ. قال: بَلْ اسْتُهُ». راجع: أحمد بن حنبل: المسند، طبعة جمعية المكنز الإسلامي، برلين ١٤١٢هـ حديث رقم ٢٣٨٢٥.

[4] وردت هذه العبارة لدى الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٠٨؛ وراجع ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ع ض ل] ج١١، ص٤٥٢.

[الوَليد بن عُقْبة والكُوفيون]

وقال قوم من أهْلِ الكُوفَة للوَليدِ بن عُقبَةَ بَعْد ما عُزِلَ عنهم[a]: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا يا أبا وَهْب، فما رَأينا بعدكَ خَيْرًا منكَ. فقال: لكنِّي بِحَمْد الله لم أرَ بعدكُم شَرًّا مِنكُم، وإن بُغضَكُم لتَلف، وحُبّكُم لَكَلَف.

وقال النَّجَاشِيُّ[1] يهجُو أهْل الكُوفَة (شِعْر):

[البَسِيط]

إذا سَقَى اللهُ قومًا[b] صَوْبَ غادِيَةٍ ... فَلا سَقَى اللهُ أهْلَ الكُوفَةِ المَطَرا

التَّارِكِينَ على طُهْرٍ نِسَاءَهُمُ ... والناكحينَ بِشَطَّي[c] دِجْلَةَ البَقَرا

والسَّارِقينَ إذا ما جَنَّ لَيْلُهُمُ ... والدارِسِينَ[d] إذا ما أصْبحُوا السُّوَرَا

ألْقَى[e] العَدَاوَة والبغضاء بَيْنَهُمُ ... حتى يَكُونُوا لمنْ عَادَاهُمُ جَزَرَا[2]

---

[a] في المختصر: لما عُزِلَ عنهُم.

[b] المختصر: أرضًا.

[c] لدى ياقوت: بِشَاطِئِي دِجْلَة

[d] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، الطَّالِبِين.

[e] لدى ياقوت: ألْق.

---

[1] قيس بن عمرو بن مالك، شاعر هجَّاء مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام، هدده عمر بن الخطاب ﷺ بقطع لسانه، وضربه علي ﷺ على السُّكرِ في رمضان. توفي سنة ٤٩هـ/٦٦٩م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، القاهرة، ٢٠٠٢م. ج١، ص٣١٧.

[2] نقل ابن الفقيه هذه الأبيات عن ابن قتيبة : المصدر السابق، ج١،ص ٣١٨؛ ثم نقلها ياقوت في معجم البلدان، انظر مادة " الكوفة "ج٤، ص ٤٩٣.

[٢ظ] وقال فيهم أيضًا: [الرمل]

لَـعـنَ اللهُ وَلا يُـغْـفِـرُ لهـم ... سَاكِنِي[a] الكُوفَة من حَيَّي مُضَرْ

و اليَمانِـين فَـلا يُحْفَـلْ[b] بِـهـم ... فَهُم مِنْ شَرٍّ مَنْ فَوْقَ الغُـبْر

جَلَدُونِي[c] ثم قالـوا: قَـدَر ... قَـدَّرَ اللهُ لهـمْ[d] سُوءَ[e] القَدَر

[تَعْيير الكُوفيين والبَصْرِيين]

وكان قَوْمٌ من أهْل البَصْرَة والكُوفَة بِخُراسَان في بَعْضِ المَغَازِي، فَعَيَّر البَصرِيُّون الكُوفيين بِشُربِ السَّوِيق[١]. وعَيَّرَ الكُوفِيُّون البَصْريين بِشُربِ النَّبيذِ، فقال الشَّاعِر في ذلك (شِعْر): [الوافر]

إذا ذُكِـرَ الفُراتُ بَـكَوْا عَلَيْه ... بَـعِيدٌ ما تَـمَنَّاهُمْ سَـحِيـقِ

وَقد عَلِمُوا بِأن الحَرْب لَيْسَت ... لأصْحَابِ التَّزايِدِ والسَّوِيقِ

ضَـرَبناكُم على الإسْلامِ حتى ... أقَـمْناكُمْ على وَضَحِ الطَّرِيقِ[٢]

[a] في الأصل: شَاكِرًا.

[b] في الأصل: فلَا تجعل بِهِم.

[c] في الشعر والشعراء، ضرَبُوني.

[d] المختصر: بهم.

[e] لدى ابن قتيبة: الشعر والشعراء، شَرَّ القَدَر.

[١] نوعٌ من الخمر يُتخذ من العنب، انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٧٠.

[٢] قارن: محمد بن عبد الرحمن العبيدي، التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق: عبد الله الجبوري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٩٩م، ج٢، ص ١٤.

وقَد عَيَّرهُم أهْل الشَّام بِالسِّمن فقال شَاعِرهُم (شِعْر) : [الوَافِر]

كأنكَ بِالتَّذَابُحِ بعد سَبْعٍ بَقِينَ من المُحرَّمِ أوْ ثَمانِ
[a] تكون دماؤنا حِلقًا حلالًا [a] لأهْل الكُوفَة [الحُمرِ] [b] السِّمانِ [1]

وادَّعَىٰ النُّبوَّةَ من أهْلِ الكُوفَة جَماعَةٌ منهُم المخْتَار بن أبي عُبيد، كتب إلىٰ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ [2]: بَلَغَنِي أنَّكُم تُكَذِّبُونَني، وَلَئِن كَذَّبْتُمُونِي فَقد كُذِّبَت الأنبياءُ قَبْلِي ولَسْتُ خَيْرًا من أحَدٍ منهُم.

وقيل لابن عُمَر: إن المُخْتَار يَزْعُم أن الوَحْيَ يأتِيه، فقال: صَدَق؛ وَحْيُ الشَّيْطان، قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوحِي بَعْضِهُمْ إلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ القول غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُون﴾ [المائدة: ١١٢]. وَيُروىٰ أن المُخْتَار قال يومًا لِرَجُل دَخَل إليه وجَلَسَ علىٰ وسَادَةٍ كانت في مَجْلِسه: أتدرِي من قام علىٰ هذه الوِسَادَةِ آنِفًا؟ قال: لا، قال: جِبرِيل.

(a-a) بياض في الأصل بمقدار شطر بيت، والمثبت من البلاذري: أنساب الأشراف.

(b) في الأصل: البلد

[1] انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٠٢.

[2] اسمه الضحَّاك بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يُضرب به المثل في الحلم. ولد في البصرة وشهد فتوح خراسان، أخباره كثيرة جدًّا، وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والأدب توفي سنة ٦٧هـ/٦٨٧م، بالكوفة في إمارة ابن الزبير، وصلى عليه مصعب بن الزبير. انظر:- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٩٣-٩٧؛ الإمام مسلم: الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، المدينة المنورة،١٩٨٤م.ج١، ص١٤٦.

وكان منهُم أبو منصُور الخَنَّاق[١]، كان يَتولَّى سَبْعَةَ أُبَيْنَاء[٢] من قُرَيْش، وسَبْعَةً من بَنِي عِجْل. وكان منهُم المُغِيرةُ بن سَعِيدٍ[٣]، وسَأله رَجُل عن أمِيرِ المُـؤْمِنِين عَليٌّ عَلَيْهِ السَّلَام فقال: لَا تَـحْتَمِلُهُ، قال: بَلْ أَحْتَمِلُهُ، قال: فذُكِرَ آدمُ ومن دُونَهُ من الأنبِياء، فَلم يَذْكُر أحَدًا منهُم إلا فَضَّلَ عَلِيًّا حتىٰ انْتَهىٰ إلىٰ النَّبِي ﷺ فقال:..[a]، فَقُلْت: كَذَبْتَ، قال: قد أَخْبَرتُكَ أنَّكَ لا تَـحْتَملُ.

وحَجَّ رَاشِدٌ الهَجَرِيُّ[٤] حتىٰ أتَىٰ المَـدِينَة، وذلك في وِلَايَةِ زِياد [٣و] العِراق، فقال للحُسَين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْتَأذِن لِي علىٰ أمِير المـُؤْمنين، قال: أوليْسَ قد ماتَ؟ قال: لا، والله ما ماتَ وإنهُ لَيَتنفَّسُ تَنَفُّس حَيٍّ، ويَعْرَقُ تَحتَ الدِّثار الثَّقِيل.

---

[a] بياض في الأصل بمقدار كلمة.

---

[١] كان ممن ادعى النبوة بالكوفة، وسمي بذلك لأنه كان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال، ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي. وتنسب إليه الفرقة المنصورية "إحدى فرق الشيعة". انظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هِلموت رِيتَر، النشريات الإسلامية الصادرة عن المعهد الألماني، بيروت رقم ١، ١٩٦٨م. ص ١٨٣.

[٢] أُبَيْنَاء من تبناه، أي اتخذه ابنًا. انظر: لسان العرب، ج١٤، ص٩١.

[٣] المغيرة بن سعيد الكوفي دجال رافضي كذاب ادعى النبوة، وزعم أنه يحيي الموتى بالاسم الأعظم، وأن الأرض تنشق عن الموتى فيرجعون إلى الدنيا. قتله خالد بن عبد الله القسري حرقا بالنار سنة ١١٩هـ/٧٣٧م. راجع: الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، ١٩٩٧م.ج٨، ص ٧١-٧٢.

[٤] راشد الهجري كان من مدعي النبوة، وممن زعم حياة علي بن أبي طالب ﷺ بعد وفاته، قتله والي الكوفة زياد بن أبيه وصلبه على باب داره، وذلك بعد سنة ٥٠هـ/٦٧١م. والخبر نقله ابن عساكر عن المدائني: راجع: تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٢٠٠.

فقال له الحُسَين: كَذَبْتَ يا عَدُوَّ الله، واتَّصلَ الخَبَر بِزِياد فَقَتَلهُ وصَلَبَهُ علىٰ بَاب دَارِهِ[١]. وكانت فيهِم هِنْد الأَفَّاكَةُ[a]، وقال أَصْغَر بن حَسَّان المَازِنِي، مازِن مَذْحَج[٢]،
٣ وقَدِمَ الكُوفَة يَلْتَمِس الإحْسَان من أَهْلها، فَلم يَفْعَلوُا بِه جَمِيلًا وقالوا: أَقِمْ حتىٰ يَقْفُل الجَيْش من جُرجَان، فَلم يُقِمْ ورَحَلَ عنهُم وقال (شِعْر): [الطَّويل]

رَحلْتُ إلىٰ قَـوْمٍ أُأَمِّلُ رِفْدَهُـمْ ... وَما سَـائِلُ الكُوفي إلا مُقَاتِلُهْ
لصُـوصٌ إذا مارَسْتَهُمْ في بُيُوتِهم ... مُنِيتَ بِخَصْم لا تَزالُ تُـجَـادِلُهْ
وقالوا تَـرَبَّـصْ أوبَةَ الجَيْشِ إنهُ ... بِجُرْجَانَ لم تُحْبَسْ عَلَيْك مَجَاهِلهْ
وإن عَطَاءٌ دُونَهُ ما زَعَمْتُمْ علىٰ ... سَائِل الأعْرَابِ قد رَاثَ آجِلُـهْ
فَأدْنَيْتُ حُرْجُوجًا كأن سَنَامَهَا ... من الإبل [b]...............[b]
وَرُحْتُ كَما راحَ النَّجاشيُّ منهُم ... خَفيفًا من النَّقْدِ الجِيادِ رَوَاحِلُهْ
فَـوَيْلُ أمِّـها من قَرْيةٍ غَيْرَ أنـهـا ... قَلِيلٌ بِها مُعْطِي الجَزِيلِ وفاعِلُهْ

وفيهِم يَقُولُ شَاعِر من بَني عَمْرو بن عَامِر (شِعْر): [البَسِيط]

---

[a] في المختصر: وكانت منهم هندة الأفَّاكة.
[b-b] بياض في الأصل.

---

[١] لم يشر ابن الفقيه إلى المصدر الذي نقل عنه هذا الخبر؛ وقد أورده ابن حبان: عن الشعبي في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، بتحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٩٧٦م، ج١، ص٢٩٨.
[٢] ينسب قائل هذه الأبيات إلى بني مازن مذحج، وهم فرع من قبيلة بني تميم العربية، ومنهم بعض أشراف الكوفة، وقد أتى أهل الكوفة يطلب إحسانهم فلم ينل منهُم شيئًا، فقال فيهم هذه الأبيات. راجع: الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م. ج١، ص٣٢٧.

يا أيُّها الرَّاكِبُ الغَـادِي لِطِيبَـةٍ   يَؤُمُّ بِالقَوْمِ أهْلَ البَلْـدَةِ الحـرُمِ
أبْلِغْ قَبائِلَ عَمْرٍو إن لَقِيتَـهُمُ لَوْ   كُنْتَ من دَارِهِمْ يَومًا على أمَـمِ
إنَّا وَجَدْنَـا فَـقِـرُّوا في بِلادِكُمُ   أهْلَ الكُنَاسَةِ أهْلَ اللُّؤْمِ والعَدَمِ
أرْضٌ تَغَيَّرَ أحْسَابُ الرِّجَالِ بِهَا   كما رسمَتْ بَيَاضَ الرَّيْطِ[1] بِـالحُمَمِ

وخَرَجَ جَيْشٌ من أهْلِ الكُوفَةِ إلى حُبَيْشِ بن دُلْـجَةَ[2] بالرَّبَذَةِ[3] فخافوا ورَجعوا، وَخَرَجَ جيش من أهْلِ البَصْرَة فقَتَلُوه، فقال الشَّاعِرُ[4] في ذلك (شِعْر): [٣ظ]

٢ [الطَّوِيل]

ألَسْنَا بِأصْحَابِ ابن دُلْجَةَ إذْ عَمَّىٰ   هُنَالِكَ خَيْلًا كَالسَّراحِينِ ضُمَّرَا
تَعَادَىٰ بفرسَانٍ إذا حَمَسَ الوَغَىٰ   أحَلُّوا الحَرَام واسْتَبَاحُوا المُنكَرَا

---

[1] الرَّيْطةُ: الملاءَة إذا كانت قطعة واحدة، وكل ثوب لين دقيق، ولا تكون الرَّيْطةُ إلا بيضاء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٠٧.

[2] حبيش بن دُلجة القيني. من أهل الأردن، ولاه عبد الملك بن مروان المدينة وعبد الله بن الزبير بمكة، وذلك عام الحصار الأول، فالتقى هو والحنتف بن السِّجف بالربذة فقتله وفض جيشه عام ٦٥هـ/٦٨٥م. عن هذه الأحداث انظر: خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٢٦١. وراجع أحداث عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م، في الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١١، ٦١٢.

[3] الربذة: من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٤.

[4] الأبيات للشاعر "عمرو بن حنظلة التميمي"، وقد اختار ابن الفقيه هذه الأربعة منها، والأبيات بتمامها في: ابن الجرَّاح: من اسمه عمرو من الشعراء، تحقيق: عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١١م، ص ١٦٦.

فَلاقَتْهُمُ خَيْلٌ لَنَا فَارِسِيَّةٌ   أساوِرَةٌ تَدْعُوا يَزِيدَ المُسَوَّرا[a]
فَلما التَقَوْا وَلَّى المُشَامُونَ هُرَّبَاً   عِزِينَ[b] وأجْلَوْا عن حُبيشٍ مُقَطَّرَا

ويُروىٰ عن مُجَاهِد[١] قال: لما أوْحَىٰ الله عزَّ وجلَّ إلىٰ الأرض أيام نُوحٍ فقال: ﴿يا أرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ﴾، كانت أرض الكُوفَة آخِرَها ابْتِلاعَاً، وأشَدَّهَا تَقعُّسًا، فمن هُنَاكَ سَائِر الأرض تُكْرَبُ[٢] علىٰ حِمارَيْنِ وثَوْرَيْنِ وأرْض الكُوفَة علىٰ سِتَّة. وقال إبراهيم التَّيمِي[٣]: لما أمِرتُ الأرض أن تُغِيضَ الماءَ غَاضَ إلا أرْضَ الكُوفَة فَلُعِنَت، فسَائِرُ الأرضِ تُكْرَب[c] علىٰ ثوْرين وأرضُ الكُوفَةِ علىٰ أربَعةٍ[٤].

وقالتْ أُمُّ العَلاء الأَوْدِيَّة: مَرُّوا بِزَيْد بن عِلِي في سُوق كِنْدَة عَلىٰ حِمارٍ قد خُولِفَ بوَجْهِهِ، فقَامُوا إليه يَبْكُون فَأقْبَل عَلَيْهم وقال: يا شِرار خَلْق الله أسْلَمْتُمُونِي لِلقَتْلِ ثم جِئتُمُونِي تَبْكُونَا!.

---

[a] في الأصل: المسَوَّدا.   [b] في الأصل: عزيز. والتصويب من: من اسمه عمرو من الشعراء.
[c] في الأصل: من تُكرب، والتصويب من السيوطي: الدر المنثور.

---

[١] مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. من كبار التابعين ثقة إمام في التفسير والعلم، توفي سنة ١٠٢هـ/٧٢١م، عن٨٣ سنة. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند،ج٧، ص٤١١.

[٢] أي تقلَّب للحرث، وتثار للزرع. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٧١٥.

[٣] إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي من فقهاء التابعين وعبادهم. توفي في حبس الحجاج سنة ٩٤هـ/٧١٣م. راجع: الشيرازي: طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت،١٩٧٠م. ص ٨١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ص٦٠-٦١.

[٤] أورد السيوطي: هذه الرواية في كتابه: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وعزاها إلى "أبي الشيخ" عن إبراهيم التيمي. طبعة دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٤،ص ٤٣٦.

[أقوال علي بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ]

وقَال عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ لأهْل الكُوفَة: اللَّهم كما نَصَحْتُهم فَغَشُّوني وائتَمنْتُهم فَخَانُوني فَسلِّط عَلَيْهم فتىٰ ثَقِيف الذَّيَّال المَيَّال يَأكُل[a] خَضِرَتَهَا وَيَلْبَسُ فَرْوَتَهَا، وَيَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِ الجَاهِلِيَّة. وقَال عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ لأهْل الكُوفَة: اللَّهم كما نَصَحْتُهم فَغَشُّوني وائتَمنْتُهم فَخَانُوني فَسلِّط عَلَيْهم فَتىٰ ثَقِيف الذَّيَّال المَيَّال يَأكُل[a] خَضِرَتَهَا وَيَلْبَسُ فَرْوَتَهَا، وَيَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِ الجَاهِلِيَّة.

وقَال أبوُ عَبْد الله القُشَيري[1]: قَامَ أهْل الكُوفَة إلىٰ عليٍّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ فقَالوا: العَطَاء يا أمير المؤمنين، فقَال: ما لهم، ميَّتَ الله قُلُوبَهم كما يُمَاتُ المِلح في الماء[2]، أتطلُقُوني وِلاَدَةً من غَيْرِ زَوج؟ أما والله لو تجْتَمِعون علىٰ حَقِّكُم كما تَـجْتَمِعونَ علىٰ باطِلِكُم ما غَلَّ أموَالَكم حَلْبُ شَاةٍ، اللَّهم قَدْ كَرِهْتُهم وكَرِهُوني فأرِحْهُم منِّي وأرِحْني منهُم. قال:

[a] في الأصل: يأكلها، والتصويب من المسعودي مروج الذهب.

[1] محمد بن رافع بن أبي زيد أبو عبد الله القشيري الإمام الحافظ الحجة القدوة، مولاهم، النَّيسابوري المعروف بـ"سابور". توفي سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. عنه راجع: البخاري: التاريخ الكبير ج١ص ٨١-٨٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج،١٢ص ٢١٤- ٢١٦.

[2] أورد الفسوي هذا الخبر وعزاه إلى عبد الرحمن بن قيس الكوفي الذي قال: «رَأيتُ عليًّا بن أبي طالب أخَذ المُصْحَفَ فَوضَعَهُ عَلَى رَأسِهِ حَتَّى لَأرَى وَرَقَهُ يَتَقَعْقَعُ ثُمَّ قال: اللَّهمّ إنَّهُمْ مَنَعُونِي أنْ أقُومَ فِي الأُمَّةِ بِمَا فِيهِ فَأعْطِنِي ثَوَابَ ما فيه، ثُمَّ قال: اللَّهمّ إنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَأبْغَضْتُهُمْ وَأبْغَضُونِي، وَحَمَلُونِي عَلَى غَيْرِ طَبِيعَتِي وَخُلُقِي وَأخْلَاقٍ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لِي، فَأبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا منهُم وَأبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اللَّهمّ أمِتْ قُلُوبَهُمْ مَيْتَ المِلْحِ فِي المَاءِ. قال إبْرَاهِيمُ: يَعْنِي أهْل الكُوفَة». انظر: المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨١م، ج٢، ص ٧٥١.

فأصِيب في ذلك العَام. وقَدِمَ رَجُلٌ من أهْل المَدِينة يُكنَى أبَا مَرْيَم الكُوفَة، فَلَقِيهُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا أبَا مَريم، ما أقْدَمَكَ هذه البِلاد؟ فقال: ما كَانَتْ لِي حَاجَةٌ ولكِن عَهدِي بِكَ وأنْتَ تَقُول: لو وُلِّيتُ هذا الأمر فَعَلْتُ وفَعَلْتُ. قال: قُلنا عن العَهْد الذي عَهِدتُ ولكني بُلِيتُ بأخْبَث قَومٍ في الأرض، ما دَعَوْتُهم قط إلى حَقٍّ فأجَابُونِي [٤و] إليه، ولا يَدْعُونِي إلى أمْرٍ فأجِيبهُم إلا اختَلَفُوا. وقال حُذام الأسَدِي[a][1]: قَدِمتُ الكُوفَة وقد انْصَرفَ عليُّ بن الحُسَيْن من كَربِلاء، فَرأيتُ نِساء أهْل الكُوفَة يَلْتَدِمْنَ مُهتَّكاتِ[b] الجيُوب فَسِمعتُ عليًّا بن الحُسَيْن يَقولُ [c]بِصوت صبي وقد أنهكته العلة[c]: ألا إنَّ هؤلاء قَتَلُونَا.

[كَلام زَيْنَب بِنْت عَلِيّ]

وَرأيْتُ زَيْنبَ بِنت عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقد أوْمَأتْ إلى النَّاس أنْ أنصِتُوا فَارتَدَّتِ الأنفْاس وسَكَنَت الأجْراس، ثم قَالتْ: الحَمدُ لله، والصَّلاةُ على نَبِيِّه. أمَّا بعد، يا أهْل الكُوفَة يا أهْل الخَتْرَة[d] والخَذْل، فلا رقأتِ العَبرةُ ولا هَدأتِ الرَّنَّة، فإنما مِثْلكُم كالتي نقَضَتْ غَزلَهَا من بعد قُوَّةٍ أنكَاثًا، تَتخِذُون أيمانكم دَخَلاً بَيْنكُم، ألا وهْل

---

[a] في الأصل: جرير بن سبير، والتصويب من ابن طيفور: بلاغات النساء.

[b] في الأصل: متهكات، والتصويب من ابن طيفور: بلاغات النساء.

[c-c] لدى ابن طيفور: بصوت ضئيل وقد نحل من المرض. [d] لدى ابن طيفور: الختر.

---

[1] حُذام بن مرداس الأسدي. ذكره ابن طيفور: بلاغات النساء، القاهرة ١٩٠٨م، ج١، ص ٢٧-٢٨؛ وله بعض الأشعار في باب [من اسمه مرداس] في المرزُباني: معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٠٧.

فِيكُم إلا الصَّلَفُ والطَّنَفُ[١] والصَّدفُ والشَّنَفُ، ألا ساء ما قَدَّمت لكم أنفُسُكم أن سَخِطَ اللهُ عَلَيكُم وفِي العَذَاب أنْتُم خَالِدونَ، أتبكون؟! إي والله فَابكُوا كثيرًا واضْحَكُوا قليلًا فَلقَد فُزْتُم بِعَارِهَا وشَنَارِهَا ولن[a] ترحموا بَعدها أبدًا، وأنَّى تُرحَمون[b] بعد قَتْل سَليل خَاتم الرِّسَالة وسَيد شَبِيبَة أهْل الجنة[c] وملاذ حيرتكم ومُفرِغ[٢] نَازِلَتكُم[c]؟!، ألا سَاء ما تَزِرُون، تَعْسًا ونكْسًا فَلقَد خَابَ السَّعْي وتَبَّتِ الأيدِي وخَسِرتِ الصَّفْقَة، وبُؤْتُم بِغَضبٍ من الله وضُرِبَتْ عليكُم الذِّلَّةُ والمَسْكنَةُ.

ويْلكُم أتَدْرون أيَّ كَبِد لمُحمَدٍ ﷺ فرَيْتُم[d]، وأيَّ دَمٍ له سَفَكتُم وأيَّ حُرمَةٍ له أضَعْتُم، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٩-٩٠]. ولقد أتَيْتُم بها خَرقَاء شَوهَاء طِلاع الأرض والسَّماء، أفَعَجِبتُم أن قَطَرت السَّماء دَمًا؟! فَلَعَذاب الآخِرة أخْزَىٰ وهُم لا يُنْصَرُون، فلا يَسْتخِفنَّكُم المَهَل فإنه لا [تحفزه المبادرة][e]، لا يُخَافُ [عَلَيْه][f] فَوتُ الثَّأر، كلَّا إن رَبَّك [لنا ولهم][g] لَبِالمِرصَاد. [ثم وَلَّت عَنهُم][g]، قال: فَرأيْتُ النَّاس حَيارىٰ وَلَهَىٰ قد ردُّوا أيديَهم في أفْوَاهِهم[٣].

[a] الأصل: أن

[b] لدى ابن طيفور: بلاغات النساء: تُرحضون.

[c-c] ابن طيفور بزيادة: ومنار مَحجَّتكم، و مِدْرَه حجَّتكم، ومفرخ نازلتكم.

[d] في الأصل: فرثتم.

[e] ساقطة من الأصل: والتكملة من ابن طيفور

[f] ساقطة من الأصل: والمثبت من ابن طيفور.

[g] ساقطة من الأصل: والتكملة من ابن طيفور.

[١] الطنَفُ: التُّهمةُ. ورجل مطنف أي متهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٢٢٤.

[٢] أي مُذهِب الفزع عن قلوبهم عند النوازل. انظر: المصدر السابق، ج٨، ص٤٤٥.

[٣] راجع: نص خطبة السيدة زينب لدى ابن طيفور: بلاغات النساء، ص٢٧-٢٨.

ودخل اليَقظَانُ بن ظَهير على عَائِشة فقالت له: مِن أنتَ؟ قال: من أهْل الكُوفَة، فقالت: وددْتُ أنَّ اللهَ سَلَّطَ على أهْل الكُوفَة عَذابًا مِثل عَذاب يَوْم الظُّلَّةِ.

ولما قُتِل مُصْعَب بن الزُّبيرِ[1] وكانت امرأته سُكَيْنَةُ بِنْت الحُسَيْن، أرادت الرَّحِيل إلى المَدينةِ وكَانت بالكُوفَة، فقال لها أهْل الكُوفَة: أحْسَنَ اللهُ صَحَابَتَك [٤٤ظ] يا بِنتَ رسُول الله، وفعَل بكِ وفَعلَ. فقالت: يا أهْل الكُوفَة لا أحْسَنَ اللهُ صَحابتَكُم فلقد قَتَلْتُم جَدِّي عليًّا وعَمِّي الحَسن وأبي الحُسَيْن وبَعْلِي مُصْعَبًا، فأيْتَمْتُمُوني صَغِيرة وآيَّمتُموني كَبيرة، فلا أحْسَنَ اللهُ عليكُم الخِلافة ولا رفَع[a] عنكُم السُّوء.

وقال عُمَر: أعْضَاني أهْل الكُوفَة ما يَرْضَون بِأمير ولا يَرْضَاهُم، ولا يَصْلُحون لأمِيرٍ ولا يَصْلُح لهم. ويُروى أنَّ عُمَر بنَ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَلَغهُ عن أهْل الكُوفَة خَصْبٌ وقيل له[b]: ما تقول في الضَّبِّ والنُّونِ يَجتمِعان في سَفود فقال: إنَّكم لتَنعِتون أرْضًا بَريَّة بَحرية. وأعْجَبهُ ذلك فقال: ما أرَاني إلا سآتِيهم فآمُرهُم بِمَعرُوفٍ[2]. فكَتبَ إليه كَعْب[3]: يا أميرَ المؤمِنين، لا تَعْجَل، فإنَّه بَلَغني أنَّ بِها الدَّاء العُضَال وبِها تِسْعَة أعْشَار الشَّر، وبَلغني أنَّهُ كان كُل شيءٍ يتكلَّم اجْتمع ثَمانيةُ أشياء في وادٍ:

---

[a] في المختصر: دفع. [b] في الأصل: قيل لهم، والتصويب من المختصر.

---

[1] مصعب بن الزبير بن العوام، كنيته أبو عبد الله. قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ/٨٨٤م. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٨٢-١٨٣؛ أبو عبد الله الزبيري: نسب قريش، ص٢٤٩.

[2] راجع قول عمر بن الخطاب فيما تقدم ص١٠١.

[3] كعب بن ماتع الحميري، كنيته أبو إسحاق ويعرف بكعب الأحبار، أسلم في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي بحمص سنة ٣٢هـ/٦٥٣م. راجع في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٤٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٦، ص ٤٧١-٤٧٢.

الإيمانُ والحَيَاءُ والهِجرةُ والموتُ والشَّقاءُ والصِّحةُ والغِنَى والتُّقى [a] . فقال بَعْضُهم لِبَعْضٍ: تَعالوا نتفرقْ في الأرْض، فقال الإيمانُ: أنا ألْـحَقُ بِأرض اليَمَن، فقال الحياءُ: أنا معك، قالت الهجرةُ: أنا ألْـحَقُ بِأرض الشَّام، قال الموتُ: وأنا مَعكَ، فقال الغِنى: أنا ألْـحَقُ بِأرْضِ العِراق. قال التُّقى: أنا معك، قالت الصِّحة: ما تَركْتُم لِي شيئًا من البِلاد إلا وقد أخَذتُموه فأنا ألْـحَقُ بالبَريَّة، قال الشَّقاءُ: وأنا مَعكِ[١] .

[عُـيـون الكُـوفَـة]

وقالوا: السَّدِير[٢] ما بين نَهْر الحِيرةِ إلى النَّجف إلى كَسْكَرَ من هذا الجانب، وعُيون الطَّف منها مثل عَيْن الصَّيْد والقُطْقُطانَة[b] والرُّهَيْمةِ وعَيْن جَمل وذَواتها، و[هي][c] عُيُون كانت للمُوكَّلينَ بِالمَسالِح الَّتي وراء خَنْدق سَابُور الَّذي حَفرَهُ بَينَهُ

[a] في المختصر: العي.

[b] في الأصل: القطقطانية، والتصويب من : فتوح البلدان.

[c] ساقطة من الأصل: والتكملة من البلاذري.

[١] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر: في "معجم البلدان" وهذا نصه: « وهبطت ملائكة الخير والشر، وملائكة الحياء والإيمان، وملائكة الصحة والشقاء وملائكة الغنى وملائكة الشرف وملائكة المروءة، وملائكة الجفاء وملائكة الجهل، وملائكة السيف وملائكة البأس، حتى انتهوا إلى العراق، فقال بَعْضُهم لبَعْضٍ: افترقوا، فقال ملك الإيمان: أنا أسكن المدينة ومكة. فقال ملك الحياء: وأنا معك. فاجتمعت الأمة على أن الإيمان والحياء ببلد رسول الله ﷺ . وقال ملك الشقاء: أنا أسكن البادية. فقال ملك الصحة: وأنا معك، فاجتمعت الأمة على أن الشقاء والصحة في الأعراب. وقال ملك الجفاء: أنا أسكن المغرب. فقال ملك الجهل: وأنا معك، فاجتمعت الأمة على أن الجفاء والجهل في البربر. وقال ملك السيف: أنا أسكن الشام. فقال ملك البأس: وأنا معك. وقال ملك الغنى: أنا أقيم ههنا. فقال ملك المروءة: وأنا معك، وقال ملك الشرف: وأنا معكما. فاجتمع ملك الغنى والمروءة والشرف بالعراق. قلت: هذا خبر نقلتهُ على ما وجدته، والله المستعان عَلَيْه». ج١،ص ٣١٠.

[٢] انظر مختصر الكتاب: ص١٨٧ .

وبين العرب وغيرهم، وذلك أنَّ سَابُور أقْطَعهُم أرضًا، فَاعْتَملوُها من غير أنْ يُلزِمهُم خَراجًا، فلَّما كان يوم ذي قَار ونَصرَ اللهُ العَرب بِنَبِيه ﷺ غَلَبت العَرب علىٰ طَائِفةٍ من تِلْك العُيون وبَقي بَعْضُها في أيْدِي الأعَاجم، ثُم لما قَدِم المسلمون الحِيرةَ وهَربتِ الأعَاجم بعد أنْ طَمَّتْ[a] عَامة ما كان في أيْدِيها مِنها وبَقِي الَّذِي في أيْدِي العرب، فأسْلَمُوا عَلَيْه وصَار ما عَمَروه من الأرضِ[٥و] عُشرًا[١].

ولما مضىٰ أمر[b] القَادِسِية والمدَائِن دَفع ما جَلا عَنه الأعَاجِمُ من أرْض تِلكَ العُيُون إلىٰ المُسلِمين وأقْطَعُوه فصَارَت عُشرِيَّة أيضًا، وكان مجْرَىٰ عُيون الطَّف وأرْضُها مجْرىٰ أعْرَاض المدينة وقُرىٰ نَجْد وكَانتْ صَدقَتها إلىٰ عُـمَّال المدينة.

فلَّما ولي إِسْحَاقُ بنُ إبْرَاهِيم بن مُصْعَبٍ[٢] السَّواد للمُتَوكِّل ضَمَّها إلىٰ ما في يَدِه، فَتولَّىٰ عُماله عُشرهَا وصَيَّرها سَوَادِيَّة فهي علىٰ ذَلِك إلىٰ اليَوم.

---

[a] في الأصل: بعد أن طنت. والتصويب من البلاذري.

[b] في الأصل: انتقضى من. والتصويب من البلاذري.

---

[١] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من البلاذري: فتوح البلدان، بتصرف طفيف دون إشارة لمصدره، بل إنه استخدم نفس عبارة البلاذري عند استفتاحه للرواية بـ « قالوا: السدير ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسر من هذا الجانب وعيون الطف منها مثل عين الصيد...». انظر: فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت،١٩٨٧م. ص٤١٩.

[٢] إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، أمير بغداد، وليها ما يقرب من ثلاثين عامًا، وعلى يده امتحن العلماء بأمر الخليفة المأمون في خلق القرآن. توفي سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،٢٠٠٠م، ج ٨، ص ٢٥٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١١، ص ١٧١.

وقد اسْتُخرِجَتْ فِيها اليَوم عُيونٌ إسْلاميَّة تَجري ما عُمِّر بها[a] من الأرَضِين هذا المَجْرىٰ[1].

٣ وسألْتُ بَعْضِ المَشايخ عن عَيْن جَملٍ لِمَا سُمِّيت بِهذا الإسْم، فَذَكر أنَّ جَملاً مات عِندَها فَنُسبت[b] العَيْن إليه، وذكر بَعْض أهْل وَاسِط أنَّ الـمُسْتَخرِج لهذه العَيْن يُسَمَّي جَمَلًا. قال: وسُمِّيت عَيْن الصَّيد لأنَّ السَّمك كان كثيرًا جدًّا فيُصْطَاد،

٦ فَسُمِّيت بهذا الاسمِ[2].

وكانت عَيْنُ الرَّحْبَة[c] مما طَمَّتْها وغَوَّرَتْها الأعَاجِم، فيُقَال إنَّ رجُلًا من[حُجَّاجِ][d] أهْل كِرْمَان اجتَاز بِها،[3] وهو يُرِيد الحَجَّ، فَنَظر إليْها وكان بَصيرًا بِاستِنْبَاط المياه،

---

[a] في الأصل: ما عَمَّرتها، والتصويب من ياقوت: معجم البلدان.

[b] في الأصل: فنسب، التصويب من البلاذري، فتوح البلدان.

[c] في الأصل: الرحمة، والتصويب من المختصر.

[d] التتمة من البلاذري.

---

[1] أصل العبارة عند البلاذري، فيما يخص عين الجمل: « وقد استخرج عيون إسلامية فجرى ما سقت عيونها من الأرضين هذا المجرى » ص ٤١٩.

[2] نقل ابن الفقيه هذه العبارة من فتوح البلدان للبلاذري بتصرف ولم يُشِر، ونصها كالتالي: « وأخبرني بعض الكريزيين [المجربين الحذَّاق]: أن عين الصيد كانت مما طم، فبينما رجل منَ المسلمين تحول فيما هناك إذ ساخت قوائم فرسه فيها، فنزل عنه فحفر، فظهر له الماء فجمع قومًا عاونوه على كشف التراب والطين عنها وتنقيتها حتى عادت إلى ما كانت عليه، ثم إنها صارت بعد إلى عيسى بن علي، وكان عيسى ابتاعها من ولد حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكانت عنده منهُم أم كلثوم بنت حسن بن حسن، وكان معاوية أقطع الحسن بن علي عين صيد هذه عوضًا من الخلافة مع غيرها... ». قارن: المصدر السابق، ص ٤٢٠.

[3] راجع مختصر كتاب البلدان، ص١٨٧.

فلما قضىٰ حَجَّهُ ورَجع إلىٰ عِيسىٰ بن موسَىٰ[١] فَدلَّهُ عَلَيْها وقال: أنا أسْتَنْبِطُها لكَ، فكَاتَب السُّلْطَان في أنْ يُقْطِعَهُ إيَّاها وأرْضَها فَفعَل. واسْتَخْرَجهَا لَهُ الكِرمَانِّي فاعتَمل ما عَلَيْها من الأرْض وغَرسَ النَّخْل الذي في طَريق العُذَيْب[٢].

وعلىٰ فَراسِخ من هِيتَ عُيُون تدعىٰ العِزْق[a] [٣] تَجْري هذا المَجْرىٰ، وأعْشَارُها إلىٰ صَاحِب هِيتَ[٤].

---

[a] في الأصل: الغرق، والتصويب من البلاذري، فتوح البلدان.

---

[١] عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، استعمله السفاح على الكوفة، ووزر لأبي جعفر المنصور. توفي ١٦٨هـ/٧٨٥م. للمزيد راجع: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١١-٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص٥١٦.

[٢] العُذيب: ماء يقع بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص٩٢.

[٣] نسبة إلى عِزْقَيّ البصرة: وهما عِزْقُ ناهِق وعِزْقُ ثادق. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٧.

[٤] قارن البلازي: فتوح البلدان، ص٤٢٠.

القـول في البَصْرَة

قَال أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى[1]: سُمِّيتِ البَصْرَة لأنَّه كان فيها حِجَارة رَخْوة، والبَصْرَة الحِجَارة الرَّخْوَة تَضرِبُ إلى البيَاض، وقَال ذو الرُّمَّةِ[2]، وذكر حَوْضًا:

جَوَانِبه من بَصْرةٍ وسَلاَمِ[a].

وقالوا سُمِّيتِ البَصْرَة لأنَّه كان فيها حِجَارةٌ سُود بَصْرة، وقَال مُحَمَّد بن شُرَحْبِيل ابن حَسَنَة[3]: إنَّما سُمِّيتِ البَصْرَة لأنَّ فيها حِجَارةً سُودًا صُلْبَة وهِي البَصْرَة.

---

[a] استشهد ابن الفقيه بقول ذي الرُّمة، والبيت بتمامه في ياقوت:

تداعين باسم الشِّيب في متثلّم .... جوانبه من بصرة وسلام

---

[1] أبو عبيدة معمر بن المثنى، اللغوي النحوي الأخباري المشهور، من تيم قريش، كان يرى رأي الخوارج.و كان شعوبيًّا يطعن في الأنساب، توفي سنة ٢٠٩هـ، وقيل ٢١١هـ/٨٢٦-٨٢٧م. راجع في ترجمته: ابن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٥٤٣؛ النديم: الفهرست، ج١،ص١٤٩-١٥٢.

[2] غيلان بن عقبة بن بهيش من بني عدي ، ويقال نهيش، الشاعر المشهور، كان ينشد شعره في سوق الإبل، وقيل إن الفرزدق وقف على شعره واستحسنه. توفي ١١٧هـ/٧٣٥م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي:طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م،ج٢، ص ٥٥٧-٥٦٩.

[3] محمد بن شرحبيل ابن حسنة الكندي، من التابعين، ثقة، يروي عن أبيه وعن أبي هريرة، ترجمته في ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة بيروت ج٥، ص٩٠، وراجع الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٢٩٥.

قال خُفاف ابن نُدْبَة[١] (شِعْر) :

[البسيط]

إنْ تَكُ جُلمودَ بُصْرٍ لا أُوَبِّسُهُ   أوقِد عَلَيْه فأضْرِمْه[a] فَيَنْصَدِع ٣

وقَال الطِّرِمَّاحُ[٢] : [٥ظ]

[الطَّويل]

مُؤَلَّفَة[b] تَهْوِي جَمِيعًا كَما هَوَىٰ   مِنَ النِّيقِ[٣] فِهْرٌ[c] البَصْرَة المُتَطَحْطِحِ[٤]

---

[a] رسمت في الأصل: فأضربه ولدى ياقوت: فأحميه.

[b] مُؤَللة في: الزاهر في معاني كلمات النّاس.

[c] لدى ياقوت: فوق البَصْرَة.

---

[١] خُفَاف بن نُدبة بن عمير بن عمرو بن الشريد السُّلَمي، روى عن النبي ﷺ، ويقال إنه شهد معه حنين. والبيت لعباس بن مرداس قاله للخُفاف. انظر الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: ف. كرنكو، بيروت، ١٩٩١م. ص ١٣٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٤٥٠.

[٢] الطِّرِمَّاح بن حكيم بن حكم بن نفر بن قيس بن جحدر، الشاعر المشهور، راجع في أخباره: الآمدي، المصدر السابق، ص ٩١.

[٣] النيق: أرفع مواضع الجبل. ابن منظور: لسان العرب ج١٠ص ٣٦٤؛ الفهر: الحجر قدر ما يكسر به جوز أو نحوه. الأزهري: تهذيب اللغة ج٦ ص١٥١.

[٤] المتطحطح: أي المتكسر المتفرق. لسان العرب ج٢ص ٥٢٨؛ والمعنى أن اختلاف قلوبهم يشبه تلك الحجارة التي هوت من أعالي الجبال وتكسرت فملئت أرض البصرة وانتشرت فيها، يضرب المثل على تفرق أمرهم. راجع: أبو بكر الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج٢، ص١٠٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة البصرة] ج١، ص٤٣٠.

[تَـمْصِير البَصْـرَة]

وقال نَافِعُ بن كَلَدَه[١]: كان عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد هَمَّ أنْ يَتَّخِذ للمُسْلِمين مِصْرًا، وكان المُسْلِمُون قَدْ غَزَوْا من قَبْل البَحْرين وتَوَّجَ ونُوبِنْدجَان وطَاسَار[a]، فَلَمَّا فتحُوها كتبوا إليه: إنَّا وجَدْنَا بطَاسَار مكانًا لاَ بأْس بِه.

فكتب إليهم: إنَّ بَيْنِي وبَيْنكُم دِجْلَة، فلا حَاجَة لي في كُل شيء بَيْنِي وبَيْنَهُ دِجْلَةٌ أنْ تَتخِذُوه مِصْرًا، فَقَدم عَلَيْه رَجُلٌ[b] من بَنِي سَدُوس يُقال له ثَابِت، فقال يَا أمير المؤمنِين: إني مَرَرت بمكان دُون دِجْلَة، فيه قَصْر وفيه دَيَادِبَةُ الأعَاجِم[c] يُقَال لهُ الخُرَيْبَة ويُسَمىٰ أيضًا البُصَيْرة، بَيْنَهُ وبَيْن دِجْلَة أرْبَعَةُ فَرَاسِخ، له خَلِيج يَجْرِي فيه الماء إلى أجَمَةِ قَصَبٍ، فأَعْجَب ذلك عُمَر، فدعا عُتْبَة بن غَزوانَ[٢] فَبَعَثَهُ في أرْبعِين رَجُلًا، فيهم نَافِعُ بن الحَارِث بن كَلَدَة، وأبو بَكْرَةَ[٣]،

---

[a] لدى ياقوت: طَاسَان. [b] لدى ياقوت: ثم قدم عليه رجل. [c] لدى ياقوت: وفيه مسالح للعجم.

---

[١] نافع بن الحارث بن كلدة، سكن البصرة وابتنى بها دارًا، وهو أوّل من اقتنى خيلًا بالبصرة، سأل عمر بن الخطاب أن يقطعه قطيعة بالبصرة؛ فكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يقطعه عشرة أجربة ليس فيها حق لمسلم ولا معاهد ففعل. عنه راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٧٠؛ ابن عَبْد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٤٨٩.

[٢] عتبة بن غزوان بن جابر، من صحابة رسول الله ﷺ، أسلم قديمًا، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، توفي سنة ١٧هـ/٦٣٨م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٩٨-٩٩؛ ابن عَبْد البر: المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٢٦-١٠٢٨.

[٣] نُفَيْع بن مَسْروق، كان بالطائف أعتقه النبي ﷺ. توفي سنة ٥١هـ وقيل ٥٢هـ/٦٧٢م. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج٧، ص١٥-١٦؛ ابن عَبْد البر: المصدر السابق، ج٤، ص ١٤١٥-١٤١٦.

وزياد[١]، فَلما خَرجُوا قَالتْ لهم أُخْتُهم: احْمِلُونِي معكم فَحَمَلُوها، قال: فلما بَصُرَ بنا الدِيادبةُ خَرجُوا هُرَّابًا، وجِئْنَا فنَزلنا القَصرَ، فقال عُتبة: ارْتادوا لنا شيئًا نأكُلُه، قال: فدخلنا الأَجَمَة، فإذا زَنْبِيلاَنِ، في أحدهما تَمر وفي الآخر أرز بقشره فَجَبذْنَاهُما حتى أدنَـيْـنَاهُما من القَصر وأَخْرَجنا ما فيهما.

فقال عُتْبةُ: هذا سَمٌّ أَعَدَّه لكم العدو - يَعْني الأُرْزَ - فَلا تَقْربَنَّه، فأَخْرجْنَا التَّمر وجعلْنا نأكُل منه فإنَّا لكذاك إذا نحن بِفرسٍ قد قَطَع قِيادَهُ فأتى ذلك الأرُزْ يأكُل منه فلَقَد رأينا أن نَسْعَى[a] إليه بشفَارِنا نُريد ذَبْحَهُ قبل أنْ يَمُوت، فَقال صَاحِبه: أَمسِكُوا عنه، أَحْرُسه الليلة فإن أَحْسَسْتُ بموته ذَبَحْتُه.

فلَما أصْبَحْنا إذا الفَرَسُ يَرُوث[b]، لا بأس عليه، فقالت أختي: يا أخي إني سَمِعتُ أبي يقول :إنَّ السُّم لا يَضُر إذا نَضَج، فأَخَذتْ من الأُرز فَطَبَخَته وجَعلتْ تُوقِد تَحتَهُ ثُم نَادَتْ: ألا أنَّـه يَتَفصَّى عن حُبَيبَةٍ حَمرَاء، ثم قَالتْ: قد جَعَلتْ تكُون بَيْضَاء، فَما زَالَتْ تَطْبخُه حتى انماط قِشْرُهُ، فألقيناه في الجَفْنَةِ، فقال عُتْبَة: أُذْكروا اسْم الله عَلَيْه وكُلُوه، فأكَلُوا منه فإذا هو طَيبٌ[٢].

[a] في الأصل: فلقد رأيتنا نسعى.

[b] في الأصل: يروس، والتصويب من: المختصر، وياقوت.

[١] زياد بن أبيه، ولي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان، ويقال: إنه كان يشتو بالبصرة، ويَصيف بالكُوفة، وقد وليهما أربعين سنة توفي سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج٧، ص٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٤.

[٢] راجع الخبر بتمامه لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة البصرة] ج١، ص ٤٣٠-٤٣٢.

قال: [٦و] فَجَعلْنَا بعدُ نُمِيطُ عنه قِشْرَه ونَطْبُخُه، فلقد رَأَيْتُني بعد ذلك وما أَجِد منه شَيئًا إلا وأنا أُعِدُّ لِولَدِي منه، ثم إنَّا الْتَأَمْنَا فبَلغنَا سِتَّمائةِ رجُل وسِتَّ نِسْوَةٍ إحْداهُن أُخْتِي، فَقُلْنا ألا نَسِير إلى الأُبُلَّة[1] فإنَّها مدينة حَصِينَةٌ، فسِرنا إليها، ومَعَنَا العَنَزُ وعَلَيْها الخِرَقُ وسُيُوفُنَا، وجَعَلْنا للنِّساء رَايَاتٍ علىٰ قَصَبٍ، وأمرنَاهُن أنْ يُثِرنَ التراب وَرَاءَنا حين يَروَنْ أَنَّا قد دَنَونا من المدينة، فَلَمَّا دَنَونا منها صَففنا أصْحَابَنا.

قال: وفيها دَيَادِبَتُهُم وقد أعدُّوا السفُن في دِجْلَة، فَخَرجُوا عَلَيْنا في الحَدِيد مُسَوَّمِين لا تَرىٰ منهُم إلا الحَدَقَ. قال: فو الله مَا خَرجَ آخِرُهُم حتىٰ [رَجَع] بَعْضُهم علىٰ بَعْضٍ قتلًا وما قَتَلُوا هُم أنفُسَهُم كان أكثر. ونزلت الدَّيَادِبةُ فعَبَروا إلى الجانِب الآخر، وانْتَهىٰ إلَيْنَا النِّساء، وقد فتح اللهُ علينا، ودَخَلْنَا المدينة وحَوَيْنا متَاعَهُم وأموالَـهم وسَأَلْنَاهُم: ما الذي هَزمَكُم من غَيْرِ قِتَال؟ فقالوا: عَرَّفَتْنَا الدَّيَادِبَةُ أنَّ كَمِينًا لَكُم قد ظَهَر وعَلا رَهَجُهُ، يُرِيدون النساء في إثَارَتِهِنَّ التُّرَاب.

قال: فاسْتَعمَل عُتْبَة بن غَزوانَ زِيَادًا علىٰ قِسْمَة المَغَانِم وجَمعِها، ورَزَقَه كُلَّ يَوم دِرهَمًا، واسْتَجمَع النَّاسَ وأقْبَلتْ أعَارِيبُ بَنِي تَمِيم، وبَكْر بن وائِل إلَيْنَا، فَصِرْنَا ثَلاثَةَ آلاف في الدِّيوان، فتَزوَّجْنَا؛ فكان أوَّلَ مَولُودٍ وُلِد بالبَصْرَة عَبْد الرَّحْمن بن أبي بَكْرَةَ[2]، ثم قَدِم عُتْبَة بن غَزوانَ علىٰ عُمَر، فأعْلَمه بِما فتَح اللهُ عَلَيْه، فأرسل مكانه

[1] الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. وهي أقدم من البصرة.انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١،ص٧٧، وقارن الخبر لديه أيضًا.ج١، ص٤٣١.

[2] عبد الرحمن بن أبي بكرة، توفي سنة ٥٦هـ/٧١٥م، راجع في ترجمته: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٢٩- ٢١٢؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٢٨٩. ٥٥٧.

المُغيرةَ بن شُعْبَة، فسَار بِنَا فافتَتَح الفُرَات ومَيْسَان ودَسْتُمَيْسَان وأَبَزقُباذ[1]، ثُم وجَّه مكَانَهُ أبا مُوسَىٰ الأشْعَري.

[اسم البَصْرَة القديم]

وفِي بَعْضِ الجُنْد[2] إنَّ أوَّل من اختَطَّ البَصْرَة عُتْبَة بن غَزوانَ في خِلافة عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ وكانتْ تسمَّىٰ يومئِذ أرْضَ الهِنْد، فكَتَب عُمَر إلىٰ سَعْد بن أبِي وَقَّاص أن خُطَّ قَيْرَوَانَك بِالكُوفَة، وابْعَثْ عُتْبَة بن غَزوانَ إلىٰ أرْضِ الهِنْد، فإنَّ له من الإسْلاَم مكانًا، وقد شَهِدَ بدرًا، والبَصْرَة يومئِذ تسمَّىٰ أرْضَ الهِنْد، فَينْزِلَها ويَتَّخِذهَا المُسلِمُون قَيْرَوَانًا، ولا تجْعَل[٦ظ] بَيْني وبَيْنَهُم بحرًا، فَدعا سَعْدٌ بِعُتْبَة فأخبَرَهُ بكِتَاب عُمَر فَأجَاب، وخَرجَ من الكُوفَة في ثمان مِئة رَجُلٍ، فَسَار حتَّىٰ نَزلَ البَصْرَة وضَربَ قَيْرَوَانَه وضَربَ المُسلِمُون أخْبِيَتَهم، وكانت خَيمَة عُتْبَة من أكْسِيَة، ثُم رمَاهُ عُمَر بِالرِّجَال، فَلمَّا كَثرُوا بنىٰ رَهطٌ منهُم فِيها سَبْعَةَ دَسَاكِرَ من لَبِنٍ، منها فِي الخُرَيْبَة اثْنَتَان، وفي الأزْدِ اثْنَتَان، وفي الزَّابُوقَة[3] واحِدَةٌ، وفي بَنِي تَمِيم اثْنَتَان، وكان

---

[1] ميسان: كورة كبيرة كثيرة النخل بين البصرة وواسط. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٤٢؛ دُستَميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب. نفسه، ج٢ص٤٥٥؛ أبزقباذ: كورة تقع بين الأهواز وفارس. نفسه، ج١، ص٧٢.

[2] ربما قصد ابن الفقيه الإشارة إلى بعض دفاتر ديوان الجند، مع العلم بأنه نقل الرواية من طبقات ابن سعد الذي أورَدها مُسْنَدة. انظر: الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٥-٦.

[3] موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أوّل النهار، وقيل: موضع قرب الفلوجة من سواد الكوفة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١٢٥.

ذَلكِ في سنة سَبْع عَشْرَة[١].

وقال أبو عُبَيْدة[٢] في روايته: الذي مَصَّرَ[a] البَصْرَة لِعُمَر بن الخَطَّاب عُتْبَة بن غَزوانَ، كَتَبَ إلى عُمَر: إنَّه لابـدَّ للمُسْلِمينَ من مَنْزِلٍ إذا شَتَوْا شَتَوْا فيه[b] وإذا رَجَعوا من غَزْوِهِم كَنَسُوا[c] فِيه[٣]، فكَتَبَ إليه عُمَر أنِ ارتَدْ لهُم مَنزلًا قريبًا من المَراعِي والماء، واكْتُب إليَّ بصِفَتِه، فكَتَبَ إلى عُمَر: إنِّي قد وجَدْتُ أرْضًا كَثِيرة القضَّة[٤] في طرف البرّ إلى الرِّيف، ودُونَها مناقِعُ فيها مَاء وفِيها قَصْبَاء. فَلَمَّا قرأ عُمَر كِتَابَه قال: هَذهِ أرْض بَصْرةَ قَريبةٌ من المَشَارِب والمَراعِي والمُحْتَطَب، وكَتَبَ إليه أن انزلـهَا فنَـزَلهـَا.

[بنَـاءُ المَسْجِد الجَامِعِ ودار الإمَارَة]

وبَنَى مَسْجِدهَا من قَصَبٍ، وبَنَى دَار إمَارتِها دُونَ الـمَسْجِد في الرَّحْبةِ التي يُقَال لَهَا "رَحْبَة بَنِي هَاشِم"، وكانت تُسَمَّى "الدَّهْنَاء" وفِيهَا السِّجْنُ، والدِّيوَان، وحَمَّام الأُمَرَاء بعد ذلِك، وذلِك لقُربِها من المَاء، فكَانوا إذا غَزَوْا نَزَعُوا ذلِك القَصَب، ثُم

[a] في الأصل: بصر، والتصويب من ابن سعد، الطبقات.

[b] لدى البلاذري: فتوح البلدان، يشتون به إذا شتوا. [c] لدى ياقوت: لجئوا إليه.

[١] قارن: ابن سعد: المصدر السابق، ج٧،ص ٥-٦؛ البلاذري: فتوح البلدان،،ص ٤٨٨ ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١ ،ص ٤٣١.

[٢] معمر بن المثنى: تقدمت ترجمته ص١١٧ .

[٣] أي يسكنون فيه إذا رجعوا من غزوهم. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، ٢٠٠١م، ج١٠ ،ص ١٣٨؛ ابن منظور: لسان العرب، [مادة ك ن س] ج٦، ص ١٩٨.

[٤] أي كثيرة الحصى والتراب. انظر: الأزهري: المصدر السابق، (باب القاف والضاد)، ج٨، ص ٢٠٧.

حَزَمُوه ووَضَعُوهُ حتَّىٰ يَعودُوا مِن الغَزْو فإِذَا عَادُوا أعَادُوا بِنَاءَهُ، فلم يزلْ كَذلك حتَّىٰ اسْتعْمَل عُمَر أبا مُوسَىٰ الأشِعْري، وعزل المُغِيرة بن شُعبَة، فَبَنَىٰ المَسْجِد بِلَبِنٍ وكذلك دار الإمَارَة فلم يَزلْ علىٰ تِلْكَ الحَال.

فكان الإمَام إذا أرَاد أنْ يُصَلِّي، يَتَخطَّىٰ النَّاس حتَّىٰ يَنْتَهِي إلىٰ القِبْلَة، فلَمَّا اسْتَعْمَل مُعَاوِيَةُ زِيَادًا علىٰ البَصْرَة قال زِيَادٌ: لا يَنْبَغِي للأُمَراء[a] أنْ يتَخطَّوا[b] رِقاب النَّاس، ولكنِّي أُحوِّل دَار الإمَارة إلىٰ قِبْلة المَسْجِد.[1]

فحَوَّل دار الإمَارةِ من الدَّهْنَاء، وزَاد في المَسْجِد زِيَادةً كثيرة، وبنَىٰ دَار الإِمَارة باللَّبِن وبَنَىٰ المَسْجِد بالجَصّ والآجُرّ وسَقفَهُ [٧و] بِالسَّاج، فلَّما فرَغَ من بِنَائِه جعَل يَطُوفُ فيه ويَنْظُر إليه، ومعه وجُوه أهْل البَصْرَة، فقال: هل تَرون خَللًا؟ قالوا: لا نَعْلَم بِنَاء أحْكَمَ مِنه، قال: بَلىٰ، هذه الأسَاطِين التي علىٰ كُلِّ واحِدةٍ أرْبَعَة عُقُود، لو كانت أغْلَظ من سَائِر الأسَاطِين كان أحْكَم لهَا.

وقال أبو عُبَيْدة عن يُونُس[2]: ولم يُؤْتَ مِنْهُنَّ قَطُّ صَدْع ولاَ مَيلٌ ولا عَيْبٌ.

---

[a] لدى البلاذري: فتوح: الإمام.

[b] في الأصل: يتخط، والتصويب من البلاذري: فتوح.

---

[1] قارن، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٨٣-٤٨٤.

[2] يونس بن حبيب الضبي، البصري النحوي الأديب المشهور، يعد إمام نحاة البَصْرَة في عصره، كان له حلقة يتابها الطلبة والأدباء وفصحاء العرب، و توفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م. راجع في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٤١؛ أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، اعتنى بنشره وتهذيبه ف. كرنكو، بيروت، ١٩٣٩م، ص٣٣- ٣٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص ١١٩٩.

وقال حَارِثة بن بَدْر الغُدَانيُّ[١] :(شِعْر) [البَسِيط]

بَنَـىٰ زِيـادٌ لِـذِكْرِ الله مَصْـنَعَةً[a] بِالصَّخْرِ والجصِّ لم يُخْلَطْ من الطِّينِ

لَوْلاَ تَعَـاوُرُ[٢] أَيْـدي الـرَّافِعِينَ لَـهُ إِذًا ظَنَـنَّاهُ أعْمَـالَ الشَّـيـاطِيـنِ

وجَاءَ بِسَوارِيه من الأَهْوَازِ وكان وَلَّى بِناءَهُ الحَجَّاج بن عَتِيك[b] الثقفي[٣]، فَظَهَرَتْ
٣ له أمْوَالٌ وحَالٌ لم تَكُنْ قَبْلُ، فَفِيه قِيل : [مجزوء الرجز]

[يَـــا] حَبَّـــذا الإمَـــارَه ولَـوْ عَـــلىٰ الحِـــجَـــارَه

٦ والذي اخْتَطَّ أيَّام عُتْبَة بن غَزوانَ مَسْجِد البَصْرَةِ [c] مِحْجَن بن الأدرع[c] [٤]، أمرهُ
عُتْبَة بن غَزوانَ بِذلِك، وكان المِنْبَر في وَسَط الـمَسْجِد، فأوَّلُ من حَوَّلَهُ إلىٰ القِبْلَة

---

[a] لدى ياقوت: مصنعه. [b] في الأصل: عتيق، والتصويب من البلاذري، فتوح البلدان.
[c - c] في الأصل: محجر بن الأدرع، والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

---

[١] حارثه بن بدر بن حصين التميمي الغُدَانيُّ، قيل إنه أدرك النبي ﷺ وله أخبار في الفتوح، مات غرقًا سنة ٦٤هـ/٦٨٤م. راجع أخباره في: البلاذري: أنساب الأشراف،ج٥، ص ٢٠٣- ٢١٦؛ الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص ١٢٤.

[٢] التعاور: التعاطي، والتداول. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة عور) ج٤، ص٦١٨-٦١٩.

[٣] الحجَّاج بن عتيك الثقفي، قدم البصرة أيام عتبة بن غزوان، ثم انتقل إلى الكوفة بأمره. وكانت له دار بالبصرة دخلت في جامع البصرة راجع أخباره في: خليفة بن خياط: طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م. ص ١٠٦.

[٤] محجن بن الأدرع الأسلمي، أسلم قديمًا، وقد مر به رسول الله ﷺ وهو مع قوم يرمون فقال: «ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ ابن الأَدْرَعِ». توفي بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ. ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج٧، ص ١٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٣٦٣.

زِياد، وكانَ جَانِبُ الـمَسْجِد الشَّمالِي مُنْزَوِيًا، وذلِك أَنَّهُ كان دارًا لِنَافِع[١] أخِي زِيادٍ، أَبىٰ أنْ يَبِيعَهَا، فَلَمْ تَزَل علىٰ تِلْكَ الحَال حتىٰ ولَّى مُعاوِيةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عُبَيْدَ الله بن زِيَاد[٢] البَصْرَة، فقَال عُبَيْدُ الله لِبَعْضِ وكَلائِه: إذا شَخَصَ عَبْد الله بن نَافِع إلىٰ أقْصَىٰ ضَيْعَةٍ لهُ فأعْلِمْني، فشَخَصَ إلىٰ قَصْرِهِ الأَبْيَض، فأعْلَمَهُ ذلِك، فَبَعث فهَدمَ الدَّار وأخذ في بِناءِ الحائِط الذي يَسْتَوِي بِه تَرَابِيعُ الـمَسْجِد، وقدِم عَبْد الله بن نَافِع فَضَجَّ، فقال: إنِّي أُثَمِّنُ لكَ وأعْطِيكَ مكانَ كل ذِرَاعٍ خَمْسَةَ أذْرعٍ، وأدَع لكَ خَوْخَةً[٣] في حَائِطِكَ إلىٰ الـمَسْجِد وأُخْرىٰ في غُرْفَتِك فَرَضِيَ، فَلم تَزل الخَوْخَتَانِ في حَائِطِهِ حتىٰ زَادَ المَهْدي فِيه ما زَادَ فَدخلتِ الدَّار كُلُّها في الـمَسْجِد، ثم دَخَلتْ دَار الإمَارَة كُلُّها في الـمَسْجِد، أمَرَ بذلِك الرَّشِيد[٤].

ولـمَّا قدِم الحَجَّاج خُبِّر أنَّ زِيادًا بنىٰ دَارَ الإمَارَةِ بالبَصْرَةِ، فأرَادَ أنْ يُذْهِب ذِكْر زيادٍ [٧ظ] مِنْهَا، فقال: أبنِيهَا بالآجُرِّ فَهدمَهَا. فَقِيل له: إنَّما غَرضُكَ أنْ تُذهِبَ ذِكْر زِيَادٍ، فما حَاجَتُكَ إلىٰ أنْ تُعَظِّم النَّفَقَةَ، ولَيْسَ يَزُولُ ذِكْرُ زِيادٍ عَنْهَا فتَركَها مَهْدُومَةً.

---

[١] تقدمت ترجمته ص١١٩.

[٢] عبيد الله بن زياد بن أبيه، جبار خطيب من الشجعان، ولي العراقين بعد أبيه زياد، ثماني سنوات متتالية: خمس سنوات للبَصْرَة، وثلاث سنوات للعراقين، وقتل في بلدة خازر قرب الموصل سنة ٦٧هـ/ ٦٨٧م. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق،ج٧،ص ٧٥؛ تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٥٨- ٢٦٣؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٤٧.

[٣] والخَوْخَة هي: باب صغير كالنافذة يكون بين بيتين أو دارين ينصب عليها باب. انظر: الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: [خ وخ] تحقيق: مجموعة من المحققين، الكويت ١٩٨٧م.

[٤] قارن: البلاذري، فتوح البلدان،،ص ٤٨٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١،ص ٤٣٤.

قال يُونُس[١]: فَعامَّةُ الدُّور التي حَوْلها، إنَّما بُنِيتْ من طينِها وجَمْعُ أَبْوَابِها، فَلم تكُن للأُمَراءَ دارٌ ينْزِلُونَها حتىً قَام سُلَيْمانُ بن عَبْد المَلِك، فاسْتَعْمَل صَالِح بن عَبْد الرَّحْمن[٢]علىٰ خَرَاجِ العِراقَيْن.

فقال له صَالِح: إنَّه لَيْسَ بالبَصْرَة دَار إمَارةٍ، وحَدَّثَهُ بِحدِيث الحَجَّاج[a]، فقال له: سُلَيْمان أعِدْهَا فأعَادهَا بالآجُرِّ والجَصِّ علىٰ أَسَاسِها الذي كانَ، ورَفَع سَمْكَهَا، فلَمَّا أعَادُوا أَبْوَابَها عَلَيْها قَصُرَتْ، فلَمَّا مات سُلَيْمان وقَام عُمَر بن عَبْد العَزِيز، اسْتَعْمَل عَدِيَّ بن أرطاة[٣]علىٰ البَصْرَة فبَنىٰ فَوْقهَا غُرفـًا، فبَلغَ ذلِك عُمَر، فكَتَب إليه هَبلَتْكَ أمُّك، يا ابن أم عَدِيّ أتَعْجِزُ عنك مَسَاكِنُ وسِعَتْ زِيَادًا وابن زِيَادٍ[b]؟ فأمْسكَ عن بنائِها[٤].

---

[a] لدى ياقوت: «وخبَّره خبر الحجاج».

[b] لدى ياقوت: وابنه.

---

[١] تقدمت ترجمته ص١٢٤.

[٢] صالح بن عبد الرحمن السجستاني، قلّده الحَجَّاج بن يوسف الثقفي ديوان الخراج؛ فوضع اصطلاحات للكتَّاب والحُسَّاب بالعربية استغنوا بها عن الفارسية؛ فكان أوّل من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية في العراق. توفي في خلافة يزيد بن عَبْد الملك. انظر ترجمته في: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص١٣٦، ١٥١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٣، ص ٣٤٣، ٣٤٥.

[٣] عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي، أمير من العقلاء الشجعان، وأحد عمال عمر بن عبد العزيز ولاه على البصرة، وغيرها من بلاد العراق، قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في فتنة أبيه بالعراق وذلك في سنة ١٠٢هـ/٧٢١م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٥٣؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج٤٠، ص٥٧-٦٥.

[٤] راجع : ياقوت الحموي: معجم البلدان [ذكر خطط البصرة وقراها]، ج١، ص٤٣٤.

فلما قَدِم سُلَيْمَان بن علي[a] [١] البَصْرَة عَاملًا للسَّفَّاح أنشأ فوقَ البِنَاء الذي كانَ عَدِي أَرَادَ أنْ يَجْعَلهُ غُرَفًا بَنَاهُ بِطِين، ثُمَّ إنَّهُ تَحَوَّل إلى المِرْبَد[٢] فَلَمَّا قَامَ الرَّشِيدُ هَدمَهَا وأدْخلهَا في قِبْلَةِ المَسْجِد فَلَيْسَ اليومَ للأُمَرَاءِ بِالبَصْرَةِ دَارُ إمَارَةٍ.

وقال الوَاقِدِيُّ: أُنْشِئَتِ البَصْرَة سنةَ سبع عشرةَ من التَّارِيخ قَبلَ الكُوفَة بِسَنةٍ وأشهُر[b]، وأوَّل مَوْلودٍ وُلِد بالبَصْرَة في الإسْلاَمَ "عَبْد الرَّحمن بن أبي بَكْرَةَ" فَنحرَ عَلَيْه أَبوهُ جَزُورًا، فكفَت أهْلَ البَصْرَة لِقِلَّتِهِم يومئِذٍ، وأَبو بَكْرَةَ أوَّل من غَرسَ النَّخل بالبَصْرَة، وقال: هذهِ أرْضُ نَخْلٍ ثُمَّ غرسَ النَّاسُ بَعْدَه.

وقال هِشَامُ بن الكَلْبي[٣]: أوَّل دارٍ بُنِيت بالبَصْرَة دارُ نَافِعُ بن الحَارِث، ثُمَّ دارُ مَعْقِل بن يَسَار المُــزَنِي[٤].

---

[a] في الأصل: عَدي، والتصويب من البلاذري، فتوح البلدان.

[b] في المختصر: ستة أشهر، وكذا في ياقوت.

---

[١] سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ولاه أبو العباس السفاح البصرة، وعمان، وتولى البحرين لأبي جعفر المنصور، وتوفي بالبصرة سنة١٤٢هـ/ ٧٥٩م. راجع في ترجمته: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١٢-٤١٤؛ وكيع: أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٧م.ج٢، ص٤٤-٤٧.

[٢] المربد كل مكان تحبس فيه الإبل، وبه سمي مربد البصرة، إذ كان سوق الإبل بها، ثم صار شارعًا من أجلّ شوارعها، وسوقًا من أسواقها، انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣ص١٧٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٩٧-٩٩

[٣] هشام بن محمد بن السَّائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، عالم بالنسب وأخبار العرب، يغلب عليه التشيع، توفي سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م. انظر أخباره في: ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٦؛ النديم: الفهرست، ج١، ص ٣٠١-٣٠٧.

[٤] معقل بن يسار المزني، صحابي من أصحاب بيعة الرضوان، سكن البصرة وتوفي بها سنة ٥٩هـ/٦٧٩م، انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧،ص ١٤؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج١١، ص ٣٣١.

وكان عُثْمانُ بن عَفَّان ﷺ أخَذَ دَارَ عُثْمان بن [أبي] العَاصِ الثَّقَفِي[١] بالمدِينَة، وكَتَبَ أن يُعْطَى أرْضًا بالبَصْرَة، فأُعْطِي أرْضَه المعْرُوفة بِشَاطِئ عُثْمان حِيالَ الأُبُلَّة، وكانت
٣ سَبِخَة فاسْتَخْرجَها وعَمرها وإليه يُنْسَب بابُ<شَاطِئ> [عُثْمان بالبَصْرَة] [a]،...،[٢]

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من البلاذري: فتوح البلدان.

---

[١] عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دهمان الثقفي، أمَّره رسول الله ﷺ على الطائف وقال فيه: «إِنَّهُ كَيِّسٌ، وَقَدْ أَخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ صدْرًا» ثم ذهب إلى البصرة في خلافة عمر بن الخطاب وابتنى بها دارًا. قيل إنه توفي سنة ٥٥هـ/٦٧٠م. انظر: ابن سعد: المصدر السابق، ج٧،ص٤٠؛ طبقات خليفة بن خياط. ص ١٠٤.

[٢] وقع هنا سقط في نسخة الأصل بمقدار لوحتين أو أكثر، وبتتبع الإشارات التي ورَدَت في المختصر وجدت تتمة النص في فتوح البلدان: للبلاذري، ومعجم البلدان: لياقوت الحموي، إضافة إلى فقرة انفرَدَ بها المختصر، أثبتُّها إتمامًا للفائدة. وهاك الخبر بتمامه:

«...، وقال هِشَام بن الكلبي: أوَّل دارٍ بُنِيت بالبَصْرَة دار نَافِع بن الحَارِث، ثُمَّ دار معْقِل بن يسار الـمُزني، وكان عُثْمان بن عَفَّان أخذ دار عُثْمان بن أبي العاص الثَّقفي، وكتب أن يُعطى أرضًا بالبَصْرَة؛ فأعْطِي أرضَه المعروفة بشط عُثْمان بحيال الأُبُلَّة وكانت سبخة، فاستخرجها وعمَّرها. وإلى عُثْمان بن أبي العاصي يُنسب باب عُثْمان بالبَصْرَة، قَالُوا: كان حُمرانُ بنُ أبانَ للمسيب بن نُجبة الفزاري أصابه بعين التمر، فابتاعه منه عُثْمان بن عَفَّان وعلَّمه الكتاب، واتخذه كاتبًا فوجد عَلَيْه لأنه كان وجَّههُ للمسألة عن ما رفع على الوليد بن عقبة بن أبي معيط فارتشى منه، وكذَّب ما قيل فيه، فتيقَّن عُثْمان صحة ذلك بعد فوجد عَلَيْه، وقال: لا يساكنني أبدًا، وخيَّره بلدًا يسكنه غير المدينة فاختار البَصْرَة، وسأله أن يُقطِعَه بها دارًا، وذكر ذرعًا كثيرًا فاستكثره عُثْمان وقال لابن عَامِر: أعطه دارًا مثل بَعْضِ دورك. فأقطعه داره الَّتِي بالبَصْرَة، قَالُوا: ودارُ خَالِد بن طُلَيق الخزاعي القاضي كانت لأبي الجرَّاح القاضي صاحب سجن ابن الزبير، اشتراها له سَلمُ بن زياد، لأنه هرب من سجن ابن الزبير، قال ابن الكلبي: سكَّةُ بني سمرة بالبَصْرَة ، كان صاحبها عتبة بن عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمن بن سمرة بن حبيب بن عَبْد شمس بن عَبْد مناف، ومَسْجِد عاصم نسب إلى عاصم أحد بني ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عَامِر بن صعصعة. ودار أبي نافع بالبَصْرَة نسبت إلى أبي نافع مولى عَبْد الرَّحْمن بن أبي بكرة.
=

= وقال القحذمي: كانت دار أَبِي يعقوب الخطابي لسحامة بن عَبْد الرَّحْمن بن الأصم الغنوي مؤذن الحَجَّاج. وهو ممن قاتل مع يزيد بن المهلب فقتله مسلمة بن عَبْد الملك يوم العَقْر. وهي إِلى جانب دار المغيرة بن شعبة، قَالُوا: ودار طارق نُسِبَت إِلى طارق بن أَبِي بكرة، وقبالتها خطة الحكم بن أَبِي العاصي الثقفي ودار زياد بن عُثْمَان كان عُبَيْد الله بن زياد اشتراها لابن أخيه زياد ابن عُثْمَان. وتليها الخطَّة الَّتِي منها دار بابة بنت أَبِي العاصي. وكانت دار سُلَيْمَان بن علي لسَلْم بن زياد، فغلب عَلَيْها بلال بن أَبِي بُرْدة أيام ولايته البَصْرَة لخالد بن عَبْد الله، ثُمَّ جاء سُلَيْمَان بن علي فنزلها.

قَالُوا: وكانت دار موسى بن أَبِي المختار مولى ثقيف لرجل من بني دارِم، فأراد فيروز حُصَين ابتياعها منه بعشرة آلاف، فقال: ما كنت لأبيع جوارك بمائة ألف ألف فأعطاه عشرة آلاف وأقرّ الدار في يده.

وقال أَبُو الحَسَن: أراد الدارمي بيع داره فقال أبيعها بعشرة آلاف درهم: خمسة آلاف درهم ثمنها وخمسة آلاف لجوار فيروز. فبلغ فيروز ذلك فقال: أمسك عليك دارك، وأعطاه عشرة آلاف درهم. ودار ابن تُبَّع نسبت إِلى عَبْد الرَّحْمن بن تُبَّع الحميري، وكان عَلَى قطائع زياد، وكان دَمُّون من أهْل الطائف، فتزوج أبو موسى ابنته فولدت له أبا بُرْدة ، ولدَمُّون خطة بالبَصْرَة وله يقول أهْل البَصْرَة: الرفاء والبنون، وخبز وكمُّون، في بيت الدَّمُّون. وقال القَحْذَمي وغيره: كان أوَّل حمام اتخذ بالبَصْرَة حمام عَبْد الله بن عثمان ابن أَبِي العاصي الثقفي، وهو موضع بستان سُفْيَان بن معاوية الَّذِي بالخُرَيبة وعند قصر عِيسَى بن جَعْفَر، ثُمَّ الثاني حمام فيل مولى زياد، ثُمَّ الثالث حمام مُسْلِم بن أَبِي بكرة في بلال أباد، وهو الَّذِي صار لعَمرو بن مُسْلِم الباهلي، فمكثت البَصْرَة دهرًا ولَيْسَ بها إلا هَذِهِ الحمامات.

وحدثني المدائني قال: قال أبو بكرة لابنه مُسْلِم: يا بني، والله ما تلي عملًا وما أراك تقصر عن إخوتك في النفقة، فقال: إن كتمتَ عليَّ أخبرتك. قال فإني أفعل، قال: فإني أغتل من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعامًا كثيرًا، ثمَّ إنَّ مسلمًا مرض فأوصى إلى أخيه عَبْد الرَّحْمن بن أَبِي بكرة وأخبره بغلّة حمامه، فأفشى ذلك واستأذن السلطان في بناء حمام، وكانت الحمامات لا تبتنى بالبَصْرَة إلا بإذن الولاة فأذن له، فاستأذن عُبَيْد الله بن أَبِي بكرة فأذن له، واستأذن الحكم بن أبي العاصي فأذن له، واستأذن سياه الأُسْوَاريُّ فأذن له، واستأذن الحصين بن أَبِي الحر العنبري فأذن له، واستأذنت ريطة بنت زياد فأذن لها، واستأذنت لبابة بنت أوفى الجَرَشي فأذن لها في حمامين أحدهما في أصحاب القباء، والآخر في بني سَعْد، واستأذن المنجاب بن راشد الضبي فأذن له.

- وأفاق مُسْلِم بن أَبِي بكرة من مرضه وقد فسدت عَلَيْه غلة حمّامه فجعل يلعن عَبْد الرَّحْمن ويقول: ما له قطع الله رحمهُ. قالوا: وكان فيل حاجب زياد ومولاه، ركب معه أبو الأسود الدؤلي، وأنس بن زُنيم. وكان عَلَىٰ برذون هِمْلاج، وهما عَلَىٰ فرسي سوء قطوفين فأدركهما الحسد، فقال أنس: أجز يا أبا الأسود قال: هات، فقال:

[الوافر]

لَعَمْرُ أبيك ما حَمَّامُ كِسْرىٰ   عَلَىٰ الثُّلثين من حمامِ فيل

فقال أبو الأسود:

وما إرقاصنا حول الموالي   بِسُنَّتنا عَلَىٰ عهد الرسول

وقال أبو مفرغ لطلحة الطلحات وهو طلحة بن عَبْد الله بن خلف:

[الوافر]

تمنيني طُليحة ألفُ ألفٍ   لقد منيتني أملًا بعيدًا
فلستُ لماجدٍ حرٍّ ولكن   لسمراء الَّتي تلدُ العَبِيْدا
ولو أدخلْتُ في حمام فيلٍ   وأُلْبِستُ المطارف والبرودا

وقال بَعضهم وقد حضرته الوفاة

[البسيط]

يا رب قائلة يومًا وقد لَغُبت   كيف الطريق إِلىٰ حمام مِنجاب

يعني حمام المِنجاب بن راشد الضبّي، وقال عبّاس مولىٰ بني أسامة:

[الطويل]

ذكرتُ البند في حمام عَمْرو   فلم أبرح إِلىٰ بعد العشاء

وحمّام بَلج نسب إِلىٰ بَلج بن نُشْبَة السَّعدي الَّذِي يقول له زياد:

ومحترسٌ من مثله وهو حارس

وقال هِشَام بن الكلبي: قصرُ أوسٍ بالبَصْرَة نسب إِلىٰ أوس بن ثعلبة بن رُقَيّ أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عكّابة، وهو من وجوه من كان بخراسان، وقد تقلّد بها أمورًا جسيمة وهو الَّذِي مر بتَدْمُر فقال في صنميها:

[الوافر]

فَأتي أهل تدمر حين آتي   ألمّا تسأما طول القيام؟
فكائن مرَّ من دهرٍ ودهرٍ   لأهلكما وعامٍ بعد عامِ

= فلما أمر عُمَر بن الخطَّاب ﷺ أبَا موسىٰ الأشْعَري أن يحتفر لأهْل البَصْرَة نهرًا ابتدأ الحفر منَ الإجانة، وقادهُ ثلاثة فراسخ حتىٰ بلغ به البَصْرَة فصار طول نهر الأُبلَّة أربعة فراسخ؛ ثُمَّ إنه انطمَّ منه ما بَيْنَ البصرة وبثق الحيري وذلك عَلَىٰ قدر فرسخ منَ البصرة.

وكان زياد بن أبي سُفْيَان واليًا عَلىٰ الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الله يومئذ علىٰ البصرة من قبل عُثْمان بن عَفَّان، فأشار علىٰ بن عَامِر أن ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث انطم حَتَّىٰ يبلغ به البصرة، وكان يربث ذلك ويدافع به. فلما شخص ابن عَامِر إلىٰ خراسان واستخلف زيادًا، أقر حفر أبي موسىٰ الأشعري علىٰ حاله وحفر النهر من حيث انطم حتَّىٰ بلغ به البصرة، وولِّىٰ ذلك عَبْد الرحْمن بن أبي بكرة، فلما فتح عَبْد الرحْمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسقبه، وقدم ابن عَامِر من خراسان نغضب علىٰ زياد، وقال: إنما أرَدْت أن تذهب بذكر النهر دوني فتباعد ما بينهما حتىٰ ماتا وتباعد بسببه ما بَيْن أوْلادهما، فقال يونس بن حبيب النحوي: أنا أدركت ما بيْن آل زياد وآل ابن عَامِر متباعدًا.

وحدثني الأثرم عن أبي عُبَيْدة، قال: قاد أبو موسىٰ الأشعَري نهر الأُبلَّة من موضع الإجانة إلىٰ البَصْرَة، وكان شرب النَّاس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاروس، فوَّهته في دجلة فوق الأُبلَّة بأربعة فراسخ، يجري في سباخ لا عمارة عَلَىٰ حافاته، وكانت الأرواح تدفنه، قال: ولما حفر زياد فيض البَصْرَة بعد فراغه من إصلاح نهر الأُبلَّة، قدم ابن عامر من خراسان فلامه، وقال: أرَدْت أن تذهب بشهرة هذا النهر وذِكْره، فتباعد ما بينهما وبين أهْلهما بذلك السبب، وقال أبو عُبَيْدة: كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولىٰ زياد وحاجبه إلىٰ موضع الجسر. وروىٰ مُحَمَّد بن سَعْد عَنِ الواقدي وغيره، أن عُمَر بن الخطَّاب أمر أبا موسىٰ بحفر النهر الآخر وأن يجريه عَلَىٰ يد معقل بن يسار المزني فنسب إليه.

وقال الواقدي: توفي معْقِل بالبَصْرَة في ولاية عُبَيْد الله بن زياد البَصْرَة لمعاوية، وقال الوليد بن هِشَام القَحذميُّ، وعليُّ بن محمَّد ابن أبي سيف المدائني: كلَّم المنذر بن الجارود العَبْدي معاوية بن أبي سُفْيَان في حفر نهر ثار، فكتب إلىٰ زياد فحفر نهر معقل، فقال قوم: جرىٰ علىٰ يد معْقِل بن يسار فنسب إليه. وقال آخرون: بل أجراه زياد علىٰ يد عَبْد الرحْمن بن أبي بكرة أو غيره، فلما فرغ منه وأرادوا فتحه بعث زياد معْقِل بن يسار ففتحه تبركًا به لأنه من أصحاب رَسُول الله ﷺ، فقال النَّاس: نهر معْقِل ، فذكر القحذمي: أنَّ زيادًا أعطىٰ رجلًا ألفَ درهم، وقال له: ابلغ دجلة وسل عن صاحب هذا من هُوَ؟، فإن قال لك رجل: إنه نهر زياد فأعطه الألف، فبلغ دجلة ثمَّ رجع فقال: ما لقيتُ أحدًا إلا يقول: هوَ نهر معْقِل، فقال زياد: «ذلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ من يَشاءُ».

[البلاذري: فتوح البلدان،ص٤٩٠-٥٠٠].

= «... وقال يزيد الرِّشك: قست البَصْرَة في ولاية خالد بن عَبْد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دانق. وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر: تذاكروا عند زياد البَصْرَة والكُوفَة فقال زياد: لو ضلَّت = البَصْرَة لجعلت الكُوفَة لمن دلّني عَلَيْها. قال محمد بن سيرين: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البَصْرَة واستعمله على الكُوفَة.

وقال ابن أبي عيينة المهلبي يصف البَصْرَة: [المنسرح]

يا جنّة فاقت الجنان فما ... يعدلها قيمة ولا ثمن

ألفتها فاتخذتها وطنًا ... إنّ فؤادي لمثلها وطن

زوّج حيتانها الضباب بها ... فهذه كنّة وذا ختن

فانظر وفكّر لما نطقت به ... إنّ الأديب المفكّر الفطن

من سفن كالنّعام مقبلة ... ومن نعام كأنها سفن

[ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، ص٤٣٧-٤٣٨].

«... وقالوا: بالبَصْرَة أربع بيوتات ليسَ بالكُوفَة مثلها: بيت بني الـمُهلَّب، وبيت بني مُسلِم بن عَمْرو الباهْلي من قيس، وبيت بني مسمع من بكر بن وائل، وبيت آل الجارود من عَبْد قيس، ودخل فتى من أهْل المدينة البَصْرَة فلما انصرف قالوا: كيف رأيت البَصْرَة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس، أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناء ولا ينفق في الشهر إلا درهمين، وأما الغريب فيتزوج بشق درهم، وأما المحتاج فلا عيلة عَلَيْه ما بقيت أسته يخرأ ويبيع.

وقالوا: بالبَصْرَة ستة لَيْسَ بالكُوفَة مثلهم: الحسن البصري، والأحنف، وطلحة بن عَبْد الله، وابن سيرين، ومالك بن دينار، والخليل بن أحمد. وبنى زياد بالبَصْرَة دار الرزق، وحفر نهر الأُبلَّة ونهر معقل، وبنى داره، وبنى البيضاء والحمراء فلم يضافا إليه، وبنى سكة فأسكنها أربعة آلاف من البُخَارِيَّة، فقيل سكة البخارية فأضيفت إليهم، وبنى سبعة مساجد فلم يضف إليه شيء منها: مَسْجِد الأساورة، ومَسْجِد بني عدي، ومَسْجِد بني مجاشع، ومَسْجِد حُدَّان، وكل مَسْجِد بالبَصْرَة كانت رحبته مستديرة فإنه من بناء زياد، وكل الذي بنى فيها أو صنع فإنه نسب إلى غيره مثل: مسنّاة مصعب، ونهر عدي ونهر بلبل، وباب الأصفهاني، وحفيرة مطيع، وقصر ابن عمار، وحمام سياه، وحمام فيل، وحمام منجاب، وقصر أوس، وباب عثمان، ومقبرة حصن، ومقبرة بني شيبان، ونهر مرة، ونهر بشار.

وبنى عبيد الله بن زياد داره بها وفيها باب إلى السكة التي تنفذ إلى سكة إصطفانوس، وباب آخر إلى السكة التي تعرف بالبُخَارِيَّة ، وبالبَصْرَة دور كثيرة كانت لمواليهم فأضيفت إلى دينار زاذ، ودينار بنده، ولهم دار عجلان، ودارالقطن، ونهر والس، ونهر شيطان.

= ودخل بَعْضُ الدهاقين البَصْرَة فرأىٰ ما اجتمع فيها فقال: قاتلك الله، فو الله ما صِرْتِ هكذا حتىٰ أخربت بلادًا وبلادًا. وقال ابن الأهتم البصري: يأتيها ما يأتيها عفوًا، صفوًا، ولا يخرج منها إلا سائق أو ناعق أو قائد. وقالوا: أبعد النَّاس نجعة في الكسب بصري وخوزي، ومن دخل فرغانة القصوىٰ والسوس الأقصىٰ فلا بد من أن يرىٰ بها بصريًا أو خوزيًا أو حيريًا. وأهدي إلىٰ رسول الله ﷺ طبق من تمر، فجعل يأكل منه البرني والقريثاء. ثم قال: «اللهم إنك تعلم أني أحبها فأنبتها في أحب البلاد إليك، واجعل عندها آية بينة». قال الحسن: فو الله ما أعلمها في بلد أكثر منهُا بالبَصْرَة، وقد جعل الله عز وجل عندها آية بينة: المد والجزر... »

[ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان،،ص ١٩٠-١٩٢].

«...، وقال المدائني: وفد خالد بن صفوان علىٰ عَبْد الملك بن مروان فوافق عنده وفود جميع الأمصار، وقد اتخذ مسلمة مصانع له، فسأل عَبْد الملك أن يأذن للوفود في الخروج معه إلىٰ تلك المصانع، فأذن لهم، فلما نظر إليها مسلمة أعجب بها، فأقبل علىٰ وفد أهْل مكة، فقال: يا أهْل مكة هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فقالوا: لا إلا أن فينا بيت الله المستقبل. ثم أقبل علىٰ وفد أهْل المدينة فقال: يا أهْل المدينة هل فيكم مثل هذه؟ فقالوا: لا إلّا أن فينا قبر نبي الله المرسل. ثم أقبل علىٰ وفد أهْل الكُوفَة فقال: يا أهْل الكُوفَة، هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فقالوا: لا إلّا أن فينا تلاوة كتاب الله المنزل. ثم أقبل علىٰ وفد أهْل البَصْرَة فقال: يا أهْل البَصْرَة، هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فتكلم خالد بن صفوان وقال: أصلح الله الأمير! إن هؤلاء أقَرُّوا علىٰ بلادهم، ولو أن عندك من له ببلادهم خبرة لأجاب عنهم. قال: أفعندك في بلادك غير ما قالوا في بلادهم؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! أصف لك بلادنا؟ فقال: هات، قال: يغدو قانصانا فيجيء هذا بالشَّبوط والشِّيم ويجيء هذا بالظبي والظَّليم، ونحن أكثر النَّاس عاجًا وساجًا وخزًّا وديباجًا وبرذونًا هِملاجًا، وخَريدة مِغْناجًا، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب، أوّله الرّطب وأوسطه العنب وآخره القصب، فأما الرطب عندنا فمن النخل في مَبارِكِهِ كالزّيتون عندكم في منابِتِهِ، هذا علىٰ أفنانه كذاك علىٰ أغصانه، هذا في زمانه كذاك في إبّانه، من الراسخات في الوحل المُطعِمات في المحل الملقّحات بالفحل، يخرجن أسفاطًا عظامًا وأقساطًا ضخامًا.

وفي رواية: يخرجن أسفاطًا وأقساطًا كأنها مُلئت رياطًا، ثم ينفلقن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ الأبيض ثم تبدّل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الأخضر ثم تصير ياقوتًا أحمر وأصفر ثم تصير عسلًا في شنّة من سحاء لَيْسَت بقربة ولا إناء حولها المذابّ ودونها الجراب لا يقربها الذباب، مرفوعة عن التراب ثم تصير ذهبًا في كيسة الرجال، يستعان به علىٰ العيال.

وأما نهرنا العجب فإنّ الماء يقبل عنقًا فيفيض مندفقًا فيغسل غثّها ويبدي مبثّها، يأتينا في أوان عطشنا ويذهب في زمان ريّنا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام علىٰ فرشنا فيقبل الماء وله ازدياد وعباب، ولا يحجبنا عنه حجاب.

وفي رواية: يخرجن أسفاطًا وأفساطًا كأنها مُلئت رياطًا، ثم ينفلقن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ الأبيض ثم تبدّل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الأخضر ثم تصير ياقوتًا أحمر وأصفر ثم تصير عسلًا في شنّة من سحاء لَيْسَت بقربة ولا إناء حولها المذابّ ودونها الجراب لا يقربها الذباب، مرفوعة عن التراب ثم تصير ذهبًا في كيسة الرجال، يستعان به على العيال.

وأما نهرنا العجب فإنّ الماء يقبل عنقًا فيفيض مندفقًا فيغسل غثّها ويبدي مبثّها، يأتينا في أوان عطشنا ويذهب في زمان ريّنا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فرشنا نقبل الماء وله ازدياد وعباب، ولا يحجبنا عنه حجاب، ولا تغلق دونه الأبواب، ولا يتنافس فيه من قلّة، ولا يحبس عنّا من علّة. وأما بيوتنا الذهب فإنّ لنا عَلَيْهم خرجًا في السنين والشهور نأخذه في أوقاته ويسلمه الله تعالى من آفاته وننفقه في مرضاته، فقال له مسلمة: أنّى لكم هذه يا بن صفوان ولم تغلبوا عَلَيْها ولم تسبقوا إليها؟ فقال: ورثناها عن الآباء ونعُمّرها للأبناء ويدفع لنا عنها ربّ السماء، ومثلنا فيها كما قال معن بن أوس:

[الوافر]

إذا ما بحر خِنْـدِف جاش يومًا ... يغطمط موجه المتعرّضينا
فمهما كان من خير فإنّا ... ورثناها أوائل أوّلينا
وإنّا مورّثون كما ورثنا ... عن الآباء إن متنا بنينا

[ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٣٨-٤٣٩].

وقال عَبْدُ الرَّحمن بن أبي لَيْلَىٰ[1]: ما رَأَيتُ أهْلَ بَلَدٍ أبْكَرَ إلىٰ ذِكرِ الله من أهْلِ البَصْرَةِ[2]. وقال أبو ظَبْيَانَ[3]: سَمِعْتُ ابن عُمَر، وأتَاهُ رجُلٌ فقال: أخبرنِي عن أهْل البَصْرَةِ، فإنَّه بلَغَنِي أنَّها أوَّلُ الأرْضِ خرابًا، فإنْ كان كذلِك حَوَّلْتُ أهْلِي منها، قال: فإنَّها أبْطأ الأرْض خَرابـًا.

ومدَحَ عَمْرو[a] بن دَرَّاك[4] أهْل البَصْرَةِ فقال: هُم أعْظَمُ النَّاس أخْطَارًا، وأكْرَمُهُم جِوَارًا وأبْعَدُهُم في الأرْضِ آثَارًا. أهْل البَصْرَة أعظَم إمْرَةً، وأوْسَعُ هِجْرَةً، وأعْطَىٰ للبذْرَة، وهُم أعْظَمُ أحْلامًا وأوْفىٰ ذِمَامًا وأكْثَرُ أعْلَامًا وأجْوَدُ أكُفًّا وأحْسَنُ عَطفًا وأيْمَنُ لِوَاءً وأصْدَقُ حَيَاءً وأكْرَمُ إخَاءً وأصْبَرُ تحتَ الرَّاياتِ وأكْرَمُ عِنْدَ البيَات.

أهْل البَصْرَة أكْثَرُ عُدَّةً وأجْوَدُ عُقْدَةً وأكْرَمُ سَجِيَّةً وأقْسَمُ بِالسَّوِيَّةِ وأحْسَنُ سِياسَةً للرَّعيَّةِ وأقْرَبُ من وَرَعٍ وأحْضَرُ[٩٠ظ] للجَمْعِ وأقَلُّ عند الطَّمَعِ، أهْل البَصْرَة أسْمَعُ وأطْوَعُ وأرْضَىٰ وأقْنَعُ، وهُم أطْيَبُ ثِمارًا وأكْثَرُ أشْجَارًا وأكْرَمُ أنْهَارًا، وأجْزَلُ عَطِيَّةً وأكْرَمُ بَقِيَّةً وأشَدُّ عَصَبِيَّةً وأكْثَرُ غَنَمًا، وأحْسَنُ سَلامًا وأطْيَبُ طَعَامًا

---

[a] في الأصل: عُمَر. والتصويب من معجم الشعراء.

---

[1] اسمه يسار بن بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح، ويكنى عبد الرحمن، وهو من الأوس، كان ممن خرجوا على الحَجَّاج بن يوسف الثقفي، وقتل بدجيل. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج٦، ص١٠٩-١١٤.

[2] قارن ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٣٧.

[3] هو حُصين بن جندب الجنبي: أبو ظَبْيَان الكوفي، روى عن علي بن أبي طالب مات سنة٩٦هـ/٧١٥م. انظر في ترجمته: ابن حبان: الثقات، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، ١٩٧٣م، ج٤، ص ١٥٦.

[4] عمرو بن درّاك العبدي، أحد الشعراء المشهورين، وله أشعار في هجاء اليمن. راجع: المرزُباني: معجم الشعراء، ص ٢١٧.

واصْدَقُ ثَبَاتًا وأكْرمُ هِبَاتٍ وأقْضَى للحَاجَاتِ وأحْسَنُ أخْلاقًا وأشَدُّ إشْفَاقًا وأملى رِوَاقًا، وأحْلَمُ في الغَضَبِ وأصْبَرُ في الكَرْبِ وأجْمَلُ في الطَّلَبِ.

أهْل البَصْرَة أصْبَر لِلبَلِيَّةِ وأحْمَلُ للرَّزِيَّةِ وأكْرَمُ خَبِيَّةً، وهُم أحْمَلُ لِلدِّيَاتِ، وأسْرَعُ في الخَيْراتِ، وأطْعَمُ في الفَلَوَاتِ، وهم أكْنَزُ لِلذَّهَب وأرْكَبُ لِلقَتَب وأشْهرُ في العَرَب، وهم أرْكَبُ لِلبُحُور وأحْسَنُ في الأمُور وأصْبَرُ في الثُّغُور.

ذَمُّ أهْـل البَصْرَة

قال كَعْب لأبِي مُسْلِم[١]: من أين أنت؟ قال: من أهْل العِرَاق، قال: من أيِّها؟ قال: من أهْل البَصْرَة، قال: إذا رأيْتَ نَخْلهَا قدْ أطْعَمَ فَاخْرُج منها، قال: فإنْ لم أسْتَطِع ذَاكَ؟ قال: فإذا رأيْتَ آجَامَهَا قدْ اتُّخِذتْ بَسَاتِين فَاخْرُجْ منها، قال: فإنْ لم أسْتَطِع؟ قال: إذا تَطَاوَل أهْلهَا في بِنَاء المدَر فاخْرُجْ، قال: فإنْ لم أسْتَطِع؟ قال: فعَلَيْكَ بِضَواحِيهَا وإيَّاكَ وسِبَاخَها، فإنَّهُ سَيكونُ بِسِباخِها خَسفٌ.

وقال قَتَادةُ[٢]: يُخْسَفُ بالدَّارِ وينْجُو الدَّارُ، ويُخْسَفُ بِالحَي وينْجُو الحَيُّ.

---

[١] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من طبقات ابن سعد، ج٧،ص ٤٤٨، "وأبو مسلم" المذكور في النص هو أبو مسلم الخولاني: أحد العباد الزهاد، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره. انظر ابن السائب الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٢١٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة،ج٧، ص٣٨٢.

[٢] قتادة بن دعامة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، من أحفظ أهل البصرة، كان رأسًا في العربية وأيام العرب والأنساب، توفي بواسط بالطاعون سنة ١١٨هـ/٧٣٧م. راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج٧، ص ٢٢٩؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٣٦٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص١٨٥؛ابن قتيبة: المعارف، ص٤٦٢.

وروي عن أبي السَّوَّار[a] الْعَدَوِيُّ[1] قال: قال عُمَر بن الخَطَّاب: أُرِيد أنْ آتِي البَصْرَة فَأُقِيم بها شَهْرًا، فقال له كَعْب: لا تَأْتِيها فإنَّ بها تِسْعَةَ أعشَار الشَّر، والدَّاءَ العُضَال[2]، وبِها تكُونُ الفِتَن ومِنها يَخْرجُ الدَّجَّال.

وعن أبي مِجْلَز[3] قال: ائْتَفَكَتِ البَصْرَة مرَّتَيْنِ ولتَأْتَفِكَنَّ الثَّالِثَة. وقال أبو مُوسَىٰ[4]: لِلبَصْرَة أربعَةُ أسْماءَ: الـخُـرَيْبَةُ والبُصَيْرَةُ وتَدْمُرُ والمُؤْتَفِكَةُ.

وكان كَعْبُ الأحْبَار يقولُ: لَتَشْبعنَّ الضُّبُع من النَّوم في مَسْجِد البَصْرَة والقُرىٰ حوْلَهَا عَامِرة. وقال ابن[b] غَيْلان[5]: البَصْرَة يسَلَّطُ عَلَيْهم القَتْلُ الأحْمر والجُوعُ الأغْبَر، وأمَّا مِصْر فيَنْضُبُ [١٠و] نيلُها.

---

[a] في الأصل: أسود، والتصويب من طبقات ابن سعد. [b] في الأصل: أبو غيلان.

---

[1] أبو السوار العدوي من بني عدي، وكان ثقةً روى عن علي كرَّم الله وجهه. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج٧، ص ١٥١.

[2] مرت هذه العبارة سابقًا، انظر: ص١١٢.

[3] أبو مِجْلَز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، مشهور بكنيته، ثقة من كبار علماء البَصْرَة، وله أحاديث. توفي سنة ١٠٦هـ/٧٢٥م، انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢١٦؛ طبقات خليفة بن خياط،، ص ٣٥٨.

[4] نقل ابن الفقيه هذا الخبر دون تصرف من مصنف ابن أبي شيبة؛ وقد أخرجه ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عن أبي موسى الأشعري؛ في كتابه المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، ١٩٨٩م، ج٧، ص ٤٨٣.

[5] المُنْجُور بن غيلان بن خرشة عمرو بن ضرار الضبي، من أشراف البصرة، كان خطيبًا عالمًا بالأنساب مقدمًا في المنطق، توفي نحو سنة ٨٥ هـ/ ٧٤٥م. أخباره لدى الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٤٨م، ج١ ص٢٧٦؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٤م، ص٢٠٤.

وكان ابن عُمَر يقول: البَصرَة أسرعُ أرْض الله خرَابـًا وأخْبَثه ترَابـًا. قِيلَ: فما بَالُ الكُوفَة؟ قال: يأتِي اللهُ بأمْره إذا شَاءَ.وكان أمِيرُ المُـؤمِنين عَلَيْهِ السَّلَام يقولُ: لتَغرقَنَّ
٣ البَصْرَة أو لتحْرَقَنَّ إلا بَيتَ مَالِها ومَسْجِدها[١].

وقال عَبْد الله الضَّبْعِيُّ[٢]: سمِعْتُ عليًّا عَلَيْهِ السَّلَام يقولُ: ويـْحَكِ يا بَصْرةُ لتَغْرَقِنَّ أو لتُحْرَقِنَّ حتَّىٰ يُرىٰ بَيْتُ مالِكِ ومَسْجِدكِ كَجُؤْجُؤِ[٣] سَفِينَة.

٦ وقال قَتادةُ[٤]: لتَخربَنَّ البَصرَة وأهْلها كَثِيرٌ. قِيلَ لهُ: وكَيفَ ذلِك؟ قال: يَظْهَر[a] مُنَافِقُوهَا علىٰ مؤْمنِيهَا فَيخْرُجُونَ مِنها رِجَالاً ورُكْبَانـًا.

وأنْشَدَ لِمحمَّدِ بن حَازِم[٥]: (شِعْر) [الوَافِر]

تَـرَىٰ البَـصْرِيَّ لَيْـسَ بِهِ خَـفَاءٌ لِمنخَــرِهِ مِـنَ النَّـتْـنِ[b] انْـتِـشَارُ

---

[a] في السنن الواردة في الفتن وغوائلها: يُسَلَّطُ. [b] لدى ياقوت: من البثر.

---

[١] قارن هذه الأخبار لدى : أبو عمرو الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري (باب ما جاء في خراب البصرة) ج٤، ص ٩٠٧- ٩٠٨.

[٢] أبو عبد الله الضبعي القيسي البصري، سمع عمر وعليًّا. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤٩،ص ٤٣٤.

[٣] الجؤجؤ: الصدر، وَقيل: عظامه، والجمع الجآجئ. انظر: لسان العرب: (فصل الجيم) ج١، ص ٤٢.

[٤] أورد أبو عمرو الداني هذا الخبر بسنده إلى قتادة، عن كعب الأحبار؛ والأبيات صحيحة النسبة لمحمد بن حازم الباهلي. وأوردها ياقوت الحموي: في معجم البلدان؛ ويفهم من سياق النص الذي أورده ابن الفقيه؛ أن قتادة الذي ينسب إليه الخبر، هو الذي أنشد لمحمد بن حازم هذا الشعر.

[٥] محمد بن حازم بن عمرو، أبو جعفر الباهلي الشاعر. ولد بالبَصْرَة ونشأ بها، وانتقل إلى بغداد فسكنها، ومدح من الخلفاء المأمون خاصة. وكان حسن الشعر، مطبوع القول، وله أخبار معروفة. راجع ترجمته في: ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، دت، ٣٠٧-٣٠٩؛ المرزُباني: معجم الشعراء،،ص ٤٢٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص ١١٣.

رَبا بَيْنَ الحُشُوشِ وشَبَّ فيها[a] فمن رِيحِ الحُشُوشِ بِهِ اصْفِرارُ
يُعَــتِّقُ سَـلْحَهُ كَيْمَـا يُغَـالِي بِـهِ عِنْـدَ المبُـايَعَـةِ التُّـجَارُ

ولمَّا افْتتَحَ أمِيرُ المُؤمنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ البَصْرَة ارتَقَى مِنْبَرَهَا فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيْه ثُمَّ قال: يا أهْل البَصْرَة يَا بقَايَا ثَمُود، ويَا جُنْدَ المَرْأة، ويَا أتْبَاعَ البَهِيمةِ، رغَا فاتَّبعْتُم وعُقِر فَانْهَزَمْتُم، دِينكُم نِفَاقٌ وأخْلامُكُم[b] دِقَاقٌ ومَاؤُكُم زُعَاقٌ، يا أهْل البَصْرَة والبُصَيْرَة والسَّبَخَةِ والخُرَيْبَةِ، أرْضُكُم أبْعَدُ الأرْضِ من السَّماءِ وأقْرَبُها من الماءِ وأسْرَعُهَا خرَابًا وغَرَقًا[1].

وكانَ خَالِدُ بن مَيْمُون[2] يقولُ: البَصْرَة أشدُّ الأرْض عَذابًا وأسْرعُهُ خَرابًا وشَرُّهُ تُرابًا[3]. وسَأل "الحَجَّاج بن يُوسُف" ابن القِرِّيَّةِ[4] عن البَصْرَة فقال: حرُّها شَدِيدٌ وخَيْرهُا بَعِيدٌ، وماؤُهَا مِلْحٌ وحَرْبُها صُلْحٌ،

---

[a] في الأصل: منها، والتصويب من ياقوت. [b] في الأصل: أخلاقكم.

---

[1] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٣٦. وعادة ما يعني ابن الفقيه بقوله: "أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ" علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، والمقصود بقيام علي بن أبي طالب بفتح البصرة: هو عودتها إلى طاعته بعد أن خالفت عليه وانتصرت لشيعة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من الأمويين.

[2] زكريا بن أبي زائدة خالد بن ميمون الكوفي، ثقة روى عن الشعبي، وروى له الشيخان روى عنه الثوري، اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م. انظر ترجمته في: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨م، ج١١، ص ٢٠٨.

[3] أورد "ابن قتيبة" هذا الخبر في "عيون الأخبار"، عن خالد بن ميمون. انظر: ج١، ص ٣١٦.

[4] هو أيوب بن زيد ويعرف بابن القرية، صحب بني مروان والحجَّاج بن يوسف، ويضرب به المثل في الفصاحة. راجع في ترجمته: الدارقطني: المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ج٤، ص ١٨٥٥؛ السمعاني: الأنساب، ج١٠، ص ٤٠٦.

مأوَىٰ كلِّ فَاجِرٍ وطرِيقُ كلِّ عَابِرٍ[1].

---

[1] أخرج ابن عساكر هذا الخبر وعزاه للمدائني: وهاك الخبر بتمامه:« قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: وجه الحَجَّاج بن يوسف أيوبَ بنَ القرية إلى عَبْد الرَّحْمن بن الأشعث عينًا عليه بسجستان، فلم يلبث أن غمز به فأدخل على عَبْد الرَّحْمن قال له: مرحبًا بالموصوف عندها بتزيين البلاغة، أأنت ابن القرية؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير. فقال له عَبْد الرَّحْمن: أخبرني عن أمر. قال: يسأل الأمير عما أحب. قال: أخبرني عن الحَجَّاج ما أمره لديك؟ أعلى محجة القصد أم في مجانبة الرشد؟ قال: أسألك الأمان قبل البيان. قال: لك الأمان قال: إن الحَجَّاج على احتجاج في قصد المنهاج يمنح الظفر ويجتنب الكدر لا تفظعه الأمور ولَيْسَ فيها بعثور، في النعماء شكور، وفي الضراء صبور، فأنهاك أن تقاوله وأعيذك بالله أن تطاوله، وهو على تربة العدل لا تزل به النعل، ولا يغرنك الجبن ولك الحق فإنكم خير داعية وأوثق. قال له عَبْد الرَّحْمن: كذبت يا عدو الله والله لأقتلنك، قال: فأين الأمان؟ قال: وكيف الأمان لمن كذب وفجر؟ والله لأقتلنك أو لتظاهرني عَلَيْه قال: أصلح الله الأمير إنما أنا رسول. قال: هو ما أقول لك، فلما رأى أنه غير منته عنه تابعه وأقام معه يصدر له كتبه إلى الحَجَّاج، فجمع له عَبْد الرَّحْمن النَّاس فأصعده على المنبر فقام خطيبًا فحمد الله وأثنى عَلَيْه ثم قال: أيها النَّاس، إن الأمر الذي يدعوكم الحَجَّاج إليه لم ينزل من السماء ولم تقم به الخطباء ولم تسنه الأنبياء ولم تصدر به إلينا من قبله الكتب. ثم نزل فلم يلبث أن قتل عَبْد الرَّحْمن، وهزم الحَجَّاج النَّاس فبعث في طلب الفار ؛ فأتي بابن القرية أسيرا فلقيه عنبسة بن سعيد فقال له: أيوب؟ قال: أيوب فما وراءك؟ قال: ورائي أنك مقتول قال: كلا إني قد أعددت للأمير كلماتٍ، صغارًا، صلابًا، كَركْبٍ وقف قد قضين من حاجة وطرًا، وقد استقبلن سفرًا. قال: هو ما أقول لك، فلما أدخل على الحَجَّاج تجاهل عَلَيْه فقال: من أنت؟ قال: أنا أيوب قال: يا أيوب ألم تكن في خمول من الدعة وعدم من المال وكدر من العيش وتضعضع من الهيئة ويأس من بلوغ ما بلغت؛ فوليتك ولاية الوالد لم أكن يكن لك عندي يد وأجرتك بها ثم قمت عند عَبْد الرَّحْمن فقلت: إن الأمر الذي يدعوكم إليه الحَجَّاج لم ينزل من السماء، ولم ولم، والله لتعلمن يا ابن القرية أن قتلك قد نزل من السماء. قال: أصلح الله الأمير، إني قد أتيت إنسانًا في مسك شيطان يتهددني بتخونه ويقهرني بسلطانه؛ فنطق اللسان بغير ما في القلب والنصيحة لك ثابتة والمودة لك باقية. قال: صدقت يا عدو الله فلم كنت كاذبًا وكان قلبك منافقًا وأردت كتمان ما كان الله معلنه منك وإخفاء ما كان الله يعلمه من سريرتك؟ وكيف علمك بالأرض؟ قال: علمي بها كعلمي ببيتي قال: فأخبرني عن الهند. قال: بحرها در وترابها مسك وحطبها عود وورقها عطر. قال: فأخبرني عن مكة. قال: تمرها دقل ولصها بطل، إن كثر الجند بها جاعوا، =

وكانَ الأَوْزَاعِي[١] يقولُ: نَظرْتُ فيما اخْتلَفَ فيه العُلَماءُ من أهْلِ البُلْدَان وفُتِنُوا بهِ، فَرأيْتُ أهْل البَصْرَة قَدْ فُتِنُوا بخَصْلَتَيْنِ: الخَضْخَضَة والغَدْر[a]، وفتِنَ أهْل الكُوفَة بِخَصْلَتَيْنِ: شُرْب المُسْكِر وتَأخِير السَّحُور، وفُتِنَ أهْل الشَّام بِخَصْلَتَيْنِ: طَاعَة [١٠ظ] الظَّلَمَة وأخْذ الجَوَائِز، وفُتِنَ أهْل مكَّة بِخَصْلَتَيْنِ: تَزْوِيج المُتْعَةِ والدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمَيْن، وفُتِنَ أهْل المَدِينَة بِخَصْلَتَيْنِ: حُب السَّماع، وإتْيَان النِّساء في الأَدْبَار.

وقال ابن شُبْرُمَةَ[٢] لأهْل البَصْرَةِ: لنَا أحلاَمُ مُلُوك المَدَائِن وسَخَاءُ أهْل السَّوَاد وظَرْفُ أهْل الحِيرَةِ، ولكُم سفَهُ السِّنْد وبُخْل الخُوز وحُمْق أهْل عُمان[٣].

---

[a] في الأصل: القدر.

= وإن قلّوا بها ضاعوا. قال: فأخبرني عن عُمان. قال: حرها شديد وصيدها عتيد، يشدون الجلوف وينزلون الطفوف، كأنهم بهائم لَيْسَ لهم راع. قال: فأخبرني عن اليمامة. قال: أهْل جفاء وجلد وطيرة ونكد. قال: فأخبرني عن البَصْرَة. قال: ماؤها مالح وشربها سانح، مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. قال: فأخبرني عن واسط. قال: جنة بين حماة وكنة. قال: وما حماتها وما كنتها؟ قال: البَصْرَة والكُوفَة ودجلة والفرات يحقران شأنها وينقصان الخير عنها. قال: فأخبرني عن الكُوفَة قال: ارتفعت عن البحر وسفلت عن الشام فطاب ليلها وكثر خيرها...». انظر: ابن منظور: مختصر ابن عساكر، تحقيق: رياض عَبْد الحميد مراد، وآخرون، دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٨٤م، ج٥، ص ١٣٣-١٣٤.

[١] الإمام عبد الرحمن بن عمر شيخ أهل الشام. توفي سنة ١٥٨هـ/٧٠٤م، انظر في ترجمته: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٣، ص١٣٣.

[٢] عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر من بني بكر بن سعد بن ضبة. شاعر فقيه، ولي قضاء الكُوفَة زمن يوسف بن عمر أحد ولاة أبي جعفر المنصور. توفي سنة ١٤٤هـ/٧٦١م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٥٠-٣٥١.

[٣] بنصه لدى وكيع: أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٧م. ج٣، ص١١٠.

وقال ابن شَوْذَب[1]: أوَّل مِنبَرٍ يصْعَدهُ الدَّجَّالُ مِنبَرَ البَصْرَةِ فيقُولُ: أيُّها النَّاس، من كانَ غَنِياً زِدْنَاهُ ومن كانَ فقِيرًا مَوَّلْنَاهُ.

وقال عَبْد الله بن عَبَّاس: إذا كَثُرتِ القَدَرِيَّةُ بِالبَصْرَة إيتَفَكَتْ(a بِأهْلهَا، وإذا كَثُرتِ السَّبَائِيَّةُ[2] بِالكُوفَة إيتَفَكَت(a) بِأهْلهَا[3].

واستشَارَ رَجُلٌ "ابن مَسْعُودٍ" في سُكنَىٰ البَصْرَة فقال له: إنْ كُنتَ لا بُدَّ فاعلًا فاسْكُنْ رَابِيتَها، ولا تَسكُنْ سَبخَتَهَا، فإنَّهُ قد خُسِفَ بها مرَّةً وسَيُخْسَفُ بها أُخرَىٰ. والخَسْفُ الذي كان بها أنَّه كان بِها خَمْسَةُ حُكَّام أسماؤُهُم جَائِر وجَابِر وخَاطِئ ومُخطِئ وحَمَّال الخَطَايَا، فخرجَ رجلٌ معهُ امرأة له حَامِلٌ علىٰ حِمَارٍ له، حتىٰ أتَاهَا، فلماَّ دَخَلَهَا منعَهُ جَائِر وقال: لا تَدْخُلْ حتىٰ تُؤَدِّي دِرْهَمَيْنِ، فأخَذَ منه دِرْهَمَيْنِ فتَظَلَّم وقال: أنَا رَجُلٌ فقِيرٌ، وقد أخَذَ مني دِرْهَمَيْنِ، فما أحَدٌ يُعِينَنِي(b) علىٰ من أخَذَهُما منِّي؟، فقالوا: بلىٰ جَابر، فأتَاه فشَكَا إليه فقال له: هاتِ أربعَةَ درَاهِم، فأخَذَها منه مُكرَهـًا، فأتَىٰ خَاطِئًا يَشكُوهُما إليهِ فقال: هاتِ ثَمانِية دَرَاهم، فأخَذَها منهُ فأتَىٰ مُخْطِئًا: هَاتِ سِتَّةَ عَشرَ دِرْهمـًا، فقال: أنا إنْسَانٌ مِسْكِينٌ لا شَيء لي، فَضَربهُ

(a - a) لدى الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال: استكفت. (b) في الأصل: يعديني.

[1] عبد الله بن شَوْذَب، خراساني سكن البصرة، ثم انتقل إلى الشام، فسكن بيت المقدس. توفي ١٥٦هـ/٧٧٣م، راجع في ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٩، ص ١٦٥-١٧٠.

[2] السبئية: فرقة من غلاة الشيعة تنسب إلى عَبْد الله بن سبأ، انظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين.ج١، ص٣٢.

[3] انظر: الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال،ج٧، ص ٢٧٨.

وضَربَ امرأته حتىٰ أُسْقِطَت، وقَطعَ ذنَبَ حِمَارِهِ، فَأَتَىٰ حَمَّال الخَطَايَا فَشَكَا إليه ما حَلَّ بِهِ في إسْقَاط امرأته وقَطَع ذَنَبَ حِمارِهِ فقال لأصْحَابِهِ: انْكَحُوا امرأتَهُ حتىٰ تَحْبَل واعْمَلُوا علىٰ حِمَارِهِ حتىٰ يَنْبُتَ ذنَبُهُ، فَخَسفَ اللهُ بِهَا[١].

ويُرْوَىٰ أنَّ أمِيرَ المُـؤمنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام لـمَّا دَخَل البَصْرَة صَعَدَ المِنْبر وخَطَب وقال في خُطْبَتِهِ: يا أهْل البَصْرَةِ، إنَّ اللهَ لمْ يَقْسِمْ خَيرًا [١١و] لأحدٍ من أهْل الأرْضِ إلا وقد جَعَل فِيكُم أكْثَر منه، فَعابِدُكُم أعْبَدُ النَّاسِ، وقَارِئُكُم أقْرَأُ النَّاسِ[٢]، غيرَ أنَّ حُكْمَ الله فيكُم وفِيمَنْ مضَىٰ قَبْلَكَم جائِزٌ بقولِهِ- عَزَّ مِن قائِل: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨] ، والله ما ابْتدَأتُكم بها ابْتدَأتُكم بهِ من المَدحِ رغْبَةً منِّي لما في أيديكُم، غيرَ أني سَمِعْتُ[٣] رسُولَ الله ﷺ يَقولُ: أمَا عَلِمتَ أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام حَمَلَ جميعَ

---

[١] لا تصح نسبة هذه الحكاية إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ وإنما هي من الروايات التي نسبها ابن الفقيه إلى بعض الصحابة.

[٢] ورد هذا الخبر في عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينوري، ونقله ابن الفقيه عنه بتصرف؛ وأشار إليه ياقوت في «معجم البلدان» ج١ ص ٤٣٦ . وهاك الخبر بتمامه: «...قال: حدثني محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحرّاني، عن عوف بن أبي جيلة، عن الحسن البصري، قال: لما قدم عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البَصْرَة ارتقى على منبرها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل البَصْرَة، يا بقايا ثمود، ويا جند المرأة [يعني بالمرأة: عائشة]. ويا أتباع البهيمة [يعني بالبهيمة: الجمل الذي ركبته عائشة] رَغَا فاتَّبعتم، وعُقر فانهزمتم، أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح أرض يقال لها البَصْرَة أقوم الأرضين قبلةً، قارئها أقرأ النَّاس، وعابدها أعْبَد النَّاس، وعالمها أعلم النَّاس، ومتصدقها أعظم النَّاس صدقة، وتاجرها أعظم النَّاس تجارة، منها إلى قرية يقال لها الأُبُلَّة أربعة فراسخ، يُستشهد عند مَسْجِد جامعها أربعون ألفًا، الشهيد منهُم يومئذ كالشهيد يوم بدر معي ».

[٣] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ما جاء في ذم البصرة) ج١، ص ٤٣٦ .

الأَرضِينَ علىٰ مَنْكَبِهِ الأَيْمَنِ فأتانيٰ بها؟ ألا وإنِّي وجدتُ البَصْرَة أَبْعَد بِلاد الله من السَّماء وأقْرَبهَا من الماء وأخبثها تُرابـًا وأسْرَعها خَرابـًا[a]، ليَأتِيَنَّ عَلَيْها يومٌ لا يُؤتِيٰ[b] منها إلا شُرُفَاتُ مَسْجِدهَا كجُؤجُؤ السَّفِينَةِ في لُـجَّةِ البحْرِ.

فقال لهُ المنْذِرُ بن الجارُودِ[1]: ولم ذَاك[c] يا أمِيرَ المؤمنين، ومِمَّ ذَاك. قال: إذا رأَيْتُم آكَامَهَا خُدُورًا وآجَامَهَا قُصُورًا فلاَ بَصْرَة. ثُمَّ قال: كم بيْنكُم وبَيْنَ أرْضٍ يُقالُ لها الأُبُلَّةُ؟ قالوا: أربعةُ فَراسِخ. قال: صَدَقَنِي والذي عجَّلَ روحَهُ إلىٰ الجنَّةِ وأكرَمَهُ بالنُّبوَّة.

قال: يا عليُّ أما عَلِمْتَ أن بين البَصْرَة وبين أرْضٍ يُقالُ لها الأُبلَّـة أربعةُ فَراسِخ، يَكُونُ في ذلِك المَوْضِع العُشُور، يَنْبَغِي أنْ يُقْتَل فيه سَبْعُونَ ألفـًا، وهم نُظَراءُ قَتْلىٰ بدر، فَقيل: من يَقْتُلهُم يا أمِيرَ المُـؤمنِين؟ قال: إخْوانُ الجِنِّ، إخْوانُ الجِنِّ. ثم قال: وَيْحَكِ يا بَصْرَةُ[2]، ويْحـًا لَكِ من جيشٍ لا غُبَارَ لهُ، فَقِيلَ يَا أمِيرَ المُـؤْمنِين، ما الوَيْح؟ قال: الوَيْحُ والوَيْلُ بَابَانِ فالوَيْحُ رَحْمَةٌ والوَيْلُ عَذَابٌ.

---

[a] كما في ياقوت في الأصل: «أخبثه ترابا وأسرعه خرابا».

[b] لدى ياقوت: لا يُرى.

[c] في الأصل: ولذالك.

---

[1] المنْذر بن الجارود بن بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى، كان سيدًا جوادًا، ولّاه علي بن أبي طالب إصطخر، ثم تولى ثغر الهند لعبيد الله ابن زياد، وتوفي هناك سنة ٦٢هـ/٦٨٢م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧،ص ٨٦-٨٧.

[2] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ما جاء في ذم البصرة) ج١، ص ٤٣٦.

مَجْلِس الكُوفِيين والبَصْريين عنْد المـأْمُون

كانَ المَـأْمُونُ يَومـًا جَالِسًا، وعِنْدهُ نَفَرٌ من خاصَّتِه وذَوِي المَـنْزِلَةِ [عِنْدَه][a] فَأَفَاضَ معَهُم في الحَديث ثُمَّ قال:" قد قَرأْتُ القُرآنَ فحَفِظتُهُ، وسَمِعتُ الحَدِيثَ وعَلِمْتُ الأدَبَ ونَاظَرتُ المُتكلِّمينَ، فَلم يَبقَ شيْءٌ في العِلمِ إلا وقد كَشفْتُ ظَاهِرَهُ وفَتَّشْتُ باطِنَهُ [١١ظ] إلا ما يَتَنَازعُ فيه أهْل الكُوفَة والبَصْرَة من فَخْرِ بَعْضِهم علىٰ بَعْضٍ، وقد أحْبَبتُ أنْ تَتكَلَّمُوا في ذلك حتىٰ أسْمَعهُ.

فقَال ابن هِشَام[1]: أيَّدَ اللهُ أمِيرَ المُـؤمنِين، ما زِلْنَا نَسمعُ أنَّ أهْلَ البَصْرة أبْعدُ في الأَرضِ آثَارًا وأكْثرُ فُتُوحـًا وأبْلَغُ خَطِيبـًا وأكْثرُ أدِيبـًا، والبَصْرَة قبلَ الكُوفَة.

قال الحَجَّاج بن خَيْثَمة[2]: أبْقَىٰ اللهُ أمِيرَ المُـؤْمنِين وكيْفَ يكُونُ أهْل الكُوفَة أشْرفَ من أهْلِ البَصْرَةِ، وعِنْدنَا من معَايبِهِم، والطَّعْن عَلَيْهم ما لوْ سَمِعَهُ أمِيرُ المُـؤْمنِين لعَجِبَ منهُ، وسِيَّما ما صَنَّفَ فيهم شيخ لأهْل البَصْرَةِ يُكْنُونَهُ أبا عُبَيْدَة.

---

[a] ساقطة من الأصل.

---

[1] علي بن هشام بن فنخسرو، أبو الحسن القائد المروزي أحد قواد المأمون وندمائه، ولاه كور الجبال فقتل الرجال وأخذ الأموال، فرُفِع إلى المأمون سوء سيرته فأمر بضرب عنقه وذلك سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م. راجع في ترجمته: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٢،ص ١٧٨.

[2] الحَجَّاج بن خيثمة، من أهل البصرة ذو وجاهة ورياسة، أسند إليه الرشيد أمر الصواري والبارجات [يعني الإشراف على السفن] وكان من ندماء الخليفة المأمون. انظر أخباره لدى: التنوخي: الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م. ج٤، ص١١٣-١١٤.

فقال أَحْمَدُ بن يُوسُف[١]: أَيَّدَ اللهُ أَمِيرَ المُؤمِنِين أبا عُبَيْدَةَ وأَهْل البَصْرَةِ كما قال الفَرَزْدَق[٢] (شِعْر): [الطويل]

جَرِيرٌ وقَيْسٌ مِثْلُ كَلْبٍ وثُلَّةٍ   يَبِيتُ حَوالَيها يَطُوفُ ويَنبَحُ[٣]

وأَبُو عُبَيْدَةَ يَهُودِي من يَهُودِهِم، كانَ أبوه[a] موزجير اليَهُودي لَيْسَ لهُ قَدِيمٌ ولا حَدِيثٌ ولا أَوَّلُ ولا آخِرُ، عَابَ أَنْسَابَهُم وتَنَاوَل أَحْسَابَهُم، وشَتَم الأُمَّهاتِ والآبَاءَ وذَكَر الإِخْوَةَ والأَخَواتِ، وعَاشَ بَيْنَهُم سَبْعِينَ سَنةً يَشْتُم أَعْرَاضَهُم ويَنْتَهِك أَحْسَابَهُم، فقال أَحْمد بن هِشَام[٤]: لا تَعْتَدُون علىٰ أهْل البَصْرَةِ إنَّهم عَابُوكُم ولا شَتَمُوكُم بأكْثَر من قَوْل "أبِي عُبَيْدة"، فإنْ أَرَدْتُم الانتِقَام فَلْيَكُنْ ذلِك فيه لأنَّ اللهَ عز وجل يقُول: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ به﴾ [البقرة: ١٢٥].

---

[a] في الأصل: «كان قال لأبيه».

---

[١] أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح. أبو جعفر الكاتب،كان من أفاضل كتاب المأمون، وأذكاهم، وأفطنهم، وأجمعهم للمحاسن، جيد الكلام، فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الخط، يقول الشعر في الغزل والمديح والهجاء، توفي سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م؛ ترجمته وأخباره في: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٦،ص ٤٦٣؛ ياقوت: معجم الأدباء ج٢،ص ٥٦٠.

[٢] همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعرٌ من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. ترجمته وأخباره في: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١ص٤٦٢-٤٧٢.

[٣] البيت في ديوان الفَرَزْدَق: ضبط معانيه وشرحه وأكمله: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢١٤.

[٤] أحمد بن هشام، صاحب شرطة طاهر بن الحسين. انظر: ابن طيفور: كتاب بغداد، تحقيق: عزت العطار الحُسَيْني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٩٥.

فقال المـأمُون: قد كُنْتُ أعْلَم أنَّ بَيْنكُم اخْتِلافـًا وافْتِخَارًا، ولم أكُنْ أحْسَبُهُ بلغَ هذا والكلاَمُ كثِير، وقد رأَيْتُ أنْ يُدْلِي كُلُّ فَرِيقٍ منكم بِحُجَّتِهِ ويكْتُبُهُ كاتِبٌ حَفِيظٌ.

فقال الخَلِيل بن هِشَام[١]: اكْتُبُوا ما شِئْتُم ولا تَنْسَوا خِذْلانَ علي وقَتْلَ الحُسَيْن - عَلَيهما السَّلاَم - . فقال العَبَّاس[٢]: لقد أمْسَكْنَا عن مَسَاوِئكُم وقُلنَا بِأحْسَنِ ما حضَرَنَا من أمْرِكُم، فأبيْتُم إلا أنْ تَهْجُونَا[a] علىٰ أنْفُسِكُم كقَوْل الأخْطَل (شِعْر): [الطويل]

ضَفَادعُ في ظَلْمَاءِ لَيْلٍ[b] تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْها صَوتُها حَيَّةَ البَحْـرِ[٣]

[١٢و] قال أحْمَدُ بن يُوسُف: يا أمِيرَ المُـؤْمنِين، هو أعْلَمُ بِمَآثِر الكُوفَة ومَفَاخِرِهِم منِّي، وأنا أعْلَمُ بمَعايِبِ أهْل البَصْرَة والطَّعْنِ عَلَيْهم منه، فقال: قل ما أحْبَبْتَ.

فقال أحْمَدُ: مَا شَاءَ اللهُ ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلَّا بالله، إنَّا وجَدْنَا أهْل البَصْرَة فتَقُوا في الإسْلاَم فُتُوقـًا، وابْتَدَعُوا من الضَّلاَلَةِ بِدْعَـًا، وبَنَوْا من البَاطِل مَنَارًا، إثْمُ ذلِكَ في أعْنَاقِهِم وعَارُهُ باقٍ في أعْقَابِهِم، ولو اسْتَقْصَيْنَا القَوْلَ في ذلِكَ كانَ كثِيرًا، ولكِنَّا نَذْكُر بَعْضَ ما لا يَجُوزُ تَرْكُه ونَتْرُكُ ما يُسْتَغْنىٰ عن ذِكْرِهِ، فكان من ذلك أنَّهُم أوَّل شُهُودٍ رُدَّتْ شَهَادَتُهُم وحُدُّوا في الإسْلاَم وهم:

---

[a] في الأصل: تهيجونا. [b] في الأصل: الليل، والتصريب من ديوان الأخطل.

---

[١] الخليل بن هشام بن فنخُسْرَو أحد قواد المأمون وكان نديمه، ثم غضب عليه فقتله هو وأخاه علي بن هشام. وله شِعْر حسن. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق،ج١٤، ص ٣٤٨.

[٢] العباس بن المسيب بن زُهَيْر: صاحب شرطة بغداد في عهد الخليفة المأمون. انظر أخباره لدى: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ١٤-٢٠.

[٣] البيت من شِعْر الأخطل. انظر: ديوان الأخطل، باعتناء: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، ١٩٩٤م. ص١١٢.

شِبْلُ بن مَعْبَد البَجَليُّ[a][١]، ونَافِعُ بن الحَارِث، وأبُو بَكْرَة نُفَيْعُ بن مسْرُوح[b] حِينَ شَهِدُوا علىٰ مُغِيرَة بن شُعْبَةَ، فحَدَّهُم عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢].

٣ ومنهُم أوّل قَسَامَةٍ شَهِدتْ علىٰ زُور وبَاطِل، وذلِك عِندَ الحَوْأب[c][٣] حِينَ قَالتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقد سَمِعَتْ نِباحَ كِلَاب الحَوْأب، أيُّ مَكَانٍ هَذا؟ فقِيلَ لها الحَوأب، فقالتْ رُدُّونِي رُدُّونِي، فإنِي سَمِعْتُ رسُول الله ﷺ يَقُولُ أي نِسَائِي تَنْبَحُها كِلَابُ الحَوْأب، فجَاء

٦ خَمْسُون شَيْخاً مِمَّن تلَقَّاهَا من البَصْرِيين فحَلَفُوا لها ما هُو الحَوْأب[٤].

---

[a] في الأصل: الجهني، والتصويب من البلاذري، أنساب الأشراف. [b] في الأصل: ونفيع بن مسروج.
[c] في الأصل: حُوّب.

---

[١] شِبْل بن معبد بن عبيد البجلي، أخو أبي بكرة. أحد الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنى، وحدَّه عمر بن الخطاب. راجع أخباره وترجمته في: طبقات خليفة بن خياط: ص٣١٩؛ الدار قطني: المؤتلف والمختلف، ج٣، ص١٣٩٤.

[٢] فحوى هذه القصة: أن أبا بكرة ومعه ثلاثة شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنى، وكان عمر ولّاه على البصرة، وكانت بينهما منافرة. فكتب أبو بكرة لعُمَر بذلك، فعزله عُمَر وولّى أبا موسى الأشعري بدله. ثم لما جاء الشهود والمغيرة إلى المدينة تلكَّأ أحدهم في الشهادة، فجلد عمر الثلاثة حدّ الفِرْية، ثم استتابهم فتابوا إلا أبا بكرة. وقال المغيرة: يا أمير المؤمنين اشْفِني من هذا العَبْد، وكان عبدًا ثم أعتقه رسول الله ﷺ فنهره عُمَر ﷺ وقال له: اسكت، لو كملتِ الشهادة لرجمتُك بأحجارك. انظر القصة في: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٨١-٤٨٢.

[٣] الحوأب: هو ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها. سُمّي بالحوأب بنت كَلْب القضاعية. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص٣١٤.

[٤] خرجت السيدة عائشة - رضي الله عنها - على جمل يُقَال له عسكر، في طريقها إلى البصرة، ولما طرق بعيرها ماء الحَوْأبِ نبحتها الكلاب، فسألوا قائد الركب أي ماء هذا ؟ قال: ماء الحَوْأب، فصرخت السيدة عَائِشَة بأعلى صوتها، ثُم ضربت عَضُدَ بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقًا، ردوني! فقالت ذلك ثلاثًا، فأناخت وأناخوا حولها، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أَدركَكم والله علي بن أبي طالب. راجع: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٤،ص ٤٥٧.

ومنهُم أَوَّلُ سَاعٍ سعَىٰ وأَوَّلُ غَمَّازٍ غمَزَ، وهو أبُو الـمُخْتَار يَزِيد بن الصَّعق الكِلَابِي [1] حِينَ كَتَبَ إلَىٰ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُ شِعْرًا يَسْعَىٰ بعُـمَّالِهِ يقولُ فيهِ: [الطَّوِيل]

أَبلِغ أَمِيرَ المُـؤْمنِيـنَ رِسَـالَةً — فَأَنتَ أَمِينُ اللهِ في الحَالِ والأَمْرِ
فَأَرْسِلْ إلَىٰ النُّعْمَانِ وابن مُغَفَّل[a] — وأَرْسِلْ إلَىٰ جَزْءٍ[b][2] وأَرْسِلْ إلَىٰ بِشْرِ[c]
فَأَرْسِلْ إليهم يَصْـدُقُوكَ ويُخْبِـرُوا — أَحَـادِيثَ مَالِ اللهِ ذِي العَدَدِ الدَّثْرِ[d]
وقَاسِمْهُم نَفْسِـي فِـدَاؤُكَ إنَّهُمْ — سَيَرْضَوْنَ إنْ قَاسَمْتَهُمْ مِنْكَ بِالشَّطْرِ

[١٢ظ] فكانَتْ هذه أَوَّلَ سِعَايَة في الإسْلَام، وذلك باقٍ فيهم إلَىٰ اليَوْم.

ومنهُم أَوَّل عُمَّال أَقرُّوا بالخِيَانةِ في الإسْلَام لأَنَّ عُمَر قَال لهم: إنْ شِئْتُم فَتَّشْتُكُم وإنْ شِئْتُم صَالَحْتُكُم، فقَالوا: تُصَالِحُنا، فَقَاسَمَهُم أَمْوَالَهُم، منهُم النُّعْمَان بن عَدِي بن نَضْلَة [3] قُرَيْشِي عَدَوِي، وعَبْد الله بن مُغفل الْـمُزَنِي [4].

[a] في الأصل: وابن معقل، والتصويب من فتوح البلدان.
[b] في الأصل: جزي، والتصويب من البلاذري: فتوح.
[c] في الأصل: نشر، والتصويب من البلاذري: فتوح. [d] في الأصل: والدثر، والتصويب من البلاذري.

[1] كتب إلى عُمَر بن الخطَّاب بأبيات من شِعْر لمَّا كثرت أموال عماله في الأهواز. انظر: البلاذري: فتوح البلدان [فتح كور الأهواز]، ص ٥٤١-٥٤٢.
[2] جَزْءُ بن معاوية، عامل عُمَر بن الخطَّاب ﷺ على الأهواز. راجع: البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٢، ص ٣٤٥.
[3] هاجر هو وأبوه إلى الحبشة، ومات أبوه بها، فكان أول من مات ممن هاجر، وورثه ابنه النُّعْمَانُ بن عَدِيٍّ؛ فكان أول وارثٍ في الإسلام. راجع في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص ١٤٠؛ الدار قطني: المؤتلف والمختلف، ج٢، ص ٣٧٠.
[4] عبد الله بن مُغفل المزني، له صحبة، كان من أصحاب الشجرة سكن المدينة ثم نزل البصرة وابتنى بها دارًا. راجع ترجمته وأخباره في: ابن حبان: الثقات، ج٣، ص ٢٣٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص٩٩٦.

وجَزْءُ بن مُعَاوِيَة[a]، والسَّعْدِيّ[b] والأَحْنَفُ بن قَيْسٍ، وبِشْرُ بن المُحْتَفِزِ[c] الـمُزنِيّ[١]، والحَجَّاج بن عَتِيك[d] الثَّقَفِيُّ.

٣ ومنهُم أوَّلُ شُهُودٍ رَدَّ[ت] شَهَادتهم حُكْمُ رسُول الله ﷺ، ثمَّ أخذُوا على شَهَادتِهم الجَعَالَةَ والرِّشَى [ومنهم]: المُنْذِر بن الزُّبَيْر[٢]، وأبو مَرْيَمَ السَّلُولِيُّ[٣]، وغَيْرِهُما شَهِدُوا أنَّ أبا سُفْيَان أقَرَّ عِندهُم أنّه فَجَر بِأم زيادٍ، وزَعَم أبو مريم أنّه هو

٦ كان القَوَّاد الذي جاء بِسُمَيَّة إلى أبي سُفْيَان؛ فرَدَّ مُعَاوِيةُ بِشَهادةِ هؤلاء حُكم رسُول الله ﷺ «الولَدُ للفِرَاشِ ولِلْعَاهِر الحَجَرُ»[٤]؛ فجَعلَ الحَجَر لِلفرَاش، ولِلْعَاهِر الوَلَد[٥].

---

[a] في الأصل: عَبْد الله بن جزي، والتصويب من أنساب الأشراف.

[b] في الأصل: السعد بن عُمَر، والتصويب من البلاذري.

[c] في الأصل: بشر بن المحيص، والتصويب من أنساب الأشراف.

[d] في الأصل: عثمان، والتصويب أنساب الأشراف

---

[١] بِشْر بن المحتفز المُزنِي، عامل عمر بن الخطاب ﷺ على جنديسابور من كور الأهواز، وكانت له صحبة. راجع ترجمته وأخباره في: البلاذري: أنساب الأشراف،ج١١، ص ٣٣٥.

[٢] المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، قتل في حصار ابن نمير، وهو حصار ابن الزبير الأول، وقيل: قتل في الحصار الثاني، راجع:البلاذري: المصدر السابق، ج٥، ص ٣٤٣.

[٣] أبو مريم السَّلُولي اسمه مالك بن ربيعة، كان خمّارًا في الجاهلية، وهو الذي شهد بقضية زياد ابن أبيه عند استلحاق معاوية له.ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٩، ص١٧٣.

[٤] انظر: البخاري:الجامع الصحيح، طبعة مؤسسة المكتنز الإسلامي بلندن، طبع في برلين ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ.[كتاب الفرائض، باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة] الحديث رقم: ٦٨٣٥.

[٥] عن شهادة أبي مريم السَّلُولي، انظر الخبر بتمامه لدى الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج١، ص٣٤٣؛ البلاذري: أنساب الأشراف،ج٥، ص١٩٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٣١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٩، ص١٣١.

وأوَّل من تَابَع إمَامَ هُدَىٰ ثم خَالفُوهُ ونَكَثُوا بيْعَتَهُ وذلك أمِيرُ المُـؤْمنِين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
وهم أوَّل من جَرىٰ عَلَيْه حُكْمُ الحَرْب في الإسْلاَم حِينَ قَتَلهُم اللهُ بأيْدِينَا يوْمَ
٣ الجَمَل، فقال أمِيرُ المُـؤْمنِين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « لا تَتْبِعُوا مُوَلِّيًا ولا تُـجْهِزُوا[a] علىٰ جَرِيح».
وأخَذَ ما في بُيُوتِ أمْوَالِهِم فقَسَمَهُ بَيْننَا فأصَابَ كل رجُلٍ مِنَّا خَمْسمِائَةِ دِرْهَمٍ[1].

وفي ذلك قال شَاعِرنا[2] (شِعْر) : [من الرَّمل]

فَــإِذَا فَاخَرْتمُونَـــا فَـــاذْكُرُوا مَــا فَعَلْنَــا بِكُــمْ يَــوْمَ الجَمَــلْ
ابْعَثِ الكُوفِيَّ[b] في الخَيْلِ ولَا تَبْعَثِ[b] البصري إلا في النَّفَلْ[c]

٦ ومنهُم أوَّل من أجَارَ ثم غَدرَ في الإسْلَام، وهو المجُـاشِعِيُّ[3] الذي أجَارَ الزُّبَيْر
بن العَوَّامِ حينَ انْصَرفَ من وقْعَةِ الجَمَل، ثم غَدَر به حتىٰ قُتِلَ. ومنهُم أوَّلُ من ارتَدَّ
عن الإسْلَام، وهم بنُو ناجِيةَ تَنصَّروا بعد الإسْلَام، فبعثَ إليهم عليّ بن أبي طَالِب
٩ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [١٣و] مَعقلَ بنَ قَيسٍ الرِّياحيَّ[4]، فقَتل المُقَاتِلةَ وسَبَىٰ الذُّرِّيَّة.

---

[a] في الأصل: ولا تجيزوا، والتصويب من: الدينوري: الأخبار الطوال.

[b] في المختصر: واجعل الكوفي،.. ولا تجعل.

[c] في الأصل: إلا في الثَّقل والتصويب من المختصر.

---

[1] والخبر بتمامه لدى أبي حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ومراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٥١.

[2] نسبت هذه الأبيات لأعشى همذان في مختصر كتاب البلدان، ص ١٦٦.

[3] النَّعِر بن زَمَّام المجاشعي. راجع الترجمة والخبر المذكور في: ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج٥، ص١١١.

[4] مَعقل بن قيس الرِّياحي صاحب عليٍّ بن أبي طالب ﷺ وصاحب شرطته، انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٩، ص٣٦٧-٣٦٨.

ومنهُم [أوَّل] من عطَّلَ حُدُودَ الله، وهو عَبْدُ الله بن عَامِرٍ[1] بِخُرَاسَان في خِلافَةِ عُثْمانَ بن عَفَّانَ فقِيلَ له: عَطَّلْتَ الحُدُودَ فقال: أنا أُعْطِيهِمْ مَالِي وهم يَذُمُّونِي، فكَيفَ
٣ لو ضَربْتُ ظُهُورَهُم.

ومنهُم أوَّل من خَرجَ علىٰ المُسْلِمين، وهم أصْحَابُ عَبْد الله بن عَامِرٍ بِخُرَاسَان.
ومنهُم أوَّل من رَدَّ قولَ رسُولِ الله ﷺ :«مَنْ انْتَفَىٰ من أبِيه فَعَلَيْه لعْنَةُ الله»[2] فكانَ
٦ ذلِك زِيَادٌ وهو منهُم، وهو أوَّل من رَدَّ قول النبي ﷺ «لا حِلْفَ في الإسْلَام»[7]، فتَحَالفَتِ الأزْدُ وبَكْرُ بن وَائِلٍ[3]، وكانَ الذي عقَدَ الحِلْفَ مَالِكُ بن مِسْمَع[4]، فقال له الأَحْنَفُ: يا مَالِك، أحِلْفٌ في الإسْلَام؟ فقال مَالِك: أدعوةٌ في الإسْلَام، وقد قال
٩ الله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٤]؟ يُرِيد أمْرَ زِيَاد.

ومنهُم أوَّل من انْهَزمَ في الإسْلَام هَزِيمةً مُجَـلِّـيَةً، وهو أَسْلَمُ[a] بن زُرْعَةَ[5]، انهزم من مِـرْدَاس الخَارِجِي، فصَاحَ به الصِّبْيَان في الطُّرقَات: يا أَسْلَمُ[a] قد جاءَ أبو بِــلال

[a] في الأصل سلمة: والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف.

[1] عبد الله بن عامر بن كريز، افتتح عامة فارس وخراسان وكابل. وتوفي سنة ٥٩هـ/٦٧٩م. ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج٥، ص٤٤.

[2] أخرجه ابن ماجة: كتاب السنن، طبعة جمعية المكنز الإسلامي، برلين،١٤١٢هـ، (كتاب الآداب). رقم ٣٨٩٣.

[3] أخرجه البخاري: في كتاب الكفالة (٢٣٣٨) ومسلم : في كتاب فضائل الصحابه رقم(٦٦٢٦) ؛ و قارن: البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٢، ص٣٢٩.

[4] مَالِكُ بن مِسْمَع البكري الجحدري: كان زعيمًا في قبيلته بكر بن وائل. اشترك مع معاوية ثم رجع إلى العراق. توفي ٧٣ هـ/ ٦٩٢م. راجع ترجمته في: ابن عساكر: المصدر السابق، ج٥٦، ص٤٩٧-٤٩٨.

[5] أسلم بن زرعة الكُلَّابي الواسطي، يعد في البصريين، استعمله معاوية بن أبي سفيان على خراج خراسان. انظر ترجمته وتفاصيل الخبر في: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٠، ص٥٢٩.

مرداس، فحَرِدَ[1] من ذلك، وزادَ عَلَيْه الأمر حتىٰ أقامَ في مَنْزِله ولم يَخْرُج حتىٰ ماتَ.

ومنهُم أوَّل من عُرِفَ بالتَّطْفِيل، وهو الـجَارُودُ بن [أبي] سَبْرَةَ الهُذَلِيُّ[2] كان يَجِيءُ إلىٰ موائِد الأمَراءِ والأشْرافِ من غير أنْ يدْعُوهُ، وكذلك كان إمَامُ مَسْجِدِهِم سَعِيدُ بن أسْعَد[3] إذا كانتْ وليمَةٌ سَبقَ إليها.

ومنهُم أوَّل منْ أعْلَنَ الفَاحِشَة وأقَرَّ علىٰ نَفْسِه بِالأُبْنَةِ[4] والفَضِيحَةِ: جَحْشَوَيْه. وهم المـُقَدَّمُون علىٰ النَّـاس بالـحُمْق والمعْروفُون بالنَّوك[5]، منهُم هَبَنَّقَة القَيْسِي، وهو الذي يُضرَب به المثل حتىٰ قيل: أحْمَقُ من هَبَنَّـقَة[6]، وكتبَ عُمَر إلىٰ عُتْبَة بن غَزوانَ: أمَّا بعد، فاحْذَر أهْل بَلَدِكَ فإنَّ أكثرَ أهْلِهِ تَمِـيمٌ وهُم بُخْلٌ، وبَكْرُ بن وَائِلٍ وهم كُذُبٌ، وإنَّ في الأزْد لـَمُوَقًا، فهذا قَوْلُ عُمَر فيهم خَاصَّةً، ولوْ كانَ عَرَفَ ذلك في أهْل الكُوفَة لكَتَب إلىٰ سَعْدِ [١٣ظ] بن أبي وقَّاص.

---

[1] حَرِد الرجل إذا اغتاظ وغضب فتحرَّش بالذي غاظه. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص٢٣٩.

[2] الجارود بن أبي سبرة، سالم بن سلمة الهذلي، أبو نوفل البصري، من أشراف البصرة، عُدَّ في التابعين، ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الثانية من قراء البصرة، وفاته على أقوال أرجحها سنة ١٢١هـ/٧٣٩. راجع: طبقات خليفة بن خياط، ص٣٦٤، المزي: تهذيب الكمال ج٤، ص٤٧٥.

[3] سعيد بن أسعد الأنصاري، ثقة، تولى الصلاة والقضاء بالبصرة، ذكره البخاري في تاريخه. انظر: أبو حاتم الرازي: الجرح والتعديل، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م، ج٤، ص٤.

[4] الأُبْنة كالوصمة العيب والعار. انظر: ابن منظور: لسان العرب [فصل الواو] ج١٢، ص ٦٣٩.

[5] النَّوك: بالفتح والضم، شدة الحمق والغفلة. انظر: المصدر السابق: مادة [ن و ك] ج١٠، ص٥٠١.

[6] انظر: الجاحظ: المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٢٨؛ أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج١، ص٣٤٢؛ ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤١.

ومن حُمْقِهِم أنَّ أبَا حيَّة النُّميريَّ[a] [١] كان مُمْلِقـًا فخَدعَهُ الفَرَزْدَق وأمَرهُ أنْ يَبِيع ابْنَتَهُ من المـُهَلَّبِ[٢] علىٰ أنها وصِيفَةٌ له، فهَيَّأهَا؛ ثمَّ ذهبَ بها إليه وعَرَضَهَا عَلَيْه فوَقَعَتْ بِقَلْبِه واسْتَامَ عَلَيْه بِها مِائَةَ أَلْف، فَأَخَذَهَا منهُ بما قال، فقال الفَرَزْدَق للمُهَلَّب: إنَّ أبا حيَّة[a] إنَّما بَاعَكَ ابْنَتَهُ. قال: كَذَبْتَ، فَأَرْسَلَ إليه فَسَألَهُ فقال: نَعَم، لم أطمَعْ أنْ أزَوِّجَكَ فبِعْتُكَ بَيْعـًا حَلالًا، فوقَفَ علىٰ جَهْلِهِ، فقال: قد جَعَلْتُ المِائَةَ الألْفِ مَهْرَهَا، فوَلَدتْ مُحَمَّدًا وأبا عُيَيْنَة.

ومن حُمْقِهِم ما ذَكَرهُ الشَّرْقِيُّ بنُ القُطَامِيِّ[٣] قال: كان رجُلٌ من أهْلِ البَصْرَةِ جَالِسـًا مع امرَأتِهِ فَدَعَا الحَجَّامَ لِيَحْجُمَهُ، فَلَمَّا وضَعَ الحَاجِمَ علىٰ عُنقِهِ شَرطَةً وهو غَافِلٌ، فَضَرِطَ[٤] فضَحِكَتْ امْرَأتُهُ، فَأخَذَ السَّيْفَ وضَربَ الحَجَّامَ فَقَتَلَهُ، فصَاحتِ

[a] في الأصل: خَيْرَة القُشيْرِي، والتصويب من ابن قتيبة: الشعر والشعراء.

[١] الهيثم بن الربيع بن زرارة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعبَّاسية، وكان شاعرًا فصيحًا من ساكني البصرة، وكان يروي عن الفرزدق. واختلف في سنة وفاته على أقوال، أرجحها سنة ١٨٣ هـ/٨٠٠ م.راجع ترجمته وأخباره في ابن قتيبة: الشعر والشعراء،ج٢، ص٧٦٢-٧٦٣.

[٢] المهلَّب بن أبي صفرة العتكي، ولي خراسان، وتوفي بمرو الرُّوذ في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٣هـ/٧٠٢م. راجع في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٢٩؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٣٤٤.

[٣] هو الوليد بن الحصين بن جمال بن حبيب بن جابر بن مالك الكوفي، يكنى شرقي أبو المثنى، عالم بالأنساب، وافر الأدب، أقدمه أبو جعفر المنصور بغداد، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج١٠، ص٣٨٢؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص ١٤١٥-١٤١٩.

[٤] أي خرج من بطنه ريح له صوت انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٤١.

امْرَأَتُهُ واجْتَمَعَ النَّاسُ، فَأُخِذَ وأُتِيَ به عُبَيْدَ الله بن زِيَاد، وهو على البَصْرَةِ، فقال: لِمَ قَتَلْتَ هذا؟ قال: لأَنَّهُ يَشْرُطُ ولا يُحَذِّرُ.

ومن حُمْقِهِم أنَّ شَيْخَيْنِ من الأَزْدِ تنازَعَا في شيء فقال أحَدُهُما لِصَاحِبِهِ: والله لو كان غَيْرَكَ؟ قال: فأنَا غَيْرِي. قال: أَنْتَ غَيْرُكَ؟ قال: نَعَم، فَرَفَعَ يَدَهُ ولَطَمَ عَيْنَهُ.

[حُمْق الأحنف]

ومن حُمْقِهِم أنَّ مُصْعَبَ بن الزُّبَيْر لمَّا أرَادَ المَسِيرَ إلى المُخْتَار، بعث إلى الأَحْنَفِ بن قَيْس[1] بِمِائَةِ أَلْفُ دِرْهَم، وقال: سِرْ مَعِي، فَأَمَرَ الأَحْنَفُ بِفُسْطَاطِه فَضُرِبَ في العَسْكَر، فبَلَغَ ذلك زَبْراءَ جَارِيَةَ الأَحْنَف، وكانت صَاحِبَةَ أَمْرِهِ فقالت: ما أرْسَلَ إلَيَّ مُصْعَبٌ شَيْئًا؟ قِيلَ: لا، فَجَاءتْ حتى جَلَسَتْ بَيْنَ يَدَي الأَحْنَفِ وبَكَتْ، ثم قالت: أَبَعْدَ قِتَالِكَ المُشْرِكِين ومَوَاقِفِكَ المحْمُودَةِ في بلَدِ العَدُوّ، تَخْرُجُ إلى المسلمين ومن يَطْلُبُ بِثَأْرِ أوْلَادِ النَّبِي - عَلَيْهم السَّلاَمُ - تُقَاتِلُهُم؟ قال: صَدَقَتْ زَبْراءُ، قَوِّضُوا فُسْطَاطِي، فَفَعَلُوا فَبَلَغ ذلك مُصْعَبًا فقال: ما الذي دَهَاهُ؟ [١٤و] فَخَبَّرُوهُ بِقِصَّة زَبْراءَ فَبَعَثَ إليها ثَلاَثِينَ أَلْفُ دِرْهَم، فَجَلَسَتْ بين يَدَي الأَحْنَف، ثم قالت: أَمْرٌ قَد اجْتَمَعتْ فيه العَرَبُ والأَشْرَافُ ويَوْمٌ من أيَّامِهِم المَذْكُورَةِ لهُ ما بَعْدَهُ، تَغيبُ عنه فيَخْمُل ذِكْرُك ويَدْرُسُ اسْمُكَ. قال: صدَقَتْ زَبْراءُ، أَعِيدُوا فُسْطَاطِي فَأُعِيدَ[2].

---

[1] تقدمت ترجمته، ص١٠٤.

[2] قارن: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٦-١٩٧٩م، ج٣، ص٣٣٠-٣٣٢.

ومن حُمْق الأَحْنَفِ أَنَّهُ جَرَىٰ بَيْنَهُ وبين الحُتَاتِ[١] كَلاَمٌ فقال لهُ: إِنَّكَ لَضَئِيلٌ وإِنَّ أمكَ[a] لَوَرْهَاءُ[٢] وإِنَّ خَالَكَ لَلَئِيمٌ. فقال لهُ الأَحْنَفُ: إِنَّكَ لَجِلفٌ جَافٍ وما فيك من شيءٍ إلا أَنَّك ابن درامٍ، اُسْكُتْ يا أُوَيْذِر[b][٣].

فَطَرَحَ الحُتَاتُ ثِيابَهَ بينَ النَّاسِ، وقَال: هل تَرَوْنَ شَيئاً؟ فبَلَغَ من حُمْقِ الأَحْنَفِ أَنَّهُ كَذَبَ كَذِباً كُذِّبَ به قبل أَنْ يَبْرَحَ[٤].

ومن حُمْقِهِ أَنَّ الحسَنَ بن عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَتَبَ إليه يسْتَنْصِرهُ، فقال: قد بَلَوْنَا حَسَناً [وآل][c] أَبَا حَسَنٍ، ولم نَجِدْ عِنْدَهُمَا إِيالَةً[d] لِلْمُلْكِ، ولا سِيَاسَةً[e] للحَرْبِ، ولا صِيَانة

---

[a] في الأصل: ابنك، والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف.

[b] في الأصل: دبره، والتصويب من الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان؛ وفي البلاذري: أُديره.

[c] تتمة من البلاذري.

[d] في الأصل: إبالة، والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف.

[e] في البلاذري: مكيدة.

---

[١] الحُتات بن يزيد بن علقمة بن حوى بن سفيان بن دارم المجاشعي التميمي، وفد على النبي ﷺ في بني تميم، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، توفي في خلافته، فورثه معاوية. انظر في ترجمته وأخباره: الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج١، ص٤٨٤؛ ابن عَبْد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٤١٢.

[٢] من الوَرَهِ: وهو ضعف العقل، والمرأة الورهاء: الخرقاء الغير المسئولة. لسان العرب، ج١٣، ص٥٦٠.

[٣] من الأُدْرَة: وهي فتق يصيب الرجال. انظر : ابن منظور: المصدر السابق، ج٤، ص١٥.

[٤] نقل ابن الفقيه خبر الأحنف والحتات من الجاحظ بتصرف يسير، ودون أن يشير إلى مصدره ؛ انظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤١٢؛ والبيان والتبيين، تحقيق: عَبْد السلام هارون، طبعة بيروت ٢٠٠٢م المصورة عن طبعة القاهرة، ١٩٤٨م ، ج١،ص٧٠؛ والخبر بتمامه لدى البلاذري: أنساب الأشراف،ج١٢، ص٣٣٥.

للمَالِ[a][1]، الأمْرُ هَاهُنَا وأشَارَ بِيَدِه إلى الشَّام فخذَّل النَّاسَ عن الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثمَّ شَخَصَ مع من شَخَصَ أمْثَال الحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقَامَتْ رِكَابُهُ، فكَان ذلِكَ سَبَبَ تخلُّفِهِ.

٣ ومن حُمْقِهِ أنَّهُ حِينَ نَزلَ به المَوْتُ قِيلَ له: ما تَشْتَهِي؟ فلم يَقُلْ "رحْمَةَ الله" وقال: شَرْبَةٌ من مَاءِ الغَدِيْرِ[b][2] وهو ماء رَدِيءٌ لِبَنِي سَعْد، فتَرَكَ ما يَنْفَعُهُ وتمَنَّى ما لا يرْجِعُ إليه منهُ نَفْعٌ في دنْيَا ولا آخِرَةَ.

٦ وسُئِلَ قَتَادَةُ عن الأَحْنَف فقال: كان ممَّنْ زفَّ سَجَاحَ[3] إلى مُسَيْلَمَةَ الكذَّاب[c][4].

---

[a] لدى البلاذري: «وقوله حين استنصره الحسن: قد بلونا حسنًا وآل أبا حسن فلم نجد لهما إيالة للملك، ولا صيانة للمال، ولا مكيدة في الحرب، ولم يجبه».

[b] في الأصل: الغرير، والتصويب من ياقوت الحموي: معجم البلدان.

[c] لدى الأصفهاني: «قيل للأحنف وكان ممن زفّ سجاح إلى مسيلمة: ما وجدته؟ قال: ما هو بنبيّ صادق، ولا متنبيء حاذق».

---

[1] الخبر بنصه لدى البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٢، ص٣٣٧؛ وقارن: أبو هلال العسكري: الأوائل، طبعة دار البشير، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٤٢.

[2] الغدير: بئر يقع على الطريق بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤،ص ١٨٨.

[3] سجاح بنت الحارث التميمية. ادعت النبوة في الردة، وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته، وبعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت، وعاشت إلى خلافة معاوية. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٣، ص٢٦٧-٢٧٥.

[4] قارن: الجاحظ: البرصان والعميان والعرجان، ص٣١٨؛ وكذلك البيان والتبيين، ج٢، ص٧٨-٨٨؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج٢، ص٤٤٥.

ولا تصح هذه الأخبار في حق الأحنف بن قيس فالمشهور عنه خلاف ذلك ، راجع ترجمته فيما تقدم، ص١٠٤.

[حُمْق أهْل البَصْرَة]

ومن حُمْق أهْل البَصْرَة أنَّ الحَبْلَ[1] لَمَّا اضطَرَبَ عِنْدَ مَوْتِ يَزِيدِ بن مُعَاوِيَةَ[2]، قامَ عُبَيْدُ اللهِ بن زِيَاد علىٰ مِنْبَر البَصْرَة، فقال: أيُّها النَّاسُ، إنَّهُ لابُدَّ لكُم من إمَامٍ يُقَاتِلُ عَدُوَّكُم، ويَجْبِي فَيْئَكُم ويَقْسِمُ بَيْنَكُم، فاخْتَاروا رَجُلاً يَلِي أمْرَكُم حتَّىٰ يصْطَلِح أهْلُ الشَّام علىٰ رَجُلٍ فتَدْخُلُوا في اخْتيارِهم[3]، فقامَ إليه الأَحْنَفُ فقال: أنت فكُنْ ذلك[١٤ظ] الرَّجُل. ثمَّ ضَربَ علىٰ يَدِه فبَايَعهُ وتَتَابَعُوا كلُّهُم علىٰ ذلك[4].

---

[1] اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم واختلَّ أمرهم، والحبل موضع معروف بالبصرة على شاطئ نهر دجلة، وهو رأس ميدان زياد، وربما كان هذا الموضع مكان اجتماعهم على هذه الحال. انظر:- ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٥٤٤؛ أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع تحقيق مصطفى السقا، طبعة عالم الكتب بيروت المصورة عن طبعة القاهرة ١٩٤٥م، ج٢، ص٤٢١؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص ٢١٤.

[2] يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي. الخليفة، أبو خالد القرشي، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه، توفي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٣٨-٣٤١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٥-٤٠.

[3] ورد ما قاله عبيد الله بن زياد في خطبته لدى: أبو سعد الآبي: نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٥، ص ١٢. وهاك نصه: «...وخطب بِالْبَصْرَةِ بعدَ موْت يزيد فَقَالَ: يَا أهْل الْبَصْرَة. انسُبوني، وَالله مَا مُهاجَرُ أبي إِلَّا إِلَيْكُم، وَمَا مَوْلدي إِلَّا فيكُم، وَمَا أنا إِلَّا رجلٌ مِنْكُم. وَالله لقد وَلِيكُم أبي ومَا مُقَاتِلَتكم إِلَّا أَرْبَعُونَ ألفًا. وَلَقَد بَلغ بهَا ثَمَانِينَ ألفًا. وَمَا ذُرِّيتكُم إِلَّا ثَمَانُون ألفًا، وَقد بلغ بهَا عشْرين وَمِائَة ألف. وَأَنْتُم أوسعُ النَّاس جِلادًا، وأبعدُه مَقادًا، وَأَكْثَره جُنُودًا، وأغنىٰ النَّاس عَن النَّاس. انظُرُوا رجُلًا تُولُّونه أمركُم، يكُفُّ سُفهاءَكم، ويَجْبي فيْئكم، ويقسمهُ بَيْنَكُم، فَإِنَّمَا أنا رجلٌ مِنْكُم. فَلَمَّا أَبَوْا عَلَيْهِ قَالَ: إِنِّي أخافُ أن يكون الَّذِي يَدْعوكُم إِلىٰ تأميري حداثةَ عهدٍ بأمري».

[4] قارن الخبر في: تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٥٨.

ومن حُمْقِهِم أنَّ مَسْعُودَ[a] بن عَمْرو الأَزْدِي[1] دخلَ علىٰ عَبْد المَلِك وافِدًا من عند الحَجَّاج، فأرَادَ أنْ يُطْرِيَهُ ويُعَظِّم شَأنَهُ، فقال: أصْلَحَ اللهُ أمِيرَ المُـؤْمنِين، قد خرَيْنَا من خَوْفِ الحَجَّاج.

ومن حُمْقِهِم أن الشَّافال البَكْراويَّ[2] كان فَاجِرًا خَلِيعًا، فكان قَدْ فَسَقَ بِرَجُلٍ كَرِهْنَا أنْ نُسَمِّيَهُ ولوْلَا [أنَّ] جَحْشَوَيْهِ كَشَفَ ذلك عن نَفْسِهِ ما ذكَرْنَاهُ، فخَطَبَ الشَّافال بنْتَ الـمَفْعُول به وظَنَّ أنَّ تَزْوِيجَهَا لا يَحِلُّ لهُ لِفِسْقِهِ بِأبِيهَا، فأتَىٰ الحَسَنَ البَصْرِيَّ، وهو جَالِسٌ والنَّاسُ عندهُ، فقال: يا أبا سَعِيدٍ ما تقُولُ في رجُلٍ نَكَحَ رجُلًا، أيحِلُّ له أنْ يتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ؟ فقال له الحَسَنُ: لعَلَّكَ أرَدْتَ أنَّهُ نكَحَ أُمَّهَا قال: لا، أنا أدْرِي ما سَعَيتُ فيه، فأعْرَضَ عنه الحَسَنُ.

ولَيْسَ في الأَرْضِ بَصْرِيٌّ يدْخُلُ الكُتَّابَ إلَّا ولهُ كُرْسِيٌّ يجْلِسُ عَلَيْه لِئَلا تَأكُلَ الأَرْضُ ثَوْبَهُ، ومن بُخْلِهِم أنَّ صَاحِبَ بَاقَّلا[3] كان في بَعْضِ سِككِهِمْ، فأخْرَجُوهُ وقالوا: تُعَلِّمُ[b] صِبْيَانَنَا الإسْرَافَ ويَقْتُلُهُم الجُوعُ[c] لِأنَّهُم يشْتَرُونَ منك بخُبْزِهِم بَاقَّلا.

---

[a] في الأصل: سُفْيان بن مَسْعُودِ بن عَمْرو الأزْدِي، وهو خطأ.

[b] في الأصل: تعلي. [c] في الأصل: بالجوع.

---

[1] هو مسعود بن عمرو بن عدي بن مُحارب بن مَلِيح بن شرطانَ بن مَعْن بن مالك بن فَهم. سيِّدُ الأزْد، أخو المهَلَّب بن أبي صُفْرة لأمّه، يقال له قَمَر العراق لجماله، قتلته بنو تميم. وهو الذي أجار عُبيد الله بن زياد أيّامَ الفتنة. راجع في ترجمته وأخباره: ابن دريد الأزدي: الاشتقاق، مراجعة وتحقيق: عَبْد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص٥٠٢؛ الدارقطني، المؤتلف والمختلف، ص١٤٧١، ٢٠٥٠.

[2] كذا في الأصل. ولعله أبو السمّاك الأسدي، وله ذكر في أنساب الأشراف، للبلاذري، ج١، ص٣٧.

[3] البَقْل ما نبت في بزره لا في أرومة ثابتة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة [ب ق ل]، ج٢٨، ص٩٩.

وأَخْرَجُوا غَرِيبًا كان نَازِلًا في بَعْضِ سِكَكِهِم فقال لهم: أيَّ شيءٍ أَجْرَمْتُ إلَيْكُم؟ قالوا: تَأْكُلُ اللَّحْمَ في كلِّ يَوْمٍ.

ولَقِي بَعْضُهُم صَاحِبًا لهُ فقال: أعِرْنِي نَعْلَكَ إلىٰ الكَلَأ بتَعْلِيقٍ، يُرِيدُ أنَّهُ يُعَلِّقُها بيدِهِ ويَمْشِي لِيَظُنَّ النَّاسُ أنَّها مُنْقَطِعَةُ الشِّرَاكِ.

ولَيْسَ في الأَرْضِ أَهْلُ بلْدَةٍ أطْمَعُ ولا أدَقُّ أخْلاقًا وأنْظَر في الخَطَرِ الخَسِيسِ منْهُم؛ فإنَّهُم أوَّل من جعَلَ حَبَّ الأَرُز في المَوَازِينِ، وأرْبَعُ حَبَّاتِ أرُزٍّ حبَّةُ شَعِيرٍ، ولا نَعْرِف ذَاك في شيءٍ من البُلْدَانِ إلا [في] بَلَدِهِم.

ومن فَضْل الكُوفَةِ علىٰ البَصْرَةِ أنَّ مُلُوكَ العَرَبِ والعَجَمِ طَافُوا الآفَاقَ واخْتَارُوا البِلَادَ، فوَقَعَ اخْتِيارُهُم علىٰ الكُوفَةِ أوْ ما يَقْرُبُ منها، من ذلك الأنْبَار نَزَلَها دَارَا بن دَارَا[1]، وجَذِيمَةُ الأبْرَشُ[2]، [١٥و] ومنها بَابِلُ نزَلَها بُخْتُ نَصَّر[3]، ومن كان قَبْلَهُ وبعْدَهُ من المُلُوكِ.

---

[1] دَارَا بن دَارَا بن بهمن بن إسفنديار بن يستأسف بن بهراسف، والفرس تسمى دارا هذا باللغة الأولى من لغاتهم داريوس، قتله الإسكندر بن فليبس المقدوني، وكان مُلْكُه إلى أن قُتِل ثلاثين سنة. انظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٢٥٥-٢٥٧.

[2] جذيمة بن مالك بن فهم التوخي، أول ملك من قُضاعة، يقال له: الأبرش، والوضاح، لبرص كان به. كان لا ينادم أحدًا، وينادم الفرقدين، وهو أوَّل من عمل المنجنيق، وأوَّل من حذيت له النعال، وأوَّل من رفع له الشّمع. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٦٤٥؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ٦٦-٦٧.

[3] بخت نصّر بن بيت بن جوذرز الملك البابلي. دخل دمشق ومضى منها إلى بيت المقدس فخرّبها، وسبى أهلها وحملهم إلى بابل، وقيل إنه آمن بعد ذلك. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ج١، ص٤٦-٤٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧١، ص٣٤٢.

ومنْهَا مَدَائِنُ كِسْرىٰ نزَلَهَا أرْدَشِيرُ بن بَابَك[١]، ومَنْ بعْدَهُ من ملُوك فَارِس إلىٰ يَزْدَجِرْد[٢]. ومنها الخَوَرْنَق[٣] نزَلَهُ بَهْرَام جُور[٤] والنُّعْمَانُ بن الشَّقِيقَةِ[٥] وغيرهما من
٣ مُلُوك العَربِ.

---

[١] أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك من ولد بهمن بن إسفنديار، وهو الذي أزال ملوك الطوائف، ويسمى ملكه ملك الاجتماع، ملك أربع عشرة سنة وشهورًا. انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، تصحيح: عَبْد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة العصرية، بغداد، ١٩٨٣م، ص٨٧.

[٢] يزدجرد بن بهرام بن سابور، ذي الأكتاف،كان فظا غليظا مهيبا للناس سفاكا للدماء، لا يكافئ على حسن بلاء، منانا، لا يتجاوز عن زلة وإن صغرت، شكوا إلى الله ودعوا الله عليه فجاء فرس لم ير في مثل حسنه وكماله حتى وقف ببابه فلما خرج رمحه رمحة فقضي عليه. انظر في ترجمته وأخباره: أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص٥١-٥٥؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ٢٠٠٢م، ج١، ص١٦٦.

[٣] الخورنق: موضع مشهور بظاهر الكوفة كان فيه القصر المعروف بهذا الاسم، مضرب الأمثال في أشعار العرب، وهو من أعظم المنشئات التي ورثها العرب عن الفرس، واختلف المؤرخون فيمن بناه فمنهم من قال إنه من بناء النعمان بن امرئ القيس، وقال بعضهم من بناء بهرام جور بن يزدجرد. انظر:- الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٢، ص٦٥-٦٨؛ وقد اهتم ابن الفقيه بقصة بناء الخورنق ونقلها عن الهيثم بن عدي، وأبقى مختصر الكتاب على معضمها، وعن ابن الفقيه أخذها ياقوت الحموي. قارن مختصر كتاب البلدان، ص١٧٦-١٧٩، ومعجم البلدان،ج٢، ص٤٠١-٤٠٣.

[٤] بهرام جور بن يزدجرد الخشن بن بهرام كرمان شاه بن سابور ذي الأكتاف، تولى بعد يزدجرد الأثيم، وكانت مدة ولايته ٢٣ سنة. انظر في أخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٦٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٨-٨٠.

[٥] هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر، قيل إن أمه هي الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ولذلك قيل له النعمان بن الشقيقة. وهو النعمان الأكبر، وكان أعور، وهو الّذي بنى الخورنق. انظر: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٦٤٧.

ومنها الحِيرَةُ نَزَلها عَمْرو بن عَدِيٍّ[١] وولدُهُ بعْدَهُ إلى عَمْرو وقَابُوس ابنَي المُنْذِر، و النُّعْمَان بن المُنْذِر[٢]، وإيَاسُ بن قَبِيصَة الطَّائِي[٣]، حتى جَاءَ اللهُ بالإسْلَام، وإنَّما كانت البَصْرَةُ مَنَازِلَ يَنْزِلها الجُنْد مثل مَنْجشانَ صاحب المَنْجَشَانِيَّة[٤] ومن أشْبَهَهُ من السِّفْلَةِ والأتْبَاع.

وهُم الَّذِين شخَصُوا إلى عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال الأحْنَفُ: يا أمِيرَ المُؤمِنِين، إنَّ إخْوَانَنَا من أهْلِ مِصْرَ نَزَلُوا منَازِلَ فِرْعَوْنَ، وإنَّ إخْوَانَنَا من أهْلِ الشَّامِ نَزَلُوا منَازِلَ مُلُوكِ الرُّومِ، وإنَّ إخْوَانَنَا من أهْل الكُوفَة نَزَلُوا بين حِيرَة النُّعْمَانِ ومَدَائِن كِسْرَى، في مثل حِوَلَاءِ النَّاقَة، أو حَدَقةِ البَعِير الغَاسِقَةِ في جِنَانٍ خِصْبَةٍ، وأنْهَارٍ عَذْبَةٍ يَأْتِيهِم ما يَأْتِيهِم من رِزْقِهِم غَرِيضاً غَضًّا[٥].

---

[١] عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نُمارة بن لخم. ينسب إلى أشلاء قنص بن معد المتفرقين بين الحيرة و الأنبار. انظر: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٦١٨-٦٤٦؛ الطبري: المصدر السابق،ج١، ص٦١١-٦١٩.

[٢] النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. راجع في ترجمته وأخباره: الطبري: المصدر السابق،ج٢، ص١١٤.

[٣] إياس بن قَبيصة الطائي ولي الحيرة تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز ولسنة وثمانية أشهر من ولايته بُعِثَ النبي ﷺ، ملّكه أبرويز مكان النعمان واستعمل معه مرزبانًا من الفرس يقال له: النخيرجان. راجع الطبري: المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٣.

[٤] والمَنْجَشَانِيَّة: حدّ كان بين العرب والعجم بظاهر البصرة قبل أن تخط، تنسب إلى ذي منجشان الحميري؛ وقيل: هي منسوبة إلى منجشي، أو منجشان مولى قيس بن مسعود. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٨.

[٥] قارن الخبر بتمامه لدى: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٣١٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء [في ذكر ترجمة وأخبار الأحنف بن قيس]، ج٤، ص٨٩.

وإنَّا نَزَلْنا في سَبَخةٍ هَشَّاشَةٍ نَشَّاشَةٍ زَعِقَةٍ[a]، لا يـَجِفُّ ثَراهَا ولا يَنْبُتُ مَرْعَاهَا، عَسَفَتْهَا الفَلاَةُ من خَلفِهَا وخَنَّقَهَا البَحْرُ الأُجَاجُ من أمَامِهَا، يَأْتِيهَا ما أتَاهَا في مثل حُلْقُوم[b] النَّعَامَةِ، فلا نُريد من الفَخْرِ عَلَيْهم بِطِيبِ المَنَازِل إلا بما أقَرَّ به صَاحِبُهُم[١].

ولمْ يَزَلْ أهْلُ البَصْرَةِ يشْربُونَ الماء المَالِح حتىٰ ولِيهَا عَبْد الله بن عُمَر بن عَبْد العَزِيزِ، فَحفَر لهم نَهْرًا من البَطِيحَةِ فهم يُسَمُّونَهُ نَهْرَ ابن عُمَر، وفيه يقول بَشَّار في شِعْر طَوِيلٍ[٢]: (شِعْر) [البسيط]

لَا نَشْـرَبُ المَـاءَ إلَّا قـالَ قَائِلُنَـا[c] نِعْمَ الأمِيرُ فِدَاهُ[d] السَّمْعُ والبَصَر
أرْوَىٰ مِنَ العَذْبِ هَامَاتٍ مُصَرَدَةً قَدْ كَـانَ أزْرَىٰ بِهِـنَّ المِلْـحُ والكَـدَرُ

وقال شَاعِرُنَا يَصِفُ الكُوفَةَ وطِيبَ هَوائِها، وأنَّ الشَّامَ ارْتَفَعَتْ عَنْهَا والبَصْرَةَ سَفَلَتْ منها: [مجزوء الرمل]

سَفَلَتْ عَنْ بَـرْدِ أرْضٍ زَادَهَـا الـبَرْدُ عَـذابَا
وعَلَتَ عَنْ حَرِّ أرْضٍ يُلْهِـبُ النَّـار الْتِهَابَـا
مَزَجَـتْ حَـرًّا بِـبَرْدِ فَصَـفَا العَـيْشُ وطَابَـا

[a] في الأصل: زعفة. والتصويب من كتاب الحلم: لابن أبي الدينا. [b] في كتاب الحلم: مريء.
[c] في ديوان بشار: شاربنا. [d] في ديوان بشار: كفاه.

[١] أورد ابن الفقيه هذا الخبر بتصرف طفيف والخبر بتمامه لدى: ابن أبي الدنيا: كتاب الحلم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٩٢م، ص٧٦، وقارن أيضا: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج، ٢٤، ص ٣١٢.

[٢] بشار بن برد بن يرجوخ، أبو معاذ البصري الضرير، نشأ بالبصرة وقدم بغداد، أدرك الدولة الأموية والعباسية، اتهم بالزندقة في خلافة المهدي فمات ضربًا بالسياط، ودفن بالبصرة سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢١، والأبيات في ديوان بشار ، جمعه وشرحه وعلق عليه: محمد الطاهر ابن عاشور، ط٦، الجزائر، ٢٠٠٧م. ج٣، ص١٧٧-١٧٨.

ولم يَزلْ عمَّالُ العِرَاق يَنزِلُونَ الكُوفَةَ يَرَوْنَها[١٥ظ] أعْذَبَ مَاءً وأصْفَىٰ هَوَاءً وأطْيَبَ تُرَابـًا، وكُلُّ الأرْضِ جعَلَها اللهُ للمُسْلِمينَ طَهُورًا ومَسْجِدًا إلا أرْضَ البَصْرَة، فإنَّه لَيْسَ يَسْتَطِيعُ أحدٌ أنْ يَتَيَمَّم ولَا يُصَلِّي علىٰ أرْضِهَا لقَذَرِهَا وفَسَادِهَا وكثرةِ سَمَارِهَا، وما نزَلهَا من أُمَرَاءِ العِرَاق أحد إلا الحَجَّاجُ مُدَيْدَةً، ثُمَّ تحَوَّلَ إلىٰ وَاسِط، ومسْلَمَةُ بن عَبْد المَلِكِ أيـَّامـًا حِينَ قُتِلَ يَزِيدُ بن المُهَلَّب.

فأمَّا الكُوفَة فأكْثَر الوُلَاةِ كانوا يَنْزِلونَها ويُقِيمُون بها، ولا يمْضُونَ إلىٰ البَصْرَةِ إلا لِحَادِثَةٍ تحْدُثُ أو فَتْقٍ يَجِدُّ، وكان خَالِدُ بن عَبْد الله القَسْرِيُّ[١] يُسَمِّيهَا الذَّفْراء، وكذلِكَ يُوسُفُ بن عُمَر[٢].

ولمـَّا ولي يَزِيد بن عُمَر بن هُبَيرَةَ[٣] العِرَاقَ لم يَخْتَر شَيْئـًا علىٰ الكُوفَةِ وبَنَىٰ عِنْدَ قَنْطَرَتِهَا مَدينَةً وسَمَّاهَا الهُبَيْرَةَ، وهي المعْرُوفَة بِقَصر ابن هُبَيْرَةَ، ولم يزل مُقِيمـًا بالكُوفَةِ حتىٰ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ الهَاشِمِيَّةُ فتحَولَ إلىٰ وَاسِط.

ومن الكُوفَةِ ظَهَرتْ دَوْلَةُ بَنِي العَبَّاس وفيها كان وزِيرُهُم، وبها عُقِدَ لهُم المُلْكُ.

---

[١] خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، البجلي الأمير المشهور، ولي مكة للوليد بن عبد الملك، وولي العراق لهشام بن عَبْد الملك، توفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م، انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٢٨.

[٢] يوسف بن عُمَر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل. ولي اليمن لهشام بن عَبْد الملك، ثم ولاه العراقين. وأقره الوليد بن يزيد. ووفد على الوليد، وطلب أن يضم إليه خراسان، ففعل. توفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٤٧.

[٣] يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك. أصله من الشام، ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروان بن محمد يوم غُلِبَ على دمشق، وجمع له ولاية العراق. توفي سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٥، ص٣٢٤-٣٣٥.

والكُوفَةُ بمَنْزِلَةِ العَيْنِ من الرَّأسِ، والبَصْرَةُ بمَنْزِلَةِ الكُرَاع من الأَدِيمِ. ثم نَزَلَ المَهْدِيُّ بالكُوفَةِ وبَنَىٰ القَصْرَ الأَبْيَض بالحِيرَةِ، وهو الذي كان النُّعْمَانُ بن المُنْذِر يَنْزِلُهُ وبنَىٰ بِها قَصْر أبي الخَصِيب علىٰ طَرَفِ النَّجَفِ وفيه يقول الشَّاعِر: (شِعْر)

[مجزوء الكامل]

يا دار غَيَّرَ رَسْمَهَا مَرُّ الشَّمَالِ مع الجَنُوب
بَيْنَ الخَوَرْنَقِ فَالسَّدِير فبطْنِ قصْر أبي الخصِيبْ
فَالدَّيْرِ فَالنَّجَفِ الأَشَمِّ حِيَالَ أَرْبَابِ الصَّلِيبْ

ولا يَحْتَج علينا أَهْلُ البَصْرَةِ أَنَّ أحدًا من وُلَاةِ العِرَاقِ نَزَهَا إلا زِيَادًا، وعُبَيْدَ الله ابْنَهُ، فإنَّهما كانت وطَنَهما ومنْشَأَهُما، ولم يكونا علىٰ نَتَنِهَا ومُلُوحَةِ مَائِها، وشِدَّةِ حَرِّهَا، وكَثْرةِ بَقِّهَا، وكُدُورَةِ هَوَائِهَا، وفَسَادِ طِينَتِهَا يُطِيلانِ المُقَامَ بها، بَلْ كان أكثر مَقَامِهِمَا بالكُوفَةِ، وبِحَسْبِكَ أَنَّ السَّمَكَ في نَهْرِهَا لا يَصْبِرُ علىٰ مُلُوحَةِ الماء حتىٰ يَنْتَقِل، فإذا كان سَمَكُ البَحْرِ لا يَصْبِر، فكَيْفَ يَنْبَغِي لِذَوِي العُقُول أَنْ يَفْخَرُوا بها [١٦و].

ولَوْ لم يَكُنْ من فَضْلِ بَلَدِنَا علىٰ بَلَدِهِم إلَّا أَنَّا لا نحْتَاجُ إلىٰ دِبَاغِ العَفْصِ[1] وقُشُورِ الرُّمَّانِ في الصَّيْفِ لكان ذلك فَضْلًا عظِيمًا. وفي الحَدِيثِ: «إنَّ الفُرَاتَ ودِجْلةَ نَهْرَانِ من أَنْهارِ الجَنَّةِ»[2].

---

[1] العفص: شجر وثمر معروف بهذا الاسم، يتخذ منه الحبر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٤٥-٥٥؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٨، ص٣٥-٣٦.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة بلفظ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» راجع: باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم [٧٣٤٠].

وقد خَصَّنَا اللهُ بِعُذُوبَتِهما وبَردِهِما، وحَرَّمَ اللهُ علىٰ أَهْلِ البَصْرَة أنْ يَذُوقُوا مِنهُما قَطْرَةً حتىٰ يَخْتلِط بهما البَحْرُ الأُجَاجُ، فَهُم كما قال اللهُ - جَلَّ وعَزَّ- : ﴿وَنَادَىٰ
٢ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله قَالُوا إِنَّ الله حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وقَدِمَ أبو شَدْقَم العَنْبَرِيُّ[1] البَصْرَةَ فَمَلُحَ عَلَيْه الماءُ واشْتَدَّ عَلَيْه الحَرُّ، وآذَاهُ
٦ تَهَاوُشُ رِيحِها وكَثْرةُ بَعُوضِهَا، ثم مَطَّرَتِ السَّمَاءُ فَصَارتْ رَدِغَـاً[2]، فقال: (شِعْر)

[البسيط]

اشْكُوا إلىٰ الله مُمْسَانَا ومُصْبَحَنَا   وبُعْـدَ شُقَّتِنَا يـا أُمَّ أَيُّوبِ
وأنَّ مَنْزِلَنَا أمْسَىٰ بِمُعْتَرَكٍ   يَزِيدُهُ طَبَعًا وقْعُ الأهاضِيبِ
مَا كُنْتُ أدْرِي وقَدْ عُمِّرتُ مُذ زَمنٍ   مَا قَصْرُ أَوْسٍ ومَا سَحُّ[a] المَيَازِيبِ
تُهيجُنِي نَفَحَاتٌ مِن يَمانِيَةٍ   مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ وتَنْعَابُ الغَرَابِيبِ
كأَنَّهُنَّ علىٰ الأجْدَالِ كُلَّ ضَحًىٰ   مَجَالِسٌ من بَنِي حَام أو النُّوبِ
يَا لَيْتَنَا قَدْ حَلَلْنَا وَادِيـاً خِصْبًا[b]   أو حَاجِزًا نَصَبـاً غَضَّ اليَعَاسِيبِ[c]
وحَبَّذَا شَرْبَةٌ مِنْ شَنَّةٍ خَلَقٍ   من مَاء صَدًّا تُسَلِّي كُلَّ مَكْرُوبِ

---

[a] لدى ياقوت: بح.

[b] في الأصل: أنفا، والتصويب من ياقوت الحموي: معجم البلدان.   [c] لدى ياقوت: التعاشيب.

---

[1] أبو الأشعث الصنعاني شراحيل بن شرحبيل بن كليب بن أدة، نزل بآخرة دمشق وروى عنه بعض أهل الشام، وتوفي في ولاية معاوية بن أبي سفيان. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٣٦؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج٤، ص٢٥٥.

[2] أي كثيرة الوحل. ونقل ياقوت الحموي: في كتابه معجم البلدان، هذا الخبر بتمامه، ثم نسبه إلى ابن الفقيه دون تصرف. ج٣، ص٣٩٦.

وآذاهُ قَذَرُهَا فقال أيضـًا (شِعْر): [الطويل]

إذا ما سَقَىٰ اللهُ البِلَادَ فَلَا سَقَىٰ   بِلادًا بِهَا سَيْحَانُ بَرْقـًا ولَا رَعْدَا
بِلادٌ تَهُبُّ الرِّيحُ فِيهَا خَبِيثَةً   وتَزْدَادُ نَتْنًـا حِينَ تُمْطِرُ أو تَنْدَىٰ
خَلِيلِيَّ أشْرِفْ فَوْقَ غُرْفَةِ دِرْهَمٍ   إلىٰ قَصْرِ أوْسٍ فَانظُرَنْ هَلْ تَرَىٰ نَجْدَا

وقال أعْرَابِيٌّ قَدِمَهَا: فنزل إلىٰ جَانِبِ دَارِ مُحَمَّدِ بن سُلَيْمَانَ[١]: (شِعْر) [الطويل]

هَلِ اللهُ مِنْ وادِي البُصَيْرَةِ مُخْرِجِي   فَأُصْبِحُ لا تَبْدُو لِعَيْنِي قُصُورُها
وأُصْبِحُ قَدْ جَاوَزْتُ سَيْحَانَ سَالِمًا   وأَسْلَمَنِي أسْـوَاقُها وجُـسُورُهَا
ومَرْبَدُهَا المُذْرَىٰ عَلَيْنَا تُرابُهُ   إذا شَحَـجَتْ بِغَـالُهُ وحَمِـيرُهَـا
فَنُضْحِي بِهَا غُبْرَ الرُّؤُوسِ كَأَنَّنَا   أنَاسِيُّ مَوْتَىٰ نُبِّشَ عَنهَا قُبُورُهَا

[١٦ظ] وقالَ أبُو تَغْلِب يَذْكُر نَتْنَهَا وقَذَرَهَا: (شِعْر) [المنسرح]

يَا رَبِّ لَا تَسْقِ نازِلَ البَصْرَهْ   فَهْيَ عَلىٰ كُلِّ حَالَةٍ قَذِرَهْ
تَأْتِيكَ مِنْهَا إذا نَزَلْتَ بِهَا   رَوائِحٌ من رَوَائِحِ العَذِرَهْ

فقال عَلِيٌّ بن هِشَام: يا أمِيرَ المُؤْمِنِين، إنَّ أحْمَدَ بن يُوسُفَ[٢] عَدَّدَ عُيوبَ البَصْرَة ومثَالِبَهُم وتَركَ ما علىٰ أهْلِ الكُوفَةِ، فلَئِنْ كان الذي ذَكَر من أهْلِ البَصْرَة علىٰ ما ذَكَر، فما يعْرِفهُ إلَّا خَوَاصُّ من النَّاسِ ممَّنْ نَظَر في الأمُورِ وبَحثَ عن المَسْتُور.

---

[١] محمد بن سليمان بن علي، ابن عم السفاح. ولي البصرة في عهد المهدي، ثم قدم بغداد مبايعًا الرشيد. توفي سنة ١٧٣هـ/٧٩٠م، انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج٣، ص٢٥١.

[٢] تقدمت ترجمتهم ص١٤٨؛ ١٤٩.

فَأَمَّا عُيُوب الكُوفَةِ فأوْضَحُ من النَّهارِ وأَبْيَنُ من الشَّمسِ، تَعْرِفُهَا العَاتِقُ في خِدْرِهَا، والعَجُوزُ في مِحْرَابِها، والصَّبِيُّ في كُتَّابِهِ.

قال المَأْمُون: فَأَيُّ شَيْءٍ تَعْرِفُ؟ قال: عليٌّ أَوَّل ذلك قَوْلُ عَلِيّ بن أَبِي طَالِب ﵇ حِينَ قال على المِنْبَر: يَا أَيُّها المَلأُ المُجْتَمِعَةُ أبدانُهُم، المُخْتَلِفَةُ[a] أهْواؤُهُم، مَا عزَّتْ[b] دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُم، ولَا اسْتَرَاحَ من قَاسَاكُم، كَلَامُكُم يُوهِنُ الصُّمَّ الصِّلَابَ، وفِعْلُكُم يُطْمِعُ فيكُم الحُودَ الكِعَابَ، إنْ قُلْتُ لَكُم انْفِروا في الشِّتَاءِ: قُلْتُم: أمْهِلْنَا يذْهَبْ عنَّا الصِّرُّ والقُرُّ، إنْ قُلْتُ انْفِروا في الصَّيْفِ: قُلْتُم: أمْهِلْنَا تَذْهَبْ عنَّا حَمَارَّةُ القَيْظِ وأجِيجُ الحَرِّ، أعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، أَيَّةُ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُم تَمْنَعُونَ، أمْ عَنْ أَيِّ إمامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ فِي خُطْبَةٍ لهُ طَوِيلَةٍ[1].

فقال أحْمَدُ بن يُوسُف: إنَّ أَمِيرَ المُؤْمنِين ﵇ لما انْتَقَضَتْ عَلَيْه البِلادُ، وخَالَفَهُ أكْثَرُ[ها] اخْتَارَنا لنَفْسِه ورضِينا لنَصْرِه، فكُنَّا إذا أحْسَنَّا دعَا لنا وأثْنَى علَيْنا، وإذَا أسَأْنَا عَاتَبَنا واسْتَبطَأَنا كَما يُعَاتِبُ الرَّجُلُ ولَدَهُ، وإنَّكَ لتَعْلَمُ يا أمِيرَ المُؤْمنِين، أنَّهُ انْحَدرَ من المدِينةِ يُرِيدُ البَصْرَةَ فنزَلَ ذَا قَار، ثُمَّ بَعَثَ إلَيْنا فَخَرجْنَا لِنَصْرِهِ علَى الصَّعْبِ و[١٧و] الذَّلُول فَنَصَرْنَاهُ قبل أنْ نَرَاهُ وآزَرناهُ بَعْدَ أنْ رآنا، فكان يقولُ ﵇: أنْتُم الشِّعَارُ وأنْتُم الدِّثَارُ وفِيكُم مَحْيَايَ وعنْدَكُم مَمَاتِي، وكان يقولُ: اخْتَار اللهُ لنَبِيِّه مَكَّةَ فاخْتَار رسُولُ الله ﷺ لِهجْرَتِهِ المَدِينةَ.

---

[a] في أنساب الأشراف، بزيادة: قلوبهم.

[b] في الأصل: عدت، والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف؛ الجاحظ: البيان والتبيين.

---

[1] قارن هذا الخبر لدى كل من الجاحظ: البيان والتبين، ج٢، ص ٣٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٨٠.

وكانَ يقولُ علىٰ منبَرِ البَصْرَة: يا أهْلَ البَصْرَة، يَا أهْلَ الحِيَرة، يَا أهْلَ تَدْمُر، يَا أهْلَ المـؤْتَفِكَةِ ائتفَكَتْ بِأَهْلِهَا ثلاثَ مَرَّاتٍ، وعلىٰ الله تَمامُ الرَّابِعَةِ، [a) يا جُنْدَ المرْأة، يَا أنصارَ البَهيمَةِ، رغَا فَأجَبْتُم وعُقِر فَانهَزَمْتُم، أخلَاقُكُم دِقَاقٌ، وعَيْبُكُم نِفَاقٌ، ومَاؤُكُم زُعَاقٌ[a)][1]، وقدْ لَعَنكُم اللهُ ورَسُولُهُ، فَالمُقِيمُ بِذَنْبٍ والخَارِجُ عَنْهَا بِنَجاةٍ[2].

قال عَلِيُّ بن هِشَام: فإنَّ أهْلَ الكُوفَة قَتلوا عَلِيَّ بن أبي طَالِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَتلَهُ ابن الـمُلْجَم[3] وكان نَازِلًا في دَارِ الأشْعَثِ[4]، وتَزَوَّجَ قَطَامِ التَّمِيمِيَّةَ[5].

فقال أحْمَدُ بن يُوسُف: احْتَجَجْتَ علىٰ نَفْسِكَ، إنْ كان من أهْلِ الكُوفَةِ فكَيْفَ ينْزِلُ دَارَ الأشْعَثِ ويتْرُكُ دَارَهُ وقوْمَهُ؟ إنَّما هو رجُلٌ من مِضَرَ ممَّنْ كَان مع محُمَّدِ بن أبي بَكْرٍ رَحِمَهُٱللَّهُ فلَّما قَتلَه عمرو بن العَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومضَىٰ جُنْدُهُ إلىٰ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان ابن المُلْجَم فِيهِم.

(a-a) لدى المسعودي: «يا جُند المرأة، يا أتباع البهيمة، رغا فأجبتم وعقر فانهزمتم، أخلاقكم رقاق، وأعمالكم نفاق، ودينكم زيغ وشقاق، وماؤكم أجاج وزُعاق».

---

[1] قارن: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج، ٢، ص٣٦٨.

[2] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٢١٩.

[3] عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري، كان من شيعة علي بن أبي طالب ﷺ وشهد معه صفين. ثم خرج عليه وتعهد بقتله. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٣-٣٩.

[4] عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، الأمير المشهور الذي خرج على الحجاج وأيده جمع من القراء والعلماء والصلحاء. فانتصر عليهم الحجاج في معركة دير الجماجم، ثم هرب إلى رتبيل ملك الهند. وتوفي سنة ٨٢هـ/ انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج٤، ص١٨٣-١٨٤.

[5] قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تيم الرباب، قتل علي ﷺ أباها وأخاها يوم نهروان. للمزيد راجع: ابن سعد: المصدر السابق، ج٣، ص٣٦.

وقال عمرو بن الحَارِث[1]: فإنَّ أهْلَ الكُوفَةِ قد قتَلُوا الحُسَيْن عَلَيْهِالسَّلَامُ وغرُّوه وكتَبُوا إليه حتىٰ كان معه وفرٌ من كُتُبِهِم، وكانوا هُم أشدَّ النَّاسِ عَلَيْه، وقد قتَلُوا زَيْدَ بن عَلِيٍّ، ويَحْيىٰ بن زَيْد- عَلَيْهِما السَّلام[2]- وغرُّوهُما وخذَلُوهُما.

قال العَبَّاسي[3]: قدْ علِمَ النَّاسُ أنَّهُ لَيْسَ في الأَرْضِ بلَدٌ أجْمعَ أهْلهُ علىٰ حُبِّ بَنِي هَاشِم إلا الكُوفَة، وما قُتِلَ أحَدٌ من بَنِي هَاشِم في شَرْقٍ ولا غَرْبٍ إلا وحوْلَهُ قتْلَىٰ من أهْلِ الكُوفَة، تخْتَلِطُ دماؤُهم بِدَمِه.

فأمَّا الحُسَيْن عَلَيْهِالسَّلَامُ فإنَّه كتَبَ إلىٰ أشْرَافِكُم، فأمَّا مُنْذِر بن الجَارُود[4]، فإنَّه أخَذَ الرَّسُولَ وهو عَبْد الله بن بُقْطر[a] الليثي[5] فَدفعَهُ إلىٰ ابن زِيَاد فقتَلهُ، وذلك أنَّ ابْنَتهُ بَحْرِيَّة كانت عند ابن زِيَاد وكان من أمر الحُسَيْن عَلَيْهِالسَّلَامُ ما كَان، وما أكْرَم اللهُ رَجُلًا من أهْل البَصْرَةِ أنْ يُسْفكَ دمَهُ [١٧ظ] معَهُ، فيَكُونُ في ذلك شَرفُ الدُّنْيا والآخِرة، فهلْ سمِع سامِعٌ بمِثْل أنْصَار الحُسَيْن؟ وهُم سَبْعُونَ رجُلًا لقُوا جِبال الحَدِيد حتىٰ قُتِلُوا حوْلَه.

---

[a] في الأصل: عبد الله بن يقطن، وهو خطأ.

---

[1] عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري المصري ولد سنة ٩٠هـ/٧٠٨م وتوفى سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م.انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.ج٥، ص٥٨٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨م، ج٨، ص١٤-١٥.

[2] تقدمت ترجمتهم، ص٩٩.

[3] أبو موسى العباسي، ولاه الخليفة المأمون إمامة الصلاة وموسم الحج في اليمن: راجع: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج٢، ص٤٧٥.

[4] تقدمت ترجمته ص١٤٧.

[5] عبد الله بن بقطر، أخو الإمام الحسين ﷺ من الرضاعة، قُتل سنة٦١هـ/ ٦٨٠م. انظر: ابن حبان: الثقات، ج٢، ص٣١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج٣، ص٢٩٩.

[تَفاضُل البَصْرَة و الكُوفَة]

قال الحَجَّاجُ ابن خَيْثَمة[a] [1]: فإنَّ اللهَ قد أعْطَىٰ أهْلَ البَصْرَةِ ما لم يَعْطِ أهْلَ الكُوفَةِ، إنَّ الماءَ يَغْدُوا عَلَيْهم إذَا غَدوْا إلىٰ ضِيَاعِهِم، فيأخُذُونهُ إذا أرَادُوه، وإنْ اسْتَغْنوْا عنهُ حَجَبُوه.

قال أحْمَدُ بن يُوسفَ: ما رأيْتُ ذلك عندَهُم، فَلِمَ تنقَطِع أعْنَاقُهُم من العَطَشِ فلا يشْرَبُون حسْوَتَيْنْ[2] إلا بالمَنْجَنونِ[3] والإبِلِ؛ فإنْ عَطِبَ بَعِيرٌ أو انْكَسَرَتْ منْجنُونَةٌ وأبْطَأ المُوكَّل بذلِك تعَطَّلَت السِّقايَاتُ وإنَّما يُقِيم لهم الماء سَاعةً في أوَّل النَّهار وسَاعةً في آخِرِه.

ومَا أحَدٌ من أهْلِ البَصْرَةِ يشْرَبُ الماءَ العَذْب إلا أنْ يُتَصدَّق بِهِ عَلَيْه، ومَتىٰ كَثُر عَلَيْهم الماءُ خَافُوا الغَرَقَ وضَربُوا الفَسَاطِيطَ علىٰ المكانِ الذي يَخْشَوْنَهُ، وإنْ قَلَّ عطِشُوا حتىٰ يمزِجُوا الماءَ بالخَلِّ من مُلُوحَتِهِ، وإنَّ المَرِيض منهُم لَيُقَالُ لهُ ما تَشْتَهِي؟ فيَقُولُ: الماءَ العَذْب، وهُم يُسَمُّونَ ماءَنَا "الماءَ الحَيَّ"، وإذا قَدِم الغَائِبُ، وكان طَرِيقهُ علىٰ الماءِ العَذْب، أخذَ منه ليُفَرِّقَه هدَايَا علىٰ أقَارِبِه وأهْلِهِ وإخْوانِه، وماؤُهُم صُبَابةُ المِياهِ ومغِيضُ الأنْهَار.

[a] في الأصل: خثيمة

[1] تقدمت ترجمته ص١٤٨.

[2] الحَسْوَةُ هي: ملء الفم، وقيل الحسوة والغرفة بمعنى واحد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص١٧٧.

[3] المنجنون هو: الدولاب يستقى عليه ويديره الثور أو الفرس. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج١٣، ص٤٢٣؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣٦، ص١٥١-١٥٢.

قال ابن عَيَّاش الهَمَذَانِيُّ[1]: لأبي بَكْر الهُذَلِيّ[2] يوْمَ فَاخَرهُ عِند أبي العَبَّاس السَّفَّاح:[3] إنَّمَا الكُوفَة مثل اللَّهَاةِ من البَدنِ يأتِيهَا الماءُ ببَرْدِهِ وعُذُوبَتِهِ، والبَصْرَةُ بمَنْزِلَةِ المثَانَةِ يأتِيهَا الماءُ بعْدَ تَغْيِيرِهِ وفسَادِهِ[4].

وكان بالبَصْرَة رجُلٌ من أهْل الكُوفَة يقال له المـُعَذَّل بن غَيْلاَنَ[5]، ففَاخَرهُم يوْمًا فقال: ألسْتُم تَرَوْونَ أنَّهُ من بَالَ في الماءِ القَائِم أرْبَعِين صَباحًا تغَيَّر عَقْلُهُ؟ قالوا: بلىٰ. قال: فهو ذا أنْتُم يشْرَبُ أحَدُكُم الماءَ القَائِم المـُبَالَ فيه ثَمانِيَن سنة فكَيفَ تكُونُ عقُولُكُم مِثْلَ عقُولِ أهْل الكُوفَةِ؟ فَما اسْتطَاعُوا أنْ يُجِيبُوهُ.

فقال عمرو بن الحارث: [١٨و] فإنَّ لأهْلِ البَصْرَةِ الرُّطَبَ الذي لَيْسَ في الدُّنْيَا أكْثَر ولا ألَذَّ منْهُ؛ فقال ابن يوُسُفَ: أمَّا الكَثْرةُ فلَيْسَ بزَائِدَةٍ في الطيِّبِ ولوْ كَان الكَثِيرُ أطْيَبَ لكَانَ بَعْرُ الإبِلِ أطْيَبَ من الجَوْزِ، وأمَّا الطيِّبُ فإنَّ أهْلَ العِرَاق

[1] عبد الله بن عيّاش المنتوف الهمذاني الكوفي، كنيته أبو الجراح، أحد أصحاب الأخبار ورواة الأنساب والأشعار مع دراية وفهم.كان كيّسًا صاحب نوادر. سمي بالمنتوف لأنه كان ينتف لحيته كلما كبرت، توفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص١٨٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص١٥٤١.

[2] اسمه سُلْمِيُّ بن عبد الله أبو بكر الهذلي، البصري الأخباري، من الضعفاء، توفي سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م. انظر في ترجمته: الإمام المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٣٣، ص١٦٠.

[3] انظر: المختصر صفحات، ١٦٧ – ١٧٣.

[4] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من ابن قتيبة دون أن يشير. قارن: عيون الأخبار، ج١، ص٢٢٠.

[5] المعذل بن غيلان بن الحكم بن أعين العبدي، أديب شاعر من أهل الكوفة، ثم انتقل إلى البصرة وسكنها. راجع في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٨٨؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف،ج٤، ص٢١٣٣-٢١٣٤.

اجتَمعُوا ليْلَةً في سَمَرٍ عند يَزِيدَ بن عُمَر بن هُبَيْرَةَ[١]، فقالوا: أيُّ البَلَدَيْنِ أطْيَبُ تَمْرًا، الكُوفَة أمْ البَصْرَة؟ فقال خَالِدُ بن صَفْوَانَ[٢]: بل تَمْرُنَا أطْيَبُ وأعْذَبُ، ولنَا علىٰ البَصْرَةِ فَضْلُ العِنَبِ الرَّازِقِيِّ في طِيبِهِ والسونابي[a] في حلَاوَتهِ، والخَمْرِيِّ في رِقَّتِهِ، فإذا فخَرَ البَصْرِيُّ بالعِنَبِ ذكَر عنباً لهُم يسَمُّونَهُ الـمَنْزُورِيَّ، وما رأيْتُ الحصَىٰ قَطُّ يُبَاع حتىٰ رأيْتُ هذا العِنَب يُبَاع.

قال عَلِيُّ بن هِشَام: فإنَّ لأهْلِ البَصْرَةِ فيْلَسُوفَيِ الإسْلَام اللذَيْن استَخْرجَا النَّحو والعَرُوض: أبُو الأسْوَد الدُّؤَلِيُّ، والخَلِيلُ بن أحْمَدَ.

فقال عمرو بن مَسْعَدَة: أمَّا العَرُوضَ فهو وإنْ كان عِلْماً فما يَحْتَاجُ إليه كثيرٌ من النَّاسِ ولَيْسَ في عِلمِ الأشْرافِ، وأمَّا النَّحْوُ فإنَّ أبا الأسْوَد احْتَاج إليه لفَسَادِ ألْسِنةِ أهْلِ البَصْرَةِ ولم يَحْتج [إليه] أصْحَابُنا لفَصَاحتِهِم.

ولئِنْ كان أبُو الأسْوَد تقَدَّم في النَّحْوِ فإنَّ لِأصْحَابِنَا الفَصَاحةَ في العِلْمِ بالقُرآنِ والإعْرَابِ بِهِ، والمَعْرِفَةَ بوُجُوه القِراءاتِ حتىٰ أكثَرُ القُرَّاءِ بقِراءَتِهم يقْرَؤُون، ومنَّا الفُقَهَاءُ والعُلَمَاءُ والأُدَبَاءُ والفُصَحَاءُ والنُّجَبَاءُ والشُّجْعَانُ والفُرْسَانُ المذْكورُون والشُّعَراءُ المَعْرُوفُونَ

[a] في الأصل: السوناني، وهو خطأ. والصواب ما أُثبت، وهو نسبة إلى سُونَايَا من قرى بغداد.

[١] تقدمت ترجمته انظر: ص١٦٧.

[٢] خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم الأشجعي، وأحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان راوية للأخبار خطيبًا مفوّهًا بليغًا، وكان يجالس هشام بن عَبْد الملك وخالدًا القسري، صاحب تصنيف وحيد، توفي سنة ١٣٥هـ/٧٥٣م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٤٠٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٣١-١٢٣٥.

قال عَلِيُّ بن هِشَامٍ: فإنَّ[أبا] عَمْرو بن العَلاءِ[١] من أنْبَلِ النَّاسِ وأفْصَحِهُم لِسَانـاً. قال ابن يُوسُفَ: إنْ كانَ النَّاسُ يَقُولُونَ أبو عَمْرو الرَّاوِيَة[٢] كما يقُولُونَ حَمَّاد الرَّاوِيَة[٣] فهو مِثْلهُ؛ إذْ كان دِيوانُ الشِّعْرِ مجْمُوعَـاً في قَلْبِهِ، ومَنْ مِثْلُ المُفَضَّلِ[٤] في رِوَايَةِ أشْعَارِ الشُّعَراءِ وأشْعَارِ القَبائِلِ وأيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ وأخْبارِهِم.

ومِنَّا خَالِدُ بن كُلْثُوم[٥]، كان إذا عَلِم شَيْئَـاً أدَّاهُ كما سَمِعَه، [لا كمن][a] كان يَرْوِي الخبَرَ لا أصْلَ لهُ ورُبَّما زَادَ فيهِ ونقَصَ منه.

---

[a] زيادة يقتضيها السياق.

---

[١] أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان، المازني اللغوي النحوي الثقة، أحد القراء السبعة، إمام أهل البصرة في القراءة والنحو توفي سنة ١٥٤هـ/٧٧١م. انظر ترجمته وأخباره في: القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م-١٩٧٤م. ج٤، ص١٣١-١٣٨؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار، بيروت، ١٩٩٧م، ص٥٨-٦٠.

[٢] قعنب بن المحرّر الباهلي، أبو عَمْرو الراوية: من أهل البصرة المكثرين للرواية. انظر في أخباره: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص٢٢٣٦.

[٣] حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي، مولى بكر بن وائل، وقيل مكنف بن زيد الخيل الكوفي المعروف بالرّاوية. من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، توفي سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٦٩؛ ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٥٤١.

[٤] أبو العَبَّاس المفضل بن محمد بن أبي يعلى بن عامر بن سالم بن أبي الرَّبّال، كوفي مشهور بحفظ أشعار العرب، جمع للخليفة المهدي الأشعار المختارة المسماة «المفضليات». انظر في ترجمته وأخباره ابن قتيبة: المعارف، ص٥٤٥-٥٤٦؛ النديم: الفهرست، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦.

[٥] خالد بن كلثوم بن سمير الكلبي الكوفي، راوية لأشعار القبائل وأخبارها، وعارفٌ بالأنساب والألقاب وأيام الناس. راجع في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص١٩٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٣٦-١٢٣٧؛ القفطي: إنباه الرواة، ج١، ص٣٥٢.

قال عَمْرو بن الحَارِثِ: [١٨ظ] فإنَّ لأهْلِ البَصْرَةِ أبا بَكْرٍ الهُذَلِيَّ أعْلم[a] النَّاسِ بالجَاهِلِيَّةِ والإسْلاَم. قال عُمَرو بن مَسْعَدَة: فأين هو من قَبِيصَةَ بن ذُؤَيْب الأسَدِيِّ[١] وعَبْد المَلِكِ المُعَيطِي[٢] وعَبْد الله بن عَيَّاش الهَمَذَانِي، والحَجَّاج بن أرطاة النَّخَعِيِّ[٣]، هم كلَّمُوه عند السَّفَّاح فما تأتَّى له الرَّدُّ عَلَيْهم[٤].

ومنَّا الثِّقَةُ المُؤْتَمَنُ هِشَامُ بن مُحَمَد بن السَائِب الكَلْبِيُّ الذي مَلأَ الآفَاقَ عِلْماً، وأبو مِخْنَف لوطُ بن يَحْيَى بن مِخْنَف بن سُلَيْم الأَزْدِيُّ[٥]، والهَيْثَمُ بن عَدِي[٦]

[a] في الأصل: اعلى.

[١] هو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن أصرم، من خزاعة، يكنى أبا إسحاق، كان من آثر الناس عند عبد الملك بن مروان، ولاه ديوان الخاتم والبريد؛ فكان يقرأ الكتب إذا وردت، ثم يدخلها على عبد الملك فيخبره بما فيها. توفي سنة ٦٨هـ/٧٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٦٧؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٥٦٥؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص١٧٤.

[٢] لم أجد له ترجمة. وربما قصد الوليد بن هشام المعيطي، عامل عمر بن عبد العزيز على قنسرين والصوائف.

[٣] الحجاج بن أرطاة النخعي من الشرفاء الأثرياء، ولي قضاء البصرة لأبي جعفر المنصور، وتوفي بالري في خلافته. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٣٥٩؛ وكيع: أخبار القضاة، ج٢، ص٤٤–٥٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص١٣٣.

[٤] انظر: المختصر صفحات، ١٦٧ – ١٧٣.

[٥] أبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي، الكوفي، له العديد من التصانيف في علم التاريخ والرجال، توفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م. انظر ترجمته وتصانيفه في: النديم: الفهرست، ج١، ص٢٩١-٢٩٢. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص٢٢٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٠١-٣٠٢.

[٦] الهيثم بن عدي الثُّعلي، أبو عبد الرحمن، كوفي أخباري علامة راوية، كان نسابًا ولكن غلبت عليه رواية الأخبار. يكثر ابن الفقيه الأخذ عنه، واختُلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م، ٢٠٧هـ/٨٢٣م. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٧-٥٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٦، ص٧٦– ٨٢.

قال الحَجَّاج: أوَلَيْسَ دَغْفَل بن حَنْظَلَة الشَّيْبَانِيُّ[١] من أهْلِ البَصْرَة؟ قال ابن يُوسُفَ: فإن النَّخَّار العُذْرِيَّ[٢] كُوفِيٌّ، وهِلاَلَ بن الكَيِّس النَّمِري[a][٣] وابن لِسَان الحُمَّرَة [b] التَّيْمِيَّ[٤]، ومُحَمَّد بن السَّائِب الكَلْبِي، وهِشَامَ بن مُحَمَّدٍ، والمَنْتُوف، والشَّرْقِيَّ بن القُطَامِيِّ، وما منهُم أحدٌ إلا كما قال الأوَّلُ: (شِعْر) [الطويل]

وَمَا كَانَ بَيْنَ الحَافِقَيْنِ قَبِيلَةٌ ... يُقَالُ اشْتَرُوهُمْ وَاحِدٌ فَنبادَلَه

قال الحَجَّاجُ: فإنَّ خُطَبَاءَ البَصْرَة أخطَبُ وأبْلَغُ، منهُم عَبْد الله بن الأهْتَم[٥]، وصَفْوانُ بن الأهْتَم[٦]، وخَالِدُ بن صَفْوَان[٧].

---

[a] في الأصل: الحميري، والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

[b] في الأصل: الحمى، والتصويب من المعارف.

---

[١] دغفل بن حنظلة بن زيد، النسابة العلامة السدوسي الشيباني، يضرب به المثل في معرفة الأنساب. قيل: إنه لم يدرك الناس مثله لسانًا وعلمًا وحفظًا. توفي في حدود ٦٠هـ/ ٦٨٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٥٣٤؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٨٨.

[٢] النخار بن أوس بن أبير بن عمرو من ولد عبد مناف بن الحارث بن سعد بن قضاعة، من أعلم الناس بأنساب العرب. توفي في حدود سنة ٦٠هـ/٦٨٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الدارقطني: المؤتلف والمختلف؛ ج٤، ص٢٢٢٧؛ السمعاني: الأنساب، ج١٣، ص٥٣.

[٣] زيد بن الحارث بن هلال الكيس النمري، النسابة، قيل عنه إنه يقارب دغفل في العلم بأنساب العرب. راجع في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٩٥؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٠١.

[٤] حصين بن ربيعة بن صقر بن كلاب التيمي، من أنسب العرب وأعظمهم بصرًا. راجع ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٥

[٥] عبد الله بن الأهتم، خطيب مشهور روى عن المدنيين وعمر بن عبد العزيز، وروى عنه أهل الشَّام. انظر: ابن حبان: الثقات، ج٧، ص١٣.

[٦] صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، أحد الخطباء المفوهين، وفد على سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز. راجع: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٤، ص١٤٦.

[٧] تقدمت ترجمته ص١٧٦.

وشَبِيبُ بن شَيْبَة[1]. فقال عمرو: فأين هم من خُطَبَاءِ الكُوفَة مثل صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ[2] والقَعْقَاع بن عمرو الأسَدِيِّ[3]، ومَصْقَلَةَ بن رَقَبَةَ العَبْدِيِّ[4]، ومُحَمَّد بن المُفَضَّل الضَّبِّيِّ[a] وابنُه[5] [من] خُطَبَاءِ الرَّشِيد وخُطَبَائُكَ يا أَمِيرَ المُـؤْمِنِين.

قال عَلِيُّ بن هِشَام: فإن الشُّعَراءَ بالبَصْرَة أَشْعَرُ وأَكْثَرُ، منهُم جَرِير والفَرَزْدَقُ وذُو الرُّمَّة[6] ويَزِيدُ بن الحَكَم[7].

---

[a] في الأصل: السكوني. والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

---

[1] شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم بن سمي بن سنان، صاحب فصاحة وأدب، قدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به، وبالمهدي من بعده، وكان كريمًا عليهما، أثيرًا عندهما.انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣٧٧.

[2] صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس، يكنى أبا طلحة، من أصحاب علي بن أبي طالب ﷺ، شهد معه موقعة الجمل، وكان خطيبا مفوها ثقة قليل الحديث، توفي في خلافة معاوية ﷺ. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٢١؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٤٠٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٧٩-٨٠.

[3] القعقاع بن عمرو التميمي، أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، وله صحبة، شهد اليرموك والقادسية وفتح دمشق، كان شاعرًا فحلًا. توفي سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب،ج٣، ص١٢٨٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام. ج٢، ص٣٧٨.

[4] مصقلة بن كرب بن رقبة العبدي، أحد الخطباء المشهورين. انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٧.

[5] محمد بن زياد، ويكنى أبا عبد الله. يذكر أنه ربيب المفضّل الضبيّ صاحب المفضليات. ابن قتيبة: المعارف، ص٥٤٦.

[6] مرت ترجمتهم. انظر: ص١١٧؛ ص١٤٩.

[7] يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري من فصحاء الشعراء، روى عن عمه عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ، ليس بينه وبين الحكم ابن أبي العاص والد مروان نسب، ولاه الحجاج مملكة فارس لشرفه وقرابته منه. انظر في ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥١٩.

والعَجَّاجُ[١]، ورُؤْبَةُ[٢]، وأبو النَّجْم[٣]، فهل لأهْلِ الكُوفَة مِثْلُهُم؟.

قال عُمَرو: أمَّا جَرِير فإنَّهُ أعْرابِيٌّ، صَاحِبُ عَمُودٍ وبيْتِ شِعْرٍ، كان يدخُلُ
٣ البَصْرَةَ كما يدْخُلُ الكُوفَةَ، وكان أكْثَر دَهْرِهِ باليَمَامَةِ، ومنَّا الشَّمَّاخُ[٤]، ومُزَرِّد[٥]، ولَبِيد[٦].

---

[١] العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر. ويقال إن اسم العجاج عبد الله، وكنيته أبو الشعثاء. راجز مجيد من الشعراء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور أيضًا. توفي نحو سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء،ج٥٧٥-٥٧٧.

[٢] رؤبة بن العجاج بن رؤبة التميمي السعدي الراجز، ويكنى أبا الجحاف، من الفصحاء المشهورين، من أعرابي البصرة مخضرم، عُمِّر حتى سقطت أسنانه. توفي سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م. انظر في ترجمته وأخباره: البخاري: التاريخ الكبير، ج٣، ص٣٤٠؛ ابن قتيبة: المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٨-٥٨١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق: ج١٨، ص٢١٦-٢١٧

[٣] الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من أكابر الرجَّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان. توفي سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧٤٥-٧٥١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء،ج٢، ص٥٨٨-٥٩٠؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣١٠-٣١١.

[٤] الشَّمَّاخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس، شاعر مخضرم، من طبقة لبيد والنابغة، كان شديد في ميزان الشعر، توفي سنة ٢٢هـ/٦٤٣م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٠٤؛ الأمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص١٧٧-١٧٨.

[٥] مزرد بن ضرار المازني الذبياني الغطفاني، اسمه يزيد، ويكنى أبا ضرار، وهو أخو الشَّمَّاخ بن ضرار، ولقب مزردًا ببيت قاله، وله أشعار وشهرة، وكان هجَّاء خبيث اللسان. وأدرك الإسلام فأسلم، توفي في حدود ١٠هـ/٦٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص٤٩٦.

[٦] لبيد بن ربيعة بن مالك، أدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، توفي سنة ٤١هـ/٦٦١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٢٦٦-٢٧٧.

والعَبَّاس بن مِرْدَاس[١]، والكُمَيت بن معْرُوف الأسَدِيُّ[٢]، وعَمْرو بن شَأْس[٣]، وضَابِئ البُرْجُمِيُّ[٤]، و الحُطَيْئَةُ[٥]، وأبو مِحْجَن الثَّقَفِيُّ[٦]، وأبو سَمَّال[a] الأسَدِيُّ[٧]، وأبو زَبِيد الطَّائِيُّ[٨]، والنَّجَاشيُّ الحَارِثِيُّ. ٣

[a] في الأصل: أبو شهال، والتصويب من ابن قتيبة: الشعر والشعراء.

[١] عباس بن مرداس السلمي الحجازي، يكنى أبا الهيثم، له صحبة حسن إسلامه، وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم من غنائم غزوة حنين مائة من الإبل. انظر: ابن عَبْد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٨١٧-٨١٩.

[٢] الكُمَيت بن معروف بن الكُمَيت بن ثعلبة بن نوفل الأسدي، يكنى أبا أيوب، شاعر مخضرم عاش أكثر حياته في الإسلام، يعرف بالكُمَيت الأوسط لتوسطه في الزمن بين جدّه الكُمَيت بن ثعلبة والكُمَيت بن زيد. وهو أشعرهم قريحةً. توفي سنة ٦٠هـ/٦٨٠م. انظر في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٤٧.

[٣] عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، يكنى أبا عِرار. شاعر مقدَّم، أسلم في صدر الإسلام، وشهد القادسية، توفي سنة ٢٠هـ/٦٤٠م، انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص ٤١٥-٤١٦؛ ابن الجراح: من اسمه عمرو من الشعراء، ص١١٢؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٢١٢-٢١٣.

[٤] ضابئ بن الحارث البرجمي، شاعر مشهور بالفحش، حبسه وأدبه عثمان بن عفان ﷺ في ذلك. انظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٠٣.

[٥] جرول بن أوس بن مالك العبسي، يكنى أبا ملكية. شاعر مخضرم متين الشِّعْر شرود القافية، هَجَّاء لم يكد يسلم من لسانه أحد، حبسه عُمَر ﷺ بالمدينة، ونهاه عن هجاء الناس. توفي سنة ٤٥هـ/٦٦٥م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٠٤-١١٢؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٣١٠-٣١٦.

[٦] عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، أحد الشعراء الأبطال الكرماء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة ٩هـ/٦٣١م. وتوفي سنة ٣٠هـ/٦٥٠م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩.

[٧] سمعان بن هُبيرة بن مساحق الأسدي الكوفي، شاعر فصيح. حدّه علي بن أبي طالب ﷺ لشربه الخمر مع النجاشي الحارثي في نهار رمضان. انظر: الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص١٧٥.

[٨] حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة، يتصل نسبة بيعرب بن قحطان، شاعر جاهلي من قبيلة طيئ في اليمن، قيل إنه عاش مائة وخمسين عامًا وأدرك الإسلام وأسلم، واستعمله عُمَر بن الخطاب ﷺ على صدقات قومه بني طيئ، وفي بعض الروايات أنه بقي على النصرانية. توفي سنة ٤١هـ/٦٦١م. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٥٩٣؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ٢٩٢.

وأعْشَى هَمْدَان[١]، وعَمْرو بن مَعْدِيكَرِب[٢]، وعَدِيُّ بن حَاتِم[٣]، وعُرْوَةُ بن زَيْد الخيل[a][٤]، وابن [١٩و] مُقْبِل[٥]، والقُطَامِيُّ[٦]، وكَعْبُ بن جُعَيْل[٧].

[a] في الأصل: الخليل.

[١] عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني، شاعر اليمانيين بالكوفة، وأحد فرسان الشعر في الدولة الأموية، توفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م. انظر: الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص١٥-١٦.

[٢] عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، يكنى أبا ثور، أحد فارسان العرب المشهورين الذين عرفوا بالبأس والنجدة، توفي سنة ٢١هـ/٦٤٢م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٣٦٠؛ ابن الجراح: من اسمه عمرو من الشعراء، ص١٣٦-١٣٩.

[٣] عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، يكنى أبا طريف، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا في طيء، ولم يزل مع علي بن أبي طالب ﷺ وشهد معه الجمل وصفين، وذهبت عينه يوم الجمل، ومات بالكوفة سنة ٦٨هـ/٦٨٨م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٠٥٧-١٠٥٩.

[٤] عروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي، شاعر قائد، أحد رجال الفتوح الإسلامية المشهورين ببلاد المشرق، جُمِعَت له بلاد الديلم والري، وسماه عُمَر بن الخطاب ﷺ بالبشير، وشهد القادسية. توفي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في أخباره: البلاذري: فتوح البلدان، ج١، ص٣٠٩.

[٥] تميم بن أبي بن مقبل العجلاني، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم، عاش نيّفًا ومائة سنة وعدَّ في المخضرمين. توفي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٤٣؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٤٤٦.

[٦] عمير بن شُييم بن عمرو بن عباد التغلبي، أبو سعيد الملقب بالقطامي. كان شاعرًا فحلًا، رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال . توفي سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء،ج٢، ص٥٣٤؛ الآمدي: المؤتلف والمختلف، ج١، ص٢١٨.

[٧] كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي، شاعر تغلب في عصره، مخضرم عُرف في الجاهلية والإسلام.كان لا ينزل بقوم إلا أكرموه وضربوا له قبة، شهد صفين، كان يمدح أهل الشام ويرد عنهم، توفي سنة٥٥هـ/٦٧٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام: المصدر السابق،ج٢، ص ٥٧١-٢٧٥؛ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص١٠٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٤٤.

والجَحَّافُ بن حَكِيم[١]، وغيْرُهُم من الشُّعَراء المُجَوِّدين. قال عمرو بن الحَارِث: فإنَّ الأسْخِياء بالبَصْرَةِ أكثرُ منهُم بالكُوفَة، منهُم عَبْد الرَّحْمن بن أبي بَكْرَة، وطَلْحَةُ الطَّلَحَات فهل سمِعْتَ بمِثْلِهِما؟!.

قال بن مَسْعَدَة: فينَا عَدِيُّ بن حَاتِم الجَوَادُ ابن الجوَادِ، وعَبْد الملك بن بشر بن مَرْوَان[٢]، ومُحَمَّد ابن عُمَيْر بن عُطَارِد[٣].

قال عمرو بن الحَارِث: فإنَّه لم يَلِ العِراقَ أحدٌ من أهْلِ الكُوفَةِ، وقد وليهَا غيْرُ واحدٍ من أهْلِ البَصْرَةِ منهم زِيَادٌ وابْنُه، ويَزِيد بن المُهَلَّب[٤].

---

[١] الجحَّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السلمي، شاعر قاد قومه وأغار على بني تغلب فقتل منهم الكثير، فأهدر عبد الملك بن مروان دمه؛ فهرب إلى بلاد الروم سبع سنين، فمات عَبْد الملك، وعفا عنه الوليد. توفي سنة ٩٠هـ/٧٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: الآمدي: المصدر السابق، ص٩٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٢، ص٥١-٥٢.

[٢] عبد الملك بن بشر بن مروان، أحد أمراء بني أمية المشهورين بالسخاء وإطعام الطعام فكان ممن يتوسعون في الطعام ولا يمنعونه من حضر، ولّاه مسلمة بن عَبْد الملك البصرة. قتل بواسط سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. انظر أخباره في: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٢٩-٣٣٠؛

[٣] محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي الدارمي، أحد أشراف أهل الكوفة وأجوادهم. توفي في حدود سنة ٨٥هـ/٧٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبيب: المحبّر، تحقيق: إيليزه ليختشن اشتتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٤٢م. ص١٥٤؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٤٢٥؛ ابن حبان: الثقات: ج٥، ص٣٦١.

[٤] يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، يكنى أبا خالد: أحد القادة الشجعان الأجواد. ولّاه عَبْد الملك بن مروان خراسان بعد أبيه. توفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٤؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج٧٤، ص١١٩-١٢٢.

قال ابن مَسْعَدَة: هذا الحَسَنُ بن سَهْلٍ[١] معنا في المَجْلِس ومن قبْلِه عَلِيُّ بن أبي سَعِيدٍ[٢]، كِلاهُمَا قد ولِيَ العِراق، وثَالِثُهُما الفَضْلُ بن سَهْلٍ[٣]، ولِيَ المَشْرِقَ والمغْرِبَ ودُعِيَ له علىٰ أكثر منَابِر الأرْض في وِلاَيَةٍ واحدةٍ، فهل لأهْلِ البَصْرَةِ مثلُهُ؟.

قال الحَجَّاج: فمن أهْل البَصْرَة كُتَّاب أُمرَاءِ العِرَاق، منهُم صَالِح بن عَبْد الرَّحْمن، وهو الذي قَلَبَ الدَّوَاوِين من الفَارِسيَّة إلىٰ العَرَبيَّة، وهو كَاتِب الحَجَّاج بن يُوسُفَ، ومنهُم المُغِيرَةُ بن أبي قرَّة[a][٤] كَاتِب المُهَلَّب، وشَيْبَة بن أيمُن[٥] كاتبُ يُوسُفَ بن عُمَر، وقَحْذَم[٦] مَوْلَىٰ أبي بَكْرَة[b] كاتبُ يُوسُفَ[٧].

---

[a] في الأصل: أبي أوفى، وهو خطأ. [b] في الأصل: أبي بكر. والتصويب من: طبقات خليفة بن خياط.

---

[١] الحسن بن سهل بن عَبْد الله السرخسي، يكنى أبا محمد، وزير المأمون العَبَّاسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره. اشتهر بالذكاء والأدب والسماحة والكرم، توفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج٨، ص٢٨٤.

[٢] علي بن أبي سعيد، كاتب الخليفة المأمون، لقب بذي القلمين لحسن قلمه في الكتابة، ولي للمأمون ديواني الخراج والجيش. انظر: الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٠م، ص٢٩٢.

[٣] الفضل بن سهل، أخو الحسن بن سهل، سماه المأمون ذا الرياستين لأنه دبر له أمر السَّيف والقلم، وتولى رياسة الجيوش والدواوين، توفي سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، المصدر السابق،ج١٤، ص٢٩٨.

[٤] المغيرة بن أبي قرة السدوسي، البصري، كاتب زيد بن المهلب، اشترك معه في فتح جرجان في خلافة سليمان بن عَبْد الملك. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٤٤.

[٥] شيبة بن أيمُن العنبري، استقدمه عمر بن عبد العزيز من العراق، وجعله كاتبًا له. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٢٤٨-٢٤٩.

[٦] قحذم بن سليمان بن ذكوان، مولى أبي بكرة الثقفي، وكاتب خراج العراق في ولاية يوسف بن عمر. عنه انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٦٨.

[٧] المقصود: هو يوسف بن عُمَر الثقفي، والي العراق لعبد الملك بن مروان. وقد مرت ترجمته ص١٦٧.

وهَارُونُ بن مَيَّاس[a] [١] كاتبُ خَالِد بن عَبْد الله القَسْرِي، وجَبْلَةُ بن عَبْد الرَّحْمن[٢]، والقَاسِمُ بن مُسْلِم[٣]، وعَبْد رَبِّه بن أيُّوب[b] [٤]، وابن أبِي عُبَيد[c] [٥]، وعُمَيْرُ
٣ بن أبِي مَعْن[٦]، والمُغِيرَةُ بن عَطِيَّة، وأخُوهُ سَعِيدُ بن عَطِيَّة[٧].

قال العَبَّاسي: أما صَالِح بن عَبْد الرَّحْمن: فهو مَوْلى امرَأةٍ من أهْلِ الكُوفَة من بني تَميم، ولكن منَّا عَبْد الرَّحْمن بن زِيَاد[d] [٨] كاتب الحَجَّاجِ، وابن سعيد[e] [٩] كاتبُ خَالِد.

---

[a] في الأصل: ابن ياسين، والتصويب من طبقات خليفة.

[b] في الأصل: أبي أيوب، والتصويب من ابن عساكر: تاريخ دمشق.

[c] في الأصل: ابن أبي عبيدة.

[d] في الأصل: زياد بن عبد الرحمن، والتصويب من الطبري: تاريخ الرسل والملوك.

[e] في الأصل: مسعدة، وهو خطأ، والتصويب من تاريخ خليفة بن خياط.

---

[١] هارون بن مَيَّاس، مولى بني ليث. وكاتب والي العراق خالد بن عبد الله القسري. راجع في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٥١.

[٢] جبلة بن عبد الرحمن الباهلي، أبو عبد الرحمن، تولى كرمان لابن هبيرة سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م. انظر: تاريخ خليفة، ص١٦٢، الطبري، ج٧، ص١١٧.

[٣] القاسم بن مسلم مولى بني يشكر، من أولاد المكاتبين، عرف بجلده وهيبته وروايته. راجع: ابن حبيب: المحبر، ص٣٤٧.

[٤] هاشم بن مرثد بن سليمان بن عَبْد الصمد، ويقال له: عَبْد الله بن عَبْد ربه بن أيوب بن مرهوب الطبراني الطيالسي، انظر: ابن عساكر: المصدر السابق، ج٧٣، ص٣٤٢.

[٥] المختار بن أبي عبيد، تقدمت ترجمته، ص١٠٠.

[٦] لم أجد له ترجمة.

[٧] سعيد بن عطية، محدث روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. البخاري، التاريخ الكبير، ج٣، ص٥٠٤.

[٨] عبد الرحمن بن زياد بن أبيه، استعمله معاوية بن أبي سفيان ﷺ على خراسان. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣١٥.

[٩] داود بن سعيد الكاتب، استعمله أمير العراق خالد بن عبد الله القسري.

و[ابن] عَوْنٍ[١] كاتبُ خَالِدٍ، ويونس بن [أبي] فروة[a] [٢] كاتب[b] عيسى بن موسى[b] ، وعَبْد الجبَّار بن شعيب[c] [٣] والهَيْثَم بن مُسْلِم، كاتِبا عِيسَى بن مُوسَى،
[٢] وحمَّاد بن مُوسَى[٤] كاتب مُحَمَّد بن سُلَيْمان[٥].

وكُتَّاب الخلَفاءِ منَّا لم يكْتُب لهم قطُّ أحدٌ من أهْلِ البَصْرَة، منهُم يَحْيَى بن زِيَادِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ[٦] اسْتكْتَبهُ المَنْصُور وضَمهُ إلى جَعْفَر ابنه.

---

[a] في الأصل: مروة، والتصويب من الجهشياري، الوزراء والكتَّاب.

[b-b] في الأصل: يوسف بن عمر. انتقال نظر من الناسخ، والتصويب من الوزراء والكتَّاب.

[c] في الأصل: مغيث، والتصويب من: تاريخ خليفة.

---

[١] عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون، شيخ أهل البصرة، من العبَّاد الثقات، لم يكن بالعراق أعلم منه بالسُّنة. توفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: البخاري: المصدر السابق، ج٥، ص١٦٣؛ ابن حبَّان: الثقات، ج٧، ص٣.

[٢] الربيع بن يونس بن عبد الله بن محمد بن أبي فروة الكاتب، مولى الخليفة أبو جعفر المنصور وحاجبه،كان على رسائل وزير المنصور عيسى بن موسى، انظر في ترجمته وأخباره: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١، ص٤٠٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٣٥.

[٣] عبد الجبار بن شعيب، كاتب ديوان الجند بخراسان في عهد الخليفة المهدي. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٢.

[٤] حماد بن موسى الكاتب، كتب للأمير العباسي محمد بن سليمان، وكان مستوليًا على أمره. راجع: الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص١٥٠.

[٥] الأمير العباسي محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، تولى البصرة والكوفة تباعًا لأبي جعفر المنصور، ثم المهدي من بعده، تزوج من العباسة أخت هارون الرشيد. توفي سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م. انظر في ترجمته وأخباره: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٩٤-٩٦.

[٦] يحيى بن زياد بن عبد الرحمن الكاتب، ذكره الأصفهاني في: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٢م. ج١، ص٣٣٩.

وعَمْرُو بن كَيْلَغ[a][1]، وإبْرَاهِيم ومُحَمَّد ابنا حُبَيْشٍ[2]، هؤُلاءِ كُتَّابُ المَنْصُور.
وكُتَّاب المَهْدِيِّ: [١٩ظ] عَلِيُّ بن يقْطِين[3]، وعُمَر[b] بن بَزِيع[4]. وكُتَّاب الرَّشِيد:
٣ يَحْيَى بن سَلِيم[c][5]، ومَنْصُور بن زِيَاد[6]، ومُجَاشِعُ بن مَسْعَدَة[7]، ويُوسُفُ بن القَاسِم[8].

[a] في الأصل: كلبع. والتصويب من الجهشياري: الوزراء والكتاب.

[b] في الأصل: عمرو، والتصويب من تاريخ خليفة.

[c] في الأصل: سليمان، والتصويب من تاريخ خليفة.

[1] عمرو بن كيلغ، قلده المنصور الكوفة ثم صرفه. انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٢٤.

[2] محمد بن حبيش الكاتب، هو الذي تولى بأمر من الخليفة المنصور إخراج الأسواق من داخل المدينة [بغداد] إلى الكرخ. راجع: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩١؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٢م، ج٨، ص١٩٤.

[3] علي بن يقطين بن موسى الكوفي، الكاتب.كان على ديوان زمام الأزمة، ثم تولى ديوان الخاتم للخليفة المهدي. توفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ١٦٧-١٨٩؛ النديم: الفهرست، ج٢، ص٨١.

[4] عمر بن بزيع الكاتب، استعمله الخليفة المهدي على ديوان زمام الأزمة، ثم ديوان الرسائل ، راجع: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٢.

[5] يحيى بن سليم الكاتب، استعمله أمير المؤمنين هارون الرشيد على ديوان الرسائل خلفًا للكاتب إسماعيل بن صبيح. راجع: المصدر السابق، ص٤٦٥؛ الطبري: المصدر السابق:ج٨، ص٢٢٨.

[6] منصور بن زياد، كاتب الفضل بن يحيى بن برمك، ندبه على باب للرشيد تجرى كتبه على يده وتنفذ الجوابات عنها إليه، إذ كان يثق به في جميع أموره لقديم صحبته له. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤٢.

[7] مجاشع بن مسعدة، أخو عمرو بن مسعدة، كاتب ديوان الرسائل للخليفة المأمون وأحد ندمائه. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص٢١٢٥.

[8] يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب، يكنى أبا القاسم، من بيت بلاغة وفضل، كان على ديوان الإنشاء أيام هارون الرشيد، وخطب يعلم الناس بوفاة موسى الهادي، وتولية الرشيد الخلافة وما أمر به من الأعطيات. توفي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. انظر: الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص٢٣٠.

ثم هؤُلاءِ كُتَّابُ أمِيرِ المُؤمنِين: الحَسَنُ بن سَهْلٍ علىٰ الخَرَاج، وعَمْرو بن مَسْعَدَةَ علىٰ الرَّسَائِل، وأحْمَدُ بن يُوسُفَ علىٰ الدِّيوَان بالجَبَل وخُرَاسَانَ، ومُحَمَّد بن عِمْرَان[١] علىٰ دِيوَان البَرِيد بالآفَاقِ، وثَابِتُ بن يَحْيَىٰ[٢] مِنَّا وإنْ كان قد نَشَأَ بِالرَّي.

قال عَلِيُّ بن هِشَام: إنَّ أبَا عُبَيْدةَ[٣] زعَمَ أنَّ عليًّا عَلَيْهِالسَّلَامُ قَامَ علىٰ منْبَر الكُوفَة فقال: إنَّكُم تزْعُمُونَ أنّي[a] دَابة الأَرْض[٤] إنْ كنتُم كاذِبِينَ فلا أمَاتَكُم الله حتىٰ يُخْرِج من أصْلَابِكُم نِسَاءٌ زَوَانِي.

قال ابن يُوسُف: كان عليٌّ عَلَيْهِالسَّلَامُ أتقىٰ لله وأرْحَمَ بعِبادِهِ وأفْقَه في دينِهِ من أنْ يقول هذا لقومٍ مسْلِمِينَ، وأمَّا الفجُور فمعَاذَ الله أنْ يرْمِي به المسْلِماتِ، ولكنْ قد علِمَ اللهُ أنَّ النَّهارِيَّاتِ واللَّيْلِيَّاتِ[٥] لا يُعْرَفنَ في شيءٍ من البُلْدَانِ إلَّا بالبَصْرَةِ، ولَيْسَ بالبَصْرَةِ شَرِيفٌ إلا وقد بنىٰ في دَارِه دكَّانـًا ترْكَبُ منه امْرَأتُهُ ولَيْسَ بالبَصْرَةِ[b] امْرَأةٌ

---

[a] في الأصل أن، والزيادة يقتضيها السياق. [b] في الأصل: لها بالبصرة.

---

[١] لم أقف له على ترجمة؛ ولعله محمد بن عمران التيمي، آخر من تولى قضاء المدينة للخليفة المهدي.

[٢] ثابت بن يحيى بن يسار الرّازي، أبو عباد الكاتب، وزير المأمون، وأحد الإكفاء البارعين في الحساب والأموال، وكان جوادًا سمحًا كريمًا. توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢،ص٥٦١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١١، ص١٤٥.

[٣] أبو عبيدة اليهودي: تقدمت ترجمته: ص ٣٢.

[٤] نعت رأس النفاق عبدُ الله بن سبأ عليَّ بن أبي طالب ﷺ بهذه الصفة حينما بويع بالمدينة، ووصفه بها جابر الجعفي الكذّاب وهو على منبر الكوفة، راجع : البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص١٤٢، ٥٠٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٢، ص٢٩٨.

[٥] النَّهارِيَّات أو اللَّيْلِيَّات، أن يتزوج الرجل المرأة بشرط أن يكون عندها نهارًا دون الليل، والعكس، وليس من نكاح أهل الإسلام. انظر: ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، (باب تزويج النهاريات) ج٣، ص٥٠٨.

جَلِيلَةٌ إلا ولها حَرِيفٌ من المـكَارِين يُخْرِجُهَا إلى الأعيَاد والمَوَاسِم وقدُومِ الوُلَاةِ وكلّ حَدثٍ يكونُ[١]. ومَا يَحِلّ للمُسْلِمينَ أنْ يُقَدِّمُوا رجُلًا من أهْلِ البَصْرَةِ يصَلّي بهم حتى يُحبَس كما تُحبَس الإبلُ الجَلَّالَة[٢] سَبْعَة أيّام، لأنَّ غِذاءُه السَّماد، فَضَحِك المَأمُون.

فقال عَليُّ بن هِشَام: أنت بالفُحْشِ أحْذَق وبه أرْفَق ولكن بالبَصْرَةِ أرْبَع بُيُوتَات من بُيُوتَاتِ العَرَب[٣] لَيْسَ بالكُوفَة مِثْلُها: بيْتُ بني الجَارُود، ولَيْسَ في عَبْد قَيْس الكُوفَة مِثْلُهم، وبيْتُ بني المهَلَّب، لَيْسَ في أزد الكُوفَة مثْلُهم، وبيْتُ بني مُسْلِم، لَيْسَ في قَيْس الكُوفَة مثْلُهم، وبيْتُ بني مِسْمَع، لَيْسَ في بَكْرِ الكُوفَة مثْلُهم. قال عُمَرو بن مَسْعَدَة: أمَّا بيْتُ بني المُهَلَّب فإنَّ النَّجَاشِي[٤] قال: (شِعْر) [الطويل]

وكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ ورِجْلٍ بِهَا رَيْبٌ منَ الحَدَثَانِ
فأمَّا التِي صَحَّتْ فأزْدُ شَنُوءَةٍ وأمَّا التِي شلَّتْ فأزْدُ عُمَانِ

[٢٠و] وبالكُوفَة بيْتُ بَنِي مِخْنَف بن سُلَيْم بن مُزَيْقِيا بن ماء السَّمَاء، لَيْسَ في أزْدِ البَصْرَة مِثْلُه. ولهُم بعد ذلك من البُيُوتَاتِ الشَّرِيفَة مَا لا يُحدُّ ولا يُوصَف، فمِنْهَا بيْتُ النُّعْمَان بن مُقْرِن[٥] صَاحِب رسُولِ الله ﷺ.

---

[١] يعني أن نساء البصرة الجليلات يستأجر لهن المكارين من أصحاب الدواب للخروج بهن في المناسبات، ولايستحين من مخالطة الرجال.

[٢] الجَلَّالَة: التي تعتاد أكل الجيف، ولا تأكل غيره.

[٣] انظر: المختصر: ص١٧٠.

[٤] تقدمت ترجمته ص١٠٢.

[٥] النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرو، له صحبة، وهو من الأمراء القادة الشجعان. توفي سنة ٢١هـ/٦٤٢م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٥٠٥-١٥٠٦.

وقال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «آلُ مُقْرِن من بُيُوتَات الجنَّة»[١]، ومنهُم حُذَيْفَة بن اليَمان صَاحِب رسول الله ﷺ.

٢ ومنهُم فرْسَان العَرب الذين أدْرَكُوا الجَاهِليَّة والإسْلَام: عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب، وقَيْسُ بن مَكْشُوح[٢]، وعُرْوَةُ بن زَيْد الخَيْل[a] والعَبَّاسُ بن مِردَاسٍ[٣]، وطُلَيْحَةُ الأَسَدِيُّ،[٤] والأَشْتَرُ بن الحَارِث النَّخَعِيُّ[٥]، ومَصْقَلَةُ بن هُبَيْرَةَ[٦].

---

[a] في الأصل: الخيلي

---

[١] لم يثبت عن رسول الله ﷺ في الصحاح ولا في غيرها قول بهذا اللفظ.

[٢] قيس بن هبيرة الملقب بن مكشوح بابن هلال البجلي، أبو شداد، صحابي، من الشجعان الأبطال الشعراء، له مواقف في الفتوحات في زمن عمر وعثمان. قتل في معركة صفين مع علي رضي الله عنه سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٢٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٣٠٠.

[٣] سبقت ترجمتهم ص١٨٢-١٨٣.

[٤] طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، من الشجعان الفصحاء، يقال له طليحة الكذاب، وفد على النبي ﷺ مع قومه سنة ٩هـ/٦٣١م. ثم ارتد وادعى النبوة، ثم أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبلى بلاءً حسنًا في الفتوحات الإسلامية، وتوفي سنة ٢١هـ/٦٤٢م. راجع في ترجمته وأخباره:البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٦١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٨٤.

[٥] مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث النخعي، من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شهد معه الجمل وصفين والمشاهد كلها، وولاه مصر فخرج إليها، فلما كان بالعريش شرب عسلًا مسمومًا فمات سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢١٣؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٢٤٩.

[٦] مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني، استعمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على بعض كور الأهواز، ثم انحاز إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتوفي في أثناء فتحه لطبرستان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٨، ص ٢٦٩-٢٧٦.

وإبْرَاهِيمُ بن الأَشْتَر[١]، وأَبُو بُرْدَةَ بن أَبِي مُوسَى[٢]، فنحن فينَا بُيُوتَات العَرَب وأَشْرَافُ الجَاهليَّة وفُرْسَانُ الإسْلَام.

وخيْرُ الأقَالِيم إقْلِيمُنا، وخيْرُ الإقْلِيم بلَدنا، وخيْرُ الأنْهَار نهْرُنَا، وخيْرُ الصَّحَابَة فُقهَاؤُنَا، منهُم أمِيرُ المُـؤْمنِين عَليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وابن مَسْعُودٍ، وعَمَّار بن يَاسرٍ، وحُذَيفَةُ بن اليَمَان، وسَلْمَان[٣] مِنَّا، ومَسْجِدُنَا الرَّابعُ في الفَضْل وفيه يقول الشَّاعِر: (شِعْر)

[الخفيف]

مَسْجِدٌ كَانَ مِنْ عَلِيٍّ وسَعْدٍ عَامِـرًا بُرْهَةً ومِـنْ عَمَّارِ
والرِّجَالِ المُـهَاجِرِينَ إلى الله مِـنَ الأَوَّلِيـنَ والأنـصَارِ

---

[١] مالك بن الحارث النخعي، أحد الأبطال الشرفاء كأبيه، وكان شيعياً فاضلًا، قتل عبيد الله بن زياد بن أبيه يوم وقعة الخازر. قتل مع مصعب ابن الزبير عام ٧٢هـ/٦٩٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٠٠؛ تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٥.

[٢] عامر بن عبد الله بن قيس، أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، استعمله الحجاج بن يوسف الثقفي على قضاء الكوفة، وتوفي سنة ١٠٣هـ/٧٢٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٨؛ وكيع: أخبار القضاة، ج٢، ص٤٠٨-٤٠٩.

[٣] سلمان الفارسي، أبو عبد الله، قدم على النبي الكريم ﷺ المدينة، أعتقه الرسول ﷺ وصار لبني هاشم، نزل الكوفة وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص١٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٦٣٤-٦٣٧.

وفيه يقولُ السَّيدُ بن محمَّدٍ الحِمْيَرِيُّ[١]: (شِعْر) [الطويل]

لعَمْرُكَ مَا مِنْ مَسْجِدٍ بَعْدَ مَسْجِدٍ بِمَكَّةَ طُهْرًا أَوْ مُصلًّى بِيَثْرِبِ
بِشَرْقٍ ولَا غَرْبٍ عَلِمْنا مَكانَهُ[a] مِنَ الأَرْضِ مَعْمُورًا ولَا مُتَجَنَّبِ
[و] بابَيْنِ[b] فَضْلًا[c] مِنْ مُصَلًّى مُبَارَكٍ بِكُوفانَ رَحْبٍ ذي أَواسٍ[d] ومُحْصَبِ
مُصَلًّى بِهِ نُوحٌ تَأَثَّلَ وابْتَنَى بِهِ ذَات حَيْزُومٍ وصَدْرٍ ومُحْنَبِ
وفارَ بِهِ التَّنُّورُ ماءً وعِنْدَهُ[e] لَهُ قِيلَ قُم يا نُوحُ[f] في الفُلْكِ فَارْكَبِ
وبَابُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الذي بِهِ مَمَرُّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينِ المُهَذَّبِ

ولَيْسَ فِينَا قَدَرِيٌّ ولا خَارِجِيٌّ. فقال المَأْمُون للبَصْرِيِّين: قد نظَرْتُ في أَمْرِكُم
٣ وسَمِعْتُ قَوْلَكُم وفَهِمْتُ احْتِجَاجَكُم، فَمَا لُمْتُكُم في جِدالٍ ولا مُدَافَعَةٍ، ولكِنِّي رأَيْتُ مَثَلَكُم في مُفَاخَرةِ أَهْلِ الكُوفَة كقولْ القَائِل: (شِعْر) [البسيط]

يا جَارِ قَدْ كُنْتَ في عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ

---

[a] في الأصل: مكنا، والتصويب من ديوان الحميري؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان.
[b] لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، بأبين.
[c] في الأصل: فضل، والتصويب من ديوان الحميري؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان.
[d] في الأصل: أوامي، والتصويب من ياقوت؛ وفي ديوان الحميري: ذي أراس.
[e] في الأصل: عندها، والتصويب من ديوان الحميري؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان.
[f] لدى ياقوت: أيا نوح؛ وفي ديوان الحميري: يا نوح ففي الفلك.

---

[١] انظر ديوان السيد الحميري: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، المتوفى سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٣٥-١٣٧.

ثم دعَا المَـأْمُون صَاحِب بَيْتِ حِكْمَتِهِ[1] فقال: اجْعَلْ هذا الكِتَابَ في خَواصِّ كُتُبِنَا.

ثم قال عِلِيٌّ ابن صَالِح[2] لِلقَوْم: انْهَضُوا. فنَهَضُوا، وانْقَضَى المجْلِسُ.

والحَمْدُ لله رِبِّ العَالَمِينَ.

[1] سهل بن هارون بن راهيون الدَّستميساني، صاحب خزانة الحكمة للمأمون، كان حكيمًا فصيحًا شاعرًا، أشتهر بالبخل والشعوبية، والعصبية على العرب، توفي سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، راجع في ترجمته الجاحظ: البيان والتبيين، ج١ ص٥٢، النديم: الفهرست، ج١ ص٣٧٣-٣٧٤، ياقوت: معجم الأدباء ج٢ص١٤٠٩.

[2] علي بن صالح ، حاجب الخليفة المأمون. انظر: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص١٦ – ١٨.

القَـوْل في وَاسِط

٣ وإنّما ذكَرنَا «وَاسِط»[١] في هذا المَوْضِع لأنَّها توَسَّطَت المِصْرَيْن، أعْنِي البَصْرَة والكُوفَة، ولذلك سُمِّيَت وَاسِط.

وقال يَحْيَى بن مَهْدِي بن [عبد] كَلال[٢]: بنَا [هَا] الحَجَّاجُ بن يُوسُفَ في سنَتَيْنِ، ٦ وكان فرَاغُهُ منها فِي سنة سِتٍّ وثَمانِين، وهي السَّنَةُ التي مَاتَ فيها عَبْد المَلِك بن مَرْوَان.

ويُرْوَى أنَّ عُمَر بن عَبْد العَزِيز قال: إنَّ الحَجَّاجَ إنَّما بنَى وَاسِط إضْرَارًا بالمِصْرَين، ٩ يعْنِي الكُوفَة والبَصْرَة، وقد أردْتُ أنْ أهْدِم مَسْجِدهَا وأُخَرِّبهَا وأرُدَّ كلَّ قوْمٍ إلى وطَنِهم. فقَال له أبُو مُنَبِّه[٣]: يا أمِيرَ المُؤْمنِين (a إنَّ بها قَوْمًا فيها وُلِدُوا وبِها نَشَئُوا a)، لا يعْرِفُون غيْرَها، [ومَسْجِدهَا] مَسْجِد جَمَاعةٍ قد قُرِئ فيه القُرْآنُ، فسَكَت.

(a-a) لدى ابن عساكر: «إن جُلّ قومها فيها ولدوا وبها نشئوا».

---

[١] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر عند حديثه عن مدينة واسط. انظر: معجم البلدان [مادة: واسط]، ج٥، ٣٤٨.

[٢] يحيى بن مهدي بن عبد الرحمن بن عبد كلال الحميري الجبْلاني من أهل واسط، قدمها في صحبة مسلمة بن عبد الملك. انظر: بَحْشَل: تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م. ص١٥٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٠٧.

[٣] اختلف فيه فقيل هو أبو المنبه عمر بن مُنَبِّه السَّعْدِيّ، وقيل أبو منبه عمر بن يزيد. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ج٦، ص١٩٧؛ مسلم: الكنى والأسماء، ج٢، ص ٨٢٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٧، ص٢٥٣.

وذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الكُوفَةِ[١] قال: سألْتُ خازِمًا أبا عَبْد الله السُّلَميّ[a][٢] أنْ يَشْهَد علىٰ دارٍ اشْترَيْتُها بوَاسِط، فقال: لا أشْهَدُ علىٰ شيءٍ بِيعَ بوَاسِط، قُلْتُ: ولم ذاك؟ قال: لأنَّ الحَجَّاجَ غَضِبَ عَلَيْها.

وذُكِرتْ وَاسِط عند أبِي سُفْيَان الحِمْيَرِيِّ[٣] وقيل: لَيْسَ بها فَاكِهةٌ، فقال: لأنَّها مشْؤُمَةٌ، بنَاهَا رجُلٌ مشْؤُمٌ.

وقال أبو سُفْيَان الحِمْيَرِيُّ: وَلِي الحَجَّاجُ العِراقَ عشْرِينَ سَنةً قَدِمَها سَنةَ خَمْسٍ وسَبْعِينَ ومَاتَ سَنةَ خَمْس وتسْعِيَن في شهر[b] رَمَضَانَ لِيْلَةَ سَبْعٍ وعشْرِين، وكانت ولايَتُهُ في [١٩ظ] أيَّام عَبْدِ المَلِك أحَدَ عشَر سَنةً وفي أيَّام الوَلِيد بن عَبْد المَلِك تِسْعَ سِنِينَ، وكان قد وَلِي الحِجَازَ ثَلاث سِنِين، ولهُ ثَلاثُونَ سنةً، ثمَّ ولِي العِرَاق فمات ولهُ ثَلاثُ وخَمْسُونَ سنةً[٤]، ودُفِن بوَاسِط علىٰ النِّيل.

---

[a] في الأصل: الصبي، والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

[b] في الأصل: شهور.

---

[١] من الملاحظ تأثر ابن الفقيه بطريقة البلاذري في التأليف ونقل الأخبار، حيث استخدم نفس عباراته واتبع أسلوبه عند نقل أخبار الأمصار؛ إذ كان البلاذري يستفتح نقله بإحدى عبارات ثلاث هي أخبرنا أو حدثنا أو قال لي فلان، جذبًا للأسماع ، وتأكيدًا لنقله عن راوٍ ثقة؛ كما نرى أيضًا تأثر ابن الفقيه بالأسلوب الأدبي للجاحظ في طريقة صياغته للأخبار وعرضه لها.

[٢] عبد الله بن خازم السّلميّ، أمير خراسان، أحد فرسان العرب في الإسلام ومن أشجع الناس، قلته بنو تميم بخرسان، والذي ولي قتله منهم وكيع بن الدّورقيّة القريعيّ. انظر في أخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٤١٨؛ عيون الأخبار: ج١، ص٢٦١؛ المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٦١.

[٣] سعيد بن يحيى بن مهدي بن عبد الرحمن بن عبد كلال الواسطي، توفي بواسط سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٧؛ بحشل: تاريخ واسط، ص١٥٧.

[٤] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان (مادة واسط) ج٥، ص٣٤٧-٣٥٠.

وهو الحَجَّاجُ بن يُوسُفَ بن الحَكَم بن أَبِي عَقِيل بن عَمْرو بن مَسْعُود بن عَامِر بن مَعْتِب. وافْتَتَح السِّنْدَ والهِنْدَ وخُرَاسَان وسِجِسْتَانَ، ووَلِي الحِجَاز: مَكَّةَ والمَدِينَة، وحَجَّ بالنَّاسِ في حِصَار ابن الزُّبِير سنة اثْنَيْن وسبْعِينَ، وقَتَلَ ابن الزُّبير في جُمَادىٰ الآخِرةِ، وهو أَوَّلُ من ابْتَنىٰ مَدِينةً [في] الإِسْلَام وهيٰ وَاسِط، وأَوَّلُ من اتَّخذَ المَحَامِلَ[1] وضَربَ الدَّراهِم وكَتَب عَلَيْها ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد﴾ [الإخلاص:١].

وقال حُمَيْد الأَرْقَطُ[2]: [الرجز]

أَخْــزَىٰ الإلــهُ عَــاجِلًا وآجِــلَا
أوَّلَ عَــبْــــدِ عَــمِلَ المَــحَامِلَا
عَــبْــــدَ ثَقِيـــفٍ ذَاكَ أَزَلًا آزِلَا

وهو أَوَّلُ من ضُرِبَ له الخيش[a][3]، وأَوَّلُ من أَطْعَمَ علىٰ أَلْفِ خِوَانٍ[4]، علىٰ كلِّ خِوَانٍ عشَرَةُ رجَالٍ وجَنْبُ شَويٍّ وثَريدَةٌ وسَمكَةٌ، وبَرْنيَّةُ عسَل وبَرْنيَّةُ لبَنٍ[5].

---

[a] في الأصل: الخيس بالسين.

---

[1] المحامل جمع محمل، وهو الهودج يركَّبُ على ظهر البعير، وكان الحجاج أمر بإحكام صنعتها والزيادة في قدرها لينام فيها المسافر. انظر: ابن منظور: لسان العرب ج١٣ ص٣٧٦.

[2] حميد بن مالك الأرقط، من شعراء العرب المشهورين، عاصر الحجاج، ويعده الجاحظ ممن جمع الرجز والقصيد من الشعراء، اشتهر بالبخل. انظر في ترجمته وأخباره: الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص٣٤٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٢٥.

[3] الخيش: هو نوع من الكتان الغليظ، وكان بغسل ويبلل ثم يخيط على قبة البيت، وبطريقة ما يجعلونه طبقات ويوضع فيها الثلج. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٨٢.

[4] الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص١٤٦.

[5] قارن الخبر في البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٣، ص ٣٧٦.

وكان يقول لمن يَحْضُر غَداءهُ وعَشاءهُ: رسُولِي إليْكُم الشَّمْسُ، فإذا طلَعتْ فاغْدوُا إلى غَدائِكُم، وإذا غَرُبتْ فرُوحُوا إلى عشَائِكُم.

٣ و[هو] أوَّلُ من أجَازَ بألْفِ ألْفِ دِرْهَم للْجَحَّافِ بن حَكِيم[١]، ووَلِي العِراقَ بعْدَ بِشْر بن مَروَان[a][٢] وقدِمَ الكُوفَةَ وعَلَيْه قَباءٌ هَروِيٌ أصْفَرُ مُتقَلِّدًا سيْفًا مُتنَكِّبًا قوْسًا، مُعْتَمًّا بِعِمامة خَزٍّ حمْراءَ، لا تُرىٰ إلا عيْنَاهُ، ولم يُسَلِّم عَلَيْه من أصْحَابِ ابن

٦ الأشْعَثِ[٣] إلا الشَّعْبِيُّ[٤] والغَضْبانُ بن القَبْعَثري[b][٥]. وقال بَعْضُهم: صلَّيتُ خلْفَ الحَجَّاج بالكُوفَة يومَ جُمعَةٍ، فعَددْتُ النَّاسَ خلْفَه، فكَانوا ستِّينَ نفْسًا.

---

[a] في الأصل: بشر بن هارون.

[b] في الأصل: الغصبان بن يزيد، والتصويب من الجاحظ: البيان والتبيين.

---

[١] الجحَّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السُّلَمي: شاعرٌ فاتكٌ ثائر، كان معاصرًا لعبد الملك بن مروان، كانت بينه و بين الأخطل ملاحاة هجاه فيها فغزا بنو تغلب قوم الأخطل فقتل منهم عددا، ثم فرَّ إلى بلاد الروم، توفي نحو سنة ٩٠هـ/ ٧٠٩م. انظر أخباره لدى البلاذري: أنساب الأشراف ج٧ص ٧٩-٨٣.

[٢] بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، الأمير، استعمله عبد الملك بن مروان على إمارة العراقين [البصرة والكوفة] وهو أول أمير مات بالبصرة. توفي سنة ٧٥هـ/٦٩٤م. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٣٥٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٠، ص٢٥٣-٢٦٥.

[٣] عبد الرحمن بن الأشعث الكِنْدي، أحد القادة الشجعان، له وقائع مع الحجاج بن يوسف الثقفي، توفي سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. انظر: تاريخ خليفة، ص٢٨٠-٢٨٩.

[٤] عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الحميري، يكنى أبا عمرو: أحد التابعين الثقات، راوية يضرب المثل بحفظه. سُئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. توفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٩٦؛ ابن قتيبة المعارف، ص٤٤٩-٤٥٠؛ ابن حبّان: الثقات، ج٥، ص١٨٥.

[٥] الغضبان بن القبعثري بن هَوْذَة الأسعدي الشيباني، من فصحاء العرب، انضم إلى ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٩٩؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ١٥٠.

قال: وقدِمَ الحَجَّاجُ العِرَاق سنة خَمْسٍ وسبْعِينَ ووَلِيهَا عشْرِينَ سنةً، [(a] وبنىٰ وَاسِط في ستَّيْنِ، وفرَغَ سنة سِت وثمانِين وهي السَّنةُ التي مات [٢١ظ] فيها عَبْد المَلِك[a)]، ولمَّا فرَغَ منها كتَب إلىٰ عَبْد المَلِك: إنِّي اتَّخذْتُ مدِينةً في كِرْشِ الأَرْضِ، بين الجَبَل والمِصْرَيْنِ، وسمَيْتُها وَاسِط؛ فلذَلِك سُمِّي أهْلُ وَاسِط الكِرْشِيِّينَ[1].

وقال الأَصْمَعِيُّ[2]: وجَّهَ الحَجَّاجُ الأطِبَّاءَ ليَرْتَادُوا له موْضِعًا، فذَهَبُوا يطْلُبُونَ ما بين عَيْن التَّمْر إلىٰ البَحْر، وجَوَّلُوا العِرَاقَ ورجَعُوا إليه وقالوا: ما أصَبنا مَكَانًا أوْفَق من موْضِعِكَ هذا في خُفُوف الرِّيح وأنْفِ البـرِيَّـةِ.

وكان الحَجَّاجُ قبل اتِخَاذِه وَاسِط أرَادَ نزُولَ الصِّين من كَسْكَر، وحفَرَ بها نَهْرَ الصِّين وجمَعَ له الفَعَلَةَ، ثم بدا له فعَمَّر وَاسِط، ونزَهَا واحْتَفَر النِّيلَ والزَّابِي[b] وسَمَّاهُ زَابيًا لأخْذِهِ من الزَّابِي[3] القَدِيم، وأحْيىٰ ما علىٰ هذيْنِ النَّهْرَيْنِ من الأرَضِينَ.

[(a-a)] لدى ياقوت: «فكان عمارتها في عامين في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان».

[b] لدى ياقوت: الزاب.

---

[1] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٠٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٨.

[2] عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي، أبو سعيد، راوية العرب صاحب لغة ونحو، وكان إمامًا في المُلَح وغرائب البلدان، وكان وثيق الصلة بالرشيد، توفي سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٥٤٣-٥٤٤؛ النديم: الفهرست، ج١، ص١٥٥- ١٥٧؛ أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص ٣٦- ٥٨.

[3] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من فتوح البلدان للبلاذري بتصرف طفيف إذ عزاه إلى الأصمعي، بينما استفتح البلاذري هذه الرواية بقوله: «وحدثني شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم...». فتوح البلدان، ص٤٠٧؛ وعن ابن الفقيه نقل ياقوت الحموي عند حديثه عن واسط إلا أنه صوَّب رسم كلمة الزاب فقال: «واحتفر النيل والزاب وسماه زابًا لأخذه من الزاب القديم...». انظر: ياقوت الحموي: (مادة واسط) ج٥، ص٣٤٧- ٣٥٣.

وأحْدثَ المدِينَة التي تُعْرفُ بالنِّيل ومصَّرهَا، وعَمَد إلى ضِياعٍ كان عَبْدُ الله بن دَرَّاج[١] مولى مُعَاوِيَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ استَخْرجَها لنَفْسِه[a] أيّام ولايتِه على خَراجِ الكُوفَةِ مع المُغِيرَة بن شُعْبَة من مَواتٍ مَرْفُوضٍ[٢] ومن مغَائِض وآجَامٍ[٣]، وضرَب علَيْها الـمُسنَّياتِ[٤]، ثم قلعَ قصَبهَا ودغَلهَا فحَازها[b] الحَجَّاج لعَبْدِ المَلِك بن مَرْوَان.

وقال الوضَّاح [مولى يزيد] بن عطاء: لقد رأيتُ المقْصُورة بوَاسِط، وإنَّه ليَغْشَاهَا أرْبَعون رجُلًا شَريفًا من آل أسْلَم بن زُرعَة الكلابي.

وحدَّثَ عَليُّ بن حَرْب الـمَوصِليُّ[٥] عن أبي البُخْتُريُّ وهْبِ بن عَمْرو بن كَعْب بن الحَارِثِ الحَارثيُّ قال: سَمِعْتُ خالي يَحْيىٰ بن الـمُوفَّق يُحدِثُ عن مَسْعَدَة بن صَدقَةَ العَبْديِّ قال: حدثنا عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمن عن سِمَاك بن حَرْب قال:

---

[a] لدى البلاذري: فتوح البلدان، استخرجها له .

[b] في الأصل: فحازه، والتصويب من فتوح البلدان.

---

[١] عبد الله بن دراج، مولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ، استعمله على خراج الكوفة في علم الجماعة. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٣٥.

[٢] الموات المرفوض: أي الأرض الخربة التي لا يمتلكها أحد. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص٧٤٩.

[٣] المغائض والآجام: المكان الذي يغيض فيه الماء، ثم تنبت به الأشجار. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٢٠١؛ ج١٢، ص٨.

[٤] المسَناة: ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء، وسميت بذلك لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما يحتاج إليه. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٣، ص٥٤.

[٥] علي بن حرب الطائي الموصلي، أبو الحسن، توفي في شوال سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م. انظر : الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٦٣ .

اسْتَعْمَلَني الحَجَّاج بن يوسف علىٰ ناحية بَادُورَيَا[1] فبيْنَما أنا يوْمـًا علىٰ شاطِئِ دِجْلَة ومعي صَاحِبٌ لي، إذا أنا بِرجُلٍ علىٰ فرَسٍ من الجانِبِ الآخر، فصَاحَ بِاسْمِي واسْمُ أبي، فقُلتُ: ما تَشَاءُ؟ [٢٢و].

فقال: الوَيْلُ لأهْلِ مدينةٍ تُبْنَىٰ هاهُنَا، ليُقْتَلنَّ فيها ظُلْمـًا سبْعُونَ[ألفـًا] [a] كرَّر ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم أقْحَمَ فرَسَهُ في دِجْلَةَ حتىٰ غَابَ في الماءِ فلم أرَهُ، فلَّما كان قَابِلٌ سَاقَني القضَاءُ إلىٰ ذلك الموضِع، فإذا أنا بِرجُلٍ علىٰ فرَسٍ، فصَاحَ كما صَاحَ في المرَّةِ الأولىٰ، وقال كما قال وزادَ: سَيُقْتَلُ فيها حوْلَهَا ما يُسْتَقَلُّ الحصَىٰ لِعَددِهِم، ثم أقْحَمَ فرَسَهُ في الماءِ حتىٰ غاب، فلمْ أرهُ.

قال بَعْضِهم: فكانوا يَرَوْنَ أنَّها وَاسِطُ، وما قتل فيها الحَجَّاجُ من النَّاسِ[2]. ويقال: إنَّهُ أُحْصِي في حَظِيرةِ الحَجَّاجِ بن يُوسُفَ ثلاثَةٌ وثلاثون ألفَ إنسانٍ، لم يُـحْبَسُوا في دمٍ ولا تَبِعةٍ ولا دَيْنٍ، وأُحْصِي من قَتَلهُ صَبْرًا فكانوا مَائة وعشرين ألف إنسان[3].

---

[a] ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

---

[1] بادوريا: طسوج بالجانب الغربي من بغداد، قال عنها أبو العباس بن الفرات: من استقل من الكتاب ببادرويا استقل بديوان الخراج، ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١، ص٣١٧.

[2] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر عن ابن الفقيه في كتابه معجم البلدان ولم يشر. انظر: (مادة واسط) ج٥، ص٣٤٩؛ و كذا نقل القزويني عن ياقوت دون إشارة. قارن: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،١٩٧٩م، ص٤٧٨ .

[3] في هذا الرقم مبالغة واضحة، كما أنه لا يتفق مع تعداد سكان واسط في هذا الوقت، وللمزيد حول شخصية الحجاج بن يوسف وسياسته راجع: دراسة محمود زيادة : الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام ، القاهرة، ١٩٩٥م.

وقال الحَسنُ بن صَالحِ بن حيٍّ [a)][١]: أولُ مَسْجِد بُني بالسَّوادِ مَسْجِد المدائِن، بناهُ سَعْدٌ وأصحابه، ثم وُسِّعَ بعدُ وأُحْكِمَ بِناؤهُ، وجرىٰ ذلك علىٰ يَديْ حُذَيْفَةَ بن اليَمان، وبالمدائِن مات حُذَيْفَةُ سنةَ سِتٍّ وثلاثين، ثم بُنِي مَسْجِدُ الكُوفَةِ، ثم مَسْجِدُ الأنْبَارِ.

وأحْدَثَ الحَجَّاجُ مَدينَة وَاسِط في سنة ثلاثٍ وثمانين، أو سنة أربع، وبنىٰ مَسْجِدها وقَصْرها والقُبَّة الخَضْراءَ،وكانت [وَاسِط][b)] أرضَ قَصَبٍ، فسُمِيتْ وَاسِط القَصَب[٢]، ولما فَرغَ من بنائِها كتب إلىٰ عَبْد المَلِك: اتخَذتُّ مدينةً في كِرْشِ الأرْضِ، بين الجَبَل والمِصْرَيْنِ، وسمَيْتُها وَاسِط.

فلذلك سُمي أهْلُ وَاسِط الكِرْشِيِّين، ونقل الحَجَّاجُ إلىٰ قَصْرِه والمَسْجِد الجامع أبوابًا من زَنْدَوَرْد[٣] والدَّرَوَقَرَة[٤]، ودَيْر ماسِرجِسَان[c)] وسَرَابيط[d)].

---

a) في الأصل: ابن رحى.

b) ساقطة من الأصل: والتتمة من البلاذري: فتوح البلدان.

c) لدى ياقوت : ماسرجيس.

d) في فتوح البلدان: شرابيط بالشين.

---

١ الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي، أبو عبد الله، روى عنه أهل الكوفة وهو مختف من القوم، وكان فقيهًا مجتهدًا متكلمًا ورعًا ممن تجرد للعبادة ورفض الرئاسة لتشيع فيه، توفي سنة ١٦٨هـ/٧٨٥م. انظر في ترجمته وأخباره: البخاري: التاريخ الكبير، ج٢، ص٢٩٥؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٨٥.

٢ نقل ابن الفقيه هذا الخبر بتمامه من فتوح البلدان للبلاذري، دون تصرف يذكر، ولم يشر. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٠٧.

٣ مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة، وقد خَرِبَتْ بعمارة واسط. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٤٥.

٤ بلد كان بالعراق خرّبه الحجّاج ونقل آلته عند بنائه لمدينة واسط. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٣.

فَضَجَّ أَهْلُ هذه المُدُنِ وقالوا: قد غصَبْتَنا علىٰ مُدُنِنا وأمْوالِنا، فلم يلْتَفِت إلىٰ قولهم[١].
قال: وحفر خَالِد بن عَبْدِ الله القَسْرِيُّ الـمُبَارك[٢]. قال: وأنْفَقَ الحَجَّاجُ علىٰ بناءِ
٣ قصْرِهِ والمَسْجِدِ الجَامِع والخَنْدَقَين والسُّور والقَصْر ثلاثةً وأرْبَعِين ألف ألف دِرْهَم[٣]،
فقال له كاتِبهُ صَالِحُ بن عَبْد الرَّحمٰن: هذه نَفَقَةٌ كثيرةٌ، وإنْ حَسَبَها لك [٢٢ظ] أمِيرُ
المُؤمنين وجد في نَفْسِه.
٦ قال: فما نصْنَعُ؟ قال: الحُروبُ لها أجْمَلُ، فاحْتَسبَ منها في الحُروبِ بأربعةٍ
وثلاثينَ ألفَ ألفِ دِرْهَمٍ، واحْتَسبَ في البناء بِتِسْعَةِ آلافِ ألفِ درْهَمٍ.
ولـمَّا فرَغَ الحَجَّاجُ من حُروبِهِ[٤] اسْتَوْطَنَ الكُوفَةَ، فأبْغَضَهُ أهْلُهَا وأبْغَضَهُم،
٩ فقال لرجُلٍ من حَرسهِ: امض فابْتَغْ[a] لي موْضِعاً في كِرْشٍ من الأرْضِ، أبْني فيه
مَدينةً وليَكُنْ[b] ذلك علىٰ نهرٍ جارٍ، فأقْبلَ يلْتَمِس ذلك حتىٰ صار إلىٰ قَريةٍ فوق
وَاسِط بِيَسِيرٍ يقالُ لها وَاسِط القَصبِ، فبَاتَ بها واسْتَطابَ ليْلَها واسْتَعْذَبَ أنْهَارَهَا

---

[a] لدى ياقوت: ابتغ لي موضعًا.
[b] في الأصل: ولكن، والتصويب من ياقوت الحموي: معجم البلدان.

---

[١] قرأ ياقوت الحموي هذا الخبر بخط ابن برد الخيار[محمد بن علي الشاعر الأخباري في زمن المعتصم] ويعني هذا أنه ربما كان ما قرأه ياقوت تعليق كتبه ابن برد الخيار في نسخته من كتاب فتوح البلدان للبلاذري، ثم ضُمِّن هذا التعليق في متن كتاب الفتوح عند نسخه، بظن من الناسخ أنه من أصل الكتاب. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٣.

[٢] نهر بواسط احتفره خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين لهشام بن عبد الملك. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٥٠.

[٣] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٤٩.

[٤] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان [مادة واسط] ج٥، ص٣٤٨.

واسْتَمْرأ طَعامَهَا وشَرابَها فقال: كم بين هذا الموضِعِ والكُوفَة؟، فقيل: أرْبَعُونَ فَرْسَخـًا، فقال: كم منها إلى المَدائِنِ؟، قيل: أرْبَعُونَ. قال: فكم إلى الأهْوَازِ؟، قيل[a]: أرْبَعُون، فقال: هذا مَوْضِعٌ مُتوسِّطٌ، وكتب إلى الحَجَّاجِ بالخَبَرِ ومَدحَ له الـمَوْضِع، فكتب إليه: اشْتَرِ لي فيه موْضِعـًا أبْنِي به مَدينة.

وكان مَوْضِعُ وَاسِط لرَجُلٍ من الدَّهاقِين[1] يقالُ له دَاوَرْدَان، فسَاوَمَهُ بالمَوْضِع فقال له الدَّهْقَانُ: ما يَصْلُحُ للأَمِير، قال: ولِمَ؟ قال: أُخْبِرُكَ عنه بثلاثِ خِصَالٍ تُـخْبِرهُ بها، ثم الأمْرُ إليه. قال: وما هي؟، قال: بِلادٌ سَبخَةٌ والبِنَاءُ لا يَثْبتُ فيها، وهي شَديدَةُ الحَرِّ والسَّمُومِ، وإنَّ الطَّائِرَ ليَطِيرُ في الجوِّ فيَسْقُطُ لشِدَّةِ الحَرِّ مَيِّتـًا، وهي بِلادٌ أعْمارُ أهْلِهَا قَليلَةٌ.

فكتبَ بذلك إلى الحَجَّاجِ فكتبَ إليه: هذا رجُلٌ يكْرَهُ مُجَاورَتَنا، فأعْلِمْهُ أنَّا سَنحْفِرُ بها الأنْهارَ ونُكْثِرُ فيها من البِنَاءِ والغَرْسِ والزَّرْعِ حتى تغْذُوا وتَطِيب، وأمَّـا ما ذَكَر أنَّها سَبخَةٌ وأنَّ البِناءِ لا يَثْبتُ فيها فسَنُحْكِمهُ، ثم نَرْحَلُ عنه فيَصِيرُ لغَيْرِنا، وأمَّـا قِلَّةُ أعْمَار أهْلِهَا فهذا شيءٌ إلى اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ لا إلينا، وأعْلِمَهُ أنَّـا نُحْسِنُ مُـجاوَرتَهُ ونَقْضي ذِمَامهُ بإحْسَانِنَا إليه: قال: فابْتَاعَ المَوْضِعَ من الدَّهْقَانِ، وابْتَدأ في البناءِ في أوَّلِ سنةِ ثلاثِ وثَمانِينَ، واسْتَتَمَّهُ في سنةِ ستٍّ وثمانينَ، ومات في سنةِ خمْسٍ وتِسْعِين.

---

[a] في الأصل: قال، والتصويب من ياقوت.

---

[1] الدهقان: معربة عن الفارسية تعني: التاجر الأريب الفطن . انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٠٧؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٤، ص٤٢١.

ولـمَّا فَرغَ منه وسَكَنَهُ أُعْجِبَ به إعْجَابـًا شَدِيدًا، فبَيْنَما هو ذَاتَ يومٍ في مَجْلِسِهِ [٢٣ظ] إذْ أتَاهُ بَعْضُ خَدمِهِ فقال له: إنَّ فُلانَة، جَارِيَةً من جَوارِيهِ كانَ مائِلاً إليها، أصَابهَا لـممٌ، فغَمَّهُ ذلك، ووجَّهَ إلىٰ الكُوفَةِ في إشْخَاصِ عَبْد الله بن هِلَال[1]، الذي يُقَالُ له صَدِيق إبْلِيس، فلما قَدِمَ عليه عَرَّفهُ الخبر فقال له: أَحِلُّ[السحر][a] عنها؟! قال: افْعَلْ.

فلمَّـا زالَ ما كان بها قال له الحَجَّاجُ: ويحك إنِّي أخافُ أنْ يكونَ هذا القَصْرُ مُحْتَضَرًا[2]، قال: أنا أصنعُ فيه شيئـًا فلا ترىٰ فيه أمرًا تكْرهُهُ.

فلمـَّا كان بعد ثالِثَة[b] جاء عَبْد الله بن هِلَالٍ، يَخْطِرُ[3] بين الصفَّيْنِ، وفي يدهِ قُلَّةٌ مختُومةٌ، فقال: أيُّها الأمِيرُ تأمرُ بالقَصْر أنْ يُمْسَح، ثم تَدْفِنُ هذه القُلَّةَ في وسطِهِ فلا ترىٰ فيه شيْئـًا ممّا يُكْرَه.

فقال له الحَجَّاجُ يا ابن هِلالٍ: وما العلامَةُ في هذه القُلَّةِ؟! قال: أنْ يأمُرَ الأمِيرُ برَجُلٍ بعد آخرَ من أشَدِّ أصْحابِهِ حتىٰ يأتِي علىٰ عشْرة منهم، فيسْتَقِلُّوا بها من الأرْضِ فإنَّهم لا يقْدِرونَ علىٰ ذلك، فأمَرَ الحَجَّاجُ بذلك ففعَل، فكانَ كما قالَ ابن

---

[a] ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

[b] لدى ياقوت: «ثلاثة أيام».

---

[1] عبد الله بن هلال، يقال له الساحر، أشهر المشعبذين في العراق زمن الحجاج بن يوسف، لُقِّب بصاحب إبليس لكثرة ما كان يأتي به من العجائب. انظر في ترجمته أخباره: الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٧٣.

[2] أي يحضره الجن والشياطين. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١٩٩.

[3] أي يتمايل ويمشي مشية المعجب وسيفه في يده. نفسه، ج٤، ص٢٥٠.

هِلالٍ، وكان بين يدي الحَجَّاجِ مـخْصَرة[١] خَيْزُران، فوضَعَها في عُرْوةِ القُلَّةِ، ثم قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [يونس:٣]، ثم شَالَ القُلَّةَ فارتَفعَتْ علىٰ المِخْصَرة فوضَعَها، ثم فكَّر مُنَكِّسـاً رأسهُ ساعةً، ثم التَفتَ إلىٰ عَبْد الله بن هِلالٍ فقال [له]: خذ قُلَّتكَ والحَقْ بأهْلكِ.

قال: ولِمَ؟! قال: إنَّ هذا القَصْر سيَخْرُبُ بعدي وينْزِلهُ قوْمٌ[a] ويـَحْتَفِرُ مُحْتَفِرٌ يوْمـًا فيَجِدُ هذه القُلَّة فيقول: لعن اللهُ الحَجَّاجَ إنَّما كان بدؤُ أمرهِ السِّحْرَ، قال: فأخَذَها ولِحَقَ بأهْلهِ، قال: وكان ذَرْعُ القَصْرِ أرْبَع مائةِ ذِراعٍ في مِثْلِها[٢] وذَرْعُ المَسْجِدِ الجامعِ مائتينِ في مائتينِ[b].

وصَفُّ الرَّحْبةِ التي تَلِي صَفَّ الحدَّادِين ثلاثَمائةٍ في ثلاثِمائةٍ، وذَرْعُ الرَّحْبةَ التي تلي الجَزارِين[b] والحَوْضِ ثلاثُمائةٍ في مائةِ ذِراعٍ، والرَّحْبةُ التي تلي المِضْمار[d] مائتينِ في مائةٍ، قال: والأبوابُ كانت علىٰ مدينةٍ قديمةٍ أعْجَميّةٍ يقالُ لها الدَّرَوَقَرَة وقد قيل عَلَيْها وعلىٰ غيرها فقُلِعت وحُمِلَت إلىٰ وَاسِط.

---

[a] لدى ياقوت: ينزله غيري.

[b] في الأصل: ما بين في ما بين، والتصويب من ياقوت.

[c] في الأصل: الخرازين، والتصويب من ياقوت.

[d] لدى ياقوت: الإضمار.

---

[١] المخصرة: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٢٤٢.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٩.

وقال مُحَمَّدُ بن خَالِد[١]: كان مُحَمَّدُ بن [٢٣و] القَاسِم الثَّقَفِي[٢] أيَّام كان يتقلَّدُ الهِنْد والسِّنْدَ، قد أهدىٰ إلىٰ الحَجَّاجِ فيلًا، فحُمِل من البطَائِح في سفينةٍ، فلمَّا صار إلىٰ وَاسِط أُخرِجَ في المشْرَعةِ التي تُدْعىٰ مشرعَةَ الفيل[a]، فسُمِّيت به إلىٰ السَّاعةِ[٣].

ولـمَّا استَوْطَنَ الحَجَّاجُ وَاسِط نَفىٰ النَّبَطَ عنها فقال: لا يُساكِنِّي أحدٌ منهُم، فإنهم مُفسدَة، وكان في طبَّاخِيهِ رجلٌ منهُم، وكان يطْبخُ لوْنـًا يُعْجِبُ الحَجَّاجَ، فلمـَّا أمرَ بإخراجِ النَّبَطِ فقَدَ ذلك اللَّونَ فسأل عنه فقيل: إنَّ طَبَّاخهُ نَبطِيٌّ، فلَهىٰ عنه مُدَّةً، ثم قال: اشْتَروا لي غُلامـًا ومُروهُ أنْ يعَلِّمهُ ذلك اللَّون، ففعلُوا، فلم يُحْكِمهُ الغُلامُ فقال: أدخِلوا هذا النَّبطِيَّ نهارًا وأخْرجُوه ليلًا.

قال: فكان يأتي في كل يومٍ بقِدْرِهِ ومغْرَفَتِهِ فيَطْبُخُ ذلك اللَّوْنَ ثم ينْصَرف. قال: وكتبَ إلىٰ الحَكَم بن أيُّوب[٤] عامِلَهُ علىٰ البَصْرَة: أمَّا بعدُ: فإذا نظَرْتَ في كتابي هذا

---

[a] لدى البلاذري: بزيادة: «فرضة الفيل».

---

[١] محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي الطحان، من الضعفاء والمتروكين. انظر: الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٧، ص٥٢٦.

[٢] محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فاتح الهند والسند وواليها، من كبار قادة الجيوش في الدولة الأموية، توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٨هـ/٧١٧م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٤، ٣٥٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٢٩، ٤١٠؛ المرزباني: معجم الشعراء، [ذكر من اسمه محمد] ص٤١٢.

[٣] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٠.

[٤] الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي، ابن عم الحجاج وعامله على البصرة، قتل بأمر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ/٧١٥م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٩٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٦٩.

فَأجْلِ مَنْ قِبَلَكَ من الأنبَاطِ والحِقهُم بسَوادِهِم، فإنهم مفسدةُ الدِّينِ والدُّنيا.

فكتب إليه الحَكَمُ: أما بعدُ: فقد أجْليتُ من في عَمَلي من الأنبَاطِ إلّا مَنْ قرأ منهُم القُرآنَ، وفَقِه في الدِّينِ، وعَلِمَ الفرائِضَ والسُّنَن.

فكتب إليه الحَجَّاجُ: فهِمتُ ما كتبتَ به، فإذا نظَرتَ في كتابي هذا فاجْمَع من قِبَلَك من الأطِبَّاءِ، ثم نَمْ بين أيْديهم، فليُفَتِّشُوا عروقَكَ عِرْقاً عِرْقاً، فإنْ وَجَدوا فيك عِرْقاً نَبَطيّاً قَطَعوه والسَّلَام.

ويُروَى عن مَكْحُولٍ[١] أنّه قال: لـمَّا أخْرَبَ بُخْتُ نَصَّر[٢] السَّوَاد، كان أشَدُّهَا بكَاءً كَسْكَر، فأوْحى اللهُ إليها: إنِّي مُحْدِثٌ فيك مَسْجِدًا يُصَلَّى فيه، قال مَكْحُول: فكنَّا نرى أنَّه مَسْجِد وَاسِط.

وكان بَعْضهُم يقول: [a]كان الحَجَّاجُ أحْمَقًا بنى مدينةً في باديةِ النَّبَطِ وحَرمَهُم[b] دُخُولهَا، فلمَّا ماتَ دخَلُوها من قُربٍ[a][٣].

[a-a] لدى ياقوت: «ولما فرغ الحجاج من بناء واسط أمر بإخراج كل نبطيّ بها وقال: لا يدخلون مدينتي فإنهم مفسدة، فلما مات دخلوها عن قريب».

[b] في الأصل: حمامم.

---

[١] مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الدمشقي، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث، قيل عنه أنه كان أبصر أهل زمانه بالفتيا، استقر بدمشق وتوفي بها سنة ١١٢هـ/٧٣٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج٨، ص٢١؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف، ج٥، ص١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٨٢.

[٢] تقدمت ترجمته ص١٦٣.

[٣] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (مادة واسط) ج٥، ص٣٥٠.

وقال الـمُزَنيُّ[١]: ذُكِرَ الحَجَّاجُ عند عَبْدِ الوَهَّابِ الثَّقفيِّ[٢] بِسُوءٍ فغَضِبَ وقال: إنَّما تذكُرونَ المَسَاوئَ، أوما علِمْتُم أنَّه أوَّلُ من ضربَ دِرْهمًا عليه لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأوَّلُ من بنىٰ مدينةً في الإسْلَام.

وأوَّلُ من اتَّخذَ [٢٤و] المحَامِلَ، وأنَّ امرأةً من الـمُسْلِمينَ سُبِيَتْ بالهِنْدِ فنادَتْ: ياحجَّاجاه، فلمَّـا اتَّصَل به ذلك أقبلَ يقول: يا لبَّيْكِ يا لبَّيْكِ، وأنفَقَ سَبعَةَ آلَافِ ألفٍ حتىٰ افتتَحَ الهِنْد، وأخذ المرأةَ فأحْسنَ إليها غَايةَ الإحْسَانِ؟!

واتخذ المَنَاظِرِ بينهُ وبينَ قَزْوين، فكان إذا دخَّنَ أهْلُ قَزْوينَ دخَّنَتِ المَنَاظِرِ إنْ كان نَهارًا، وإنْ كان ليْلًا أشعَلوا النِّيرانَ فتُجَرَّدُ الخَيْلُ إليهم، فكانت المَنَاظِرُ متَّصِلةً بين قَزْوينَ ووَاسِط، وكانت قَزْوين ثَغْرًا في ذلك الوقت.

وأنْشدَ لحُمَيدِ الأرْقَطِ في وَاسِط يمْدحُها: (شِعْر) [الرجز]

اللهُ أسْقَاكَ منَ الفُرَاتِ ... النِّيلَ يَنْقُضُ مـنَ الصَّراتِ
وأخْدَبُ يَعْـلُو المُسَـنَّيَاتِ ... نَضْـرِبُ عِـزْنَيْهِ بِـوَاسِـقَاتِ

---

[١] بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني، كان أبوه من الصحابة، من المتعبدين وأهل الفضل في الدين، ثقة ثبتا مأمونا، كثير الحديث، توفي في سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٠٩-٢١٠؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٤٦.

[٢] الإمام الحافظ عبد الوهاب الثقفي، أبو محمد بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري، كان ثقة ثريًّا جليل القدر، توفي سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٢٣٤.

سِيقَ إلىٰ المَدِينةِ مُسْنِقَاتِ[a] دَانيَةُ الرِّيف منَ الغَدَاتِ
بَعِيدَةَ الأهْلِ من الآفَاتِ طَمَّتْ علىٰ تغَصُّصِ البُغَاتِ
يُهْدىٰ إليْهَا الرِّزْقُ من شَتَاتِ مـن البُـحُــورِ ومـنَ الفَـلَاتِ

وقال حِمْدَانُ بن السَّحت[b] الجُرْجَانيُّ:[1] ،حضَرتُ الحُسَيْنَ بن عُمَرَ الرُّسْتَميَّ[2] ـ وكان من أكابِرِ قُـوَّادِ المَـأمُون ـ وهو يسْأَلُ المَوْبَذ[3] بخُرَاسَانَ، ونحن في دارِ ذي الرِّياسَتَينِ، عن النَّيْرُوز والمِهْرجَان[4] وكيف جُعِلا عِيدًا وكيف سُمِّيَـا؟

فقال المَوْبَذُ: نعم، أُنبئُكَ عنها، إنَّ وَاسِط كانت في أيَّام دَارَا بن دَارَا[5] تُسمَّىٰ "أفْرُونية"، ولم تكُن علىٰ شاطِئ دِجْلَة، وكانت تجري علىٰ سَننَها في ناحية بَطْن جُوخَىٰ، فانبَثَقَت في أيَّام بَهْرَام جُور[6]، وزالَتْ عن مجرَاهَا إلىٰ المَذَار[7] وصارت تجري

[a] في الأصل: مسفات.

[b] في الأصل: ابن السخت. والتصويب من ياقوت.

[1] لم أجد له ترجمة.

[2] الحسين بن عمر الرستمي، أحد كبار قواد جيوش المأمون، كان تحت إمرة طاهر بن الحسين، وجهه المأمون لإقرار الأمر في الأهواز. انظر أخباره في: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٤٣٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٣٢.

[3] الموبذ: هو قاضي المجوس. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٥م. ص١٣٨.

[4] النيروز والمهرجان: من أعياد الفرس، الأول: احتفال ببداية فصل الربيع، والثاني: ببداية الخريف. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٦٧.

[5] تقدمت ترجمته ص١٦٣.

[6] تقدمت ترجمته ص١٦٤.

[7] المذار قصبة ميسان، بين واسط والبصرة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٨٨.

إلى جَانِب وَاسِط مُنصبَّة، فغَرِقَتَ القُرىٰ والعِمارَاتِ التي كانت مَوْضِع البطَائِح، وكانت متَّصِلةً بالبَادِيةِ، ولم تكُن البَصْرَةُ ولا ما حَوْلها إلا الأبُلَّةَ، فإنَّها من بِناءِ ذِي القَرْنَيْنِ.

وكان موْضِع البَصْرَةِ قُرَىٰ عادِيَةً[1] مخْسُوفًا بها، لا ينْزِلُها أحدٌ ولا يَجري بها نَهرٌ إلا دِجْلَةُ الأبُلَّةِ، فأصابَ أهْلَ القُرىٰ والمُدُنِ التي كانت في مَوْضِع البطَائح - وهم بشرٌ كثيرٌ- وباءٌ، فخَرجُوا هَارِبينَ علىٰ وجُوهِهِم وتبِعَهُم أهاليهِم بالأغذِيةِ والصَّلاحَاتِ[a] ، فأصَابوهُم موْتَىٰ فرَجَعوا، فلمَّا [٢٤ظ] كان في أوَّلِ يوْمٍ من فُرورِدِين مَاه[2] من شُهُور الفُرْس أمطَر اللهُ ﷻ عَلَيْهم مطَرًا، فأحْياهُم فرَجَعُوا إلى أهَالِيهم، فقال مَلِكُ ذلك الزَّمَانِ: هذا نَوْ رُوز، ومعْنَاهُ: يَوْمٌ جَدِيدٌ، فسُمِّي بِهِ.

وقال الملِكُ: هذا يَوْمٌ مُبارَكٌ، فإنْ جاءَ اللهُ فيه بمَطَرٍ وإلَّا فلْيَصُبَّ بَعْضُكُم الماءَ علىٰ بَعْضٍ[b] ، وتَبرَّكُوا به وصيَّرُوهُ عِيدًا.

فبلغَ المأمُون هذا القول فقال[3]: إنَّه لمَوْجُود في كِتابِ الله ﷻ بقولِهِ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

---

a) لدى ياقوت: العلاجات.

b) لدى ياقوت: «فليصب الماء بعضهم على بعض».

---

1 أي من قرى قوم عاد.

2 شهر مارس "بداية فصل الربيع".

3 نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه من ابن الفقيه بدون تصرف يذكر. انظر: معجم البلدان، [مادة: البطيحة] ج١، ص٤٥١.

وقال ابن عبَّاس في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣] قال: كانت قَرْيَةٌ يُقَالُ لها دَاوَرْدان[١] وقع بها الطَّاعُونُ، فهَربَ عامَّةُ أَهْلِها فنزَلوا ناحيةً منْهَا، فهَلكَ مَنْ أقامَ في القَرْيةِ وسَلِمَ الآخَرون، فلَمَّا ارتَفع الطَّاعُونُ رجَعُوا سَالِمِينَ.

فقال منْ بَقِي ولم يمُتْ في القَرْيةِ: أَصْحابُنَا هؤلاءِ كانوا أَحْزَمَ مِنَّا، لو صَنعْنا كما صنَعُوا سَلِمْنا ولئِنْ وقعَ الطَّاعُون ثانِيةً لنخْرُجَنَّ، فوَقَع الطَّاعُونُ فيها قَابِلًا فهَربوا، وهم بِضْعَةٌ وثَلاثُون أَلفًا، حتى نزلوا ذلك المَكَانَ وهو وَادٍ أَفْيَحَ[٢]، فناداهُم مَلكٌ من أَسْفلِ الوَادِي وآخرُ من أَعْلاهُ أنْ مُوتُوا فماتُوا، فأَحْيَاهُم الله لحَزْقِيل في ثِيابِهم التي مَاتُوا فيها، فرَجَعُوا إلى قَوْمِهم أَحْياءً يَعْرِفُونَ أنَّهم كانوا مَوْتَى حتى مَاتُوا بِآجَالِهِم التي كُتِبَت لهُم[٣].

وقال الهيثم بن عدي[٤]: سأَلتُ عَبْد الله بن هلال[٥] صَدِيق إبلَيْسَ عن اسْم عَامِر وَاسِط فقال: "زَوْبَعَة".

قلتُ: هل ترَاءىٰ للحَجَّاجِ كما يُقَال؟! قال: نَعَم، تراءىٰ له ولغَيْرِهِ من أُمراءِ العِرَاقِ. قلت: فما حَدَّثَكَ عن الحَجَّاج؟! قال: كان كَافِرًا باللهِ وما رَأَيْتَه يُصَلِّي قَطُّ

---

[١] بلدة من نواحي شرقي واسط سميت باسم الدهقان الذي كانت له هذه الأرض. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٤.

[٢] أي الوادي المتسع. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٧، ص ٣٢.

[٣] قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٤٥٨؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٥.

[٤] تقدمت ترجمته ص١٧٨.

[٥] مرت ترجمته ص ٢٠٥.

خَالِياً، وما رايتُ احدًا كان أَجْبَنَ منه، لقد تَرَاءَيْتُ له ذاتَ يومٍ، فبَلَغَ من جُبْنِهِ أنَّه عَجَنَ الطِّين بماء القُرآنِ[1] وطَيَّنَ به خَضراء[a] وَاسِط[2].

قُلْتُ: فأَخْبِرنِي عن خَالِد بن عَبْدِ الله القَسْرِي[3] قال: أَشْجَعُ النَّاسِ، ولقد كان به النِّقْرس، فلو أنَّ ذُبَابَةً سَقَطتْ [٢٦و] علىٰ رِجْلِهِ لصَاحَ منها، وكان لهُ عَمُودُ حَديدٍ لا يُفَارِقُهُ، فتَرَاءَيْتُ له يومـًا، فلم يَقْدِر علىٰ القِيامِ ونظَر إليَّ وقال: يا خَبِيثُ لقد علِمْتَ أنِّي لا أَقْدِرُ علىٰ القِيَام ولكن إنْ كنتَ رجُلًا فادْنُ مِنِّي، ثم حَذفَني بالعَمُود حَذفَةً، لو أصَابَتْني لأَوْهَتَنِي.

ثُمَّ ظَهرْتُ ليُوسُفَ بن عُمَر[4] وكان جَبَانـًا، فأَدْخَل رَاسَهُ في لحَافِهِ وصَاحَ بجَارِيةٍ له يقال لها طَاَئِبِية: ويْلَكِ بَادرِي إليَّ، فما جَاءَتهُ حتىٰ بَالَ في فِرَاشِهِ ولا أخرَجَ رَاسَهُ حتىٰ عَلمِ أنَّها عِندهُ، وظَهَرْتُ لابن هُبَيْرَة[5] فانْتَضىٰ سَيْفَهُ وبادَرَ إليَّ فاسْتَتَرتُ منه فقال: أما والله، لو تَظْهُر لعَلِمتُ أنَّك لا تُرَوِّعُ أحدًا بعْدِي.

---

[a] في الأصل: حضراء، والتصويب من اليعقوبي: البلدان.

---

[1] لا تصح هذه القصة في حق الحجاج لأن فيها حكم بكفره، وادعاء عمله للسحر خوفًا من عفريت واسط، كما لا يعقل أن يكون صعد إلى قبة القصر ووضع عليها الطين لمجرد رؤيته لهذا العفريت، وذلك بهدف الانتقاص من قدر الرجل واتهامه في دينه؛ و القصة كلها محض خرافة ولا قيمة تاريخية لها.

[2] القبة التي بناها الحجاج على قصره بواسط ونسب القصر إليها، فعرف بخضراء واسط. راجع: بَحْشَل: تاريخ واسط، ص١٢٥؛ اليعقوبي: البلدان، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٨٩١م، ص١٥٨.

[3] تقدمت ترجمته ص١٦٧.

[4] تقدمت ترجمته ص١٦٧.

[5] تقدمت ترجمته ص١٦٧.

وقال بَشّار بن بُرْد[١] يَهْجُو أهْلَ وَاسِط: (شِعْر)

[الطويل]

٣

عَلىٰ وَاسِطٍ مِنْ رَبِّها ألْفُ لَعْنَةٍ وتِسْعَةُ آلافٍ علىٰ أهْلِ وَاسِطِ
أَيَلْتَمِسُ[a] المَعْرُوفُ مِنْ أهْلِ وَاسِطٍ ووَاسِطُ مَأوَىٰ كُلِّ عِلْجٍ وساقِطِ
نَبِيطٌ وأعلاجٌ وخُوزٌ تَجَمعُوا شِرارُ عِبادِ الله مِنْ كُلِّ غَائِطِ
وإنِّي لأرْجُو أنْ أنالَ بِشَتْمِهِمْ مِنَ الله أجْرًا مِثْلَ أجْرِ المُرَابِطِ[٢]

[a] في الأصل: أتلتمس المعروف، والتصويب من ديوان بشار بن برد.

[١] تقدمت ترجمته ص١٦٦.

[٢] راجع: ديوان بشار بن بُرد، ج٤، ص٩٦-٩٧.

ذكرُ النَّبطِ وما جاء فيهم[١]

قال رسُولُ الله ﷺ: «لا تَبْغضُوا قُرَيْشاً، ولا تَسُبوا العَرب، ولا تُذِلُّوا المَوَالِي، ولا تُسَاكِنُوا الأنْبَاطَ، فإنَّهم آفَةُ الدِّين وقتَلةُ الأنْبِياءِ، إذا هُم سَكنُوا الأمْصَار وشيَّدُوا الدُّورَ ونطَقُوا بالعَربيَّةِ وتعَلَّموا القُرْآن، اسْتَوْلوْا علىٰ النَّاسِ بالـمَكْرِ والخَدِيعَةِ، فعِنْدها يبْغُون الإسْلاَمَ غوائِلَهُ»[٢].

ويُرویٰ أنّه كان لأبِي هُرَيرَةَ صَديقٌ يُكْرِمُهُ فقال له ذَاتَ يومٍ: إنِّي قد أحْبَبْتُك ولسْتُ أدْرِي ممَّنْ انت. قال: أنا رجُلٌ من أهْلِ السَّوادِ، فقال له أبو هُرَيرَةَ: تَنحَّ عنِّي! فإنِّي سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «أهْلُ السَّوادِ قَتَلةُ الأنْبياءِ وآفةُ الدِّينِ وأعْوَانُ الظَّلَمَةِ في كلِّ زمَانٍ وأكَلَةُ الرِّبَا واصْحَابُ الأهْوَاءِ»[٣].

ويُرویٰ أنَّ قَوماً [٢٦ظ] أتوا أمِيرَ المُـؤمنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالوا: يا أمِيرَ المُـؤمنِين، إنَّا نَسْكنُ بأرْضِ السَّوادِ فنُصِيبُ من مرَافِقِهَا. فقال لهم عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّكُم لتُسَاكِنُونَ أهْلَ الغَفْلَةِ والغِرَّةِ والحَسَدِ والبَغْي والـمَكْرِ والخَدِيعَةِ، الذين سَهْمُهُم في الإسْلاَمِ منَقُوصٌ وحَظُّهُم في الآخِرةِ قَليلٌ.

---

[١] النبط أو الأنباط شعب عربي سكن الشمال الغربي للجزيرة العربية، فيما بين الشام والجزيرة العربية [الأردن الحالية] ازدهرت حضارتهم في الفترة الهلينستية، [ما بعد الإسكندر الأكبر] لأنهم كانوا على اتصال بالبحر المتوسط، فاحتكروا تجارة المر والتوابل من الجزيرة العربية والبحر الميت إلى أيلة (مدين) [العقبة الآن] للمزيد راجع: هنري عبود: معجم الحضارات السامية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٨٣٧.

[٢] لم يثبت عنه ﷺ حديثا بهذا اللفظ لا صحيحًا ولا حسنًا ولا ضعيفًا.

[٣] حديث ضعيف أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وذكر في إسناده عبد الرحمن بن مالك بن مغول وهو كذاب. انظر: الطبراني: المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٥، ص١٥٢.

سَمِعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول[١]: «إذا تَفقَّهتِ الأنْباطُ في الدِّينِ ونطَقَتَ بالعَربيَّةِ وتعَلَّمتِ القُرآن فاهْرَبَ الهَربَ منْهُم فإنَّهم أكَلةُ الرِّبا ومَعْدِنُ الرِّشَا وأهْلُ غِشٍّ وخَدِيعةٍ، لا سَهْم لهم في الإسْلَام»[٢].

ويُروىٰ أنَّ الشَّيطَانَ عشِقَ خِنْزِيرةً فوَثبَ عَلَيْها فأحْبَلها، فوَلَدتِ ابْنـاً فَسمَّتهُ "مشنو" فلما كَثُر نَسلُهُ أتىٰ سُلَيْمانَ فقال له: أرِنَا أوْلادَنا. فقال: أوْلادُكُم الأنْبَاطُ الذين يسْتَنْبِطُون الأرْضَ أصْبرَ النَّاسِ علىٰ حرٍّ وبرَدٍ.

ويُروىٰ أنَّ عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «لا يَدْخُل الجنَّةَ نَبطِيٌّ»[٣]. ورُوي عن عِكْرِمَة[٤] في: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] قال: كانوا نَـبَط.

وقال عَوْنُ بن عَبْد الله[٥]: لو كان إبلَيْسُ من الإنْسِ لكان نَبطيـاً، لأنَّهم أبْذَخُ قومٍ إذا أمَرَوا وأذَلُّ شيءٍ إذا قُهِروا يعْتَرفُونَ الهَوانَ ويكْفُرون الإحْسَان.

---

[١] لم يثبت عن رسول ﷺ حديث بهذا اللفظ لا في الصحاح ولا غيرها؛ فمن الملاحظ أن ابن الفقيه يستند في أحيانًا على بعض الأحاديث الموضوعة والروايات الضعيفة، والتي لا نجد لها أصلًا أو مصدرًا فيما بين أيدينا من المظان المعتمدة، كما أنه ينسبها إلى بعض من الصحابة أو إلى الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجه- وبعض هذه الروايات تحمل دلالات شعوبية، وتشير إلى ميل صاحبها للتشيع.

[٢] قارن: الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج١، ص٤٢٥.

[٣] لم أجد قولًا بهذا النص في المدونات ولا في غيرها من المظان.

[٤] عكرمة بن خالد بن العاص المخزومي القرشي، من الثقات روى عنه البخاري، توفي سنة ١١٥هـ/٧٣٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٧٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٧، ص٤٩؛ ابن حبان: الثقات، ج٥، ص٢١١.

[٥] عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ثقة عابد، وأحد فقهاء المدينة. توفي قبل سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٨٤.

ويُروىٰ عن ابن عُمَر أنَّه قال: قال رسُولُ الله ﷺ : «ثلاثةٌ هم شِرارُ الخَلْقِ: الشَّيطَانُ الرَّجِيمُ، وإمَامٌ يُخْشَىٰ غِشهُ وظُلْمُهُ، والنَّبطِيُّ إذا اسْتَعْرب»[١]. وكان يُقالُ: من أحَبَّ أنْ يُكثر عِيالُهُ ويَقِلَّ خيرُ بيْتِه فلْيَتزوَّج نَبطِية.

ورُوي عن أبي هُرَيرَةَ أنَّه قال: إنَّ إبلَيْسَ باضَ سبْعَ بيْضَاتٍ، فَثِنْتَانِ وقَعَتا بأرْضِ بَابِل، وثِنْتَانِ وقَعَتا بِمَيْسَان[٢]، وثِنْتَانِ وقَعَتا بِبلادِ الخُوزِ[٣]، وواحِدةٌ وقَعتْ بهُمَيْنيا[٤]. ففي الثِنْتَيْنِ اللتَيْنِ وقعَتَا ببابِلَ ذكَرٌ وأنْثَىٰ، اسم الذَّكرَ شقَتي والأنْثَىٰ يلعث[٥].

وقال نَصْرُ بن مُحَمَّد[٦]: اسم الذَّكَر ميْسَان واسم الأنْثَىٰ دلغث. وهما اللَّتانِ بلَبَلتَا الألْسُنَ ودعَتَا إلىٰ الشِّركِ وعِبَادةِ [٢٧و] الأوْثَانِ، والثِنْتَانِ اللَّتانِ وقعَتَا بِمَيْسَانَ فذَكَرٌ وأنْثَىٰ، اسم الذَّكَر هيِاه والأنْثَىٰ هيساه، هُم أذْنَابٌ منكَرةٌ وقُلوبٌ قَاسِيَةٌ وأكْبادٌ غَليظَةٌ، لا يفْقَهُونَ ولا يتَفقَّهُونَ لِئَامٌ وضَعةٌ غُنَاةٌ فَجَرةٌ، لا يرِقُّونَ للضَّعِيفِ ولا يُجِلُّونَ الكبِيرَ، ولا يَسْتَحيُون من القَبيحِ.

---

[١] لم يثبت عنه ﷺ حديثا بهذا النص.

[٢] كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٢.

[٣] الخوز هي بلاد خوزستان. راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤.

[٤] همينيا: مدينة بين المدائن والنعمانية، أول من بناها بهمن بن إسفنديار ملك الفرس. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٤١٧.

[٥] جميع الروايات السابقة ما هي إلا أقوال موضوعه ألصقها المنصف ببعض كبار الصحابة والثقات من المحدثين، .

[٦] نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، أحد ولاة الدولة العباسية، ولاه الخليفة المهدي إمارة السند وتوفى بها سنة ١٦٤هـ/٧٨١م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٤٠-١٥٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٨، ص١٢٠.

والثَّنْتَانِ اللَّتانِ وقعَتَا بالخُوزِ فذَكرٌ وأنثى، اسم الذَّكَر أبو مُرَّة والأنثى شليث، نَسْلهُما أشرُّ النَّسْلِ وأقبحهُ كَلامـاً وأرْدَئهُ أخْلاقـاً، ويقال إنَّه بُعِثَ إليهم[نَبِيٌّ] فذَبحُوهُ وأكَلوهُ. وأمّا التي وقعَتْ بهمَيْنيا فذكرٌ يقالُ لهُ لعُول، نكَحَ جاريةً من الإنسِ فأوْلَدهَا شيْطَانـاً مَرِيدًا.

ويُروى أنَّ أمِيرَ المُـؤْمنِين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لا تُنَاكِحُوا الأنْبَاطَ ولا تسْتَرْضِعُوا فيهم، فإنَّهم يُورِثُونَ أوْلادكُم اللُّؤْمَ النَّبَطِيَّ. وقالوا في قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[آل عمران: ١١٨] قال: هُمُ النَّبط.

وقال مُقَاتِلُ بن سُلَيمان[١]: الأنْبَاطُ من ولدِ شِناصِ بن إبلَيْس، وإنَّ شِناصًا نكَحَ شاةً لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقال لها ورسة، فوَلدَت ابنـاً فَسمَّاهُ نباط.

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّه[٢]: حَبسَ سُلَيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نبَطِيـاً من أهْلِ دَسْتُمِيسَان[٣]، وقيَّدهُ فجَاءَ أهْلُ السِّجْنِ يَشْكُونَهُ فدعا به، وقال: ويْلَكَ، أما يشْغَلُك ما أنت فيه من ضِيقِ المحْبَسِ وثِقَلِ الحَديدِ حتى يشْكُوكَ النَّاس؟! فقال: لا أعُودُ، يا نَبيَّ الله. فقال: زِيدُوه قَيْدًا ورُدُّوه.

---

[١] مقاتل بن سليمان الخراساني، صاحب التفسير، إلا أن أصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه، لأنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم. توفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،ج٣، ص١٤.

[٢] وهب بن منبه الإبناوي الصنعاني الذماري، يكنى أبا عبد الله، المؤرخ العلامة القصصي، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، من أبناء الفرس الذين بعث كسرى بهم إلى اليمن، توفي ١١٤هـ/٧٣٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٤٣؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٤٥٩.

[٣] دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٥.

ففعَلُوا ذلك به، فعَاودَ أهْلُ السِّجْنِ يشْكُونَهُ فدعَا به، وقال له مِثْلُ قوله الأوَّل فقال: لا أعُودُ. فقال: زِيدُوهُ قيْدًا آخَرَ ورُدُّوه ففعَلُوا، فلم يُقِم إلا يوْمـًا حتىٰ عادَ أهْلُ السِّجْنِ يشْكُونَهُ، فأحضَرهُ وقال له مِثْلُ قولهِ الأوَّل وزَادهُ قيْدًا، فلم يكْفِهِ ذلك، وعادُوا فشكُوهُ فلمَّا شكُوهُ الرَّابِعةَ، نقَلهُ عنهم إلىٰ سِجْنِ الجِنِّ، فجَاء الجِنُّ يصِيحُونَ منه ويشكُونَهُ، فدعَا به وأمر بضَربهِ فضُربَ وزَادهُ قيْدًا آخَر، فشَكُوه ثالِثـًا، في كلِّ ذلك يَزِيدُوهُ قيْدًا، فلمَّا كان في الرَّابِعةِ قال لهم: ما الذي يَصْنَعُ بكم حتىٰ صِحْتُم منه؟! فقالوا: يا نَبِيَّ الله أعْظَمُ ما نشْكُو منه السِّعَايَةَ والنَّمِيمةَ، قدْ تقَاتلْنَا[٢٧ظ] علىٰ يدهِ.

فأخْرجَهُ عنهم ودعَا بصَخرِ المارِد، وكان ينْقُلُ الصَّخْرَ من فَارِس إلىٰ الشَّام، فقال له: يا صَخْرُ، اكفني مؤُونَةَ هذا النَّبطِيِّ وليكُن معَكَ في سِلْسِلةٍ، ففعَل ذلك، فبَيْنَما سُلَيْمانُ في بَعْضِ موَاكِبِهِ، وقَدْ حمَلتْهُ الرِّيحُ إذْ عَارضَهُ صَخْرُ في الهَواءِ والنَّبطِيُّ معهُ في سِلْسِلةٍ، وصَخْرُ يسْتَغِيثُ إلىٰ سُلَيْمانَ ويسْتَوْقفُهُ، فأمرَ سُلَيْمانُ الرِّيحَ فرَكدَتْ ودعا به، فسَألهُ عن شأنِهِ فقال: يا نَبيَّ الله، اعْفِني من هذا النَّبطِيِّ، وأقْرنْ معي مِائةَ عِفْريتٍ في موضعِهِ. وقال: وما الذي يصْنعُ بكَ؟! قال: يا نَبيَّ الله، يَدعُني حتىٰ إذا حَملْتُ الصَّخْرةَ علىٰ رَأْسِي اسْتَقْدمَ في سِلْسِلَتي ولفَّها علىٰ صدرِهِ، ثم جَذَبَني وطَرحَ نَفْسه علىٰ وجْهِهِ، فأقَعُ علىٰ وجْهِي وتقَعُ الصَّخْرةُ علىٰ عُنقِي وظَهْري فأقولُ لهُ ما شأنُكَ؟ فيقول: أثرتُ، يُرِيدُ: عَثرتُ، ثم أقُومُ فأجْعَلُها علىٰ رأْسِي، وأقولُ له: تأخر فكُنْ من وَرائِي حتىٰ لا يَعْثَر.

فيَفْعَلُ، ثم يَقْبِضُ علىٰ الطَّوقِ الذي في عُنقِهِ ويسْتَعقِدُ فيطْرحُني علىٰ ظهْرِي، وتَقعُ الصَّخْرةُ علىٰ جَنْبِي فأقُولُ: ويلَكَ ما دهَاكَ؟! فيقول: أنت شَيْطَانٌ من شُيوط

ونَهنُ لا نَلْهقُ بكِ، يريد: أنت شَيْطَانٌ من الشَّيَاطِين ونحنُ لا نَلْحقُ بك. فَضَحِك سُلَيْمانُ، ثم قال: قدْ جَعلْتُكَ يا نَبَطِيُّ عَـرِّيفـًا علىٰ الجنِّ النَّقَالَةِ، فخُذهُم بالجِدِّ واسْتَعجِلهُم في الحَمْلِ، فمَضَىٰ لذلك فقال لهُ الجِنُّ: إن بَيْنَنا وبَيْنَك رحِمٌ مَاسَّةٌ، فانظُر لنا في ولايتِكَ. فقال لهم: وأيُّ رحِمٍ بيْنَنا، وأنتم من الجِنِّ وأنا من الإنسِ؟! قالوا: إنَّ هاهُنَا امْتِزاجٌ آخرُ لا تعْرِفهُ.

قال: وما هو؟! قالوا: أنّه لـمَّا مَلكَ سُلَيْمانُ أتَتْهُ مَلِكةُ دَسْتُمَبْسَان، فَسألَتْهُ أنْ يُوجِّهَ معها شَيْطانَيْنِ يبْنِيان لها قَصْرًا من وقتِ طُلُوعِ الشَّمسِ إلىٰ الظُّهرِ، ففَعل ذلك ووجَّه معَها شَيْطانَيْنِ يقال لأحَدِهما أكي، فبَنَياهُ لها إلىٰ قبلَ الظُّهرِ، فلمـَّا فَرغا منه قال لها: اشْغَلِينا في عملٍ آخرَ إلىٰ اللَّيْلِ، فإنا لا نجْسُر أنْ نَرجِعَ إلىٰ سُلَيْمانِ.

قالت: ما لي [٢٨و] عمَلٌ قدْ فَرغْتُما من عمَلِي الذي أردتُ. قالا: فإنَّا نَهْدِمُ القَصْرَ ونتَشاغَلُ بذلك إلىٰ آخرِ النَّهار، فتَحْتاجي أنْ تَرْجِعي إلىٰ سُلَيْمانَ فتُعِيدِي عَلَيْه المسْألَة. فلمَّا رأتِ الجِدَّ منْهُما دفَعتْ إلىٰ أحَدهُما مَسحـًا أسْوَدَ وقالت: اغْسِلهُ حتىٰ يَبْيَضَّ. وقالت للآخَر: تعَال حتىٰ أُشْغِلكَ في عملٍ آخر. واستَلقَتْ علىٰ قَفَاها وكشَفَتْ عن فرْجِها وقالت له: رُشَّ علىٰ هذا الجُرْحِ ماءً ورَوِّحْهُ حتىٰ يلْتَحِم.

وكان الذي فعلَتْ به هذا يسُمَّىٰ أكي، فلمَّا رَوَّحَها ساعةً ورآهُ لا يَلْتَحِم دعَتْهُ نَفْسُهُ إلىٰ مُواقَعَتِها ففعل، وأحْبَلَها فولَدَتَ الشيصبان وتالي وداقويه، وهم بنو عمِّكَ وقَرابَتِك فلْيَنْفَعنا هذا عِندكَ.

فقال النَّبَطيُّ: هذه لعَمْرِي رحِمٌ ماسَّةٌ، وفي دونِ ما متَّم به رعَايَةٌ وحِفَاظٌ، ولن أدعَ القِيامَ بشأنِكُم فما الذي تَشكُون؟ قالوا: ما نحنُ فيه من التَّعَبِ ونقلِ هذا الصَّخْرِ من فارِس إلى الشَّام. قال: أو لَيْسَ إنَّما تنقُلونَهُ ذاهِبينَ وتَسْتَرِيحُونَ راجِعينَ. قالوا: بلى، قال: فهذا نِصْفُ الطَّرِيقِ.

فتَرَكَهُم وانْطَلَقَ إلى سُلَيْمانَ فقال له: يا نَبِيَّ الله، أتظُنُّ أنَّكَ قد شَغَلتَ هؤلاء الجِنَّ الذين ينْقِلونَ الصَّخْرَ وكفَفْتَهُم عن التَّوَلُّع ببَنِي آدَم؟، قال: نعم. قال: فاعْلَم أنَّهم يرْجِعُون فُرُغـًا فيَعْبَثونَ بالنَّاسِ في طَرِيقِهِم ويؤْذُونَهم. قال: فما ينْبَغِي أنْ يُصْنَع بهم؟، قال: تُحمِّلهم الصَّخَر من فَارِس إلى الشَّام لبِناء بيْتِ المَقْدِس ويحْمِلُونَ من الشَّامِ إلى فارِس الـمَرْمَر، فيُبْنَى لك ما تُرِيدُ وتكفّهُم عن أذِيَّةِ النَّاسِ ففعلَ بهم ذلك فقالوا للنبَطِيّ: ويْحكَ زِدْتَنا تعَبـًا على تعبِنا، وقد رجوْنَا أن تخَفِّفَ عنَّا.

قال: أولَيْسَ عمَلُكُم إنَّما هو بالنَّهارِ وباللَّيلِ أنتم مسْتَرِيحُون[a]؟ قالوا: بلى، قال: فإنَّما تعْمَلونَ نِصفَ الدَّهرِ ونصْفَه تبْطُلونَ.

ثم انْطَلَقَ إلى سُلَيْمان فقال: يا نَبِيَّ الله، اعْلَمْ أنَّ هؤلاء الجِنَّ النَّقالةَ يعْملُونَ نهارهُم، فإذا كان اللَّيلُ عَرجُوا إلى السَّماءِ واسْتَرَقُوا السَّمعَ وأتَوا [٢٨ظ] الكُهَّانَ فخبَّروهُم بذلك وعبَثُوا بالنَّاسِ والبَهائِم. قال: فما الحِيلةُ فيهم؟!

قال: تَبْني حولَ مدِينَتك هذه أركَانـًا مُعلَّقَة على عددِهِم، فإذا فَرغُوا من عمَلِهم نهارًا أمرْتَهم فصَعِدوا ليْلهُم إلى هذه الأرْكَان.

---

[a] رسمها في الأصل: مشتركون.

وتأمُرهُم بالتَّسبِيح والتَّهلِيلِ إلىٰ الصَّباحِ، فيكُونُ لك ثَوابُ ذلك، ومن فقَدتَ صوْتَهُ منهُم عذَّبتَهُ، فإنَّك تعرفُ أصْواتَهم ولا يخفىٰ عليك شيءٌ منْهَا.

ففعل ذلك بهم فشَكوْا إلىٰ إبلَيس ما قد حلَّ بهم فقال: لَيْسَ ورَاءَ هذه الشِّدَّةِ شيءٌ فتوقَّعُوا الآن الفَرجَ. فلم تَمضِ إلا أيّامٌ يَسيرَةٌ حتىٰ ماتَ سُلَيمانُ عليه السلام[1].

وكان رجُلٌ من أهْلِ السَّوادِ في أيّامِ عُمَر بن الخطَّابِ رضي الله عنه يَخلُفُ بَعْض عُمّالِ عُمَر علىٰ السَّوادِ، فأتَاهُ غُلامٌ من العَربَ، وهو في قَرْيةٍ تُدْعىٰ بَراثَا[2] من بُزُرْجَسَابُور[3] فسَألَهُ انْ يَحمِلَهُ فأبَىٰ، وسَألَهُ القِرىٰ فالْتَوىٰ، فلمّا أكْثَر عَلَيْه قال: يا غُلامُ أعْطِهِ دجاجَةً.

فانصَرفَ الغُلامُ وهو يقولُ، وكان العَاملُ يُكنىٰ أبا جُبَيْرَةَ: (شِعْر)

---

[1] تعطي هذه القصة مثالًا للروايات الأسطورية والإسرائيليات التي انتقلت إلى التراث الإسلامي في بواكير التدوين التاريخي عند العرب، وقد نسبها ابن الفقيه إلى وهب بن منبه، أحد القصاصين المولعين بالحكايات ذات الطابع الأسطوري والعجائبي، وهذه الرواية - إن صحت نسبتها إليه - فإنها تعد نموذجًا لما كان عليه التدوين التاريخي لدى عرب الجنوب في مراحله الأولى.

[2] محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب مُحَوَّل، وباب مُحَوَّل: محلّة كبيرة من محالّ بغداد، كانت متصلة بالكرخ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣١٢، ٣٦٢.

[3] إحدى طساسيج بغداد: والطسوج: لفظة فارسية أصلها تسو، فعرِّبت بقلب التاء طاء وزيادة الجيم في آخرها، وزيد في تعريبها بجمعها على طساسيج. وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق، وقد قسّموا سواد العراق على ستين طسوجًا، أضيف كل طسوج إلى اسم، والطسوج: أخص وأقل من الكورة والرستاق والأستان. انظر: معجم البلدان، ، ج١، ص٤١٠، ٣٨.

[الوافر]

أَتَيْتُ أَبَا جُبَيْرَةَ فِي بَرَاثَا   فقالَ الحَق بأَهْلِكِ يَا غُلامُ
وهَاكَ دجَاجَةً فتَعِيشُ منهَا   ولا يَكْثُر عَلَيَّ لك الكَلامُ

فبَلَغَ خَبرُه عُمَر، فجَعلَ علىٰ أَهْلِ السَّوادِ قِرىٰ الضَّيْفِ وحمْلَ المُنْقَطعِ وإِرْشَادَ الضَّالِّ. وقال ابن عبَّاسٍ: النَّبَطيُّ والأَعْرَابيُّ لا يقْطَعانِ أَمرًا دُونَ نِسائِهما[1].

وقال المدائني[2]: أمر بَعْضُ مُلوكِ العَجَم رجُلًا[3] من حَاشيتِهِ فقال له: صِدْ شرَّ الطَّيرِ واشْوهِ بِشرِّ الحطَبِ وأَطْعِمْهُ شرَّ الخَلْقِ، فصَادَ رخَمَةً[4] وشَواهَا ببَعَرٍ[5] وقدَّمهَا إلى رجُلٍ خُوزي، فقال له الخُوزِيُّ: أخطَأْتَ، اذْهَب فَصِد بُومَةً واشْوِها بدِفْلَيَ[a] [6] وأطْعِمْهَا نَبَطِيًّا ولَدَ زِنَىٰ، ففعل ذلك وعَرَّفهُ المَلِكُ فقال: لا يُحْتَاج أنْ يكُونَ ولَدَ زِنَىٰ كَفَاهُ أنْ يكون نَبَطِيًّا.

---

[a] في الأصل: بدقلي، والتصويب من الجاحظ: الحيوان.

---

[1] لم يثبت مثل هذا القول في ما روي عن ابن عباس.

[2] علي بن محمد بن عبد الله المدائني، يكنى أبا الحسن، راوية مؤرخ، كثير التصانيف، ذكر له النديم أسماء نيف ومائتي كتاب. توفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٨؛ النديم: الفهرست، ج١، ص٣١٥؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٤، ص١٢٤-١٣٩.

[3] أورد الجاحظ هذا الخبر في كتابه "الحيوان" وسبقه بعبارة: «وقال أبو الحسن المدائني: أمر بعض ملوك العجم الجلندي بن عبد العزيز الأزدي، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة». الحيوان: ج٣، ص٢٥٣.

[4] نوع من الطير يشبه النسر يصفه العرب بالغدر والحمق. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٣٥.

[5] البعر: رجيع الخف والظلف من الإبل والشاء وبقر الوحش والظباء. انظر: المصدر السابق، ج٤، ص٧١.

[6] شجر أخضر مر حسن المنظر، قيل إنه من السموم . المصدر السابق، ج١، ص٢٤٥_٢٤٦.

وعن سَعِيدِ بن المُسَيَّبِ[١] قال: كتب سُلَيمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كُتُبًا إلى النَّاسِ وإلى [٢٩و] النَّسْنَاس وإلى أشْبَاهِ النَّاس وإلى أوْلَادِ الشَّياطِينِ، فأمَّا النَّاسُ فأهْلُ الصَّلاحِ والعِلمِ، وأمَّا النَّسْنَاس فأهْلُ الأسْوَاقِ، وأمَّا أشْبَاهُ النَّاسِ فأهْلُ الجهْلِ، وأمَّا أوْلَادُ الشَّياطِينِ فالنَّبطُ.

وقال إسْماعِيلُ بن عَبْد الله[٢]: قال لي المَنْصُورُ: صِفْ لي النَّاسَ قلتُ: لِيَسْأل أمِيرُ المُؤمِنِينَ عمَّا أحبَّ. قال: ما تقولُ في أهْلِ الحِجازِ؟. قلت: مبْدَأُ الإسْلَام وبقِيَّةُ العرَبِ. قال: فأهْلُ العِراقِ؟. قلت: قطرُ الإسْلَام (aومقَاتلَةُ الدَّمِa).

قال: فأهْلُ الشَّامِ؟. قلتُ: حِصْنُ الأمَّةِ وأسِنَّةُ الأئِمةِ. قال: فأهْلُ خُرَاسَانٍ؟. قلتُ: فُرسَان الهَيجَاء وأعِنَّةِ الرَّجَاءِ.

قال: التُّرْكُ؟. قلتُ(b إخوَةُ السِّبَاعِ وأبْنَاءُ المغَازِيb). قال: فالهِنْدُ؟. قلت: حُكمَاءُ استَغنُوا بِبلادِهِم (cواكْتفوا بما يَلِيهمc). قال: فالرُّومِ؟.

(a-a) لدى الطبري: مقاتلة عن الدين.

(b-b) لدى الطبري: منابت الصخور وأبناء المغازي.

(c-c) لدى الطبري: فاكتفوا بها عما يليهم.

[١] سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، إمام التابعين وفقيههم، أحد فقهاء المدينة السبعة، كان ثقة كثير الحديث، ثبتًا، فقيهًا، مفتيًا، مأمونًا، ورعًا، عاليًا، رفيعًا، توفي بالمدينة سنة٩٤هـ/٧١٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١١٩-١٤٣.

[٢] إسماعيل بن عبد الله القسري، وزير مروان بن محمد وواليه على الكوفة، خاض بعض المعارك في العراق ضد العباسيين، ثم التحق بهم، واستعمله المنصور والمهدي، وتوفي في خلافة الأخير. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٠٤-٣١٩.

قلت: أهْلُ كِتابٍ وتدَيُّنٍ، نحَاهُم[a] اللهُ من القُربِ وصيَّرهُم إلى البُعْدِ. قال: فالأنبَاطُ؟. قلت: [b] شِرارُ الخَلْقِ وعَبِيدُ من غلَبَ[b][1].

وقال شَيْبَة بن عُثْمان[2]: ما أحَدٌ أنفرُ عن صغِيرةٍ ولا أرْكَبُ لكَبِيرةٍ من أهْلِ العِراقِ لقُرْبِهم من النَّبَط.

وقال إسْحَاقُ بن طَلْحةَ بن أشْعَثَ[3]: بعثَني عُمَر بن عَبْد العَزيزِ إلى العِراقِ فقال: [c] أقرئهم ولا تستَقْرِئهُم، وعلِّمهُم ولا تَتعلَّم منْهُم، وحَدِّثهُم ولا تستَمِع حَدِيثَهُم [c]. قلت: ولِمَ ذلك يا أمِيرَ المُؤمنين؟! قال: لأنَّهم خَالطُوا الأنبَاطَ ففِيهِم غِشُّهُم ومكْرُهُم وخَدِيعَتُهُم.

ولـمَّا غلب أرْدَشِيرُ على مُلكِ النَّبط رأى جمَالهُم وعقُولهُم قال: ما أخْوَفنِي إنْ حَدثَ بي حَدثٌ أنْ يعُودَ المُلكُ إلى هؤلاء، ففَرَضَ لهم فرْضاً وبعث منهم بعُوثاً وأغْزَاهُم خُراسَانَ فأهْلُ المَرْوِ من النَّبطِ، ففِيهم شُحُّهُم وغَدْرهُم.

---

[a] في الأصل: نجاهم. والتصويب من: الطبري: تاريخ.

[b-b] لدى الطبري: بزيادة: كان ملكهم قديمًا فهم لكل قوم عبيد.

[c-c] لدى عبد البر القرطبي: « أقرئهم ولا تستقرئهم وحدثهم ولا تسمع منهم وعلمهم ولا تتعلم منهم ».

---

[1] راجع الخبر بتمامه في الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٧٠.

[2] شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي المكي، صحابي، ورث حجابة الكعبة عن أبائه في الجاهلية، ثم ورثها أبناؤه من بعده. توفي سنة ٥٩هـ/٦٧٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٧١٢-٧١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢.

[3] أورد الإمام ابن عبد البر القرطبي، هذه الرواية في كتابه جامع بيان العلم وفضله، وعزاها إلى نفس القائل راجع:- ابن عبد البر القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الرياض، ١٩٩٤م، ج٢، ص١٠٩٧.

وقال الهَيْثَمُ بن عَدي[1]: إنَّما سمُّوا نَبَطـًا لأنَّهم اسْتَنبَطُوا المِيَاهَ وحفَروا الأنْهَارَ، فمن ذلك الصَّرَاةُ[2] ونَهرُ سُورا[3] ونهر آَبـا[4]، وقد قيل إنَّ الصَّرَاة حفَرهَا فيروز[a] جشنش، ونهر آَبـا حفر[ه] آَبَا بن الصامغان[b]، ونهر الملك حفر أَقْفُور شَاه بن بلاش[5]، قتله أرْدَشِير بن [٢٩ظ] بَابَك[c]، ونَهْر المَلِك حفَرهُ سابور[d].

وكانت سُرَّةُ الدُّنيَا في يد النَّبط، وذلك أنَّ الفُراتَ ودِجْلَة ينْصبَّان جميعـًا من الشَّامِ[e] فلم يكن أحَدٌ ينتَفعُ بهما إلا النَّبطُ، وكان حدُّ مُلكِهِم الأنْبَار إلى عَانَات إلى كَسْكَر وما والَاهَا من كُور دِجْلَة، ومُلْك آل سَاسَان من المَدَائِنِ إلى نَهرِ بَلْخٍ إلى السِّنْد إلى الرُّوم إلى حدِّ البَادِية[6].

---

[a] في الأصل: أفريدون وهو خطأ، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

[b] في الأصل: المصمغان. والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

[c] في الأصل: بابكان.

[d] في الأصل: شابور. واعتمدتها في سائر النص سابور بالسين.

[e] في تاريخ بغداد بزيادة من الشام والجزيرة.

---

[1] تقدمت ترجمته ص١٧٨، ولا نعرف من أي كتب الهيثم بن عدي الكثيرة نقل ابن الفقيه هذا الخبر. انظر: النديم: الفهرست ج١ ص٣١١-٣١٣.

[2] الصراة الكبرى والصراة الصغرى نهران ببغداد. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٩.

[3] نهر يقال له: سوراء بنواحي الكوفة. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٢١.

[4] نهر يقع بين الكوفة وقصر ابن هبيرة، ينسب إلى آَبَا بن الصامغان من ملوك النبط. نفسه، ج١، ص٥٩.

[5] أَقْفُور شَاه بن بلاش، آخر ملوك النبط، وملك مائتي سنة. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٦٢.

[6] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٦٢؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص١٦٢.

وقال عَبْد المَلِك بن المَاجِشُون[١]: قلتُ لخَالِي: أخبِرني عن أهْلِ العِراقِ. قال: أهْلُ العِراقِ علىٰ عقُولِهِم جِلْدةٌ رقِيقَةٌ ما لم تَزِلْ عنها، فلا بَأسَ بعُقولِهِم، فإذا زالت كشفَتْهُم عن الترك أجمع.

وقال ابن عُمَر: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِك لنا في مكَّتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِك لنا في مدِينَتِنا، اللَّهُمَّ بَارِك لنا في شَامِنا، اللَّهُمَّ بَارِك لنا في يَمنِنَا». قالوا: يا رسول الله، وفي[مشرقنا] [*] قال: «هناكَ الزَلازِلُ ومن هناك يطْلُعُ قرْنُ الشَّيطَانِ»[٢].

ولمَّا ملكتِ النَّبطُ الأرْضَ خرجُوا إلىٰ الصَّحراءِ، ومعهم العُصِي يلقُونَها إلىٰ السَّماءِ ويقولون: قد غَلَبْنَا أهْلَ الأرضِ، فانْزِلُوا يا أهْلَ السَّماءِ حتىٰ نُقَاتِلكُم، فبعث الله عَلَيْهم أهْل مَاه[٣] في أرْبعِين ألفـًا، فقتَلُوهم وملكُوا بلادَهُم مِائةَ عامٍ.

---

[*] ساقطة من الأصل: والمثبت من: مسند الإمام أحمد.

---

[١] عبد الملك بن الماجشون، ابن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي المدني، أبو مروان، العلامة الفقيه، مفتي المدينة، قيل: إنه عمي في آخر عمره. وفاته على أقوال منها ٢١٣هـ/٨٢٩م، وقيل ٢١٤هـ/ ٨٣٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص١٤٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٣٦٠.

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: «قال رسول الله ﷺ: اللّهم بارك لنا في شامنا ويمننا مرتين، فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: من هنالك يطلع قرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر». مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٥٧٤٦؛ وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه: «ذكر النبي ﷺ: اللّهم بارك لنا في شأمنا، اللّهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا. قال: اللّهم بارك لنا شأمنا، اللّهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله في نجدنا، فأظنه قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان». صحيح البخاري: كتاب الفتن (باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق) الحديث رقم ٧١٨٣.

[٣] اسم بلدة بأرض فارس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥،ص٤٩.

وقال ابن عيّاش[١]: كان آخرُ مُلوكِ النَّبطِ سنحَارِيب[a][٢] وكان مُلكهُ ثَلاثَ مائةِ سنةٍ، وكان بعده بُخْتُ نصَّر.

وقال غيره: كان مُلْكهُ ثَلاثَةَ آلاف سنةٍ، وكان قبل إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وإنَّما سُمُّوا النَّبطَ لأنَّهم أنبَطُوا الأرْضَ أي احتَفَروا أنْهَارها الكِبَار.

وقال ابن الكَلْبِي[٣]: لمَّا هلكَت عادٌ قبل ثَمُود إرَم، ثمَّ هلكَت ثَمُودُ، قيل لبقَايَا إرَم: أرْمَان[٤]؛ فهم النَّبطُ الأرمانِيُّون.

وقال بَعْضُهم لما سُلِبَ سُلَيْمانُ مُلكَهُ وثَبتْ مَردةُ الشَّياطِين علىٰ نِساءٍ من الإنْسِ، فولَدنَ منهُم أولَادًا كثيرة، فلما رَدَّ الله عَلَيْه ملكَه شكَا النَّاسُ ذلك النَّسْلَ إلىٰ سُلَيْمَانَ، فأمر الشَّياطِينَ فعَملتْ له بِسَاطـًا طَويلًا عَريضـًا، ثمَّ أمرَ بذلك النَّسْلِ فحُمِلوا علىٰ البِسَاطِ، ثمَّ أمرَ العَاصِف من الرِّيحِ فحَملهُم [٣٠و] حتىٰ ألْقَاهُم بمَيْسَان. وقال ابن عَبَّاس: لو كان الشَّيْطَان إنْسِيـًّا لكان نَبَطِيـًّا[b][٥].

---

[a] في الأصل: سنجاريب والتصويب من: المعارف، و تاريخ الطبري.

[b] لدى الأصفهاني: محاضرات الأدباء «لو كان الشيطان إنسيًّا ما كان إلا نبطيًّا».

---

[١] انظر فيما تقدم. ص١٧٥.

[٢] سنحاريب الملك الأشوري، من أهل نينوى وملك بابل. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٤٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٣٢–٥٤٨.

[٣] تقدمت ترجمته ص١٢٨.

[٤] قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٢٠٧.

[٥] قارن: الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء [ذم النبط وأهل الرساتيق]، ج١، ص٤٢٥.

القَوْلُ في مَدِينَةَ السَّلام بَغْدَاد

قال بعْضُ العُلَماءِ: بغْدَاد تُسمَّىٰ بغْدَاد و بغْدَان وبغْدَاذ[١].

قالوا: وهي تُسمَّىٰ مدِينةَ السَّلام أيضـاً، فأمَّا الزَّوْرَاء[٢] فهي مدِينةُ المنْصُور خَاصَّةً، وسُمِّيت مدِينةَ السَّلام لأنَّ دِجْلَةَ يقَالُ لها وادِي السَّلام.

وقَال مُوسَىٰ بن عَبْدِ الحَمِيد النَّسَائِي[٣]: كنت جَالِسـاً عند عَبْدِ العَزِيز بن أبِي رَوَّاد[٤] فأتَاهُ رجُلٌ فقَال [له]: من أين أنت؟، قَال: من بغْدَاد.

قَال: لا تقل بغْدَاد، فإنَّ بَغْ صَنمٌ ودَاذْ أعطىٰ[a] ولكن قل: مدِينة السَّلام، فإنَّ اللهَ هو السَّلامُ والمدَائِن كُلَّها له[٥].

---

[a] في الأصل: عطا. والتصويب من ياقوت.

---

[١] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٦٤-٣٦٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٦-٤٥٧.

[٢] مدينة تقع على الجانب الغربي من بغداد، بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وسميت بذلك لأنه لما بناها جعل أبوابها الداخلية ليست على نفس سمة الأبواب الخارجية. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص١٥٦.

[٣] موسى بن عبد الحميد، ثقة روي عن الإمام أحمد بن حنبل، وكان جارًا له. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٥، ص٢٠.

[٤] عبد العزيز بن أبي رواد المكي، مولى المهلب بن أبي صفرة، توفي بمكة سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطَّبقَات الكبرى، ج٥، ص٤٩٣؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج٦، ص٢٢.

[٥] نقل ياقوت الحموي هذه الرواية بتمامها منسوبة لموسى بن عبد الرحيم النسائي، دون إشارة لابن الفقيه الذي نقل عنه الخبر، معجم البلدان: ج٥، ص٧٩.

وقالوا: سُمِّيت بغْدَاد لأنَّ كِسْرَىٰ أُهْدِيَ له خِصيٌّ من المَشْرِق، فأقْطَعهُ بغْدَاد، وكان لقَوم ذلك الخِصيِّ صَنَمٌ يقَالُ له البَغْ، فقال الخِصيُّ: بغْدَاد، يعني ذلك الصَّنمُ أعطَاهُ ذلِك المَوْضِع[1].

ويقال: إنَّ بغْدَاد كانت سُوقـًا يقصِدُهَا تُـجَّارُ الصِّين بتجَاراتِهم، فيربَحُون الرِّبحَ الواسِع، وكان اسمُ ملكِ الصِّينِ بَغْ، فكانوا إذا انْصَرفُوا إلىٰ بِلادِهِم قالوا: بغ دَاد، أي ذلك الرِّبْحُ الذي ربِحْناه أعْطَاناهُ المَلِك.

ودَاذْ لفْظَةٌ بالفَارِسيَّةِ وهو الإعْطَاء. وقال قومٌ: سُمِّيتْ مدِينةَ السَّلام، أرَادُوا أنَّها مدِينةُ الله؛ لأنَّ اللهَ هو السَّلامُ المؤمنُ.

وقد جرَىٰ لها هذا الاسمُ علىٰ ضَرْبِ الدَّنَانِير والدَّراهِم، وما تقَعُ به الأشْرِيةُ في الكُتُبِ ويتَبايعُ به النَّاسُ، وما يقَعُ فيها من غَلَّاتِ الطَّسَاسِيج[2] من الحِنْطَةِ والشَّعِير، وما يسَمَّىٰ به القَفِيز[3]، فيُقَالُ: قَفِيزُ مدِينةِ السَّلامِ.

واسْمُها الأوَّلُ عند [النَّاسِ] الزَّوْرَاء والزَّوْرَاءُ مدِينة أبي جَعْفرٍ. والنَّاسُ يسَمُّونَها بغْدَاد والخلَفاءُ يُسمُّونَها مدِينةَ السَّلام.

---

[1] قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٦٤-٣٦٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٤٥٦.

[2] سبق تعريفها ص٢٢٢.

[3] القفيز: من المكاييل التي اختلف في تقديرها، والأشهر أنه يساوي ثمانية مكاكيك. والمكوك = ٣,٠٦ كيلو جرام، وعليه فالقفيز=[٨×٣,٠٦=٢٤,٤٨٠] كيلو جرام. راجع: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١، ص٢٦٣؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٣٠؛ علي جمعه محمد، المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٩-٤٠.

[تأرِيخ بناء بغْدَاد]

ومدِينةُ بغْدَاد بناهَا أبو جَعْفَر المنْصُور سنةَ خمْسٍ وأرْبَعِينَ ومَائةٍ.

قال عُبَيْدُ الله بن إسْحَاقَ[1]: بنىٰ أبو جَعْفَر بغْدَاد سنةَ خمْسٍ وأرْبَعِينَ ومِائةً، وارْتَفعَ بنَاؤهَا سنةَ تِسعٍ وأرْبَعِينَ.

وقال إبْراهِيمُ بن الجُنَيْد[2]: قطنَ أبو جَعْفَر بغْدَاد سنةَ تِسْع وأرْبَعِينَ ومِائةٍ، وكان أسَّسَها قبل [٣٠ظ] ذلك بسنةٍ أو ثِنْتَيْنِ، وكانت قدِيمةً فمصَّرهَا وأخذَ في بِناءِ المدِينةِ، فلمَّـا بلغَهُ خروج مُحَمَّدٍ وإبْرَاهِيم، ابْنَي عَبْدِ الله بن الحَسَن بنِ الحَسِن[a] ـ عليهما السَّلام ـ ترَكَ البِنَاءَ وعاد إلىٰ الكُوفَة وحَوَّل بيُوتَ الأمْوَالِ والخزَائِنِ إليها، فلمَّـا انقضَىٰ أمرُ مُحَمَّد وإبْراهِيم رجع، فاستَتمَ بِناءَها، وبنىٰ سورهَا القَدِيم سنةَ سبعٍ وأرْبَعينَ ومائةٍ، وتوفِّي سنةَ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ[3].

وقبل ذلك بنىٰ[b] الرُّصَافة[4] في الجَانب الشَّرقِي للمَهْدي، وكانت الرُّصَافةُ تعرف بعَسْكَر المَهْدي لأنَّه عسْكَر بها حين شخصَ إلىٰ الرَّيِّ.

[a] في الأصل: الحسين، والتصويب من البلاذري : فتوح البلدان؛ ياقوت.

[b] في الأصل: ما بناه.

[1] عبيد الله بن إسحاق بن إبراهيم، تولى بغداد ومعاون السواد للخليفة العباسي المتوكل. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٨.

[2] إبراهيم بن الجنيد النصراني الكاتب، أحد رجال بلاط المتوكل. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦٢.

[3] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من البلاذري بتصرف طفيف، دون أن يشير. فتوح البلدان، ص٤١٤.

[4] المدينة التي بناها الخليفة المهدي للعسكر على الجانب الشرقي من دجلة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٦.

فلمَّـا قدِم من الرَّيِّ [a] [وقد بَدا للمَنْصُور في إنفَاذه إلى خُراسَان للإقَامةِ بها،] [a] نزل الرُّصَافةَ، وذلك في سنةِ إحْدىٰ وخمسِينَ ومائةٍ[١].

وقد كان المَنْصُور أمر ببناءِ قصرٍ للمَهْدي، وهو القَصْر المعْرُوف بقَصْرِ الوَضَّاحِ في الشَّرقِيةِ، [b] [ممَّا يلِي باب الكَرْخ] [b]، فبُنِي ونُسبَ إلىٰ الوَضَّاحِ، والوَضَّاحُ رجلٌ من أهْلِ الأنْبَار تَولَّىٰ النَّفَقةَ عليهِ فنُسِبَ إليه.

وبنىٰ المَنْصُور مَسْجِديْ مدِينةِ السَّلام، وبنىٰ القَنْطَرة الجدِيدةَ[٢] علىٰ الصَّراةِ، وابْتَاعَ أرْضَ مدِينةِ السَّلام من [قَوم من] أرْبَابِ القُرَىٰ ببَادُورَيَا[٣]، وقُطْرَبُّل[٤]، ونهر بُوْق[٥] ونهر بِين[٦] وأقْطَعهَا أهْلَ بيْتِهِ وقوَّادهُ وجُنْدَهُ وصحَابتهُ وكتَّـابهُ. وجعلَ مجْمَع مجْـمَع الأسْواقِ بالكَرْخ وأمر التُّجَار فابْتَنوا الحوَانِيتَ وألْزَمَهُم الغلَّةَ[٧].

(a-a) التتمة من البلاذري. (b-b) تكملة من البلاذري.

(c) الزيادة من البلاذري.

---

[١] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٣، ص٤٦.

[٢] القنطرة الجديدة: سميت بذلك لأن المنصور بناها على نهر الصراة، وكانت تلي دور الصحابة [صحابة المنصور] وطاق الحرّاني. انظر:- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٤٠٥.

[٣] سبق تعريفها ص٢٠١.

[٤] قطربل: اسم لطسوج من طساسيج بغداد، فما كان من شرقي الصراة -السابقة الذكر- فهو بادوريا، وما كان من غربيها فهو قُطربُّل. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٧١.

[٥] نهر بوق: طَسّوج من سواد بغداد.نفسه: ج٥، ص٣١٨.

[٦] نهر بين: يقع نواحي بغداد. نفسه: ج١، ص٥٣٥.

[٧] نقل ابن الفقيه هذا الخبر بتمامه من كتاب فتوح البلدان للبلاذري. ص٤١٤.

ورُوِيَ[١] أنَّ رجُلًا من أهْلِ الحِيرةِ جاء إلىٰ المُثَنىٰ بن حَارِثةَ الشَّيْبَانِيِّ[٢] فقال: ألا أدلُّكَ علىٰ قرْيةٍ يأْتِيهَا تجَّارُ مَدائِن كِسْرىٰ والسَّوادِ، [a] ويجْتَمعُون بها في كلِّ سنةٍ يومـًا، ومعهم من الأمْوالِ ما لا يُحدُّ[a]، وهذه أيَّام سُوقِهِم [التي يجتمعون فيها][b] فإنْ أنت أغرْتَ عليهم أصبْتَ فيها مالًا يكون فيه غَناءٌ للمُسْلمينَ وتقْويةٌ علىٰ عدُوِّهم. قال: فأيُّ شيءٍ يقالُ لهذه القَرْيةِ؟ قال: بغْدَاد.

قال: وكم بيْنَها وبين المدَائِن؟ قال: بعضُ يوم. قال: وكيف لي بها؟ قال: تأْخذُ طرِيقَ البرِّ حتىٰ تنْتَهي إلىٰ الخنَافِس[c][٣]، فإنَّ أهْلَ الأنْبَار سيَصِيرُون إليها ويُـخبِرُون ويُـخبِرُون عنك فيأْمَنُون، ثم تُعرِّج علىٰ أهْلِ الأنْبَار فتَأْخُذهُم بالأدلَّاءِ، وتسِير لَيْلتَك في الأنْبَار حتىٰ تأْتِيهِم صُبحـًا، فتُغِير عليهم وهم غَارُّون.

(a-a) لدى الخطيب البغدادي: « ويجتمع بها في كل سنة من أموال الناس مثل خراج العراق».

(b) التتمة من الخطيب البغدادي.

(c) لدى الخطيب البغدادي: الأنبار.

---

١ ذكر الخطيب البغدادي فى تاريخه هذه الرواية، وأوردها بإسناد له عن ابن إسحاق: أن أهل الحيرة قالوا للمثنى، وذكرها الطبري أيضًا في تاريخه، مسندة إلى سيف بن عمر التميمي، أن رجلًا من أهل الحيرة قال للمثنى، ولفظ الروايتين متقارب.

قارن: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٢٣؛ تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٧٣.

٢ المثنى بن حارثة الشيباني، له صحبه، وكان شجاعًا شهمًا بطلًا، حسن الرأي والإمارة، أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد. توفي سنة١٤هـ/٦٣٥م، انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٤٥٦.

٣ الخنافس: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار، تقام فيه سوق للعرب. انظر: ياقوت الحموي: معجم معجم البلدان، ج٢، ص٣٩١.

فخرج من أُلَّيس[a)][1] إلى [٣١و] الخنَافِس ثم عَرَّجَ إلى الأنْبَار[b)]، فلمَّا أحسَّهُ صَاحِبُها[2] تحصَّن، وهو لا يدْرِي من هو، وذلك ليْلًا، فلمَّا عرَفهُ نزلَ إليه، فأطْمَعهُ وخوَّفهُ واسْتكتَمهُ وقال: إني أرِيدُ أنْ أُغِير، فابْعثْ معي الأدلَّاءَ حتىٰ أُغِير منها علىٰ المدَائِن.

قال: أنا أجِيءُ معك. قال: لا، ولكن ابعَثْ معي من هو أدَلُّ منك، فبعَثَ معهُم الأدِلَّاءَ حتىٰ إذا كانوا بالـمَنْصفِ قال لهم المُثنىٰ: كم بيننا وبين هذه القَريةَ؟. قالوا: أرْبعةُ فرَاسِخ [c)][أو خمْسَة وقد بقي عليك لَيْل][c)].

فقال لأصْحَابِهِ: من ينْتدِبُ للحَرسِ؟ فانْتَدبَ لهُ قومٌ فقال: اذكُوا حرْسَكُم، ونزلَ، فلمَّا كان في آخِر اللَّيْلِ أسْرَىٰ إليهم وصَبَّحهُم، وهم في أسْوَاقِهم، فوَضعَ فيهم السَّيفَ، فقتَلَ وأخذَ ما شاء، ثم قال: يَا أيُّها النَّاسُ، لا تأْخُذُوا إلَّا الذَّهبَ والفِضَّةَ ولا تأْخُذُوا من المتَاعِ إلَّا ما يقْدِر الرجلُ أنْ يحمِلهُ علىٰ دابَّتِهِ، وهرَبَ أهْلُ السُّوقِ وملأَ الـمُسْلِمون أيدِيهِم من الصَّفْراءِ والبَيْضَاءِ، ثم سارَ حتىٰ وافىٰ الأنْبَار، وذلك في سنةِ ثلاثَ عشرةَ. قال: وخرج المنْصُور منْحَدرًا إلىٰ جَرْجَرَايَا ليرْتَاد منزِلًا، ثم صَارَ إلىٰ بغْدَاد ومنها إلىٰ الـمُوصِل، ثم عَادَ إلىٰ موضِعِ بغْدَاد[3].

[a)] لدى الخطيب البغدادي: النخيلة.

[b)] لدى الخطيب البغدادي: «ومعه أدلاء أهل الحيرة حتى دخل الأنبار». [c-c)] التتمة من الخطيب البغدادي.

---

[1] أُلَّيس: موضع يقع في أول أرض العراق من ناحية البادية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٤٨.

[2] ذكر ياقوت أنه مارزبانها واسمه سفروخ، وليس صاحبها. نفسه، ج١، ص٤٥٧.

[3] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٢٣-٣٢٤؛ وجرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٣.

فقال: هذا مَوْضِعُ معَسكرٍ جيدٍ، هذه دِجْلَةُ[a]، [b]يأتِينَا كل ما في البَحْرِ منها، وتَأتِينَـا أيضًا فيها المِيرَةُ من الجَزِيرةِ وأرْمِينِيَّة وما والاهَا[1]، وهذا الفُراتُ يُحْمَل فيه متَاعُ الشَّام والرَّقَّةِ وذلك البلد[b]، فنَزَلَ وضَربَ عسْكَرهُ علىٰ الصَّرَاة وخطَّ المدِينَةَ ووكَّلَ بكل رَبعٍ قائِدًا.

وقال سُلَيْمَـانُ بن مُـجالِدٍ[2]: أفسدَ أهْلُ الكُوفَةِ جُنْد الـمَنْصُور، فخرجَ نحو الجَبَل يرْتَاد منزِلًا، وطَرِيقُ النَّاس يومئذ علىٰ المدَائِن، فخَرجْنَـا علىٰ سَابَاط[3]، فتخَلَّف بعضُ أصحَابنَـا لرَمدٍ أصَابهُ، فأقَام يُعَالِجُ عيْنَيه فسألهُ الطَّبِيبُ: أين يريدُ أمِيرُ المُـؤْمنِينَ؟، قال: يرْتَادُ منزِلًا، قال: فإنَّـا نجدُ في كتَابٍ عندنا أنَّ رجُلًا يُدعىٰ مِقْلاصًـا يبْنِي مدِينةً بين الصَّراةِ ودِجْلَة تدْعىٰ الزَّوْراء، فإذا أسَّسَها أتاهُ فتىً من

---

[a] لدى الطبري بزيادة: «ليس بيننا وبين الصين شيء».

(b – b) في تاريخ الطبري: «يأتينا فيها كل ما في البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك، وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك».

---

[1] أرمينية: بلد عظيم واسع، يمتد شمالًا إلى جبال القبق (القوقاز) والبحر الأسود، وبعض إقليم الجزيرة جنوبًا، وبحر الخزر (قزوين) شرقًا، وأسيا الصغرى غربًا. وتقع حاليا ما بين تركيا وأذربيجان وإيران.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٩-١٦٠؛ ومادة أرمينيا، بدائرة المعارف الإسلامية (بالإنجليزية). ط٢، ج١، ص٦٣٤-٦٤٠.

[2] سليمان بن مجالد بن أبي المجالد، أخو المنصور من الرضاعة، وعندما أفضت الخلافة إلى المنصور، قربه وتولى له إمرة الري والخزائن، توفي في خلافته. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٢، ص٣٦٥-٣٦٦.

[3] سَاباط كسرى: موضع معروف بالمدائن، والساباط عند العرب: سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٦.

الحِجَاز، فقَطَعَ بناءَها وأقبلَ علىٰ إصْلَاح ذلك الفَتْقِ، فإذا كادَ أنْ يلتَئِم أتاهُ فتْقٌ آخر من البَصْرَةِ، هو أعظَمُ عليه من الأوَّل [٣١ظ]، فلا يلْبثِ الفَتْقان أنْ يلتَئِما، ثم يعُودُ إلىٰ بنائِها فيُتِمَّه، [ثم] يُعمِّر عُمْرًا طَويلًا ويبْقَىٰ المُلْكُ في عقِبه، قال: فأخْبرتُ المَنصُورَ بذلك فقال: الله أكبرُ، والله هو، لقد لُقِّبتُ مِقْلاصـًا وأنا صَبيٌّ لخبرٍ كان لي، ثم انْقطَعَ ذلك اللَّقبُ عنّي[1].

وقال ابن عياش[2]: لـمَّـا أرادَ المنْصُور الانتِقَال من الهَاشِميَّة[3] بعثَ رُوَّادًا يرْتَادون لهُ موْضِعـًا يبْني فيه مدِينةً، ويكُونُ الموْضِعُ واسِطـًا رَافِقـًا بالعامَّةِ والجُنْدِ.

فنُعِتَ له موْضِعٌ قريبٌ من بَارِمَّا[4]، وذُكِر له عنه غِذاءٌ وطِيبٌ، فخَرَجَ إليه بنَفْسِه حتىٰ نظرَ إليه وباتَ فيه، فرآهُ موضِعـًا طَيـًا فقال لجمَـاعةٍ من خاصَّتِهِ منهُم، سُلَيْمَـانُ بن مُجَالِدٍ، وأبو أيُّوب الخُوزِيُّ(a)[5].

(a) لدى ياقوت: المرزباني.

---

[1] أورد الطبري في تاريخه هذه الرواية، وذكر أنه نقلها من [عمر بن شبة] والذي رواها بدوره عن محمد بن معروف بن سويد عن أبيه، عن سليمان بن مجالد. وربما كان عمر بن شبة أحد مصادر ابن الفقيه. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٥.

[2] تقدمت ترجمته راجع ص٤٩.

[3] عاصمة العباسيين الأولى، اختطَّها أبو العباس السفاح قرب الكوفة، وشرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، ونزلها سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م. وتوفى قبل أن يتم بناءها. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٧.

[4] قرية تقع شرق نهر دجلة. نفسه: ج١، ص٣٢٠.

[5] وزير الخليفة أبي جعفر المنصور وصاحب ديوان الرسائل. راجع: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص١٦٦-٣٣٢.

وعبدُ المَلِك بن حُمَيد الكَاتِب[١]: ما رأيكم في هذا المَوْضِع؟ قالوا: موْضَعٌ طَيبٌ موَافِقٌ صَالِحٌ، قال: صدَقتم، هو كذلك، ولكنَّه لا [a) يحْتمِل الجُنْدَ والنَّاسَ وإنَّما أريدُ
٣ موْضِعًا تُرتفَقُ به الرَّعِيةُ ويُوافِقُها[a)]، ولا تغلُوا عليها فيه الأسْعَار، ولا تشْتدُّ فيه المؤُونةُ، فإنِّي إنْ أقمْتُ في موْضِعٍ لا يَجلِبُ إليه البرُّ والبَحرُ غَلتِ الأسْعَار وقلَّتِ المادَّةُ واشْتدَّتِ المؤُونَةُ وشقَّ ذلك علىٰ النَّاسِ، وقد مرَرْتُ في طرِيقِي بموْضِعٍ قد اجْتمَعتْ
٦ فيه هذه الخِصَالُ، فأنَا راجِعٌ إليه وبائِتٌ فيه، فإن اجتَمعَ لي [فيه] ما أُرِيدُ من طِيبِ اللَّيلِ[b)] فهو مُوافِقٌ لما أُرِيدهُ لي وللنَّاسِ[b)].

قال: فأتىٰ موْضِعَ بغْدَاد وعبرَ في موْضِع قصْرِ السَّلامِ، ثم صلَّىٰ العَصْر، وذلك في
٩ صَيفٍ وحرٍّ شَديدٍ. قال: وكان في ذلك المكَانَ بَيْعةٌ[c] فبَاتَ أطْيبَ مَبيتٍ، وأقَامَ يوْمَهُ، فلم يرِ إلَّا خيْرًا فقال: هذا موْضِعٌ صَالِحٌ للبِنَاءِ، فإنَّ المادَّةَ تَأْتِيهِ من الفُراتِ ودِجْلَةَ وجَماعَةِ الأنْهَارِ، ولا يَـحْمِلُ الجُنْدَ والرَّعِيةَ إلا مِثلهُ.

١٢ فخَطَّ المدِينةَ وقدَّر البِناءَ ووضعَ أوَّلَ لبِنةٍ بيدِهِ وقال: بِسمِ الله والحَمْدُ لله، ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

(a-a) لدى الطبري: «يحمل الجند والناس والجماعات وإنما أريد موضعًا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي».
(b-b) لدى الطبري: والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه.
(c) لدى الطبري: بيعة قِس.

[١] عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي، قلَّده المنصور كتابته ودواوينه، فكان على رسائل الفتوح، وديوان جند خراسان، وخراج صوافي الأرض وأحوازها. وكانت له عند المنصور منزلة رفيعة.
انظر في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص١٠٩.

ثم قال ابْنُوا علىٰ بَرَكَةِ الله[١].

وقال سُلَيْمَانُ بن مُجالِدٍ[٢]: إنَّ المَنْصُور، لـمَّا قَدِمَ القَائِدُ الذي بعثَ به يرْتَادُ منزِلًا، وكان من ثِقَاتِهِ، انصَرفَ [٣٢و] راجِعًا حتىٰ نَزَلَ عند الدَّيرِ الذي بِحذاءِ القَصْر المعْروفِ بالخلد[a].

ثم دعَا صاحِبَ الدَّير وأمَرهُ بإحْضَارِ البَطْريقِ، وكان هناكَ بِطْريقٌ مقِيمٌ، وصَاحبُ بغْدَاد وصَاحِبُ المُخَرِّمِ[٣] وصَاحبُ دَيْر القَسِّ وصَاحبُ العَتِيقَة[٤]، وهؤلاء تُنَّاءُ النَّاحِيَةِ، لكلِّ واحِدٍ منهُم ضِياعٌ حولَ بغْدَاد.

فلمَّا حضَرُوا عنده سألهُم عن مَوَاضِعِهِم وكيف هي في الحرِّ والبرْدِ والأمْطَار، فكل واحِدٍ منهُم قال قولًا بِقَدرِ ما عنده، ثم أنَّه وجَّه رجَالًا من ثِقَاتِهِ فبَاتَ كلُّ

---

[a] في الأصل: الخالد. والتصويب من الطبري.

---

[١] أورد الطبري هذه الرواية في تاريخه، وأسندها إلى الهيثم بن عدي، عن ابن عياش. وعلى ذلك تكون مصنفات الهيثم بن عدي من المصادر المشتركة لابن الفقيه والطبري، وقد صرح ابن الفقيه بالأخذ عن الهيثم مرارًا. قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٥.

[٢] نقل الطبري هذا الخبر في تاريخه، وبدأها بقوله: «ذكر عن بشر بن ميمون الشروي وسليمان بن مجالد أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل...». قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٦.

[٣] محلة كانت ببغداد بين الرّصافة ونهر المعلّى، تنسب إلى مخرّم بن يزيد بن شريح بن مخرم بن مالك بن ربيعة بن الحارث بن كعب، كان ينزلها أيام نزول العرب السواد في بدء الإسلام، قبل أن تعمر بغداد بمدة طويلة فسمي الموضع باسمه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٧١.

[٤] وتمام العبارة من الطبري: «... فدعا بصاحب الدير، وأحضر البطريق صاحب رحا البطريق، وصاحب بغداد، وصاحب المخرم، وصاحب الدير المعروف ببستان القس، وصاحب العتيقة». تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٦.

واحدٍ منهُم في قرْيةٍ من القُرىٰ القَرِيبةِ من بغْدَاد، فلمَّـا عَادُوا إليه اتَّفقَ قوْلهُم علىٰ طِيبِ المَوْضِعِ وصِحَّةِ هَوائِهِ.

فقال لصَاحبِ بغْدَاد، وهو الدَّهقَانُ الذي قرْيَتهُ قائِمةٌ إلىٰ اليوْمِ في الـمُربَّعةِ المعْرُوفةِ بأبِي العَبَّاسِ الفَضْل بن سُليَمانِ الطُّوسِي[1]، ودَارهُ قائِمةٌ علىٰ بنَائِها، وكان عاقلًا فهْمـًا: ما الرَّأيُ عندك فيما قد عمِلتَ عليه من البنَاءِ في أحد هذه المَوَاضِعِ؟

فقال: يا أمِيرَ المُـؤْمنِين، سألتَني عن هذه الأمْكِنةِ وطيبِهَـا، وهي كُلُّها طيِّبةٌ والاختِيارُ إليك فيها.

فقال له المنْصُور: دعِ اختِياري وأخْبِرني عمَّـا عندك في مكانٍ مكانٍ منها، فقال: الذي أرَاهُ يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ، أنْ تنزِل في نَفْسِ بَغْدَاد، فإنَّك بين أرْبعةِ طسَاسِيجَ، منها طُسُّوجانِ في الجانبِ الغرْبي، وطُسُّوجانِ في الجانبِ الشَّرقي، فاللَّذان في الغَربيِّ، فهُما قُطرُبُّل وبَادُورَيَا[2].

وأما اللَّذان في الشَّرْقيِّ فهما نَهرُ بُوقَ وكَلْوَاذَىٰ[3]، فإن خَربَ منها طُسُّوجٌ أو تأخَّرتْ عِمارَتهُ كان الآخرُ عَامِرًا، وأنت، يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ، علىٰ الصَّراة ودِجْلَةَ، تجِيئُكَ المِيرةُ من المغْربِ في الفُراتِ ومن الشَّامِ ومِصْر وسَائِر تلك البُلْدانِ.

---

[1] الفضل بن سليمان الطوسي، من أهل أبيورد، ودهقان قرية الوردانية التي كانت في مربعة أبي العباس، قيل إنها كانت قرية جده من قبل أمه، وأنه من دهاقين يقال لهم (بنو زرارى). انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٥.

[2] مرَّ تعريفهما ص٢٠١.

[3] طسوج قرب بغداد، وناحية الجانب الشرقي منها، ومن ناحية الجانب الغربي من نهر بوق. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٧.

ويُحْمَل إليك طَرائفُ الهِنْد والصِّينِ والسِّنْدِ والبَصْرَةِ وواسِطَ في دِجْلَة، وتَجِيئُكَ مِيرةُ أرْمِينيَّة وأذْرَبِيْجَان وما يتصل بها في تَامَرَّا[١]، وتجيئُك المِيرةُ من الرُّوم وآمِد وميَّافَارِقِينَ[٢] وأرْزُنَ[٣] والثُّغُور الجزَرِيَّة.

ومن الجَزِيرَةِ والمَوْصِل وبَلَد ونَصِيبِين إلى مَشَارِف الشَّام في دِجْلَة وأنت بين أنْهَار لا يصل [٣٢ظ] إليك عَدوُّكَ إلَّا على جِسرٍ أو قَنْطَرةٍ، فإذا قَطَعتَ الجِسْرَ وأخْرَبتَ القَنْطَرةَ لم يصِل إليك [عَدوُّكَ][a]، وأنت بين دِجْلَةَ والفُرَاتِ، لا يَجِيئُك أحدٌ من المشْرِقِ والمغْرِبِ إلا احْتَاج إلى العُبُور، وأنت مُتَوسِطٌ للبَصْرةِ والكُوفَةِ ووَاسِط [والموصل][b] والسَّوادِ، وأنت قَرِيبٌ من البرِّ والبَحْرِ والجبَل[٤].

فازْدَاد المنْصُور رغْبةً في الموْضِع وأمرَ بالبنَاءِ فيه، وقال له ذلك الدِّهْقَان: نعم، يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ، وهَاهُنا شيءٌ آخر، قال: ما هو؟.

قال: إنَّ المُدنَ تُحصَّنُ بالأسْوَارِ والخنَادِقِ، وقد رزَقكَ الله سورًا[c] وخَنْدقًا لم يُعْمَل مثْلهُما لسَائِر مُدنِ الشَّرقِ والغَرْبِ. قال: وما هما؟ قال: دِجْلَة والصَّراةُ يكْتَنِفانِ مدِينَتك من جَانِبيْهَا. فقال له: صدَقْتَ يا دِهْقَانُ.

---

[a] التتمة من الطبري.

[b] في الأصل: سوقًا.

[c] الزيادة من الطبري.

---

[١] نهر واسع على الجانب الشرقي من بغداد، يحمل السفن في أيام المدود. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٧.

[٢] مَيَّافارقين: مدينة حصينة مشهورة بديار بكر. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٣٥-٢٣٨.

[٣] أرزن: مدينة مشهورة من أعمر نواحي أرمينية. نفسه، ج١، ص١٥٠.

[٤] قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ٦١٥-٦١٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٨.

وقال سُلَيْمَانُ بن مُجالِدٍ[١]: ووجَّه المنْصُور في حَشْر الصُّنَّاع والفَعَلَة من الشَّامِ والمَوْصِلِ والجَبَلِ والكُوفَةِ وواسِط والبَصْرَةِ فأُحْضِروا، وأمَرَ باخْتِيار قَومٍ من أهْلِ الفَضْلِ والعدَالَةِ والفِقْهِ والأمَانَةِ والمعْرِفَةِ [بالهَندسةِ][a] ، فجَمعَهُم وتقدَّمَ إليهم أنْ يشْرُفُوا علىٰ البِناءِ.

وكان فيمن أحْضَر الحَجَّاج بن أرْطَاةَ[٢]، وأبا حنِيفَةَ [النُّعمَان بْن ثَابت][b] [٣] ثم أمَرَ بخَطِّ المدِينةِ وحَفْرِ الأسَاساتِ وضَرْبِ اللَّبِنِ وطَبْخِ الآجُرِّ فَبدئ بذلك. وكان أوَّلُ ابْتَدائِه في عَملها سنةَ خمسٍ وأرْبعينَ ومائةٍ.

وكان المنْصُورُ أرَادَ أبا حنيفةَ أنْ يتَولَّىٰ له شيئاً من أمْرهَا فأبَىٰ، وأرَادهُ علىٰ القضَاءِ فأبَىٰ أيضاً، فحلَفَ المنْصُور أنْ لابدَّ له من أنْ يتوَلَّاهُ، فحَلفَ أبو حَنيفةَ أنْ لا يفعَل، فولَّاهُ عدَّ اللَّبِنِ، وأخذَ الرِّجَالُ بالعَملِ، وإنَّما فعلَ المنْصُور ذلك ليخْرُجَ من يَمِينهِ، فكان أبو حَنيفةَ يتولىٰ ذلك حتىٰ فرَغَ من اسْتِتْمامِ الحَائِط الذي يلي الخَنْدَق، وكان الفَراغُ منه سنةَ تسْعٍ وأرْبعينَ ومائةٍ، وكان أبو حَنِيفةَ أوَّلَ من عدَّ اللَّبِنِ بالقَصَبِ.

---

[a] مطموسة في الأصل: والمثبت من الطبري: تاريخ الرسل والملوك؛ ياقوت.

[b] التتمة من الطبري.

---

[١] أورد الطبري هذا الخبر في تاريخه، وعزاه إلى السرِّي بن يحيى عن سليمان بن مجالد. هذا وربما كان السرِّي بن يحيى أحد مصادر ابن الفقيه المتغاضي عن ذكرها. قارن الرواية في: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٨.

[٢] مرت ترجمته ص١٧٨.

[٣] الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، صاحب المذهب المشهور.

قال: وأمرَ المنْصُور [a] بإحْكَام الأسَاسِ [a] وأنْ يُجعَل عَرض السُّور من أسْفَلِهِ خَمسِينَ ذِراعـًا، وأنْ يكون أعْلاهُ عشرين ذِراعـًا، وأنْ يُجْعَل في البِناءِ جِرَازِ [b] [1] القَصَبِ [٣٣ر] مكان الخشَبِ، فلمَّـا بلَغ السُّورُ مِقْدارَ قَامةٍ، - وذلك في سنةِ خمسٍ وأربَعينَ ومائةٍ- اتَّصلَ به خُروج مُحَمَّد بن عبْدِ الله بن حَسَن بن حَسنَ ﷺ، فقطَعَ البِناءَ حتىٰ فرغَ من أمْرِهِ وأمْرِ أخيهِ إبْراهِيمَ بن عبْدِ الله [2].

وقال جَابرُ بن دَاود [3]: كانت بغْدَاد قديمة وكانت في أيدي قوم من الدهاقين بعضها منسوب إلىٰ طسُّوج بارَدُويا من الجَانبِ الغَربيِّ، وكان الجَانبُ الشَّرقيُّ بعضهُ إلىٰ طُسُّوجِ نهرِ بُوق وبعضهُ إلىٰ كَلْوَاذَىٰ، والفَرقُ ما بين الطَّسُّوجَيْنِ المعْرُوف بالفَارقَيْن حتىٰ مصَّرهَا المنْصُور [4].

(a-a) لدى الطبري: «بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس».

(b) رُسمت في الطبري "جوائز"؛ وفي ياقوت: "جرز"؛ وفي مسكويه: "حوائر". والصواب ما أثبت في المتن.

---

[1] كذا في الأصل وهي جمع "حرز" والمعنى: أن تُضَم أعواد القصب بعضها إلى بعض لتُشكّل شدَّات. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ح ر ز] ج٥، ص٣٣٣-٣٣٤.

[2] قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٩؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٤١٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٣٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٨.

[3] جابر بن داود البلاذري الجد، كاتب الخصيب بن عبد الحميد أمير مصر أيام الرشيد. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٢، ص٥٣١.

[4] يعيد ابن الفقيه نقل هذه الرواية مرة أخرى بتصرف، رغم أنه ذكرها في صدر حديثه عن مدينة السلام بتمامها ولم يشر لمصدره؛ فهنا ولأول مرة في الجزء الثاني من الكتاب يصرِّح بالمصدر الذي ينقل عنه وهو: البلاذري، إلا انه لم يذكر اسمه، وإنما أشار إليه بذكر اسم جده، مع أنه العلم المشهور، والشخصية الأدبية المتعددة =

وقال عليُّ بن يَقْطِين: كُنتُ في عسْكَر أبي جَعْفَرٍ حين صارَ إلى الصَّراةِ يلتمِسُ موْضِعـًا لبِناءِ مدِينتهِ. قال: فنَزلَ الدَّيرَ الذي على الصَّراةِ في العَتِيقةِ، فما زال على دابَّتهِ ذاهِبـًا وجَائِيـًا مُنفردًا عن النَّاسِ يفكِّر.

قال: وكان في الدَّيرِ رَاهبٌ عالمٌ، فقال لي: لِمَ يذْهبُ هذا المَلِكُ ويَجيء؟ قلت: يُريدُ أنْ يَبنِي مدِينةً. قال: فما اسمهُ؟ قلت: عبْدُ الله بن مُحَمَّدٍ. قال: أبو من؟ قلت: أبو جعْفَرٍ. قال: يُلقَّبُ بشيءٍ؟ قلت: المَنْصُور. فقال: ليْسَ هو الذي يَبْنِيها. قلت: ولِمَ؟ قال: لأنّـا قد وجَدنا في كتَابٍ عندنا نتَوارَثهُ قَرْنـًا عن قَرنٍ: الذي يَبني مدِينةً في هذا المكَان يقالُ لهُ مِقْلاص.

قال: فركِبتُ من وقْتِي حتى تقدَّمتُ منه فقال:[لي] ما ورَاءكَ؟ قلت: خَبرٌ أُلقِيهِ إليك وأُرِيحُكَ [من] هذا العنَاء. قال: وما هو؟!

قلت: أمِيرُ المُـؤْمنِينَ يَعلمُ أنَّ هولاء الرُّهْبانَ معهم عِلمٌ وقد أخْبَرنِي رَاهِبُ هذا الدَّيرِ بكِيتَ وكِيت. فلمَّـا ذَكرتُ له مِقْلَاص ضحِكَ واستَبْشَر، ونزلَ عن دابَّتهِ فسجَدَ، وأخذَ سَوْطهُ فأقْبلَ يذْرعُ به، فقلت في نفْسي: لحقَهُ اللَّجَاجُ، ثم دعَا المُهندِسينَ من وقْتهِ فأمرهُم بخَطِّ الرَّمادِ.

فقلت له: أظنك يا أمِيرَ المُـؤْمنِين أرَدْتَ مُعَاندةَ الرَّاهِب وتكْذِيبَهُ. فقال: لا والله، ولكنِّي كنتُ ملقَّبـًا بمِقْلاصٍ وما ظننتُ أنَّ أحدًا عَرفَ ذلك غيْري، فاسْمعْ

=الجوانب فهو الكاتب والشاعر الناظم، والراوية المدقق وأحد البلغاء المشهورين. وهذه الإشارة رغم أهميتها تثير التساؤل: لماذا قصد ابن الفقيه تعمية مصادره على القارئ؟! وربما تكون الإجابة أن البلاذري يعد قريب العصر من ابن الفقيه والمعاصرة حجاب.

حَديثي بسببِ [٣٣ظ] هذا اللَّقبِ: كنا بناحِيةِ الشَّرَاةِ[1] في زمانِ بني أُميَّة على الحالِ [التي] تعلَمُ، فكُنتُ ومن كان في مِقْدار سِنِّي من عمُومتِي وإخْوتي نتَداعىٰ ونتعَاشَرُ، فبَلغتِ النَّوبةُ[2] إليَّ يوماً من الأيَّامِ، وما أمْلِكُ دِرْهماً واحِدًا فما سِواهُ، فلم أزل أُفكِّر وأعمِلُ الحِيْلة إلى أنْ أصبتُ غَزْلًا لدايَةٍ كانت لي، فسَرقتُهُ، ثم وجَّهتُ به فبِيعَ [لي][a] واشتُري [لي] [a] بثَمنِهِ ما احْتَجتُ إليه، وجِئتُ إلى الدَّايةِ فقلتُ لها: افعَلي كذا واصْنَعي كذا.

قالت: ومن أين لك ما أرىٰ؟ قلت: اقْتَرضتُ درَاهِم من بعضِ أهْلي. ففعَلتْ ما أمرْتُها به، فلمَّا فرَغنَا من الأكْلِ وجلَسْنا للحديثِ طَلبتِ الغَزْلَ، فلم تَجِدهُ، فعَلِمتْ أنِّي صَاحِبهُ، وكان في تِلْك النَّاحِيةِ لِصٌّ يُقالُ له مِقْلاصٌ مُشْتَهر بالسَّرِقةِ، فجاءَتْ إلى بابِ البيتِ الذي كنَّا فيه فدَعتْني، فلم أخرُجْ إليها لعِلْمي أنَّها قد وقفَتْ على ما عمِلتُ، فلمَّا الحَّتْ، وأنا لا أخرُجُ، قالت: أخرُج يا مِقْلاصُ، النَّاسُ يتَحرَّزون من مِقْلاصِهِم، ومِقْلاصِي معي في البيتِ، فمزَحَ معي إخْوتي وعُمُومتي بهذا اللَّقبِ ساعةً، ثم لم أسمَعْ به إلَّا منك السَّاعة [b] [3].

---

[a] الزيادة من ياقوت.

[b] لدى الطبري: « قال: فأنا والله ذاك! لقد سُميت مقلاصًا وأنا صبي، ثم انقطعت عني ».

---

[1] الشراة بالشين المعجمة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة، التي سكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في أيَّام بني مروان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٣٢.

[2] يقصد أنه كان عليه في هذا اليوم أن يقوم بإطعام إخوته وأبناء عمومته.

[3] انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٦١٥.

قلتُ: إنَّ الرَّاهبَ قال لك ذلك فعَلِمتُ أنَّ أمرَ هذه المدِينةِ سيَتِمُّ علىٰ [يديَّ][a] بصِحَّةِ ما وقفتُ عليهِ[1].

قال الشَّرويُّ[2]: أخبَرَنِي بعضُ المشَايخ [من] المَوَالي أنَّ المنْصُور، لـمَّا أرادَ بِناءَ بغْدَاد، وقَفَ في وسَطِ المكَانِ الذي قدَّر أنْ يجْعَلهُ مدِينةً، وأمرَ أنْ يُوتدَ هناك وتَدٌ، وأخذَ حبلًا فمدَّهُ علىٰ المقْدَارِ الذي أرادَ أنْ تكُونَ استِدارَتُها، ثم أمرَ بطَرحِ الرَّمادِ فطُرِحَ، ثم نقَصَ من مِقْدارهِ أرْبعينَ ذِراعًا.

ثم أدارَ خَطًّا آخر، وجعل بين الخطَّينِ الخَنْدَقَ، وجعل فَتحتهُ أرْبعِينَ ذِراعًا، ثم عملَ السُّورَ الذي خلفَ الفَصِيلِ، وعَرضهُ من أسفَلِهِ ثمانية عشر ذِراعًا وعرَضُ أعْلاهُ ستَّةُ أذْرعٍ، وجعل علىٰ ذِراعٍ منه مِمّا يلِي الخَنْدقَ الشُّرَّافَاتِ، فصَار البَاقي خمْسةَ أذْرعٍ يمشِي عليها النَّاسُ[3].

---

[a] الزيادة من معجم البلدان.

---

[1] لدى الطبري رواية أخرى:- «فقال [المنصور] للراهب الذي في الدير: يا راهب، أريد أن أبني هاهنا مدينة، فقال: لا يكون، إنما يبنى هاهنا ملك يقال له أبو الدوانيق، فضحك المنصور في نفسه، وقال: أنا أبو الدوانيق. وأمر فخطت المدينة» . راجع: تاريخ الرسل والملوك، ج٧ص ٦١٩، نقل ياقوت الخبر بتمامه، ج١ص٤٥٩.

[2] هناك أكثر من شخص يعرفون باسم الشروي، لكن صاحب الأخبار المتواترة في المصادر عن بناء بغداد هو: أحمد بن محمود أبو العباس الشروي، المتوفي سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م. انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص٣٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٠.

[3] أورد الخطيب البغدادي تقدير مساحة بغداد ووصف أسوارها وخنادقها بشكل مغاير، وهاك الخبر بتمامه:- « قَالَ وكيع فيما بلغني عنه: إن المدينة مدورة عليها سور مدور، قطرها من باب خراسان إِلَى باب الكوفة ألفا ذراع ومئتا ذراع، ومن باب البصرة إِلَى باب الشام ألفا ذراع ومائتا ذراع، وسَمْك ارتفاع هذا السور الداخل وهو سور المدينة في السماء خمسة وثلاثون ذراعا، وعليه أبرجة [أبراج] سَمْك كل برج منها فوق السور خمسة=

قـال حَمَّادُ التُّركيُّ[١]: بنىٰ المَنْصُورُ المدِينةَ مدوَّرةً لأنَّ المُدوَّرةَ لها مَعانٍ ليْسَت للمُربَّعَةَ، وذلك أنَّ المُربَّعَةَ، إذا كان [٣٥و] الـمَلِكُ في وسطِها، كان بعضها أقربَ إليه من بعْضٍ، والمُدوَّرةُ من حيث مُسِحتْ كان أمْرُها إلىٰ وسطِها كان مُسْتَويـاً لا يَزِيدُ بعضهُ علىٰ بعضٍ، وبنَىٰ لها أرْبعةَ أبوابٍ، فكان إذا جَاءَها الجائي من المَشْرِقِ دخل من بابِ خُراسَان، وإذا جَاءَها من الحِجَازِ دخل من بابِ الكُوفَةِ، وإذا [جَاءَ] من المغْرِب دخل من بابِ الشَّامِ، وإذا جَاءَ من فَارِس والأهْوازِ والبَصْرَةِ وواسِط واليَمامةِ والبَحْرينِ وعُمانٍ دخل من بابِ البَصْرَةِ.

وعمَلَ لها سُورَيْنِ وفصِيلينِ، بين كل بابٍ فَصِيلانِ، والسُّورُ الدَّاخِلُ أطوَلُ من الخَارِج، وأمَرَ ألا يَبنيَ إنسانٌ تحت السُّورِ شيئـاً من المَنَازِل، وأمرَ أنْ يُبنَىٰ في الفَصِيلِ الثاني مع السُّورِ المنازِلَ، لأنَّ ذلك أحْصنُ للسُّورِ، ثم بنَىٰ قَصْرهُ في وسَطِها وبناء المَسْجِد الجَامع مع القَصْرِ[٢].

وعمَلَ الشَّوارعَ علىٰ ما أرَادَ وأقْطَعها القُوَّادَ، وأنْزلَ فيها خَاصَّتهُ وأهْلَ ثِقتِه، وجعلَ الطُّولَ من بابِ خُـرَاسَـانَ إلىٰ بـابِ الكُوفَةِ ثمانِمائةِ ذِراعٍ، ومن بابِ الشَّامِ

= أذرع، وعلى السور شُرَف، وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعا، ثم الفصيل بين السورين وعرضه ستون ذراعا، ثم السور الأول وهو سور الفصيل ودونه خندق وللمدينة أربعة أبواب: شرقي وغربي وقبلي وشمالي، لكل باب منها بابان باب دون باب، بينهما دهليز ورحبة يدخل إلَى الفصيل الدائر بين السورين، فالأول باب الفصيل، والثاني باب المدينة». قارن: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٢.

[١] من قادة فرق الجند الأتراك، قلَّده أبو جعفر المنصور تعديل السواد، وكان من خاصة رجاله. لم اقف على تاريخ وفاته، انظر طرفًا من أخباره لدى: الجهشياري: محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي، توفى سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م: كتاب الوزراء والكُتَّاب، ص١٣٤؛ الطبري: تاريخ الرسل ج٨ ص ٦٣-٦٤، ص١٠٣.

[٢] روى الخطيب البغدادي هذا الخبر عن وكيع القاضي. راجع:- تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٢.

إلىٰ بابِ البَصْرَةِ ستَّمائةِ ذِراعٍ، وعددُ الطَّاقَاتِ في السُّورِ الكَبِيرِ ثلاثةٌ وخمْسُونَ طاقاً سِوىٰ الطَّاقِ المفْتُوحِ، هذا في كُلِّ صفٍّ، والطَّاقَات الصِّغَارُ التي تِلِي الرَّحبةَ في كلِّ صفٍّ سِتُّ طَاقاتٍ سِوىٰ طَاقَي البَابَيْنِ.

ومسَاحةُ[a] القَصْرِ أرْبعُ مائةِ ذِراعٍ في مِثْلِها، ومِساحةُ[a] المَسْجِدِ الجامع مِائتَا ذِراعٍ في مِثْلِها، والذي خطَّ المَسْجِدَ: الحَجَّاجُ بن أرْطَاةَ[1]، وجعل حَوالِي القَصْرِ والمَسْجِدِ رِحَاباً علىٰ تَربيعِ القَصْرِ والجَامِعِ، وجعل الأبوَابَ الدَّاخِلة مُزوَّاةً ليْسَت علىٰ سَمْتِ الأبوَابِ الخَارجةِ، فلذلك سُمِّيتْ الزَّوْراءَ.

وبين القَصْرِ وبين كلِّ بابٍ من الأبْوَابِ مِسَاحةٌ قَائِمةٌ لا يزِيدُ بعضها علىٰ بعضٍ، وكذلك بَيْنهُ وبين كلِّ ناحِيةٍ من السُّورِ.

وأسَاطِينُ الخشَبِ التي في المَسْجِدِ الجَامع كلُّ أسْطُوانةٍ قطعَتينِ مُعقَّبتَينِ <بالعُقَبِ> والغِرىٰ وضبَّات الحدِيدِ إلَّا خمسَةٍ أو ستَّةٍ عند الشُّباكِ[b] الذي يَلِي المَنَارةَ، فإنَّ في كلِّ واحدةٍ عدَّةَ قِطعٍ مُعَقَّبةٍ مُحكمَةٍ.

وقال بعضُ أهْلِ بغْدَادَ[2]: هدَمْنا قِطعةً من السُّورِ[٣٥ظ] نَاحِية بابِ المُحوِّل، فوْجَدنا لبِنةً عليها مَكتوبٌ بمُغرَةٍ: وزْنها مِائةٌ وسبعةَ عشرَ رطْلًا، فوَزْنَّاها فوجَدنَا ذلك كما كُتبَ عليها.

---

[a] في الأصل: ساحة.

[b] في الأصل: الشنال.

---

[1] تقدمت ترجمته ص١٧٨.

[2] أورد كلٌّ من الخطيب البغدادي، وياقوت الحموي هذه الرواية، وعزياها إلى ابن الشروي.

قال إسْحَاقُ بن إبْرَاهِيمَ المَوْصِلِيُّ[1]: (a)لـمَّا أَرَادَ المَنْصُور بِناءَ مدِينتِهِ شَاوَرَ أصْحَابَهُ في ذلك، وكان فيمن شَاورَهُ خَالِدُ بن برْمَك[2] فأشَارَ عليه بِبِنائِها، فلمَّا عَملَ منها صَدْرًا صَالحـًا احْتاجَ إلىٰ الآجُرِّ فعزمَ علىٰ نَقضِ إيوانِ كِسْرىٰ الذي بالمَدَائِن، فاسْتَشَارَ في ذلك أيضـًا، فأشَارَ عليه جماعةٌ من خَواصِّهِ أنْ يفعلَ، وكان فيهم خَالِدُ بن بَرْمَك، فلم يقل شيئـًا فقال له: لم لا تتكلَّم يا خَالِد وتُشِير بما عِندك؟! قال: لا أرىٰ ذلك يا أمِيرَ المُؤمِنِين. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه علَمٌ من أعْلَامِ الإسْلَام يسْتدِلُّ به النَّاظِر والوافِدُ من الملُوكِ علىٰ عِظَمِ شأنِ أرْبَابه وعِزَّةِ سُلْطَانِهم، وأنَّ الإسْلَامَ قهَرهُم وأزالَهم عنه، وأيضـًا فإنَّ فيه مَسْجِدًا لأمِير المُؤمِنينَ عليٍّ بن أبِي طَالِبٍ عليه السلام قال: هَيْهَاتَ يا خَالِدُ، أبيْتَ إلَّا التَّعصبَ لأصْحَابِكَ والمَيْلِ إليهم. وأمرَ بنقْضِهِ ونقْضَ ما حَولهُ من الأبْنِيةِ(a).

(a-a) لدى الثعالبي: « ولما بنى المنصور مدينة السلام أحبَّ أن ينقُض إيوان كسرى ويبنى بنقضه الأبنية فاستشار خالد بن برمك في ذلك فنهاه عن نقضه وقال: يا أمير المؤمنين إنه آية الإسلام، وإذا رآه الناس علموا أن من هذا بناؤه لا يزيل أمره إلا نبي، وهو مع هذا مصلى على بن أبى طالب رضي الله عنه، والمؤنة في هدمه ونقضه أكثر من الارتفاق به فقال: المنصور يا خالد أبيت إلا ميلًا إلى العجم ثم أمر بهدمه».

---

[1] أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي، راوية للشعر والمآثر، وأحد العلماء باللغة والغريب وأيام الناس. توفي سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٤٣٥-٤٤٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٥٩٤-٦١٥؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١، ص٢٥٠.

[2] خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف، أبو البرامكة، كان ذا رئاسة، ودهاء، وحزم وخلفه في ذلك أولاده، تولى ديوان الوزارة للخليفة العباسي المنصور، كما تقلد له بلاد فارس. توفي سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. انظر في ترجمته وأخباره: عمر بن الأزرق الكرماني، أخبار البرامكة، نشره إحسان عباس ضمن كتاب: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٩-١٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٦، ص٦-٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٢٨-٢٢٩.

[a] قال: فنُقِضَ شَيءٌ من ذلك وحُمِلَ آجـرُّهُ إلىٰ بغْدَاد فوجَدوا النَّفقةَ علىٰ هَدْمِهِ وحَمْلِهِ ومؤُونَتِهِ أكثر مما ينفَقُ علىٰ الآجُـرِّ الجَديدِ إذا عُمِلَ، فرُفِعَ ذلك إلىٰ المَنْصُور فأمرَ بتَرْكِهِ، وأحضَر خَالِدًا فعرَّفَهُ الخَبر وقال له: ما عِندكَ في هذا؟!

فقال: قد كنتُ أشَرْتُ علىٰ أمِيرِ المُـؤْمنِينَ ألَّا يتَعرَّضَ لشيءٍ من نقْضِهِ، فلم يفْعَل؛ فأمَّـا الآنَ وقدِ ابْتَدأ بذلك فما أرىٰ أنْ يكُـفَّ عنه حتىٰ يُلْحقَهُ بقَواعِدِهِ لئَلا يُقال: إنَّه عجَز عن هَدمِ ما بناهُ غيرهُ، والهَدمُ أيسرُ من البِناءِ، فتَبسَّم المَنْصُور وأمرَ بتَرْكِ ذلك[a] [1].

(a-a) وتمام النص لدى الثعالبي: «...أمر بهدمه فهدمت منه ثلمة فلبغت النفقة عليها مالًا كثيرا، فأمر بالإضراب عن هدمه وقال يا خالد: قد صرنا إلى رأيك فيه، فقال: أنا الآن أشير بهدمه قال: وكيف! قال: لئلا يتحدث الناس بأنك عجزت عن هدمه. فلم يقبل قوله وتركه على حاله».

---

[1] لدى الطبري: «وذكر عن اسحق بْن إبراهيم الموصلي، عن أبيه، قال: لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد، شاور أصحابه فيها، وكان ممن شاوره فيها خالد بْن برمك، فأشار بها، فذكر عن علي بْن عصمة أن خالد بْن برمك خط مدينة أبي جعفر له، وأشار بها عليه، فلما احتاج إلى الأنقاض، قال له: ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه؟ قال: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأنه علم من أعلام الإسلام، يستدل به الناظر إليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما هو على أمر دين، ومع هذا يا أمير المؤمنين، فإن فيه مصلى علي بْن أبي طالب صلوات الله عليه، قال: هيهات يا خالد! أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم! وأمر أن ينقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية منه، وحمل نقضه، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل، فرفع ذلك إلى المنصور، فدعا بخالد بْن برمك، فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد كنت أرى قبل ألا تفعل، فأمّا إذ فعلت فإني أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده، لئلا يقال: إنك قد عجزت عن هدمه فأعرض المنصور عن ذلك، وأمر الا يهدم» قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥١؛ الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٨١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٥٥.

[تخطِيط الأسْواق]

قال: وأمرَ المنْصُورُ أنْ تُجعَل الأسْواقُ في طَاقَاتِ المدِينةِ، إزَاء كلِّ بابٍ سُوقـًا، فلم تَزَلْ علىٰ ذلك مُدَّةً حتىٰ قَدمَ عليه بطْرِيقٌ من[بطَارِقة][a] الرُّوم وافِدًا من عند المَلِكِ، فأمر الرَّبيعَ[1] أنْ يطُوفَ به المدِينةِ حتىٰ يَنظرَ إليها ويتأمَّلها، ويَرىٰ سُورهَا وأبْوابَها [٣٦و] وما حَولهَا من العمارةِ، ويُصعِّدهُ السُّور حتىٰ يَمشِي عليه من أوَّلهِ إلىٰ آخِرهِ، ويُريهِ قِبابَ الأبْوَابِ والطَّاقَاتِ وجميع ذلك، ففعَل الرَّبيعُ ما أمرَهَ به، فلمَّـا دخلَ إلىٰ المنْصُور قال له: كيف رَأيتَ مدينتي؟[b] قال: رأيتُ حُسْنـًا ومدِينةً حَصِينةً، إلَّا أنَّ أعْدَاءكَ معكَ فيها[2].

قال: ومنْ هُم؟ قال: السُّوقَةُ، يُوافِي الجَاسُوسُ من بعض الأطْرافِ، فيَدْخلُ لعلَّةِ ما يشْتَري [والتُّجَار هم بُـرُد الآفَاق] [c] فيَتَجسَّسُ الأخْبارَ ويعْرفُ ما يُريدُ وينْصَرف من غير أنْ يُعْلَمَ به [أحد] [d]. فسكَتَ المنْصُور. فلمَّـا انْصَرفَ البَطْرِيقُ أمرَ بإخْراجِ السُّوقَة من المدِينةِ[3].

---

[a] التتمة من ياقوت.

[b] في الأصل: مبنيتي. والمثبت من الطبري: تاريخ؛ ياقوت: معجم البلدان.

[c] التتمة من ياقوت.

[d] ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

---

[1] الربيع بن يونس: حاجب أبي جعفر المنصور ومولاه، تقدمت ترجمته.

[2] انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٨.

[3] قارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٠.

وتقدم إلى إبْرَاهِيم بن حُبَيش الكُوفيّ[١]، وخِرَاش[a] بن الـمُسَيَّب اليَمَـانيّ[٢] بذلك، [b] وأمَرهُما أنْ يَبْنِيا الأسْوَاقَ نَاحِيَةَ الكَرخِ ويَجْعَلاهَا صُفُوفـًا [b]، لكلِّ سُوقٍ صَفٌّ، وأنْ يدْفَعاهَا إلى النَّاس، فلمَّـا فرَغَا من ذلك حوَّلَ السَّوقَ من طَاقَاتِ المدِينةِ، ووضَع عليهم الغَلَّةَ على قَدْرِ الذَّرْعِ.

فلمَّـا كَثُر النَّاسُ ضَاقَتْ عليهم، فقالوا لإبْراهِيم بن حُبَيْشٍ وخِرَاش: قد ضَاقَتْ علينا هذه الصُّفُوفُ، ونحن نتَّسِعُ ونبْني لنا أسْواقـًا من أمْوَالِنا ونُؤَدِّي عنها الأُجْرَةَ، فأُجِيبُوا إلى ذلك فَاتَّسَعُوا في البِناءِ والأسْوَاق[٣].

وقال الشَّرقِيُّ[٤]: بل كان سببُ إخْراجِ الأسْواقِ عنها أنَّ المنْصُور حين اسْتَتَمَّ البِناءَ دعَا إليه رُسُلَ الـمُلوكِ الذين كانوا على بَابِهِ فقال: كيف تَرَوْنَ مدِينَتِي هذه؟ فقالوا: ما رَأَيْنَا أحسَنَ تقْدِيرًا ولا أحْكَم بِناءً ولا أحْصَنَ أسْوارًا منها.

---

[a] لدى الطبري: جواس.

[b-b] لدى ياقوت: «وأمرهما أن يبنيا ما بين الصراة ونهر عيسى سوقا وأن يجعلاها صفوفا».

[c] لدى الطبري: «حوَّل السُّوق من المدينة إليها».

---

[١] إبراهيم بن حبيش الكوفي، مولى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وأحد المشرفين على بناء سوق الكرخ ببغداد. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٣.

[٢] خراش بن المسيب اليماني، من الموكلين ببناء أسواق بغداد بناحية الكرخ. انظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

[٣] مصدر هذا الخبر واحد لدى كل من ابن الفقيه والطبري، ويلاحظ اتفاق النصوص مع بعضها في معظم السياق؛ أما النص لدى ياقوت فإنه يخالفها لاختلاف مصادره. قارن: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٣؛ معجم البلدان: ج٤، ص٤٤٨.

[٤] تقدمت ترجمته ص٢٤٥.

فقال: هل تَرونَ فيها عَيبًا؟ فقال أحَدُهُم: نعم، سُوقُها في جوْفِها والجَواسِيسُ لا يُنكَرُ عليهم مُخالطَةُ السُّوقةِ ومُبايعتُهُم. وقال آخر: ومن عُيوبِها أيضًا أنّه ليس لها نهرٌ يَختَرِقُها. وقال آخر: ومن ذلك أنّه لا مقْبَرةَ لها ولا مَيْدانَ فيها.

فأمرَ المنْصُور، فعُمِلَ لها دُولَابٌ أجرىٰ مَاءَهُ إلىٰ القَصْرِ، فكان يَختَرِقُها حتىٰ يُوافِي القَصْر وقال: هذا يَقُومُ مَقامَ النَّهر. فلم يزَلْ سَاجُ ذلك النَّهرِ والدُّولَابِ [٣٦ظ] يصُبُّ فيه إلىٰ أيَّام مُـحَمَّد بن عبْدِ الله بن طَاهِرٍ[1]، ثم قُلعَ وعُطِّـلَ.

قال: وأمر بإخْراجِ السُّوقِ إلىٰ ناحِيةِ الكَرْخِ وبابِ الشَّعِيرِ وقَطِيعةِ الرَّبِيعِ[2] وما قَـرُبَ من ذلك، وعَمِل مِيْدانـًا في الرَّحْبةِ لقُوَّادِهِ وخَاصَّتِهِ، وعمِلَ المقْبَرَةَ المعْروفَةَ بمقْبَرةِ قُرَيش، وذلك في سنةِ سبع[a] وخمسين ومائة، وفي هذه السنةِ بنىٰ قصْرَه الذي يَشْرعُ إلىٰ دِجْلَة وسمَّـاهُ الخُلْد[3]، وأمر بعقْدِ الجِسْر عند بابِ الشَّعِير وجعَلَ النَّفَقَة لذلك علىٰ يدي حُمَيْد بن القَاسِم الصَّيرَفِي[4].

---

[a] في الأصل: تسع وخمسين ومائة. وهو خطأ.

---

[1] محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ،أبو العباس الخزاعي، قدم من خراسان هو ابنه سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٤م. كان أديبا شاعرًا، مألفًا لأهل العلم والأدب، تولى إمارة بغداد للخليفة العباسي المتوكل، توفي سنة٢٥٣هـ/٨٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص٤٣٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٤٢١.

[2] راجع الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص٦٢٠؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٢.

[3] قال الخطيب البغدادي: إنما سمي قصر المنصور بالخلد تشبيها له بجنة الخلد. تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٥.

[4] حميد بن القاسم بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أحد عمال أبي جعفر المنصور، ذكره ابن حبان: في الثقات. انظر: ج٨، ص١٩٦؛ أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م، ص٢٨٨.

قال: وكان فَرَاغُ المَنْصُور من بِناءِ مدِينةِ السَّلامِ ونُزوله إيَّاهَا ونقلُ الخَزائِنِ والدَّواوينِ وبُيوتِ الأمْوالِ إليها سنةَ ستٍّ وأرْبَعينَ ومائةٍ، وكان اسْتِتمَامهُ لِبناءِ السُّورِ والفَراغُ من الخَنْدقِ وإحْكَامُ جميعِ أمرِ المدِينةِ سنةَ تِسعٍ وأرْبعينَ ومائةٍ[1]، ثمَّ شخَصَ في هذهِ السَّنةِ إلى حَدِيثةَ المَوْصِلِ[2] لأمرٍ أرادَهُ ثم انْصَرفَ.

وقال الشَّروِيُّ: لـمَّا قَدِمَ المهْدِي من الرَّيِّ وفدَ إليه أهْلُ الكُوفَةِ وأهْلُ الشَّامِ وغيرُهُم من وجُوهِ النَّاسِ فهنَّؤُوهُ بمقْدَمِهِ، ولَقَوْا المنْصُور فهنَّؤُوهُ أيضًا، فأمرَ المَهْدِيُّ لعَامَّتِهِم بالجَوائِز والخِلَعِ والحُمْلَان، وقد كان المنْصُور أمرَهُ أنْ يُقِيمَ في الجانِبِ الشَّرقِيِّ من مدِينةِ السَّلامِ وأمرَهُ ببَناءِ الرُّصَافةِ وأنْ يعْملَ بها سُورًا وخنْدقًا وبُسْتانًا، فابْتَدأ بعمل ذلك وجعَلَ النَّهْر مُخترِقًا لها حتىٰ يدْخُلَ المَسْجِدَ الجَامِعَ، فكان النَّاسُ يشْرَبونَ فيه يوْمَ الجُمعَةِ، وقدَّرَ شوَارعهَا فلم يكن في الإحْكَامِ والاسْتِواءِ مثل شوَارِعِ الجَانبِ الغَربي.

وقال يحْيَىٰ بن الحَسَن[a][3]: كان بِناءُ المَهْدِي كلُّه بالرُّهُوصِ[4] إلا ما كان يسْكنُهُ هو.

---

[a] في الأصل: الحسين، والتصويب من ابن طيفور، بغداد؛ والطبري: تاريخ الرسل؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

---

[1] قارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٧٦.

[2] قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص٢٥.

[3] يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، هكذا عرفت به المصادر. انظر: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص٩٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٠-٤١٢.

[4] الرهوص: جمع رِهصْ بالكسر، وهو العِرق الأسفل من الحائط. والمعنى أن البناء على عهد المهدي كان باستخدام الرهوص (عروق الخشب التي تشد عليها الجدران) يقال: رهصت الحائط بما يقيمه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: [ر هـ ص] ج٧، ص٤٣.

وكذلك كان بِناءُ موُسَىٰ الهَادِي بعدَهُ، وكان اسْتِتْهامُ بِناءِ المَهْدِي الرُّصَافةَ والجَامِعَ سنةَ تِسْعٍ وخَمْسِينَ ومائةa)[١]. وخَرج المَنْصُور بعد قُدومِ المَهْدِي من الرَّيِّ بشُهورٍ إلىٰ البرَدانِ[٢] ليعْرِضَ الجُنْد ويُسقِطَ من لم يكن من أهْلِ خُراسَانَ[٣]، فأحْكمَ ما أرَادَ من ذلك وعادَ إلىٰ بغْدَاد.

[٣٧و] وقال عِيسَىٰ بن المَنْصُور[٤]: وجدْتُ في بعض خَزائِن أبي [المَنْصُور]b) مبْلغَ النَّفَقَة[٥] علىٰ مدِينةِ السَّلام والمَسْجِدِ الجَامِع وقصْرِ الذَّهبِ والأسْواقِ والفِصْلَانِ والخَنادِقِ والقِبَابِ والأبْوَابِ، فكان جميعُ ذلك أرْبعةَ آلافِ [ألف]b) وثمانِ مِائةٍ وثَلاثة وثَمانِينَ [ألف]c) دِرهمٍ[٦]، يكونُ من الفُلوسِ مائةُ ألفِ [ألفِ]c) وثَلاثةٌ

a) لدى ياقوت بزيادة: «وهي السنة الثانية من خلافته».

b) التتمة من الطبري: تاريخ.

c) التتمة من الطبري: تاريخ؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

d) التتمة من ياقوت: معجم البلدان.

[١] قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٣.

[٢] البردان: من قرى بغداد على بعد فراسخ منها، من نواحي دجيل. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٥-٣٧٦.

[٣] أي أسقط غير الخراسانيين من ديوان الجند.

[٤] عيسى بن أبي جعفر المنصور، توفي ببغداد سنة ١٨١هـ/ ٧٩٨م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١٢، ص٤٧٢.

[٥] أورد الخطيب البغدادي رواية أخرى بسنده إلى أحمد بن البربري، ذكر فيها أن إجمالي النفقة على مدينة السلام، ثمانية عشر ألف ألف، [١٨,٠٠٠,٠٠٠]، وهناك تفاوت كبير بين الروايتين. انظر: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٧٨-٣٧٩.

[٦] في الطبري: ثمانمائة وثلاثة وثلاثون درهمًا. قارن: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٥.

وعِشرونَ ألفَ فلسٍ[١]، وذلك أنَّ الأُستاذَ من البَنَّائينَ كان يعملُ يومَهُ بقِيرَاطِ[a][٢] [فِضَةٍ][b] والرُّوزجَاريين[٣] بحبَّتَيْنِ[٤] إلى ثلاثِ حبَّاتٍ.

٢ وقال أبوسَهلِ بن نُوبَخت[٥] عن جَدِّهِ نُوبخَت قال: أمرَني المنْصُور لمَّا أرَادَ بنَاءَ بغْدَاد بِأخذِ الطَّالِعِ ففعلتُ، فإذا الطَّالِعُ الشَّمسُ وهي في القَوْسِ فخَبَّرتهُ بِما تَدُلُّ النُّجُومُ عليه من طُولِ بقَائِها وكثْرةِ عِمارتَها وفقْرِ النَّاسِ إلى ما فيها، ثم قلتُ: وخُلَّةٌ

٦ أخرىٰ أسرُّكَ بها يا أمِيرَ المُؤمنِينَ. قال: وما هي؟ قلت: نجِدُ في أدِلَّةِ النُّجُومِ أنَّه لا يمُوتُ فيها خلِيفةٌ أبدًا حتفَ أنفِهِ. قال: فَتبسَّم ثم قال: الحَمْدُ لله ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

---

[a] لدى الخطيب البغدادي« يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبات ».

[b] التتمة من الطبري: تاريخ.

---

[١] وعلى هذا يكون سعر صرف الدرهم الفضي في أيام المنصور عشرون فلسًا ونصف تقريبًا.

[٢] القيراط: جزء من أجزاء الدينار أو الدرهم، وهو يساوي١/ ٢٤ من وزن أي منهما، وإذا علمنا أن متوسط وزن الدرهم ثلاثة جرامات من الفضة تقريبًا، فإن وزن القيراط = ٠,١٢٥جراما من الفضة. انظر: علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ص٢١-٢٣.

[٣] الروزجاري: فارسية معربة، ومعناها: الأجير الذي يعمل بالنهار في البناء، وكان يقال ببغداد: لمن يعمل بالنهار الروزجارية.

[٤] الحبة: أصغر وحدة لوزن النقود تعامل بها المسلمون، وهي تساوي ٦/ ١٠٠من الجرام تقريبًا؛ وعلى هذا يساوي الدرهم ٥٠حبة. انظر: على جمعة: المرجع السابق، ص ٢٢.

[٥] أبو سهل بن نوبخت فارسي منجم حاذق خبير باقتران الكواكب وحوادثها، وكان نوبخت أبوه منجمًا أيضًا أيضًا فاضلًا يصحب المنصور، فلما ضعف نوبخت عن الصحبة، سيَّر ابنه ليكون في صحبة المنصور. انظر في ترجمته وأخباره: القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة القاهرة، ١٩٠٣م، ص١٧٢.

ولذلك يقول الشاعر[1]: (شِعْر)

[الطويل]

أَعَايَنْتَ في طُولٍ من الأرْضِ أو عَرْضٍ ... كبَغْدَادَ من دارٍ بها مسكن الخفض[a)]

صَفَا العَيْشُ في بَغْدادَ واخْضَرَّ عُودهُ ... وعَيْشُ سِواهَا غيرُ صَافٍ[b)] ولا غَضّ

تَطُولُ بها الأعْمارُ [c)]إنَّ مِيَاهَهَا ... عِذَابٌ وبعْضُ المَاء أعْذَبُ من بَعْضٍ[c)]

[d)] [قَضَىٰ رَبُّها أنْ لا يَمُوتَ خَلِيفَةٌ ... بِها إنَّهُ ما شَاءَ في خَلْقِهِ يَقْضِي] [d)]

تَنَامُ بِها عَينُ الغَرِيبِ ولَنْ تَرَىٰ ... غَرِيباً بِأرْضِ الشَّامِ يَطْمَعُ في الغُمْضِ

فإنْ جُزِيَتْ بَغْدَادُ يَوْماً بقَرْضِهَا ... فَمَا أسْلَفتْ إلَّا الجَمِيلَ من القَرْضِ

وإنْ رُمِيتْ بِالهجَرِ[e)] منهُم وبالقِلىٰ ... فَمَا أصْبحَتْ أهْلًا لهجرٍ ولا بغْضٍ

وكان [f)] تحوُّلُ المنْصُورِ من الهاشِمِيَّةِ إلىٰ بغْدَاد، والابْتِداءُ بِبِنائِهَا سنة خمس ٣
وأرْبعين ومائةٍ[f)]، وذلك في اليوم الثامن عشر من (مُرْدَاذ مَاه) سنة إحْدىٰ وثلاثين ومائةٍ ليَزْدجِرْد.

---

a) في الأصل: مسكني الخفض. والتصويب من ياقوت.

b) لدى ياقوت: غير خفض.

c_c) لدى تاريخ بغداد؛ ومعجم البلدان: «إن غذاءها مريء وبعض الأرض أمرأ من بعض».

d_d) تتمة يكمل بها محل الشاهد من الخطيب البغدادي؛ وياقوت.

e) في الأصل: بالهى، والتتمة من الخطيب البغدادي؛ وياقوت.

f_f) لدى الخطيب البغدادي: « وأمر ببنائها، ثم رجع إلى الكوفة بعد مائة سنة وأربع وأربعين سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام من الهجرة»

---

[1] الأبيات لعمارة بن عقيل بن بلال الكلبي اليربوعي التميمي، كان من أشعر أهل زمانه، وامتدح الخلفاء العباسيين وجنى أموالًا كثيرة. توفي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٤٠٨؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٣١٦.

وآخِرِ يوْمٍ من تَـمُّوز سنة [ألف] وثلاث وسَبْعِين[a] للإسْكَندر[١]، والشَّمسُ يومئذ في الأَسَدِ [٣٧ظ] ثمانِ درجَاتٍ وعشرة دقَائق، وزُحَلُ في الحَمل درَجَة وأربعون دقِيقةً، والمُشْتَرِىْ في القَوْسِ ستَّة دَرجَاتٍ، والزُّهرةُ في الجَوزاءِ ثلَاثون درجَةً، وعُطَارِدُ في الجَوزاءِ أربعة وعشرون درجَةً، والرَّأسُ في الجَدْي خمسة وعشرون درَجَةً.

قال: ووكَّلَ بالبِناءِ قُوَّادهُ فقسَمها بينهم أرْبَاعـًا، فدفَعَ إلى الرَّبيعِ الحَاجِبِ بابَ خُرَاسَانَ، وإلى أبي أيُّوب الخُوزِيِّ وزَيرِهِ بابَ الكُوفَةِ، وإلى عَبْدِ المَلِكِ بن حُمَيْدٍ[٢] بابَ البَصْرَةِ، وإلى ابن رَغْبَانٍ[٣] مَوْلى حَبِيبٍ[b] بن مَسْلَمَةَ الفِهْرِيِّ[٤] بابَ الشَّامِ، فبَنوهَا[٥].

[a] في الأصل: ثلاثمائة وسبعين للإسكندر وهو خطأ.

[b] في الأصل محمد. والتصويب من ابن قتيبة: المعارف؛ البلاذري: فتوح.

[١] يبدأ تاريخ الإسكندر أو التقويم اليوناني بسنة ٣١١ قبل الميلاد، وبإضافة هذا الرقم ٣١١ إلى العام الميلادي الموافق٧٦٢م = ١٤٥هـ، يكون التاريخ المذكور في المتن هو ناتج جمع التاريخين وهو الصواب.

[٢] مرت ترجمتهم: ص١٨٧؛ ص٢٣٦.

[٣] حبيب بن عبد الله بن رغبان، كان كاتبًا في أيام الخليفة المنصور، ويذكر أنه تقلد ديوان العطاء، و إليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام، كان موجودًا في سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م. انظر في ترجمته: الجهشياري: الوزراء، ص١٠٢.

[٤] حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن مالك القرشي الفهري، أبو عبد الرحمن، يقال إن له صحبه، وهو من كبار قادة الفتوح، توفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٣٢٠-٣٢١؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٢.

[٥] قارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢١.

[أبـواب بـغـدَاد]

قال: على المدِينةِ ثمانِيةُ [أبْوابٍ] [a] خمْسَةٌ منها كانت على مدِينةٍ في ظَهرِ وَاسِطَ يقال لها الزَّنْدَوَرْد [١] يُـقال إنَّ الجنَّ بنَتْها لسُلَيْمانَ بن دَاودَ عَلَيْهِ السَّلام ، وإنَّ الأبْوَابَ من عمل الشَّياطِينِ له أيضـًا، فنقَلَها المنْصُور من هذه المدِينةِ إلى بغْدَاد لَمَّا بنَاها، وهي الأربعة الأبْوابُ الدَّاخِلةُ من كلِّ بابٍ، ومنها بابُ البَصْرَةِ الخَارج، والبَابُ الخَارجُ من بابِ خُراسَانَ حُمِلَ من الشَّامِ، يقالُ إنَّه من عملِ الفَراعِنةِ، وهو أقْصَرهُا، وبابُ الكُوفَةِ الخَارِجُ بابُ قَصْرِ خَالِدِ بن عَبْدِ الله القَسْرِيِّ حُمِلَ من الكُوفَةِ، وبَابُ الشَّامِ الخَارجُ عُمِلَ للمَنْصورِ ببغْدَادَ، وهو أضْعَفُها [٢].

وكانت الحرْبِيَّـةُ [٣] أيَّـام فِتْنَةِ الحَسَنْ بن سَهْلٍ [٤] - قبل دخُولِ المَأْمُونِ بغْدادَ - أحْرَقُوه فسقطَ أحد المِصْراعَيْنِ [٥] وانْصَدعَ قَضُبٌ من جَانبيْهِ.

---

[a] الزيادة من الطبري: تاريخ ؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد؛ ياقوت.

---

[١] مدينة كانت إلى جنب واسط في عمل كسكر. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص ٥١٣.

[٢] أورد الطبري هذا الخبر في تاريخه، وعزاه إلى أبي عبد الرحمن الهاماني الكاتب الراوي. تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥١؛ وقارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٤٦٠.

[٣] طائفة من الجند تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي، قائد حرس المنصور انتفضت على الحسن بن سهل لتأخر رواتبهم. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤٣-٥٤٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٧٥-٤٧٦.

[٤] تقدمت ترجمته ص١٨٥.

[٥] المصراعان: بابان منصوبان ينضمان جميعًا مدخلهما في الوسط منهما، ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص١٩٩.

وقيل لرَجُلٍ[١]: كيف رأيْتَ بغْدَادَ؟ قال: الأرْضُ كلُّها بادِيةٌ وبغْدَادُ حاضِرتُها.

وحدَّث أحْمَدُ بن حُمَيد بن جَبَلَةَ[٢] قال: حدَّثني أبي عن جَدِّي جَبلةَ قال: كانت مدِينةُ أبِي جَعْفرٍ قبل بنَائِها مزْرَعةً للبغْدَادِيِّـينَ يقال لها الـمُبارَكةَ [a] [وكانت لستِّين نفسًا منهم][a] ، فلمَّـا أخذها المنْصُور عوَّضَهُم منها عِوضـًا رضُوا به، فأخذ جَدِّي من ذلك حِصَّتهُ. قال: وكان شارعُ بابِ الأنْبَارِ لأهْلِ قريةٍ ببَابِ الشَّامِ يسَمُّونَ الترابِنَة[b] [٣].

قال: وقال حمَّـادُ التُّركيُّ[٤]: كان حولَ مدِينةِ أبِي جَعْفَرٍ قبل بنَائِها قُرىً، فكان جَانبِ بابِ الشَّامِ قَرية يقال لها الخطابيَّة [b] [٥] علىٰ بابِ دَرْبِ النَّوْرَة إلىٰ دَرْبِ الأقْفَاصِ، وكان بعضُ نخْلِها في نفسِ شَارعِ بابِ الشَّامِ، فلم يَزلْ إلىٰ أنْ قُلعَ في أيَّام فِتْنةِ المخلُوعِ[٦]، وكانت [٣٨و] هذه القَرْيةُ التي يقالُ لها الخطَابيَّة[b] لقومٍ من الدَّهَاقِينَ يقالُ لهم بنُو فَرْوةَ وبنُو قنُورا.

[a-a] التتمة من الطبري؛ والخطيب البغدادي.

[b] في الأصل: الترابية، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد

[c] في الأصل: أخطانية، والتصويب من الطبري: تاريخ.

---

[١] ذكر ياقوت الحموي أنه أبو إسحاق الزجاج. انظر: معجم البلدان، ج١، ص٤٦١.

[٢] أورد كل من الطبري في تاريخه، والخطيب البغدادي في تاريخه أيضًا هذا الخبر وعزاياه إلى نفس المصدر. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٩؛ تاريخ بغداد،ج١، ص٣١٧.

[٣] على الأرجح نسبة إلى تُربان: وهي قرية قريبة من سمرقند. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص٢٠.

[٤] أورد الطبري في تاريخه هذا الخبر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور، عن حماد التركي. راجع: ج٧، ص٦١٩.

[٥] الخطابية: قرية على جانب نهر الصراة.

[٦] الخليفة العباسي السادس محمد الأمين.

منهُم مَالِكُ [a]بن دِينَار[١]، ويعْقُوبُ بن سُفْيان[b] [٢].

وحدَّثَ أبو جَعْفَر مُحَمَّد بن مُوسَىٰ بن الفُرَاتِ[٣]: أنَّ القَرْيَةَ التي في مُرَبَّعةِ أبي العبَّاسِ الطُّوسِيِّ كانت قَرْيَةَ جِدِّهِ من قِبلِ أُمِّهِ، وأنَّهم من دهَاقِين يقالُ لهم بنُو زراري.

وكانت القَرْيةُ تُسمَّىٰ الوَرْدَانية، وقَرْيةٌ أخرىٰ قَائِمةٌ إلىٰ اليوم ممَّا يلي مُرَبَّعةُ أبي قُرَّةَ، يقالُ لها شَرْقَانية[c] ولها نخلٌ قائمٌ إلىٰ اليومِ مما يلي قَنطرةَ أبي الجَوْز [d]. وأبو الجَوْز هذا من دهَاقِين بغْدَاد من أهْلِ هذه القَريةِ، والقَنْطَرَةُ منسُوبةٌ إليه.

---

[a] لدى الطبري: إسماعيل.

[b] في الأصل: بن سليمان، وهو خطأ.

[c] في الأصل: سرقانية بالسين، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

[d] لدى الطبري: قنطرة أبي الجون.

---

[١] مالك بن دينار، أبو يحيى البصري، ثقة من رواة الحديث، وكان وراقًا يكتب المصاحف بالأجرة، توفي بالبصرة سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطَّبَقات الكبرى، ج٧، ص٢٤٣؛ ابن حبان: الثقات، ج٥، ص ٣٨٣.

[٢] يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، الإمام الحافظ الحجة، صاحب التصانيف، طلب الحديث ثلاثين سنة، وروى عن أكثر من ألف شيخ، توفي بالبصرة سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبان: المصدر السابق، ج٩، ص٢٨٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٥٨٢؛ وللمزيد انظر: مقدمة أكرم ضياء العمري في تحقيقه لكتاب المعرفة والتاريخ، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

[٣] أبو جعفر محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، الكاتب أبو الوزراء، وزر ابنه علي بن الفرات للمقتدر. وتولى ابنه جعفر بن الفرات ديوان الخراج والضياع العامة بنواحي المشرق والمغرب ولم يجمعا لأحد قبله، ولم أقف على سنة وفاته. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٥.

وكانت قَطِيعةُ الرَّبيعِ[١] مزَارعَ لناسٍ من أهْلِ قَريةٍ يقالُ لها بناورىٰ[a] من رُسْتاقِ الفُروسْيَجِ من بَادُوريَا، واسْمُهَا إلى اليومِ معروفٌ في الدِّيوَانِ، وكان مَوضِعُ بِرْكةِ زَلْزلٍ[٢] وما وَالَاهَا إلى نَاحيةِ مَسْجِد الأنْبارِيين مَزارِعَ، وكان النَّهرُ الذي يَسْقِي هذه المَزارعَ في موْضِعِ بابِ طَاقِ الحرَّانِي[٣] إلى بابِ الكَرْخِ.

وذكر بعضُ المشَايخِ قال: رأيتُ عند بابِ قَطيعَةِ الرَّبيعِ قبل بنائِها كَرْماً ومِعْصرَةً، وهو المكانُ الذي بُنِيَ فيه خانُ الطَّيَالِسةِ والحَوانِيتُ التي يُباعُ فيها الكَاغِدُ الخُراسَانيُّ.

وقال مُحَمَّدُ بن مُوسَىٰ بن الفُراتِ الكَاتبُ[٤]: سَمِعتُ جَدِّي يقول: كنت في دِيوَانِي يوماً، فدخل إليَّ رجلٌ من دَهَاقِين بادُورَيَا له قدْرٌ، فرأيتهُ مُخَرَّقَ الطَّيْلَسانِ فقلت: من خَرَّقَ طَيْلَسانكَ؟ فقال: خُرِّقَ والله في زَحْمَةِ النَّاسِ وتضَاغُطِهم في مَوضِعِ طَالَمَا طَرَدْتُ فيه الظِّبَاء والأرَانِب. قلت: وأين هو؟ قال: بابُ الكَرخِ[٥].

[a] في الأصل: ماورى. والتصويب من الطبري: تاريخ، وفي ياقوت: بياوري.

[١] تقدمت ترجمته ص١٨٦.

[٢] محلة ببغداد بين الكرخ والسَّراة وباب المحوَّل وسويقة أبي الورد، تنسب إلى زلزل غلام عيسى بن جعفر بن المنصور، كان في أيام المهدي والهادي والرشيد، كان ضرَّابًا بالعود يضرب به المثل، وكان من الأجواد فحفر هذه البركة ووقفها على المسلمين، فنسبت المحلّة بأسرها إليه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، ص٤٠٢.

[٣] محلة بالجانب الغربي من بغداد تنسب إلى إبراهيم بن ذكوان الحراني، أحد موالي المنصور ووزير الهادي. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٥-٦.

[٤] تقدمت ترجمته ص٩٩.

[٥] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص٦٢٠.

وذكر رجُلٌ من ولدِ الرَّبيعِ الحَاجِبِ عن أبيهِ: (a أنَّ المَنْصُور أقْطَع الرَّبِيعَ القَطِيعةَ التي يسْكُنُها التُّجَّارُ اليوْمَ، وقَطِيعةً أخرىٰ بين السُّورَينِ في ظَهرِ دَرْبِ جَمِيل[1]، وأنَّ التُّجَّارَ وغيرهم من مُجَاوِرِيها اغْتَصبُوا ولد الرَّبيعِ عليها. وسُوَيْقةُ غَالِب وقَطِيعةُ الرَّبيع كانتا في القَدِيم قَرْيةً تُدعىٰ وَرْثَالا a).

b) ويقال: إنَّ قَطِيعةَ الرَّبيعِ الخَارِجةَ إنَّما كانت إقْطَاعـًا من المَهْدي للرَّبيعِ، وإنَّما أقْطَعهُ المَنْصُور القَطِيعةَ [٣٨ظ] الدَّاخِلةَ b)[2].

وقيل إنَّ الذي خارج القَطِيعةِ من أصْحَابِ اللُّبُود، ودَرْبُ الطَّيَالِسِ إلىٰ التُّوثَةِ إلىٰ دَرْبِ الدِّمشْقِيينَ، وما ورَاءَ ذلك إلىٰ حدِّ دِجْلَةَ والعَتِيقةِ من وَرْثَالا أيْضـًا.

(a-a) لدى الخطيب البغدادي: «...أقطع المنصور الربيع قطيعته الخارجة، وقطيعة أخرىٰ بين السورين ظهر درب جميل، وأن التجار وساكني قطيعة الربيع غصبوا ولد الربيع عليها، وكانت قطيعة الربيع وسويقة غالب تسمىٰ قبل ذلك ورثالا».

(b-b) لدى الخطيب البغدادي: «ويقال: أن الخارجة أقطعها المهدي للربيع والمنصور أقطعه الداخلة».

---

[1] إحدى دروب بغداد، ينسب إلىٰ جميل بن محمد، أحد الكتاب المشهورين. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٣.

[2] قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٢٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٢؛ وانظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، [قطيعة الربيع] ج٤، ص٣٧٧.

[أنهار بغداد]

والنَّهرُ المعْرُوفُ بنَهْر القَلَّائِينَ غَرْبِيَّهُ من وَرْثَالَا وشَرْقيُّهُ من نَهْرِ طَابِق. ونَهْرُ طَابِق إنَّما هو نَهرُ بَابَك، منْسُوبٌ إلىٰ بَابَك بن بَهْرَام بن بَابَك، وهو قديمٌ.

وبَابَك هذا هو الذي اتَّخذَ العَقْرَ [a][1] الذي عليه قَصْرُ عِيسَىٰ بن عَليٍّ [2] واحْتَفَر هذا النَّهرَ. وما كان وراء هذا فهو من رُسْتَاقِ [3] الكَرخ، وبابُ الكَرْخِ منْسُوبٌ إلىٰ هذا الرُّسْتَاقِ لأنَّه الطَّريقُ إليه.

ونَهرُ عِيسىٰ غَرْبِيُّهُ من الفَروسْيجِ وشَرْقِيُّهُ من رُسْتَاقِ الكَرْخِ، وفيه دُورُ المُعَبِّدين. وقَنْطَرَةُ بني زُرِيق ودَارُ البَطِّيخ ودَارُ القُطن وقَطِيعةُ النَّصَارىٰ إلىٰ قَنْطَرة الشَّوكِ من نَهرِ طَابِق، وشَرْقِيُّهُ وغرْبِيُّهُ من قَرِيةِ بناورىٰ [b].

---

[a] رسمت في الأصل: الصقر. والتصويب من تاريخ الطبري ؛ وتاريخ بغداد.

[b] في الأصل: ماورى، والتصويب من تاريخ الطبري ؛ و تاريخ بغداد؛ وفي ياقوت: بياوري.

---

[1] العقر: القصر على أية حال كان قائمًا أو متهدمًا. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ع ق ر] ج٤، ص٥٩١-٥٩٩.

[2] عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي، عم السفاح والمنصور، إليه ينسب قصر عيسى ونهر عيسى وقطيعة عيسى ببغداد، وتوفي سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م. انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١٢، ص٤٦٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٢٣، ص٧.

[3] الرُّستاق: لفظة معربة عن الفارسية، يقال لها روذداق ورستاق والجمع رساتيق، وهي البيوت المجمعة. ابن منظور: المصدر السابق، ج١، ص١١٦.

ومَسْجِدُ الوَاسِطِيِّينَ مع المَوْضِعِ المعروفِ بظُلَّةِ مَيْشَوَيهِ، ومَيْشَوَيه رجلٌ من الدَّهَاقِينَ نصْرانيٌّ، إلى أنْ تخرج إلى الخَنْدقِ المعْروفِ بخَنْدقِ الصِّينياتِ[a] من بابِ المُحوَّل إلى اليَاسِرِيَّةِ[1].

وما كان من غَربيِّ الشَّارعِ فهو من مزَارِع كانت منْسُوبةً إلى القَرْيةِ المعْرُوفةِ بِبرَاثَا[2]، وما كان من شَرْقيِّها فمن رُسْتَاقِ الفرَوْسَيَجِ.

وما كان من درْبِ الحِجَارةِ وقَنْطَرةِ العَبَّاسِ شَرقيًّا وغَرْبيًّا، فهو من نَهْرِ كَرْخَايَا من قَرْيةِ برَاثَا، وإنَّما سُمِّي نهر كَرْخَايَا لأنَّه كان يَسْقِي رُسْتَاقَ الفَرَوْسَيَجِ والكَرخِ، فلمَّا أحدث عِيسَى بن عَليٍّ الرَّحى المعْرُوفةَ برَحى أمِّ جعْفرٍ[b] قطع نهر كَرْخَايَا وجعل يسْقِي رُسْتَاقَ الكَرْخِ من نَهْرِ رُفَيْل، وما كان على الصَّراةِ من شَرْقِيِّها فهو بَادُورَيَا وما كان غَرْبيِّها فهو من طسُّوجِ قُطْرُبُّل.

قال: ومن حدِّ القَنْطَرةِ الجَدِيدةِ وشارع طَاقِ الحَرَّانيِّ إلى شارع بَابِ الكَرْخِ منْسُوب إلى القَرْيةِ المعْرُوفةِ للعَامَّةِ: مقْبَرةُ بابِ حَرْب، ثم مقَابِر الـمُسَيَّبِ، ثم مقَابِرُ بابِ التِّبنِ، ثم مقَابِر الكُنَاسةِ، ثم المقَابِر التي تلي بَابِ الكُوفَةِ.

---

[a] في الأصل: الصبنيات، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

[b] كما في الأصل وياقوت؛ وفي الخطيب البغدادي: «برحى المعروف بأبي جعفر».

---

[1] نسبة إلى ياسر مولى زبيدة زوجة هارون الرشيد. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٥.

[2] محلّة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محوّل. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٦٢-٣٦٣.

[قطائع بغداد]

[٣٩و] وأَقْطعَ المَنْصُور قوَّادَهُ في أَرْبَاضِ المَدِينةِ شَوارِعَ تُنْسبُ إليهم. فأَوَّلُ ذلك ممَّا يلي السُّورَ من الجَانبِ الغَرْبِيِّ: رَبَضُ حَرْبِ بن عَبْدِ الله[a] البَلْخِيِّ، وكان يتَولى شُرْطَةَ جَعْفَر بن أبي جَعْفَر، وجَعْفَرُ إذ ذَاكَ يَتَقَلَّدُ المَوْصِلَ، وإليه تُنْسبُ الحَرْبِيَّةُ، وقتِلَ في سنة سبع وأربعين ومائةٍ، قتَلَتْهُ التُّرْكُ، ويتَّصِلُ برَبضِ حَرْبٍ ربَضٌ يُنْسَبُ إلى المَرَاوِزَةِ[1]، ثم ربَضُ التَّرْجُمَانِ بن صَالِحٍ[b]، ثم ربَضٌ يُنْسبُ إلى عَتِيك بن هِلَالٍ الفَارِسيِّ، وله في الدَّوْلةِ آثارٌ وأخبَارٌ، وله في المدِينةِ أيْضَاً دربٌ يُنْسبُ إليه. ثُمَّ مُرَبَّعةُ أبي العَبَّاسِ الفَضْلِ بن سُلَيْمَانَ الطُّوسِيِّ، وكان من النُّقَباءِ السَّبْعِينَ[2].

ثم يتَّصِلُ بمُرَبَّعةِ أبي العبَّاسِ الشَارِعُ المتَّصِلُ ببَابِ الشَّامِ. ثم مرَبَّعةُ شَبِيب بن وَاجٍ المَرْوَرُوذِيِّ[3]، وعن يَسَارِهَا إقْطَاع أبي العَبَّاسِ الطُّوسِيِّ وربَضُه وغَلَّاتهُ ومُسْتَقرُّ إقْطَاعِهِ، وعن يَمِينِها السُّوقُ النَّافِذةُ إلى دَرْبِ الرَّوَّاسِينَ.

---

[a] في الأصل: حرب بن عبد الملك، والتصويب من تارخ بغداد، ومعجم البلدان.

[b] كما في الأصل وياقوت؛ وفي الخطيب البغدادي: الترجمان بن بلج.

---

[1] محلة كانت ببغداد متصلة بالحربية، سكنها أهل مرو فنسبت إليهم، وذكر ياقوت أنها قد خربت. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٩٦.

[2] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٩٩.

[3] أحد القادة في أيام المنصور، كان ممن شارك في قتل أبي مسلم الخراساني. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٦٥.

والشَّارِعُ النَّافِذُ إلى بُسْتَانِ القِسِّ[١]، وهذا البستان قبل أن تبنى بغْدَاد، ثم المَعْطَفُ إلى بابِ الكُوفَةِ، وعن يمين هذا المَعْطَفِ بابُ الكُوفَةِ والسُّوقُ المَنْسُوبةُ إلى عبْدِ الوَهَّابِ بن إبْرَاهِيمَ بن مُحَمَّد الإمَامِ[٢].

والمَقَابرُ الشَّارِعةُ بين الطَّرِيقيْنِ لأهْلِ المدِينةِ. وهناك الرَّبضُ المَنْسُوبُ إلى زُهيرِ بن المُسَيَّب الضَّبِّيِّ[٣]، وهو النَّافِذُ إلى طَرِيقِ الأنْبَارِ.

وقال مُحَمَّد بن عَطَاءِ السَّامِيِّ[a)][٤]: إقْطَاعُ زُهيرِ بن المُسَيَّبِ في شارع بابِ الكُوفَةِ ما بين حدِّ دَارِ الكِنْدِيِّ إلى حدِّ سُوَيْقَةِ عَبْد الوَهَّابِ بن إبْرَاهِيم[٥] إلى داخِل المقَابرِ. وإقْطَاعُ القَحاطِبةَ من شارع بابِ الكُوفَةِ إلى بَابِ الشَّامِ.

[a)] في الأصل: الشامي. والتصويب من ابن ماكولا: الإكمال.

---

[١] نسبة إلى قس كان موجودًا قبل بناء بغداد. انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٨.

[٢] صاحب سويقة عبد الوهاب ببغداد، ولي الشام لأبي جعفر المنصور، وكان عظيم القدر مات بالشام سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٧١.

[٣] زهير بن المسيب الضبي، أحد رجالات الدولة العباسية، كان مع المأمون في ثورته على الأمين، إلى أن ظفر المأمون. واستعمله الحسن بن سهل على جوخي [بين خانقين وخوزستان] فلما قامت الفتنة على الحسن ببغداد وامتدت إلى الأطراف أسر فيها وقتل ذبحًا سنة ٢٠١هـ/٨١٦م. انظر في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٧٦-٤٧١؛ الجهيشياري: الوزراء والكتاب، ص٣٠٢-٣٠٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٢٩-٥٤٨.

[٤] من بني سامة بن لؤي، كان في صحابة هشام بن عبد الملك، ثم صار في صحابة أبي جعفر المنصور. انظر في أخباره: الدارقطني:المؤتلف والمختلف، ج٤، ص٢٠٤٣؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف، ج٢، ص٥٨.

[٥] محلة قديمة بغربي بغداد، تنسب إلى عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٨.

وجِهَار سُوقِ الهَيْثَمِ[١]، منسُوبٌ إلى الهَيْثَم بن مُعَاوِيَةَ[٢] [من] بعضِ قُوادِ الخُرَاسَانِيَّةِ. وممَّنْ أقْطَعهُ المنْصُور في الشارع المعْروفِ بدُورِ الصَّحَابةِ أبو بَكْرٍ الهُذَليُّ[٣] وله دربٌ هناك ومَسْجِدٌ منسوبٌ إليه.

وقال أحْمَدُ بن الهَيْثَم بن فِرَاس[٤]: كانت (دَارُ البِطِّيخِ)[٥] قبل أنْ تُنقَل إلى الكَرْخِ في دَربٍ يُعرفُ بِدَرب الأسَاكِفةِ، وإلى جانبهِ دربٌ يُعرفُ بِدربِ الحَبْرِ، فنُقِلت من هذا المكان إلى موْضِعها بالكَرْخِ [٣٩ظ] في أيَّامِ المهْدِي، ودخَلتْ هذه الدُّروبُ فيما بعد في الدُّورِ التي ابتاعَها أحْمَدُ بن مُحَمَّد الطَّائيُّ[٦] وجعَلها دُورًا له ولحَاشِيتهِ واصْطَبلاتٍ[٧].

---

[١] جهار سوق: تعريب الاسم الفارسي شهارسوج، وهو اسم الهيثم بن معاوية القائد. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٨.

[٢] العتكي الخراساني الأصل، ولاه المنصور مكة، والطائف سنة ١٤١هـ/٧٥٨م، ثم تولى البصرة نحو سنة. توفي ببغداد سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٤٦-٥٠.

[٣] تقدمت ترجمته: ص١٧٥.

[٤] أبو عبد الله، صاحب روايات وأخبار عن أبيه وعن غيره، جده فراس من شيعة بني العباس، له في أول الدولة أخبار. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص٤٢٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٥٢٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨، ص١٤٨.

[٥] محلّة كانت ببغداد كان يباع فيها الفواكه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٩.

[٦] أحد القادة الأمراء في العصر العباسي، ولاه الخليفة المعتمد مكة والمدينة ثم الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامراء وشرطة بغداد وخراج قطربل، وتوفي بالكوفة سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٨١.

[٧] قارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٢.

وكانت القَطَائعُ التي من جَانبِ الصَّراةِ ممَّا يلي بَابِ المحَوَّلِ منها قَطِيعَةٌ لعُقْبَةَ بن جَعْفَرِ بن مُحَمَّد بن الأشعَثِ[1]. ثم سُويْقةُ أبي الوَرْدِ[2] وهو عُمَرُ بن المطَرِّفِ الخُراسَانيُّ المرْوَزِيُّ، وكان يلي المظَالِمَ للمَهْدِي، وينْظُر في القَصَصِ التي تُلْقَىٰ في البَيْتِ الذي سمَّـاهُ بيتِ العَدْلِ في مَسْجِدِ الرُّصَافةِ.

ويتَّصلُ بسُويقةِ أبي الوَرْدِ ممَّا يلِي الدَّارَ المنْسُوبةَ إلىٰ الجـلُودِيِّ[3] قَطِيعةُ إسْحَاق الأزْرَقِ الشَّرويِّ[4] مولىٰ مُحمَّد بن عَليٍّ، وهي عن يمين هذه القَطِيعةِ.

وعن يَسَار سُويْقةِ أبِي الوَرْدِ البِرْكةُ المنْسُوبةُ إلىٰ زلْزَل الضَّارِب، وكان من كِرَامِ النَّاسِ في أيَّـام الـمَهْدي والهـادِي والرَّشِيدِ، وكان في موْضع البِرْكةِ قَريةٌ يقالُ لها سَال بقباء[a] إلىٰ قَصْر الوَضَّاحِ، وكان زَلْزَلٌ غُلامـاً لعِيسَىٰ بن جَعْفَر بن المنْصُور[5]، فحفَرَ هذه البِركةَ وجعَلهَـا وقْفـاً علىٰ المسْلِمينَ.

---

[a] في الأصل: شال قفيا، والتصويب من معجم البلدان.

---

[1] عقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث، توفي ببغداد سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م. انظر ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٨٧.

[2] زاد الخطيب البغدادي في تاريخه: «...إنما سميت سويقة أبي الورد؛ لأن عيسى بن عبد الرحمن كان يقال له: أبو الورد، وكان مع المنصور، فالسويقة به سميت».ج١، ص٤٠١.

[3] عيسى بن يزيد الجلودي، أقره المأمون على إمارة مصر بعد عبد الله بن طاهر، وتوفي بعد سنة ٢١٤هـ/٨٢٩. انظر في أخباره: الكندي: ولاة مصر، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ص٢٠٧-٢٠٩

[4] إسحاق الأزرق الشروي، مولى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كان من ثقات المنصور، أقطعه محلة ببغداد قرب الكرخ عن يمين سويقة أبي الورد. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج١، ص٤٠١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٦؛ وعن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس انظر:البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٨٠-٨٢.

[5] مرت ترجمتهم: ص٢٦١.

وقَصْرُ الوَضَّاح بناهُ المَنْصور للمَهْدي قبل الرُّصَافةِ والمَسْجِدِ الذي يُعرفُ بالشَّرقيَّةِ، والشَّرقيَّةُ أيضـاً قَريةٌ قَديمةٌ كانت تُسمَّى هذا الاسْمِ.

وكذلك العَتِيقةُ[1] وهي كِسْرَويَّـةٌ، والوَضَّاحُ الذي ينسَبُ إليه هذا القَصْرُ المعْروفُ بقَصْرِ الوَضَّاحِ رجُلٌ من أهْلِ الأنْبارِ تولَّى النَّفقَةَ عليه فنُسبِ إليه، وقد قيل إنَّ الوَضَّاحَ رجُلٌ من موالِـي المَنْصُور[2].

قال: والمنْصُور الذي بنَى القَنْطَرَةَ المعْروفةَ بالجَدِيدةِ[3] علَى الصَّراةِ ممَّا يلِي دُورَ الصَّحَابة وبابَ الطَّاقِ الحرَّانِي، قال: والحرَّانيُّ هو إبْرَاهِيم بن ذَكْوانَ بن الفَضْلِ الحرَّانيُّ[4]، مَوْلَى المنْصُور، قال: وكان لذَكْوانَ أخٌ يقالُ له الفَضْلَ، أعْتَقهُ مَروَانُ بن مُحمَّدٍ، وأعْتَقَ ذَكْوانَ علي بن عبد الله[5].

قال: وكان بابُ الشَّعِير[6] في القَدِيمِ مرْفَأ للسُّفنِ التي تُوافِي من المَوْصِلِ والبَصْرَةِ، وكان مَوْضِع مَسْجِدِ ابن رَغْبَانَ مزْبَلةً.

---

[1] محلة بالجانب الغربي من بغداد، سمِّيت بذلك لأنها بنيت قبل بغداد. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٨٣.

[2] قارن الخطيب البغدادي: تارخ بغداد، ج١، ص٣٩١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٤.

[3] تقدم ذكرها ص٢٣٢.

[4] انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٤ – ج١٤، ص١١١.

[5] علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد، جد الخلفاء العباسيين، من أعيان التابعين، لقب بالسجاد لكثرة صلاته، توفي سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطَبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٢-٣١٤.

[6] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٠٨.

وذكرَ بعضُ المشَايخِ الدَّهَاقِين قال: اجْتَاز بِي رجُلٌ وأنا عند [٤٠ر] المـَزبلةِ التي صارت مَسْجِدِ ابن رَغْبَانَ، وذلك قبل أنْ تُبْنىٰ بغْدَادَ، فوقفَ عليها ونظَر إليها وقال: ليأْتِيَنَّ علىٰ النَّاسِ زمَانٌ من طرحَ في هذا الموْضِعِ شيئـًا فَأَحْسنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يحمِلُ إِيَّاهُ في ثَوْبِهِ، فضَحِكتُ تعَجُّبـًا من قوله.

فما مضَتِ الأيـَّامُ حتىٰ رأيت الأمر علىٰ ما قاله.قال: وكان مَوْضِع الخُلْدِ[1] دَيْرًا فيه راَهِبٌ، وإنمَّـا اخْتَار المنْصُور نزُولهُ وبنىٰ قَصْرهُ فيه لِقِلَّةِ البقِّ، وكان عَذْبـًا طيِّب الهواء، وكان موضِعُ الحَبْسِ وما والَاهُ إِقْطَاعـًا لعَبْدِ الله بن مَالِكٍ الخُزَاعِيِّ[2] ثم صَارَ بعد ذلك في أيـَّامِ الرَّشِيدِ لمحَمَّد بن يَحْيَىٰ بن خَالِدٍ[3] ثم صَارَ جميعُ ذلك لأمِّ جَعْفرٍ في أيَّام الرَّشِيدِ وأيَّامِ الأمِينِ، والمَسْجِدُ الكَبِيرُ قُبالةَ الحبْسِ ممَّا يلي السجن الجديد مَسْجِد عبد الله بن مالك.

ثم ابْتَنتْ أمُّ جَعْفَرٍ في أيـَّامِ الأمِينِ القَصْر المعْرُوف بالقَرَار، وهو الذي أَقْطَعَهُ المتوَكِّـلُ لمحَمَّدِ بن عَبْدِ الله بن طَاهر[4] فأقْطَعَهُ محَمَّدٌ جمَاعةً من أَصْحَابِهِ.

---

[1] قصر بناه المنصور، ببغداد على شاطئ دجلة في سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٢.

[2] عبد الله بن مالك الخزاعي، والي خراسان للخليفة أبي جعفر المنصور، وكان على شرطة الهادي والرشيد، وتوفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١٥، ٤٣٢، ٤٤٧؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ٣١٥-٣١٦.

[3] محمد بن يحيى بن خالد البرمكي، تولى أرمينية في خلافة الرشيد، واشتهر بالبخل. انظر في أخباره: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ١٩٣، ٢٣٤. الخطيب البغدادي: البخلاء، عناية: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٩٥.

[4] مرت ترجمته ص٢٥٢.

وفي قَطِيعةِ أمِّ جَعْفرِ الزُّبَيدِيَّةِ[١] المَنْسُوبة إليها، وكان ينْزِلُها مَوالِيهَا وحَاشِيتُها. ثم يلي الحبْسَ دَربُ سُلَيمانَ بن أبي جَعْفرٍ، وهو منْسُوبٌ إليه، وفيه كانت دَارُهُ.

ثمَّ أقْطعَ المنْصُور قَوْماً من أهْلِ خُراسَانَ يعْرفُونَ بالبَغْيِّينَ[٢]، وهم ممَّنْ كان في الدَّولةِ، وأصْلُهُم من قرْيةٍ من قُرى مَرْو الرُّوذِ تُعرَفُ ببَغٍّ، المَوْضِع المعْرُوف بالبَغْيِّينَ، وهذا المَوْضِع أوَّلُ الدَّربِ المعْروفِ بِسَوَار ممَّا يلي دِجْلَةَ إلى آخر ربَضِ البُرْجُلانيَّةِ.

ثم قَطِيعةُ زُهَيرِ بن محَمَّدٍ وأصْحَابهِ إلى جَانبِ القَطِيعةِ المعْروفةِ بأبي النَّجْمِ، وهو أحد قُوَّادِ المنْصُورِ، وأصْلهُ من خُرَاسَانَ، وكانت أمُّ سَلمَةَ بنتُ أبي النَّجمِ هذا عند أبي مُسْلمٍ صاحبِ الدَّولةِ.

ويتَّصلُ بهذه القَطِيعةِ الزُّهَيرِيَّةُ ممَّا يلي بابَ التِّبنِ[a]، وهو رَبضٌ يعْرفُ بأصْحَابِ زُهِير بن محَمَّدٍ، قَائِدٍ من أهْلِ أبِيوَرْدَ، ومع حدِّ سُور بغْدَادَ إلى بابِ قُطْربُّل، وهو البابُ المعْرُوفُ بالبابِ الصَّغِيرِ، هذه القَطِيعةُ [٤٠ظ] وزُهيْر صَاحبُ هذه القَطِيعةِ أزْدِيٌّ من عَربَ خُرَاسَانَ[٣].

---

[a] لدى البلاذري: « الزهيرية تعرف بباب التِّبن».

---

[١] نسبة إلى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

[٢] انظر: اليعقوبي: البلدان، ص١١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ٣٠٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ٤٦٨.

[٣] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٦٢.

ويتَّصِلُ بالزُّهَيْرِيـَّةِ ربضُ أبي النَّجْمِ، وورَاءَ ذلك الخندَقُ الذي عليه القنْطَرةُ النَّافِذةُ إلى قَطِيعةِ أمّ جَعْفَرٍ. ويتَّصِلُ بالقَطِيعةِ دَارُ إسْحَاق بن إبْرَاهِيم[1]، وكانت جَزِيرةً فأقْطَعها المَأمُونُ إسْحَاقَ، فأوَّلـها يتَّصِلُ بِدار البِطِّيخِ، وآخِرُهَا بمقَابِر بابِ التِّبْنِ.

ويتَّصِلُ ببَابِ التِّبْنِ ربَضٌ يُنْسَبُ إلى أبي حَنِيفَةَ أحد قُوَّادِ المنْصُور، ثم يتَّصِلُ به مُربَّعةُ الفَضْلِ بن سُلَيْمَانَ المعروف بِالطُّوسِي، وهو من أهْلِ أبيورْدَ، وكان مخْرجُهُ في الدَّولةِ من طُوس، فعُرِفَ بالطُّوسِيِّ، وكان علىٰ شُرَطِ المنْصُور.

ثم ربَضُ عُثْمَانَ بن نُهَيْك[a] [2] وكان علىٰ حرَسِ المنْصُور، ثم تخْرُجُ من مُرَبَّعةِ أبي العَبَّاس إلى مُربَّعةِ الفُرْسِ ورَبضِهِم، وهؤلاء قومٌ من الفُرْسِ أقْطَعهُم المنْصُور هذه النَّاحِيةَ فنُسِب إليهم.

ويتَّصِلُ برَبضِ الفُرْسِ ربضُ الخُوارِزْمِيَّةِ[3] وهم من جُندِ المنْصُور، وفي شَارعِهِم دَرْبٌ يُعرفُ بِدَرْبِ النَّجارِيـَّةِ.

---

[a] في الأصل: عثمان بن سهيل، والتصويب من تاريخ خليفة ؛ ياقوت: معجم البلدان؛ وفي الخطيب البغدادي: إبراهيم بن عثمان بن نهيك.

---

[1] إسحاق بن إبراهيم المصعبي، تولى الشرطة من أيام المأمون إلى المتوكل، توفي سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م. انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٨.

[2] عثمان بن نهيك الأزدي الفراهيدي البصري، أبو نهيك، صاحب القراءات، ولاه المنصور إمارة الحرمين، وتوفي سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٩١-٥٠٦؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٤٣، ص٣٥٥.

[3] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥.

ثم ربض عَمْرو بن إِسْفَنْدِيار[١]، ثم ربَض رُشَيْدٍ، ورُشَيْد مولى المَنْصُور، وهو أبو دَاودَ بن رُشَيْد المحَدِّثُ مولى المَنْصُور، ويتلُوهُ ربَضٌ يُعرفُ بِسعِيدِ بن حُمَيد[٢] وهو نَافذٌ إلى [أنْ] يخرج إلى طَاقِ مناس.

ويتلُوهُ ربضُ سَعِيد بن المُسَيَّبِ المعْرُوفُ بطَاقِ أبي عَليٍّ، وفي طَرفِ ربَضِ زُهَيرٍ قطَائِعُ تعرفُ بالموالي، وهم من مَوالي أمِّ جَعْفَرٍ.

ويتَّصِلُ بها ربَضُ سُلَيْمانَ بن مُجَالِدٍ[a] [٣] مَوْلَى المَنْصُور وقد وَلِيَ للمنْصُور والمهْدِيِّ ولَايَاتٍ، ويتَّصِلُ به ربَضُ حَمْزَةَ[٤] بن مَالِكِ بن الهَيْثَمِ الخُزَاعِيِّ[٥].

ثم ربَضُ وزْدَان[b] بن سِنَان[٦]، وكان أحد قوَّادِ المنْصُور. وسُويقةُ الهَيْثَم بن شُعْبَةَ بن ظُهيْرٍ[٧] مولى المنْصُور.

---

[a] لدى البلاذري: «وأقطع المنصور ببغداد سليمان بن مجالد ومجالد سروي مولى لعلي بن عبد الله موضع داره»؛ ولدى اليعقوبي: «لأنه كان يتولى هذا الربع فنسب إليه»

[b] رسمت في الأصل: رزاد. والتصويب من ياقوت؛ وفي الخطيب البغدادي: ردَّاد.

---

[١] عمرو بن عثمان بن إسفنديار الكاتب. له ذكر في الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٩٦.

[٢] انظر ترجمته فيما يلي.

[٣] انظر: البلاذري فتوح البلدان، ص٤١٥؛ اليعقوبي: البلدان، ص ٣٧.

[٤] راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٥.

[٥] كان يلقب بالعروس، ولاه الخليفة هارون الرشيد على خراسان، توفي سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٥٢.

[٦] خان بشرقي بغداد ينسب إلى وردان بن سنان، وهو أحد قوّاد المنصور. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤١.

[٧] توفي سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٠.

وقال بعضُ العُلَماءِ بأمُور بغدَادَ: المَنَائِرُ[١] التي في شارِعِ الأنبَارِ، كلُّها بنَاهَا طَاهِرُ بن الحُسَينِ[٢]، وذلك أنَّه كان [في] حِصَارِهِ الأمِينَ كلمَّـا بلغَ إلىٰ مَوضِعٍ من ذلك بنىٰ فيه مَسْجِدًا أو مَنارةً.

ثم يَليِهِ ربَضُ حُمِيد بن قَحطَبَةَ الطَّائِي[٣] وكانَ أحدَ النُّقَباءِ. ثم ربَضُ نَصْرِ بن عَبْدِ الله[٤]، وهو الشَّارِعُ النَّـافِذُ إلىٰ دُجَيل [٤١و] من شَارِع بابِ الشَّامِ إلىٰ دَرْبِ السَّقَائِينَ. وعن يَمِينِه قَطَائِعُ قومٍ يعرَفُون بالسَّرخَسْيَّـةِ، وفي قطِيعَتِهم طَاقاتُ الرَّاونْدِيِّ، وهو أحدُ الشِّيعةِ من السَّرخَسِيـَّةِ، واسمهُ محمَّد بن الحسَنَ، وكان صِهرًا لعَلِيِّ بن عِيسَىٰ بن مَاهَان[٥] علىٰ أخته.

وفي الشَّارع المنسُوبِ إلىٰ أبِي حنِيفَةَ، دارُ عُمارةَ بن حَمْزةَ، وكان أحدَ البُلَغَاءِ[٦]، وهو من ولد أبي لُبَابَةَ مَوْلىٰ رسُول الله ﷺ ودَارُ عُمَـارةَ إقْطَاعٌ من المنصُور.

---

[١] انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٨.

[٢] طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن أسعد بن زاذان، أبو طلحة الخزاعي، والي خراسان، وجه به المأمون إلى بغداد لمحاربة أخيه الأمين، فظفر به وقتله، ولقبه المأمون ذا اليمينين، وتوفي بمرو سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤٨٣.

[٣] توفي سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٢٧-١١٦؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٦.

[٤] راجع: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٧.

[٥] أحد رجالات الدولة العباسية الأقوياء، ولاه هارون الرشيد الشرطة وديوان الخاتم، وولي للأمين أقاليم الجبل وهمذان وأصبهان وقم. وقتل في الري سنة ١٩٥هـ/٨١٠م انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٧-٤٦٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٤٠٠-٤٠٧.

[٦] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠١؛ ج١٤، ص٢١٦.

وكانت من قبلُ أنْ تُبْنَى بغْدَادُ بُسْتاناً لبعضِ مُلوكِ [الفُرْسِ][a][1]. ويتصل بها ربض أبي حنيفة[2]. ثم ربَضُ إبْراهِيمَ بن عُثْمانَ بن نُهيك[b][3] وهو ما بين دَارِ عُمَارة ومَقَابِرِ قُريشٍ.

ثم طَاقَاتُ العَكِّيِّ[4] في الشَّارع النَّافِذِ إلى مُربَّعَةِ شَبِيبِ بن وَاجٍ[5] في ربَضٍ يعرفُ بِربضِ الحَرَسِ، والعَكِّيُّ اسمه مُقَاتِل بن حَكِيمٍ، وأصلُهُ من الشَّامِ، ومخرجُهُ من خُرَاسَانَ من مَرْو، وهو من السَّبْعِينَ، وله قَطِيعةٌ في المدِينةِ بين بابِ البَصْرَةِ وبابِ الكُوفَةِ ودربٌ ينْسبُ إليه إلى اليَومِ.

ويقال أنْ أوَّل طَاقاتٍ بُنيتْ في الرَّبضِ ببغْدَادَ طَاقَاتُ العَكِّيِّ، ثم طَاقَاتُ الغِطْريفِ[6]، وهو الغِطْرِيفُ بن عَطَاءٍ، وكان أخا الخَيْـزُرانِ خال مُوسَى الهَادِي والرَّشِيدِ.

---

[a] ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

[b] كذا في الأصل وتاريخ بغداد؛ وفي ياقوت: عثمان بن نهيك.

---

[1] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢٢.

[2] أبو حنيفة أحد قواد المنصور وليس بصاحب المذهب. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٥.

[3] إبراهيم بن عثمان بن نهيك العكي، ولاه الرشيد الحرم والأموال والخزائن والعسكر بالرقة، وقتله سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٧٧-٣١٠.

[4] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٤؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٥.

[5] تقدمت ترجمته ص٢٦٥.

[6] كان الغطريف بن عطاء يدّعي نسبًا في بني الحارث بن كعب، وأخته الخيزران جارية مولدة لسلمة بن سعيد اشتراها من قوم قدموا من جرش. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٥.

ثم طَاقَاتُ أبي سُوَيْدٍ[١]، واسمهُ الجَارُودُ، ممَّا يلي مقَابرَ بابِ الشَّام، وقطيعتهُ وربَضُهُ هناك. ويتَّصِلُ به ربَضُ العَلاءِ بن مُوسَىٰ الجُوزجَاني[٢] مما يلي الدَّربَ المعْروفَ بأبِي حَيَّةَ[٣]، وهو الشَّارِعُ النَّـافِذُ إلىٰ دَرْبِ السَّقَّائِينَ.

ثم ربَضُ أبي نَعِيم مُوسَىٰ بن صُبَيْحٍ[٤]، من أَهْلِ مَرْوَ من قُوَّادِ المنْصُور، وفيه الموْضِع [الذي] يقال[له] شَيْرَويه[٥]، وشَيْرَويه مجُوسِيٌّ من دهَاقِين بغْدَادَ القُدمَاءِ.

وربَضُ أبي عَونٍ[٦] في شَارعِ دارِ الرَّقِيقِ، و اسمهُ عبْدُ المَلِكِ بن يَزِيدٍ[a]، في الدَّرْبِ النَّـافِذِ إلىٰ دَارِ عبْدِ الله بن طَاهِرٍ، وكان أبو عَونٍ من مَوالي المنْصُور وكان يتَولَّىٰ له مِصَر ثم عُزِلَ عنها.

وقَصْرُ عَبْدَويه[٧] ممَّـا يلي بَراثَـا منسُوبٌ إلىٰ عَبْدَويه الأزْدِيِّ وهو من وجُوهِ رجَالِ الدَّولةِ، وإنَّـما كان المهْدِي صَيَّر إليه النَّفقةَ علىٰ هذا القَصْرِ فنُسبِ إليه، وقَصْرُ هَانِئ منْسُوبٌ إلىٰ [٤١ظ] هَانِئ بن بَشِير[٨] وكان يتولَّىٰ للمَهْدِي ديوَانَ الخَراجِ.

---

[a] في الأصل: عبد الملك بن زيد، والتصويب من تاريخ بغداد؛ ياقوت.

---

[١] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٥.

[٢] لم أجد له ترجمة.

[٣] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٥.

[٤] أبو نعيم موسى بن صبيح، يقال إنه خال الفضل بن الربيع. انظر: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٥.

[٥] ذكر الخطيب البغدادي أن «شيرويه» اسم موضع في ربض أبي نعيم موسى بن صبيح. تاريخ بغداد ج١، ص٣٩٥.

[٦] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥.

[٧] انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠١.

[٨] لم أجد له ترجمة.

والرَّهِينِيَّةُ كانت قطَائِع لقومٍ أُخِذُوا رهِينةً من بعضِ البُلْدانِ في أيـَّامِ المَنْصُور[١]، فلم يزالوا بها إلى أيـَّامِ الرَّشِيدِ، ثم خرجوا مع طَاهِرِ بن الحُسَيْنِ[٢] إلى خُراسَان في أيَّام المَـأمُونِ، فلم يبقَ منهُم أحدٌ وخَرِبت منَازِلهُم إلى اليوم.

و[أمَّا] الرَّهِينِيَّةُ فمُتَّصِلةٌ بربضِ نُوحِ بن فَرْقَد، أحدِ قُوَّادِ المَنْصُور، وهو في طَرَفِ بِغْدَادَ، ممَّـا يلي مَسْجِدَ طَاهِرِ الذي بناهُ هناك أيَّامَ فِتْنةِ الأمِين.

وصَحْرَاءُ قِيرَاط[٣] منسُوبةٌ إلى قِيرَاط مولى طَاهِر بن الحُسَيْنِ، وكان[ابنه][a] عِيسَى بن قِيرَاط من أشْرَافِ المَوالي، وله هناك مَسْجِدٌ يعرف به، ودُوَيْرةُ مُباركٍ ممَّـا يلي شَارعَ بابِ الأنْبَار، ومُبَاركٌ من مَوَالي المَنْصُور، وهناك ربضٌ يعرفُ بالخُوارِزْمِيةِ.

وفي طَرِيقِ بابِ الأنْبَار ربضُ سَعِيد بن حُمَيد بن دَعْلَج، وكان سَعِيدٌ يتولَّى شُرطَ المَنْصُور سنة ستٍّ وخمسِينَ ومائةٍ، وتولَّى البَصْرَةَ بعد ذلك[٤]، وفي طَرفِ بابِ الأنْبَار منَارةُ الحَكَم بن مَيْمُون مولى عَامِرِ بن دُلجَةَ، أحد بني السَّيِّد بن مَالِكِ بن بَكرِ بن سَعْدِ بن ضَبَّة، وعَامِر بن دُلجَةَ، ويحيَى أخوهما عَرْقَبا جملَ عَائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا بالبَصْرَة فهدأت الحَرْبِ.

---

[a] الزيادة من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

---

[١] انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠١.

[٢] تقدمت ترجمته ص١٠٦.

[٣] انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠١.

[٤] تولى سعيد بن حميد دعلج للمنصور شرطة البصرة والجوالي وصدقات أرض العرب ، ثم ولاه البحرين سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م، ثم ولاه المهدي سنة ١٦٢هـ طبرستان والرويان. راجع تاريخ الطبري ج٨ ص٥١. ٥٢،١٤٢.

والعَبَّاسِيةُ[١] منْسُوبةٌ إلىٰ عَبَّاسِ بن محُمَّدِ بن عَلِيٍّ ابن عَبْدِ الله بن العَبَّاسِ. وكان بعضُ القُوَّاد يذْكُرُهَا ويقول: عَزْمِي أنْ أسْتَقْطِعَهَا من أمِيرِ المُـؤْمنِين، ثم قَدمِ العَبَّاسُ علىٰ المنْصُور فاسْتَقْطَعَهَا منه فأقْطَعه إيَّـاها وجعلَ مُؤدىٰ[a] خَراجها بمِصْرَ، فاتخذ بها العَبَّاسُ زِنْجـًا كانوا ينْسَبونَ إليه، فيقال: زِنْج العَبَّاس.

وهو أوَّلُ من زَرعَ فيها البَاقِلاء، وكان بَاقِلاؤها نهايةً [فقيل له][b] البَاقِلاء العَبَّاسِي، وكانت تُدْعَىٰ جَزِيرةَ العَبَّاس لأنَّها بين الصَّراتَين. ومن أجل بَاقِلائِها وجوْدَتِهِ صَارَ البَاقِلاءُ الرَّطْبُ في كلِّ موضعٍ يقال له العَبَّاسِيَّ[٢].

وقال رجُلٌ من ولدِ عُمارة بن حَمْزَة: كانت دَارُ عُمارة[٣] ورَحْبَتهُ ضَيِّقةً، فأرَادَ أن يَسْتَقطِع العَبَّاسِيَّةَ منه، فسَبقَهُ العَبَّاسُ بن محَمَّدٍ فاسْتَقْطَعهَا فأقْطَعهُ إيـَّاها.

ويُروىٰ أيضـًا أنَّ مُوسَىٰ [٤٢و] بن كَعْب[٤]- وكان من أجَلِّ قُوَّادِ المنْصُور- كان ضَيِّقَ الدَّارِ والرَّحْبةَ، فزَارهُ العَبَّاسُ بن محَمَّدٍ، فلمَّـا نظرَ إلىٰ ضِيقِ منْزِلهِ قال: ما لمنْزِلكَ في نهايةَ الضِّيقِ والنَّاسُ في سعةٍ؟!.

قال: قدمتُ وقد أقْطَع أمِيرُ المُـؤْمنِينَ النَّاسَ منازهُم وعزْمِي أنْ أسْتَقْطِعهُ هذه الرَّحْبَةَ التي بين يدي المدِينةِ، يعني العَبَّاسِيَّـةَ. فسكت العبَّاسُ وانْصرفَ من عنده

[a] لدى ياقوت: يؤدي.

[b] في الأصل: فقال. والتتمة من ياقوت.

[١] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٥، ٤١١.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٧٦.

[٣] سبق ذكرها: ص١٠٧.

[٤] أحد نقباء بني العباس، ولي إمارة مصر للمنصور، وتوفى سنة ١٤١هـ/٧٥٨م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥١١؛ الكندي: ولاة مصر، ص١٢٨-١٢٩.

إلى المنْصُور، فقال يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ تُقْطِعني هذه الرَّحْبةَ التي بين يدي مدِيتَكِ. قال: قد فعلتُ. فانصَرفَ ومعهُ التَّوقِيعُ بإقْطَاعِها، وصَار مُوسَىٰ بعد خُروجِهِ إلى المنْصُور فأعْلَمهُ ضِيقَ منْزِلِهِ وأنَّه لا قطِيعةَ له وسألهُ أنْ يُقْطَعهُ إيّـاها، فقال له: هل شَاورْتَ فيها أحدًا قبل أن تسألني؟ قال: لا، إلَّا العَبَّاس بن مُحَمَّدٍ كان عندي آنِفـًا فأعْلَمتُه إني أريدُ اسْتِقْطَاعَها منك. فتبسَّم المنْصُور وقال: قد سَبقكَ واسْتَقطَعِني إيّـاها فأجْبتهُ إلى ذلك. فأمْسَك عنها مُوسَىٰ بن كَعْبٍ ولم يذكُرهَا.

وذكر بعضُ المشْيَخةِ قال: رأيتُ السِّجلَّ بإقْطَاعِ العَبَّاسِ وفيه: إنَّك سألتَ أمِيرَ المُـؤْمنِينَ إقْطَاعكَ السَّاحةَ التي كانت مضربـًا للبنِ مدِينةِ السَّلامِ، فأقْطَعكَها أمِيرُ المُـؤْمنِينَ علىٰ ما سألتَ وضَمِنتَ[1].

وقصر عِيسَىٰ منْسُوبٌ إلى عِيسَىٰ بن عليٍّ بن عَبْدِ الله وهو أوَّلُ قَصرٍ بناهُ الهَاشِميُّونَ ببغْدَادَ في أيـَّامِ المنْصُورِ.

ورُوِيَ أنَّ المنْصُور زَارَ عِيسَىٰ بن عَليٍّ، ومعه أرْبَعةُ آلافِ رجُلٍ[(a] [فتَغدَّىٰ عنده وجميعُ خَاصَّتهِ ودفع إلى كلِّ رجُلٍ] [a)] من الجُنْدِ زَنبِيلًا فيه خُبْزٌ ورُبعُ جَذْيٍ ودجَاجةٌ وبيْضٌ ولحْمٌ بارِدٌ وحَلْوىٰ، فانْصَرفوا كلُّهم مُسَمِّطِين[2] ذلك.

فلمَّـا أرادَ المنْصُور أنْ ينْصَرفَ قال لعِيسَىٰ: يا أبا العَبَّاسِ، لي حَاجةٌ، قال: وما هي يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ فأمْركَ طَاعةٌ.

[(a-a)] ساقطة من الأصل، والتكملة من ياقوت.

---

[1] أورد ياقوت الحموي مادة العباسية في معجم البلدان منقولة بتمامها من ابن الفقيه دون أدنى إشارة.

[2] أي حملوها على ظهورهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: س م ط] ج٧، ص٣٢٤.

قال: تَهَبُ لي هذا القَصْرَ. قال: ما بي ضَنٌّ عنك به، ولكن أكْرهُ أنْ يقول النَّاسُ: إنَّ أمِيرَ المُـؤْمنِينَ زَارَ عمَّهُ فأخْرَجهُ من قصْرِهِ وشرَّدهُ وشرَّدَ عيَالهُ، وبَعْد فإنَّ فيه من حَرمِ أمِيرِ المُـؤْمنِينَ ومَوَاليه أربعَةُ آلافِ نفْسٍ، فإنْ لم يكن بُدٌّ من أخْذهِ، فليَأمُر لي أمِيرُ المُـؤْمنِينَ بفَضَاءٍ يَسَعُني[٢٤ظ] ويَسَعُهُم، أضْرِبُ فيه مضَاربَ وخِيَمـاً، أنقلهم إليها إلىٰ أن أبْنِي لهم ما يُوارِيهِم.

فقال له المَنْصُور: عمَّر اللهُ بك منْزِلكَ يا عمٌ، وبارَك فيه. ثم نهَض منْصَرِفـاً[1].

[a]وقَنْطَرةُ بني زُرَيْق منْسُوبةٌ إلىٰ قومٍ من دهَاقِينَ بغْدَادَ[a][2] كان يقَالُ لهم بني زُرَيْق، لهم نَسبٌ معْروفٌ.

وقَنْطَرةُ المـَعْبَديّ[3] منْسُوبةٌ إلىٰ عَبْدِ الله بن محَمَّد[b] المَعْبَديّ وكان له هناك إقْطَاعٌ وهو الذي بنىٰ هذه القَنْطَرةَ علىٰ النَّهر مع رحَىً اتخذها هناك، وكانت [دَارهُ] [c] في هذا المكان فصَارتْ بعد ذلك لمحَمَّد بن عَبْدِ الـمَلِكِ الزَّيـَّاتِ[4]، وجعلها بُسْتَانـاً فقُبِضَت مع ما قُبِضَ من أمْلاكِهِ، ثم اشتَرَاها قومٌ من الكَرْخِيِّـينَ وغيرهم.

(a-a) في تاريخ بغداد: «قنطرة بني زريق لدهاقين من أهل بادوريا».

(b) كذا في الأصل وياقوت؛ وفي تاريخ بغداد: عبد الله بن معبد.

(c) ساقطة من الأصل، والتكملة من ياقوت.

[1] نقلها ياقوت الحموي من ابن الفقيه الهمداني أيضـاً في مادة نهر عيسى ولم يشر.

[2] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٦.

[3] قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٤٠٧.

[4] محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفة الواثق والمتوكل، توفى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٥٥ – ١٥٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٥٩٣.

والنُّوبخْتِيَّةُ إقْطَاعٌ من المنْصُور لنُوْبَخْت[a] لَـمَّا حكَمَ بـأنَّ أمـرَ محَمَّـد وإبْـرَاهِيمَ ابني عَبْد الله بن حَسن بن حَسَنٍ ـ عَلَيهِمُ السَّلامُ ـ لا يَتمُّ. وهناك دربٌ يعرفُ بِدربِ النَّاووسِ[1]، كان فيه نَاووسٌ قديمٌ فنُسبَ إليه.

[رحـا البَطْريق]

وقَال أبو زَكَرِيَّـاءَ[2]: دخَلتُ علىٰ أبي العَبَّاسَ الفَضْلِ بن الرَّبيعِ[3] يوْمـًا، فوجَدتُ يعْقُوبَ بن المَهْدِي عن يَمِينهِ، ومنْصُور بن المَهْدِي عن يسَارهِ، ويعْقُوبَ بن أبي الرَّبيعِ[b] عن يَمِينِ يعْقُوبَ بن المَهْدِي، وقَاسِم أخوهُ عن يسَارِ منْصُورِ بن المَهْدِي، فسَلَّمتُ وأوْمأ بيدِهِ إليَّ بالانصِرافِ[c] وكان من عَادَتهِ إذا أرَادَ أنْ يتَغدَّىٰ معهُ أحدٌ من جُلسَائِهِ أو أهْلِ بيتِهِ، أمر غُلامـًا له، يُكنَىٰ أبا حِيلَةَ[d]، برَدِّهِ إلىٰ مجْلِسٍ في دارِهِ حتىٰ يُحضِر غَذاءهُ ويَدعُو به.

---

[a] في الأصل: لمن بخت.
[b] لدى ياقوت: يعقوب بن الربيع.
[c] في الأصل: إلى الانصراف، والتصويب من: ياقوت.
[d] في الأصل: أبا حلبة، والتصويب من: ياقوت.

---

[1] الناووس: مقابر للنصارى، تابوت من حجر ونحوه تجعل فيه جثة الميت. انظر: ابن سيدة: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، بيروت، ١٩٩٦م، ج٣، ص٣٢٠؛ المعجم الوسيط: منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٢، ص٩٦٢.

[2] يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، من مصادر ابن الفقيه التي صرح بها، وقد مر ذكره. ص٩٥.

[3] الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، أبو العباس، حاجب هارون الرشيد، ومحمد الأمين. توفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٣٠٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠٩.

قال: فخَرجتُ فرَدَّني أبو حِيلةَ[a]، فدخلتُ فإذا مُوسَىٰ بن عِيسَىٰ[١] فقال لي: أمَّا أنت فقد علِمْنا أنَّك رُدِدتَ إلى الغَذاءِ ولكنَّ الشَّأنَ في غيرِكَ. فقلت: أنت الذي لا يُقدمُ عليك أحد.

قال: وجلسْنَا حتىٰ حضرَ الغَداءُ، فأحْضَرني وأحْضَر كُتَّابهُ وكانوا أرْبعةً: مُوسَىٰ بن عِيسَىٰ بن أبِرُوز، وعبْدُ الله ابن أبي نُعَيمِ الكَلْبِيُّ، ودَاودُ بن بَسْطَامٍ، ومحَمَّد بن الـمُخْتَارِ.فلمَّا أكَلنْا جَاؤوا بأطْبَاقِ الفَاكهةِ، فقدَّمُوا إلينا طَبقًا فيه رُطبٌ [٤٣و] فأخذَ الفَضلُ منه رُطبةً فناوَلها يَعْقُوب بن المَهْدِي وقال له: إنَّ هذا من بُسْتانِ أبي الذي وهبهُ له المنْصُور.

فقال له يَعْقُوبُ: رحِمَ اللهُ أباكَ، فإنِّي ذكرتهُ أمس، وقد اجْتَزتُ علىٰ الصَّراةِ برحىٰ البَطْرِيقِ، فإذا أحسَنُ مَوضعٍ وإذا الدُّور من تحتها والسُّوقُ من فوقها ومَاءٌ غَزيرٌ حادُّ الجَريةِ.[فقال له] [b]: فمن البِطْريقُ الذي نُسِبتْ هذه الرَّحىٰ إليه[٢]، أمِنْ مَوالِينَا [هو] [b] أمْ من أهْلِ دَوْلتِنَا، أمْ من العَربِ؟!

قال: فقال الفَضلُ: أنا أحَدِّثكَ حدِيثهُ: لَمَّا أفْضَتِ الخِلافةُ إلى أبِيكَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَدم عليه بِطْريق أنْفَذهُ مَلك الرُّوم مُهنِّئًا له، فأوصَلْناه إليه وقرَّبْناه منه.

---

[a] في الأصل: أبا حلبة، والتصويب من ياقوت.

[b] زيادة من ياقوت.

---

[١] موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي، من آل العباس، ولي الحرمين للمنصور والمهدي مدة طويلة، ثم ولي اليمن للمهدي، ومصر والكوفة للرشيد، توفي سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة، ص٤٤١-٤٥٦؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٨٠.

[٢] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٦.

فقال المَهْدِي للرَّبيعِ: قُل له يتكَلَّم. فقال الرَّبيعُ لتُرجَمَانِهِ ذلك فقال: هو بَريءٌ من دِينِهِ، وإلَّا فهو حَنيفٌ مُسلمٌ إنْ كان قدِمَ لدِينَارٍ ولا دِرْهَمٍ ولا لعَـرَضٍ من أعْراضِ الدُّنيا، ولا كان قُدومهُ إلَّا شَوْقـاً إلىٰ وجْهِ الخَليفةِ، وذلك أنَّـا نجدُ في كُتبنا أنَّ الثَالثَ من أهْلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ، يمْلَأُهَا عَدلًا كما مُلِئت جورًا، فجِئتُ اشْتِياقًا إليه.

فقال المَهْدي للرَّبيعِ: قُل للتُّرجُمانِ يقول له: قد سرَّني ما قُلتَ ووَقعَ مني بحيثُ أحْبَبتُ، ولك الكرَامةُ ما أقمتَ والحِباءُ إذا شَخصتَ، وبِلادُنا هذه بِلادُ رِيفٍ وطِيبٍ، فأقِم ما طَابتْ لك، ثم بعد ذاك فالإذْنُ إليك.

وأمرَ الرَّبيعَ بإنْزالِهِ وإكْرامِهِ، فأقَام أشهُرًا، ثم خرجَ يوْمـًا يتنزَّهُ ببَرَاثَا وما يَليهَا، فلمَّـا انْصَرفَ اجْتَازَ علىٰ الصَّراةِ فلمَّـا نظَر إلىٰ مكَانِ الأرْحَاءِ وقفَ سَاعةً يتأمَّلُهُ، فقال له الـمُوَكَّلونَ به: قد أبطأتَ فإنْ كانت لك حَاجةٌ فأعلِمنا إيـَّاها، فقال: شيءٌ فكَرتُ فيه، وانْصَرفَ، فلمَّـا كان العَشِيُّ راحَ إلىٰ الرَّبيعِ فقال له: أقْرِضنِي خمْسَ مائةِ ألفِ دِرْهمٍ. قال: وما تَصْنعُ بها؟! قال: أبنِي بها لأمِيرِ الـمُؤْمنِينَ مُسْتَغلًا يؤَدِّي في السَّنةِ خمْسَ مائةِ ألفِ دِرْهمٍ. فقال له الرَّبيعُ: وحَقِّ المَاضِي، صَلَواتُ الله عليه، وحيَاة البَاقِي أطالَ اللهُ بقاءَهُ [٤٣ظ] لو سألْتَني أنْ أهَبهَا لغُلامِكَ ما خَرجتَ إلَّا [و] معه، ولكنَّ هذا الأمرَ لابُدَّ من إعْلَامِ الخَليفةِ إيـَّاهُ.

قال: قد عَلِمتُ أنَّ ذاكَ كذلكِ. قال: ودخلَ الرَّبيعُ إلىٰ المَهْدي فأعْلمهُ. فقال: ادْفعْ إليه خمْسَ مِائةِ ألفٍ وخمْسَ مائةِ ألفٍ، بل ادفع إليه جَميعَ ما يُرِيدُ بغيرِ مُؤامرَةٍ.

قال: فدَفعَ ذلك الرَّبيعُ إليه، فبنَىٰ الأَرْحاءَ الـمَعْروفةِ بأَرْحَاءِ البَطْرِيقِ. فأمرَ المَهْدِي أنْ تُدْفَع غلَّتُهَا إليه. فكانت تُحملُ إليه إلى سنةِ ثَلاثٍ وستِّينَ ومائةٍ، فإنَّه مات، فأمَرَ المَهْدِي أنْ تُضمَّ إلى مُسْتَغلِّهِ.

قال: وكان اسمُ البَطْرِيقِ طَارَاثَ[a] بن اللَّيثِ بن العَيْزَارَ بن طَرِيفِ بن قُوقِ بن مُوْرِق[b]، و مُوْرِقُ كان الملِكَ في أيـَّامِ مُعَاوِيةَ[1].

وقال[أحمَدُ بن][c] الخَلِيل بن مَالكٍ[2]: [d][عن أبيه، قال][d]: كان المَنْصُور قد أمرَ بِعقدِ ثَلاثةِ جسُورٍ: جسر يعْبرُ النَّاسُ عليه، وجِسر يرجَعونَ فيه، وجِسر في الوسَطِ للنِّسَاءِ، وعقدَ بعد ذلك ببابِ البُستَانِ جِسرينِ، جِسرٌ له ولوَلدِهِ، وجِسرٌ لخَدمِهِ وحَشمِهِ. وعقدَ الرَّشِيدُ بعد ذلك عند بابِ الشَّمَّـاسِيَّةِ[3] جِسرَيْنِ.

(a) في الأصل: طافات، والتصويب من تاريخ بغداد ، ياقوت.

(b) في معجم البلدان : مروق

(c) ساقطة من الأصل والتكملة من الخطيب: تاريخ بغداد.

(d_d) ساقطة من الأصل والتكملة من تاريخ بغداد.

[1] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه من ابن الفقيه دون أدنى إشارة، بل أنه عندما ذكر الخبر قال: «..حدث أبو زكرياء ولا أعرفه...» وهو نفس المصدر الذي صرح به ابن الفقيه. وكان من الأولى أن يشير إلى ابن الفقيه الذي يعرفه وينقل عنه. قارن: معجم البلدان، ج٣، ص٣١-٣٢.

[2] أحمد بن الخليل بن مالك بن ميمون بن سعيد، أبو العباس، مولى علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يمامي الأصل ويعرف بحور. حدث عن أبي بكر بن عياش - أحد مصادر ابن الفقيه - لم أقف على سنة وفاته. انظر في ترجمته وأخباره: الدارقطني: الضعفاء والمتروكين، تحقيق: عبد الرحيم محمد القشقري، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨٥م، ص٢٥٥؛ تاريخ بغداد، ج٥، ص٢١٥.

[3] الشماسية: تنسب إلى بعض شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١.

وكان لأمّ جَعْفرٍ[a] جِسرٌ عند مشْرَعةِ فرَجِ الرُّخْجِيِّ[١] بالقُرْبِ من سُويقَةِ قَطُوطَا، فلم تزل هذه الجُسورُ قائمَةً إلى أنْ قُتلَ محَمَّدُ ابن زُبَيدةَ[٢]، ثم عُطِلتْ إلّا الثلاثةُ المنْصُوريَّةُ القَديمةُ التي عند مجْلِسِ الشُّرطةِ، فإنَّها باقِيةٌ إلى وقْتِنا هذا[٣].

قال: وطَاقُ أسْماءَ بالجَانِبِ الشَّرقِيِّ، منْسُوبٌ إلى أسْماءَ بنتِ المنْصُور، وهذا الطَّاقُ كان طَاقـًا عَظِيمـًا، [b] وكان في دَارِهَا التي صَارتْ لعَلِيِّ بن الجَـهشِيـار[٤] بمَشْرعَةِ الصَّخر[b]، أقْطَعهُ إيَّاهَا الـمُوَفقُ ثم أقْطَعها أذكُوتكِينَ بن أساتكِينَ[٥].

وعند طَاقِ أسْماءَ كان مجْلِس الشُّعَراءِ وهناك كانوا يجتَمِعُونَ في أيَّامِ الرَّشِيد. والموضِعُ المعْروفُ بِبَينَ القَصْرَين: هو قصْرُ أسْماءَ بنت المنْصُور وقصْرُ عُبَيْدِ الله بن المَهْدي.

---

[a] في تاريخ بغداد: أبي جعفر.

[b - b] لدى الخطيب البغدادي: «.. وهي التي صارت لعلي بْن جهشيار بين القصرين، قصر أسماء وقصر عبيد الله بْن المهدي».

---

[١] فرج الرخجي، كان مملوكا لحمدونة بنت غضيض، أم ولد الرشيد. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠٨- ٤١٠.

[٢] الخليفة العباسي محمد الأمين.

[٣] أي إلى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م، وفي هذا دليل على أن المؤلف بدأ تأريخ الكتاب وفق الزمن المذكور.

[٤] علي بن جهشيار، أبو الحسن، القائد وحاجب الموفق الناصر لدين الله. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٦٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٦٧.

[٥] أذكوتكين بن أساتكين، كان أبوه أساتكين من أكابر قواد الأتراك، استعمله الخليفة المعتمد على الموصل، فسيّر إليها أذكوتكين سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م، كان حياً حتى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م. انظر:الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٦١١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٩٩.

والخُضَيْرِيَّة مِمَّا يلي بابَ الطَّاقِ منْسُوبةٌ إلى خُضَيرٍ مولى صَالحٍ[1] صاحِبِ المُصَلَّى، وفيها تُباعُ الجِرارُ وتُعْملُ المُزَمَّلاتُ[2].

[أسْوَاق بَغْدَاد]

وسُوقُ يَحْيىٰ منْسُوبةٌ [٤٤و] إلى يَحْيىٰ بن خَالِدِ البَرْمِكيِّ[3] وكانت إقْطَاعًا له من الرَّشِيدِ، ثم صَارتْ بعد البَرامِكةِ لأُمِّ جَعْفرٍ، ثم أقْطَعهَا المَأمُونُ طَاهِرَ بن الحُسَيْنِ بعد الفِتْنةِ، فهي في أَيْدي ورثَتِهِ إلَّا ما بِيعَ منها[4].

وسُوَيْقةُ أبي عُبَيْد الله منْسُوبةٌ إلى [أبي] عُبَيْدِ الله وَزيرِ المَهْدِي، واسْمهُ مُعَاوِيةُ بن عَمْرٍو[5]، وشَارعُ المَيدانِ خارج الرُّصَافةِ، وهو شَارعٌ مارٌّ من بابِ الشَّمَّاسِيَّةِ إلى سُوقِ الثُّلاثاء، وفيه قَصرُ أمِّ حَبِيبِ بنت الرشيد.

(٥-٥) في الخطيب البغدادي: «سويقة أبي عبيد الله معاوية بْن عبيد الله مولى عبد الله ابن عضاه الأشعري الوزير».

---

[1] صالح البلخي صاحب المصلى، من أولاد ملوك خراسان، أمَّنه المنصور على حصيرٍ مصرية كانت في خزائن بني أمية، يقال إنها كانت للنبي ﷺ، فكان إذا أراد الصلاة أعلمه فيفرشها له في الجمع والصلوات فسمي لذلك صاحب المصلى. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج ١٣، ص٣٩٥.

[2] المزمَّلات، جمع مُزملة: وهي جرة خضراء يجعل فيها الماء ليبرد. انظر: المعجم الوسيط،ج١،ص٤٠١.

[3] يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل، مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه، دفع إليه هارون خاتمه وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه. إلى أن نكب البرامكة، وترك إلى أن مات فيه سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١٦، ص١٩٥.

[4] قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٤.

[5] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤١٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٨.

وكان هذا القَصْرُ ودُورهُ إقْطَاعـاً من المَهْدي لعَـمَّار[a] بن أبي الخَصِيبِ[١]، ثم صَارَ جميعُ ذلك للفَضْلِ بن الرَّبِيع، ثم صَارَ لأمِّ حَبِيب بنتِ الرَّشِيدِ في أيَّامِ المَـأمُون، ثم صَارَ بعد ذلك لبَناتِ الخُلفَاءِ إلى أنْ صِرنَ يُجعَلن في قَصْرِ المَهْدِي بالرُّصَافةِ[٢].

وسُوقُ العَطشِ بنَاها سَعِيدُ الحَرَسِيُّ[b][٣] للمَهْدي، وحوَّل إليها التُّجَارَ ليُخرِّبَ الكَرْخِ[c]، وقال له المَهْدي عند تَمَامِ بنَائِها: سمِّهَا سُوقَ الرَّيِّ، فغلبَ عليها سُوقُ العَطشِ، وأوَّلُها يتَّصِل بسُويْقةِ الحَرسِيِّ ودَارِه، والإقْطَاعَاتِ التي أقطعهُ إيَّاها المهدي هناك.

---

[a] في الأصل: لعباد؛ والتصويب من البلاذري: فتوح؛ والخطيب البغدادي.

[b] في الأصل: شعبة الجرمي، وهو خطأ. والتصويب من الخطيب البغدادي؛ ابن الجوزي: المنتظم.

[c] لدى الخطيب البغدادي: «وحول إليه كل ضرب من التجار فشبه بالكرخ»

---

[١] عمار بن أبي الخصيب، أحد رجالات الدولة العباسية المرموقين، وكل إليه المهدي تخطيط وبناء مدينة الري، فجعل حولها خندقًا وبنى فيها مسجدًا، ثم كتب اسمه عليه، فأرخ بناءها سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٤٦؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص٣٧٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦٥.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة: سويقة ابن أبي عبيد، ج٣، ص٢٨٨؛ ومادة: قصر أم حبيب، ج٤، ص٣٥٥.

[٣] سعيد الحرسي: صاحب شرطة بغداد للخليفة المهدي، هو الذي بنى سوق العطش للمهدي بالجانب الشرقي منها، كما أوكل إليه فرض الضرائب على حوانيت التجار سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م. انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩-٤١٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص ١٩٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٤.

وسُوَيقَةُ العَبَّاسَةِ منسُوبةٌ إلى العَبَّاسةِ أختِ الرَّشِيدِ[a]) ويقال إنَّ الرَّشِيدَ فيها أعْرسَ بزُبَيدةَ ابنة جَعْفَرٍ سنةَ خمسٍ وسِتِّين ومائةٍ، قبل أنْ تنْتَقِلَ العَبَّاسةُ إليها، ثم دخلتْ بعد ذلك في أبْنِيةٍ بناها المعْتَصِم[1].

ودَارُ فَرج[2] فوق سوُقِ يَحْيَى، وكان فَرجٌ مَمْلُوكًا لحَمْدُونةَ بنتِ غَضِيضٍ أمِّ ولِدِ الرَّشِيدِ، ثم صار ولَاؤُه للرَّشِيدِ ودَارهُ إِقْطَاعٌ من الرَّشِيدِ، ولم يكن على شَاطِئِ دِجْلَة بناءٌ أحْكَمَ من بنائِها، ثم هُدِمتْ فيما هُدمَ من منَازِل[ابنه] [b]) عُمَر بن فَرجٍ[3] لما قُبِضتْ.

وكانت دَارُ أحْمَد بن أبي خَالِدِ الأحْولِ[4] لأبي عُبَيْدِ الله مُعَاوِيةَ بن عَمْرٍو[5] وهناك السُّوَيْقَةُ المنْسُوبةُ إليه. وكان أبو خَالِدِ الأحْولُ أحدَ كُتَّابِ أبي عُبَيد الله، فاشْتَراهَا أحْمَد بن أبي خَالِدٍ من ورثَةِ أبي عُبَيْد الله.

---

a) في الأصل: بنت الرشيد.

b) الزيادة من ياقوت.

---

[1] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١١؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٧.

[2] تقدمت ترجمته ص٢٨٥.

[3] عمر بن فرج الرخجي الكاتب، مولى بني العباس، كان من علية الكتاب، ولاه الخليفة الواثق ديوان الخراج، ثم سخط عليه المتوكل ونكل به، وتوفي ببغداد. انظر: ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص١٩٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٩٥٧.

[4] أحمد بن أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن، أبو العباس الكاتب الأحول، وزير من كبار الكتاب، وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل. وكان فصيحًا جوادًا، ممدوحًا، شهمًا، توفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٢٥ - ١٨٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦، ص٩٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٥٥.

[5] تقدم ذكره ص٢٨٦.

ودَرْبُ المُفَضَّلِ: هو المُفَضَّلُ بن زِمَامٍ من مَوَالي المَهْدِي[١] [٤٤ظ] وسُوَيْقَةُ نَصرٍ: منْسُوبةٌ إلى نَصرِ ابن مَالكٍ الخُزَاعيِّ[٢]، إقْطَاعٌ من المَهْدِي له[٣].

٣ ودَارُ الرَّبيعِ ممَّا يَلِي المُخرِّمِ، كانت لمَكِيسْ الخَادِمِ، فاشْتَرَاهَا الرَّبيعُ منه واتَّصلَ خَبرُهَا بالمنْصُور. فقال للرَّبيعِ: أنت تُريدُ تعْمَلها بُسْتَانًا وتذهب منِّي بخَراجِهِ. فقال: لا والله يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ، ولكنْ كلَّما وُلدَ لي ابنٌ فتحتُ له فيها بابًا. وهي
٦ شَارِعةٌ في شَارِعِ المَيْدَانِ وهي في أيدي ورَثهِ الرَّبيعِ إلى اليَوْمِ.

وسُويْقةُ خَالِدٍ بِبابِ الشَمَّـاسِيَّة: منْسُوبةٌ إلى خَالدِ بن بَرملكٍ، إقْطَاعٌ من المَهْدِي، ثم بنى فيها الفَضْلُ قَصرهُ المعْروف بقَصرِ الطِّينِ، وبنى أيضًا فيها جَعْفَرُ بن يَحْيَى
٩ قَصْرًا آخر[٤]. ورحْبَةُ يَعْقُوب: منْسُوبةٌ إلى يَعْقُوبَ بن دَاودَ [الكاتب][a][٥]، مولى بَنِي سُلَيمٍ، أقْطَعهُ إيَّـاهَا المَهْدِي حِينَ اسْتَوزَرهُ[٦].

---

[a] التتمة من الخطيب البغدادي.

---

[١] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤١١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٨.

[٢] نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، أحد نقباء بني العباس، وصاحب شرطة الخليفة هارون الرشيد. انظر: المزي: تهذيب الكمال، ج٣٠، ص١٣٣.

[٣] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٨.

[٤] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٧.

[٥] يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن خازم السلمي، استوزره الخليفة المهدي وقرب من قلبه، ثم نكبه وأودعه السجن، فلم يزل فيه محبوسًا إلى أن أطلقه هارون الرشيد، وتوفي مجاورًا بمكة ١٨٢هـ/٧٩٨م، انظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج١٦، ص٣٨٣.

[٦] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١١؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٦.

وذكرَ بعضُ المشَايخِ: أنّه رأىٰ فيها آزَاجاً عُتقاً تُشبِهُ السَّابَاطَ، كانت قبل بِنَاءِ بغْدَادَ لقومٍ من دهَاقِينهَا.

والمُـخَرِّمُ: منسُوبٌ إلىٰ مُخَرِّمِ بن يَزِيدِ بن مُخرِّمِ بن شُرِيحِ بن مُخرِّمِ بن زِيَادِ بن الحَارِثِ بن مَالكِ بن رَبِيعةَ، كان ينزِلهُ أيَّامَ نزُولِ العَربِ السَّوادَ في [بدءِ][a] الإسْلَامِ فنُسِبَ إليه.

وقال أبو المنذِر[1]: سَمعتُ قَوماً من بني الحَارثِ بن كعْبٍ يقولون: المُـخَرِّمُ إقْطَاعٌ من عُمَر بن الخَطَّابِ في الإسْلَامِ للمُـخَرِّمِ بن شُرَيحٍ.

وخَانُ أبي زِيادٍ[2] منسُوبٌ إلىٰ رجُلٍ من سَوادِ الكُوفَةِ من النَّبطِ، كان يُكنَىٰ أبا زِيادٍ عُمِّر عُمْرًا طَوِيلًا لأنـه كان ممَّن وسَمهُ الحَجَّاجُ، وذلك أنَّ الحَجَّاجَ وسمَ النَّبطَ علىٰ أيْدِيهم ليُعْرَفُوا من سَائِر النَّاسِ، وكان أبو زِيادٍ من سَوادِ الكُوفَةِ، وعاشَ إلىٰ أيـَّامِ المنصُورِ.

وقال رجُلٌ من طَيِء: أنا رأيتهُ بالكُوفَةِ في بني عُكْلٍ في حَانُوتٍ له يَربِطُ البَقْلَ، عليه إزَارٌ ورِدَاءٌ والوَشمُ علىٰ ذِراعِهِ. قال: وكان انْتقَالهَ من الكُوفَةِ مع المنْصُور لـمَّا انتقل إلىٰ بغْدَادَ فنزل في المُـخَرِّمِ في شارع النَّفَّاطِينَ، فقام [من] الخَانِ وتركَ بيعَ البَقْلِ، وكان تَكنَّىٰ قبل مصِيرهِ إلىٰ بغْدَادَ أبا زَينَب، ثم تكنَّىٰ بأبِي زِيادٍ، ونشأ له ابنٌ

[a] الزيادة من ياقوت.

[1] هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وقد مرت ترجمته راجع ص ٢٠؛ وقد ذكر ياقوت الحموي: أنه اطلع على هذا الخبر في كتاب أنساب البلدان لهشام بن السائب الكلبي، وقرأ في حاشية الكتاب تعليقًا لجحجح، [أحد قادة الجند في أيام المتقي لله العباسي] معجم البلدان، ج٥، ص٧١.

[2] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤١١.

فتَأَدَّبَ وفصُحَ، فصَارَ إلى هَمذَانَ فأصابَ مالًا وتزَوَّجَ هناك امْرأةً من العَرَبِ، وذلك أنَّه ادَّعى أنَّه عَربيٌّ. ثم طُعِنَ في نَسبِهِ عند الرَّجُلِ الذي [٤٥و] تَزَّوجَ إليه، فقَدِمَ الرَّجلُ بغْدَادَ، فسَأَلَ عنه، فأُخبرَ بقِصَّتِهِ ودُلَّ على أبيه فصَارَ إليه ووقف عليه فقال: ما رَبيعٌ منك؟ قال: بُنَيَّ. فشَهرَ عليه السَّيفَ وحال النَّاسُ بيْنَهُ وبيْنَهُ وقيل له: لُمْ نَفْسكَ لأنَّك زَوَّجتَ من لا تَعْرِفُ.

وكانت [سُوقُ][a] الثُّلاثَاءِ[1] قبل بِناءَ بغْدَادَ تقُومُ في يومٍ معْروفٍ من الشَّهرِ، وهو يَومُ الثُّلاثاءِ، وكان أكثر من يحضُرهَا أهْلُ كَلْوَاذىٰ وأهْلُ بغْدَادَ، فنُسِبتْ إلى اليومِ الذي كانت تقُومُ فيه.

وسُوَيقةُ حَجَّاجٍ: منْسُوبةٌ إلى الحَجَّاجِ الوَصِيفِ موْلَى المهْدِي[2]. ودَارُ عمَّارة[3] في طرفِ شَارعِ المُـخَرِّمِ، منْسُوبةٌ إلى عمَّار بن أبي الخَصِيبِ مولى رَوْحِ بن حَاتِمٍ[4]، وقيل إنَّه كان مَوْلًى للمنْصُورِ، وكان أبو الخَصِيبِ أحدَ من تولَّى حَجَبةَ المنْصُور. وقنْطَرةٌ

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من: ياقوت.

[1] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٣.

[2] قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١٢؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٧.

[3] يوجد موضعين ببغداد باسم دار عمارة، إحداهما في شارع المخرّم من الجانب الشرقي تنسب إلى عمار بن أبي الخصيب المذكور في الخبر أعلاه؛ والثانية تنسب إلى عمارة بن حمزة وقد تقدم ذكرها.

[4] روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي: أمير، من الأجواد الممدوحين. كان حاجبًا للمنصور العباسي، وولي للمهدي السند، ثم البصرة والكوفة. وولاه الرشيد فلسطين، ثم القيروان سنة ١٧١هـ/٧٨٧م، فاستمر إلى أن مات فيها سنة ١٧٤هـ/٧٩١م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١، ٤٤٦-٤٦٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٨، ص ٢٣٤-٢٣٧.

علىٰ نَهرِ المَهْدِي منسُوبةٌ إلىٰ بعضِ بنَاتِ المَهْدِي. وخان وَرْدَانَ[١]، ذكر أَحْمَدُ بن إِسْحَاقَ [ابن] بَرصُومَا[٢] قال: حدَّثَنِي عليٌّ بن الحكَمِ العُقَيْلِيُّ[٣] قال: كان [وَرْدَانُ][a] بن سِنَانٍ من قُوَّادِ المَنْصُور. وكان عظِيمَ اللِّحْيةِ جدًّا.

قال: فكَتَبَ عبْدُ الله بن عيَّاشٍ المُنْتُوفُ إلىٰ المَنْصُور يسألُهُ حوَائِجَ له، وكان أحدَ ما طلبَ من الحاجَاتِ أنْ يهَبَ له لحْيَةَ وردَانَ ليتَدفَّأ بها في الشِّتاءِ، فوَقَّعَ له بِقَضاء جميع ما سأل، ووقَّع تحت سُؤالِهِ لحْيَةَ وردَانَ: لا، ولا كرامَةَ، لا أهبُ لك لحْيَةَ رجُلٍ من قوَّادي وجلَّةِ أصْحَابي[b].

والصَّالِحِيَّةُ[٤]: إقْطَاعٌ من المَنْصُور لابنه صَالحٍ المعْرُوفِ بالمِسْكِينِ. [c]وقِبابُ الحُسَيْنِ التي خارجَ بغْدَادَ علىٰ طرِيقِ خُراسَانَ، منْسُوبةٌ إلىٰ الحُسَيْنِ بن قُرَّةَ الفَزارِيِّ، وكان قُرَّةُ ممن خرج مع ابن الأشْعَثِ، فقتلهُ الحَجَّاجَ[c] [٥].

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

[b] لدى ياقوت: «وتحت لحية وردان كتب: لا كرامة ولا عزازة».

[c-c] لدى ياقوت: «وقباب الحسين: كانت خارج بغداد على طريق خراسان منسوبة إلى الحسين بن سكين الفزاري في قول ابن الكلبي، وقال غيره: حسين بن قرّة الفزاري، وكان قرّة ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج».

---

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤١.

[٢] أحمد بن إسحاق بن برصوما، المغني الكوفي، أخذ عنه ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥١٠-٥١٢.

[٣] لم أجد له ترجمة.

[٤] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤١٣؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٠.

[٥] انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١٣؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٣.

عِيسَىٰ باذ[١] منسُوبةٌ إلى عِيسَىٰ بن المَهْدِي، وكان عِيسَىٰ في حِجْر مُبَارَكٍ[a] التُّركِيِّ[٢]، وكانت أمُّه الخَيْزُرانَ، وهو أخو الهَادِي والرَّشِيدِ لأبيهما وأمِّهما، وكانت
٣ إقْطَاعـًا له.

حَوْضُ هِيلَانَةَ: زعم قومٌ أنْ هِيلانةَ قَيِّمةٌ كانت للمنصُور، حفَرتْ هذا الحَوْضَ وجعلته للسَّبِيلِ فنُسِب إليها، وبابُ المُحوَّلِ في الجَانبِ الغَربيِّ إقْطَاعٌ لِهِيلَانةَ، أقْطَعهَا
٦ إيَّاهُ المنْصُور[٣].

وقد قيل: إنَّ [٤٥و] هيلَانةَ كانت جَارِيةً للرَّشِيد وإليها يُنسبُ هذا الحَوْضُ وفيها يقول الرَّشِيدُ(شعر): [مجزوء الرمل]

أُفٍّ لِلـــدُّنْيا وللزِّينَـــةِ فيهَـــا والأَثَـــاثِ
إذا حَثَـا الـتُّرابَ عـلىٰ هـيلَانَ في الحُفْـــرَةِ حَـــاثِ

٩ ودُوْلَابُ مُبَارَكٍ منسُوبٌ إلى مُبَارك التُّرْكِيِّ[٤]. وحَوضُ دَاودَ[٥]، منْسُوبٌ إلى دَاودَ بن المَهْدِي.

---

[a] لدى البلاذري: منازل.

---

[١] عيسى باذ، أي عمارة عيسى، لأن لفظة باذ تعني بالفارسية العمارة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص١٧٢؛ وقارن: البلاذري: المصدر السابق، ص٤١٥؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١٣.

[٢] عباس التركي أحد موالي بني العباس، قيل إنه من موالي المعتصم أو المأمون، عاقبه الخليفة موسى الهادي وصادر أمواله وجعله سائسًا لدوابه، وبقي على هذه الحالة حتى وفاة الهادي. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٥-٢٠٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٦٢.

[٣] قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١، ص٤١٤؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٠.

[٤] جاءت هذه الجملة في غير موضعها من النص، ووضعتها هنا لكي يتسق السياق والمعنى.

[٥] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤١٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٠.

وذكر يَحْيَىٰ بن الحسَن[١] أنَّ حَوضَ دَاودَ منْسُوبٌ إلىٰ دَاودَ مَوْلَىٰ المَهْدِي وله إقْطَاعٌ ممَّا يلي سُوقَ العَطَشِ. وقد قيل إنَّ دَاودَ مولَىٰ نُصِيرٍ، ونُصيرٌ مولَىٰ المَهْدِي.

وذكر بعضُ المَشايخِ أنَّه يذكرُ ما بين سُوقِ يَحْيَىٰ عن يُمْنَةِ السُّوقِ إلىٰ بابِ الشَّمَّاسيَّةِ منَابتَ طَرَفاء قبل أنْ يُقْطَع النَّاسُ فيها، وأوَّلُ من أقْطَع فيها عليُّ بن المَهْدِي، وهو ابن رابِطَةَ بنتِ أبي العَبَّاسِ السَّفَّاحِ، ثم أُقْطِع بعده لمنْصُور بن المَهْدِي.

وذكر أحْمَدُ بن الحَارِثِ الخَرَّازُ[٢]: أنَّ بغْدَادَ صُوِّرتْ لمَلِكِ الرُّومِ بَأرْبَاضِها[a] وأسْوَاقِها وشَوارِعِها [وقُصورها][b] وبسَاتِينها وأنْهَارهَا من جميع جانِبيهَا الشَّرقيِّ والغَرْبيِّ. [c] قال: فكان كثيرًا ما يُحْضِر الصُّورةَ ويتأمَّلُها ويسْتَحسِنُ شَارعَ بابِ المَيْدانِ[c]، ويتَعجَّبُ من حُسْنِهِ وحُسنِ القصُورِ التي فيه، ويزْدَادُ اسْتِحسَانُه لشَارعِ الزَّرَّادِينَ وسُويْقةِ نَصْر بن مَالِك[٣] [من بَابِ الجِسْر] [d] إلىٰ الثلاثةِ الأبوابِ والقصُورِ التي في الشَّارعِ، وكذلك أيضًا كان يسْتحسِنُ الأسْواقَ من الخُضَيْرِيَّةِ[e] إلىٰ قنطَرةِ برَدَانَ.

---

[a] في تاريخ بغداد: أرضها.
[b] تتمة من تاريخ بغداد.
[c-c] لدى الخطيب البغدادي: «وأن الجانب الشرقي منها لما صوّرت شوارعه، فصور شارع الميدان».
[d] تتمة من تاريخ بغداد.
[e] في تاريخ بغداد: سويقة خُضير.

---

[١] يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، تقدم ذكره.
[٢] أحمد بن الحارث بن المبارك الخراز، أبو جعفر، مولى أبي جعفر المنصور، راوية ومؤرخ من أهل بغداد. توفي سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٣٢٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص١٩٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٢٢٨.
[٣] تقدمت ترجمته: ص ٢٨٩.

وكان يقول: قد كان يجبُ علىٰ مَلكِ العَربِ أنْ يجْعَلَ دارَهُ في هذا الشَّارِع. ويجعَلُ أصْبعَهُ علىٰ شَارِعِ الزَّرَّادِينَ، وكان إذا شربَ دعَا بالصُّورةِ فيشْرب علىٰ هذه الشَّوارِعِ التي ذكَرنَاها لحسْنِ أبنيتهَا وقصُورهَا[1].

وفَصِيلُ أبي العَلاءِ، منْسُوبٌ إلىٰ سُلَيمٍ أبي العَلاءِ موْلَىٰ المَهْدِي.

وقال يَحْيَىٰ بن دَاودَ السَّوَّاقُ: كان ببغْدَادَ في شَارِعِ الثَّلاثة الأبْوابِ ثَلاثمائة مِقلىٰ للسَّويقِ، وكان في قَنْطرةِ ميْمُونةَ ورحَىٰ عَبْد المَلكِ وسُوقِ يَحْيَىٰ والمُخرَّم وفي أطْرَافِ بغْدَادَ سِوىٰ سُوقِ الكَرْخِ، أكثر من ثَلاثمائةِ مِقلىٰ آخر.

وكان سَببُ كثرة السَّويقِ ببغْدَادَ أنَّ بغْدَادَ كانت في أيَّام الرَّشِيدِ وما قبلهُ إلىٰ أيَّام المَأمُونِ [٤٦و] عَسْكرًا لكثرةِ النَّاسِ بها ومصِيرهِم إليها من كلِّ بلدٍ، وكانت الأرْبَاضُ محْشُوةً بالنَّاسِ، وكان اللَّحْمُ يَعِزُّ لأنَّ الأغْنامَ كانت تدخل في أيَّامِ الرَّبيع فقط، يجْلِبها الأعْرَابُ من هذا الوقت من البريَّـةِ، ويجلبها التُّجَّارُ في زمانِ الخريفِ من نَاحيةِ الجَبلِ، ويتَعذَّرُ دخُولهَا في الشِّتاءِ إلا الشَّيءُ اليَسيرُ يُجْلبُ من نَاحيةِ الكُوفَةِ، فكان ربَّما بِيعَ اللَّحْمُ ببغْدَادَ علىٰ ستَّةِ أواقٍ[2]، فكثر اسْتِعمالُ النَّاسِ للسَّويقِ لهذه الحَالِ، لأنَّهم كانوا يأكُلونَهُ مع التَّمرِ والسُّكرِ ومع الدِّبْسِ وغير ذلك، فلهذا صَارَ كثيرًا.

---

[1] ذكر الخطيب البغدادي هذه الرواية مختصرة. انظر: تاريخ بغداد، ج١، ص٤١٤.

[2] يُفهم من الخبر تغير نظام وزن اللحم في بغداد شتاء لتصير الوزنة ٦ أواق بغدادية، أو ربما كان المقصود أن وزنة اللحم كانت تباع بمائتين وأربعين درهمًا؛ لأن الأوقية =٤٠درهمًا [٦ × ٤٠=٢٤٠درهما]، وفي هذا بعض المبالغة. انظر: فالترهانتس: المكاييل والموازين الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٧٠م، ص٢٠؛ علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص٢١.

وقال أَحْمَدُ بن أبي طَاهِر[١]: أُخِذَ الطُّولُ من الجَانبِ الشَّرقيِّ من بغْدَادَ للنَّاصِرِ لدِينِ الله[a] [٢] عند دخُولهِ مدِينة السَّلامِ، فوُجِدَ مِائتي حَبلٍ[٣] وخَمْسين حَبْلًا، وعَرضُهُ مِائةُ حبلٍ وخَمْسةُ أحْبلٍ، يكون سِتَّة وعشرِينَ ألف جَريبٍ[٤] ومائَتينِ وخمْسِينَ جَريبًا، ووجِدَ طولُ الجَانبِ الغَرْبيِّ مِائتين وخَمْسين حَبْلًا وعَرْضهُ سَبْعُونَ حَبلًا، يكونُ ذلك سبْعةَ عشرَ ألفَ جرِيبٍ وخَمْسَ مائةِ جَريبٍ. فجميعُ ذلك ثلاثةُ وأرْبعونَ ألفَ جريبٍ وسَبْعُ مائةٍ وخَمْسُون جريبًا [b)[من ذلك مقابر أربعة وسبعون جريبا] [b)][٥]، وقيل لرَجُلٍ: كيف رأيت بغْدَادَ؟ قال: الأرْضُ كلُّها بَادِيةٌ وبغْدَادُ حاضِرَتُها[٦].

[a)] لدى الخطيب البغدادي: «أبي أحمد يعني: الموفق بالله».

[(b - b)] التتمة من تاريخ بغداد.

---

[١] أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المروزي الكاتب، أحد البلغاء والشعراء والرواة، وصاحب كتاب «كتاب تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم»، توفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٤٥١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٤٥؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٢٨٢-٢٨٦.

[٢] محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله، أبو أحمد، لقب بالموفق بالله، ولي عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله، وأحد رجالات البيت العباسي الأقوياء الشجعان المشهورين بالإدارة والحزم، توفي سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج١، ص٤٩٣.

[٣] الحبل: مقياس لمسح الأراضي = ٤٠ ذراعًا، [بالذراع العباسية السوداء] التي تساوي ٥٤,٠٤ سم. أي طول الحبل =٢١,٦١٦ مترًا. انظر: فالتر هانتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٨٢. وعلى هذا فإن طول الجانب الشرقي يبلغ: ٥٤٠٤مترًا وعرضه: ٢٢٦٩,٥ مترًا. وطول الجانب الغربي= طول الجانب الشرقي، أما عرضه: =١٥١٣ مترًا .

[٤] الجريب = ١٠٠ قصبة مربعة = ١٥٩٢م^2. فالتر هانتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٦.

[٥] انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٤١-٤٤٢.

[٦] مرَّ ذكر هذا الخبر ص٢٥٩.

وأنْشَد بعضهم في بغْدَادَ (شعر): [الطويل]

أبغْدَادُ يَا دَارَ الـمُلُوكِ ومُجْتَنىٰ صُنُوفِ المُنَىٰ يَا مُسْتَقَرَّ المَنَابِرِ
ويَـا جَنَّـةَ الدُّنْيا ويَا مَطْلبَ الغِنَىٰ ومُنْبَسطَ الآمَالِ عند المُـتَاجِرِ

ووصَفَ بعض الأُدبَاءِ بغْدَادَ فقال: هي سَهْلِيةٌ جَبلِيةٌ بَرِيَّـةٌ بحرِيَّـةٌ، صَيْدُهَا غَزِيرٌ، وخَيْرُهَا كثِيرٌ، طَيِّبٌ هَواؤهَا، أيْسرٌ فَنَاؤُهَا، دائِمٌ رخَاؤُهَا، فضْلُها علىٰ سَائِر البُلْدَانِ كفَضِلِ ماءِ الأنْهَار علىٰ ماء البِحَارِ. فهي كما قال عُمَـارةُ[1] (شعر):

[البسيط]

مَـاذا بِبَـغْـدَادَ مـن خَـيْرِ الأفَـانِينِ ومن مَنَازِلِ للدُّنْيا ولِلدِّينِ
تُمسِي الرِّيَاحُ بها حَسْرىٰ إذا دَرَجَتْ وجَوَّشَتْ بين أغْصَانِ الرَّيَاحِينِ

---

[1] البيتان لمنصور بن سلمة بن الزبرقان النُّمري، وليسا لعمارة بن عقيل. انظر: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٤٦؛ الخطيب البغدادي، ج١، ص٣٥٥.

[خصائص بغداد]

وهي مَحَلُّ الخُلفَاءِ، ومَسْكنُ الوزَراءِ، ومَأْوىٰ بني هَاشِمٍ والأَبْنَاءِ، ومقرُّهُم ومَفْزَعهُم في الشَدَائدِ [٤٦ظ] والرَّخَاءِ، الوَاسِعةُ الدُّورِ، الكَثِيرةُ القُصُورِ، الغَزِيرةُ الأنْهَار، المرِئةُ العُيُونِ. صحِيحَةُ البِنَاءِ، رحْبةُ الفِنَاءِ، نَزِهَةُ الهَواءِ، رفِيقةٌ بالغُرَباءِ، مُوَاتِيةٌ لكلِّ من أتَـاهَا، مُغِيثةٌ لمن استَغَاثَ بها، قدِيمةُ الصُّحْبةِ، طَيِّبةُ التُّـربةِ. مسْكنُ من نفَتَّىٰ ومعْقِلُ من تَنسَّكَ.

بنَاهَا المنْصُور وسكَنهَا المَهْدِي والهَادِي والأمِينُ والمَـأمُونُ. جنَّةٌ من جِنَان الدُّنْيا. دِجْلَةُ في وسَطِهَا والصَّرَاةُ عن يَمِينِهَا، ونَهْرُ المَلِكِ أمامَها، ونَهرُ عِيسَىٰ مُخْتَرِقٌ بها، ونَهرُ كَرْخَايَا يتَخلَّلُ طُرُقَاتِها، ونهرُ الخَنْدقِ دائِرٌ بها.

لها الرُّومِيَّة وكَلْوَاذىٰ والقُفْصُ[1] وغُمَّىٰ[2] وقُطْربُّلُ والمَـزْرَفَةُ[3] وبَزُوغَىٰ[4] والأجِمَةُ والفِرْكُ[5] والشَّمَّـاسيَّةُ.

إذا غُضِبَ علىٰ جبَّارٍ عَاتٍ حُمِلَ إليها، وإذا رُضِيَ عنه شُهِرَ بها، مواكِبهَا قائِمةٌ ومنَائِرهَا عَاليةٌ، ونَغمُ مُغَـنِّـياتِها نَاعِمةٌ. الظُّرفُ فيها يُقْتَبسُ والشَّكلُ منها يسْتَوصفُ. مكانُ الرِّياسَةِ ومَقبسُ السِّياسَةِ.

---

[1] يقصد بها جبال القفص. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٢.

[2] غُمَّى: قرية من نواحي بغداد. نفسه، ج٤، ص٢٠٨-٢٠٩.

[3] المزرفة: قرية كبيرة فوق بغداد على نهر دجلة. نفسه، ج٥، ص١٢١.

[4] بزوغى: إحدى قرى بغداد. نفسه، ج١، ص٤١١.

[5] الفرك: قرية قرب كلواذى. نفسه، ج٤، ص٢٥٥.

فهي جَنَّـةٌ مُونَقةٌ وحدِيقةٌ مُشْرقةٌ، وعَروسٌ في مجَاسِدهَا وكِلِلِهَا وحِجَابها، شَهيةُ المَنْظَرِ جَمِيلةُ المَخْبَرِ. صَبِيحةٌ مَلِيحةٌ، ظَاهِرةُ الوَسَامةِ، دَمِثةُ التُّرابِ، مَريعَةُ الجَنَابِ، غَدِقةُ المَشَارِعِ، وطِئةُ المضَاجِعِ، تَروقُ عُيونَ النَّاظِرينَ وتَسُرُّ قلوبُ المُتَأمِّلينَ، ويَعِيشُ في أفْنِيَتِهَا الفُقَراءُ والمسَاكِينُ.

مَطَابِقُها وثِيقَةٌ وسُجونُها حَريزَةٌ، مع كَثْرةِ أسْواقِها واتِّسَاعِ أربَاضِها وفَسَاحةِ رِحَابِها وامْتِدادِ طُرقُها وسِككِها. معْشُوقَةٌ مُحَبَّبَةٌ إلى الخُلفَاءِ وولَاةِ العُهودِ والوزَراء. دَارُ مُلْكِهِم، ومَعْدنُ صَبْدِهِم، ومُنْتَهى غَايةِ لذَاتِهم، مُوَفِّرةٌ لغَلّاتِهم، مُبَاركةٌ عليهم.

شَامِخَةُ البِنَاءِ، عَرِيضَةُ الفِنَاءِ، فَيَّـاحةُ السُّطُوحِ، نَزِهةُ البَسَاتِينِ، كثيرةُ الأشْجَارِ والرَّيَاحين. مَفْزعُ كلِّ مَلْهُوفٍ ومَعدنُ كلِّ تَاجرٍ مَعْرُوفٍ.

وحَسْبُكَ ببَلدةٍ قد جَمعَ اللهُ فيها ما فرَّقهُ في غيرها من البُلْدَانِ من أنْواعِ التِّجَاراتِ وأصْنَافِ الصِّنَاعاتِ، فهي سلَّةُ الدُّنيا وخزَانةُ الأرْضِ، معْدَنُ العِلمِ ويَنْبوعُ الحِكْمةِ.

ليس لها مشْتاةٌ كمَشْتاةِ الجِبَالِ، ولا مصِيفٌ كمَصِيفِ عُمَـانَ ولا صَواعِقُ كصَواعِقَ [٤٧و] تِهَامةَ، ولا دمَامِيلُ كدَمَاميلِ الجَزِيرةِ[1]، ولا جَربٌ كجَربِ الزِّنجِ، ولا طَواعِينُ كطَواعين الشَّام، ولا يَلْحقُ أهْلَها ما يَلْحقُ أهْلَ البَحْرينِ من وجعِ الطِّحَالِ، ولا فيها حُمَّى كحُمَّى خَيْـبَر، ولا رُدَاعُ الجُحْفَة، وليْسَ بها ثَعابِينُ كثَعابِينِ مصْرَ، ولا أفَاعِي سِجِسْتَانَ، ولا عَقارِبُ نَصِيبِينَ، ولا جَرَّاراتُ الأهْوَازِ،

[1] مفردها دمل: وهي القروح. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة: د م ل)ج١١، ص٢٥٠-٢٥١.

ولا قَتَّالَاتُ شَهْرَزُورَ، أَهْلها ظُرفاءُ فضَلاءُ فيهم الجَمالُ ولِبَاسهُم الكَمالُ[١]، فهي كما قال الشَّاعِر[٢] (شِعْر): [البسيط]

مَا مِثْلُ بغْدَادَ في الدُّنْيَا ولا الدِّينِ   علىٰ تقَلُّبِهَا في كلِّ ما حِينِ
مَا بينَ قُطْرُبُّل فالكَرْخِ نَرْجِسَةٌ   تَنْدَىٰ ومَنْبَتُ خيرِيٍّ ونَسْرِينِ
تَحْيا النُّفُوسُ بِرَيَّاهَا إذا نَفَحتْ   وحَرَّشَتْ بين أَوْرَاقِ الرَّيَاحِينِ
سَقْيًا لِتِلكَ القُصُورِ الشَّارِعَاتِ و   مَا تَخْفَىٰ من البَقَرِ الإِنْسِيَّةِ العَيْنِ
تُسْتَنُّ دِجْلَةُ فيما بيْنِهَا وتَرَىٰ   دُهْمَ السَّفِينِ تُعَالِي كالبَرَاذِينِ
مَنَاظِرٌ ذاتُ أَبْوابٍ مُفَتَّحَةٍ   أَنِيقَةٌ بِزَخَارِيفَ وتَزْوِينِ
فِيها القُصُور التي تَهْوِي بأَجْنِحَةٍ   بالزَّائِرِينَ إلىٰ القَوْمِ المَزُورِينِ
من كُلِّ حَرَّاقَةٍ تَعْلو فَقَارتُها   قَصْرٌ من السَّاجِ عَالٍ ذو أَسَاطِينِ

٣ وقَدِمَ عَبْدُ الله بن صَالِحِ بن عَلي[٣] بغْدَادَ، فرأىٰ كثرةَ النَّاسِ بها فقال: ما مَرَرْتُ بَطريقٍ من طُرقِ هذهِ المدِينةِ إلَّا ظَننتُ أنَّ النَّاسَ قد نُودِي فيهم.

---

[١] قارن: أبو عبيد البكري: المسالك والممالك، تحقيق أندريه فيري، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٤٩٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٩٥.

[٢] هذه الأبيات هي التي لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، وقد مرت ترجمته، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٤٦٢.

[٣] عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عرف عنه أنه عظيم القدر كبير المحل، كان ينزل الشام بسلمية بأرض حمص، وقدم بغداد في خلافة الرشيد، وتولى له العواصم، توفي سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م.

- انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص١٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٩، ص١٧٨-١٨٠.

وقال المنْصُور لبعْضِهِم: أخْبِرني عن بغْدَادَ. قَال: جنَّةٌ بين حَمَاةٍ وكِنَّـه يحْسُدَانِها، ودِجْلَةُ والزَّابُ يتَباريانِ عليها. وكتب الحَسَنُ بن أبي الرَّعْد[1] إلىٰ أبي عَبْد الله بن الحَسَنِ بن أبي الشَّوَارِبِ[2]، وهو مُقِيمٌ بضِياعِهِ في سِنْجَار بشَوْقِه إلىٰ بغْدَادَ (شِعْر):

[الكامل]

يَا من أقَامَ علىٰ قُرىٰ سِنْجَارِ ... واخْتَارهَا دَارٌ بِأكْرَمِ دارِ
خَلَّفت بغْدَادَ التي لنَسِيمها ... أرِجٌ من الأنوارِ والأشْجَارِ
هي جَنَّةُ الدُّنيَا فكَيفَ تركْتَها ... وقَرَرْتُ أرْضـاً غيرَ ذَاتِ قَرارِ
أولَيسَ فيها ألْفُ ألْفِ مُنَعَّمٍ ... من نُورِ غُرَّتهِ سَنَا الأنْوَارِ
وكذَاكَ فيها ألْفُ ألْفِ خَرِيدةٍ ... في وجْهِهَا مُتَنَزَّهُ الأبْصَارِ
انْظُر بِقَلْبِكَ لا بِعَينكِ هل تَرىٰ ... كرِجَالِهَا في سَائِر الأمْصَارِ
[٤٧ظ] من ذَا تَصَادفهُ هناكَ وعِنْدَهَ ... طُرفٌ من الأشْعَارِ والأخْبَارِ
مَـعْـقُودَةٌ بخَــلائِق أدَبيَّـةٍ ... في رِقَّةِ الماءِ الزُّلالِ الجَارِي

وحدَّثني بعضُ الأُدباءِ[3] قال: حجَجتُ فرأيتُ علىٰ بعض الأمْيَالِ مكْتُوبـاً (شِعْر):

[الوافر]

أيَا بغْدَادُ يَا أسَفِیٰ عَليكِ ... متىٰ يُقْضَىٰ الرُّجُوعُ لنَا إلَيْكِ
فَنَغْنَا سَالِمِينَ بكُلِّ خَيْرٍ ... ويَنْعُمُ عِيشُنَا في جَانِبيْكِ

---

[1] الحسن بن أبي الرعد الكاتب الخراساني، من ندماء الخليفة المعتضد، اختص به وصحبه إلى الشام. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات،ج١٢، ص١٢.

[2] ذكر الزجاجي طرفًا من هذه الأبيات، ونسبها إلى أبي عبد الرحمن العطوي الشاعر- أحد شعراء الدولة العباسية- وذكر أنه قالها حينما كان الخليفة المعتضد بسنجار.

[3] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٢.

وقال: رأيتُ في غُرْفةٍ بقَرْمِيسِينَ هذينِ البيْتَينِ قد كُتِبا في الحَائِطِ (شعر): [الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي عن الَّذينَ تَركْنَا … خلْفَنا في العِراقِ هل يَذْكُرونَا

أمْ لعَلَّ المَدَىٰ تطَاوَلَ حتَّىٰ … قَدُمَ العَهْدُ دُونَنا فَنَسُونَا

ولما حجَّ الرَّشِيدُ وبلَغَ زَرودَ التَفتَ إلىٰ ناحِيةِ العِراقِ وقال (شِعْر)[١]: [الطويل]

أقُولُ وقد جُزْنَا زَرُودَ عَشِيَّـةً … وكَادَتْ مطَايَانَا تجُوزُ بنَا نَجْدَا

علىٰ أهْلِ بغْدَادَ السَّلامُ فإنَّنِي … أزِيدُ بِسَيرِي عن دِيَارِهِم بُعْدَا

وقال بعضهم: لو أنَّ الدُّنيَـا خَرِبتْ وفُرِّقَ أهْلُ[بغْدَادَ] فيها لَعَمرُوهَا. ولَمَّا قُلِّدَ ٣
عبَيْدُ الله بن عَبْدِ الله بن طَاهرٍ[٢] بَلدَ اليَمن وعمَلَ علىٰ الخُروجِ قال (شعر)[٣]: [الوافر]

أيَرحلُ آلِفٌ ويُقِيمُ إلْفٌ … وتَحْيا لَوْعَةٌ ويَمُوتُ قَصْفُ

عَلىٰ بغْدَادَ دَارِ اللَّهْوِ منِّي … سَلَامٌ ما سَجَا للعَيْنِ طَرفُ

ومَا فَارقْتُها لِقِلىً ولكِنْ … تَنَاولَنِي من الحَدثَانِ صَرفُ

ألَا رَوْحٌ؟ ألَا فَرجٌ قَرِيبٌ؟ … ألَا جَارٌ من الأحْدَاثِ كَهْفُ

لعَلَّ زَمانَنَا سَيَعُودُ يوْمًـا … فَيَرجِعُ آلِفٌ ويَسُرُّ إلْفٌ

فبَلغَ هذا الشِّعْرُ الوَزيرَ فَأعْفاهُ من التَّقْلِيدِ.

---

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٢.

[٢] عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، الأمير الشاعر، من أقران ابن المعتز وكان يراسله، آخر الأكابر من بني طاهر، ولي شرطة بغداد نيابة عن أخيه أحمد بن عبد الله، ثم استقل بها بعد موت أخيه. توفي سنة ٣٠٠هـ/٩٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٣٦٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٦٢.

[٣] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٢.

وقال بعضُ الأُدَباءِ: ببغْدَادَ يَصْفُوا العيشُ للمُتَعبِّدِ وللقَارِفِ اللَّاهِي وللمُتودِّرِ، وهي أبْياتٌ ما فيها طَائِلٌ.

وقال الجَاحِظُ: قَدْ رأيتُ المُدنَ[العظام][a] المذْكُورةَ بالإتْقَانِ والإحْكَامِ ببلادِ الرُّومِ والشَّامَاتِ وغيرها، [٤٨و] فلم أرَ مدِينةً قطُّ أرْفعَ سَمْكـًا، ولا أجْودَ اسْتِدارةً، ولا أوْسَعَ أبْوابـًا، ولا أبْهىٰ عُقُودًا، ولا أحْكَم سُورًا وفَصِيلًا من مدِينةِ المَنْصُور، كأنَّما صُبَّتْ صَبـًّا في قالَبٍ او أُفرِغَتْ إفْراغـًا[1] في دريزك، وأنْشَد (شِعْر):

[السريع]

يَا حَبَّـذَا بغْـدَادُ من بَلْـدَةٍ ... يَا ليْتَنِـي أوطنْـتُ بغْدَادَا
لمْ تَـر عَيْني مِثْلَهَا بَلْدَةً ... أطْيَـبَ إصْـدَارًا وإيـرَادَا
إنْ رَدَّنـي اللهُ إلـىٰ أهْلِهَـا ... لـمْ أتَـزَودْ للنَّـوَىٰ زَادَا

(* وقال [ابن] الكَلْبي[2]: سُمِّي المُخَـرِّمُ [ببغْداد][b] مُخَـرِّمـًا لأنَّ مُخَـرِّمَ [بن شُرَيح][c] بن حَزْن الحَارِثيَّ نزلَهُ[3]، وكَانتْ قَنْطَرَةُ البَـردَانِ لرَجُلٍ يقالُ له السَّرِي بن الحُطَمِ، صَاحِب الحُطَميَّةِ التي بِقُربِ بغْدَادَ[4].

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من الخطيب البغدادي.

[b] التتمة من البلاذري: فتوح.

[c] ساقطة من الأصل: والتكملة من البلاذري: فتوح.

[1] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٨٧.

[2] تقدمت ترجمته ص١٢٨.

[3] راجع ما سبق ص٢٩٠.

[4] انظر: البلاذري:فتوح البلدان، ص ٤١٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، (قنطرة البردان) ج٤، ص٤٠٥؛ وعن الحطميَّة، ج٢، ص ٢٧٣.

والحَرْبِيَّةُ منسُوبةٌ إلى حَرْبِ بن عَبْد الله البَلْخيّ، (a وكان على شُرطَةِ جَعْفَرِ بن المَنْصُور، وهو يتَقَلَّدُ المَوْصِلَ a) [1].

والزُّهيرِيَّةُ بقُربِ بابِ التِّبنِ، نُسِبت إلى زُهيرِ بن محمَّدٍ من أهْلِ أبِيوَرْدَ[2]. وعِيسَى أبَاذ نُسِبتْ إلى عِيسَى بن المَهْدِي، وهو ابن الخَيْزُرانِ، وكان في حِجْر مُبَارَكٍ[b] التُّرْكِيِّ[3]، وقَصْرُ عَبْدَويه [ممّا يَلِي بَرَاثَا][c] منسُوبٌ إلى رَجُلٍ من الأزْدِ يقال له عَبْدَويه، وكان من وجُوهِ رِجالِ الدَّوْلةِ.

وأقْطَع المَنْصُورُ عُمَارة بن حَمْزةَ النّاحيةَ المعْرُوفةَ به[4]. وأقْطَع مَيْمُونَ أبا بِشْرِ بن مَيْمُونَ قَطِيعةً عند بُسْتَانِ القِسّ[5]، وطَاقَاتُ بِشْرٍ نُسِبتْ إلى بِشْرِ بن مَيْمُونَ، وهو مَوْلًى (c لعَلِيِّ بن عَبْدِ الله c)[6].

(a-a) لدى البلاذري: «وكان على شرط جعفر بن أبي جعفر بالموصل».

(b) في فتوح البلدان: منازل.

(c) التتمة من البلاذري.

(d-d) في الأصل: عبد الله بن علي، والتصويب من البلاذري: فتوح .

---

[1] راجع ما سبق ص٢٦٥.

[2] راجع ما سبق ص٢٧١.

[3] راجع ترجمته ص٢٩٣.

[4] راجع ما سبق ص٢٧٥-٢٧٦.

[5] راجع ما سبق ص٢٣٨.

[6] نقل ابن الفقيه هذه الأخبار من البلاذري: فتوح البلدان، والتي سبق وأن ذكرها من قبل من مصادر أخرى، دون إشارة له، وزاد عليها بعض الروايات التي لم يذكرها من قبل، واكتفى بذكر ابن الكلبي مصدر الخبر الأول لدى البلاذري. وصدر الرواية في البلاذري: « وحدثني العبَّاس بن هِشَام الكلبي عن أبيه، قال: سمى المخرم ببغداد مخرمًا لأن مخرم بن شريح بن حزن الحارثي نزله...»، بينما بدأ الرواية الثانية بـ «...حدثني مشايخ من أهل بغداد...» قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٥-٤١٧.

وأقْطَعَ أمَّ عُبَيْدَةَ حَاضِنةَ المَهْدِي[a]، وهي مَوْلَاةٌ لمحَمَّدِ بن عَليٍّ[1] قَطِيعةً منْسُوبةً إليها، وإليها تُنسبُ الطَّاقَاتُ المعْرُوفةُ بطَاقَاتِ أمِّ عُبَيْدَةَ بِقُربِ الجِسرِ.

وأقْطَعَ مُنِيرةَ، وهي مَوْلَاةٌ لمحَمَّدِ بن عَليٍّ، [b]المَوْضِع المنْسُوبَ إليها من الجَانبِ الشَّرقيِّ[b] . وأقْطَع رِيْسَانةَ [c][2] قطِيعةً تقرُبُ من مَسْجِد ابن رغبَانَ بالقُربِ من بَابِ الشَّعِير[3]. ودَرْبُ مِهْرَوَيْه، في الجانبِ الشَّرقِيِّ، نُسبَ إلى مِهْرَوَيْه الرَّازِيِّ، وكان مملُوكًا فأعْتقهُ المهْدِي[d][4] .

ونزَلَ المنْصُورُ مدِينةَ السَّلامِ منذ يوْمِ بنَاهَا إلى آخرِ خِلافَتِه، ثمَّ حجَّ منها وتُوفِّيَ بمكَّة. ونزَلَها بعْدهُ [٤٨ظ] المهْدِي، ثمَّ شَخصَ منها إلى ماسَبْذَانَ، فتوفي هناك، وكان أكثرُ نزُولِه إذا كان بمدِينةِ السَّلامِ عِيسَىٰ آباذ، حتىٰ بنىٰ فيها أبْنيةً كثِيرةً، وبها توفِّيَ الهَادِي. ونزَلَها الرَّشِيدُ، وكان قَليلَ المُقَامَ بها، وشخصَ عنها إلى الرَّقَةِ، فأقَامَ بها مُدةً، ثم سَارَ إلى خُراسَانَ، فتُوفِّيَ بِطُوس. ونزَلَها محَمَّدُ الأمِينُ فقُتِلَ بها.

---

[a] لدى البلاذري: مولاة لهم.

[b-b] والعبارة لدى البلاذري: «وإليها ينسب درب منيرة، وخان منيرة في الجانب الشرقي».

[c] كما في الأصل، والطبري؛ وياقوت؛ وفي فتوح البلدان: ريشانة.

[d] في فتوح البلدان: «وكان من سبي سِنفاذ»

---

[1] محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، والد السفاح والمنصور، تولي إمامة الهاشميين سرًا في أواخر أيام الدولة الأموية، وأول من قام بالدعوة لبني العباس، توفي بالشراة سنة١٢٥هـ/٧٤٣م للمزيد: راجع البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٨٠-٨٢.

[2] ريسانة قيمة نساء المنصور . انظر البلاذري : أنساب الأشراف ج٤ ص ١٩٤.

[3] انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٦؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٥، ص٣٧٧.

[4] انظر: البلاذري: المصدر السابق، ص٤١٦.

ثمَّ قَدِمَها المَـأمُونُ من خُرَاسانَ وأقامَ بها، ثمَّ شَخصَ عنها غازِيـًا، فمات بالبَذَنْدونِ[١] ودفِنَ بِطَرَسُوس.

ثمَّ نزَلهَا المُعْتَصمُ مُدَّةً من خِلافَتِهِ، ثمَّ شَخصَ عنها إلى القَاطُولِ[٢] فنزلَ قَصْرًا كان الرَّشِيدُ بناه، وحفَرَ بها قَاطُولَهُ الذي سَمَّـاهُ أبا الجُنْدِ لِكثرةِ ما كان يَسْقِي من الأرَضِينَ، وكان قد جعَلَهُ لأرْزاقِ جُنْدِهِ.

ثمَّ بنىٰ بالقَاطُولِ بِناءً [نزَلَهُ] [a]، ودفع ذلك [القَصْر] [b] إلى أشْنَاسٍ التُّرْكِيِّ موْلاهُ، ثمَّ انْتَقلَ إلى سُرَّمَرَّىٰ ونقلَ إليها النَّاسَ، وبنىٰ مَسْجِدًا جَامِعـًا في طَرفِ الأسْواقِ وسمَّـاها سُرَّمَرَّىٰ، وأنزلَ أشْنَاسَ فِيمَن ضَمَّ إليه من الأتْرَاكِ والقُوَّادِ كَرْخَ سُرَّمَرَّىٰ، وهو كَرْخُ فيروزَ[٣]، وأنزلَ بَعْضهم بالدُّورِ المعْرُوفةِ بدور العَرَبَانِيِّ، وتُوفِّيَ بسُرَّمَرَّىٰ في سنةِ سَبْعٍ وعِشْرينَ ومائتَينِ. وأقام الوَّاثِقُ بسُرَّمَرَّىٰ وبها تُوفِّـيَ.

واسْتَخْلفَ الـمُتَوكِّلُ، فأقَامَ بالهَارُونيِّ وبنىٰ به أبْنِيَةً كثيرةً، وأقْطَعَ النَّاسَ في سُرَّمَرَّىٰ في الحَيرِ[c][٤] الذي كان الـمُعْتَصمُ احْتَجرهُ فاتَّسعَ النَّاسُ بذلك.

---

[a] التتمة من البلاذري. [b] التكملة من فتوح البلدان.

[c] كما في الأصل والطبري، وفي البلاذري: حائر؛ وفي ياقوت: الحيز.

---

[١] قرية قريبة من طرسوس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، ص٣٦١.

[٢] نهرٌ كان في موضع سامراء قبل أن تعمر، اقتطعه الرشيد من نهر دجلة. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٧.

[٣] كرخ فيروز: ينسب إلى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك، وهو أقدم من سامرّاء، فلما بنيت سامرّاء اتصل بها. نفسه، ج٤، ص٤٤٩.

[٤] اسم قصر كان بسامراء، أنفق على عمارته المتوكل ٤ مليون درهم، ثم وهب المستعين أنقاضه لوزيره أحمد بن الخصيب. نفسه،ج٢، ص٣٢٨.

وبنىٰ مَسْجِدًا جَامِعًا، فأعْظَم النَّفقَةَ عليه، وأمرَ برَفعِ منارَتهِ لتعْلُو أصْواتُ المؤذِّنينَ فيها وحتىٰ يُنْظَر إليها من فرَاسِخ، فجمعَ النَّاسُ فيه وترَكُوا المَسْجِدَ الأوَّل.

وأمرَ بحَملِ المحَدِّثينَ من النَّواحِي، فحُمِلُوا وحَدَّثُوا النَّاسَ فحَسُنتْ له بذلك الأحْدُوثةُ. ثم بنىٰ مَدِينةً سمَّاهَا المتوكِّليَّة[1] وعمَّرهَا [وأقَام بها][a]، وأقطَع النَّاسَ بها قطَائِعَ [b] [وجعَلَهَا فيما بين الكَرْخ المعْرُوف بفَيْرُوز وبين القَاطُول المعْرُوف بكِسْرىٰ فدخَلت الدُّور والقَرْية المعْرُوفَة بالماحُوزَة فيها][b]، [c][وبنىٰ فيها قَصْرًا][c] وسَمَّاهُ الجَعْفَريَّ. [وذلك] في أوَّل سنةِ ستٍّ وأرْبعينَ ومِائتينِ، ثمَّ قُتل بها ليْلَةَ الأرْبعَاءِ لأرْبعِ ليالٍ خلونَ من شوَّالٍ سنة سبعٍ وأربعينَ ومائتَينِ، [d] [واسْتُخْلِف في هذه اللَّيلَة المُنْتَصِر بالله فانتَقل عنها إلىٰ سُرَّمَرَّىٰ يوم الثُّلاثَاء لعَشْرٍ خلَون من شَوَّال ومَات بها][d] فانتَقَلَ النَّاسُ عنها إلىٰ سُرَّمَرَّىٰ[2] *).

وقال بعْضُ الظُّرفَاءِ: مُجَالسَةُ التَّمَّارينَ تُورثُ المُخَاتلةَ، ومُجَالسَةُ البَزَّازِينَ [٤٩و] تُورِثُ البُخْلِ، ومُجَالسَةُ العطَّارِينَ تُورِثُ التَّجْمِيسَ[3].

---

[a] التتمة من البلاذري، فتوح.

(c - c) التتمة من البلاذري، فتوح.

(b - b) التتمة من ياقوت.

(b - b) التتمة من البلاذري، فتوح.

---

[1] انظر: مادة المتوكلية لدى ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٥٣.

[2] (*-*) ما بين النجمتين نقله ابن الفقيه عن البلاذري بتمامه دونما إشارة. قارن: فتوح البلدان، ص٤١٥-٤١٨.

[3] المخاتلة: الخداع والمداراة والمراوغة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص ٢٥٧؛ التجميس: الجمود وقلة الاكتراث. نفسه، ج٦، ص٤٢.

ومُجَالسَةُ الحَاطِينَ تُورِثُ النِّفَاقَ، ومُجَالسَةُ أصْحَابِ السَّقطِ تُورثُ الوَرَعَ، ومُجَالسَةُ النَّخَّاسِينَ تُورثُ الإفْلَاسَ، ومُجَالسَةُ أهْلِ فَارِسَ تُورثُ الزَّنْدَقَةَ، ومُجَالسَةُ أهْلِ الأهْوَازِ تُورثُ الغَدْرَ، ومُجَالسَةُ أهْلِ البَصْرَةِ تُورثُ صِغَرَ الهِمَّةِ، ومُجَالسَةُ أهْلِ واسِطَ تُورثُ البذَالَةَ، ومُجَالسَةُ أهْلِ الكُوفَةِ تُورثُ المُرُوءَةَ والتَجمُّلَ، ومُجَالسَةُ أهْلِ بغْدَادَ تُورثُ الفَتْكَ والظُّرفَ واللَّبَاقَةَ والنَّظَافَةَ.

وقال عُثْمَانُ بن أبي شَيْبَةَ[1]: سَمِعتُ أبَا بَحْرٍ السَّكُونيَّ[2] يقول: سمِعتُ ابن عَيَّاشٍ[3] يقول: فذُكِرتْ عنده بغْدَادُ فقال: هي دُنيا وآخِرة[4].

---

[1] عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي، إمام حافظ ثقة صدوق صاحب التصانيف. توفي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م. انظر في ترجمته وأخباره: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٩، ص٤٧٨-٤٨٦؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٢٤-٢٥.

[2] فرات بن محبوب السكوني، أبو بحر الكوفي، من محدثي الكوفة. انظر: ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج٧، ص٨٠.

[3] أبو بكر بن عياش، مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدي، أحد العباد العارفين بالحديث والعلم، توفي سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطَّبقَات الكبرى، ج٦، ٣٨٦؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٢٨٩؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج٩، ص١٤.

[4] قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٤٩.

(* [ما فُضِّلت به بغداد على مصر]

وقال يَزْدَجِرْدُ بن مُهَنْبَدَاذ الكِسْرَوِيُّ[١]: قد تكَلَّم النَّاسُ في بِلادِ همَذَانَ وأصْبَهانَ والرَّيِّ وسَائِر الكُوَرِ الشَّرِيفَةِ من بِلادِ الجبَلِ وخُراسَانَ، وفخَّمُوا شَأْنَ مِصْرَ خَاصَّـةً، وقالوا بها مُقَدَّمِينَ لها علىٰ بغْدَادَ والعِرَاقِ وسَائِر الآفَاقِ في كَثيرٍ من الأقَاوِيلِ، ونحن مُبْطِلونَ ذلك علىٰ مُقَدِّمِي[a] مِصْرَ خاصَّةً ومُتَوصِّلونَ إلى التَّفْرقةِ بين بلَدَيْنِ، لا يَقُومانِ في عِيارٍ ولا يتَوافيَـانِ علىٰ مِقْدَارٍ.

فإذا فعلْنَـا ذلك كان حُكْمُ ما لم نذْكُرهُ من سَائِر البُلْدَانِ ـ كالرَّيِّ وأصْبَهَانَ وسَائِر كُورِ أرمِينِيَّة وأذْرَبَيْـجَانَ ـ حكمَ مصْرَ المشْهُورةِ بخَواصِّها، المذْكُورةِ بأنْوَاعِهَا، ويُسْتَبْدلُ الاخْتِصَار بالتَّطْوِيلِ، وأمَّهَات الكَلامِ دونَ القَالِ والقِيلِ.

ونعْلَمُ أنَّ اللهَ خلقَ خَلْقـًا مقْسُومـًا ما بين قنَواتٍ مـُخْتَلفَـاتٍ حَارَّاتٍ وبارِدَاتٍ رَطْباتٍ ويَابِسَاتٍ، ثمَّ جعلَ تعْدِيل الحيَاةِ، هو أن لا تشَاحَّ علىٰ الصَّيفِ دون الشِّتاءِ، وعلىٰ بَردِ الماءِ دون لُطْفِ الهوَاءِ.

---

[a] رسمت في الأصل: مقتدي.

(* من هنا يبدأ ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب :فضائل بغداد وصفتها ليزدجرد الكِسروي.

[١] أبو سهل يزدجرد بن مهنبداذ الكِسروي، من أولاد الأكاسرة، ذكره النديم في كتاب "الفهرست" في المقالة الثانية عند حديثه عن الكُتّاب والمترسلين فقال: «عاش في أيام المعتضد وله من الكتب: كتاب فضائل بغداد وصفتها، وكتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة، كبير رأيته بخطِّه». انظر في ترجمته وأخباره: الفهرست: ج١، ص٢٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص٣٧٢-٣٧٤.

فلو كان الزَّمان بَـرْدًا جَمِيعـًا أوحَرًّا أبَدًا أوخَريفًا دائِمـًا او ربِيعـًا سَرمدًا لَـملَّتِ الطَّبِيعةُ زمَانَها وثقُلَ عليها منه نَسِيمها ومكَانُها.

ولوْلَا شِدَّةُ الجُوعِ وكَرْبُ العَطشِ، لزَالتْ لذَّةُ الماءِ والتَلذُّذُ بالغِذاءِ، وكذلك القَوْلُ في الرُّقَادِ والسَّهرِ، والحرَكَةِ والسُّكونِ، والحِمَـام والجِماعِ، والحرِّ والبرْدِ والرُّطُوبةِ واليُبْسِ.

ولو كُلِّفَ احدُنا أكلَ الخَبيصِ دائِمـًا واللَّبنِ دائِمـًا والعَسلِ دَائِمـًا لكُلِّفْنَـا [٤٩ظ] أمْرًا مرْبُوطـًا بمَكْروهِ الطَّبِيعةِ، مقْرُونـًا بأنْكَدِهِ وأرْدَئِهِ واضَرِّهِ وأضْنَاهُ، ولو كان الغِذَاءُ واحِدًا والزَّمَانُ واحِدًا والدَّوَاءَ واحِدًا، لكانَ الغِذَاءُ هو الدَّواء والرَّبِيعُ هو الشِّتَاء، فقد دلَّلْنـا بذلك علىٰ أنَّ أشرفَ البُلْدانِ مكانـًا وأفْضَل البِقَاعِ زمَانـًا ما كان منْتقِلًا بين أقْسَامِ الحرِّ والبَردِ والرُّطُوبةِ واليُبْسِ. ولا خير في زمانٍ يكونُ ليْلًا سرْمَدًا ونهَارًا أبَدًا.

وسنَدُلُّ علىٰ أنَّ الـمُتطَاولينَ بالحدِّ الوَاجبِ المُتنَاسب من الزَّمانِ بمِصْرَ، هم الـمُلْتجِئونَ من مآثِر أرْضِهم هذه إلىٰ السَّماءِ، والمحْوجُونَ إلىٰ النَّومِ تحت السَّقفِ الوَاحِدِ أبدًا. والماءُ والهَواءُ هما مع ذلك رُكنَـا حَياتِنا وخِلَّةٌ لتَمامِ خَلْقِنا، فأيُّما بُقْعةٍ إلتَاثَ فيها الاعْتِدالُ، و الاعْتِدالُ هو الانْتقَالُ والانْتقَالُ هو الزَّوالُ من حالٍ إلىٰ حالٍ، حتىٰ تكون دَهْرًا قُطْرًا وليْلُها ونهارُها واحِدًا أبدًا.

ثمَّ نجد مع ذلك الذي ينْبَغي منه دَوامُ بقَائِهِ واتِّصَالِ [طيبِهِ] وصفَائِهِ، هو ماءُ نِيلِهِم الأعْظَم وعِزُّهُم الأكْبر، فهو الذي لا دَوَام لَمائه ولا اتِّصال لطِيبه وصَفائه.

فإنَّ مثل النَّاسِ بين الهوَاءِ بمِصْرَ وبين أزْمَانِ بغْدَادَ الـمُعدَّلَاتِ، وبين نِيلِهَـا وما فيه من الحَوَادِثِ الهَائِلاتِ، والعجَائِبِ الطَّاقَّاتِ، وكَثيرًا ممَّا لا يَطِيبُ اسْتِماعهُ فضلًا عن مُشَاهَدتهِ.

ولوْلَا ما قد جَرتْ به لأهْلهِ العَادَات، وبين ماء دِجْلتِنَا والفُراتِ وغِياثِ السَّحائِبِ الرَّبِيعيَّاتِ وأيَّامِ الشِّتاءِ المُدْجِناتِ، وما في السَّماءِ من البَركاتِ، ميَّلوا بَاطِلًا وأضَاعُوا محْصُولًا.

وقدْ زعمَ كثيرٌ من أهْلِ النَّظَرِ أنَّه لوْلَا طِلْسمٌ بمِصْرَ لأغْرقَهَا النِّيلُ والبَحْرُ، وأنَّ بلَدًا لا تقُومُ أرْكَانهُ وثباتُ أهْلهِ وجِيرانهِ إلَّا بحِيلةٍ من المَرْبُوبين، لا يُؤمنُ فسَادُها، وبعَاصِمةٍ من المخْلوقِينَ تشُوبُها الظُّنونُ وتزُولُ بِدونِها عقدُ اليقِينِ، لعلىٰ خَطرٍ عظِيمٍ وعُزرٍ جَليلٍ.

هذا وليْسَ بين أن تَرىٰ سَاكنيهِ عَطْشَىٰ يتَشطَّحُون وبين أن يكُونوا في السَّفائِنِ [٥٠و] والزَّوارِيقِ يتَزاوَرونَ، وفي مرَاكبِ الطُّوفَانِ يذْهَبونَ ويـجيئُون فِرقًا في موَاقيتَ معْلومَةٍ من الزَّمانِ وأحوالٍ معْتَادةٍ من الأيَّامِ.

وممَّا يَزيدُكَ بَصَرًا بمَقادِيرِ عقُولِ المصْرِيِّينَ ويجوِّزُ لك الدَّليل علىٰ مَوازِينِ المعَدَّلينَ بين مِصْرَ ومدِينةِ السَّلَامِ، أنْ تعْلَم أنَّ قَوْمـًا قد زعَمُوا أنَّ الأحْكَامَ لم تكن لتُملِّك علىٰ قومٍ مَلكـًا، وذلك المَلِكُ أنْقَصُهم عَقلًا، ولا أوْضَعهُم رأيـًا، ولا أسْيَرهُم فهْمًا، ولا أصْغَرهُم عِلْمـًا مع تقَدُّم الشَّهَاداتِ لعُقولِ المُلوكِ خاصَّة، وبالخَواصِّ التي تكون مقْرونةً بهم ومنْسُوبةً إلىٰ قرَائِحهِم، عدلَ المَلِكُ في زمَانهِ أو جَار.

وإذا كان هذا هكذا، ثمَّ وجَدْنَـا فرْعَونَ قد مَلِكَ مِصْرَ دون غيرِها وغَلَبَ عليها دُونَ ما سِواهَـا [قَال] أَنَا رَبُّكمُ الأَعْلَىٰ فما ظَنُّكَ بعُقُولِ قومٍ هذا عَقْلُ من ملَّكُوه عليهم، وبمَغْرِسٍ هذه آثارُ ثِمارِهِ ونتَائِج أشْجَارِهِ، ونحن فقد فوَّضْنَا مِصْرَ إلىٰ خُمَارويْهِ[1] وزِدناهُ من الأقْطَارِ إلىٰ حدُودِ الأنْبار.

وإذا ذهبنا نُقَابِلُ المِصْرِيِّين بها ببغْدَادَ من الفضَائِلِ وزِيرًا بوَزِيرٍ، وأمِيرًا بأمِيرٍ، وحَكِيمًا بحَكِيمٍ، وخَطِيبـًا بخَطِيبٍ، وبَليغـًا ببَليغٍ، وأدِيبـًا بأدِيبٍ، وطَبِيبـًا بطَبِيبٍ، وحَاسِبـًا بحَاسِبٍ، وكَاتِبًا بكَاتِبٍ، ومحَـارِبـًا بمُحَارِبٍ، ومُضَارِبـًا بمُضَارِبٍ، ومُقَاتِلًا بمُقَاتِلٍ، ومُفَاضِلًا بمُفَاضِلٍ، وقاضِيًا بقَاضٍ، وفقِيهـًا بفَقيهٍ، حتىٰ يؤُولَ الأمْرُ بنَا إلىٰ ذكر أرْبَابِ الصِّنَاعاتِ الشَّرِيفةِ والمِهنِ اللَّطيفَةِ، كُنَّا قد تعرَّضْنَـا إلىٰ ما لا سبِيلَ إلىٰ اسْتِيفائهِ ولا دَليلَ علىٰ إحْصَائِهِ.

وإلَّا فمِنْ أين للمِصْرِيِّينَ كذِي الرَّأيِ والغَنَاءِ، والبَأْسِ والبَلاءِ، والحُكْمِ والدُّعَاءِ، والحِيلةِ[a] والدَّهَاءِ، والجُودِ والسَّخَاءِ، والعَهْدِ والوَفَاءِ في الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ، عدوُّ أعدَائه،

---

[a] رسمت في الأصل: الرحلة.

---

[1] خمارويه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش، ثاني رجال الدولة الطولونية بمصر. وليها بعد وفاة أبيه سنة ٢٧٠هـ/ تزوج المعتضد العباسي ابنته قطر الندى. وكان شجاعًا حازمًا، فيه ميل إلى اللهو. اتسع ملكه فكان له من الفرات إلى بلاد النوبة. قتله غلمانه على فراشه في دمشق٢٨٢هـ/٨٩٦م، وحمل تابوته إلى مصر.

انظر في ترجمته وأخباره: الكندي: ولاة مصر، ص٢٥٨-٢٦٤؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، طبعة القاهرة المصورة عن طبعة المجمع العلمي بدمشق، ١٩٣٧م. ص ٣٣٣-٣٤٩.

وابْنُ البَهَالِيلِ من آبائهِ: عُبَيْدُ الله بن عَبْد الله بن الطَّاهِرِينَ[١]، وكابنِ الطَّيِّبِ الحَكَمِيِّ، وثَابتِ بن قُرَّةَ الحَرَّانِي(a)[٢]، والعبَّاسِيِّ المَنْطِقِيِّ، والمنَيِّقط النَّاشئِ، و[ابن]
٢ الإِقْلِيدسيِّ الذَّكيِّ[٣] [٥٠ظ] والبَرْذعِيِّ[٤]، والعَدْليِّ[٥]، وأبي صَالِحِ السُّنِّي[٦]، إِلَّا أنْ يظنُّوا

(a) في الأصل: الروحاني.

[١] البهاليل جمع بهلول: وهو الحيي الكريم صاحب المقام الرفيع، والمقصود هو: عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقد مرت ترجمته ص١٢٣.

[٢] ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت الحراني الصابيء، أبو الحسن، خرج من حران وقصد بغداد، فاشتغل بالطب والفلسفة والحساب، وكانت له عند الخليفة العباسي المعتضد منزلة رفيعة، وله نحو ١٥٠كتابًا، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج٢، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٩٣-٩٨؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، الحياة، بيروت، د.ت، ص٢٩٥-٣٠٠.

[٣] إبراهيم بن محمد بن صالح البغدادي الشَّطْرَنْجي، أبو إسحاق، يعرف بابن الإقليدسي، من أهل بغداد. له كتاب مجموع في منصوبات الشَّطْرَنْج، وكان من الحذاق بها. توفي نحو سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: المصدر السابق، ج١، ص٤٨١.

[٤] سعيد بن عمرو بن عمار، أبو عثمان الأزدي البرذعي، الإمام الحافظ، نسبته إلى برذعة بأقصى أذربيجان، من كتبه الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث. توفي سنة٢٩٢هـ/٩٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٢٢١-٢٣٢.

[٥] العدلي الشَّطْرَنْجي، أول من عمل كتابًا في الشَّطْرَنْج وكان يلعبه بين يدي المتوكل. انظر: النديم: المصدر السابق، ج١، ص٤٨٠.

[٦] أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد بن سويد، وزير المستعين، أحد الكتاب البلغاء، من مصنفاته: كتاب التاريخ، وله رسائل مشهورة، توفي سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص٢٦٤؛ النديم: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١٢، ص٣٣٩-٣٤٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٤٩٤-٤٩٥.

أنَّ لهم أيضـًا كالمبرِّد[١] المشهُور أو ثعْلبَ المذكُور[٢]، ومن لم يزَلْ ولا يزَالُ بها من الفَاضِلين علىٰ الدُّهُورِ وعلىٰ السِّنِينَ والشُّهورِ.

وليْسَ لهم أنْ يُفَاخِرونَـا بهِرْمِس في زَمَانهِ أو بمِثلهِ في زَمانِنا، ولا بأغاتِيذَيْمُونَ[a] في أوانِنَـا. هذا وهم يعْلَمُون أو لا يعْلَمُونَ أنَّ بابِلَ العِرَاقِ كانت مَركزَ العِلمِ والعُلَماءِ، ومكَانَ الحِكْمةِ والحُكَماءِ، ولكنَّ الملِكَ المظَفَّر[٣] لما غَلبَ علىٰ مُلوكِ العُمْرانِ، نقل الحِكْمةَ والحُكَماءِ إلىٰ بِلاد أثِينَا[b] أو نحْوَها ممَّا قد سَلفَ.

فأمَّا مُفَاخرةُ القوْمِ بالدِّيارِ والمقَاصِيرِ وسَائِر الأغْذِيةِ والتَّدَابِيرِ أو بِما ببغْدَادَ من سَائِر الفَواكِهِ والثِّمارِ وغرَائِبِ النَّخلِ والأشْجَار، فظُنَّ ما شِئتَ أنْ تظُنَّـه، وعُدَّ ما شِئتَ أن تعُدَّه، تجده موْجُودًا غير مفقُودٍ وقَريبـًا غير بعِيدٍ.

---

[a] كذا رسمت في الأصل.

[b] رسمت في الأصل: إلينا

---

[١] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسنان بن سليم، الشهير بالمبرد: إمام العربية ببغداد وأحد أئمة الأدب والأخبار، صاحب التصانيف المشهورة، توفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م. انظر في ترجمته وأخباره: أبو سعيد السيرافي: طبقات النحويين البصريين، ص ٩٦-١٠٨؛ النديم: الفهرست، ج١، ص١٦٩-١٧٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٦٠٣-٦١١؛ القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٤١-٢٥٣؛ الصفدي: الوافي بالوافيات، ج٥، ص ٢١٦-٢١٨.

[٢] أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس ثعلب، النحوي الكوفي المشهور صاحب التصانيف، توفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٢٢٥- ٢٢٧؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج٦، ص٤٤٨-٤٥٦؛ القفطي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٨-١٥١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء،ج٢، ص٥٣٦-٥٥٣.

[٣] يقصد به الإسكندر الأكبر.

زعَمَ لي مِهْرَويه بَاغْبَانُ[1] السُّلْطانِ أنّهُ يعْرفُ بمدِينةِ السَّلامِ نيِّفًا وسَبْعينَ نوْعًا من التُّفَّاحِ، ثمَّ عدَّهَا فتبسَّمَ أخوهُ شَهْريارُ، ثمَّ قال: وكذَا وكذَا، زِيَادةً علىٰ ما قال أخوهُ بنَحْو أربعمائةِ نوعٍ وتِسعةِ أنْواعٍ.

وما ظَنُّكَ ببَلَدٍ مع جَمِيعِ ما فيه من غرائِبِ الأشْجَارِ وأجْنَاسِ النَّخِيلِ والبُقُولِ والمزَارِعِ والثِّمَارِ: ينْبتُ الأُترجُّ[2] والنَّارنْجُ[3]، كما ينْبُتُ الزَّعْفَرانُ والأقحُوانُ[4]، وكما يَنْبتُ الفُسْتقُ واللُّوزُ والزُّعرُورُ[5]، والمُوزُ والشَّاهبَلُّوطُ[6] والجوزُ والغُبَيْراءُ[7] والجِلَّوزُ[8] والسِّدرُ[9] والحبَّةُ الخَضْراءُ واللُّفَّاحُ[10].

---

[1] باغبان: لفظة فارسية تعني: البستاني.

[2] الأترج: شجر ناعم الأغصان والورق، ثمره كالليمون وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة حامض الماء. انظر: المعجم الوسيط، ج١، ص٤.

[3] النارنج: فارسي معرب، من فصيلة الليمون والبرتقال له عصارة حمضية. المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٥٠.

[4] الأقحوان: من نبات الربيع، مفرط الورق دقيق العيدان له نور أبيض. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج٥، ص٨٢.

[5] الزعرور: ثمرة تكون حمراء وربما كانت صفراء، لها نوى صلب مستدير. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٢٤.

[6] الشاهبلوط: شجرة توجد بأرض الشام ثمرتها أعذب من البلوط، وشكلها كنصف الجوز. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج١٩، ص١٧٠.

[7] الغبيراء: نوع من الفاكهة، سميت غبيراء للون ورقها وثمرتها، التي إذا بدت تكون مغبرة ثم تحمر حمرة شديدة. انظر: لسان العرب، ج٥، ص٦.

[8] الجلوز: هو البندق. نفسه، ج١٠، ص ٢٩.

[9] السدر: نوع من الشجر ينبت على الماء، يشبه شجر العناب، وثمره النبق، أصفر مز يُتفكه به. الأزهري: المصدر السابق، ج١٢، ص٢٤٧.

[10] اللفاح: نبات يقطيني أصفر شبيه بالباذنجان. انظر: لسان العرب، ج٢، ص٥٧٩.

والبُندقُ والبَلُّوطُ والمُـقْـلُ[١] والسَّبِسْتَانُ[٢] والهِلْيَونُ[٣] والرِّيبَاسُ[٤] والفُوَّةُ[٥] والمَحْرُوثُ[٦] والأُشْتُرْغَازُ والرَّاسُ والأَنْجُذانُ[٧] والعُنْصلُ والإسقِيلُ[٨] والدَّاذِيُّ[٩]
٣ و السَّلِيخَةُ[١٠] والزَّرْنَبُ[١١]، وما لا يُحصَىٰ ولا يُلْحقُ من جميعِ الأشْيَاءِ.

---

[١] المقل: ثمر شجر الدوم، الشبيه بالنخلة في حالاتها، ينضج ويؤكل، وهو خشن قابض بارد. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٣٠، ص٤١٤.

[٢] السَّبِسْتَان: لفظة فارسية تطلق على شجر المخيط، وهو يثمر ثمرًا حلوًا لزجًا يؤكل. نفسه، ج٤، ص٥٤٦.

[٣] الهليون: هو الكراث: الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ج٥، ص٣٩٤.

[٤] الريباس: نبات مُعمَّر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذوات الثلوج، تؤكل أغصانه ويسمى السماق في الشام. انظر : المعجم الوسيط، ج١، ص٣٨٥.

[٥] الفوة: عروق نبات يستخرج من الأرض يصبغ بها الثياب، ويستخدم ماؤه في الكتابة والنقش. انظر: لسان العرب، ج١٥، ص١١٦.

[٦] المحروث: أصل نبات الأنجدان، يعرف بعود الرقة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٣٤، ص٢١٦؛ دوزي: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٧، ص٣٤٠.

[٧] الأنجذان: نبات يقاوم السموم، جيد لوجع المفاصل، والأبيض منه هو ما يعرف بالأشترغاز . الزبيدي: تاج تاج العروس، ج٩، ص٤٨٦.

[٨] العنصل والإسقيل، نوعان من البصل البري، ويعرفان أيضًا ببصل الفأر. انظر: الزبيدي: المصدر السابق،ج٢٩، ص٤٨٩.

[٩] الداذي: نبت مسكر له عنقود مستطيل، وحبه على شكل حب الشعير. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ج٣، ص٤٩١.

[١٠] السليخة: دهن ثمر شجر البان، وقيل ضرب من الطيب. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٣، ص٢٦٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٧، ص٢٧٢.

[١١] الزرنب: ضرب من النبات طيب الرائحة، وقيل أنه نوع من الطيب. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج١، ص٤٤٨؛ الزبيدي: المصدر السابق، ج٣، ص١٤.

ولقد حَدَّثَنِي يُونُسُ الصَّيْدَلَانِي قال: ما أُحْصِي ما يُحْمَلُ من العَقَاقِيرِ النَّابِتَةِ على سَوَاقِي الأَنْهَارِ بِبَادُورَيَا كالشُّبرُمِ[1]، والسُّورَنْجَانِ[2] والبَنْجِ[3] والخَرْبَقِ[4] والتُّرِبذِ[5]
٣ والمازَرْيُونَ[6] والثِّيلِ[7] والإِذْخِرِ[8] [٥١و] والأَفْسِنْتِينِ[9] والجَعْدَةِ[10] والفَرَنْجَمُشْكِ[a][11]

[a] في الأصل: الفنجمشك.

[1] الشبرم: نبات سهلي، له ورق طوال، وله حب كالعدس أو الحمص. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، ج٣٢، ج٣٢، ص٤٥٢.

[2] السورنجان: نبات بري يشبه البصل، يسمى فرج الأرض وقلب الأرض. انظر: ابن البيطار: تفسير كتاب دياسقوريدس، تحقيق: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٠٠.

[3] البنج: لفظة معربة من الهندية، وهو جنس نباتات طبية مخدرة من الفصيلة الباذنجانية. انظر: المعجم الوسيط، الوسيط، ج١، ص٧١.

[4] الخربق: نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٧٨.

[5] التربذ: نبت أصفر يسبب الإسهال.

[6] المازريون: من الشجر ورقه كورق الزَّيْتون، زهره يميل إلى البياض، ثمره كالكَبَر. المعجم الوسيط: ج٢، ص٨٥٩.

[7] الثيل: نبات يفرش على شطوط الأنهار، ويشتبك حتى يصير على الأرض كاللبدة. الزبيدي: تاج العروس، ج٢٨، ص١٧٢.

[8] الإذخر: حشيش أخضر طيب الرائحة. انظر: المصدر السابق: ج١١، ص٣٦٤.

[9] الأفسنتين: نبات له خصائص مقاومة للحشرات فهو يمنع السوس عن الثياب، والكاغد أن يعثّ أو يقرّض. يقرّض. انظر: المصدر السابق، مادة: (ح ب ق).

[10] الجعدة: حشيشة خضراء تنبت على شاطئ الأنهار، طيبة الريح تنبت في الربيع وتيبس في الشتاء؛ وهي من البقول. وقيل الجعدة: بقلة برية لا تنبت على شطوط الأنهار. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١، ص٢٢٤.

[11] الفرنجمشك: نبات ينبت بأرض العرب على أطراف اليمن، يعرف بالحبق القرنفلي. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، ٢٥، ص١٣٦.

والغَافِ[a] [١] والمُرَقَّدةِ والحنْظَلِ، وأضْعَافِ ما ذَكرتُ من العَقَاقِيرِ التي تَدْخُلُ في
الأَدْوِيَةِ. فإن شِئْتَ أنْ نُذَاكِرهُ بالسُّكَّرِ [٢]، والجِيْسُوانِ [٣] والآزَاد [٤] والخركَانِ والعَرُوسِيِّ
والعَرُوسِيِّ والحُمْرانِ والهيْنَا والهِلْباثِ [٥] والبُرْدِيِّ والمُشَانِ [٦] والطَّبَرْزَذِ [٧] والبَاذِنْجَانِ ٣
والبَاذِنْجَانِ والقَرِيثَاءِ [٨] والماذِيانِ [٩] والقُرُشِيِّ والبرني[b] [١٠] والمَعْقِلِيِّ [١١] والصَّيْحَانيِّ [١٢]
والبَهْشكرِ، وصَلْنَـا من ذلك إلى خيرٍ كثيرٍ وأمْرٍ مشهُورٍ.

---

[a] رسمت في الأصل: الغافت، والصواب ما أثبتنا. [b] رسمت في الأصل: البدالي.

---

[١] الغاف: شجر عظيم ينبت في الرمل، وورقه أصغر من ورق التفاح وهو في خلقته، وله ثمر حلو جدًّا غلف. نفسه، ج٢٤، ص٢٢٨.

[٢] السُّكَّر: نوع من النخل له رطب حُلو طيب هش.

[٣] الجيسوان: لفظة معربة عن الفارسية، تطلق على جنس من أفخر النخل له تمر صغير جيد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص١٤٧.

[٤] آزاد: فارسية تعني الأبيض والشريف، والآزاد: نوع من أجود التمر والرطب.

[٥] الهلباث: نخلة من أحسن النخل منظرًا، ورطبها من أطيب الرطب. انظر: المصدر السابق، ج٢، ص١٩٨.

[٦] المشان: نوع من الرطب يعد من أطيب أنواعه . نفسه، ج١٣، ص٤٠٩.

[٧] الطبرزذ: لفظة معربة عن الفارسية، تطلق على السكر. نفسه، ج٣، ص ٤٩٧.

[٨] القريثاء: نوع من التمر، وقيل: هو من البسر، وهو أسود سريع النفض لقشره عن لحائه. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج١، ص٣٨٥.

[٩] الماذيان: نوع حلو من التمور ينبت بالبصرة بالقرب من نهر الماذيان.الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٤٢.

[١٠] البرني: نوع من النخل تمره أحمر مشرب بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٥، ص١٥٤.

[١١] المعقلي: نوع من التمر معروف بالبصرة وغيرها من العراق، منسوب إلى معقل بن يسار الصحابي. انظر: لسان العرب، ج١١، ص٤٦٥.

[١٢] الصيحاني: ضرب من التمور أسود صلب الممضغة. انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٢.

فأمَّا أنواعُ الأخبزةِ والأخبِصةِ وأصْنَافُ الأشْربةِ والأنبِذةِ وسَائِرِ الإنبيجاتِ[1] والإفْشَرجَاتِ وأنواعِ الأرْبَابِ والمُرَبيَّاتِ[2] فغَيْرُ معْلُومٍ لأهْلِ المغْرِبِ ولا معْدُومٍ في أفْنِيةِ بَابِلٍ. ومَا علمِتُ ولا أعْلمُ في المَاضِينَ من ملُوكِ الزَّمانِ جَمِيعًا مُلُوكًا، دانُوا بالضَّنِ بأزْمَانِهم وانتَحلُوا القَريَّ إلى الله بالإغْراقِ في التِماسِ اللَّذَاتِ الزَّمنيَّاتِ، في مطَاعِمهِم ومشَاربِهم وملَابِسهِم ومنَاكِحِهم، من أوْلَادِ فَارسَ ومُلوكِ الأكَاسِرةِ. فإنَّهم كانوا دُونَ مُلوكِ الرُّومِ والهِنْدِ وسَائِرِ الأطْرَافِ وأعْلَمَ بمَواقِعِ الرِّيفِ واحْذَقَ بتدْبيرِ العَيْشِ اللَّطِيفِ. وهم كانوا الأئِمَّةَ في غَرائِبِ الغَاذِيَاتِ والعُلَماءَ أصْنَافِ التَّدابِيرِ المُلذَّذاتِ.

وكانت الأفَاضِلُ في مُلوكِ بنِي سَاسَانَ خاصَّةً تُفاخِرُ غيرها من المُلوكِ باسْتِيطَانِ مدائِنَ العِراق ويتطَاوَلُ تَلطُّفُ الهواءِ بها وصِحَّةُ الماءِ فيها. هذا من حُكْم الحَمْرةِ البابِليَّةِ التي كانت تُفَاخِرُ بها في أعيَادِهَا، وتُعازُّ بخَواصِّهَا في أيَّامِها.

وتزْعُم أنَّه لوْلَا اعْتِدالُ الأرْضِ والماءِ واتِّزانُ مُناسبةِ الماءِ والهَواءِ، ما وصَلُوا من طعُومِ شَرابِهم هذا وأنوَاعِ ألْوَانِه ونَسِيمهِ وروَائِحهِ إلى غَاياتٍ لا سبيلَ إلى مثلها ولا نَظِير لها في شكْلِها. وإذا كان ذلك لهم في الشَّرابِ أنَّ يكون ذلك هو حَقُّ الحُكْمِ لها في سَائِرِ المَنابتِ والأشْجَار وأنواعِ الأغْذِيةِ والثِّمار.

---

[1] الإنْبِجُ: ثمرة تنبت بالهند تشبه ثمر الخوخ بها نواة كنواتها تجلب إلى العراق. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١١، ص٨٦.

[2] المربيات: ما يطبخ من التمر، وهو الدبس أيضا. المربيات: المعمولات بالرب بالعسل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٠٢-٤٠٦.

ولئِنْ صحَّ ذلك بذلك، [١٥ظ] وهو كذلِكَ، فسَيصِحُّ أنَّ الغَاذِياتِ التي جرَتْ باعْتِدالهَا طَبائِعهَا واتَّصَلتْ لإمْدَادِ خِلْقَتِنا وغَرائِزنَا خَلِيقةٌ أنْ تُفْرِدَ بالخَاصِّيَّاتِ المعْدِّلاتِ والخَصَائِص المكَمِّلاتِ. فليْسَ إسْرافُ الهَواءِ في اللَّطَافةِ ودَوامُهُ إلّا كإسْرَافِهِ في الكثَافةِ واتِّصَالهِا فيه، والاعْتِدالُ إذا هو الكَمالُ الفَاضِلُ والزَّمانُ العَادلُ.

وقد ذكَرتِ الجَماعةُ المميِّزةُ من المَاذَرائِيِّينَ[١] أنهم كانوا لا يشُمُّونَ بنَواحِي الرَّيِّ وأصْبَهانَ وقَزْوِينَ وزَنْجَانَ إلى سَائِر أمَّهاتِ الجِبَالِ من بِلادِ همَذَانَ شيْئًا من روائِح الصَّنِيعِ المشْوِيِّ والقَديدِ، سَواءٌ كان ذلك من الثَّورِ أو البَعِيرِ أو الفَرُّوجِ أو العُصْفورِ، إلّا اخْتِلَاسًا وتزَهُّمًا وذلك هو إمَّا لكَثافَةِ الهَواءِ في نَفْسِهِ أو لغِلظ الغِذاءِ في جنْسهِ. وإنَّك، والحقِّ، لتَشْهدُ أنَّ تَنشُّمكَ عندنا رَوائِح خُبْزِ المخَابِزِ البَعِيدةِ فضْلًا [عن] الجَدِيدةِ. فما ظَنُّكَ بالحَيوانِ المشْوي في التَّنُّورِ والصَّنِيعِ المُدَبَّرِ بالقُدُورِ.

وبِمثْل ذلك حدثَنِي الفَطِنُ الذَّكيُّ واللَّبِيبُ الحسْبِيُّ إبراهِيمُ بن أحْمدَ المَاذَرَائِيُّ عن الهَواءِ بمِصْرَ، الذي يمْحَقُ رائِحةَ المِسْكِ الأذْفَرِ[٢] والكَافُورِ والعَنْبرِ كما قال غيرهُ.

---

[١] أسرة فارسية الأصل تنسب إلى ماذاريا، وهي قرية من أعمال البصرة. استقر الماذرائيون في سيراف حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ثم هاجروا إلى مصر، وكان علي بن أحمد الماذرائي زعيم الماذرائيين في ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون، إذ اختاره وزيرًا له عام٢٧٢هـ/٨٨٥. للمزيد: انظر: سيدة إسماعيل الكاشف، مصر في عهد الإخشيديين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م. ص٣٧-٣٩.

[٢] المسك الأذفر: أجود أنواع المسك يجلب من التبت. راجع: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج١، ص٦١٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٤، ص٤٦٦.

وقد عَلِمْنَا أنَّ لأهْلِ قُمَّ الشَّرابَ المِيْرَمِيَّ ولأهْل أصْبهَانَ الشاهِجَانيّ، ولأهْل الرَّيِّ السُّدِّيَّ[a][1] ولأهْل همَذانَ المِرْجَانِيَّ، ولأهْل قَزْوينْ الدَّسْتَبانيَّ، ولأهْل مِصْر الرَّسَاطُون[2] العَسليَّ، ولأهْل الشَّام الحَليفِيَّ.

ولكن أين فضَائِلُ هذه الأنواعِ جميعًا لو جُمِعتْ في نوْعٍ منها من الشَّرابِ السُّوريِّ والعَصِير البَابليِّ والطَّبِيخِ القُطْرُبُّلِيِّ والمعتَّقِ الصَّرِيفِينيِّ.

ثمَّ رجعَ الكَلامُ إلى نَوعِهِ في مِصْرَ والمصْريِّينَ فنقول: فأينَ طُرُقاتُ مِصْرَ من طرُقَاتِ بغْدَادَ، ودَيَارُهَا من دِيَارِهَا، ورِحَابُها من رحَابِها، ودُروبُهَا من دُروبِهَا، وهي محَالُّ الأقْذَارِ ومزَابِلُ الأطْفَاسِ.

وحدَّثَ إبْراهِيمُ بن ياسِينَ، وكان مِصْرِيًّا يُجهِّزُ المسْكَ إلى مِصْرَ، أنَّه لا يكَادُ يشُمُّ في محَالِّ مِصْرَ شيْئًا من المسْكِ الأذفَرِ ولا الكَافُورِ والعَنْبَر.

وحدَّثني في إثْرِ ذلك صَدِيقي السَّرخَسِيُّ فقال: إنَّ طبَّاخًا [٥٢ر] لنا أتى بقُمامةٍ فرَماهَا إزاءَ بابِ دارِ منْزِلنا ببغْدَادَ، فجَلستُ لتَأديبهِ قُبالتَها ودعَوْتُ بالمقَارِعِ، إذ أقْبلَ رجُلٌ يسْعىٰ لشَأنٍ كأنَّما لم يخْلَق لغيره، فبحَثَ القُمامةَ بيدهِ وأثارَ منها صُوفًا وزُجَاجًا مُكسَّرًا فالتَقفهُ ومضىٰ مُبادِرًا.

---

[a] رسمت في الأصل: السندي، والصواب ما أثبتنا.

---

[1] السدي: اسم منسوب إلى السد ـ قرية بالري على بعد فرسخين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٩٧.

[2] الرساطون: لفظة معربة عن اليونانية، وهو شراب يتخذ من الخمر والعسل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص١٨٠.

ثمَّ أتىٰ آخر في إثْرِهِ ينْحُو نحْوهُ فبَحثَ باقِيهَا وأثَارَ منها قُشُور جَوزٍ وقُشُور رُمَانٍ، فأخَذَها وولَّىٰ مُنْطلقـًا، ثمَّ تَلاهُما ثَالثٌ يقفُو إثرهُما فأثـار القُمامةَ وأخْرجَ ما كان فيها من النَّوىٰ فأخذها ومَضىٰ. ثمَّ أقبلَ قَيّمُ الحمَّامِ فغَربلهَا وتزَوَّدَ ما فيها، ثمَّ مضىٰ، ثمَّ أقبلَ آخرُ معه منْخُل فنَخلَ التُّرابَ فاسْتَخْرجَ منه شيئـًا فأخَذه ومضىٰ، ثمَّ جاءَ أجِيرُ الحرَّاثِ فكَسحَ باقِيها، وكان تُرابـًا ورمَادًا فأخَذه ومضىٰ. قال فأمْسكتُ عن ضَربِ الغُلَامِ وقلت: ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم.

وما حَاجتُنا وحَاجتُكَ إلىٰ الانْتِصارِ بغير العِيَانِ والتَّظَاهُرِ علىٰ خُصَمائِنا بغير ما هو لنا في الزَّمانِ. هؤلاءِ الماذَرائِيُّونَ أهْلُنا وأصْحَابُنا وإخْوانُنَا وأتْرابُنا. رؤسَاءُ مِصْر وسُوَّاسُهَا وكُتَّابُ أعمَالِها وأرْبَابِها، ذَوو القُدْرةِ التَّامَّةِ والأمْرِ النَّافِذِ والسُّلْطَانِ الظَّاهِرِ والعِزِّ المتَظَاهِرِ.

ويتطَلَّعُ أعظمهُم قَدْرًا، وأكْبرهُم أمْرًا، وأعَزُّهمْ شَأنـًا، وأوْسَعهُم سُلطَانـًا إلىٰ قَوافِلِ الحاجِّ ووفُودِ المجَهَّزِينَ من بغْدَادَ، حتىٰ يسْتَصحِبُ لهم الخِفَافَ الطَّائِفيَّةَ والنِّعالَ السِّنْديَّةَ والمقَارِيض الهَيْثمِيَّةَ والأمْشَاطَ الطَّاهِرِيَّةَ والسَّكاكِينَ الكُنْبائِيَّـةَ[a][1] وكَثيرًا ممَّا يُصْنعُ من الأبْنُوسِ والعَاجِ والعَام الموجود من العِطْرِ والزُّجَاجِ، فما ظَنُّكَ بما لا يتَهيَّأ حمْلهُ ولا يسْهُلُ تجْهِيزُهُ أو نقْلهُ.

---

[a] رسمت في الأصل: الكتابية.

---

[1] نسبة إلى كنباية، مدينة في بلاد الهند، اشتهرت بصناعة منتجات العاج، وصناعة النعال الصَّرارة، وزارها المسعودي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م. وأشار إلى أن صادرتها تصل إلى العراق، انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج١، ص٢٥٤.

ولسْتَ تَجِدُ كَبيرًا من كُبراءِ الأطْرافِ، ولا عَظِيمًا من عُظَماءِ ملُوكِ النَّواحِي، كمَلِكِ الدَّيْلمِ والطَّيلَسانَ، وملِكِ السُّوسِ، ومن وراءِ أذْرِبَيجانَ، وسَائِرِ المتَغلِّبِينَ من أولياءِ الدَّولةِ في مشَارقِ الأرْضِ ومغَاربِها، إلَّا مُتبجِّحِينَ ممَّن يَصِيرُ إليهم ويَلْقَاهُم من مدِينةِ السَّلامِ كَائنـًا من كان، أو يُحملُ إلى مَواطِنِهِم [٥٢ظ] ويغْشَاهُم، ويُنَـافِسُون علىٰ اصطِناعِهِ ويُشاحُّونَ علىٰ ادِّخارِهِ، ويغَارُونَ علىٰ اقْتِنائِهِ، كما يستَقْصُون علىٰ فِقدانِهِ ويتَحاسَدونَ علىٰ وِجْدانِهِ.

وأحْسَبهُمْ يصِلُونَ بعد المُجَاهدةِ في ذلك والمُبَالغةِ في اطِّلاب ذلك إلى غير المنفِيِّنَ من الطبَّاخِينَ والمُسْتَجهَلينَ من المُتطَبِّبِينَ والمُستبَرِدِينَ من المغَنِّينَ والمُسْتَرِقِّينَ من الحنَّاطِينَ. فقد قنِعَ الرَّئِيسُ الأعْظَم والمَلِكُ الأكبَرُ من الجمَاعةِ أن يقال: هذه مغَنِّيةٌ بغْدَاديَّةٌ وعَامِلةٌ عرَاقيَّةٌ وزَامِرةٌ زنَاميـَّةٌ[1] وطبَّالةٌ عثعثِيـَّةٌ[2] وعوَّادةٌ بنَانِيَّةٌ[3] أوخرِيجَةٌ [و] شَارِيةٌ ورَيِّقٌ ورَحِيبٌ ومنَعَّمٌ وعَرْفانٌ وزَاعِمٌ وبدْعةٌ[4]، وكفَاهُم من ذلك أن تقُولَ الجَارِيةُ: رأيتُ بدْعَةَ وكَلَّمتُ تحفةَ وسَمِعتُ نَجْلةَ[a] ، وشَاهدتُ طيَّابـًا وأعرف زِرْيَابـًا.

---

[a] في الأصل: جلوة، ونجلة : كما في الشباشتي

---

[1] نسبة إلى زنام الزامر: أوّل من اشتهر باستعمال الناي، وكان مطرب الرشيد والمعتصم والواثق، توفي حوالي ٢٣٥هـ/٨٤٩م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١١٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣٢، ص٣٣٨.

[2] نسبة إلى عثعث المغني. انظر: الطبري: المصدر السابق، ج٩، ص٢٢٤.

[3] نسبة إلى بنان المغني. نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] ذكر الشباشتي: بعض أسماء المغنيات مثل:عريب، وبدعة جاريتها، سراب، شارية وجواريها، ندمان، منعم، نجلة، تركية، فريدة، عرفان. انظر: الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٥٤.

كما كفَاهُم أنْ يقولوا: ماشِطةٌ طَاهِريَّةٌ وخَازِنةٌ حرِيمِيَّةٌ وكانت سِتِّي فُلانةُ الفُلانيَّـة. فتِلكَ عنْدهُم من النِّعمِ المعْدُوداتِ والذَّخَائِر المعْتقَداتِ[a].

ثُمَّ رجعَ الكَلَامُ إلى ذِكرِ شَبيهٍ بما كنَّا فيه من ذِكرِ المِصْريِّينَ، فلعَلَّ القَومَ أنْ يُفَاخِرونَا بالمعَادِنِ ويعَازُّونَـا بالزَّبرْجَدِ والدَّبِيقيِّ، فإنْ فَعلُوا فأخْلقُ بنا إلى أنْ نقول: إنَّ ذلك شَيءٌ إنْ اسْتَجازَ القَوْمُ المُعَازَّة به في المعَادِنِ وفي الزَّبرْجَدِ والدَّبِيقيِّ، فكانوا قد دلُّوا من أنْفسِهِم على ضَعفٍ كبِيرٍ وعَجْزٍ مشْهُورٍ، وإلَّا فإنْ كان المعْدِنُ هو العِلَّة لشَرفِهِم، فليْسَ بمَأْمُونٍ زَوالُ الشَّرفِ بزَوَالِ المعْدِنِ.

وإن كان شَرفُ المعْدنِ إنَّما هو شَرفٌ لنَفْسِهِ، كانت كلُّ ذَاتٍ معْدِنيَّةٍ ذَاتَ شرفٍ بنَفْسِها، ولا يكُونُ أنْ يكُونَ الذَّهبُ شَريفـًا لنفْسِه، فلا يكُونُ الرَّصَاصُ أو حَجرُ النَّارِ شَريفـًا لنفْسِه، وإن كان شَرفُ القوْمِ إنَّما هو شيءٌ هو لعِلَّتِهم وعِلَّةِ المعْدَنِ معـًا، وقد وجَدْنا نَصِيبَ أبْعدِنَا من المعْدنِ كنَصِيبَ أقْربِنا منه وأوْفر، ولسْتَ مع ذلك تجِدُ الحدِيدَ في ثمَنِ المِثْقَالِ من الذَّهبِ بمِصْرَ إلَّا كالحديد في قِيمَتِهِ بأقْصَى حجَرٍ بالتِّبرِ والطَّيْلَسانِ.

فأمَّا مُعَازَّتهُم بالقَصبِ والدَّبِيقيِّ [٥٣و] والمُلْحَم[1] والخَليجِيِّ، فقد قُلنَا ونقول إنَّ ذلك هو شَيءٌ لنا دونهم. فإنَّه لو وجبَ التطَاوُلُ بذلك علَينا لاسْتَجازَ الحرَّاثُونَ مفَاخرةَ أرْبَابِ الضِياعِ ونَسَّاجُو الدِّيبَاجِ التطَاول على لابِسيهِ، ولكانَ مُركِّبُ التَّاجِ

---

[a] في الأصل: المعتضدية.

---

[1] الملْحم: نوع من الثياب يختلف نوع لحمته عن نوع سداه، حيث ينسج من الصوف والحرير أو الحرير والقطن. انظر: المعجم الوسيط، ج٢،ص٨١٩.

بالدُّرِّ واليَاقُوتِ سَيُشَارِكُ المَلِكَ الأَعْظَمَ فِي عِزِّهِ وسُلْطَانِهِ وفِي أَقْصَىٰ من مكَانَتِهِ، من شَأْنِهِ حتىٰ يكونَ صَائِغُ الإِكْليلِ أحقَّ به ممَّن أَمَرهُ ونَهَاهُ واسْتَأْجَرهُ وأعْطَاه؛ والدَّليلُ علىٰ صِدقِنا أنَّ أهْلَ مصرَ، لو كانوا إنَّما يتَّخِذُون الدَّبِيقيَّ ويتكلَّفُون صَنعة المُلْحمِ والتِّـنِّيسيِّ لهم ولمن هو منهُم وإليهم، لهلَكَ النَّسَّاجونَ ولماتَ البزَّازُونَ وسَائِر من بها من أرْبَابِ القَراطِيسِ وصُنَّاعِ الشَّمعِ والخَيْشِ والكَرابِيسِ[1]. ذلك هو القَولُ في المُجَهَّزاتِ جميعـًا من خُراسَانَ وسَائِر بِلادِ الله في جميعِ العُمْرانِ.

ثمَّ لا نجدُ بغْدَادَ عند ذلك إلا كالجَوهَرِ القَائِم بنَفْسِه والبُلْدانَ دونَها كالأعْرَاضِ التي لا قَوَام لها إلَّا بما هو أثبتُ بِها وأغْنَىٰ عنها. فالدُّنيا العِراقُ والنَّاسُ أهْلُهَا والطَّاعِنونَ علىٰ بغْدَادَ هم الطَّاعِنونَ علىٰ اختِيارِ الخُلفَاءِ، والطَّاعِنُونَ علىٰ الخُلفَاءِ هم الطَّاعِنُونَ علىٰ الأنْبِياءِ، والطَّاعِنُونَ علىٰ الأنْبِياءِ هم الطَّاعِنونَ علىٰ ربِّ الأنْبِياءِ.

وحدَّثني القَاضِي إسْماعِيلُ بن إسْحَاقَ[2]، وكفَىٰ به مُحَدِّثـًا، ومحَمَّدُ بن يزِيدَ[3]، وكَفَىٰ به مُخْبِرًا، قالا: لقد كنَّا نلْتَمِسُ بالبَصْرَةِ من جَيِّدِ التُّمُورِ وأنواعِ الأرْطَابِ فنَجِدُ ببغْدَادَ ما لم يُرَ مِثلهُ بأنْهَارِ البَصْرَةِ جَميعـًا.

---

[1] الكرابيس: فارسي معرب، جمع كرباس وهو القطن. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص١٩٥.

[2] إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي، الإمام العلامة الحافظ، صاحب التصانيف، وقاضي قضاة بغداد، ويذكر أنه كان من نظراء المبرِّد. توفي سنة ٢٨٢هـ/٨٦٩م. انظر في ترجمته وأخباره: وكيع: أخبار القضاة، ج٣، ص٢٨٠-٢٨١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٢٧٢-٢٨١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص١٤٩.

[3] هو المبرد، انظر ترجمته فيما تقدم ص٣١٤.

وحدَّثني من لا ارتِيابَ للعُقَلاءِ في عقْلِهِ ولا اشْتِباهَ عند الحُكَماءِ في فضْلهِ بعُلومهِ وآدَابِهِ وأنْسَابِهِ وإحْسَانهِ: عُبَيْدُ الله بن عَبْدِ الله بن طَاهِرٍ[1]، مُتَمثِّلًا في أثرِ كلَامٍ مرَّ في غَرائِبِ بغْدَادَ، فقال: تزْعُمُ العَامَّةُ أنَّ رَجُلًا من مُجَهِّزي القُطنِ كان بالشَّامِ. ثمَّ وقع إلىٰ كُورَةِ مَرْوَ من بِلادِ خُرَاسانَ، وهو لا يظُنُّ أنَّ القُطْنَ يكونُ بغَيرِ الشَّامِ فاكْتَحلَ[2] من كثْرَتهِ بمَرْو بما فاضَ عن عقْلِهِ، واتَّهَمَ معهُ فَهْمهُ. ثم سَألَ عن البُلْدانَ التي يُحتَمَلُ تجْهيز ذلك إليها. فقِيلَ له بغْدَادَ. فقال: وكمْ في الأرْضِ من [٥٣ظ] بغْدَادَ؟ فصَدُقَ عن القِصَّةِ فقال: أظنُّ أنَّ أهْلَ بغْدَادَ يأكُلونَ القُطْنَ أو تُبْنىٰ لهم به المسَاكِنُ والجُدرانُ.

فأقْبلَ يُريُد العِراقَ؛ لذلك أشْرفَ من بِلادِ الرَّيِّ ونُواحِيها علىٰ ما لم ترَ عَيْنهُ مثله من الأقْطَانِ أيضًا وتجْهِيزهَا، فسأل: فكَانتِ القِصَّةُ سَواءً. ثمَّ أقْبلَ إلىٰ مُلْتقىٰ القَوَافلِ بقَرْمِيسِينَ، فأقْبلَتْ عليه الأرْضُ بيْضَاءَ بالأقْطَانِ، فازْدَادَ حرِصًا علىٰ مُشَاهدةِ بلَدٍ يأكلُ أهْلها القُطْنَ ويشربُونَه ويبْنُونَ بهِ دُورَهُم. فلمَّا بلغَ بغْدَادَ لم يَرهَا مبْنِيةً بالقُطْنِ ولا مصْنُوعةً منه. فقال: أريدُ بغْدَادَ القُطْنِ. فقال له: ها أنْتَ ببغْدَادَ. قال: فإذا كانت هذه بغْدَادكُمْ فأين الدُّنيا والآخِرةُ.

وقال المعْرُوفُ بابن يَزِيدِ الحُرقِيُّ، ومحمَّدُ بن نَصْرِ الدَّلَّالَانِ، وهما شَيْخَانِ مَسْتُورانِ قد أسَنَّا: إنَّا لنرْكُضُ علىٰ حِيرنَا في حَواشِي بغْدَادَ وأوْسَاطِها منذ سبْعِينَ سنةً لدَلالَةِ ما يُباعُ في المنَازِلِ والعقَاراتِ وسَائِرِ العُقُدِ والمسْتَغلَّاتِ في اللَّيلِ والنَّهارِ

---

[1] ترجمته فيما تقدم ص٣٠٢.

[2] كحل الرجل: أي إذا وقع في شدة.

والغُدوِّ والآصَالِ، وإنَّا لنمُرُّ في أيَّامِنا بل في الزَّمانِ جميعاً بِبقَاعٍ لا عَهدَ لنا بها، ودُورٍ لا معْرفةَ لنا بشَيءٍ منها، وبمَسَالكَ لا نُحِيطُ بها أوهَامُنا ولا سلَكْنَاهَا قطُّ، وكثيرٌ من
٢ النَّاسِ يقولون: إنَّ جَانِبي بغْدَادَ كالفرْسَخَينِ، وقد غَلطوا في ذلك غلَطاً بيِّناً.

وأُنْشِد لِكَاتِبٍ من أهْلِ البنْدنِجيْنِ يذْكُر فضْلَ بغْدَادَ ويذُمُّ مِصْرَ[1] وأهْلَها.(شِعْر) : [الكامل]

هلْ غَايَةٌ من بعْدِ مِصْرَ أجِيئها ... للرِّزْقِ من قَذفِ المَحلِّ سَحِيقِ
لمْ يألُ من حَطَّتْ بمِصْرَ ركَابهُ ... لِلُرزقِ في سبَبٍ لَديْهِ وثِيقِ
نَادَتْهُ من أقْصَىٰ البِلَادِ بِذِكْرِهَا ... وتغُشُّهُ [من] بعْدُ بالتَّعْوِيقِ
كَمْ قَدْ جَشِمْتُ علىٰ المكَارِهِ دُونَها ... مِنْ كُلِّ مُشْتَبهِ الفجَاجِ عَمِيقِ
وقطَعْتُ من عَافِي الصُّوَىٰ مُتَخـَ ... ـرِّقـاً ما بَيْنَ هِيتَ إلىٰ مخَارِمِ فِيقِ
فعَرِيشُ مِصْرَ هُناكَ فَالفرامَا إلىٰ ... تِنِّيسِـها ودَمـيـرةٍ ودَبِـيـقِ
بَحْرًا وبرًّا قَدْ سلكْتُهُا إلىٰ ... فُسْطَاطِها ومحَلِّ كُلِّ فَرِيقِ
ورَأيْتُ أدْنَىٰ خَيرِهَا من رَاغِبٍ ... أنْأىٰ لِطَالِبِهِ من العَيُّوقِ
قَلَّتْ منَافِعُهَا فضَجَّ ولاتُها ... وشَكَا التُّجَارُ بها كسَادَ السُّوقِ
مَا إنْ يَرىٰ فيها الغَرِيبُ إذَا رَأىٰ ... شَيْئاً سِوىٰ الخُيَلاءِ والتَّبْرِيقِ
قَدْ فَضَّلُوا جَهْلًا مُقَطَّمهُم علىٰ ... بَيْتٍ بِمَكَّةَ لِلإلهِ عَتِيقِ
لَمَصَارِعٍ لمْ يَبْقَ في أجْدَاثِهَا ... منهُم صَدَىٰ بَرٍّ ولا صدِّيقِ
إنْ هَمَّ فَاعِلُهُم فغَيرُ مُوَفَّقٍ ... أو قَالَ قَائِلهُم فغَيْرُ صَدُوقِ
شِيَعُ الضَّلالِ وحِزْبُ كلِّ مُنَافِقٍ ... ومَصَـارِعٌ لـلْبَـغْي والتَّـنْفِيقِ

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٤١. وفي هذه الأبيات ذم مبالغ فيه لا يليق أن توصف به مصر وأهلها.

أخلَاقُ فِرْعَوْنَ اللَّعِينةُ فيهم   والقَوْلُ بالتَّشْبيهِ والـمَخلُوقِ
لَوْلَا اعْتِزَالٌ فِيهمُ وتَرَفُّضٌ   مِنْ عُصْبةٍ لدَعَوتُ بالتَّغْرِيقِ
يَا طُولَ شَوْقِي واتِّصَالَ صبَابَتِي   ودَوَامَ لَوْعةِ زَفرتِي وشَهِيقِي
ذَكَر العِراقَ فلَمْ تَزَلْ أجفَانهُ   تَهمِي عليه بِمائِها المَدْفُوقِ
ونَعِيمَ دَهْرٍ اغْفَلتْ أيَّامَنَا   بِالكَرْخِ في قَصْفٍ وفي تَفْنِيقِ
وبِنَهْرِ عِيسَىٰ أو بِشَاطِئِ دِجْلَةٍ   أو بِالصَّراةِ إلى رحَا البطْرِيقِ
سُقْيا لتِلكَ مغَانِيًا ومعَارِفًا   عُمِرت بغَيرِ البُخْلِ والتَّضيِيقِ
ما كَانَ اغْنَاهُ وابعْدَ دَارَهُ عن   أرْضِ مِصْرَ ونِيلهَا المَحُوقِ
لا تَبْعُدنَّ صَرِيم عَزْمكَ بالمُنَىٰ   ما أنتَ في التَّقييدِ بالمحْقُوقِ
فُـزْ بالرُّجُوعِ إلى العِراقِ وخَلِّهَا   يمْضِي فَرِيقٌ بعد جمْعِ فَرِيقِ

وقال أحْمَدُ بن الطَّيِّب تِلْميذُ الكِنْديّ[1]: مدِينةُ السَّلامِ شَرِيفَةُ المكَانِ، كثِيرةُ الأهْلِ، وَاسِعةُ [٥٤ظ] الشَّكلِ، بعِيدةُ القُطرِ، جَلِيلةُ الوِلَايةِ نبِيهةُ السُّلْطَانِ، ينْبُوعُ الآدَابِ، ومنْبَتُ الحِكَمِ. اهْلُهَا بُرْدُ الآفَاقِ وخُطبَاءُ البِلَادِ. ما فُعِلَ فيها من خيرٍ فمَشْهورٌ، وما عُلِنَ فيها من شَرٍّ فمسْتُورٌ.

منها الفُقَهاءُ والقُضَاةُ والأُمَراءُ والوُلَاةُ. عِتَادُ الخِلافةِ ودَارُ أهْلِ الدَّعوةِ. وإنَّ لها لجِنْسًا من السَّعادَةِ، ولأهْلهَا نَوْعـًا من الرِّيَاسةِ.

---

[1] أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي، أبو العباس: الفيلسوف المتأدب العالم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون. له في كل علم تصانيف، من ندماء المعتضد وكان يفضي إليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته، ثم قتله عام ٢٨٦هـ/٨٩٩م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست،ج٢، ١٩٥-١٩٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٢٨٧-٢٩١؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١،ص٢٩٣-٢٩٤.

وذلك أنّه قلَّ ما اجْتَمعَ اثنانِ مُتَشاكِلانِ، وكان أحدُهُما بغدَاديًا إلّا كان المُتقدِّمَ في لطِيفِ الفِطْنةِ وحُسْنِ الحِيلةِ، لينَ المُعَاملَةِ، جَميلَ المُعَاشرةِ، حُلوَ اللَّفظِ، مَلِيحَ الحرَكَاتِ، ظَرِيفَ الشَّمائِلِ.

فأمَّا ما ينْبَغِي أنْ تفْهَمهُ من عيْبِها وتقِفَ عليه من مَذْمُومِ أمْرِها فهو أنَّ بعض ما عَددْتَ[من] محاسِنهَا يعُودُ فيَصِيرُ عَيبًا لها وقُبْحًا من أمْرِهَا، وذلك أنَّ سِعتهَا أفْرطَت حتىٰ صَارتْ مِسَاحَتهَا أرْبَعةَ فرَاسِخَ[1]. والذي هذه مِسَاحتهُ إذا كان قَرِيبًا معْتدِلًا، يُحيطُ به حائِطٌ طُولهُ ثمانِيةُ فَراسِخ، يكون ذلك أرْبعةً وعشْرِينَ مِيلًا[2].

وإذا كان هذا هكذا واحْتِيجَ إلىٰ حرَاسةِ هذه المدِينةِ واحْتَاجَ سُلْطَانُها التَّحصُّنَ فيها. فأقَلُّ ما يحتَاجُ إليه من الحفَظةِ وأصْحَابِ المجَانِيقِ والعرَّادَاتِ وفي كلِّ مِيلٍ ألف رجُلٍ، تكُونُ جُمْلتُهم علىٰ حسَبِ ذلك أرْبعةً وعشْرِينَ ألفَ رجُلٍ. فإذا لم يحْفَظ هذه المدِينةِ أهْلهَا متبرِّعينَ بذلك أو مضْطَرِّينَ.

فأقلُّ ما تحْتَاجُ إليه لأرْزَاقِ حفَظَتِهَا علىٰ اخْتِلافِ أحْوَالِهم من قَائدٍ وعَرِيفٍ وتَابعٍ، وما يُحْتَاجُ إليه لمُؤنِ الدَّادِينَ في المجَانِيقِ والعرَّاداتِ ومُؤنِ الموكَّلينَ بهم والقُوَّام ومرَمَّةِ أسْلحَتِهم وما يتَّصلُ بذلك من أثمانِ الآلاتِ ومرَمَّتِها، ما يكونُ إذا ضُربَ بعْضُه في بعضٍ علىٰ أخسِّ التَّقْدِيراتِ عشْرةِ دَراهم كلَّ يومٍ لكلِّ رجُلٍ، تكونُ زُهاءَ مِائتي ألفِ دِرْهمٍ وأرْبَعينَ ألف دِرْهمٍ في كلِّ يومٍ.

---

[1] على هذا تكون مساحة بغداد ٤٤,٥ كيلو متر مربع.

[2] ما يعني أن محيط السور الذي يطوّق مدينة بغداد، يصل طوله إلى ما يزيد عن مائة كيلو متر، بحساب متوسط الميل العربي الذي يساوي ٣,٧١ كم.

فإذا أقَاموا علىٰ ذلك شَهْرًا احْتَاج هؤلاء الحفَظَةُ دونَ المُـقَاتِلَةِ إلىٰ سبْعةِ آلافِ ألفِ دِرْهمٍ ومائَتي ألفِ دِرْهمٍ. فإنْ كان المُتحَصِّنُ [٥٥و] مُـخْتلًّا فقد أُتِيَ من مَأمَنهِ ودُخِلَ عليه في حِصْنهِ.

ولذلك ما أنْفقَ محَمَّدُ بن عبْد الله بن طَاهرٍ[١] في سنةِ المُسْتَعِينِ والفِتْنةِ زُهاءَ مائةِ ألفِ ألفِ دِرْهمٍ علىٰ حِفْظِ السُّورِ والمقَاتِلةِ. ولقد دخَلهُ خلَلٌ وهجَمَ علىٰ المدِينةِ من ناحِيةِ بغْويريَـا حتىٰ قَصُرَ السُّورُ ونقَص من الإحَاطةِ شَيءٌ لهُ قَدرٌ. فهذا أحَدُ العُيُوبِ. وأيضـًا فإنَّ الخَليفَةَ الذي رسمَ هذه المدِينةَ التي يُـحَامَىٰ عليها من الأطْرافِ الشَّاسِعةِ والثُّغُور النَّـائيةِ، وإنَّ القُطْب الذي عليه المدَارُ والقُبَّةُ التي منها يَنْفذُ التَّدبيرُ لتوَسُّطِهَـا بين أقْصَىٰ المَشْرقِ وأبْعَدِ نهَايةِ المَغربِ.

وكذلك هي في توَسُّطِ ما بين الشَّمالِ والجَنُوبِ، وذلك أنَّ كثْرةَ أهْلهَا تَدْعُو إلىٰ شِدَّةِ الحَاجةِ وإلىٰ كثْرةِ المِيرةِ لها، ولذلك ما يحْتَاجُ أهْلُها إلىٰ مِيرةٍ من أقْصَىٰ دِيارِ مُضَر، وبينَها وبين ذلك مِائةٌ وعشْرونَ فرْسَخـًا، ويحْتاجُونَ من أبْعدِ موْضِعٍ في دِيارِ ربيعَةَ وأشْسَعِ مكانٍ من أعَالِي المَوْصِلِ، وبينَهم وبين أدْنَىٰ تلْكَ المَوَاضِعِ نحو المِائةِ فَرسخٍ.

فلو اعْتَرَض معْتَرِضٌ فقطَعَ مِيرةَ دِيارِ رَبيعةَ والمَوْصِلِ عنهم، ثمَّ كان المتَحَصِّنُ أفْضَلَ الأئِمةِ عَدَالةً فَضْلًا عن أمِيرٍ أو رئِيسٍ لاضْطرُّوا إلىٰ إخْرَاجهِ ونفْيهِ عن جِوارِهِم، ولا سِّيما وهم لا يخَافُونَ لكثرةِ عدَدِهِم وجَليلِ قَدْرهِم وكثرةِ السِّلاحَ فيهم، وهم مُسْتَلمُونَ فبهذا السَّببِ أيضًا لا يُمكنُ أنْ يتحَصَّنَ بها مَلكٌ؛ الا ترىٰ إلىٰ المُلوكِ الذين دَوَّخوا البِلادَ، وملَكُوا العِبَادَ، وبنَوا المُدنَ، وحفَرُوا الأنْهار، وعمَّرُوا

[١] تقدمت ترجمته ص٢٥٢.

الأرْضَ، وسَاسُوا المُلْكَ، وقَارَعُوا المُلوكَ، وقَادُوا الجيُوشَ، ليس فيهم أحَدٌ بنىٰ مدِينةً تُحيطُ من السُّكَّانِ إلّا بقَدْرِ ما يسَعُهمْ ما أحَاطَ بتلك المدِينةِ من العِمَارةِ والحَرْثِ، حتىٰ أنَّ بعض من بَعُدتْ هِمَّتهُ من الملُوكِ، لـمَّا اتخذَ مدِينةً، جعَلَ السُّورَ يُحيطُ بالسَّاكِنِينَ وبمَوضِعِ مزدَرعِهِم، كما هو موْجُودٌ بأرْضِ بابِلَ وبناحِيةِ سَمَرقَنْد وبخَارىٰ.

وأنت [٥٥ظ] إذا سَألتَ عن مدُنِ الشَّرقِ والغَربِ والشَّمالِ والجَنُوبِ وجدتَ الأمْرَ علىٰ ما وصَفتُ لكَ إلّا المُدنَ المُحْدَثةَ التي بنَتها العَربُ في الإسْلَامِ، وهي الكُوفَةُ والبَصْرَةُ وبغْدَادُ، ولم تُؤتَ الملُوكُ القُدماءُ من قلَّةِ معْرِفةٍ ولا من جَهْلٍ بصَوابِ التَّدبيرِ والسِّيَاسةِ.

فأمَّا وَاسِطُ وسُرَّمرَّىٰ فعسْكَرانِ. وذلك أنَّ وَاسِط بنَاهَا الحجَّاجُ منْزِلًا لِنفْسِه ومُعَسْكَرًا لجُنْدِ أهْلِ الشَّامِ هَربًا بهم من مُجَاورةِ أهْلِ العِرَاقِ ومُعَاملَتِهم، وأهْلُ العِراقِ حينئذٍ أهْلُ الكُوفَةِ والبَصْرَةِ، ولقد أحْسنَ في اخْتِيارِ الموْضِعِ لأنَّهُ جبَليٌّ سَهليٌّ بَرِيٌّ بَحْرِيٌّ، عذْبُ الماءِ، طَيِّبُ الهوَاءِ، يُوجدُ فيه الثَّلجُ والرُّطَبُ والقَبْجُ[1] والسَّمكُ.

وإنَّما كانت وَاسِطُ مدِينةَ كَسْكَر وجُوجُوًا تحْضنهُ المِياهُ، ووَاسِطُ علىٰ حَالٍ أجْمَلُ أمْرًا من سُرَّمرَّىٰ، وذلك أن ابن هبيرة[2] تحَصَّنَ بِحِصْن وَاسِطٍ، وقد انْتَشَرت المُسَوِّدةُ[3] فيما بينَ أقْصَىٰ خُرَاسانَ إلىٰ مِصْرَ، والمنْصُور مُقِيمٌ عليه في سَادَاتِ أهْلِ

[1] القبج: كلمة معربة عن الفارسية، تعني الكروان ، أصلها كبج، لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلام العرب، الزبيدي: تاج العروس،ج٦، ص١٦٨ .

[2] يزيد بن هبيرة، انظر ترجمته فيما تقدم ص١٦٧ .

[3] المسودة: الذين رفعوا الأعلام السوداء نصرة لبني العباس.

خُراسَانِ وذَوِي البَأسِ والنَّجْدةِ من أهْلِهَا، فما وصَلَ إليه إلَّا بعْدَ إعْطَائهِ إيَّاهُ الأمانَ، وبذلَ جميعَ ما اشْتَرطَ لنَفْسِه.

فأمَّا سُرَّمرَّىٰ فإنَّ المعْتَصِم تنحَّىٰ إليها عن مدِينةِ السَّلامِ لمعْنَيينِ أحدهُما تَبْعِيدًا لمَوَالِيهِ الأتراكِ عن أبْنَاءِ الدَّعوةِ من أهْلِ مدِينةِ السَّلامِ، والثَّانيةُ أنَّ ما بين عُكْبَرا وآخِر دِيارِ ربَيعَةَ إنَّما هو منَازلُ الشُّراةِ، فأرَادَ أنْ ينْزلَ في وسَطِ دِيارهِم فيُشَـرِّدَ بهم، ويدفع عادِيتَهُم.

وسُرَّمرَّىٰ ضَاحِيةٌ لا سُورَ يُحصِّنُها، ولا خَنْدقَ يمْنَعُها، ولا مِيرةَ تقْربُ منها، وإنَّما يشْربُ جمَاعةُ من فيها من النَّهرِ الأعْظَمِ. وربَّما رأيتَها إذا اشْتدَّ الحرُّ والتَهبَ الهَجِيرُ واحْتَدمَ القَيْظُ.

والرَّاوِيةُ في بعض المَوَاضِع في بعضِ الأوْقَاتِ بدِرْهَمينِ، وأكثرُ هذا في السِّلمِ والأمْنِ، فمن حَقِّ ما كان مثل هذه من المُدنِ والكُورِ أنْ يكُونَ سُكَّانُها شُجَعاءَ أنْجَادًا أبْطَالًا، يَـحْمونَ أنَفْسهُم ويدفعُونَ عن[٥٦و] حَوزَتِهِم، مَعَاقِلهُم السُّيُوفُ وتِـجَارتهُم الحرُوبُ، وإلَّا فإنْ أناخَ عليها منيخٌ واعْتَمدَ علىٰ من فيها بِكَلكَلِهِ معْتَمدٌ ما كان فيها إلَّا بمنزلةِ من يَخرضُ بريقهِ وينَازِعُ بخُروجِ نَفْسِه. وليس هكذا أهْلُ بغْدَادَ لأنَّ لهم آبَارًا يسْتَعْذَبونَ ماءهَا ويسْتَغنُونَ عن نَهرِهم الأعْظَم بها.

ولكنْ من جَميلِ أمرِ بغْدَادَ أنَّ السُّلْطَانَ آمِنٌ من أنْ يَغْلِبَ عليها رئِيسٌ لبعضِ الآرَاءِ كغَلبةِ الطَّالبِيِّين كثِيرًا بالشِّيعةِ علىٰ أهْلِ الكُوفَةِ. وذلك أنَّ ببغْدَادَ من مُخَالِفي الشِّيعةِ من يُقْرَنُ بالشِّيعةِ، وبها من مُخَالِفي المُعْتَزِلةِ من يُقْرنُ بالمُعْتَزلةِ، وبها منْ مُخَالِفي الخَوارِجِ من يُقْرَنُ بالخَوارجِ، فكلُّ فرِيقٍ يقَاوِمُ ضدَّهُ ويدْفَعهُ عن أنْ يرؤسَهُ.

فقد تَركُوا الرِّياسةَ للسُّلْطَانِ وربَحُوا تَسْلِيط الفَنَاءِ والتَّفَاني بالحَربِ. ولكنَّه ربَّما عَرَضَتِ الآفَاتِ وهجَمَتهُم. وذلك أنّه إذا اتَّصَلتِ المكَارِهُ عليهم ودَامَ فيهم جورُ الوُلاةِ وعُومِلُوا من التَّعنُّتِ وطَلَبِ الرِّشَى ما لا يحْتَمِلهُ إلَّا الذَّلِيلُ وذُو العِدَّةِ القَلِيلِ، تَهايجوا وفزِعُوا إلى التَّطوُّعِ.فحَدثَ منهُم مثلُ الذي حدَثَ عند خُرُوجِهِم مع سَهْلِ بنِ سَلَامةَ[1] في أرْبَاضِ الحَرْبيَّةِ، فإنَّه اجتَمعَ لما تطوَّعَ ودعا إلى إنكَارِ المُنكَرِ زُهَاءُ خمسِ مائةِ ألفِ إنْسَانٍ.

وكما هَاجُوا عند تَأْذِيهِم بمُحَمَّد ابن أوْسٍ[2] وصعَاليكِهِ القَادِمينِ مع سُلَيْمانَ بن عَبْد الله[3]، فإنَّ الصَّعَاليكَ لمَّا أسْرَفُوا في الفِسْقِ والفُجُورِ تهَايجُوا من جانِبي مدِينةِ السَّلامِ قَاصِدينَ مَنْزل محَمَّدِ بن أوْس. فلقد كنتُ منْصَرفاً في ذلك الوَقتِ من الجَانِبِ الغَربِي[4] أُرِيدُ الجَانبَ الشَّرقيَّ، فوَقَفتُ مَوقِفاً أتبيَّـنُ فيه من يعْبُر من الجَانبِ

---

[1] سهل بن سلامة الأنصاري الخراساني، أظهر في بغداد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعا الناس إلى تحكيم كتاب الله، لما قوي أمر الفساق والشطار والحربية ببغداد والكرخ، فآذوا الناس، وأظهروا الفسق، وقطعوا الطرق، واعتدوا على الحرمات. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٥٢-٥٥٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٩٢-٩٣.

[2] محمد بن أوس الأنباري، عامل مدينة هراة وأميرها لمحمد بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان، استولى الصفاريون على ما كان تحت يده من أعمال الطاهريين. للمزيد راجع: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، [حوادث سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م] ج٦، ص٢٤٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص٥٤.

[3] سليمان بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، أبو أيوب الخزاعي، ولي شرطة بغداد والسواد من قبل الخليفة العباسي المعتز. وتوفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤١م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: المصدر السابق، ج٩، ص٣٩٢-٤٤٠؛ الصفدي: المصدر السابق ،ج١٥، ص٢٤٢.

[4] المتحدث هنا يزدجرد الكسروي.

الغَربِي- يُريدُ منزِل ابن أَوْس- فمرَّ بهم واختَرستُ من الإشرافِ وظَننتُ أنَّ من عَبرَ إلى أنْ انْصَرفَ أوَّلهُم بالغَنِيمةِ والنَّهبِ أكثر من ماتَي ألف إنْسانٍ، فهذا ممّا ينبَغِي أنْ تعْتَقِدهُ في هذه المدِينةِ.

فأمَّا القَطْعُ [٥٦ظ] الذي مدِينةُ السَّلام منه، فأفْضلُ مَواضِع الأرْضِ جميعًا في الطِّيبِ والغِذَاءِ. وذلك أنَّ أطْيبَ خيْرِ الدُّنيا- بعد الأمنِ والعَافِيةِ والعِزِّ والسَّلامةِ والرِّياسةِ والشَّرفِ- صَلاحُ الماءِ والهوَاءِ. فأفْضَلُ أنهارِ هذا العَالمِ وأعْذَبهُ ماءً وأصحُّهُ هواءً، وأكْثرهُ خيْرًا دِجْلةُ والفُراتُ[1].

---

[1] قارن: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣٧-٣٨.

[بحْرُ الرُّوم]

وذلك أنَّ الفُراتَ يسِيلُ إلىٰ بغْدَادَ بجَميعِ الشَّامِ وسَواحلِ بحْرِ الرُّومِ ومِصْر، وما وَراءَ مِصْرَ إلىٰ المغْرِبِ وما بين المَغْربِ ونِهَايةِ العُمْرانِ في الشَّمالِ، وما يأتي به أيضاً من قَطْعِ بحرِ الشَّامِ عَرضاً حتىٰ قَرُبَ من بحر بُنْطس[a][1] وقُسْطَنْطِينية، لأنَّ الرُّومَ والأنْدَلُسَ والخزَرَ والصَّقَالِبةَ والبَربَر علىٰ هذا البَحْرِ، فهو يقْطَعُ عَرضاً فيحْمِلُ الخَزَر من شَمالِهِ إلىٰ جَنُوبِهِ، ويَحْمِلُ الأنْدلُس من جَنُوبِهِ إلىٰ شَمالِهِ.

ولذلك تعْجَبُ أنْ يؤتَىٰ بسَبْي الأنْدَلُسِ في دِجْلَة وبالخَزَرِ في الفُرَات. وهذا البحر من أنْطَاكِيةَ إلىٰ جزَائِرِ السَّعَادةِ، ومنه خَلِيجٌ يخْرُجُ ممَّا يَلِي الأنْدلُسَ حتىٰ يبْلُغَ السُّوسَ الأقْصَىٰ ويصِيرُ من نَاحِيةِ أنْطَاكِيةَ إلىٰ نَاحيةِ قُسْطَنْطِينيةَ.

ثمَّ يَدورُ حتىٰ إلىٰ الخَزَر. وعلىٰ سَاحِلِ هذا البَحْرِ طَرَسُوسُ والمَصِّيصَةُ وأطْرَابُلسُ وصَيْدا ويَافَا وعَسْقَلانُ والإسْكندَريَّة. وعليه من نَاحِيةِ مِصْرَ دِمْيَاطَ والفَرمَا، وفيه قُبْرسُ وصِقِلِّيةُ. فكلّ ما علىٰ هذا البَحْرُ أو وصَلِ إليه أو قُربَ منه فصَارَ في جنُوبِهِ وأُرِيدَ بِهِ العِرَاقُ ممَّا يلِي دِيارِ مُضَر، فطَرِيقُهُ في الفُراتِ.

وكُلّما كان في شَمالِهِ وعُدِلَ به إلىٰ ناحِيةِ دِيارِ رَبيعةَ وبِلادِ المَوْصِلِ وأُريدَ به العِرَاقُ، فطَريقهُ في دِجْلَة. ولدِجْلَةَ أنهارٌ تأتي بكلِّ ما قُصِدَ به بِلادُ المَوْصِل من أرْمِينيَّة وأذْرَبيْجَان.

---

[a] في الأصل: جزيرة نبطس، والصواب ما أثبتناه.

---

[1] انظر مادة بحر بنطس بدائرة المعارف الإسلامية، الإصدار الثاني [بالإنجليزية]، ج١، ص٩٢٧ .

والفُراتُ ودِجْلَةُ جميعاً يتَّصِلانِ ببحْرِ الحبَشة[١] الذي له ذَنبٌ مما يلي العِراقَ من نَاحيةِ الأُبلَّةِ. والأُبلَّةُ أشدُّ مَواضعِ البَحْرِ دُخولاً في الشَّمالِ، والأُبلَّةُ كأنَّها زَاويةٌ لهذا الذَّنبِ. ويمُرُّ الماءُ على شكلٍ مثلَّثٍ يتَّسعُ كلَّما بعُدَ من الزَّاويةِ التي تَلي الأُبلَّةَ حتى يهْجُم على مُعْظَم البَحْرِ.

ولهذا الذَّنبِ سَاحِلانِ، وهما الضَّفَّتانِ يخْرُجانِ من الزَّاويةِ [٥٧و] ويتَّسعُ بعْدهُما كلَّما طالَ امتِدادُهُما، فأحدُ هذين السَّاحِلين يقال له: الأهْوَازِيُّ الفَارسيُّ، وهو الذي عليه دَوْرَقُ[٢] ومَهْرُوبَان[a][٣] وجَنَّابَةُ[b][٤] وسِينِيز[c][٥] وسِيرَافُ[٦] وتِيزُ[٧] ومُكْرَانُ[٨] والدَّيبُلُ[٩].

---

[a] في الأصل: ماهرويان، والتصويب من: ياقوت. [b] في الأصل: جنابا، والتصويب من: ياقوت.

[c] في الأصل: سينسير.

---

[١] في التصور الجغرافي القديم يعتبر الخليج العربي [بحر فارس] ذراعًا ممتدة شمالًا من بحر الهند [بحر لاروي الذي يغطي ما بين سواحل البنجاب حتى مضيق هرمز] وبحر الحبشة [الواقع ما بين خليج عدن وساحل القرن الإفريقي].

[٢] دورق: بلد بخوزستان يقال لها دورق الفرس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٢.

[٣] مهروبان: بليدة صغيرة تقع على ساحل البحر [الخليج العربي] بين عبَّادان وسيراف. نفسه،ج٥، ص٢٣٣.

[٤] جنابة: بلدة صغيرة من سواحل فارس. نفسه، ج٢، ص١٦٥-١٦٦.

[٥] سينيز: بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سيراف وتقرب من جنَّابة. نفسه،ج٣، ص٣٠٠.

[٦] سيراف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند. نفسه،ج٣، ص٢٩٤.

[٧] تيز: بلدة على ساحل بحر مكران أو السند، وفي قبالتها من الغرب أرض عمان. نفسه، ج٢، ص٦٦.

[٨] مكران: أول حد إقليم السند من ناحية فارس، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى. نفسه،ج٣، ص٢٦٧؛ ج٥، ص١٧٩.

[٩] الدَّيبُلُ: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. نفسه، ج٢، ص٤٩٥.

والسَّاحِلُ الآخرُ يُعْرفُ بالغَربيِّ، وهو الذي عليه اليمامةُ وعُمانُ ومَهْرَةُ[١] والشِّحْرُ[٢]. وهذا البَحْرُ يتَّصِلُ بالصِّينِ، فدِجْلَةُ والفُرَاتُ يتَّصِلانِ بالبطَائِحِ ويتَّصِلانِ ويتَّصِلانِ منها بالأُبلَّةِ، ومن الأُبلَّةِ يركبُ العِراقِيونَ في هذا البَحْرِ. فمن هَذينِ خَيْراتُ أكثرِ الشَّرقِ والغَرْبِ والشَّمالِ والجَنُوبِ.

وقال ابن عَبَّاس: أوحَىٰ اللهُ إلىٰ دَانيال الأكْبَر أنْ فَجِّـر[a] لعِبادِي نَهْرَينْ واجْعَل مغِيضَهُما[b] البَحْرَ، فقد أمَرْتُ الأرْضَ أنْ تُطِيعكَ، فأَخَذَ خَشبةً[c] وجعلَ يجُرُّها في الأرْضِ والماءُ يتْبعهُ، فكُلَّما مرَّ بأرْضِ يتِيمٍ أو أرْمَلةٍ أو شَيْخٍ كبيرٍ ناشَدوهُ الله، فيَحيد عنهم، فعَواقِيلُ دِجْلَة والفُراتِ من ذلك[٣].

ومُبْتدأُ دِجْلَةَ من أرمِينيَّة الرَّابعةَ. ثم تمُـرُّ إلىٰ جانِب قَرْدَىٰ، وهي قَرْيةُ الثَّمانِينَ التي بنَاها نُوح عَلَيهِ السَّلَام. ثمَّ تمُرُّ ببازَبْدَىٰ[d] [٤] ثمَّ تأْخذُ علىٰ بَلَدٍ[٥] والمَوْصِلِ.

---

[a] في الأصل: أفجر.

[b] لدى ياقوت: مفيضهما؛ والقزويني: مصبهما.

[c] في تاريخ بغداد: «قناة أو قصبة».

[d] رسمت في الأصل: بين يدى.

---

[١] مَهْرَةُ: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن [البحر العربي]. نفسه، ج٢، ص٢٣٤.

[٢] الشِّحْرُ: صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. نفسه، ج٣، ص٣٢٧.

[٣] قارن نص هذا الأثر لدى: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١، ص٣٦١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، البلدان، ج٢، ص٤٤٢؛ القزويني: آثار البلاد بأخبار العباد، ص٤٢٠.

[٤] قردى وبازبدى: قريتان قريبتان من جبل الجوديِّ بجزيرة ابن عمر، وبقربها قرية الثمانين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص٣٢٢.

[٥] بَلَدُ: وربما قيل لها بلط، بالطاء. اسمها بالفارسية شهراباذ. وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل. نفسه: نفسه: ج١، ص٤٨١.

والحَديثَةِ[١]، والسِّنِّ[٢]، وتكريت[٣]، وسُرَّ مَرَّىٰ[٤] [ثمَّ] تصُبُّ في البَطِيحةِ[٥] حيث يغيضُ الفُراتُ، فيَجْتَمِعانِ ويمُرّانِ بالبَصْرَةِ، ثمَّ بالأُبلَّةِ، ثمَّ يصِيرانِ إلى البَحْرِ.

ومخرجُ دِجْلَة من جِبالِ آمِدَ، ومخرجُ الفُراتِ من بلَدِ الرُّومِ حتىٰ يصُبُّ في دِجْلَة. وبين بغْدَادَ ووَاسِطَ يتشعَّبُ شُعَباً كثيرةً، إلّا أنَّ عمُودهُ يمْضِي حتىٰ يصُبَّ بالكُوفَةِ، ويصُبُّ مما يلي جُنْبُلاءَ[٦] في البَطِيحةِ.

وليسَ عَمُودُه الذي يصُبُّ بالبَطِيحةِ يأتي بخَير من بحْرِ الحَبَشَةِ الذي مرْفَأهُ الأُبلَّةُ. ولكن بسَعتِهِ التي تَنْعَرِجُ من عمُودِهِ بذَوْهما[٧]، ويأخذُ في نهْرِ الرُّفَيْلِ[٨] ويأتي ويأتي إلى المُحَوَّلِ[٩]، ونهرِ عِيسَىٰ ويصُبُّ في دِجْلَة بكَرْخِ بغْدَاد. فمن ركبَ هذين البَحْرينِ أو جَاوَرَهُما فهُمْ أهْلُ الماءِ العَذبِ والهَواءِ العَليلِ[a].

---

[a] في الأصل: العدي.

---

[١] حديثة الموصل، بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢، ص٢٣٠.

[٢] سنّ بارمّا: مدينة على دجلة فوق تكريت، لها سور وجامع كبير، فيها علماء وكنائس وبيع للنصارى. نفسه:ج٣، ص٢٦٨-٢٦٩.

[٣] تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. نفسه:ج٢، ص٣٨.

[٤] انظر: القول في سُرَّمرَّى.

[٥] البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. نفسه: ج١، ص٤٥٠.

[٦] جنبلاء: كورة وبليدة، وهو منزل بين واسط والكوفة. نفسه:ج٢، ص١٦٨.

[٧] والمفهوم أن المجرى الرئيس لنهر دجلة لا تدخله سفن الخليج المحملة بالبضائع من ناحية الأبلة.

[٨] نهر الرفيل: نهر يصب في دجلة بغداد مأخذه من نهر عيسى. نفسه:ج٥، ص٣٢٠.

[٩] انظر: فيما تقدم ص٢٩٣.

وأُخبِرتُ بشيءٍ عَجِيبٍ، عجِيبٌ تَذْكُرهُ العُلَماءُ علىٰ وجْهِ الدَّهرِ، وذلك أنَّهم يقولون: إنْ أقامَ الغَرِيبُ ببَلَدِ المَوْصِل سَنةً تبيَّن في [٥٧ظ] بدَنهِ فضْل قوَّةٍ، [a)[وإن أقَام ببغْدَاد سنة تبيَّن في عقْلِه زِيادَة] [a)] وإذا أقامَ الغَريبُ بالأهْوازِ سنةً تبيَّن في بدنهِ وعَقْلهِ نقصًا، وإنَّ الغَريبَ إذا أقامَ بالتُّبَّتِ سنةً دامَ سُرورهُ واتَّصلَ فرَحهُ، وما تَعرِفُ لجَميعِ ما قُلنا سَببًا إلَّا لصِحَّةِ هوَاءِ المَوْصِل وعُذوبةِ مَائِها ولرَدَاءةِ نسِيم الأهْوازِ وتكَدُّر جَوِّه، [b)] [وطيبة هواء بغداد ورقته ولطفه] [b)] فأمَّا عِلَّةُ التُّبَّتِ فغَيْرُ معْلُومةٍ [c)][1].

وقال لي عَليُّ بن الجَهْمِ [2] أنَّه قد سَافرَ أسْفَارًا أبْعدَ فيها، مَشرِقيَّةً ومغرِبيَّةً، وإنَّه وإنَّه ألزَمَ نَفْسَه العِنايَةَ بتَعرُّفِ طِيبِ الهَواءِ وعذُوبةِ الماء، فلم يرَ موْضِعًا أجْمعَ للتَّمامِ في ذلك من أرْبَاضِ مدِينةِ السَّلامِ في الجانبِ الغَربِيِّ. وقد ظَننتُ أنَّ عَليَّ بن الجَهْمِ أفرطَ في هذا القول بالعَصبِيةِ لحُبِ الأوْطَانِ، إذ كانت هذه النَّاحِيةُ منْزِلهُ.

ولقد كنت أُفكِر كثيرًا في نزُولِ المُلوكِ بالمَدَائِن بين أرض الفُرَاتِ ودِجْلَة، فوقَفتُ علىٰ أنَّهم توَسَّطُوا مصَبَّ الفُراتِ في دِجْلَة.

(a-a) التتمة من ياقوت. (b-b) التتمة من ياقوت.

(c) لدى ياقوت: «فأما التّبت فقد خفي علينا سببه»

---

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٤.

[2] علي بن الجهم بن بدر السامي، أبو الحسن، شاعر رقيق الشعر، أديب. من أهل بغداد يذكر أنه كان معاصرًا لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه ونفاه إلى خراسان، وتوفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣.

انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ج١، ص٣١٩-٣٢١؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٢٨٦-٢٨٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٩٠-٢٩٢.

هذا علىٰ أنَّ الإسْكَندرَ لما سَارَ في الأرْضِ ودَانتْ له الأُممُ وبَنَىٰ المُدُنَ العِظَامَ في المَشرِقِ والمَغربِ، ورجَعَ إلىٰ المَدَائِن وبنىٰ فيها مَدِينةً وسوَّرهَا، وهي إلىٰ هذا الوَقتِ موْجُودةُ الأثرِ، وأقَامَ بها رَاغِبـًا عن بِقَاعِ الأرْضِ جميعـًا وعن بِلَادِهِ ووَطنِهِ حتىٰ مات، وقد كان [بنىٰ] بخُرَاسانَ العُلْيا سَمَرقَنْد ومَدِينةَ السُّغْدِ.

و[بنىٰ] بخُرَاسانَ السُّفلىٰ مَرْو وهَراةَ، ثم بالمغْرِب الإسْكندَرِيَّة، وبنىٰ بالهِنْدِ سرَنْديبَ وبناحِيةِ أصبْهَانَ[a] جَيَّ، [b] وبنىٰ مُدنـًا أُخَر كثيرةً وجوَّل الأرضَ، فلم يَختَر منْزِلًا إلَّا المدَائِن[b] [1].

وإنَّما سُمِّيتِ المَدَائِنُ المدِينةَ العَتِيقةَ: لأنَّ زَابَ المَلِكَ الذي بعد مُوسَىٰ ﷺ أنشَأهَا بعْد ثَلاثِينَ سنةً من مُلْكِه، وحفَر الزَّوَابِي وكَوَّرها وجعَلَ المدِينةَ العُظْمىٰ المدِينةَ العَتِيقةَ [2].

ويقولُ العَجمُ: إنَّ الضَّحَّاكَ المَلِكَ الذي كان له بزَعْمِهِم ثَلاثَةُ أفْواهٍ وستَّةُ أعْيُنٍ، بنىٰ مدِينةَ بَابلَ العَظِيمةَ، وكان مُلْكهُ ألْفَ سنةٍ إلَّا يومـًا واحِدًا ونِصْفـًا، وهو الذي أسَرهُ أفرِيدُون [3] المَلكُ فصَيَّرهُ في جَبلِ دُنبَاوَنْد.

---

[a] لدى الخطيب البغدادي: بناحية الجبل.

(b- b) في تاريخ بغداد: «وجول الدنيا كلها ووطئها، فلم يختر منها منزلاً سوى المدائن فنزلها».

---

[1] انظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.

[2] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٧٤.

[3] أفريدون ملك من ملوك الفرس، ولقبه: المؤيد. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص١٩٤-٢٩٢؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٢١، ١٣٧؛ العسكري: الأوائل، ص٤١٣.

واليوم الذي أُسِر فيه تعْتَـدُّهُ [٥٨و] المجُوسُ عِيدًا، وهو المِهْرَجانُ[١]، وقد بنَىٰ بَهْمَنُ بن إسْفَنْدِيار[٢] هُمَيْنِيا[٣]، وبنىٰ سَابُورُ بن هُرْمُز ذو الأكْتَاف[٤]، فَيْرُوز سَابُور، وهي الأنْبَارُ.

فأمَّا لمَ سُمِّيتْ هذه النَّاحِيةُ من البِلادِ "إيرَانْشَهْر" ومعناهُ بالعَربيَّةِ "بِلادُ إيرَانَ" فهو أنَّ أفرِيدُونَ قَاتِلُ بِيوَراسْفَ[٥]، قسَّم الأقَالِيمَ السَّبْعةَ بين ثَلاثة أولَادٍ كانوا له، فَدفعَ إلىٰ إيرانَ هذا القطْعَ فعُرِفَ به، ولجَلالَةِ قَدْرِه وبَلدِه حسَدهُ أخَواهُ عليه فقَتَلاهُ.

---

[١] انظر فيما تقدم ص٢١٠.

[٢] بهمن بن إسفنديار بن كيشتاسب بن كيلهراسب،. يقال أنه كان على عهد موسى ﷺ. فلما بلغه أن بناحية المغرب في أرض أوراشليم قومًا أحدثوا دينًا، بعث إليهم قائدًا من قوّاده، يقال له: بخت نصّر وأمره بقتلهم، وسبى ذراريهم، ففعل ذلك، ونفاهم عن بيت المقدس وبدّدهم في البلاد، يذكر أن مدة ملكة استمرت ما يقرب من ١١٢ سنة.انظر في ترجمته واخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٥٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٦٦-٥٧١؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص١١٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٧٦-٢٧٨.

[٣] هيمينيا: قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية في وسط البرّية ليس بقربها شيء من العمارات، وهي في ضفة دجلة، كان أول من بناها بهمن بن إسفنديار ملك الفرس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٤١٠- ٤١٧.

[٤] سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، أحد ملوك الفرس، قتله الروم وله من العمر ٧٢ سنة. انظر في أخباره: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٦٥٦-٦٥٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٥٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٥، ص١٤.

[٥] بيوراسف بن أندراسب، لقبه الضحاك، أحد ملوك الفرس، يقال أنه ملك ألف سنة، وكان أول من صلب وقطع الأيدي والأرجل. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٦٥٢؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣-٤؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٢١.

فأمَّا أنوشِرْوَانُ بن قُبَاذَ[١] وكان أجلَّ مُلوكِ فَارِسَ حَزْماً ورَأياً وعَقْلاً [وأدَباً][a)]، فإنّه بنى المَدَائِنَ وأقَامَ بها هو ومن كان بعْدهُ من مُلوكِ [بني][a)] سَاسَانَ إلى خِلَافةِ عُمَرَ بن الخَطَّابِ ﷺ[٢].

فأمَّا المُلوكُ الأُوَلُ أعْني مُلوكَ النَّبطِ وفِرعَوْنَ إبْرَاهِيمَ، فإنَّهم كانوا نُزولاً ببَابِلَ، وكذلك بُخْتُ نصَّرِ الذي تَزعمُ السِّيرُ أنّهُ أحدُ من مَلكَ الأرْضَ جمِيعاً، انصَرفَ بعْدما أحْدَثَ ببني إسْرَائِيلَ ما أحْدثَ، إلى بابل.

---

a) الزيادة من: ياقوت.

---

[١] أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن جور، أحد ملوك الفرس، جمع الناس على الدين، وغزا الروم ففتح إنطاكية وبنى بالمدائن مدينة على صورة إنطاكية وسماها الرومية، وكان ملكه سبعًا وأربعين سنة وسبعة أشهر [٥٣١-٥٧٩م]. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٦٤٧؛ الطبري: المصدر السابق، ج٢، ص٩٨؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٨٩-٩٠.

[٢] بنصه لدى ياقوت عن يزدجرد الكسروي: «قال يزدجرد: أما أنوشروان بن قباذ وكان أجلّ ملوك فارس...»، معجم البلدان، ج٥، ص٧٤.

[إقْلِيم بَـابِـل]

وكفَاكَ أنَّ الإقْلِيمَ الرَّابِعَ أجْمع يُعْرفُ بإقْلِيمِ بَابِل، وحُدودُ هذا الإقْلِيمِ علىٰ ما رَواهُ بعض القُدمَاءِ، لا علىٰ ما ذكَرهُ المُنَجِّمونَ وأصْحَابُ الأثَرِ والنَّظَرِ في أُمُورِ الأَقالِيمِ بعُروضِ البُلْدَانِ ومقَادِيرِ سَاعَاتِها وارْتِفاعِ أنْصَافِ النَّهارِ في كلِّ بلدٍ، فإن هؤلاءِ إذا حصَّلُوا أمْرَ بغْدَادَ قالوا:[١] عَرْضُ وسَطِ الإقْليمِ الثَّالثِ، أي بُعْدهُ من خَطِّ الاسْتِواءِ، ثلاثُونَ درَجةً واثْنَتَانِ وثَلاثُونَ دقِيقةً، وعرْضُ وسَطِ الإقْليمِ الرَّابعِ ستَّةٌ وثلاثُونَ درَجةً وتِسعَةُ دقَائق.

فبغْدَادُ إذًا عندهم كأنَّها بين وسَطي الإقْليمينِ إلَّا بقَدرِ الاثْنيْنِ والثَّلاثين الدَّقِيقة، التي يَزيُدهَا وسطُ الإقْلِيم الثَّالثِ علىٰ الثَّلاثِينَ الدَّرجة.

وكذلك يقولون: إنَّ سَاعاتِ وسَطِ الإقْلِيمِ الثَّالثِ أربَع عشْرَة سَاعةً، وسَاعَاتِ الإقْلِيمِ الرَّابع أرْبَع عشْرَةَ سَاعةً وخُـمْسُ سَاعةٍ، فسَاعَاتُ بغْدَادَ عندهم كأنَّها وسَطٌ بين السَّاعاتِ، إلَّا بقَدرِ ما بين النِّصْفِ الذي مع سَاعاتِ الإقْلِيم الرَّابعِ وبين الخُمْسُ السَّاعةِ التي مع [٥٨ظ] سَاعَاتِ بغْدَادَ علىٰ ما يقُولهُ المنَجِّمونَ المُحَصِّلونَ.

فأمَّا ما يقوله أُولئِك الرَّهطُ، فإنَّهم يقولون: إنَّ بغْدَادَ من الإقْلِيمِ الرَّابع، ويقولون: إنَّ حُدُودَ هذا الإقْلِيم ممَّا يلي أرْض الهِنْد: الدَّيْبلُ، وممَّا يلِي أرْض الحِجَاز: الثَّعْلَبِيَّةُ، وممَّا يلي الشَّام: نِصِيبنُ، ومِّما يلِي خُراسَانَ: نهْر بَلْخَ.

---

[١] قارن: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣٩.

فقد دخَل فيه ما دُونَ النَّهر من خُراسَان والجِبال كلِّها، والعِراقِ ودِجْلَةَ كلِّها، لم يُعْرفْ إلَّا بِبابل. وأنت تعْلمُ أنَّ النَّاس إنَّما ينْسِبونَ الشيء إلى الأفْضَل المشْهُور فلو [لا] أنَّ بَابِل كذلك ما نَسَبوا الإقْلِيمَ إليها.

وذكر أصْحَابُ السِّيَر أنَّ بَابِل إنَّما سُمِّيتْ بَابِل، لأنَّ الألْسُنَ اختَلفتْ بها وتَبلْبَلتْ فيها، وأنَّ المُلُوكَ والنَّاسَ اجْتَمعُوا فيها، ثمَّ تفرَّقُوا منها.

فأمَّا دُورُثِيُوسُ الحَكِيم[1] فإنَّه في صَدْرِ كُتُبِهِ الخَمْسةِ التي في المَوالِيدِ وابْتِداء الأعْمال هذا القول: إني قد وطِئْتُ بِلادًا كَثيرةً حتىٰ أتيْتُ إلى البِلادِ العَامِرةِ ذاتِ الأرْبابِ الكَثيرةِ ومَصبِّ الفُرَات، وهي أرْضُ بَابِل ذَاتُ الأبْنِيةِ المَنِيفةِ والقُصُور المَشِيدةِ. ومع هذا فإنَّ هذا الإقْلِيم وسَطُ الأقَالِيم السَّبْعةِ والمُعْتَدلُ[a] [2].

وذلك الموضِعُ الذي تَنْقَسمُ أزْمَانه أرْبَعة أقْسَامٍ، فلا نخرجُ فيه من شِتاءٍ إلى صَيفٍ حتىٰ يمُرَّ بنا فصْلُ الرَّبيعِ، ولا نخْرجُ منه من صَيفٍ إلى شِتاءٍ حتىٰ يمُرَّ بنا فصْلُ الخَريفِ. وكفىٰ بهذا الإقْلِيم فضِيلةً أنَّ أكْثَر أمْوالِ المَمْلَكةِ تُجْبَىٰ منه لِفَضْلِ عِمارتِهِ وخَيرِهِ من غَيْرِ أنْ يُحتاجَ له من النَّفقةِ إلا الجُزْءَ اليَسِير من ارْتفاعِهِ.

---

[a] لدى المسعودي: «...وهذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة وأعدلها وأفضلها وبلد العراق وسطه فهو أشرف الأرض وصفوتها».

---

[1] دورثيوس الحكيم: عاش في القرن الأول للميلاد، ذكره النديم في المقالة السابعة في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين، وقال له: «كتاب كبير يحتوي على عدة كتب ويسمى الكتاب، كتاب الخمسة... فأما الكتاب الأول في المواليد، والكتاب الثاني في التزويج والأولاد». انظر في أخباره: الفهرست، ج٢، ص٢١٦-٢١٧؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص١٨٤.

[2] انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣٢.

وغَيرهُ من الأقَاليمِ ربَّما احْتاج إلى أنْ ينُوبهُ غيره ويقُومَ به سِواهُ، فيكُونُ عَالًا[١] مع كَزَازةِ[٢] أهْلهِ وتبَاعُدهِ من الاعْتِدال، ولاسيَّما السَّادِس والسَّابع والأوَّلُ والثَّاني. فأمَّا الثَّالثُ والخَامسُ، فلأنَّهما يُقيِّدانِ الرَّابعَ المتَوسِّط ويكتَـنفَانِه، وهما يشْبِهانهِ في كثرةِ الخيرِ وقِلَّـةِ المؤنةِ وحُسنِ الاعْتِدال.

ويُقَالُ إنَّ الملكَ الأعْظَمَ والمدبِّر الأكْبرَ ينبَغي أنْ يكون منْزِلهُ هذا الموضعَ أعْني الإقْلِيم الرَّابعَ. ومن الإقْليمِ الرَّابعِ اشْتِراكُ دِجْلةَ والفُراتِ، فإنَّ بغْدَادَ إنَّما بعُدتْ عن حقِيقةِ قُبَّةِ [٥٩و] الأرْضِ ووَسَطِ ما بين المشْرِق والمغْرِب عشْرِينَ جُزءًا فقط، وهي بالحقِيقةِ وسَطُ ما بين خطِّ الاسْتِواءِ ونِهاية العِمارةِ في الشَّمال، وذلك أنَّ المُنجِّمِينَ يقَدِّرُونَ نِهايةَ العِمارةِ في الشَّمال ستَّـةً وستِّينَ جُزءًا عن خَطِّ الاسْتِواءِ، وبُعد بغْدَاد عن خَطِّ الاسْتِواء النِّصفُ، وهوثلاثةٌ وثلاثُونَ جُزءًا.

فالمُدبِّر إذا توَسَّط في هذا الموْضِع كان بُعدهُ من إفْرِيقيَةَ وبَرْقةَ وصَنْعَاءَ واليَمنَ والشَّاشِ وفَرْغَانةَ وبَابِ الأبْوابِ التي عمِلهَا أنُوشِرْوان[٣] حَاجِزًا بين الفُرْسِ والخزَر في البَحْرِ الخُرَاسَاني شَبِيهـًا بالمُتَقارِبِ، ولو ذَهبَ مُدبِّرٌ بِرقَةَ وإفْرِيقيَةَ ومخَاليفِ اليمَنِ ومن هو مُقِيمٌ وراءَ النَّهرِ من خُراسانَ لما انْتَظمَ التَّدبِير.

وكذلك لو دُبِّرتْ ممالِكُ [ما] بعْدَ خُراسانِ وثَغرِ أرمِينيَّة من الإسْكندَريَّة والفَرمَا لما صحَّ ولا انْتَظم.

---

[١] عالا: من العيلة، أي الفقر والحاجة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٤٨١-٤٨٣.

[٢] الكز: الذي لا ينبسط، والرجل الكز: هو قليل المؤاتاة والخير. نفسه: ج٥، ص٤٠٠.

[٣] أنوشروان بن قباذ. عنه انظر فيما تقدم ص٣٤٢.

ولقد كان أحدُ أسْباب انتِقاض أمْر بني أُميَّة نُزوهُم الشَّام، وذلك أنَّهم اضْطَرُّوا إلى أن يُكاتِبَ عمَّالُ خُراسَانَ صَاحبَ العِراق لقُربِ المَسَافةِ في اتِّصَالِ الأخْبارِ وإمْضَاءِ التَّدابِير، فلمَّا ولَّوا نَصر بن سيَّار اللَّيْثيَّ[1] خُراسَان أمَرَ أنْ يُكاتِبَ يَزِيدَ بن عُمَر بن هُبَيرةَ، فخَافَ نَصْرٌ علىٰ مَكانِهِ، فكان نَصْرٌ إذا كتبَ من خُراسَانَ في أمْرِ المُسَوِّدةِ لم يَنْهِ يَزيدٌ خبَرَهُ إلىٰ مَرْوانَ لأنّه كان يحِبُّ أنْ يُقْتَلَ نَصْرٌ.

ونسِيَ يَزيدٌ أنَّ غلَبَةَ أبي مُسْلمٍ علىٰ خُراسَان سَببُ الغَلبةِ علىٰ الجِبال، وأنَّ ذلك إذا استَحْكَمَ لم تكن له هِمَّةٌ إلَّا نُزول العِراقِ. فلمَّا انْطَوىٰ عن مَرْوان بيَزِيدَ بن عُمَر أخْبارُ نَصْرِ بن سَيَّارٍ انسَد وجهُ التَّدْبِير، ولو كان مَرْوانُ بالعِراقِ مُقِيماً لم يَحْتَجْ أنْ يكون يَزِيدٌ بيْنهُ وبين خُرَاسَان متَوسِّطًا.

ومَرْوَانُ بن محمَّد كان شَيْخَ [بني] مَرْوَان وعُضلَتهُم وشَيْخهُم وذَا التَّجْربةِ منهُم، وكان داهِياً فَطِناً، وكان لذلك يُنْسبُ إلىٰ الزَّنْدقةِ.

وإنما سُمِّي مَرْوان الجعْدِيَّ بالجَعْدِ بن دِرْهمٍ[2]، رجَلٌ كان يُرمىٰ بالزَّنْدقةِ، وكان مُؤَدِّبَ مَرْوَان؛ فيقولون أنّه هو فتَحَ له بابَها وحمَلهُ عليها، ولم يزل مَرْوَانُ عَامِلًا لخُلفاءِ أهْلِهِ من بنَي أُميَّة علىٰ ثَغْرِ أرْمينيَّة دَهْرًا طَويلًا، يفْتحُ الفُتوحَ ويُقَارِعُ [٥٩ظ] الأعْداءَ.

---

[1] نصر بن سيار بن رافع بن حرِّي بن ربيعة الكناني، الأمير، أحد القادة الدهاة الشجعان، كان زعيم مضر بخراسان، ووالي بلخ. ثم تولى إمرة خراسان سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م، فغزا ما وراء النهر، ففتح حصونًا وغنم مغانم كثيرة، وتوفي سنة ١٣١هـ/٧٤٨م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٩٥-٣٩٧؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٤٠٩؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج٤، ص٢٢٠٥.

[2] والجعد بن درهم مولى لسويد بن غفلة، توفي سنة١٣٢هـ/٧٥٠م. الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٣٠٥.

ويُروىٰ أنَّ المَهْدِيّ سألَ المَنْصُور فقال: كيف كان، يا أمِيرَ المُـؤْمِنِينَ، أمْرُ مَرْوَانَ؟ فقال المَنْصُور: لله دَرُّ مَرْوَان، ما كان أسْوَسهُ وأعفَّهُ وأشْجَعهُ، ولكن خَانهُ أُمنَاؤهُ وطَوَوا الأخْبَار عنه[1].

ولقد كان نَصْرُ بن سَيَّار في ذلك الوَقتِ فَارِسَ خُراسَانَ، فلم يزَلْ ينْصَحُ ويُكاتِبُ ابن هُبَيْرَةَ، و مَرْوَانُ لا يعلم بما هو فيه، فلَمَّا طالَ ذلك عليه قال شِعْرًا منه (شِعْر):[2] [الوافر]

أرَىٰ تحْتَ الرَّمادِ ومِيضَ نَارٍ　　وأوْشَكَ أنْ يكُونَ لها ضِرَامُ
فقُلتُ من التَّعَجُّبِ ليْتَ شِعْرِي　　أأَيْقَـاظٌ أُمَـيَّـةُ أمْ نِيَـامُ

فلم ينْفَعهُ ذلك شَيْئًا بمُماطَلَةِ ابن هُبَيْرَةَ نَصْرَ بن سيَّارٍ حتىٰ ذهَبَ الفَرْعُ والأصْلُ، وكان أمرُ الله قَدرًا مقْدُورًا.

ومن الأسْبابِ المؤكَّدةِ لصَلاحِ موْضِع بغْدَادَ، أنَّ المَنْصُورَ كان أحْزَمَ ملكٍ وخَلِيفةٍ وَلِيَ منذُ عهْدِ مُعاوِيةَ إلىٰ هذا الوقت. وقد جَالَ الأرْضَ فبلَغَ طَنْجةَ، وأقَامَ بالبَصْرَةِ ودخلَها غيْر مرَّةٍ، وكان نزُولهُ فيها علىٰ رجُلٍ يُقالُ له أزْهَر السَّمَّان[3]ـ وقد كان أيضًا وَلِيَ كُورَةً من كُورَ الأهْوازِ أيَّام بنِي أُمَيَّةَ، وكان في أصْحَابِ عَبْد الله بن

---

[1] راجع مقالة المنصور في مروان بن محمد لدى ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٥، ص٣٣٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٧٣٤.

[2] قارن هذه الأبيات لدى الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٤، ص٢٧١؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٥٧.

[3] أزهر بن سعد السمان الباهلي البصري، صحب المنصور قبل أن يتولى الخلافة، له وقائع وحكايات مأثورة. وتوفي سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م. انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٩٤.

عَبْدِ الله بن جَعْفَر بن أبي طَالِبٍ لَمَّا خرج علىٰ بني مَرْوَانَ وبلغَ معه إلىٰ أَصْبهَانَ ـ وكان يَحُجُّ ويُجاوِر بمَكَّة، ويدخل الكُوفَةَ فيُقِيمُ بها أيضًا، وجَوَّل بُلْدَان الجزِيرَةِ ودِيار بَني رَبيعةَ ومُضَر، وكان مع أبيهِ وعمُومَتهِ بالشُّراة[1].

وكان مع هذا طَلَّابةً للأدبِ والعُلومِ، مُحِبًّا للسِّياسَةِ، بعِيدَ الهِمَّةِ، وكان جيِّدَ الرَّأي والتَّدْبيرِ، وتمَثَّل لَمَّا قَتَل أبا مُسْلمٍ وأرَادَ بهذا البَيْتِ أنَّه لم يُشَاور أحَدًا.

[الطويل]

طَوَىٰ كَشْحَهُ عن أهْلِ كلِّ مَشُورَةٍ ... وبَاتَ يُنَاجِي نَفْسَهُ ثمَّ صمَّمَا

وهو الذي يقول فيه ابنُ هَرْمَةَ[2] وذكر أنَّه لا يُشَاوِرُ أحَدًا فيما يَهِمُّ به (شِعْر):

[الطويل]

إذَا ما أرَادَ الأمْرَ نَاجَىٰ ضَمِيرَهُ ... فَناجَىٰ ضَمِيرًا غيْرَ مُخْتَلفِ العَقْلِ
ولمْ يُشْرِكِ الأدنِينَ في جُلِّ أمْرهِ ... إذا انْتَقَضَتْ بالأضْعَفِينَ قُوىٰ الحَبْلِ

[٦٠و] وهو الذي قال لعِيسَىٰ بن مُوسَىٰ[3] لمَّا اسْتَرْجَعَ حينَ رأىٰ أبا مُسْلِم علىٰ طَرَفِ البِسَاطِ قَتِيلًا: يَا أبا مُوسَىٰ، لا تَسْتَرْجِعْ واحْمَدْ ربَّكَ، فإنَّك هجَمْتَ علىٰ نِعْمةٍ ولم تهْجِم علىٰ مُصِيبة.

---

[1] انظر فيما تقدم ص٣٣٢.

[2] إبراهيم بن علي بن سلمة، أبو إسحاق، شاعر مفلق، فصيح مسهب مجيد، حسن القول، سائر الشعر، من سكان المدينة، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، اتصل بعدد من الخلفاء الأمويين، ثم انقطع إلى الطالبيين، وله شعر فيهم، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم. اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص٤٠.

[3] عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وزير المنصور. انظر فيما تقدم ص ١١٥.

وتمثَّل (شِعْر): [الطويل]

وما العَجْزُ إلّا أنْ تُشاوِرَ عَاجِزًا   ومَا الحَزْمُ إلّا أنْ تَهُمَّ وتَفْعَلَا

فبهذا الحَزْمِ وهذه التَّجْرِبةِ، وبُعْدِ هذه الهِمَّةِ، والأسْفَارِ الكثِيرةِ ومُشَاهَدةِ البُلْدانِ البَعِيدةِ رأىٰ أنْ يَخْتَارَ هذا المَوْضِعَ مدِينةً ومنْزِلًا ومُسْتَقرًّا. هذا وخُرَاسَان تَتمخَّضُ، وفي أكْنَافِ الشَّام جَمَاعَةٌ من بنِي أُميَّةَ يحاوِلُونَ طَلَبَ المُلْكِ، وبالحَرَمَيْنِ طَالِبِيُّونَ يَرونَ أنَّهم أحَقُّ النَّاسِ بالمُلك.

ثمَّ لمَّا عزَمَ علىٰ بِنَائِها ورَآها اهْلًا وكَّل بها جِلَّةَ قُوَّادِهِ ورُؤسَائِهِ فقسَمهَا أرْبَاعًا ودفَعَ كلَّ ربْعٍ إلىٰ قَائِدٍ ووكَّلهُ بِبنائِهِ. ولقد أمْكَنَ المَنْصُورَ الإشْرافُ علىٰ خُراسان عند خَلْعِ عبْدِ الجَبَّار بن عَبْد الرَّحْمَن[1] إيَّاهُ حتىٰ اخذهُ أسِيرًا.

كما أمْكنهُ الإشْرَافُ علىٰ مكَّةَ والبَصْرَةِ عند خَلْعِ بَنِي عَبْد الله بن الحَسَنِ بن الحَسَنِ- عليهم السلام- حتىٰ بلَغَ من ذلك مُرادهُ لِتوسُّط المَوْضِع، ولتَوسُّطه أيضًا امْكَنهُ أنْ يُوجِّهَ المهْدِي إلىٰ الرَّيِّ وطَبَرِسْتَانَ وجُرْجَانَ، وأنْ يُوجِّهَ المهْدِيُّ بالهَادِي إلىٰ جُرْجَانَ، وأنْ يُوجِّهَ المهْدِيُّ بالرَّشِيدِ إلىٰ صَائِفةِ الرُّومِ، وأنْ يمْضِي الرَّشِيدُ بنَفْسِهِ يُرِيدُ سَمَرْقَنْد، وأنْ يُوجِّهَ الأمِينُ عَلِيَّ بن عِيسَىٰ بن مَاهَان[2] إلىٰ خُرَاسَان، وأن يُوجِّهَ

---

[1] عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، أحد الأمراء الشجعان الأشدّاء الجبارين، ولاه المنصور إمرة خراسان سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، فقتل كثيرا من أهلها بتهمة الدعاء لولد علي بن أبي طالب. ثم خلع طاعة المنصور، فأُسر ثم قطعت يداه ورجلاه وضرب عنقه بالكوفة سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١٥، ٤٣٢-٤٣٥؛ ابن حبيب: المحبر، ص٤٥٠-٤٨٦.

[2] تقدمت ترجمته ص٢٧٤.

المَـأمُون لعَبْدِ الله بن طَاهِرٍ[1] إلىٰ مِصْرَ ويُشْرِفُ علىٰ بَابَك بالجِبَالِ، وأنْ يفْتَح المُعْتَصِمُ طَبَرِسْتَان وعَمُّورِيةَ ويأخُذ بَابَك من البَذِّ[2]. ولَوْلَا تَوسُّط بغْدَاد لكانَ الأمْرُ أعْسَر والمطْلَبُ أبعَد والأَخْبَارُ أبْطَأ، والله يفْعَلُ ما يَشَاء.

ومن غَرِيب سَعَادةِ بغْدَادَ أنَّه لم يَمُتْ فِيها خَلِيفَةٌ قَطُّ حَتْفَ أنفِهِ، وذلك أنَّ المنْصُور بنَاهَا وتوفِّـيَ ببِئرِ مَيْمُونَ ودُفِنَ بمَكَّةَ. وتُوفِّـي المَهْدِيُّ بالرَّذِّ، والرَّذُّ والرَّاقُّ من عمَلِ الجَبَل. وتُوفِّـي الهَادِي بعِيسَىٰ آباذ.

وتُوفِّـي الرَّشِيدُ بِطُوس من أرْضِ خُرَاسَان. وقُتِل الأَمِينُ وحُمِلَ رأسُهُ إلىٰ خُرَاسَان فهو في قهَنْدزِ [٦٠ظ] سَمَرْقَنْد. وتُوفِّي المَـأمُون بالبَذنْدُون ودُفِن بطَرَسُوس. وتُوفِّـي المُعْتَصِمُ بسُرَّمرَّىٰ، وقُتِل المُتَوكِّلُ بسُرَّمرَّىٰ.

وقد أقَام بمَدِينةِ السَّلام ثلاثةٌ من الخُلَفاءِ عَمَّر كلُّ واحِدٍ منهُم نَـيْفًا وعشْرِينَ سنَةً، وهم المنْصُور والرَّشِيد والمَـأمُون، ولم يَمُتْ بها منهُم أحَدٌ. وقد قِيلَ إنَّ نُوبَخْتَ[3] اخْتَار لبِنَائِها وقْتًا طالِعُهُ القَوْسُ وصاحِبُهُ المُشْتَرىٰ[4].

وذكر بطْلَمْيُوسُ في بُرْج المدِينةِ إليه طَالعَ الوقت، أوَّلُ البُرْج الذي فيه القَمرُ في الوقت، قال: وإنْ جُهِلَ ذلك من أمْرِ المدِينةِ؛ فمَعْرِفَةُ ذلك من طَالعِ المَلِك الذي ابْتَنَاها، والحَقُّ أنْ يكُونَ طَالعُ مدِينةِ السَّلَامِ وطَالعُ مُنْشِئِهَا واحدًا، وذلك لِسَعادَتِها واتِّفَاقِ جمِيلِ الوَصْفِ لها وفيها.

---

[1] انظر فيما تقدم ص٣٠٢.

[2] البذّ: يقال أنها كانت قرية بابك الخرّمي، وهي بأذربيجان.

[3] انظر فيما تقدم ص٢٥٥.

[4] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٠.

وأنشَد لِدِعْبِل[١] يَمْدَحُ بغْدَاد ويذُمُّ سُرَّمرَّىٰ (شِعْر):

[مخلع البسيط]

بغْدَادُ دَارُ المُلُـوكِ كانَتْ حتَّىٰ دَهَاهَا الذي دَهَاهَا
ما غَابَ عنهَا سُرُورُ مُلْكٍ عَـــادَ بَـلْــدةً سِـوَاهَا
مــــا سُـــرَّمَرَّىٰ بسُرَّمرَّىٰ بَلْ هي بُؤْسَىٰ لمن يرَاهَا
عَجَّـلَ ربِّــىٰ لهـا خَــرَابًا بِرَغْمِ أنْفِ الذي ابْتَناهَا[٢]

٣ وقال آخر[٣]: [المنسرح]

يا دَارُ أقْوَت وخَفَّ عامِرُهَا كأنَّ خطَّ الزَّبُورِ دَاثِرهُا
سَقْيًا لِــدَهْـرِ الصِّبىٰ وغِـرَّتِهِ أيَّـامَ تَـصْـطَادُنا جَـآذِرُهَـا
أيَّامَ إذا نـحْـنُ جِـيرَةٌ خَلِطٌ يَنَامُ قبْلَ العِشَاءِ سَامِرُها
ذاكَ ولم يَلْعَـبِ الزَّمـانُ ببغْدَادَ [وتـعْـثُـرُ بها عَـوَاثِـرُهـا][a]

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من الطبري: تاريخ .

[١] دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي، الشاعر المشهور، أصله من الكوفة. وأقام ببغداد، له أخبار وشعره جيد، وكان هجّاء خبيث اللسان قبيح الهجاء لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن. صنف كتابًا في طبقات الشعراء. وتوفي في سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٤٦-٢٦٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص٣٦٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٨٤.

[٢] انظر: ديوان دعبل، تحقيق: عبد الكريم الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٣م. ص٢٧٠.

[٣] نسب الطبري هذه الأبيات إلى الخريمي، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب، الشاعر المشهور، أدركه الجاحظ وسمع منه، وهو صاحب (الرائية) في وصف الفتنة بين الأمين والمأمون وهي في ١٣٥ بيتا أوردها الطبري في تاريخه كاملة. [انظر: ج ٨، ص٤٤٨-٤٥٤]. توفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٩٣-٢٩٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٣٣٥.

إذْ هِي مِثْلُ العَرُوس بَاطِنُها   دَلٌّ يَصِيدُ الهَوىٰ وظَاهِرُهَا
جَـنَّـةُ دُنْـيَا ودَارُ مـغْـبَـطَـةٍ   قَلَّ من النَّائِبَاتِ وَاترهَا
كَـدُرَّةِ البَـحْـرِ ضَمَّها صَـدَفٌ   غَالَىٰ بِأغْلَىٰ التِّلادِ تَاجِرُهَا
دَرَّتْ خُلوفُ الدُّنْيا لِسَاكِنِها   وقَلَّ معْسُورُها وعَاسِرُهَا
وانفَرجَتْ بالنَّـعِيمِ وانتَـجَعـتْ   فيها بِلَـذَّاتِها حَـواضِـرُهَا
فَالقَوْمُ منها في رَوْضَةٍ أُنِفٍ   أَشْرقَ غِبَّ القِطارِ زَاهِرُهَا
مِـن غَـرَّةُ العَيْـشُ في بُلَـهْنِيةٍ   لَوْ أنَّ دُنْيا يَدُومُ عَامِرُهَا
دارُ مُـلُـوكٍ قَـرَّتْ اسِـرَّتَهـا   فيهـا وقَـرَّ بهـم مـنَابِرُهَا
أهْـلِ القِـرَىٰ والنَّـدىٰ وأنْـدِية   المَجْدِ إذا عُدِّدَتْ مفَاخِرُهَا
أبْـنَاءُ دُنْـيَا في عِـزِّ مملَـكَةٍ   شَدَّتْ عُراهَا لهم أكَابِرُهَا

وقال يَزْدَجِرْدُ بن مُهَنْبَـدَاذ الكِسْرَوِيُّ[1]: قد أكثر النَّاسُ في مدِينةِ السَّلامِ إكْثَارًا، لم يُحَصِّلُوا منه دَلِيلًا، ولا أفَادُونَا به محْصُولًا، ولم يَزِيدُوا علىٰ أنْ يقولوا: بَلَدٌ ولا تُشْبِهُ البُلْدَانَ، وما أعْجَبَ الأمْر فيه، وأبْعَد الشَّأْو في تَحْدِيدِ من به من ساكِنِيهِ، وأعْظَم شَأنهُ في الشُّئونِ، وأعْسَر كوْنِ مثله علىٰ الدُّهُور والسِّنِين.

كما لا يَزِيدُون علىٰ أنْ يقولوا: فيه مِائتا ألفِ حَمَّامٍ بل الضِّعْفُ أو كَالضِّعفِ من ذلك، ومن المَساجِد كذا ومن الطُّرزِ كذا. فإذا أخَذُوا أو أكثرهم بتَحْصِيلِ العِلمِ في بَدائِع البَلدِ وغَرَائِبِ أنواعهِ حصَلوا علىٰ خَيرٍ قَليلٍ وحُكْمٍ معْلُولٍ.

---

[1] اجتزأ الصابئ: أخبار نفقات أهل بغداد من كتاب فضائل بغداد ليزدجرد بن مهنبداذ الكسروي، في كتابه رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٨م. ص١٨-٢٠.

ونستَفْتِحُ القَولَ باتبَاعِ أعْدلِ الكَلَامِ وأبْيَنَ الأعْلَامِ، ولا نقُولُ كالذي قالُوهُ في عدَّةِ الحَمَّاماتِ واعتقَدُوه في كثْرةِ الدُّورِ والمسَاجِدِ والطَّرازاتِ، إشْفَاقـًا من الإسْرافِ علىٰ السَّامِعِينَ. فإنَّا إذا وجدْنَا كثِيرًا من الخاصَّةِ والعَامَّةِ مُذْعِنِينَ بعِدَّةِ الحَمَّاماتِ، وإنَّها مِائتَا ألفِ حَمَّامٍ دون ما هو فوقها من الزِّياداتِ. ثمَّ قال آخرونَ: بل هي مائةُ ألفٍ وثلاثُون ألفَ حَمَّامٍ.

واقْتَصَر المُقَلِّلُ علىٰ مائةِ ألفٍ وعشْرينَ ألفًا. وهذا قول الشَّاه بن مَيْكال[1] وطَاهِر بن محمَّد بن عَبْد الله[2]، وكانا قد وقَفا علىٰ ذلك من جِهَاتٍ وقتَلاهُ عِلمـًا من أمُورٍ صَحَّتْ لهما ذلك، حتىٰ عَلِماهُ ووقَفَا عليه وأتْقَنَاهُ.

وقد قال قَوْمٌ بالزِّيادةِ علىٰ هذا، وقال غيْرهُم بالنَّقْصِ، فرَجعْنَا عند اخْتِلافِهِم إلىٰ حدٍّ رجَونَا أنْ يكُونَ عدْلًا مفرُوضـًا وحُكْمـًا مقبُولًا، واقْتَصرْنا من عدَدِ الحَمَّاماتِ علىٰ ستِّينَ ألفَ حَمَّام اسْتِظْهارًا، وجعَلْنا العِلَّةَ في ذلك أنْ نأخُذَ بأوْسَطِ ما ذكَروهُ من أعْدَادِها وما وجَدنا الخاصَّةَ، أو أكثرهم يدَّعيهِ في اعْتِقَادِهِ، وهو مائةُ وعشْرون ألفٍ [٦١ظ] حَمَّامٍ، وبهِ قال الشَّاه وطاهِرٌ، فَاقْتَصرنا علىٰ النِّصفِ من المائةِ والعشْرينَ ألفًا لئَلا يَقْبُح في التَّقْدِير وتجْفُو عنه الأسْماعُ.

---

[1] إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال، أبو العباس، الإمام العلامة الأديب، شيخ خراسان ووجيهها في عصره، من ذرية كسرى يزدجرد بن بهرام جور الفارسي، استعمل المقتدر أباه عبد الله على مملكة الأهواز، توفي بنيسابور سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٢٢-٧٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص١٥٦-١٥٧.

[2] طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر، أحد كبار الشعراء بخراسان، كان يخدم آل سامان جهرًا ويهجوهم سرًّا. انظر: الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، ١٩٨٣م، ج٤، ص٧٩-٨٤.

ثمَّ نظَرنا بقَدْرِ ما يُحتاجُ إليه كلُّ حمَّامٍ من القُوَّامِ الذين لا قَوامَ لكَمالِ الحمّامِ بما هو دُونَهُم، فوَجدْنَا كلَّ حمَّامٍ يحْتَاجُ إلىٰ أرْبعةِ نفَرٍ لابُدَّ لها منهُم: صَاحبُ الصُّنْدُوقِ والقَيِّمُ والوَقَّادُ وكنَّاسُ الوَقُودِ، وربَّما أطَافَ بالحمَّامِ الواحدِ الضِّعفُ علىٰ هذه العِدَّةِ، ولكِنَّا ركِبْنا سَننَ الاسْتِظْهَارِ في هذا المعْنَىٰ وفي جَمِيعِ ما تضَمنَّا نُصْرةَ القول به ليكون مُعِيناً علىٰ انْتِحالِهِ وأمانًا من إبْطَالِهِ. فإذا وجَدْنَا عدَّةَ الحمَّاماتِ علىٰ ما رتَّبْنا ببغْدَادَ، وهو سِتُّونَ ألفَ حمَّامٍ، فقد حصَلَ عددُ من ذكرناه من القُوَّامِ وغيرهم ممَّن لابُدَّ للحمَّامِ منهُم مِائتا ألفٍ وأرْبَعون ألفَ قيِّمٍ وغيره.

ثم وجَدْنَا بالعَيَانِ حُكْماً ثَانِياً، وهو أنْ نجْعَل علىٰ التَّقْريب اسْتِظْهارًا لكلِّ حمَّامٍ حجَّامَيْنِ، فيَحْصُل لنا أيضاً من عدَّة الحجَّامينَ مائةُ ألف وعشرون ألف حجَّامٍ، فيكون عِدَّةُ الحجَّامِينَ وأصحَاب الحمَّامات ثلاثمائةِ ألفٍ وسِتِّينَ ألفَ حمَّامِيٍّ وحجَّامٍ.

ثمَّ فرَضنَا أيضاً بهذا التَّقْريب والممْكِنِ المقْرُون به لكلِّ حمَّامٍ مائتَي منْزِلٍ قِياساً علىٰ تَرْتِيب المنَازِل والحمَّامات المعْدُودَةِ بمَدِينة المنْصُور، فإنَّا وجدْناهُ يـحُقُّ لكلِّ حمَّامٍ بها من المنَازِل نَيِّفٌ علىٰ أرْبع مائة منزِلٍ، فاسْتَظْهرْنَا بإسْقَاطِ ما هو أكثر من النِّصف، وفرَضْنَا لكلِّ حمَّامٍ مائتَي منزِلٍ فاجْتَمع من ذلك اثْنا عشَرَ ألفَ ألفِ منزِلٍ.

ثمَّ وجَدنا المنَازلَ قد يُجْتَمعُ في الواحِد منها عِشْرونَ إنْسَاناً وأكثر، وفي غيره إنْسَانان أو ثلاثةٌ وما هو أقل من ذلك وأكثر. فاحْتَجْنَا إلىٰ قِسْمةِ عددٍ يعْتَدلُ به العَددُ، فأسْقَطْنَا من العِشْرينَ نصْفَها، وزِدنا علىٰ الثَّلاثةِ ضِعفَها، ثمَّ أمْدَدْنَا

الاستِظْهَارَ للحَاشِيَتَينِ معـًا، فنَقَصْنا من العَشَرةِ سُدُسَها وزِدْنا علىٰ السِّتَّـةِ سُدُسَها، وجَبَرنا الحَاشِـيَتَيْنِ ليَحْصُل لنا أشرفُ نِسَبِ الأعْدَادِ وما يَليقُ شَكْلُهُ بالحَيوانِ وقِسْمةِ العُمْران، وهو الثَّمانيةُ [٦٢و] من الأعْدادِ فإنَّه نِصْف قُطْرِ المُتَقابِلينَ بأمْرِ الفُرُوضِ، فاجْتَمع لنا في كلِّ منْزلٍ ثمانيةُ نفَرٍ، رجَالًا ونسَاءً، صِغَارًا وكِبارًا، فَاجْتَمعَ لنا من عدَدِ الجماعة سِتَّـةٌ وتِسْعُونَ ألفَ ألفِ إنْسَانٍ.

وقد قَال النَّاسُ في أحْوالِ البَصْرَة وتفْخِيم شَأْنِها أقَاوِيلَ مُخْتلفة تُشْبهُ بعضُها بعضـًا. ففَرِيقٌ زعمَ أنَّها أعظَمُ في مقْدَارِها وأوْضَعُ في أقْدَارِها من مدِينة السَّلام. وقال آخرون: بل هي في قَدْرِها سواء. وقالوا: بل هي دُونَها وأصْغَرُ حَدًّا من حدِّهَا.

لم نزد في اقْتِصَاصِ أقاوِيلِهم هذه في البَصْرَةِ تَمْثِيلًا، أو تَمْثِيلًا بين بغْدَاد وبلَدٍ في العَالَم جمِيعـًا من البُلْدانِ سِوَاها، ولا شَيْئـًا بذلك أكْثر من تفْخِيم أمر البَصْرَة، وأنَّها من الأُمَّهات العِظَام ومن المَدَائِن الجَلِيلة من بُلْدان الإسْلَام.

ثمَّ وجَدْنَا حالًا من الزَّمان قد ألجأ أهْل البَصْرَة جميعـًا كما ألجأ أهْلَ الأُبلَّة وسَائِر كُوَر الأهْوَاز، وجمِيعَ العُمْران من كُوَر دِجْلَةَ ودَسْتُمَيْسَان وكَسْكَر وآجَام البَرِيد[1]، وما بين هذه من المَدَائِن العِظَام وبين وَاسِط العِرَاق من الأنْهار المَشْحُونَة بالحَيوَان النَّاطِق برًّا وبحْرًا.

---

[1] الأجام: جمع أجمة، وهو منبت القصب الملتف، وآجام البريد ما استأجم من طريق البريد إلى ميسان ودُستميسان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥١.

ثمَّ كان بِواسِط من أهْلِها وسَوَادِها وكُور الصُّلح وكُور المُبَارَك[1] وما هو لها وفي حَيِّزها من القُرىٰ والبِقَاع المشْحُونةِ بالنَّاس إلىٰ مدَائِن النَّهروانَات الثَّلاثة، وما هو لِكُورَ النَّهروانَات وبِإزَائِها من الضِّيَاعِ، وسَقْي جَوْخَىٰ[2] إلىٰ حدود بَادَرَايا[3] وباكُسايَا[4] وحدُود البنْدَنيجِين[5] وسَوَادات طَريق خُرَاسَان إلىٰ بَطْن المدَائِن.

ثمَّ من كان في الجَانبِ الغَربيِّ كمَدائِن الزَّوَابِي[6] وسَقْي نِيل الفُرات وفَم النِّيل إلىٰ سَوادَات الكُوفَة وبَارُوسْمَا[7] ونَهر المَلِك وما لَابسَ الصَّراةَ، إلىٰ حُدود جُنْبلاء[8] إلىٰ كثِير ممَّا لمْ نذكُرهُ ونُحْصِيهِ ولا نعْلَمهُ، فنَسْتَوفِيه فيها بين كلِّ بلَدٍ وقُراه، وكلِّ قَريةٍ ونظَائِرِهَا من لا يُحْصَي عدَدَهُم ولا يعْلَم كُنْه مدَدِهم إلَّا خَالِقُهم مستَجِيرينَ بمَدينة السَّلام، فلم يلْبثُوا فيها ولا أغْلُوا منها سِعْرًا.

فإذا وجَدْنا هذا الحيَوانَ النَّاطِق [٦٢ظ] الذين هم النَّاسُ، قد شَغَلُوا من مسَاكِنِهم وأوطَانِهم مكانـًا من الأرْضِ عَرِيضًا ومَلأُوا فيها فنَاء فسِيحـًا، قد ورَدَ بهم المِقْدَار وسَاقَتهُم الأقْدَار مُسْتَجِيرينَ بمحَلٍّ لا يضِيقُ بهم دِيارهُ، ولا يمْتَلئُ منهُم

---

[1] كور الصلح وكور المبارك: من نواحي كسكر، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١.

[2] جوخى: موضع بالبادية بين عين صيد وزبالة في ديار بني عجل كان يسكله حجاج واسط. نفسه، ج٢، ص١٧٨.

[3] بادرايا: بليدة بقرب باكسايا من نواحي واسط. نفسه، ج١، ص٣١٦.

[4] باكُسايا: بلدة قرب البندنيجين بين بغداد وواسط في الجانب الشرقي من أقصى النهروان. نفسه، ج١، ص٣٢٧.

[5] البندنيجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد. نفسه، ج١، ص٤٩٩.

[6] الزوابي: أربعة أنهر بالعراق، نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منها الزاب. نفسه، ج٣، ص١٥٥.

[7] باروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا و باروسما السفلى من كورة الأستان الأوسط. نفسه، ج١، ص٣٢٠.

[8] مر تعريفها ص٣٣٨.

أقطَارهُ، ولا تغلُو بِكَثْرتِهِم أسعارُهُ، ولا يتَحَاكَمُ في أفْواهِهِم تـُجَّارهُ ولا يعْجَز عن مبَرتِهم مُمتَارهُ، ولا يُحسُّ أهْلهُ بالوارِدِينَ منهُم إذا أتواْ ولا الصَّادِرِينَ إذا مَضَوْا.

أفتَحْسَبُ أيُّها الإنسَانُ، أنَّ بلَدًا واحِدًا لا تَخِيلُ علينا أقطَارهُ، ولا يذْهبُ عنَّا مِقْدارهُ، ولا تشْتَبِهُ علينا طُرقهُ، ولا نضِلُّ في مسَالِكهِ، يسَعُ أجْرَامـًا مُتحرِّكةً وأجْسَامـًا متَصرِّفةً، لا مِقْدارَ لعَدَدِها ولا سبِيلَ إلى إحصَائِها.

ثم لا يكون كثرةُ النَّاس فيه وتحرُّكهُم في حواشِيهِ إلَّا قَريبًا مما كانوا وشبِيهـًا بما عُرِفوا، إنَّ هذا الشَّأنَ عجِيبٌ وأمرٌ ظَرِيفٌ. وسنَأخُذ من أخْصرِ وجُوه الكلام. ثمَّ نجْعلُ ذلك بين حَالَيْن لا يخْرُجانِ عن تَحْصِيل الخَاصَّةِ، كما لا يذْهَبانِ عن عقُول العَامَّةِ، يشْتَمِلُ عليهِما البُرْهَان المَوْصُول بحُجَّة العِيَانِ. ونَصِيرُ إلى ذِكْر المَسْجِد الجَامِع في الجَانِب الغَرْبيِّ بمَدِينةِ المَنْصُور فنُحَصِّلهُ ذَرْعًا مُكسَّرًا.

ثمَّ نقْسِمُ ذلك على المُصَلِّينَ فيه في آخِر جُمْعةٍ يجْمَعُ النَّاس من الشَّهرِ الشَّرِيف أو أوَّلِها، بعْدَ أن نعْلمَ أنَّ كلَّ مصَلٍّ فيه سَيَشْغلُ مرْكَزًا للصَّلاة لرِكُوعِهِ وسُجُودهِ وقِيامِهِ وقُعُودهِ، يكونُ خمسةَ أشبارٍ في شِبْرينِ، لا تصِحُّ الصَّلاةُ بما هو دونَ ذلك من المَراكِزِ.

ثمَّ نضِيفُ إلى أرْبَاب الصَّلاة ببغْدَادَ الذي سلَفَ منَّا ذكرهُم من أهْلِ البَصْرَةِ والأُبُلَّةِ وسَائِر الكُوَر التي عَدَّدنَاهَا والمدَائِن التي ذكرنَاهَا، وما هو بين ذلك وعن يمِينهِ وشَمَالِهِ ومن خلفِهِ وقدَّامِهِ فنجْعَلهم ضِعْفًا لمن ضَمَّتهُ بغْدَادُ من أهْلها الرَّاتِبِينَ فيها، وإنْ كان بالواجِبِ في كثيرٍ من الأقَاوِيلِ أنْ يكونوا أضْعَافـًا مُضَاعفةً على ما ضَمَّتهُ من أهْلها ومسَاكِنها.

وقد قُلنا إنَّ عددَ من ببغْدَادَ من النَّاسِ رجَالًا ونِسَاءً، صِغَارًا وكِبارًا، سِتَّةٌ وتِسْعونَ ألفَ ألفِ إنْسانٍ. [٦٣ر] إذا أضْعِفُوا بمن أُضِيفَ إليهم مائةٌ واثنانِ وتسْعُونَ ألفَ ألفِ إنْسانٍ. ثم سَقطَ من هذه العِدَّةِ بحقِّ النِّسَاءِ والصِّبْيانِ والمرِيضِ وأهْلِ الذِّمَّةِ.

وقد ذكَرنَا قَدْرَ مرْكَزِ المُصَلِّي وأعْلمْنَا أنَّه خَمسةُ أشْبَارٍ يضْبطُ بها ركُوعهُ وسجُودهُ وقِيامهُ وقُعودهُ في شِبْرين، لا تَطِيبُ الصَّلاةُ في دُونِها. وقد حصَلَ من ذرع المَسْجِد الجَامع الغَرْبيِّ دونَ رِحَابِهِ وما زِيدَ فيه مائتي ذِرَاعٍ، في مائتي ذِرَاعٍ يكُونُ مُكسَّرًا أربَعينَ ألف ذِراعٍ. وجبَرنَا رِحَابهُ، وهي دُونهُ في الذَّرْعِ، فجعلْنَاها في القِسْمةِ مثلها فكانت مائتي ذِراعٍ في مثْلَها.

فصَارَ جميعُ ذَرْعِ المَسْجِد الغَرْبيِّ مع رِحَابِهِ وبنَائهِ وأرْكَانهِ وأسَاطِينهِ. فأسْقَطْنا حِصَّتَها من الذَّرعِ، اسْتِظهارًا ثمانِينَ ألفَ ذِراعٍ مُكسَّرةٍ، شغَلها من أهْلِ الصَّلاةِ بها علىٰ ما فَرضْنَا من مرْكزِ الصَّلاةِ الواجبةِ من عددَ النَّاس اثنان وثَلاثونَ ألفَ إنْسانٍ. وهذا حُكمُ القولِ في المَسْجِد الشَّرقيِّ بها أو نحوه.

فيكُونُ إذا جمَعْنا ما يسَعُ الجَانِبانِ ورِحابهُما من المُصَلِّينَ علىٰ ما ذكرنا أرْبعةً وستِّين ألْفَ إنْسانٍ، وهو جُزءٌ واحدٌ من ألْفِ جُزءٍ ممَّن قدَّرنا أنَّه يحْضر، وهو الثُّلثُ من جميعِ أهْلِ مدِينَةِ السَّلام ومن ذكَرنا، وهذه -يرْحمُكَ الله- عدَّةٌ يسْتَغرِقُها دون عِدَّةِ الحجَّامِينَ وقُوَّامِ الحَمَّامِ بمدِينةِ السَّلامِ، كما قد سلَفَ من القَولِ بَكيرًا جِدًّا.

فإنَّ الذي قَرَّبَ البَعِيد، وبسَطَ القَرِيب، وجعَل الصَّغِيرَ كبِيرًا والكَبِير صَغِيرًا، هو الذي اسْتَوْدعَ عقُولَنا الإقْرَارَ بقُدْرتهِ علىٰ توَسُّعهِ، ما لا سبِيلَ إلىٰ اتِّساعهِ إلَّا به،

ولا حِيلةَ في حَطِّهِ وارْتِفاعِهِ إلَّا عنه، ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر: ٨١] . أفَلَيْسَ الوَاجبُ علينا الإقْرَارَ إذًا بما لا يدْفعُ الإقْرارُ به من قُدرةِ الله إلّا عِنَادًا واعْتِدادًا.

وإذا اتَّسعَ القَوْل بأنَّ اللهَ ﷻ يُلَطفُ لخَلْقِهِ لُطْفًا يبْسُطُ به البَعِيد ويَطْوي به القَرِيب، أمْكنَ من ذلك أنَّ الله يبْسُط لأقْرَب خَلْقِهِ إليه وأعزِّ بِقاعِهِ عنده أوْ على ما شَاء كما شاء.

ولا أرى [٦٣ظ] الوَاثِقِينَ بِاتِّساعِ قُدْرةِ الله يجْهَلونَ برأيِ العَيْنِ قَدْرَ مِسَاحة المَسْجِد الحَرَام بمكَّةَ أو يَحْتجُّونَ عن إدْرَاكِ من نفَذَ إليه من مَشَارق الأرْضِ ومغَارِبِها. فإنَّه يذْكُر كثِيرٌ، ممَّن لا يُتَّهمُ في تميُّزِهِ وذكره كما ليْسَ بضنينَ في دينِهِ وسترِهِ، المُجْتمعَ من عدَد الحَاجِّ في المَسْجِد الحَرامِ ألْف ألْف وخمْسُ مائة [ألف] إنْسَانٍ، وذلك هو الحَدُّ في الغَايةِ التي لا مَزِيدَ عنْدَهم فيها. وأنَّ الحَدَّ في الغَايةِ التي لا انْتِقاصَ معها هو أنْ يكُونوا سِتَّمائةِ ألْفِ إنْسَانٍ.

وقد وجَدْنَا مِسَاحَة المَسْجِد الحَرامِ مع البَيْت طُولًا وعَرْضًا ثلاثمائة ذِراعٍ في مائَتي ذِراعٍ، يكونُ ذَرْعًا مُكسَّرًا بسِتِّينَ ألْفِ ذِراعٍ. وجعَلْنَا للمُصَلِّي فيه أنْ يأخُذ من مسَاحةِ المَسْجِد اسْتِظهَارًا وتقْلِيلًا ذِراعًا في ذِراعَينِ يكونَ لرُكُوعهِ وسجُودهِ وقِيامِهِ وقعُودِهِ، فيكُونُ قدْرُ ما يحْتَاجُ إليه الغَايةَ القُصْوىٰ الذين قُلنا أنَّهم ألْفُ ألْفِ وخَمْسمائة ألْف إنْسَانٍ، من الذَّرعِ لما فَرضْنَا ثلاثَةَ آلاف ألْفِ ذِراعٍ مكَسَّرةٍ. ويكُونُ قَدْر ما تَسعهُ مِسَاحةُ المَسْجِد الحَرامِ إنَّما هو ثلاثون ألْف إنْسَانٍ، وذلك خُمُسُ العَددَ الذي يَذْكُرونَ.

وهكَذا لو عَمِلْنا حِساب سِتّمائة أَلْفِ إنْسَانٍ ما كان أيضًا إلّا خَارِجـًا عن صُورَةِ القِياسِ جميعًا. أفحَسِبتَ أيُّها الوائِقُ بما غَابَ عنه من حِكْمةِ الله، والمُقِرُّ بالخَفِيِّ عليه من قُدْرةِ الله، أنَّ القِيَاسَ أنْ يسَعَ المَسْجِدُ الحَرَامُ من هُمْ أوْسَعُ من أضْعَافِهِ أضْعَافـًا مضَاعفَةً، وهو بِرأي العَيْنِ ما وسِعُوهُ قطُّ، وقد اطَّرَدَتِ الآن وجُوهُ الكلَامِ بأنَّ الله ﷻ يلْطُفُ لخَلْقهِ من حيْثُ لا يحْتَسِبونَ ويصْنَعُ لهم من حَيْثُ لا يَشْعُرونَ.

ووصَلْنَا من القَولِ إنَّ الله بقُدْرتهِ يبْسُطُ للنَّاسِ المَسْجِدَ الجَامعَ بمَدِينةِ السَّلامِ ليَسعَ من لا يسَعُهُم في رَأيِ العَيْنِ أضْعَافهُ ذَرْعـًا ومسَاحةً. وإذ أمْكَن أنْ يقول: أنَّ اللهَ ﷻ يبْسُطُ بالزِّيادَةِ علىٰ قدَرِ المَساحَةِ ذِراعـًا واحِدًا، جَازَ أنْ يقُول بَاعـًا، وإذا جَازَ أنْ يقُولَ بَاعـًا واحِدًا، جَازَ أنْ يقُولُ [٦٤و] فَرْسَخـًا واحدًا، وإذا جَازَ ذلك القَوْلُ بفَراسِخَ كثِيرةٍ، إلَّا أنَّ الله ﷻ لم يُعْطِنا القُدْرةَ علىٰ عِلْمِ ذلك ومُعَايَنةِ مثْلهِ. وإذا تَتَابَعتِ الآيَاتُ، وتنَاسَبتِ العَلَاماتُ، وتمَكَّنتِ الدَّلَالاتُ، رجَوْنا بها زَوال الشُّبْهَاتِ واسْتِقْبَال الحَقَائِقِ والممْكِناتِ.

ونقُولُ إنَّه بِالوَاجبِ متىٰ اسْتَجازَ أرْبَابُ المَدَائِنِ المشْهُورةِ التي ذكَرْناها، والبِقَاعِ العِظَامِ التي أشَرْنَا إليها وأحْصَيْناهَا بمَدِينةِ السَّلَامِ، حتىٰ يحِلُّوا بِها ويسْتَوْطِنُوا فيها، أنْ يُضَعَّفَ عدَدُ المسَاكِنِ بها وتتَضاعفَ المَنازِلُ في حوَاشِيهَا وأوْسَاطِها لِلعَالمِ الوَارِدِ والدَّهْم الوَافِد.

وقَدْ قُلْنا إنَّ من المْكِنِ القَرِيب أنْ يكُونوا في عدَدِهِم ضِعْفًا لمن ببغْدَادَ من أهْلِها قِياسـًا صَحِيحًا وحُكْمًا لَازِمًا، كما قَدْ قُلْنا بما رتَّبْنَاهُ ونزَّلْنَا القَوْل فيه وقرَّبْناهُ،

أنَّ عدَدَ المَنَازِلِ ببغْدَادَ اثْنا عشَر أَلْفَ أَلْفِ منْزِلٍ، وجَدْنَا العَيانَ قد أوجَدَنَا أنَّ منْزِلًا منها لا يكَادُ يخْلُو من مِصْبَاحٍ يُنِيرُ فيه ليْلًا يتَّقِدُ بدُهْنِ البِزْر.

ثم لا يعْسر علينا أنْ نقُول إنَّ في هذه المَنَازِلِ ما قد يُوقَدُ فيه أمْنَانٌ عِراقيَّةٌ وأرْطَالٌ من دُهْنِ البِزْرِ إلى ما هو دون ذلك القَدْرِ من الدُّهْنِ. فإذا ضَرَبْنا قَدْر مايحْتَاجُ إليه في كلِّ مَنْزلٍ في كلِّ ليْلَةٍ من دُهْنِ البِزْرِ، قَلِيلهُ بكَثِيرِهِ وكبِيرهُ بصَغِيرِهِ، فرَضْنا لكلِّ منْزِلٍ في كلِّ ليْلَةٍ من دُهْنِ البِزْر أوْقِيَّتينِ[1] بِأواقِ العِراقِ.

وقد حَصَل من عدَدِ المَنَازِلِ كما قَدَّمنَا اثْنا عشَر أَلْفَ أَلْفِ منْزِلٍ سِوى ما استَظْهرنا بِإسْقَاطهِ من المُسْتَجِيرِينَ ببغْدَادَ عند خَرَابِ البَصْرَةِ وسَائِرِ البِقَاعِ والمدَائِنِ العِظَامِ سِنِينَ متَوالِيةً وأعْوَاماً مُتَتابِعةً، فحصَلَ لِمَصَابيحِ القنَادِيلِ حسَابٌ لكلِّ منْزِلٍ في كلِّ ليْلَةٍ أوقِيتَينِ من دُهْنِ البِزْرِ ألفا أَلْفِ رطْلٍ، ثمَّ وجدْنَا عددَ الحمَّاماتِ كما قدَّمنا سِتِّينَ أَلْفَ حمَّامٍ وحِصَّةُ الحمَّامِ الوَاحِد في كلِّ ليْلةٍ دُهنِ البِزْر رُبْعُ الرَّطْلِ[2] العِرَاقيِّ، فيكُونُ بحَقِّ الحمَّاماتِ أيضاً في كلِّ ليْلةٍ خمْسةَ عشَر أَلْفَ رَطْلٍ، فصَار[٦٤ظ] جميعُ ذلك أَلْفي أَلْفِ رَطْلٍ وخَمْسةَ عشَر أَلْفَ رطْلٍ.

ثمَّ أمْددْنَا الاسْتِظْهارَ بمثْلِهِ من الاسْتِظْهارِ فأسْقطْنا ما يحْتاجُ إليه الحمَّاماتُ عمَلًا على أنَّ في المَنَازِلِ ما لا مِصْباحَ فيه وما لا يكُونُ مصَابِيحهُ بدُهْنِ البِزْر، وهي

---

[1] الأوقية: تساوي أربعين درهمًا، وهي عند الأحناف نحو١٢٥ جرام، أي ١/٨ كيلو جرام تقريبًا. انظر: علي جمعة: المكاييل والموازين، ص٢١.

[2] الرَّطْلُ: معيار يوزن به، وهو مكيال أيضًا، وإذا أطلق في الفروع فإن المراد به الرَّطل البغدادي أو الرطل العراقي، وهو يساوي ١٣٠درهمًا. أي ٤٠٦,٢٥ جرام. انظر: علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص٢٩.

خَمسةَ عشَر أَلفَ رطَلِ بِزرٍ، كما اسْتَظْهرنا بإسْقَاطِ ما كان يحتَاجُ إليه أرْبابُ الكُوَرِ المُضَافةِ إلىٰ بغْدَادَ عند خَرابِ البَصْرَة، واقْتَصَرنا علىٰ ما وجَدْنَاه، قَوَّمْنا مبْلَغـًا، وهو أَلفا أَلفِ رطَلٍ من الزَّيْت في اللَّيْلةِ الوَاحِدةِ، يكون ثمَنُها علىٰ سِعْر زَمَانِنا هذا، وهو أَعْدَلُ الأسْعَارِ، أَلف أَلفِ دِرْهمٍ، وفي الشَّهْرِ الوَاحِد ثلاثُون أَلفَ أَلفِ دِرْهَمٍ وفي السَّنةِ الوَاحِدةِ ثلاثُمائةِ أَلفِ أَلفٍ وسِتُّون [أَلفَ أَلفٍ] دِرْهمٍ ، قِيمَتهُا عَيْنًا بِسِعْر زَمَانِنا اثْنَانِ وعشُرون أَلفَ أَلفٍ وخمْسُمائةِ أَلفِ دِينارٍ[1] .

ثمَّ نظَرنا في بابِ الزَّيْت وفي قَدْرِ ما تحتَاجُ إليه مسَاكِنُ الخَلِيفةِ للمَصَابِيح والمطَابِخ وخَبْزِ الرُّقَاقِ وسَائِر أنواعِ الخُبْزِ، ومن هو دُونَ الخَلِيفةِ من خاصَّتهِ وبطَانَتهِ وولَدِهِ وسَائِرِ حشَمِهِ، ثمَّ ما يحتَاجُ إليه من ذلك أيضـًا ولَاةُ العُهُودِ ومن أطَاف بهم من خوَاصِّهِم، ثمَّ الوُزَراءِ وسَائِر الأُمَراءِ، ثمَّ القُوَّادُ ووجُوهُ أرْبَابِ السَّيفِ، ثمَّ الكُتَّابُ وكتَّابُهم والعُمَّالُ وعمَّالُهم، ثم النُّنَّاءُ وأرْبَابُ النِّعَم وسَائِر الوُجوهِ، ثمَّ وجُوهُ التُّجَّارِ وأرْبَاب الصِّنَاعاتِ الكَثِيرةِ، ثمَّ من هو أدْنَىٰ من هذهِ الطَّبقَات وأنْقَصُ من هذه الدَّرجاتِ، صِغارًا وكِبارًا، خَواصًّا وعَوامـًّا، وفي الوَاحدِ من الجمَاعَاتِ ممَّن ذكَرْنا منَازِلُهم واقتصَصْنَا مرَاتِبهُم، ممن يَحْصُل في مسْتَقرِّه بمَدِينة السَّلامِ في كلِّ يَوْمٍ ولَيْلةٍ من الزَّيْت ما لا يُحْصَىٰ جِرَارًا ولا يُعدُّ رِقَاقـًا.

وقَدْ جعَلْنا تقْدِير ما نُحْصِيهِ من الزَّيْت ليَوْمٍ واحِدٍ من شَهْر رمَضانَ، فضَربْنَا قَدْرَ ما يحتَاجُ من الزَّيْت لمطَابِخ أمِيرِ المُؤْمنِينِ وسَائِرِ ما يُسْتَعْملُ فيه الزَّيْت لِمثْلِهِ

[1] يستفاد من هذا الخبر أن سعر الصرف الدينار الذهبي مقابل الدرهم الفضي في بغداد في هذه الفترة هو ١٦ درهمًا.

ومن دُونهِ من الطَّبقَات الفَاضِلةِ إلى أنْ وصَلْنا إلى من هو في [٦٥و] أصْغَرِ الطَّبقَاتِ وأيْسَرِ الدَّرَجَاتِ من النَّاسِ ببغْدَاد. فجَعْلنا لكلِّ منْزِلٍ منها في كلِّ ليْلَةٍ [من] ليالِي شَهْرِ رمَضَانَ أوْقيَّتَينَ من الزَّيْتِ لتَصْلحَ القِسْمةَ ويَأْتلفَ الكَلامُ. فجُعِل من ذلك في اللَّيْلةِ الوَاحِدةِ ألْفُ ألْفِ رطْلٍ من الزَّيْتِ.

ثمَّ قسَمْنا بحِقٍّ كلِّ حمَّامٍ عشْرةَ مسَاجِد، ثمَّ زِدْنا الاسْتِظْهَار اسْتِظْهارًا فأسْقَطْنا النِّصفَ من عدَدِ المسَاجِدَ، فحصَل لنا لكلِّ حمَّامٍ خمْسُ مسَاجِدَ، فاجْتَمعَ لنا من عدَدِ المسَاجِد ثلاثمِائةِ ألْفِ مَسْجِدٍ، وفَرَضْنا لكلِّ مَسْجِدٍ في كلِّ ليْلةٍ من ليَالي شَهْر رمَضَانَ من دُهْنِ الزَّيْتِ لمصَابِيحهِ، إذا ضَربنا كَثير ذلك في قَلِيلهِ وصَغِيره في كَبيرهِ، اسْتِظْهارًا رَطْلًا واحِدًا، وفي المسَاجِد ما يسْتَغْرقُ أرْطَالًا كثِيرةً، فاجْتَمع من ذلك في اللَّيْلةِ الوَاحِدةِ ثلاثمِائةِ ألْفِ رَطْلِ زَيْتٍ.

ثمَّ نظَرنَا في الإنْفَاقِ المْمكِنِ، فإنَّه ليْسَ يَعْسُر أنْ ينْفِقَ النَّاسُ في الأعْيَادِ العِظَامِ والأيَّامِ السَّعِيدةِ بمِثْل ما رتَّبْنا عليه طبَقَاتِ النَّاسِ في الحَاجَةِ إلى الزَّيْتِ، أنْ تكُونَ الحَاجةُ إلى ذلك كالحَاجَةِ إلى اسْتِعْمالِ الصَّابُونِ، وأنْ نجْعَل لكلِّ منْزِلٍ واحِدٍ، وعدَد المنَازِل اثْنا عشَرَ ألْفَ ألْفِ منْزِلٍ، في كلِّ يَوْمٍ من أيَّامِ شَهْرِ رمضَانَ من الصَّابُونِ رطْلًا واحِدًا. فإنْ أوْشَكَ القَوْلُ بذلك فأسْقِط من عدَدِ الدِّيارِ ما ترىٰ به زَوالَ الشُّبْهةِ وامْتِناعِ الرِّيْبةِ، وهو النِّصْفُ من عدَدِهم، ليَتمكَّن لك التَّظَاهرُ بالعَيانِ ونزِيدُ لك ذلك في قُوَّةِ البُرْهانِ.

فإن جَمحَتْ بك الظُّنونُ وحِيلَ بيْنكَ وبين مُناسبَةِ اليَقِينِ، فلك بحَقِّ التَّرخِيمِ من المنَازِلِ الثُّلْثانِ ليكُون الحاصِلُ لحصَّتِكَ في اليَوْمِ الوَاحِدِ من ذلك الشَّهْرِ أرْبعةَ

آلافِ أَلْفِ رَطْل صَابُونٍ، فيكونُ حقُّها من الزَّيْتِ اسْتِظْهارًا أَلْفَ أَلْفِ رطْلٍ، يكونُ جميعُ ما ذكَرناهُ في اليَوْمِ الوَاحِد واللَّيْلةِ الوَاحِدةِ من أيّامِ شهْرِ رمَضانَ [٦٥ظ] لِمَنَازِلِ المُلوكِ والأَدْنَى، فالأَدْنَى من الطَّبقَاتِ، ولمصَابِيح المسَاجِدِ ثلاثَةَ آلافِ أَلْفِ رطْلٍ وثلاثُمائةِ أَلْفِ رطْلِ زَيْتٍ.

ويكُونُ ثمَنُها بسِعْرِ زَمانِنا هذا وَرِقًا ثلاثمائةِ أَلْفِ أَلْفٍ وثلاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ، تكونُ عَيْنـًا ثلاثَةَ آلافِ أَلْفٍ وتِسْعمائةِ أَلْفٍ وستِّينَ أَلْف دِينَارٍ. وفي السَّنةِ الوَاحِدةِ عَيْنـًا سَبْعةٍ وأرْبَعينَ أَلْفَ أَلْفٍ وخَمْسمِائةِ أَلْفٍ وعَشْرينَ أَلْفَ دِينارٍ.

ومن العَامِّ المُشْترِك وما لا اشْتِباهَ في حاجَةِ العَامَّةِ والخَاصَّةِ إليه البقُولُ المسْتَعْملةُ في كلِّ يوْمٍ في كل منْزِلٍ، فإنَّها وإنْ كانتْ ذَواتَ أَلْوانٍ عَامَّةٍ وأنْواعٍ خاصَّةٍ، وكان منَّا من يَبْتَاعُ منها بالدَّنَانيرِ والكَثيرِ من الدَّرَاهِم، ومنَّا من لا يصِلُ إلى المبَايَعة منها بمثلِ ذلك، ومنَّا من يغِبُّ الخاصَّ منها خاصَّة، ومنَّا من لا سَبِيلَ له إلى أعَمِّ العَامِّ منها.

فإذا خَصَصْنا من أيّام السَّنةِ لاسْتِعمَالِ العَامِّ من البقُولِ يَوْمـًا واحِدًا وجَعلْنَاهُ أوَّل يَوْمٍ من شهْرِ رمَضَانَ أو أوَّل يوْمٍ من شَوَّالٍ. ثمَّ جَعلْنا النَّاسَ بين حاشِيَتيْنِ، هما الغَايَتَان كالخَليفةِ ارتِفَاعًا أو حَارِسِ الدَّرِبِ اتِّضَاعًا، لم يخْلُ مَنْزل واحِد من الحَاجَةِ إلى بقْلٍ، بحَبتَيْنِ[١] من الفِضَّةِ في هذا اليَوْمِ الذي خَصصناهُ دونَ سَائِر الأيّامِ، إنْ زَالَ الإقْرَارُ لأيّامِ السَّنةِ جميعـًا بذلك، وعدد المَنَازِل اثْنَا عشَرَ أَلْفَ أَلْفِ منزِلٍ، فيكُون قَدْرُ ما يرْتَفعُ من أخَسِّ أثْمانِ البقُولِ في يَوْمٍ واحِدٍ دُونَ ما هذا دُونهُ منها،

[١] قد ذكر فيما قبل أن وزن الحبة= ٦/١٠٠ من الجرام تقريبًا، وعلى ذلك يكون وزن الحبتين من الفضة نحو ٠,١٢ جرام من الفضة.

فإنَّا أسقطناهُ لخصومِه كاللُّفتَ والقُنَّبيطُ[١] والسَّلْقِ والسَّرمَجِ[٢] والإسْفَانَاخ[٣] والبصَلِ وأشْبَاهِ ذلك أرْبعَةٌ وعشرُونَ ألفَ ألفِ حبَّةٍ، ومبْلغُ الحبَّاتِ خمسُ مائةِ ألفِ دِرْهمٍ، وفي الشَّهْرِ الوَاحِد خمْسَةَ عشَر ألفَ ألفِ دِرْهمٍ.

وإنَّا لمُسْتَدرِكونَ شَبيهـاً بذلك في بَابِ الأعْنَابِ في أوانِها والأرْطَابِ في أزْمَانِها. ونقُولُ إذا حصَلَ لنا علىٰ التَّرتِيبِ المُتظَاهرِ والتَّمْثِيل المُتَناسِبِ تقْرِيبـاً واسْتِظْهارًا من عدَدِ النَّاسِ بمدِينةِ السَّلامِ سِتَّـةٌ وتِسعونَ ألفَ ألفِ إنْسَانٍ. ثمَّ أضَفْنا إليهم مِثْلهُم في وقتٍ من الزَّمانِ من [٦٦و] المُسْتَجِيرِينَ بهم من أهْلِ البَصْرَةِ والأُبلَّةِ وكُوَر دِجْلَةَ وسَوادِ الأهْوازِ والنَّهْروَاناتِ الزَّوَابِي وسَقْىٰ جَوْخَىٰ وكَثِيرٍ من أوْدِيَةِ الفُراتِ، اجْتَمعَ من ذلك تَقْريبًا مائةٌ واثْنَانِ وتِسْعُون ألفَ ألفِ إنْسَانٍ. ثمَّ وصَلَ بِنَا إلىٰ إبَّانِ الأعْنَابِ في أوْسَطِ أوْقَاتِها وأعْدَلِ أسْعَارِهَا، وأقْوَاتُ النَّاسِ من الأعْنَابِ بمقَادِيرَ مختَلفةٍ جِدًّا ينْقُصُ ويَزيدُ، إلَّا إني أرَىٰ أنَّ الكَبِير والصَّغِيرَ والغَنِيَّ والفَقِيرَ يتكَافئونَ في أكلِ الأعْنَابِ حتىٰ لا يتَعذَّرُ علىٰ أحد أن يَرُوحَ في أوَانِ كثْرتِها واعْتِدالِ أسْعَارهَا دُونَ أكْلهِ رطْلًا من العِنبِ العَامِّ.

ثمَّ ضَربْنَا بعْضَـاً ببَعْضٍ وجعَلْنا قَدْرَ ما يأكُلهُ كلُّ إنْسَانٍ منهُم من العِنبِ رطْلًا واحِدًا في يَوْمٍ واحِدٍ، رجَالًا ونِسَاءً، صِغَارًا وكِبَارًا، فُقَراءَ وأغْنِياءَ، فكانَ مَبْلغَ ذلك من أرْطَالِ العِنَبِ في يَوْمٍ واحِدٍ مِائةَ واثْنينِ وتِسْعُينَ ألفَ ألفِ رطْلٍ.

---

[١] القُنَّبِيط: أغلظ أنواع الكرنب، وهو القرنبيط، بلغة أهل مصر. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة [ق ن ط] ج٢٠، ص٥٦.

[٢] السرمج: ويقال له السرمق، وهو القفطف: نبات رخص عريض الورق يطبخ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ق ط ف) ج٩، ٢٨٧.

[٣] الإسفاناخ: ويقال: الإسباناخ. والسبانخ بلغة أهل مصر. انظر: المعجم الوسيط، ص ١٨.

فكانَ مبْلَغُ ما اجْتمعَ من هذه الأَرْطَالِ علىٰ أقْرَبِ الأسْعَارِ المُعْتَدلةِ في الأعْنَاب العَامَّةِ، حسَابُ إثني عشَر رطْلًا بدِرْهمٍ، ستَّةَ عشَر ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ، وفي الشَّهْرِ الوَاحدِ أرْبعَ مائةٍ وثمانينَ ألْفَ ألْفِ دِرهمٍ.

ثم اسْتَظْهرنا بإسْقَاطِ الأَطْفَالِ والأمْراضِ ومن لا يَأكُلُ العِنبَ بتَّةً، فسَقطَ لهُم من عدَدِ الأرْطَالِ ستَّةُ آلافِ ألفِ رطْلٍ، فحصَل من بعد ذلك من عدَدِ الأرْطَالِ تِسْعُون ألْفَ ألْفِ رَطْلِ عنَبٍ.

أفحَسِبْتَ أيُّها المُعْتَصِمُ بالعَدْلِ المُتفرِّدُ بصِحَّة العَقْلِ، أنَّ في البعْضِ من سَاعَاتِ اليَوْمِ الواحِدِ واللَّيْلةِ الوَاحِدةِ ما يتَّسِعُ لمن ترَىٰ من قَاطِفِي الأعْنَابِ ومُعَبِّيهَا ووَزَّانِيها، فهم الذين تَراهُم وتَرَىٰ أنْ يصْنَعوا من ذلك بما لا يَبْقَىٰ به إلَّا من هو في حُكْم القِيَاس أضْعَافُهم عدَدًا. لكِنَّ لله نعَمًا ينْعِمُ بها ورحْمَةً يلْطِفُ بها مقْدَارهَا غير مَقَادير عقُولِ المَرْبُوبينَ، وتدْبِيرِ المدَبِّرينَ، وهو الإقْرَار له بطَوْلِهِ فيها وقُدْرته علىٰ ما بسَط علينا منها.

وسَتعْتَرِضُكَ الشُّكُوكُ فتَسْتَرِيب باليَقِينِ البَاهِرِ والبُرْهَانِ المُتَظاهِرِ، حتىٰ إذا شِئتَ ألَّا تنْظُر بإحْدىٰ عينَيكَ، [٦٦ظ] وتسْمعَ بالوَاحِدةِ من أُذُنَيكَ، علِمتَ أنَّك إذا رأيتَ خليفةَ الله، أمِيرَ المُؤمِنِينَ وإمَامَ المُسْلِمينَ، قد حلَّ بمَحَلٍّ من الأرْضِ كحُلولِهِ بمَدِينة السَّلَامِ، ومن أطَافَ بأمِيرِ المُؤمِنِينَ من ولَاةِ العُهُودِ والأمَراءِ، وسَائِر الوَلد والوزَرَاءِ، والمتَلاحِقينَ بهذه المَرَاتبِ من الوجُوهِ والرُّؤسَاءِ، وسَائِر أرْبَاب السُّيوفِ، ووجُوهِ الكُتَّاب وكُتَّابِهِم، وخوَاصِّ من هو لهُم وبهِم من أرْبَابِ النِّعَمِ والثَّنَاءِ، وأرْبَابِ الضِّياعِ الموسِرينَ منهُم، دون المقْـتَرِينَ من أفْنائِهم، ثمَّ وجُوهِ التُّجَّارِ،

ومُلوكِ الصَيارِف، والبَزّازِينَ والعَطّارينَ، وأرْبَابِ الجَواهِرِ النَّفِيسةِ، وأهْلِ الصّنَاعاتِ الشَّريفةِ، والأغْنِياءِ جميعاً من الجَماعةِ دون الفُقَراءِ، والمُوسِرينَ دونَ المعْسِرينَ، وغير المُتَجمّلينَ المَسْتُورينَ، ومن لا يُشْبِعُ يدَهُ بغير المَيْسُورِ من الأمْرِ والقَصْدِ من الشأن.

وقد قُلْنا إنَّ عددَ ما ببغْدَادَ من المَنَازِلِ اثْنَا عشَرَ ألفَ ألْفِ منزِلٍ، فاجْعَل الآن حَاجِزًا بين منازِلِ المُلوكِ والأغْنِياءِ وسَائِر الوجُوهِ والكُبَراءِ من المُتَّسِعِينَ بالنِّعَمِ، المُعْتَصِمينَ بالسَّعَةِ ومن هو دونَهُم من الضُّعفاءِ والمُتَحمِلِّينَ وأهْلِ القَناعةِ والمسْتُورينَ، لِتَحْسُنَ به ظُنُوننَا ويُتَمكنُ عِيارهُ في أوْهَامِنا وعقُولِنا، وهو أنْ نفرِضَ لكلِّ عشْرَةِ منَازلَ من الطَّبقَاتِ الصَّغِيراتِ منْزِلًا واحِدًا من الطَّبقَاتِ العَالِياتِ. فيكونُ عدَدُ منَازِلِ المُلوكِ والرُّؤسَاءِ والوزَراءِ وسَائِر المتَقدِّمينَ من الأغْنِياءِ العُشْر من جماعةِ منَازِلِ النَّاسِ.

فإن أتَيْتَ دُونَ الذي جَرتْ عَادتُكَ في الإسْرافِ، وأقَمْتَ عليه من حَطِيطَةِ الإضْعَافِ، وانتَحلتَ الاسْتِظْهارَ مِلّةً ودِيناً، ومكَنْتَ لنَفْسِكَ بالظّاهِرِ يقِيناً، مدَدْنا بذلك إليك يَدًا طَالَمَا ناوَلَتْكَ البَعِيدَ وسهَّلتْ لدَيْكَ العَسِيرَ. وجَعْلنَا عدَّة منازِلِ الضُّعَفاءِ والحَامِلِينَ وأهْلِ التَّجمُّلِ والمُقْتصِد أضْعَافِ أضْعَافِ منَازِلِ المُلوكِ والأشْرافِ. فيَكونُ إذ ذاك عدَدُ مَنازِلِ المُتقَدّمينَ من عِدَّةِ منَازِلِ المُتأخِّرينَ كنِسْبةِ شيءٍ إلى مثْلِهِ عِشْرينَ مرَّةً، فيَحصُلُ لنا عدَدٌ هو نِصْفُ العُشْرِ من الجميعِ.

[٦٧و] وقدْ قُلْنا إنَّ عَددَ المنَازِلِ ببغْدَادَ اثْنا عشَر ألفَ ألفِ منْزِلٍ، يكُونُ نِصْفُ عُشْرِهَا سِتمائةِ ألْفِ منْزِلٍ.

وقَد يجُوزُ أنْ يُنفقَ في الأعْيَادِ العِظَامِ والأفضَلِ من الأيّامِ في بِلَادِ الإسْلَامِ، يوْمَ النَّحْرِ أو يَوْمَ الفِطْرِ في آوانٍ من الزّمَانِ لا تَتَوالَدُ فيه الأغْنَامِ بالعِراقِ، بحَيْثُ يلابِسُ مدِينةَ السَّلامِ إلّا غَرِيبًا خاصًّا وعَشِيرًا شَاذًّا، كشَهرِ خُرْدَاذماه، أو شَهرِ مُرْدَاذمَاه[1].

وقد امتَنع علينا أنْ نقول إنَّ مَائِدةً واحِدةً من المقْسُومِينَ علىٰ أرْفعِ الدَّرَجاتِ وأعْظَمِ الطَّبقَاتِ من المُلوكِ والرُّؤسَاءِ وسَائِرِ الوُجُوهِ والأغْنِياء خلَوًا من جِدْيٍ واحِدٍ في ذلك اليَوْمِ الوَاحِد، الذي قلنا إنَّهُ الأعْيَادُ الشَّرِيفَةُ والأيّامُ السَّعِيدةُ ظَنًّا قرِيبًا وحُكْمًا مُصِيبًا. فيكُونُ إذًا قَدْر ما يُباعُ في أسْواقِ بغْدَادَ من الجِداءِ في الفِطْرِ أو في النَّحْرِ ستمائةِ ألفِ جِذيٍ.

أفظَنَنْتَ أيُّها البحَّاثُ المُتذَكِّرُ والنَّظَّارُ المتفكِّرُ أنَّ الله لا يلْطُفُ لإيجَادِ ما شَاءَ من خلْقِهِ علىٰ أجْنِحة الملائِكةِ المقَرَّبِينَ وعلىٰ رُؤوسِ الجِنِّ والشَّياطِينِ.

بل لا نظُنُّ أنَّ وكِيلًا من وُكَلاءِ الوظَائِفِ وأمِينًا من أُمَناءِ المطَابِخ رجَع مُنْصَرِفًا من أخَسِّ الأسْواقِ وما لا يُنَاسبُ منها بَابَ الكَرْخِ وبَابَ الطَّاقِ في وقْتٍ واحِدٍ من الزّمانِ وسَاعةٍ واحِدةٍ من النّهارِ، فاسْتَحلَّ أنْ يقُولَ لِعَدمِ الجِداءِ الرُّضعِ ببغْدَاد.

---

[1] خُرْدَاذماه: الشهر الثالث من شهور السنة الفارسية، ويساوي شهر يونيو من السنة [الشمسية] الميلادية. مُرْدَاذمَاه: الشهر الخامس من شهور السنة الفارسية، ويساوي شهر أغسطس من الميلادية. وشهور السنة الفارسية هي: أفرودين ماه، أرديبهشت ماه، خرداذماه، تيرماه، مراداذ ماه، أرديبهشت ماه، أبان ماه، أذار ماه، ديناه، بهمن ماه، اسفندار مذ ماه. انظر: المسعودي: مروج الذهب، ج٢ص٢١٧.

وإنّي طَلَبْتُ جَدْيًا رَضِيعًا فتعذَّرَ عليَّ، والْتَمسْتُ مَخَالِيفَ الدُّرَّاجِ[١] في غَيْرِ أوَانِها، وصِغَار الفَرارِيج[٢] في دور إبَّانِها، والقَبْج[٣] والشَّفانِينَ[٤] والصَّلاصِلَ[٥] والوَارِشِينَ[٦]
٣ والسُّمَانَ والكَراكِي[٧] والطَّيْهُوجَ[٨] والقَماريَّ[٩] والعَصَافِير والدَّباسيَّ[١٠].

والغُرْبانَ والعُقْبانَ أو الثَّعالِبَ والذِّئابَ والضِّبابَ والدِّبَابَ والفِيلَ والسَّمُّورَ والأَرْنَبَ والخِنْزِيرَ، وما لا يُحْصَىٰ عددُهُ ولا يَحْصُل مَدَدهُ من أنْواع ما في البرِّ،
٦ وغَرائِب ما في البَحْرِ من السَّلاحِفِ والسَّرطَاناتِ[١١] والسَّقَنْقُور[١٢] والشُّورمَاهِي[١٣]،

---

[١] الدراج: طائر أرقط من طير العراق. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: د ر ج] ج٥، ص٥٥٥.

[٢] الفراريج: لفظة فارسية معربة، وتعني أفراخ الدجاج. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٩٢.

[٣] القبج: مر ذكره ص٣٣١.

[٤] الشفانين: ضرب من الحمام حسن الصوت تسميه العامة بمصر اليمام. الجاحظ: الحيوان، ج٧، ص٤٣-١٣٣.

[٥] الصلاصل: اسم من أسماء الحمام. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٢، ص٨٠.

[٦] الوارشين: نوع من الحمام. انظر: الجاحظ: الحيوان، ج٧، ص١٠٠-١١٢.

[٧] الكراكي: طائر أغبر طويل الساقين في قدر الإوزّة. انظر: القلقشندي:. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة بيروت المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٥م. ج٢، ص٦٩.

[٨] الطيهوج: طائر عنقه أحمر، ومنقاره ورجلاه حمر، مثل الحجل، وما تحت جناحيه أسود وأبيض. انظر: أبو البقاء الدميري: حياة الحيوان الكبرى، بيروت، ٢٠٠٣م. ج٢، ص١٤٠.

[٩] القماريُّ: من الحمام. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٥٩.

[١٠] الدَّباسيُّ: نوع من الحمام. نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[١١] السرطانات: حيوانات بحرية من فصيلة القشريات تعرف بالسلطعون . ابن منظور: المصدر السابق،ج٧، ٣١٤؛ المعجم الوسيط، ج١، ص٤٢٧.

[١٢] السقنقور: هو الوَرَل المائي، حيوان بحري يغتذي بالسمك، يشبه الضب، مشهور بمصر، يستعمل في الأدوية. الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٣٢-٣٣؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية ج١١ ص٥٧.

[١٣] الشورماهي: نوع من السمك طيب اللحم كثير الدسم. القزويني : آثار البلاد، ص ٤٩٣.

والصِّير[١] والمَارْمَاهِي[٢] والجِرِّيّ[٣] والزَّامُور[٤] وكلب الماء والـجُرْجُور[٥].

وقَدْ تعرَّضْنا من ذلك لِمَا لا سَبِيلَ إلى إحْصَائِه ولا حِيلةَ لنا في [٦٧ظ] عدِّه واسْتِيفائِه، ومتى تظُنُّ أو ظَنَنْتَ أنَّ عَلِيلًا مَاتَ أو يمُوتُ بمَدِينةِ السَّلامِ بفِقْدانِ دوَاءٍ معْرُوفٍ أو بحَسْرةِ غِذاءٍ لَطيفٍ أو كَثيفٍ، فقد ظَنَنْتَ محالًا وأدرْتَ في خَلَدِكَ بَاطِلًا.

وكذلك أيضًا لا يسْتَطيعُ أحَدٌ أنْ يقولَ إنَّ عَليلًا أو صَحِيحًا تَاقَ إلى الأرْطَابِ في الثاني من الكَوانِين، وإلى الكَمْأةِ[٦] في الأوَّلِ من التَّشَارِينِ، وإلى الـخَلالِ[٧] في أيْلُول، أيْلُول، وإلى البُسْر[٨] في القُرِّ والطَّلع في الحَرِّ، وإلى النَّرْجِسِ في حُـزِيرَان، والقِثَّاءِ والخِيارِ في آذار فيعْذُر وجودُ ذلك عليه[٩].

---

[١] الصير: لفظة فارسية معربة. وهو نوع من صغار السمك يؤكل مملحا. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [ص ي ر] ج١٢، ص٣٧٣.

[٢] المارماهي: اسم فارسي لنوع من السمك يشبه الحيات، يعرف بالعربية باسم الجرِّي. نفسه، مادة: [ص م ر] ج١٢، ص٣٤٧.

[٣] الجِرِّي: نوع من السمك يعرف باسم الجريث. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٩٣؛ ابن منظور: المصدر السابق، [مادة: ج ر ث] ج٢، ص١٢٨.

[٤] الزَّامور: حوت صغير الجسم يستأنس ويتلذذ بأصوات الناس، وربما يقصد بها أسماك الدولفين. انظر: أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م. ص١٣٧.

[٥] الجرجور: اسم يطلق على الإبل العظيمة. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، [مادة: ج ر ر] ج١٠، ص٤٠٢.

[٦] الكمأة: نبات يخرج من الأرض كما يخرج الفطر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص١٤٨.

[٧] الخَلال: البلح بلغة أهل البصرة. نفسه، [مادة: خ ل ل] ج١١، ص٢٢٠.

[٨] البُسر: البلح إذا اصفرَّ لونه. ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج١، ص٥٣٧.

[٩] يستعمل أسماء الشهور السريانية ،فالثاني من الكوانين هو كانون الثاني: شهر يناير، والتشارين : تشرين الأول: أكتوبر، وتشرين الثاني : نوفمبر، وأيلول: سبتمبر، وحزيران: يونيو، وآذار: شهر مارس.

أوعسَاكَ ظنَنْتَ أنَّ وجُودَ هذا هو شَيءٌ للخَاصِّ دونَ العَامِّ، والغَنيِّ دون الفَقِيرِ، والكَبِيرِ دُونَ الصَّغِيرِ، وأنَّ بلَدًا لا يمْتَنِعُ فيه وجُودُ غذِاءٍ في كلِّ زَمانٍ، وكلِّ دوَاءٍ في كلِّ إبَّانٍ، يجْمعُ لكَ الأنواعَ مع تفرُّقِ أوْقَاتِ الزَّمَان حتىٰ يُناسبَ بين المُتضَادَّاتِ في أزْمَانِها، ويؤلِّفَ بين المُتَنافِياتِ في إبَّانِها، لَـبَلَدٌ عَزيزُ الشَّأنِ عند الله، عظِيمُ النَّصِيب من لُطْفِ الله.

زعَمَ لنا جامِعُ بن وهْبٍ، وهو أحَدُ وجُوهِ المُجَهِّزِينَ من الصَّيادِلةِ، أنَّ قدْرَ ما كان فُقِد بمَدِينةِ السَّلامِ من أنواعِ الصَّيْدلةِ مما كان يأتِي من نوَاحِي البَحْرِ ،خَاصَّةَ البَصْرَةِ، وانْقِطَاع سَبِيلها ألْفُ نَوْعٍ وأرْبعمِائةِ نوعٍ وثلاثةٌ وسبْعونَ نوْعًا معْدُودَةً مُحَصَّلةً مُبيَّـنةً مُفصَّلةً.

قال: فقُلنا: ذلك مع أنوَاعِ العِطْرِ؟ فقال: نعم، مع بعْضِ أنوَاعِ العِطْر. فلمَّا رأىٰ تعجُّبِنا من ذلك واسْتِفْظاعِنا له الْتَفتَ إلينا فقال: من يذْكُر منكُم أنَّه ابْتَاعَ آسًا[1] رَطْبًا في مُدَّةِ حياتهِ؟! فقلنا جَمِيعًا بلِسَانٍ واحِدٍ: ما نذْكُر ذلك. فقال: فاعْلَموا أنَّه يُباعُ في دَارِ البطِّيخِ في كلِّ يوْمٍ من أيَّامِ الشِّتاءِ والصَّيْفِ من الآسِ الرَّطْبِ بخَمْسةٍ وعشْرينَ ألْفَ دِرْهمٍ، يكُونُ قَدرُ ذلك في الشَّهْرِ الوَاحِد ورِقًا سبْعَمائِةِ ألْفٍ وخمْسِينَ ألْفَ دِرْهمٍ، وفي العَامِ الوَاحِدِ تِسْعةَ آلافَ ألْفٍ. فإذا كانت هذه في الآسِ بها وحْدهُ، فما ظَنُّك بغَيْرِهِ من سَائِرِ الأجْنَاسِ؟.ثمَّ [٦٨و] رجِعَ بنا النَّظَر بعد ذِكْرِ الدَّواءِ والغِذَاءِ إلىٰ شَبِيهٍ بما كنَّا فيه من ذِكرِ الجِدَاءِ، وقلنا: إنَّا إذا كنَّا قد فَرضْنَا لكلِّ مائِدةٍ جَدْيًا، فوَصَلنا من عدَدِ الجِداءِ إلىٰ ما ذكرنا، وهو سِتُّمائةِ ألْفِ جَدْيٍ في يَوْمٍ واحِدٍ.

---

[1] الآس: البلح . انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [آي س] ج١٥، ص٤٢٧.

فلنَفرِضَ الآنَ اسْتِظْهارًا لكلِّ ذي مائِدةٍ جِدْيٍ وأرْبَعةَ دَجَاجَاتٍ وأرْبعةَ فِرَاخٍ. فيَكُون عدَدُ الدَّجاجِ والفِرَاخِ المُسْتعْمَلةِ في اليَوْمِ الواحِدِ من أيَّامِ الأعْيادِ العِظَامِ أرْبعةَ آلافَ ألْفٍ وثَمانمائةِ [ألف] فَرْخٍ ودجَاجةٍ. يكُونُ ثمَنُ كلِّ دجَاجةٍ اسْتِظْهارًا دِرْهمًا واحِدًا، وثمَنُ الفَرْخَينِ دِرْهمًا واحِدًا، فيكُونُ ثمَنُ الجَمِيعِ من الدَّجَاجِ والفِرَاخِ في اليَوْمِ الوَاحِد أيضًا ثَلاثةَ آلافَ ألْفٍ وستَّمائةِ ألْفِ دِرْهمٍ.

وقَدْ وجدْتَني علىٰ كلِّ حالٍ حَلِيفَ الاسْتِظْهارِ فيما ادَّعَيتُ ومُسَامِحًا لك في اعْتِبارِ ما نَحوتُ. فظُنَّ إنْ شِئتَ مُكذِّبًا للعيَانِ وطَاعِنًا علىٰ فُضُولِ البُرْهَانِ أنَّ الأمْرَ الذي ذكَرنَا وقُمْنا بحَقِّه وفصَّلْناهُ هو بخِلافِ ما أصَّلْنَاهُ، فاعْقِد الآن من جُمَلِ ذلك علىٰ أنصَافِها وأثْلاثِها وأرْبَاعِها أو أسْدَاسِها.

افحَسِبْتَ أنَّك اعتَقَدْتَ من سِتِّينَ ألْفَ حَمَّامٍ علىٰ عشْرةِ آلاف حَمَّامٍ، ليُعْقَد من ستِّمائةِ ألْفِ جَدْيٍ علىٰ مائةِ ألْفِ جَدْيٍ، ومن كذا علىٰ كذا، أنَّ البَاقِي بعد ذلك لا تَراهُ عَجِبًا عَجِيبًا وشَأنًا غَريبًا فكيف والأمْرُ في الأُصولِ كما نقولُ بكلِّ بُرهَانٍ وبكلِّ دلِيلٍ.

وسَنذْهبُ في نوْعٍ آخَر من الكَلامِ فإنَّك والحقِّ لتَشْهدُ أنَّك لترَىٰ في ظَاهِرِ العيَانِ وعلىٰ حُكْمِ الأيَّامِ والزَّمَانِ أنَّ وكِيلًا من وكَلاءِ الوَظَائفِ، لو اعْتَرَضَ جميعَ ما في بَابِ الطَّاقِ وسُوقِ بَابِ الكَرْخِ وسَائِر الأسْوَاقِ في غَداةٍ من الغَدَواتِ معْتَرِضًا بعشْرينَ ألْفَ دِرْهمٍ لابْتَاعَ جميعَ ما فيها، ولمَا ترَكَ بها مَذْبوحًا بَريًّا ولا حَيوانًا بحَريًّا، كما لا يدَعُ فيها تُفَّاحًا ولا رَيحانًا ولا أُترجًا ولا رُمَّانًا.

وإذا شِئتَ مع ذلك من القَوْلِ أنْ تعْلَم الحقَّ عليك وتتَناوَل الصِّدقَ إليك، فأطِف للإشْرَافِ [٦٨ظ] علىٰ مطَابِخ المَلِك الأعْظَم وعلىٰ ما اسْتُودعَتْ من ذلك مجَالِسهُ ومَواضِعُ موَاقِدهِ، فإنَّك تُعَاينُها مشْحُونةً بما لا تصِلُ إلىٰ مُعَاينةِ مثْلهِ في الأسْواقِ ولا كصَغِير ما هُنالكَ ببَاب الكَرْخِ والطَّاقِ.

فإنْ أنت أمْدَدتَ الحقَّ حقًّا وأضَفتَ إلىٰ الصِّدقِ صِدْقًا، وجمَعْتَ بين ما تَراهُ في مسَاكِن المَلِكِ الأعْظَم ببغْدَادَ وبين ما في مَنَازِل البِطَانةِ وسَائِر الأهْلِ والوَلَدِ والحشَمِ وولَاةِ العُهُودِ والوزَراءِ وكِبَارِ الأُمَراءِ وسَائِر الوجُوهِ والرؤسَاءِ وكِبَارِ التُّجَّـارِ والأغْنِياءِ دونَ المُقْتَصِدينَ والفُقَراء، وصَلْتَ من معَاينةِ ما ترىٰ أنَّ مادَّتَهُ إنَّما هي من بَابِ الكَرْخِ والطَّاقِ وسَائِر الشَّوارِع والأسْوَاقِ في اليَوْمِ الوَاحِد ما لا سَبِيلَ إلىٰ مُعَاينةِ مثلهِ في بابِ الطَّاقِ ولا في شَارِعٍ وزُقَاقٍ، وأرىٰ أنَّ الظُّلم جمِيعًا مجْمُوعٌ في ذلك، يدْفعكَ من ذلك ما لا يَنْدفِعُ وفي مَنْعكَ منه ما لا تـَمْتنِعُ.

وسَأُريكَ بعَيْنِ عقْلِك مِثالًا عَجِيبًا: أنت تَعْبدُ الله بتكْذِيبهِ لوْلَا امتِحَانهُ، وأسْرَعُ ممَّا هو أعْجَبُ ممَّا تعجَّبْتَ منه، وستَدينُ الله بالجُحُود به، لوْلَا بُرْهَانهُ وبيَانهُ.

فإنَّا متىٰ دعَوْناكَ إلىٰ الإقْرارِ بجُملَةٍ تتباعُد عن الإدْرَاكِ والمعقُولِ، وتُنْسبُ في الظَّاهِر إلىٰ التَّمْويهِ والأبَاطِيل فما اسْتَبْشَعْتهُ ثمَّ اسْتَيْقَنْتهُ هو الحُكْمُ فيما استَبْعدْتهُ. والدَّلِيلُ علىٰ ذلك إذا وجَدْتَ بيُوت الشِّطْرَنْج أرْبعةً وستِّينَ بيْتـًا. ثمَّ جعلْتَ في أوَّلِ بيْتٍ منها حبَّةً من الحِنْطةِ، وفي الثَّاني حَبَّتَينِ، وأضْعَفتَ ذلك علىٰ نِظَامِ التَّضَاعِيفِ حتىٰ تأتِي علىٰ آخِرِها بيْتـًا.

أكُنتَ مُسْتَدْرِكًا ظَنًّا وتَرْجِيحًا وحَزْرًا وتَوْهِيمًا في ظَاهِرِ الحسِّ وبَاطِنِ النَّفسِ أنَّ المُجْتَمِعَ لك من تضَاعِيفِ الحبَّةِ الواحِدةِ من الحِنْطةِ في أبيَاتِ الشِّطْرَنْج يكون إلا قَفِيزًا[1] أوكبَعْضِ القَفِيز الوَاحِد؟.

فإنْ ظَنَنْتَ الآنَ أنَّ المُجْتَمِعَ لك من عَددِ الحبِّ في ظَاهِرِ الحسِّ ظَنًا وتَرجيحًا هو قَفِيزٌ أو عشرةِ أقْفِزة، فاظنُـنْه أكثَر، وإنْ ظَنَنته كُـرًّا[2] أو كُـرَّينِ اوعشْرةَ أكْرارٍ أو عشْرينَ [٦٩و] كُرًّا فاظنُـنْه أكثَر، وإنْ ظَنَنتَه مِائةَ كُـرٍّ أو خمْسَمائةِ كُـرٍّ فاظنُـنْه أكثر، وإن ظَنَنتَه ألْفَ كُرٍّ فهو أكثَر، وإنْ توَهَّمتهُ عشْرةَ آلاف كُرٍّ فهو أكثر، وإنْ قُلتَ إنَّه مِائةُ ألْفِ كُـرٍّ اومِائتَيا ألْفِ كُـرٍّ فهو أكثَر، وإنْ قُلتَ إنه مِائتَيا ألْفَ ألْف ألْفِ كُرٍّ كان أكثر، وإنْ قُلتَ إنَّه ثلاثُمائةِ ألْفِ ألْفِ ألْفِ كُرٍّ كان أكثَر وأكثَر وأكثَر، حتى تصِلَ من أعْدَادِ الحِنْطةِ إلى عدَدٍ هو في ظَاهِرِ الحُكْمِ أنَّ صَاحبَ هذا العِلمِ لو عَدِمَ البُرهَانَ عليه لاستَحقَّ من كثيرٍ من النَّاسِ الرَّجمَ.

أفلَيْس إذا دَللنا على صِحَّةِ ذلك وفصَّلنَاهُ وأشَرْنا إلى اسْتِدراكِ حقِيقتهِ وحَصَّلنَاهُ، كان الحَكِيم فيما دعَوْنَا إلى تصْدِيقهِ وأشَرْنا إلى تحْقِيقهِ في أمرِ بغْدَادَ، فاستَصْعبَ عليك عِيارهُ بأكثرِ ممَّا ذكَرْنا كان حقًّا.

---

[1] من المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها، لاختلاف الاصطلاح فيها، وقد ذكر الأزهري، وابن الأثير، وابن منظور: أن القفيز يسع ثمانية مكاكيك، وهذا يوافق تقدير الشافعية أن القفيز: يساوي ١٢ صاعا، وعليه فإن وزن القفيز عند الشافعية، وعند جمهور الفقهاء عدا المالكية =٢٤,٤٨٠ كيلو جرام. انظر: علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص٣٩-٤٠.

[2] الكُرُّ: مكيال لأهل العراق، والكر= ٧٢٠ صاعا، وهو عند الأحناف= ٢٣٤٠كيلوجرام، وعند الجمهور= ١٤٦٨,٨ كيلوجرام. نفسه: ص٤٢.

والدَّليلُ علىٰ ذلك أنَّ حبَّـةً من حنطةٍ إذا جُعِلتْ في بيْتٍ من بُيوتِ الشَّطْرَنْجِ، ثمَّ أضْعَفتَ ذلك إلىٰ آخِرها بيـتًا بيـتًا، أنَّ المُجْتَمعَ من ذلك ـ الحبُّ الحنْطَةِ ـ شيْءٌ يفِي بقُوتِ ستِّينَ ألفَ ألفِ إنسانٍ لخَمْسينَ ألفِ سنَةٍ إذا كانَ المُبْتاعُ منه في كلِّ يوْمٍ دائِمـًا بخَمْسِمائةِ ألفِ دِينار بأعْدَل الأسْعَار وأقْرَبها من الرُّخصِ، وهو حِسابُ الكُـرِّ بثَلاثِينَ دِينارًا، ويكونُ تقْدِيرُ ما يفَرَّقُ في كلِّ يَومٍ من الحِنْطةِ من جُمْلةِ ما يجْتَمعُ من الحَبِّ ألفَ ألفِ قفِيزٍ، وهو ستَّةُ عشَر ألفَ كُـرٌّ بالمُعدَّلِ، وسِتُّمائةٍ وستُّونَ كُـرًّا وأربعُونَ قفِيزًا.

ونظَرْنا في جُمْلةِ ما ارْتفَعَ به العدَدُ من تضَاعِيفِ أبْياتِ الشَّطْرَنْجِ من الحبِّ فوجَدْنا مبْلغهُ ثمانيةَ عشَر ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ وأرْبعَمائةٍ وستَّةً وأرْبَعينَ ألفَ ألفِ ألفِ ألفِ ألفِ وسَبْعمِائةٍ وأرْبَعةً وأرْبعِينَ ألفَ ألفِ ألفِ ألفِ وثلاثَةً وسبْعِينَ ألفَ ألفِ ألفِ وسبْعُمائةِ ألفِ ألفِ وتِسْعَةَ ألفَ ألفِ وخَمْسمِائةٍ وواحدًا وخَمسِينَ ألفـًا وسِتَّمائةٍ وخمْسَ عشَرة حبَّـةً.

ثم أرَدْنا أنْ نعْلَم كيْلَ هذا العَددَ من حبِّ الحِنْطةِ بالكُـرِّ المُعَدَّلِ كيْلَ مدِينة السَّلامِ. فقلنا [٦٩ظ] إنَّ تقْدِير وَزْنِ القَفِيز الوَاحِد من الحِنْطَةِ، وهو مِائةٌ وعشْرُونَ رطْلًا، وَوزْنُ الرَّطْلِ مِائةٌ وثمانِيةٌ وعشْرونَ دِرْهمـًا وأرْبعَةُ أسْباعِ دِرْهمٍ، وهو تسْعُونَ مِثْقالًا.

فعَمِلنا علىٰ أنَّ وزْنَ الدِّرْهَم الوَاحِد من الحبِّ القَحِلِ المُمْتَلِئ ثلاثٌ وسِتُّونَ حبَّـةً اسْتِظْهارًا، ووزْنُ المِثْقالِ دِرْهمٌ وثلاثَةُ أسْبَاعِ دِرْهمٍ، فيكُونُ وزْنهُ من الحبِّ

تِسْعِينَ حبَّـةً، والرَّطْلُ تِسْعونَ مِثْقالًا، فضَربنَا تسْعِينَ في تسْعِينَ، فكان مبْلَغهُ ثمانية آلافِ ومِائةِ حبَّـةٍ، وهو وَزْنُ الرَّطْلِ الوَاحِد.

ثـمَّ ضَربْنَا ذلك في عدَدِ الأرْطَالِ التي هي وزْنُ القَفِيز، وهو مِائةٌ وعشْرُونَ رطْلًا، فكان مبْلَغُ ذلك تِسْعمِائةِ ألْفِ واثْنَينِ وسبْعِين ألفـًا، وهو عدَدُ مبْلغِ ما يكونُ في القَفِيزِ الوَاحِدِ من الحِنْطةِ. فجَبَرنا ذلك وجعَلْناهُ ألْفَ ألْفِ حبَّـةٍ اسْتِظْهارًا أو تقْرِيبًا.

ثمَّ ضَرْبنَا ذلك في عَددِ قَفِيزانِ الكُـرِّ، وهو سِتُّونَ قَفِيزًا. فكان مبْلَغ ذلك سِتّينَ ألْفَ ألْفِ حبَّةٍ وهو مبْلغُ كيلِ الكرِّ الوَاحِد. ثمَّ ضَرْبنَا ذلك في ألْفِ فكان مبْلَغهُ ستّينَ ألْفَ ألْفِ ألْفِ ومبْلغُ كَيلِهِ ألْفُ كرٍّ. ثمَّ ضَرْبنَا ذلك أيضًا في ألْفِ فكان مبْلَغهُ ستّين ألْفِ ألْفِ ألْفِ ألْفِ، ومبْلغُ كَيلِهِ ألْفَ ألْفِ ألْفِ كُـرٍّ.

ثمَّ ضَرْبنَا ذلك في ثَلاثِمِائةٍ، فكان مبْلَغهُ ما قدَّمْنا ذِكْرهُ، وهو مبْلغُ ما ارتَفعَ به العدَدُ من جُمْلةِ حسَابِ تضَاعيفِ الشِّطْرَنج بالأمْرِ المشْهُورِ عند أرْبَابِ الحِسابِ.

فبلغَ ذلك بالكُـرِّ المُعدَّلِ ثلاثِمِائةِ ألْفِ ألْفِ ألْفِ كُرٍّ، ـ وما زَاد علىٰ ذلك ـ وهو أقَلُّ من عُشْرِ رُبْعِ الجُمْلةِ التي هي ثلاثمائةِ ألْفِ ألْفِ ألْفِ كُـرٍّ دون الذي هو سَبْعةُ ألْفِ ألْفِ ألْفِ كُـرٍّ وما زَادَ.

ثمَّ قوَّمْنَا الكرَّ بأعْدَلِ القِيمَ ثلاثِينَ دِينارًا، فكان مبْلَغُ ذلك تسْعةَ آلافَ ألْفِ ألْفِ ألْفِ دِينَارٍ. فمن هَاهُنا قُلنا إنَّ الله ﷻ لو خَلقَ هذا المِقْدارَ من الحِنْطةِ دفعةً، وجعَلَ الدُّنيَا بَاقِيةً بأهْلِها خمْسِين ألْفَ سنةٍ. ثمَّ بِيعَتِ[٧٠و] الحِنْطةُ بِسعْرِ الزَّمانِ الذي فرَضْناهُ في كلِّ يوْمٍ بخَمْسمِائةِ دِينَارٍ بَيْعًا دائمـًا مُتَابِعـًا علىٰ اتِّصَالِ الأيَّامِ

والشُّهورِ والسِّنِينِ، أنَّ ذلك لم يكُنْ يسْتَغرِقُ بيْعَ جميعِ ما اجْتَمعَ من تضَاعِيفِ حبَّاتِ الحِنطةِ إلَّا في خمْسِينَ ألْفِ سنَةٍ.

والدَّليلُ علىٰ بيَانِ ذلك أنَّ السَّنةَ ثلاثُمائةٍ وستُّونَ يوْماً. فإذا ضرَبناها في خمْسِينَ ألْفِ سنةٍ كان مبْلَغُها ثمانِيةَ عشرَ ألْفَ ألْفِ يومٍ، وهو مبْلغُ أيَّامِ خمْسِينَ ألْفَ سنَةٍ. ثمَّ أرَدْنَا أن نَضْرِبَ عدَدَ هذه الأيَّامِ التي هي ثمانيةَ عشَر ألْفَ ألْفِ يوْمٍ في الخمْسمِائةِ دينَارِ التي ذكرنا البَيْع بها في كلِّ يوْمٍ. فبَسَطْنا ضَرْبها ليكُونَ أظْهَر عند السَّامِعينَ فضَربْنَاها في خمسَةٍ أصْلًا، فكان مبْلَغهُ تِسْعين ألْفَ ألْفٍ. ثمَّ ضَربْنَا ذلك في مِائةٍ فكان مبْلَغهُ تِسْعةَ آلَاف ألْفِ ألْفٍ. ثمَّ ضَربْنَا ذلك في ألْفٍ فكان مبْلَغهُ تِسْعةَ آلَاف ألْفِ ألْفِ ألْفٍ، فهو مبلغُ ما ذكرنا من جُمْلةِ ثمَنِ ما اجْتَمعَ لنا من تضَاعِيفِ حبَّاتِ الحِنْطةِ بالسِّعْر المَفْرُوضِ، وهو ثَلاثُمائةِ ألْفِ ألْفِ ألْفِ كُرٍّ غير ما أسْقَطْنا من الزِّيادةِ، وهو سبْعةُ آلَاف ألْفِ ألْفِ كُرٍّ وما زَاد.

فإنَّ الذي بلَغكَ [من] الإقرَارِ بأنَّ الحبَّةَ الواحِدةَ من الحِنْطةِ تبْلغُ بتضَاعِيفِها في أعْدَادِ بيُوتِ الشَّطْرَنْجِ حتىٰ يكون مبْلغُها ثلاثَمِائة ألْفِ ألْفِ ألْفِ كُرٍّ وسبْعةَ آلَاف ألْفِ ألْفٍ وما زَادَ.

وإنَّما قُوتٌ لستِّينَ ألْفَ ألْفِ إنْسَانٍ خمْسِينَ ألْفَ سنَةٍ بعْدَ الإنْكَارِ، هو الذي يُبْلِغُكَ الإقْرَار بغَرائِب بغْدَادَ وبدَائِعِ مدِينةِ السَّلامِ. وإنما تجشَّمنَا ذِكْر ذلك لِتعْلمُوا أنَّ كَثِيرًا من الأمُورِ تسْتَبْعدُ في الظُّنونِ وتسْتَنْكر في الأوْهَامِ والعقُولِ لولا الاعْتِداءُ بأصُولِها والاتِّكَالُ علىٰ تفْصِيلِها(*).

(*) إلى هنا ينتهي ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب فضائل بغداد ليزدجرد الكسروي.

وقال أبو بَكْر بن عيَّاشٍ وذكَرَ بغْدَادَ: هي اليَوْمَ مِصْرُ العَربَ. وكان بعْضُهم يقول: بغْدَادُ دَارُ دُنْيا وآخِرةٍ.

وتقْدِير الجَوالي ببغْدَادَ مِائةُ ألفٍ وثلاثُونَ ألْفًا. وتَقْدِيرُ الأرْحَاءِ والأسْوَاقِ [٧٠ظ] ودُورِ الضَّربِ في كلِّ سَنةٍ من الوَرِقِ ألْفُ ألْفٍ وخمْسمائِة ألْفِ دِرْهمٍ.

قال: ومن عجَائِب بغْدَادَ الدَّارِشُ[1] واللَّكَّاءُ[2] فالدَّارِشُ يُتَّخَذ من جانِبٍ واللَّكَّاءُ من جَانبٍ فمتىٰ عُدلَ بأحدِهما عن جانِبِهِ الذي يعْمَلُ فيه، لم يكن منه شَيءٌ فقد امْتُحنَ هذا غير مرَّةٍ فما اسْتَوىٰ إلَّا في المَوْضِع الذي رُسِمَ فيه، وإنَّ في هذا لعِبْرةً وأعْجُوبةً فتبَارَكَ الله ربُّ العَالَمِينَ.

---

[1] الدارش: لفظة معربة عن الفارسية: وتعني الجلد الأسود. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: د ر ش] ج٢، ص٣٨٢-٣٨٤.

[2] اللَّكَّاء: فارسي معرب، صبغ أحمر تصبغ به الجلود التي يقال لها اللَّكُّ. نفسه، [مادة: ل ك ك]ج١٠، ص٤٨٤.

ما ذُكِر في ذمِّ بغْدَاد وكرَاهةِ نزُولِها

وقد كَرِه قوْمٌ من العُلَماءِ السُّكنَىٰ ببغْدَادَ والمُقَامَ بها وعابُوهَا، وذكَرُوا أنَّها دَارُ فِتْنةٍ لكَثْرةِ ما فيها من الفَسَادِ ومن أنواعِ الفُجُورِ وشُرْبِ الخمُور والزِّنَاء وكَثْرةِ الرِّبا.

ورَوىٰ أبو عُثْمَانَ النَّهديُّ[1] قال: كُنتُ مع جَرِيرِ بن عَبْد الله[2] علىٰ قَنطَرةِ قُطرُبُّل فقال: ما يُدْعىٰ هذا النَّهر؟ قلت: دِجْلَةُ. قال: هذا؟ قلت: دُجَيْل. قال: فهذا؟ قلت: الصَّراةُ. قال: فهذا النَّخلُ؟ قلت: قُطرُبُّل. فرَكبَ فرَسهُ ثمَّ أسْرَع حتىٰ خَرجَ عن القَنْطَرةِ؛ ثمَّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[3]: «تُبْنىٰ مَدِينةٌ بين دِجْلَةَ والدُّجيلِ

---

[1] عبد الرحمن بن مُل بن عمرو بن عدي البصري، أبو عثمان النهدي، الإمام الحجة شيخ الوقت، أسلم في عهد الرسول ﷺ ولكنه لم يلقه، يعد من كبار التابعين، توفي سنة ٩٥هـ/٧١٤م. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج٧، ص٩٧-٩٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٥٩.

[2] جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، صحابي، أسلم في العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، نزل قرقيسيا وتوفي بها سنة ٥١هـ/٦٧١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٢٢؛ ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٢٣٦-٢٣٩.

[3] أورد الخطيب البغدادي هذا الحديث بسنده إلى أبي عثمان النهدي، ونصه: « تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة، تجبى إليها خزائن الأرض، وجبابرتها، لهي أسرع ذهابا في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة». وقد بين أوجه لعلة الحديث المذكور، وقال: ليس لهذا الحديث أصل. وصالح بن بيان ضعيف، وهمام بن مسلم مجهول. انظر: تاريخ بغداد، ج١، ص١٣٦-٣٣٣؛ قارن: نص الحديث لدى المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٠.

وقُطْربُّلَ والصَّراةِ، تُجبىٰ إليها خَزائِنُ الأرْضِ، ينْزِلُها الجبَّارُونَ يخْسَفُ بها فلهِي أَسْرَعُ ذِهَابـًا في الأرْضِ من الوتَد الحدِيدِ في الأرْضِ الرَّخْوةِ».

وقال أبو العَالِيَةِ[1]: يكُونُ خَلِيفةٌ يَمْلكُ عشْرِينَ سنَةً إلَّا شَهْرًا. ثمَّ لا تَسأل عن هَلَكةِ العَربِ، تُبْنىٰ مدِينةٌ بين قَرْيةِ الحُبْر ودِجْلَة، ولها أرْبعَةُ أبْوابٍ مُشَيَّدةٍ: شَرقيٌّ وغَربِيٌّ وعِرَاقيٌّ وشَاميٌّ. يظْهَرُ فيها الفِسْقُ يخْسَفُ بها، ولبَنِي حَامٍ[2] عليْكُم نَزوَةٌ، يحَاربُونكُم حرْبِ الاسْتِئصَال. ولبَنِي قنطورا [3] نَزوَةٌ مثل ذلك.

ثمَّ لا تَسأل عن هَلَكةِ العَربِ.

وكان بِشْر بن الحَارِثِ[4] يقول: ما أُسِّسَتْ بغْدَادُ إلَّا علىٰ البَلاءِ: مرَّةً حـرْقٌ، ومرَّةً غَرقٌ، ومرَّةً فِتنٌ.

---

[1] رفيع بن مهران الرياحي البصري، أبو العالية الرياحي، الإمام، الثقة، المقرئ، المفسر، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وهو أول من أذَّن بما وراء النهر، توفي سنة ٩٣هـ/٧١٢. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص١١٢-١١٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٣، ص٣٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٠٧.

[2] نسبة إلى حام بن نوح أبو السودان، والعقب من حام في كوش وكنعان وبيصر بني حام. وتفصيل أنسابهم في المشجرات. الزبيدي، تاج العروس، ج٣٢، ص٣٩.

[3] بنوقنطورا: هم الترك والصين، وقنطورا اسم أمهم. ويقال أنها كانت جارية لإبراهيم عليه السلام. ابن منظور : لسان العرب ج٥ ص ١١٩.

[4] بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار الصالحين، أحد الثقات الزهاد الورعين ، من أهل بغداد أصله من مرو، توفي سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبان: الثقات، ج٨، ص١٤٣؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف ، ج٤، ص٢٢٠٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٥٤٥.

وقال الهُذَيْلُ بن بَلالٍ[1] عن عَطَاءٍ[2] قال: خرَجَ أمِيرُ المُؤمنِينَ عَلِيُّ بن أبي طَالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ [٧١و] مُتَوَجِّهـًا إلى الشَّام. فنَزلَ بقَرْيةٍ يقالُ لها: قُطْرُبُّل، ذاتِ نخْلٍ وبسَاتِين. فسَألَ رجُلًا من أهْلِها فقال: ما اسْمُ هذه القَرْيةِ؟ قال: قُطْرُبُّل.

فقال عَلِيٌّ عَلَيهِٱلسَّلَامُ لأصْحَابِهِ: ارْحَلُوا، وسَار عنها فَزِعًا حتى نَزل السَّيْلحِينَ[3] وقال لأصْحَابه: ضَعُوا أسْلِحتَكُم وأمْتِعتَكُم، فقد نجَوتُم من البَلاء ـ إنْ شَاءَ الله ـ ثمَّ أنْشَأ يُحدِّثنا عنها فقال: يا لها من قَريةٍ ما يَجْمعُ الله فيها وعلى ما يقْتَرِفُون.

ثمَّ حَانتْ منه نَظْرةٌ إلى قَرْيةٍ فيها تَلٌّ عظِيمٌ فقال: والذي نفْسِي في يَدهِ، لتكُوننَّ تحتَ هذا التَّلِّ وقْعَةٌ صَيْلَمةٌ[4] يُحدِّثُ عنها كلّ نَاجٍ من القَتْلِ، آيةُ ذلك إذا شُقِقَتْ فيها الأنْهَارُ وبُنِيتِ القُصُور وشُيِّدتِ الدُّورُ وكثُرَ الفُجُور ولم يتَناهَى أهْلُها عن منكرٍ، فهُنالِكَ تحِلُّ بهم البَلِيـَّة لما ارتكَبُوا من الخَطِيـَّة.

---

[1] الهذيل بن بلال الفزاري المدائني، أبو البهلول. كان ضعيفًا متروك الحديث. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٢٠؛ طبقات خليفة بن خياط، ٦٠٦؛ ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء، ج٣، ص٩٥؛ المزي: تهذيب الكمال، ج١٨، ص٣٩٧؛ الخطيب البغدادي، المصدر السابق،ج١٦، ص١١٨.

[2] عطاء بن السائب الثقفي الكوفي، أبو زيد، من الثقات الصالحين، وقد بقي عدلًا رغم أنه خلَّط في آخر عمره، ولم يخرج به تخليطه عن العدالة. توفي سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٨؛ ابن حبان: الثقات، ج٧، ص٢٥١.

[3] قرية قرب نهر عيسى ببغداد، سُميت بذلك لوجود مسالح لكسرى بها. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٩.

[4] صيلمة: أي مستأصلة مبيدة، واصطلم القوم إذا أبيدوا عن بكرة أبيهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ص ل م) ج١٢، ص٣٤٠.

وقال أبو صَالِح البَاهِلِيُّ[1]: قال لي شَيْخٌ من أهْلِ الكِتابِ في أيَّامِ مرْوَان بن مُحَمَّدٍ: هذا أوَانُ ذِهَابِ مُلْكِ بَنِي أُميَّـةَ. قلتُ: وما آيةُ ذلك؟ قال: تظهرُ رَاياتٌ سُودٌ[a] من خُراسَانَ فتَطْوِي مُلْكَ بني أُميَّـةَ طَيًّا[2].

فلم يلْبَث إلّا قليلًا حتىٰ ظهَر أبو مُسْلمٍ، وكانَ مِنْ أمْرِهِ وأخْذِه الدَّولةَ ما كان. ثمَّ لقِيتُ ذلك الرَّجُلَ في وسَط أيَّامِ أبي مُسْلمٍ فقلت: قدْ صَحَّ ما قُلتَ، فأيْنَ تكونُ دَارُ المَمْلكَةِ؟ قال: أرْضٌ يقالُ لها بغْدَادَ، تُـجَسَّر بها الجُسُورُ ويكْثُر أهْلُها وتجْتمعُ إليها الأمْوَالُ.

وخطَبَ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ ﷺ بالكُوفَةِ فقال في خِطْبتِهِ: يا أهْلَ الكُوفَةِ، أنتم اليَوْمَ بخَيرٍ، فكيف بكم إذا حُشِرتُم [في] ذات نَخْلٍ وكَرْمٍ، يـجْتَمعُ إليها كلّ برٍّ وفَاجرٍ؟ فقال: بغْدَادُ باغِـيةٌ طاغِيةٌ، بلىٰ بناهَا رجُلٌ من ولَدِ العبَّاسِ يقالُ له عبْدَ الله، رَخُصَ الشِّعْرِ[3]، تكُونُ خِلافَتهُ زمَانًا. ثمَّ ذكَرَ فيها أشْياءَ. ثمَّ قال: ويـخْرجُ رجُلٌ لو شِئْتُ لأنبأتـكُم بِاسمِهِ واسْمِ أبيه، فإذا خرَجَ ذلك الرَّجلُ فقُلْ لبَنِي العبَّاسِ: فلْيلْحَقُوا بوَادِي القُرَىٰ كما كانوا قَدِيمـًا.

---

[a] في الأصل: السود.

---

[1] درهم الباهلي البصري، ولم أقف على سنة وفاته. وابنه صالح من ثقات المحدثين. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ج٤،ص٢٧٨؛ الذهبي: المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ج١،ص٨٤.

[2] أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال:(يَخْرُج راياتٌ سُودٌ من خُراسَان لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بإِيلِيَاءَ) حديث رقم ٨٨٩٦.

[3] رخص الشعر إذا سهل وتيسر. والمعنى أن أبا جعفر كان يقول الشعر بالسليقة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: [ر خ ص] ج٧، ص٢٧٣.

وقال إسْماعِيلُ بن إبْرَاهِيم[١] عن إبْرَاهِيمَ بن بشِيرٍ[٢]، قال: انْصَرفْنا من بعْضِ الصَّوائفِ نُريدُ البَصْرَة، فلمَّا صِرنَـا [٧١ظ] إلى موْضِع بغْدَادَ، وليْسَ هناك إلَّا نخْلٌ وقُرىٰ ودَيْرٌ في موْضِع العَتِيقةِ[٣] وآخرُ يُقابِلهُ من موْضِعِ الدَّعَالِجة[٤]، والبَاقِي صَخْرٌ، وهناك رَاهِبٌ في صَوْمعةٍ، فدَنوْتُ منه وحادَثْتهُ سَاعةً.

ثمَّ قُلتُ له: يا رَاهِبُ، ما أرىٰ لك هَاهُنا زَرْعًا ولا ضَرْعًا. فضَحِك ثمَّ قال: أخبَرني أبي عن جدِّي ـ وكان عَالمًا بالكُتبِ القَديمةِ ـ أنَّ مُلْكَ بَنِي أُميَّةَ زَائِلٌ عنهم برَجُلٍ يخْرجُ من خُرَاسَانَ، مجْهُولُ النَّسَبِ معه خَلقٌ قد سَوَّدوا ثِيابهُم.

فإذا أزَالُوا سُلْطَان بَنِي أميَّةَ دَفعُوا المُلْكَ إلىٰ رجُلٍ من بنِي العبَّاسِ، فيملكهُ عدَدَ سِنِينَ، ثمَّ يهْلَكُ ويقومُ أخُوهُ مكانه، فيَبْنِي هَاهُنا مَدِينةً لا يكونُ علىٰ الأرْضِ مثلها في كثْرةِ الأمْوَالِ والنَّاسِ والأسْوَاق.

فضَحِكْتُ تَعجُّبًا منه فقال: لا تضْحَكْ فإنْ عمِّرتَ رأيت. فما متُّ حتىٰ رأيْتُ ما قالهُ لي.

---

[١] إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي الكوفي، أبو بشر، ويعرف بابن علية سكن البصرة، أحد المتكلمين، وكان ثقة ثبتا في الحديث، تولى صدقات البصرة، كما تولى المظالم ببغداد في آخر خلافة هارون الرشيد، وتوفي بها سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج، ٧، ص٣٢٥؛ وكيع: أخبار القضاة، ج٢، ص٦٦-٦٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص١٩٦.

[٢] إبراهيم بن بشير الأزدي، متروك الحديث وضعفه رجال الحديث، لم أقف على سنة وفاته، له ذكر عند ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٢، ص٩٠.

[٣] راجع فيما تقدم ص، ٢٤٣.

[٤] رحبة بالبصرة: وتعرف برحبة دعلج، أي رحبة بني هاشم. انظر فيما تقدم ص٢٧٣-٢٧٧؛ وقارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ٤٩٣.

وقال العُتْبيُّ[١]: حدَّثَني رجُلٌ من أهْلِ البَصْرَةِ قال: اجْتَزتُ في بعْضِ شَوارِعِ بغْدَادَ يوْمًا في السَّحرِ وقد اشْتَبَكتْ أصْوَاتُ المؤذِّنِينَ، فأعْجَبني ذلك وحَمِدتُ الله عليه، فإذا هَاتِفٌ يهْتِفُ بي ويقول: ما الذي يُعْجِبكَ في مدِينةٍ فجَرَ اللَّيلةَ فيها سبْعُونَ ألْفًا، وافتُضَّ من ذلك عشَرَة آلافِ فَرْجٍ حرَامٍ.

وقال إبْرَاهِيمُ بن عُيَيْنَةَ[٢]: كنت مع قَيْسِ بن الرَّبيعِ[٣] ببغْدَاد، فلمَّا انْتَهينا إلى بَابِ البَصْرَةِ وجُزْنَا القَنْطَرَةَ قال: هذا المكَانُ الذي يُخْسَفُ به، وهو نَاحِيةُ دُور الصَّحَابَةِ وما والى ذلك[٤]. وكان الفُضَيْلُ ابن عِياضٍ[٥] إذا ذُكِرتْ عنده بغْدَادُ قال: أمَّا أسْوَاقُها فكَافِرةٌ، وأمَّا مسَاجِدُهَا فَلاعِنةٌ.

---

[١] أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية العتبي البصري، أديب، حسن الشعر، راوية للأخبار، له تصانيف، توفي بالبصرة سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٨؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٣١٤-٣١٦؛ النديم: الفهرست، ج١، ص٣٧٧-٣٧٨؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٢٥٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٥٦٢-٥٦٤.

[٢] إبراهيم بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أبو إسحاق، أخو سفيان بن عيينة، محدث وإمام خير. توفي سنة ١٩٩هـ/٨١٥م. انظر ترجمته في: البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣١٠؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٢، ص١١٨؛ ابن حبَّان: الثقات، ج٨، ص٥٩-٦٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٧٥.

[٣] قيس بن الربيع الأسدي، أبو محمد الكوفي، صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. توفي بالكوفة في آخر خلافة المهدي سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٧٧؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٢٨٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٦٩-٤٧٠.

[٤] نسب الخطيب البغدادي هذا الخبر إلى سفيان بن عيينة. قارن: تاريخ بغداد،ج١، ص٣٤٢.

[٥] الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني، كان ثقة نبيلًا فاضلًا عابدًا ورعًا كثير الحديث، توفي في خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٥، ص٥٠٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٢١-٤٤١.

وقال بِشْرُ بن الحَارِثِ: جاء أبو جَعْفرٍ إلى هذه البَلْدةِ فخَطَر عليها. وجاء بِآبَائنا فأسْكَنهُم فيها، وكانوا لا يعْمَلونَ. ثمَّ نشَأَ الأبْناءُ فسَألُوا وفَتَّشُوا ودقَّقُوا النَّظَر. ثمَّ أقَامُوا فصَار مثْلُهُم كمَثَل الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] وإنْ أرادَ ربُّكَ أنْ يُغْرِقهُم فما يَضِيعُ. أمَا سَمِعتَ بقوله [تعالى]: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وقال بِشْرٌ: [٧٢و] والله، للخُروجُ منها على جَهْدٍ أحبُّ إليَّ من المَقَامِ فيها على حُسْنِ حالٍ.

وقال الفُضَيْلُ بن عِياضٍ: لا تكُونَنَّ ببغْدَادَ مؤذِّنًا.

وقال بِشْرٌ: ودَّعتُ عِيسَىٰ بن يونُس[1] فقال لي: يا بِشْرُ، إلى أين تَنْتقلُ، إلى تِلْكَ القَرْيةِ السُّوء؟!.

وقال بعْضُهم: المتعبد ببغْدَاد كالمُتعبِّدِ في الحَشِّ[a][2].

وأقَامَ ابن المُبَارك[3] ببغْدَاد أيَّامًا يسِيرةً، فكان يتصدَّقُ كلَّ يومٍ بدينَارٍ.

[a] رسمت في الأصل: الحشر، والصواب ما أثبتناه.

[1] عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، نزل الشام مرابطًا، وكان ثقةً ثبتًا مأمونًا في الحديث. اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٩١هـ/٨٠٧م.- ١٨٧هـ/٨٠٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٨٨؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٦، ص٤٠٦، ابن حبان: الثقات، ج٧، ص٢٣٨.

[2] أي كالمتعبد عند اضطرام الفتن، يقصد أن بغداد دار فتنة. ابن منظور: لسان العرب، ج٦ ص ٢٨٥.

[3] عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي التميمي، أبو عبد الرحمن، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. توفي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٧٢؛ البخاري: المصدر السابق، ج٥، ص٢١٢.

وكتبَ بعضُهم إلى العَتَّابي[1] يسْتَوْصِفهُ بغْدَاد فكتب إليه: أمَّا بعد، فإنك في بِلادٍ وجْدُهم بالدُّنْيا وجْدُ من لا يَرْجُو معَادًا، قد نصَبتْ لهم الجبَابِرة عَلَمِ التَّكاثُر؛ فحلَّت بهم الفِتنُ وأحْكَامُ <لُغَاتِ> القُرْآنِ[2]، فارم تلك النّحْلةَ بالهجْرانِ والْبِس منها جُنَّةَ الحَذْر، فإنَّ في جوَارِهم مُشتبهٌ لنَارِ الحِرصِ وغَضِيضِ الشَّهواتِ، مُعَايتهم ذَمُّ القَناعةِ بصَغِيرِ النِّعمِ. قد أمَّنهُم الأمَلُ مكْرَ الله، وهل يَأْمَنُ مَكْرَ الله إلَّا القَوْمُ الخَاسِرون.

وقال أبوصَالح شُعَيبُ بن حَرب[3]: قُلتُ لسُفْيانَ الثَّوْرِيّ[4]: لِي والِدةٌ ببغْدَادَ آتِيهَا؟ قال: لا. قُلتُ فإنْ أتيْتُها فحضَرتِ الصَّلاةُ أُصلي فيها؟ قال: لا إلَّا الجُمْعَة.

---

[1] كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو، كاتب، وشاعر مجيد حسن الترسل، شامي سكن بغداد مدح هارون الرشيد وآخرين، وله تصانيف. وتوفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٦١؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٥١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص٢٢٤٣.

[2] والمعنى: أن أهل بغداد قلدوا ملوكهم في الاستكثار من الزينة والرياش، وانشغلوا بطلب ذلك عن طلب الأخرة، فلحقت بهم الفتن واستوجبوا اللعنة.

[3] شعيب بن حرب المدائني، أبو صالح البغدادي، الإمام، القدوة، العابد، شيخ الإسلام، جاور بمكة وحدث بها إلى أن مات فيها، واختلف في سنة وفاته على أقوال منها ١٩٧هـ/٨١٣م- ١٩٩هـ/٨١٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٢٠؛ ابن حبان: الثقات، ج٨، ص٣٠٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣٣٠.

[4] سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري، العالم الجهبذ النقاد، سيد أهل زمانه في الحديث وعلوم الدين والتقوى، وصاحب التصانيف، توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ/٧٧٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٣٧١؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٤، ص٩٢؛ النديم: الفهرست، ج٢، ص٨٣-٨٤؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٨٤.

ولا يطَّوعُ فيها فإنَّها دَارُ فتْنةٍ. وقال رجُلٌ لسُفْيانَ: لي قَرابةٌ ببغْدَادَ لا بَأْس به؟. قال: يقولُ لرَجُلٍ يسْكُنُ بغْدَاد: لا بَأْسَ به!.

وقال أبو الأحْوَص[1]: سَألتُ سُفْيانَ عن الجَلبِ إلى بغْدَادَ فقال: اجْلبُ إليها كلَّ شيءٍ ما خَلَا الكُراعَ والسِّلاحَ. وقال بعضهم: إني لأمْشِي في بغْدَادَ فكأنَّما أمْشِي في النَّارِ. وكان ابنُ إدْرِيس[2] يقول: أحَرِّجُ على من ذَكَر حديثِي ببغْدَاد.

وقال ابنُ الرَّبِيع[3]: قُلتُ لإبْرَاهِيمَ بن صَالحٍ[4] أيَّامَ محْنةِ ابن حنْبَلٍ: ادْعُ الله له. قال: لا أفعل، قلت: لمَ؟! قال: هو يسْكُنُ بغْدَاد.

وجاءَ الوَلِيدُ البغْدَادِيُّ القَاضي[5] إلى الفُضَيْلِ بن عِياضٍ، ووضَعَ يدَهُ في يدِهِ وأقبَلَ يُسَائِلهُ والفُضَيْلُ قد أعْجِبَ به إلى أنْ قال له: أين المَسْكنُ؟ قال: بغْدَادُ، فانْتزعَ يدهُ من يَدِهِ.

---

[1] عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، أبو الأحوص الكوفي، وثقه ابن معين وابن حبان. انظر في ترجمته: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل،ج٧، ص١٤؛ ابن حبان: الثقات، ج٥، ص٢٧٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٣١.

[2] عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود، أبو محمد الأودي الكوفي، الإمام، الحجة، الفقيه العابد، توفي سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٩؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٥، ص٤٧؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١١، ص٦٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٤٢.

[3] قيس بن الربيع الأسدي، مر ذكره ص٣٨٤.

[4] إبراهيم بن صالح بن درهم الباهلي، أبو محمد البصري. وثقه ابن حبان. انظر في ترجمته: البخاري: المصدر السابق، ج١، ص٢٩٣؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٢، ص١٠٦؛ ابن حبان: المصدر السابق، ج٦، ص١٥.

[5] خلف بن الوليد الجوهري، أبو الوليد البغدادي، سكن مكة، وثقهُ ابن معين وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم. انظر في ترجمته: البخاري: المصدر السابق، ج٣، ص١٩٥؛ ابن حبان: المصدر السابق، ج٨، ص٢٢٧.

ثم قال: يجِيءُ أحَدُكُم يسْألُ عن المسْألةِ [٧٢ظ] كأنّه من عُمّال الله أو من الدُّعاة إليه. فإذا قيل له فإذا قيل له أين المسْكنُ؟ قال: في عُشِّ[a] الظُّلَمةِ.

وقال بعضُ الصّالِحِينَ إذا ذُكِرتْ عنده بغْدَادُ تمثل (شعر)[1]: [الخفيف]

قُلْ لمنْ أظْهَر التّصوُّفَ للنّاسِ ... وأمْسَىٰ يُعدُّ في الزُّهّادِ
الْـزَمِ الثّـغْرَ والتّـواضُـعَ فيه ... ليْسَ بغْدَادُ منْزِلَ العُبّادِ
إنّ بـغْـدَادَ لـلـمُـلُوكِ محَلٌّ ... ومُنَـاخٌ للْـقَارِئ الصَّيّـادِ

وسأل المُعْتَصِمُ أبا العَيْناءَ[2] عن بغْدَادَ، وكان سَيِئَ الرّأي فيها فقال: هي، يا أمِيرَ المُـؤْمنِينَ كما قال عُمارة بن عُقَيلٍ (شعر)[3]: [الرجز]

مَا أنْتِ يا بغْدَادُ إلّا سَلْحُ
إذا اعْتَرَاكِ مَطَرٌ أو نَفْحُ
وإنْ جَففْتِ فتُرابٌ بَرْحُ

---

[a] في الأصل: عشر.
[b] في الأصل: شيوخنا.

---

[1] قارن هذه الأبيات لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، [ما قيل في ذم بغداد] ج١، ص٤٦٤.
[2] أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلاّد، الأديب الأخباري اللغوي البصري الضرير النديم. توفي سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٤١٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٨٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٠٤-٢٦١٢.
[3] مرت ترجمته ص٢٥٦.

وكما قال آخَرُ (شِعْر)[١]: [الطويل]

هَلِ اللهُ من بغْدَادَ يا صَاحِ مخْرِجي فَأَصْبِحَ لا تَبْدو لعَيْنِي قُصُورُهَا
ومَيْدانُها المُذْري علينا تُرَابها إذا شَحَجتْ أَبْغَالُها وحمِيرُهَا

فهي أمُّ الوحُولِ ومطْرَحُ النعُولِ، عَذرَتُها في طُرقِها، وقذَرُها في وسَطِها. يمُوتُ أهْلُها في الصَّيفِ حَرقـًا، وفي الشِّتاءِ غَرقـًا. الميِّتُ فيها مطْروحٌ لا يجدُ من يحمِلهُ، والمسْكِينُ بها ما يُصِيبُ أحدًا يصَدَّقُ عليه، والقَرِيبُ فيها منكَدرٌ والغُربُ بها أهْلُ، شُيوخُها[a] يتَصانَعُون، وشَبابُها يتَناهَدونَ، وصِبْيانُها يُؤاجِرُون، ونِسَاؤها يَزْنُونَ ويسَاحِقونَ، البِغَاءُ منهُم غيرُ منكرٍ، والقُرونُ من رِجَالِهِم لا تُسْتَرُ، وهُم مع هذا يتَامَى أمِيرِ المؤْمنينَ.

وقد قال فيهم الشَّاعرُ (شِعْر)[٢]: [المنسرح]

أَذُمُّ بغْدَادَ والمُقَامَ بها من بَعْدِما خِبْرةٍ وتجْرِيبِ
ما عِندَ أمْلَاكِهَا لمُخْتبِطٍ خَيرٌ ولا فرْجَةٌ لمكْرُوبِ
يحْتَاجُ بَاغِي النَّوالِ عنْدَهُم إلى ثَلاثٍ من بَعْد تثْرِيبِ
كُنُوزُ قَارُون أنْ تكُونَ له وعُمْر نُوحٍ وصَبْرِ أيُّوبِ [٧٣و]
قَوْمٌ مواعِيدهُم مُزخْرَفَةٌ بزُخْرفِ القَوْلِ والأكَاذِيبِ
خلَّوا سَبيلَ العُلى لغَيْرِهِم ونَافَسُوا في الفُسُوقِ والحَوْبِ

[a] في الأصل: شيوخنا.

[١] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٥.

[٢] هذه الأبيات من شعر الحسن بن مالك، أبو العالية الشامي. مؤدب العباس بن المأمون. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء،ج٣، ص٩٧٥.

وقال آخر: [المتقارب]

أقمتُ ببغْدَادَ مُذْ أشهُرٍ ... وكُنْتُ ببغْدَادَ ذا غَرَّة
فما إنْ قَطَعتُ بها شَعْرةً ... ومَا أنْ فُتِنتُ بـها بَعْرَة
ومَا إنْ تُوَفقُ لي حَاجَةٌ ... كَـأنّي وطَيّتُ عـلى نَشْرة
وعَاندني الخَيْرُ مُذْ جِئتُها ... مُعَانَـدةَ الـضُّـرَّةِ للـضُّرَّة
وإنـي بـهـا عَاشِـقٌ دِرْهَـمًا ... ومـنْ لي يـا صَاحِ بالزُّهرَة
وعُجْبِي بِسَيْري إلى بلْدَةٍ ... كعُجْـبِ الطُّـفَيْـليِّ بالسُّفْرة
ولَوْ كُنتُ ممَّنْ يُجِيدُ الغِنَاءَ ... لأحْـرَزْتُ مُـذْ جِئتُـها بَـدْرة
فإنْ رَدَّنِي اللهُ من ضِيقِهَا ... سَـلِيـمـًا إلى جِـهـةِ البَصْرَة
وعُدتُّ إليها فعُرْسِي طَلاقٌ ... ثَـلاثـًا وجَـارِيـتـي حُـرَّة

وقال آخرُ (شِعْر): [الطويل]

لقَدْ طَالَ في بغْدَادَ ليْلِي ومن يَبِتْ ... ببغْدَادَ يُصْبح ليْلَهُ غَيْر واحِدِ
بِلادٌ إذا وَلَّى النَّهارُ تَنَافرَتْ ... بَرَاغِيثُها من بين مَثْنى ووَاحِدِ
دَيَازِجةٌ شُهْبُ البُطُونِ كأنَّها ... بغَالُ بَرِيدٍ أرْسِلَتْ في مَذَاوِدِ

٣ وقال آخر[١]: [الخفيف]

زعَمَ النَّاسُ أنَّ ليْلَك يا بغْدَادُ ... لَيْلٌ يطِيبُ فيه النَّسِيمُ
ولَعَمْري ما ذَاكَ إلَّا لَمَّا ... خَالفَهُم بالنَّهارِ منك السَّمُومُ
وقَلِيلُ الرَّخاءِ يُتْبعُ الشِّدَّةَ ... عِـنْـدَ الـعِـبـادِ أمْـرٌ عَـظِـيمُ

---

[١] أورد ياقوت الحموي هذه الأبيات وذكر أنها رويت عن طاهر بن الحسين. انظر: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٤.

وقال آخر شعر[1]: [الطويل]

نَرحَّل فما بغْدَادُ دَارُ إقَامةٍ ولَا عِنْد من يُرْجَى ببغْدَادَ طَائِلُ
محلُّ أُناسٍ سَمْتُهم في أدِيمهِم وكلُّهُم من حِليةِ المَجْدِ عَاطِلُ

وقال بعْضُ الصَّالحِينَ: ما أحِبُّ أنْ أسْكُنَ احَدَ المِصْريْنِ علىٰ أنْ أتصدَّقَ كلَّ يوْمٍ علىٰ مِائَتي مسْكِينٍ. فقِيلَ له: أيُّ مِصْرينِ هما؟ قال: مِصْرُ وبغْدَادُ.

وقال يعْقُوبُ بن إسِحاقَ[2]: سَمِعْتُ أبي يقول: سَمِعْتُ يزِيدَ بن هَارُونَ[3]، وسَألَهُ رجُلٌ أيَّامَ الفِتْنةِ فقال: إنَّ أبويَّ يكْرَهانِ أنْ أخْرُجَ عن بغْدَادَ. فقال يَزِيدُ: إنْ أحَبَّ أبواكَ أنْ يُقِيما بِأرْضِ الشِّركِ، أتُقِيم معهُما؟ قال: ثمَّ رأيْتهُ [٧٣ظ] بعْدَ هذا القوْلِ مُقِيماً ببغْدَاد.

---

[1] أورد الخطيب البغدادي هذه الأبيات، ونسبها إلى أبي العالية السابق الذكر، انظر: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٦٦؛ البخلاء، ص١٢١؛ كما أوردها ياقوت في خمسة أبيات قائلًا أنه رآها: «بخط عبد الله بن أحمد بن جخجخ قال أبو العالية ...». انظر: معجم البلدان، ج١، ص٤٦٦.

[2] يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرميّ البصري، أبو محمد، أحد القراء العشرة، وإمام البصرة ومقرئها، له تصانيف، كتاب الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات توفي بالبصرة سنة ٢٠٥هـ/٨٢١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج٧، ص٣٠٤؛ ابن حبان: الثقات،ج٩، ص٢٨٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤٢؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت، ١٩٩٧م، ص٩٤.

[3] يزيد بن هارون بن زاذي بن ثابت السلمي الواسطي، أبو خالد، الإمام، الحجة، العابد شيخ الإسلام، أحد الحفاظ الثقات، توفي بواسط سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م. انظر ترجمته وأخباره: البخاري في: التاريخ الكبير، ج٨، ص٣٦٨؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل،ج٩، ص٢٩٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٦، ص٤٩٣.

وقال ابن الكَلْبي: سُمِّيتِ البرَدَانُ التي فوْقَ بغْدَادَ بأرْبعة فرَاسِخ برَدَاناً؛ لأنَّ مُلوكَ الفُرْسِ كانوا إذا أتَوْا بالسَّبْيِ فنَفُوْا شَيْئاً منه قالوا: برَده. أي اذهَبُوا به إلى
٣ القَرْيةِ، وكانت القَريةُ البرَدَان فسمِّيتْ بذلك[1].

قال: وكانت برَدَانُ الكُوفَةِ لِوبَرةَ بن رُومَانُس أخِي النُّعْمانِ بن المُنْذِر لأمِّهِ، فمات ودُفِن بها، ولذلك قال: مكْحُول بن حُرْثة يرْثِيهِ (شِعْر): [الوافر]

فـمَا الـدُّنْـيَا بِبـاقِـيةٍ لحـيٍّ ... ومَا حَيٌّ علىٰ الدُّنْيا بِباقِ
لقَدْ ترَكُوا علىٰ البرَدَان قَبْرًا ... وهـمـُّوا للـتَّفَـرُّقِ بانْـطِـلاقِ

٦ قال: وأنْشَدنِي الهَيْثمُ بن عِيسَىٰ الكاتبُ لبعْضهِم (شِعْر)[2]: [الطويل]

كَفَىٰ حَزنـاً والـحَمْدُ لله أنَّنِي ... ببغْدَادَ قَدْ أعْيتْ عليَّ مَذَاهِبي
أُصَاحِبُ من لا أسْتَلِذُّ صِحَابهُ ... وآلِفُ قَوْمـاً لسْتُ فيهم بِرَاغِبِ
ولمْ أثْوِ في بغْدَادَ حُبًّا لأهْلِهَا ... ولا أنَّ فيها مُسْتفَادًا لطَالبِ
سَأرْحَلُ عـنها قَـاليًا لسَـرَاتِـهَا ... وأتْرُكهُم تَرْكَ المَلُولِ المُجَانِبِ
فَإنْ ألجَأتْني النَّائِباتُ إليْهِم ... فَأيرُ حِمارٍ في حَرِيمِ النَّوائبِ

---

[1] فسر ياقوت الحموي كلمة "برده" الفارسية في نهاية هذا الخبر بقوله: «قلت أنا: وتحقيق هذا أن برده بالفارسية هو الرقيق المجلوب في أول إخراجه من بلاد الكفر، ولعل هذه القرية كانت منزل الرقيق فسمّيت بذلك، لأنهم يلحقون الدال والألف والنون في بعض ما يجعلونه وعاء للشيء».

قارن: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٥-٣٧٦.

[2] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٤٦٦.

وقال آخر (شِعْر): [السريع]

ازْكَبْ ببغْدَادَ وجَوِّل بهَا   واقْصِدْ لَمنْ شِئْتَ من النَّاسِ
تِجدْهُ من كَانَ إذا جِئْتَهُ   مُسْتَتِرًا عنْكَ بإفْلَاسِ
يُبْدِي لك الفَقْرَ ويَطْوِي الغِنَىٰ   مِنْكَ ويُدْنِيكَ منَ الْيَاسِ
يَخْضَعُ في المَنْطقِ منْ بُخْلِهِ   وقَلْبُهُ كالحَجَرِ القَاسِي

وأُنْشِد لُمطِيعَ بن إيَاسٍ (شِعْر) [1]: [الخفيف]

حَبَّذا عَيْشُنا الذي زَالَ عنَّا   حِينَ نِلْنَا المُنَىٰ ولا حَبَّذَا ذَا
إنَّ هذا مِنْ ذَاكَ سَقْيًا لِهَذَاكَ   ولَسْنَا نقُولُ سَقْيًا لِهَذَا
زَادَ هذا الزَّمَانُ شَرًّا وعُسْرًا   عِنْدنَا إذ أحلَّنَا بغْدَاذَا
بلْدَةٌ تُمْطِرُ التُّرابَ علىٰ النَّاسِ   كَمَا تُمْطِرُ السَّمَاءُ الرَّذَاذَا [٧٤و]
فَإِذَا مَا أعَاذَ ربِّي بِلَادًا   من عَذابٍ كبَعْضِ مَا قَدْ أعَاذَا
خَرِبَتْ عَاجِلًا كَمَا خَرَّبَ الله   بأعْمَالِ أهْلِهَا كَلْوَاذَا [2]

٣

[1] مطيع بن إياس الكناني الكوفي، أبو سلمى، كان شاعرًا مليح النادرة، ظريفًا ماجنًا، من مخضرمي الدولتين، وكان في شعره ما يتغنى به، توفي بالبصرة سنة ١٦٦هـ/٧٨٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٩٣-٩٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٤٨٠-٤٩٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٥، ص٣٠١.

[2] هذه الأبيات لدى: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٨م. ج١٣، ص٢٢٤، الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج١٥، ص٣٠١؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٧.

وقال مَحْبوبُ بن أبي العَشَنَّطِ النَهْشِليُّ (شِعْر)[١]: [البسيط]

لَرَوْضَةٌ من رِيَاضِ [الحَزْنِ][a][٢] أو طَرَفٌ من القُرِيَّةِ[٤] جَرْدٌ غير مَحْروثِ
يفُوحُ منه إذَا مَجَّ النَّدىٰ أرَجٌ يَشْفِي الصُّداعَ ويشْفِي كلَّ ممْغُوثِ
أمْلَىٰ واَحْلَىٰ لعَيْنِي إنْ مَرَرْتُ به من كَرخ بغْدَادَ ذي الرُّمَانِ والتُّوثِ
واللَّيْلُ نِصْفَانِ نِصْفٌ للهُمُوم فما أَقْضِي الرُّقَادِ ونِصْفٌ للْبَرَاغِيثِ
أبِيتُ حين تُسَامِينِي أوائِلُهَا أنْزُو او اَخْلِطُ تَسْبِيحاً بِتَغْوِيثِ
سُودٌ مَدَالِيجُ في الظَّلْمَاءِ مُؤْذِنَةٌ ولَيْسَ مُلْتَمِسٌ منها بِمَشْبُوثِ

وقال بعْضُ الكِلَابيِّين[٣]، وكان ببغْدَادَ فآذَتْهُ البَرَاغِيثُ (شعر): [الطويل]

أَصْبَحتُ سَالمتُ البَرَاغِيثَ بعْدَما مَضَتْ لَيْلَةٌ مِنِّي وقَلَّ رُقُودُهَا
فيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزُورَنَّ بَلْدَةً قَلِيلٌ بها أَوْبَاشُهَا وسَنِيدُهَا
وهَلْ أسْمَعنَّ الدَّهْرَ أصْواتَ ضُمَّرٍ تُطَالِعُ بالرُّكْبَانِ صعْرًا خُدُودُهَا
تَرَاطَنُ حَوْلِي كُلَّما ذَرَّ شَارِقٌ ببغْدَادَ أَنْبَاطُ القُرَىٰ وعَبِيدُهَا
وهَلْ أرَينَّ الدَّهْرَ نَارًا بأَرْضِهَا بِنَفْسِي وأهْلِي أرْضُهَا ووَقُودُهَا

٣

---

[a] ساقطة من الأصل، والتتمة من الجاحظ: الحيوان، ياقوت: معجم البلدان.

---

[١] قارن الأبيات لدى: الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص٢٠٦، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٠؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٨.

[٢] انظر: [مادة :حزن] في ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٥؛ وانظر أيضًا مادة: (القُرِيَّة) ج٤، ص٣٤٠.

[٣] أورد الجاحظ هذه الأبيات في كتابه الحيوان، ونسبها إلى يزيد بن نبيه الكلابي، انظر: ج٥، ص٢٠٧-٢٠٨.

[مَنْبَع دِجْلَة ومَجْرَاه]

قال (a عبّاسُ بن بَاغَار a) الرَّقِيُّ[١]: مُبْتَدأُ دِجْلَةَ من تحتِ حِصْنٍ b) [٢] في جَبلٍ بِآمِد،
٣ وعَرْضُهَا عند منبعِها أقلُّ من عَشْرةِ أذرُع. ثمّ تَـمرُّ بجِبالِ السِّلْسِلةِ، وفي جِبالِ السِّلسِلةِ عُيونٌ كثيرةٌ تصُبُّ في دِجْلَة. ثمَّ تخالِطُها أنهارٌ عظِيمةٌ منها الخَابورُ والزَّرْمُ وغيرُهُما من الأنهار. ثمَّ تصُبُّ إلى جَزِيرةِ ابن عُمَر التَّغْلَبِيِّ[٣]. وتخالِطُها أيضاً أنهارٌ
٦ كِبارٌ من نَواحِي [٧٤ظ] أرْمِينِيَّة، ثمَّ تصِيرُ إلى بَلَد[٤].

ثمَّ إلى المَوْصِلِ. فإذا جَازَتِ المَوْصِلَ بِسَبعِ فَرَاسِخَ صبَّ إليها الزَّابُ الكَبِير، ومن تلٍّ فَافَانَ تُحْملُ فيها السُّفنُ والأطْوافُ، فإذا بلَغتِ السِّنَّ صبَّ إليها الزَّابُ
٩ الصَّغِيرُ، ثم تخالِطُها ببغْدَاد أنهارٌ من الفُراتِ، منها الصَّراةُ ونَهْرُ عِيسَى وغيرُهُما حتى تصِيرَ إلى البطَائِح[٥].

a - a) في الأصل: عياش بن باغان. والتصويب من النديم: الفهرست.

b) في الأصل: حصر، والتصويب من ياقوت: معجم البلدان.

[١] العباس بن باغار بن الربيع، أبو الربيع، قال عنه النديم: « من أصحاب علوم الهيئة، وله من الكتب كتاب قسمة المعمور من الأرض وهيئة الدنيا ». انظر: الفهرست، ج٢، ص٢٥٢.

[٢] وهذا الحصن يعرف بحصن ذي القرنين ومن تحته تخرج عين دجلة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج٢، ص٤٤١.

[٣] بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، لها رستاق واسع خصب ملىء بالخيرات. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص١٣٨.

[٤] انظر فيما تقدم ص٣٣٧.

[٥] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٤١.

ورُوِيَ عن كَعبٍ[١] أنّه قال: النِّيلُ نَهْرُ العَسلِ في الجَنَّةِ، ودِجْلَةُ نَهْرُ اللَّبنِ، والفُراتُ نَهْرُ الخَمْرِ، وسَيْحَانُ نَهْرُ الماءِ، وهي التي ذكَرهَا الله في القُرْآنِ[٢].

وقال أحْمدُ بن مُحمَّدٍ الحَاسِبُ[٣]: أمَرَ المُتوكِّلُ بتَسْهِيلِ أبوابِ دِجْلَةَ من المَوْصِلِ إلىٰ بغْدَادَ وقَلعِ الحِجَارةِ التي في الطَّرِيقِ [والتي يقال] لها الأبواب. فقيل له: يا أمِيرَ المُؤمنِين، إنَّ عَمَّكَ المَـأمُون قد كان أمرَ بِمثْلِ ما أمَرتْ، فقيل له: إنَّ الله ﷻ إنَّما جعَلَ هذه الصُّخُور في هذه المَوَاضِعِ، وإنْ كان فيها بعْضُ الضَّرِرِ علىٰ المُجْتَازِينَ، لِما في ذلك من الصَّلاحِ لعِبادِهِ وعِمارةِ بِلادِهِ من جِهَةِ معَائِشِهم، وذلك أنَّها تَـرُدُّ حَـمِيَّةَ الماءِ عن حَافتي دِجْلَة، مقَامُهَا مَقَام الشُّكورِ، ويحْتَاجُ إليها أيضًا لِيَنْضمَّ الماءُ ولَا يتَفرَّقُ فيُحْملُ علىٰ الأنْهارِ، ولوْلَا هذه الحِجَارةُ لقَعَّر الماءُ دِجْلَةَ حتىٰ تَنْحطَ، وأضرَّ ذلك بالنَّاسِ وبطَلَتِ العِمارةُ؛ فأمْسَكَ عمَّا كان همَّ به.

قال: وبِأسْفلِ وَاسِط تسْكُنُ جَرْيةُ دِجْلَة وتخِفُّ. وهُناكَ تَأخُذ منها أنْهار كَسْكَر ونواحِيها. فأمَّا مَا يأخُذُ منها ويَسْقِي الجَانِبَ الشَّرقيَّ فالقَنَاتَانِ الشَّتْويةُ والصَّيْفيَّةُ. وهُما اللَّتَانِ عمِلهُما المُتوكِّلُ لسُرَّمرَّىٰ. كانتا تدْخُلانِ المَسْجِد الجَامعَ وتَتخلَّلانِ شَوارِعَ سرَّمرَّىٰ، ثمَّ النَّهْرُ الذي قَدَّرهُ أيضـًا وعمَلَ علىٰ أنه يدخل الحَيْز فلم يتمّ.

---

[١] هو كعب الأحبار، وقد مرت ترجمته، ص١١٢.

[٢] أورده الخطيب البغدادي بسنده إلى كعب الأحبار:- «قال كعب: نهر النيل: نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة: نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات: نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان: نهر الماء في الجنة، قال: فأطفأ الله نورهن ليصيرهن إلى الجنة». تاريخ بغداد، ج١، ص٦١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١، ص١٥٨.

[٣] أحمد بن محمد الحاسب: «لا يعرف من أمره أكثر من هذا، وله من الكتب: كتاب إلى محمد بن موسى في النيل. كتاب المدخل إلى علم النجوم. كتاب الجمع والتفريق». انظر: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢٥٦.

وقد كان أنفقَ عليه سَبْعَمائةِ ألفِ دِينارٍ، وكان السَّببُ في أنّه لم يتِمَّ أنَّ المُتوَكِّل قُتِلَ قبلَ الفَراغِ منه. وقد حاولَ المُنتصِرُ أنْ يُتَمِّمهُ فلقِصَرِ أيّامِهِ لم يَسْتوِ ذلك[١].

٣ ثم القَاطُولُ الكِسْرويُّ[٢] يسْقِي [٧٥و] النَّهْروَانَ وعليه شَاذَرْوَان[٣] فَوقه، يَسْقِي رُسْتَاقَ بين النَّهْرينِ من طَسُّوجِ بُزُرْجَسَابُور[٤]، ثمَّ القَاطُول المعْروفُ بأبي الجُنْدِ، يأخُذ من دِجْلَةَ ويصُبُّ أسْفلَ الشَّاذَرْوانِ[a].

٦ وإنَّ الذي أحْدَثَهُ الرَّشِيدُ عند عمَلِهِ ذلك الشَّاذَرْوَانِ عِوَضًا لأهْلِ النَّهْروَانِ بسببِ ما سدَّ عنهم الشَّاذَرْوَان. ثمَّ نهْرُ السَّلامِ، يأخُذ من دِجْلَة ويسْقِي كَلْوَاذَى، ونهر بين بُزُرْجَسَابُور، ونَهْرُ بُوقَ[٥]، وفي الجَانبِ الغَربيِّ النَّهرُ المعْروفُ بالإسْحَاقِيِّ.

٩ مُبْتدأهُ من تَكْريتَ، وهو يسْقِي العِمَاراتِ، والقَنَاةُ القَدِيمةُ تسْقِي أيضًا العِمَاراتِ. ودُجَيْلُ[٦] يسْقِي قُطْرَبُّلَ ومَسْكنَ[٧].

---

[a] لدى ياقوت: «يصبّ في النهروان تحت الشاذروان».

---

[١] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٥.

[٢] القاطول: من فعول، وقطل أي قطع. وقد حفر القاطول الكسروي، كسرى أنوشروان العادل ليأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، ثم قام الرشيد بحفر القاطول المسمى بأبي الجند. انظر: فيما تقدم ص٣٠٦؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٧.

[٣] شاذروان: لفظة فارسية معربة تعني الحائط أو الجدار. وهو جدار صخري عال كالسدّ يحجز الماء خلفه. انظر: المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٨٣.

[٤] بزرجسابور: إحدى طساسيج بغداد. ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج١، ص٤١٠.

[٥] انظر فيما تقدم ص٢٣٢.

[٦] دُجَيْل: نهر مخرجه من أعلى بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٣.

[٧] مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، وفيها كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان، ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢هـ/٦٩١م. فقتل مصعب وقبره هناك. نفسه، ج٥، ص١٢٧-١٢٨.

القَول في سُرَّ مَرَّى

قال الشَّعْبِيُّ[١]: كان سَامُ بن نُوحٍ له جَمالٌ ورَواءٌ وعَقْلٌ ومنْظَرٌ، وكان يصِيفُ بالقَرْيةِ التي ابْتَناهَا نُوحٌ عند خُروجِهِ من السَّفِينةِ ببازَبْدَىٰ[a)][٢] وسَمَّاها ثمانِينَ. ويشْتُو بأرْضِ جَوْخَىٰ[٣]، وكان ممَرُّهُ من أرْضِ جَوْخَىٰ إلىٰ بازَبْدَىٰ[a)] علىٰ شَاطِئِ دِجْلَةَ من الجَانِبِ الشَّرْقِيّ، فسُمِّي ذلك المكَانُ إلىٰ الآن سَامرًّا[b)].

وقال إبْرَاهِيمُ بن الجُنَيْدِ[٤]: سَمِعْتُهم يذْكُرون أنَّ سَامَرَّا بنَاهَا سَامُ بن نُوحٍ، ودعَا أنْ لا يُصِيبَ أهْلَهَا سُوءٌ. فأرَادَ السَّفَّاحُ أن يَبْنِيهَا، فبَنىٰ مدِينَتَهُ بالأنْبَارِ بحِذَائِها. وأرَادَ المَنْصُور بعْدما أسَّسَ بَغْدَاد وسَمعَ في الرِّوايَةِ ببَرَكَةِ هذه المدِينةِ أن يَبْنِيهَا فابْتَدأ بِالبِنَاءِ في البرَدَان[٥] ثمَّ بدَا له وبنَىٰ بَغْدَاد.

وأرَادَ الرَّشِيدُ أيضًا بنَاءها فبَنَىٰ بحِذائِها قَصْرًا وسَمّاهُ المُبَارك، وهو بحِذَاءِ أثَرِ بِناءٍ قَدِيمٍ كان للأكَاسِرةِ، ثمَّ بناهَا المُعْتَصِمُ ونزَلَها سنة إحْدَىٰ وعشْرِينَ ومائتَيْنِ[٦].

[a)] رسمت في الأصل: بازيدي.

[b)] في ياقوت بزيادة: سام راه يعني طريق سام.

---

[١] مرت ترجمته ص١٩٨.

[٢] مر تعريفها ص٣٣٧.

[٣] سبق ذكرها ص٣٥٦.

[٤] مرت ترجمته ص٢٣١.

[٥] سبق تعريفها ص٢٥٤.

[٦] بنصه لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان [مادة: سامراء] ج٣، ص١٧٤.

ورَوَىٰ لَيْثٌ[١] عن مُجَاهِدٍ[٢] قال: حيثُما اجْتمَع المُسْلِمون فهو مِصْر.

ولم يبْنِ أحدٌ من الخُلَفاءِ بسُرَّ مَرَّىٰ من الأبْنِيةِ الجَليلةِ ما بنَاهُ المُتوكِّلُ فمن ذلك: القَصْرُ المعْروفُ بالعَروسِ، أنْفَق عليه ثلاثِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ[٣].

والمُخْتَارُ: خَمْسَة ألْفِ ألْفِ دِرْهمٍ. والوحيد: ألْفَي ألْفِ دِرْهمٍ. والمُسنَّاة: [٧٥ظ] عشْرِين ألْفَ ألْفِ دِرْهَمٍ. والبُرْجُ ثلاثِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ.

والجَوْسقُ الإبْرَاهِيميُّ: ألْفَي ألْفِ دِرْهمٍ. والجَعْفَريُّ المُحدثُ: عشْرَة آلاف ألْفِ دِرْهمٍ. والغَرِيبُ: عشْرَة آلاف ألْفِ دِرْهمٍ. والشِّيْدان[a]: عشْرَة آلاف ألْفِ دِرْهمٍ. والبُرْجُ: عشْرَة ألْفِ ألْفِ دِرْهمٍ. والصُّبْحُ: خَمْسَة آلاف ألْفِ دِرْهمٍ. والمَلِيحُ: خَمْسَة آلاف ألْفِ. والقَصْر في بُسْتَان الإيتَاخِيَّة: عشْرَة آلاف ألْفِ.

والتَّلُّ علْوُّه وسُفْلهُ خَمْسَة آلاف ألْفِ. والجَوْسقُ في مَيْدانِ الصَّخْرِ: خَمْسُمائةِ ألْفِ. والمَسْجِد الجَامعُ: خَمْسَة عشْرَ ألْفِ ألْفِ دِرْهمٍ. وبَرْكُوارا للمُعْتزِّ: عشْرِين ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ.

---

[a] في الأصل: الشيدار، والتصويب من ياقوت.

---

[١] الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثًا وفقهًا، قال عنه الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. له تصانيف وتوفي بمصر سنة ١٧٥هـ/٧٩١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٥١٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥٢٤؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٧٨.

[٢] مجاهد بن جبر: وقد مرت ترجمته ص١٠٨.

[٣] ومن الجدير بالذكر أن: سعر صرف الدينار للدرهم استقر في عهد المتوكل كل خمسة وعشرين درهمًا بدينار. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص١٤٣.

والقُلَّايةُ: خمسينَ ألفَ دِينارٍ، وجعَلَ فيها أبْنِيةً بِمائةِ ألْفِ دِينَارٍ. والفَرْدُ في دِجْلَةَ: ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ. والقَصْرُ بالمُتَوكلِّيةِ[1]، وهو الذي يقال له المَاحُوزَة: خمْسِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ. والبَهْو: خمْسَة وعشْرِينَ ألْفَ ألْفٍ. واللُّؤْلُؤةُ: خمْسَة آلاف ألْفِ دِرْهمٍ. فذلك الجَمِيعُ مِائتَا ألْفِ ألْفٍ وأرْبَعةٌ وتِسْعُونَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ.

وكان المُعْتَصِمُ والوَاثِقُ والمُتَوكِّلُ، إذا بنَى أحَدُهم بِناءً من قَصْرٍ أو غيره، أمَرَ الشُّعَراءَ أنْ يعْمَلوا فيه [شِعْرًا] [a] فمن ذلك قولُ عَلِيِّ بن الجَهْمِ[2] في الجَعْفَري[3] الذي بنَاهُ المُتَوكِّلُ: [المتقارب]

ومَا زِلْتُ أسْمَعُ أنَّ المُلُوكَ   تَبْنِي علَىٰ قَدْرِ أقْدَارِهَا
وأعْلَمُ أنَّ عقُولَ الرِّجَالِ   يُقْضَىٰ عليها بآثَارِهَا
فلَمَّا رأيْنَا بِنَاءَ الإمَامِ   رأيْنَا الخِلافَةَ في دَارِهَا
بَدائِعُ لم تَرهَا فَارِسٌ   ولَا الرُّومُ في طُولِ أعْمَارِهَا
ولِلرُّومِ ما شَيَّدَ الأوَّلُونَ   ولِلفُرْسِ آثَارُ أحْرَارِهَا
وكُنَّا نُحِسُّ لها نخْوَةً   فطَأمَنَتْ نَخْوةَ جَبَّارِهَا
وأنْشَأتْ تحْتَجُّ للمُسْلِمِينَ   علَىٰ مُلْحِدِيها وكُفَّارِهَا
صُحُونٌ تُسَافِرُ فيها العُيُونُ   إذا ما تجَلَّتْ لِأبْصَارِهَا
وقُبَّةُ مُلْكٍ كأنَّ النُّجُومَ   تُفضِي إليها بِأسْرَارِهَا

[a] تتمة من ياقوت.

[1] راجع فيما تقدم ص٣٠٧.

[2] مرت ترجمته ص٣٣٩.

[3] راجع فيما تقدم ص٣٠٧.

تـخِـرُّ الوفُودُ لها سُجَّدًا سُـجُودَ النَّصَارىٰ لِكُفَّارِهَا
(a[وإنْ أُوقِـدَتْ نَارُهَا بالعِرَاقِ أَضَاءَ الحِجَازَ سَنَا نَارِهَا]a) [1]
لَها شُـرُفَاتٌ كأنَّ الرَّبِيعَ كَسَاهَا الرِّيَاضَ بأنْوَارِهَا
نَظَمْنَ الفَسَافِسَ نَظْمَ الحُلِيِّ لِعُونِ النِّسَاءِ وأبْكَارِهَا
فهُنَّ كمُصْطَحبَاتٍ بَرَزْنَ لِفِصْحِ النَّصَارىٰ وإفطَارِهَا
فمِنْ بيْنَ عَاقِصةٍ شَعْرهَا ومُنْرِسِلَةٍ عَقْدَ زُنَّارِهَا
وأزْوِقَةٌ شَطْرُهَا للرُّخَامِ وللتِّبْرِ أكْرَمُ أشْطَارها
إذا رُمِقَتْ تَسْتَبِينُ العُيُونُ فيها مثَابِتُ أشْقَارِهَا [٧٦و]
وسَطْحٍ علىٰ شَاهِقٍ مُشْرِفٍ عليه النَّخِيلُ بأثْمَارِهَا
إذا الرِّيحُ هَبَّتْ لها أسْمَعتْكَ عَزِيفَ القِيَانِ بأوْتَارِهَا
أطَاعَتْكَ دِجْلَةُ فاسْتَنْجدتْ عليك بِأغْزَرِ أنهَارِهَا
وفَوَّارَةٍ ثَأرُهَا في السَّماءِ فلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عن ثَأرِهَا
تَرُدُّ علىٰ المُزْنِ ما أنْزَلتْ إلىٰ الأرْضِ من صَوْبِ مِدْرارِهَا
لوْ أنَّ سُلَيْمَانَ أدَّتْ له شَيَاطِينُه بعْضَ أخْبَارِهَا
لأيْقَنَ أنَّ بَنِي هَاشِمٍ يقَدِّمُهَا فَضلُ أخْطَارِهَا
فَلا زَالَتِ الأرْضُ مَعْمُورةً بعُمْرِكَ يَا خَيرَ عُمَّارِهَا [2]

(a-a) ساقطة من الأصل، والتتمة من ابن قتيبة: عيون الأخبار.

---

[1] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٤٣٢.

[2] قارن: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٤٣٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٥-١٧٦.

قال: وحَدَّثني أبو إسْحَاق إبْرَاهِيمُ بن مُحَمَّدٍ البَيْهَقِيُّ[١]، قال: أنشدني حَمَّادُ بن إسْحَاقَ الموْصِلِيُّ[٢] لأَبِيهِ فِي الوَاثِق، ويصِفُ سُرَّمَرَّىٰ وصَيْدَهُ بها، ويذْكُر النَّجفَ.

٣ وزعم أنَّه كَتبهَا عنه كلُّ ذِي نعْمَةٍ وأدَبٍ ببَغْدَاد.

أوَّلهم ابن أبي داوُد[٣] وفيها عِدَّة أَلْحَانٍ صَاغهَا الْمُغَنُّونَ (شِعْر)[٤]: [البسيط]

يا رَاكِبَ العَيْسِ لا تعْجَل بِنَا وقِفِ نُحَيِّ دَارًا لِسُعْدَىٰ ثمَّ ننْصَرِفِ
وابْكِ المعَاهِدَ من سُعْدَىٰ وجَارَتِها ففِي البُكَاءِ شِفَاءُ الهَائِمِ الكَلِفِ
لا تَمْنَعِ العَيْنَ من دَمْعٍ تَجُودُ به في دَارِ سُعْدَىٰ ولكن خَلِّها تَكِفِ
أَشْكُو إلىٰ الله يا سُعْدَىٰ جَوىٰ كَبِدٍ حَرَّىٰ عَلَيْكِ متَىٰ ما تُذْكَرِي تَجِفِ
أَهِيمُ وجْدًا بِسُعْدَىٰ وهي تَصْرِمُني هذا لعَمْرُكَ شَكلٌ غيرُ مؤْتَلِفِ
أَمَا أَنَالَكِ أنْ تنْهَاكِ تَجْرِبة عنْهَا وما كَانَ من وعْدٍ ومن خُلُفِ
دعْ عنك سُعْدَىٰ فسُعْد عنك نَازِحَةٌ واكْفُفْ هوَاكَ وعَدِّ القَوْلَ في لَطَفِ

---

[١] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي المغيثي، نسبة إلى قرية المغيثة ببيهق. انظر في ترجمته وأخباره: البيهقي: تاريخ بيهق وذكر العلماء والأئمة والأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، دار اقرأ، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٢٩١-٢٩٢.

[٢] حماد بن إسحاق بن إبراهيم التميمي المعروف بالموصلي، كان أديبًا راوية، أخذ أكثر علم أبيه، ولحق بكبار مشايخه، له تصانيف. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٤٤١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص٢٣.

[٣] أحمد بن أبي داوُد بن حريز الإيادي، ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق، وهو من أعلن مذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وتوفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص١٢٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٣، ص٦٦-٧٨.

[٤] ذكرت بعض هذه الأبيات في كتاب: الأغاني، ج٥، ص٢٣٢-ج٩، ص٢١١؛ وراجع مادة النجف لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٧١-٢٧٢.

لم ينزِل[a] النَّاسَ في سَهْلٍ ولا جَبلٍ أصْفَىٰ هَواءً ولا أغذىٰ من النَّجَفِ
كَأنَّ تُربتَهُ مِسْكٌ يفُوحُ به أو عَنْبرٌ دَافَهُ العَطَّارُ في الصَّدَفِ
حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحْرٍ من جَوانِبِهَا[b] فَالبرُّ في طَرَفٍ والبَحْرُ في طَرَفِ
وبَيْن ذَاكَ بسَاتِينٌ يسِيحُ بها نَهْرٌ يجِيشُ بجاري سَيْلِهِ القَصِفِ
ومَا يَزَالُ نسِيمٌ من أيَامِنِهِ يَأتِيكَ منه برِيًّا روْضَةٍ أنُفِ[٧٦ظ]
تلْقَاكَ منه قُبَيلَ الصُّبْحِ رائِحَةٌ تَشْفي السَّقِيمَ إذا أشْفَىٰ علىٰ التَّلَفِ
لوْ حلَّهُ مُدْنفٌ يرْجُو الشِّفاءَ به إذًا شَفَاهُ من الأسْقَامِ والدَّنَفِ
يُؤْتىٰ الخَلِيفةُ منه كُلَّما طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهارِ بأنْوَاعٍ من التُّحَفِ
والصَّيْدُ منه قَرِيبٌ إنْ هَمَمْتَ به يأتِيكَ مُؤْتَلِفًا في زِيٍّ مُخْتَلِفِ
من كُلِّ أقْرَنَ مَمْشُوقٍ قَوائِمهُ وكُلِّ بخَرْجَةٍ مُنْشَقَّة الظِّلْفِ
وطَيْرِ مَاءٍ ودُرَّاجٍ يُسَاوِرهُ بأنْ يُعَلِّقَهُ في جَوٍّ مُخْتَطِفِ
فيَا لَهُ منْزِلًا طَابَتْ مسَاكِنهُ لخَيرِ من حَازَ بَيْتَ العِزِّ والشَّرفِ
خَلِيفَةٌ واتَّقىٰ بِالله هِمَّتهُ تقْوَىٰ الإلهَ بحَقِّ الله مُعْتَرِفِ
سَاسَ البَرِيَّةَ فانْقَادتْ لطَاعَتِهِ طَوْعًا بِلَا خَرَقٍ منه ولا عُنُفِ
أقَامَ فيهم قَنَاةَ العَدْلِ فانْتَصَبتْ وسَار فيهم بِلَا مَيْلٍ ولا جَنَفِ[1]

---

[a] في الأصل: ما إن رأى، والتصويب من أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني.

[b] في الأصل: "حف ببر وبحر فهي بينهما".

---

[1] قارن: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج٧، ص١٤٩-١٥٠.

وقال الحُسَيْنُ بن الضَّحَّاك[١] في سُرَّمَرَّىٰ من شِعْرٍ طَوِيلٍ(شِعْر):

[المتقارب]

a) [إلىٰ خَازِنِ الله في خَلْقِهِ   سِراجِ النَّهارِ وبَدْرِ الظُّلَمْ]a)
رَحَلْنَا غَرَابِيبَ زَيَافَةً[٢]   بِدِجْلَةَ في مَوْجِهَا المُلْتَطِمْ
سَوَائِح أيْقَنَّ ألَّا قَرارَ   دُونَ مُبَارَكَةِ المُعْتَصِمْ
فلَمَّا دُفِعْنا لِقَاطُولِهَا   ودُهْمُ قَرَاقِيرِهَا تَصْطَدِمْ
سَكَنَّا إلىٰ خَيْرِ مَسْكُونَةٍ   تَيَمَّمهَا رَاغِبٌ من أمَمْ
مُبَارَكَةٌ شَادَ بُنْيَانَهَا   بِخَيْرِ المَوَاطِنِ خَيْرُ الأُمَمْ
كَأنَّ بِهَا نَشْرَ كَافُورَةٍ   لِبَرْدِ ثَرَاهَا وطِيبِ النَّسِمْ
كظَهْرِ الأدِيمِ إذا ما السَّحابُ   صَابَ علىٰ مَتْنِهَا وانْسَجَمْ
مُبَرَّأةٌ من وحُولِ الشِّتَاءِ   b) إذا مَا طَمىٰ وحْلُهُ وارْتَكَمْ b)
فَما إنْ يَزَالُ بِهَا رَاجِلٌ   بِغَيْثِ سَمَاءٍ ولا يَرْتَطِمْ
يَمُرُّ علىٰ رِسْلِهِ آمِنًا   نَقِيَّ الشِّرَاكِ نَقِيَّ القَدَمْ

(a-a) ساقطة من الأصل، وتتمة الأبيات من أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني.

(b-b) في الأصل: إذا بحره والنظم، والتصويب من أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني.

[١] الحسين بن الضحاك بن ياسر الخليع الباهلي البصري، أبو علي، يلقب بالأشقر، له شعر رقيق عذب، اتصل بعدد من الخلفاء العباسيين ونادمهم. وتوفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٦٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج٨، ص٥٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٠٦٣-١٠٦٧.

[٢] الغرابيب: جمع غراب، وهي سفن سريعة سوداء اللون. درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، منشورات جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م. ص١٠٤؛ وزيافة: أي السريعة. انظر: الزبيدي: تاج العروس،ج٢٣، ص٤١٢.

بِجَـرعَاء لا صَـيفُها سَاطِعٌ   بِنَقْـعٍ ولا آخِـذٌ بالـكـظَمْ
تـخَـرَّقَ في بـرِّهَا بَحْرُهَا   فـأَحْـدَقَ حَـوْزَاتِـها بـالسَّـلَمْ
فـلِلضَّـبِّ والنُّـونِ في بـطْنِهَا   جِـوَارٌ مــراتَــعٌ لـلـنَّـعَـمْ
إذا مَـا الـرَّبِـيعُ بـأَنْـوائِهِ   كـسَاهَـا زَخَـارِفَ ممَّا نـجَـمْ
وعَـمَّم أعْـلَامـهَـا زَهْـرةٌ   وجـلَّلَ قـيعَـانَـهـا والأكَـمْ
غَدوْتَ علىٰ الوَحْشِ منْظُومةً   رَوَاتِـع في نـورِهَــا المتَـنَظِـمْ
ورُحْـتُ عـليـها واسْـرابُـهَـا   شَـوارِعُ في غـدْرِهَا تَـزْدَحِـمْ
كـأَنَّ شَـوَادِن غِـزْلَانِهَـا   نـجُـومٌ بـأَكْنَـافِـهَـا تَبـتَّـسِمْ
فَـلا أينَ عـنْ وطَـنٍ خَـصَّهُ   عَقِيدُ السَّـماحِ وأسُّ الـكَـرَم[1]

وقال فيها أيضًا (شِعْر): [٧٧و] [الكامل]

كلُّ البِلادِ لسُرَّمَرَّىٰ شَاهِدٌ   إنَّ المَصِيفَ بها كَفَضْلِ سِوَاهَا
فيْحَاءُ طَابَ مَقِيلُهَا ومَبِيتُها   وغُدُوُّهَا ورَوَاحُهَا وضُحَاهَا
إذا الرِّيَاحُ تنَفَّسَتْ برِبَاعِهَا   وجَرَتْ بطِيبِ نسِيمِهَا ونشَاهَا
فكأنَّها سَبقَتْ إليك بنَفْحَةٍ   من جَنَّةٍ حَصْباؤهَا وثَراهَا

وقال أيضًا (شِعْر): [الطويل]

علىٰ سُرَّمَرَّىٰ والمَصِيفِ تحِيَّةٌ   مجلَّلَةٌ من مُغْرَمٍ بهَواهُمَا
ألا هلْ لمُشْتَاقٍ ببَغْدَاد رجْعَةٌ   تُقرِّبُ من ظِلَّيْهِما وذُراهُمَا
محَلَّان لَقَّىٰ الله خَيْر عِبَادِهِ   عَزِيمَة رُشْدٍ فيهما فاصْطَفَاهُمَا
وقُولَا لبَغْدَادَ إذا ما تَنَسَّمَت   علىٰ أهْل بَغْدَاد جُعِلْتُ فِدَاهُمَا
أفِي بعْض يَوْمٍ شَفَّ عَيْنَيَّ   حَزْوَرُكَ حتىٰ رَابَنِي نَاظِرَاهُمَا

---
[1] قارن: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج٧، ص١٤٩-١٥٠.

وقال أيضًا (شِعْر): [الرجز]

اخْدُ بها تَسمعُهُ يا حَادِي وقُلْ بِتَرتِيلِكَ في الإنْشَادِ
جَادَكِ يا بَغْدَاد من بِلادِ إلى تمارىٰ من قُرىٰ السَّوَادِ
فحُقْبَة السَّيْبِ فَبطْنِ الوَادِي فالعَرْصَةِ الطَّيِّبَةِ المُرَادِ
صَبِيبُ كلِّ رَائحٍ وغَادِ يا لَيْتَ شِعْرِي والحَنِينُ زَادِي
هلْ لي إلىٰ ظِلِّكِ من مَعَادِ لله ما هِجْتِ علىٰ البِعَادِ
لقَلْبِ حرَّانَ إليك صَادِ بَدَّل من رِيفِكِ البَوَادِي
بِقَفْرَةٍ مُوحَشَةِ الأطْوَادِ مجْهُولَةٍ مجْدِبِةٍ حمَادِ
بَعِيدةِ الوِرِدْ من الورَّادِ

٣ وقال فيها أيضًا (شِعْر): [٧٧ظ] [الخفيف]

سُرَّمَرَّىٰ أسَرُّ من بَغْدَادِ قَالهُ عن بعْضِ[a] ذِكْرِهَا
حبَّذَا مسْرَحٌ لهَا لَيسَ يخْلُو أبَدًا من طَرِيدَةٍ وطِرَادِ
ورِيَاضٍ كأنمَّا نَشَر الزَّهْرُ عليها محُبَّرَ الأبْرَادِ
وأذْكُر المُشْرِفَ المُطِلَّ من التَّلِّ علىٰ الصَّادِرِينَ والورَّادِ
وإذا رَوَّحَ الرِّعاءُ فلاَ تَنْسَ دَواعِي فَواقِدِ الأوْلَادِ

---

[a] في الأصل: عن ذكر ذكرها المعتاد.

---

[١] راجع مادة سامراء لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٦.

وقال فيها أيضًا (شِعْر): [الطويل]

سَقَىٰ الله ما والىٰ المَصِيفَ وما انْطَوىٰ   علىٰ سُرَّمَرَّىٰ مُسْتَهِلًّا ومُبْكِرَا
فَلْم أرَ أيَّامًا تَسُرُّ قِصَارُهَا   أسَرَّ من الأيَّام فيها وأقْصَرَا
بِلادٌ خَلتْ من كلِّ ريْبٍ فَلا تَرىٰ   بِلادًا تُوَازِيهَا غِذاءً ومنْظَرَا
أَصَبُّ بِمَشْتَاهَا ولِينِ مصِيفِهَا   ورِقَةِ فضْلَيْها إذا الأُفُقُ أشْقَرَا
كأنَّ حصَاهَا بُثَّ في عرَصَاتِها   فَرائِدَ مَرْجَانٍ ودُرًّا مُسَطَّرَا
تُرِيكَ إذا الوَسْمِيُّ جَادَ مُتُونَها   وعَادَ علَيْهنَّ الوَلِيُّ فَأمْطَرَا
رِيَاضًا تَحَارُ العَيْنُ في جَنَبَاتِهَا   إذا صُفِّرَ الأرْضَ الرَّبِيعُ وحَمَّرَا
كَأنَّ بها في كُلِّ فَجٍّ سَلَكْتَهُ   نَمارِقُ زرْبَابٍ ووَشْيًا محَبَّرَا
تَرَاعىٰ بِها عُفْرُ الظِّبَاءِ سَواكِنًا   أوامِنَ في أكْنَافِهَا أنْ تُنَفَّرَا
سَكنَّ إلىٰ حَامٍ حَمَاهُنَّ رَأفَةً   فمَدَّ حِمًىٰ من دُونِهِنَّ وحَيَّرَا
كفَاهُنَّ رَوْعَاتِ الطِّرَادِ ذِمَامهُ   فمَا تَعْرِفُ الطِّرَادَ إلَّا تَذكُّرَا
يُهادِينَ بِالحِيرَيْنِ في كُلِّ مذْهبٍ   حَدَائِقَ جَنَّاتٍ ومَاءً مُفَجَّرَا
كَأنَّ مرَابِيعَ السِّجَالِ خِلاَلَهَا   نُجُومٌ تَهادىٰ مُنْجِداتٍ وغُوَّرَا
تراهُنَّ من فَرْطِ المِرَاحِ شَوَامِخًا   من العُجْبِ ما يَمْشِينَ إلَّا تَحَتُّرَا
فَلَا بَرِحتْ دَارُ الإمَامِ بغِبْطَةٍ   ولا زَالَ شَانِيهَا بأصْلَدَ أوْعَرَا
تَخيَّرهَا دُونَ البِقَاعِ مُوَفَّقٌ   أصَابَ طَرِيقَ الرَّشدِ فما تَحَيَّرَا

[٧٨و] وكانَ المُتوكِّلُ قد انْتَقلَ من سُرَّ مَرَّىٰ إلىٰ الجَعْفريِّ، وانْتَقلَ معه عَامَّةُ أهْلِ سُرَّمَرَّىٰ حتىٰ كَادتْ أنْ تخْلُو، فقال في ذلك، أبو عَليٍّ البَصِيرُ[١] (شِعْر):

٣ [الكامل]

إنَّ الحَقِيقَةَ غيرُ مَا تتَوَهَّمُ ... فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أيَّ أمْرٍ تَعْزِمُ
أتكُونَ في القَوْمِ الذِينَ تأخَّرُوا ... عنْ حَظِّهِمْ أمْ في الذِينَ تقَدَّمُوا
لا تَقْعُدنَّ تَلُومُ نفْسِكَ حينَ لَا ... يُجْدِي عَليكَ تَأسُّفٌ وتَندُّمُ
أضْحَتْ قِفَارًا سُرَّمَرَّىٰ ما بِها ... إلَّا لمُنْقَـطِعٍ بـه مُـتـلَـوِّمُ
تبْكِي بِظَاهِرِ وحْشَةٍ وكأنَّها ... إنْ لم تكُنْ تَبْكِي بعَيْنٍ تَسْجُمُ
كانَتْ تَظلَّمَ كلُّ أرْضٍ مَرَّةً ... عنها فَصَارتْ بعْدُ وهي تُظَلَّمُ
رحَلَ الإمَامُ فأصْبَحتْ وكأنَّها ... عرَصَاتُ مَكَّةَ حين يَمْضِي المَوْسِمُ
وكأنَّما تِلْكَ الشَّوارِعُ بعْضُ ما ... أخلَتْ إيَادُ من البِلادِ وجُرْهُمُ
كانتْ مرَادًا للعُيُونِ فأصْبَحتْ ... عِـظَـةً ومـعْـتَـبَرًا لمن يتَـوسَّـمُ
وكأنَّ مَسْجِدهَا المَشِيدَ بِنَاؤه ... ربْـعٌ أحَـالَ ومَـنْـزِلٌ مـتَرَسَّـمُ
وإذا مَررْتَ بِسُوقِها لم تُنْءِ عن ... سَنَنِ الطَّرِيقِ ولم تَجِدْ من يزْحَمُ
وتَرىٰ الذَّرَارِي والنِّساءَ كأنَّهُم ... خَلقٌ أقَامُ وغَاب عنْهُا القَيِّمُ
فارْحَلْ إلىٰ الأرْضِ التي يحْتَلُّها ... خَيْـرُ الـبَـرِيَّةِ إن ذلك أحْـزَمُ
وانزِلْ مُجَاوِرهُ بأكْرمِ منْزِلٍ ... وتَيمَّـم الجِـهَـةَ الـتي يَتَـيَمَّـمُ
أرْضٌ تَسَالم صَيْفُهَا وشِتَاؤُهَا ... فالجِسْمُ بينهما يَصِحُّ ويَسْلَمُ

---

[١] أبو علي البصير: الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب الأنباري، لقب بالبصير لذكائه، وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء، كان به ميّلا للتشيع، توفي في سامراء في خلافة المعتمد بالله. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٣٩٧؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣١٤.

وصَفَتْ مشَارِبُها ورَاقَ هَواؤهَا   والْتَـذَّ بَـرْد نَسِيمِـهَـا المُتَنَسِّـمُ
سَهْلـيَّـةٌ جَبَلِـيَّةٌ لا تَجْتَوي   حَـرًّا ولا قَـرًّا ولا تُسْتَـوْخَـمُ[1]

[٧٨ظ] ويقُالُ إنَّ المعْتَصِمَ ملكَ ثَماني سِنينَ وثَمانيةَ أشْهرٍ وثَمانيةَ أيّامٍ. وكان مُلكهُ في سنةِ ثَماني عشْرةَ ومائتَينِ، وكان له من الفُتُوحِ ثَمانيةٌ. وبنىٰ ثمانيةَ قُصورٍ.

ووِلدَ له ثَمانِيةُ ذُكورٍ وثَماني إنَاثٍ وخَلَّف في بَيْتِ المَالِ ثَمانِمائة ألْفِ دِينارٍ وثَمانيةَ ألْفِ ألْفِ دِرْهمٍ. فمِن القُصُورِ: الجَوْسَقُ، والقيدُ المليُّ، وقَصْرُ الجَصِّ، وقَصْرُ القُصُورِ، وعَمُّورِيَّةُ، وقَصْرُ المطَامِير، والقَصْرُ السماَنيُّ، والقَصْرُ الخَاقَانيُّ. والفتوح: الزطُّ[2]، والمُحَمَّرةُ، وبَابَك، وعَمُّوريَّةُ[3]، والمَازِيَارُ[4]، وجَعْفَرُ الكُرْدِيُّ[5]، والحَسَن ابن حَلَيويْه، والحَوْفُ بمِصْرَ[6].

---

[1] راجع مادة الجعفري لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٤٣.

[2] عن محاربة الزط وتأديبهم: راجع: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، [حوادث سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م]، ج٩، ص٨-١٠.

[3] عن استنفار المعتصم، وأهل مدينة السلام تجاه الحمرة، وقتله بابك، وفتح عمورية. انظر: الطبري: المصدر السابق، [حوادث سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م- ٢٢٢هـ/٨٣٧م.] ج٩، ص٦٥-٧٠.

[4] مازيار بن قارن، والي المعتصم على طبرستان. خالف على المعتصم وحجب الخراج، وحاول الاستقلال بطبرستان. للمزيد من التفاصيل انظر: الطبري، المصدر السابق، [حوادث سنة٢٢٤هـ/٨٣٩م] ج٩، ص٨٠-٨٧.

[5] جعفر الكردي، أحد الخارجين خالف على المعتصم وسبى الذراري والنساء. للمزيد انظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٤٠٢-٤٠٦.

[6] من أسكنهم المعتصم بحوف مصر «... وكان المعتصم قد اصطنع قومًا من أهل الحوف بمصر، واستخدمهم، وسماهم المغاربة، وجمع خلقًا من سمرقند، وأسروشنة، وفرغانة، وسماهم الفراغنة، فكانوا من أصحابه، وبقوا بعده». انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، [حوادث سنة٢٢٠هـ/٨٣٥م] ج٦، ص١٦.

وكتَبَ عبدُ الله بن المُعتزّ[١] إلى بعْضِ إخوانِه يذكر سُرَّمَرّىٰ بعد خَرَابِها ويذُمُّ بَغْدَاد وأهْلَها:

«كَتبتُ إليكَ من بَلدَةٍ قد أنهَضَ الدَّهْرُ سُكَّانَها، وأقْعَدَ جُدْرَانَها، فشَاهِدُ اليَأسِ فيها يَنْطقُ، وحَبْلُ الرَّجَاءِ فيها يَقصِرُ، فكأنَّ عُمْرانَهَا يُطوىٰ، وكأنَّ خَرابَهَا يُنشَرُ. قَدْ وكُلَتْ إلى الهَجْر نوَاحيهَا، وحُثَّ باقِيهَا إلى فَانِيهَا، وتمزَّقتْ بأهْلِهَا الدِّيَارُ. فما يجبُ فيها حَقُّ جِوارٍ، فالظَّاعِنُ عنها ممْحُوُّ الأثرِ.

والمُقِيمُ بها علىٰ طَرَفِ سفَرِه نَهارُهُ إرْجَافٌ، وسُرُورهُ أحْلَامٌ، ليْسَ له زَادٌ فيَرحلُ، ولا مَرْعٍ فيرْتَعُ. فحَالُها تصِفُ للعُيونِ الشَّكْوىٰ، وتُشِيرُ إلى ذَمِّ الدُّنْيَا، بعْدما كانتْ بالمَرأىٰ القَرِيبِ جَنَّةَ الأرْضِ وقَرَارَ المُلْك. تفِيضُ بالجُنُودِ أقْطَارُهَا عليهم أرْدِيةُ السُّيوفِ وغَلائِلُ الحَدِيدِ، كأنَّ رِمَاحهُم قُرونُ الوعُولِ، ودُرُوعَهُم زَبَدُ السُّيُولِ، علىٰ خيلٍ تأكُلُ الأرْضَ بحَوافِرِهَا وتمُدُّ بالنَّقْعِ ستَائِرَهَا.

قَدْ نُشِرتْ في وجُوهِهَا غُررٌ كأنَّها صَحَائِفُ البَرقِ، وأمْسَكهَا تَحجِيلٌ كأسْورةِ اللُّجَينِ، وقُرِّطَتْ عُذْرًا كالشُّنُوفِ في جَيْشٍ يتَلقَّفُ الأعْدَاءُ أوائِلهُ ولم تنْهَضْ أواخِرهُ. قدْ صَبَّ عليه وقَارُ الصَّبْرِ، وهَبَّتْ له رِيحُ النَّصْرِ.

يصْرِفهُ ملِكٌ يمْلأُ العَينَ جمَالًا، والقُلُوبَ جَلَالًا، لا تخْتَلفُ مخِيلَتهُ، ولا تُنْقصُ [٧٩و] مرِيرَتهُ ولا يُخْطِئ بِسَهْم الرَّأْيِ غَرضَ الصَّوابِ، ولا يقْطَع بمَطَايا اللَّهْو سَفَرَ

---

[١] عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي، كان كثير السماع غزير الرواية، واحد دهره في الأدب والشعر، صاحب تصانيف. قتل سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٣٥٩-٣٦٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٠٢-٣٠٨.

الشَّبابِ، قَابضًا بيدِ السِّياسَةِ علىٰ أقْطَارِ مُلْكٍ لا يَنْتَشِرُ حبْلهُ، ولا تَتشظَّىٰ عصَاهُ، ولا تطفَىٰ جمْرَتهُ، في سِنِّ شَبابٍ لم يجْنِ مأثـمًا وشَيْبٍ لم يُراهِقْ هَرمًا. قَدْ فرَشَ مِهَاد عدْلِهِ، وخفَضَ جِناحَ رحْمتِهِ، راجِـمًا بالعَوَاقِبِ [الظُّنُونَ][a] لا تَطِيشُ عن قَلْب فَاضِلِ الحَزْم بعْدَ العَزْمِ، سَاعِيـًا علىٰ الحقِّ يعْملُ بِهِ عَارِفًا بالله يَقْصِدُ إليه، مُقِرًّا للحِلَم ويَبْذلهُ، قَادِرًا علىٰ العِقَابِ ويَعْدِلُ فيه.

إذا النَّاسُ في دهْرٍ غَافِلٍ قدْ اطْمَأنَّتْ بهم سِيرةٌ ليِّنةُ الحَوَاشِي، خَشِنةُ المَرَامِ، تطِيرُ بها أجْنِحةُ السُّرورِ. ويهبُّ فيها [نَسِيمُ][b] الحُبُورِ، فالإطْراقُ علىٰ مَسرَّةٍ، والنَّظَرُ إلىٰ مبـرَّةٍ، قبلَ أنْ تخُبَّ مطَايَا الغِيرِ، وتُسْفِر وجُوهُ الحَذَرِ، وما زَالَ الدَّهْرُ مليئًا بالنَّوائبِ، طَارِقـًا بالفَجَائعِ، يُؤْمَـنُ يَوْمهُ ويغْدَرُ غَدهُ.

علىٰ أنَّها وإنْ جُفِيتْ معْشُوقَةُ السُّكْنَىٰ رحِيبَـةُ المثْوَىٰ، كوْكَبُهَا يقْظَانٌ، وجَوُّها عُرْيَانٌ، وحصَاهَا جَوْهرٌ، ونَسِيمُهَا [c] [مُعطَّرٌ، وتُرابُها مِسكٌ أذفَرٌ، ويَوْمها غَداةٌ، وليْلُها] [c] سَحرٌ، وطَعَامُها هَنِيءٌ، وشَرابُهَا مرِئٌ، وتَاجِرُهَا مَالكٌ، وفَقِيرُهَا فَاتِكٌ.

لا كبَغْدَادِكُمُ الوَسِخةُ السَّماءِ، الوَمِدةُ الهَواءِ، جوُّها نَارٌ، وأرْضُها خَبارٌ، ومَاؤهَا حَمِيمٌ، وتُرابُها سِرْجِينٌ، وحِيطَانُها نُزورٌ، وتَشْرِينُها تَموزٌ، فكَمْ في شَمْسِهَا من محْتَرِقٍ، وفي ظِلِّها من غَرِقٍ[1].

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

[b] التكملة من ياقوت.

[c-c] ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

[1] قارن: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٧.

ضَيِّقَةُ الدِّيارِ، قَاسِيةُ الجِوارِ، سَاطِعةُ الدُّخَانِ، قَلِيلةُ الضِّيفَانِ، أَهْلُها ذِئابٌ، وكَلَامهُم سِبابٌ، وسَائِلهُم محْرُومٌ، ومَالهُم مَكْتومٌ، لا يجُوزُ إنْفَاقهُ، ولا يُخْلىٰ خِنَاقهُ، حشُوشُهُمْ مسَائِلُ، وطُرُقهُم مزَابِلُ، وحِيطَانهُمْ أخْصَاصٌ، وبيُوتهم أقْفَاص، ولكلِّ مكْرُوهٍ أجَلٌ، وللْبِقَاعِ دِولٌ، والدَّهرُ يَسِيرُ بالْمُقِيم، ويمْزُجُ البُؤسَ بالنَّعِيمِ، وبعْدَ اللَّجَاجةِ انْتَهاء، والهَمُّ إلىٰ فَرْجةٍ، ولكلِّ سَابِلةٍ قرَارٌ، وبالله أسْتَعِينُ، وهو محْمُودٌ علىٰ كلِّ حالٍ»[1].

وفي خَرابِ سُرَّمَرَّىٰ يقول ابنُ المُعتَزِّ (شِعْر):

[الطويل]

غَدَتْ سُرَّمَرَّىٰ في العَفَاءِ كأنَّها ... قَفَا نَبْكِ من ذِكْرىٰ حَبِيبٍ ومَنْزِلِ

أَصْبَحَ أهْلُوهَا شَبِيهًا بِحَالِها ... لَمَّا نَسَجتهُمْ من جَنُوبٍ وشَمْألِ

إذَا ما امْرُؤٌ منهُم شكَا سُوءَ حَالِهِ ... يقُولُونَ لا تَهْلَكْ أسىً وتجَمَّلِ[2]

---

[1] نص الرسالة بتمامها لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٧.

[2] انظر مادة سامراء لدى ياقوت الحموي- ج٣، ص١٧٨.

القَوْلُ في السَّوَاد وصِفَتِهِ وأعْلَامِ حدُودهِ وكُورهِ وطَسَاسِيجهِ وسَببِ مِسَاحةِ أرْضِه وتقْدِيرِ خَراجِهِ وطُولهِ وعرْضهِ

[٧٩ظ] قال المَدَائِنيُّ[١]: السَّوَاد عَشرُ كُورٍ وهو من لَدُنِ القَادِسيَّةِ إلى أوَّلِ حدِّ الجبَلِ دُونَ حُلْوَانَ، والسَّوَاد الذي وقَعتْ عليهِ المِسَاحةُ من لَدُن تُخومِ المُوْصِلِ مادًّا مع الماءِ إلى سَاحِلِ البَحْرِ إلى بِلَادِ عبَّادَانَ من شَرْقيِّ دِجْلَة، هذا طُولُه.

فأمَّا عرْضهُ فحدُّهُ مُنْقَطعِ الجَبَلَ من أرْضِ حُلْوَان إلى مُنْتَهى طرَفِ القَادِسيَّةِ المُتَّصِل بأرْضِ العُذَيْبِ. فهذه حدُودُ السَّوَاد وعليها وُضِعَ الخَراجُ[٢].

وقال الأصْمَعِيُّ[٣]: السَّوَاد سَوَادَانِ فسَوادُ البَصْرَة: الأهْوَاز ودسْتُمَيسانُ وفَارِسُ. وسَوادُ الكُوفَة: كَسْكَرُ إلى الزَّابِ وحُلْوَان إلى القَادِسيَّةِ.

وقال أبو معشر[٤]: إنَّ الكَلْدَانيِّينَ هم الذين كانوا ينْزِلونَ بَابِل في الزَّمانِ الأوَّل. ويقال: إنَّ أوَّل من سكَنهَا وعمَّرهَا نُوح عَلَيهِ السَّلَام وذلك أنَّه نزَلها بعقَبِ الطُّوفانِ.

---

[١] مرت ترجمته ص٢٢٣.

[٢] بنصه لدى أبو عبيد البغدادي:الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨١م.ص٩١؛ الصولي: أدب الكاتب، تصحيح وتعليق: محمد بهجت الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٩٢٣م. ص٢١٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١،ص ٣٠٣.

[٣] تقدمت ترجمته ص١٩٩.

[٤] أبو معشر : نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني. مشهور بكنيته. ضعفه رجال الحديث، توفي ببغداد سنة١٧٠هـ/٧٨٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١٨؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٨، ص١١٤؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٨، ص٤٩٣-٤٩٤.

فصَار هو ومن خرجَ معهُ من السَّفِينةِ إليها لِطَلَبِ الرِّفاءِ[a] فأقَاموا بِها وتنَاسَلُوا فيها وكَثَروا من بعْدِ نُوحٍ، وملَّكُوا عليْهِم مُلوكًا، وابْتَنوا بها المَدَائِنَ، واتَّصَلتْ مسَاكنهُم بِدِجْلَةَ والفُراتِ، إلى أنْ بلَغُوا من دِجْلَةَ إلى أسْفَلِ كَسْكَر ومنَ الفُراتِ إلى ما وراءَ الكُوفَةِ. ومَوْضِعهُم هو الذي يُقَالُ له السَّوادُ.

وكَانتْ ملُوكُهُم تَنْزِلُ بَابِلَ. وكان الكَلْدَانِيُّونَ جنُودَهُم. فلم تزَلْ مملكَتهُم قَائِمةً إلى أنْ قُتِلَ "دَارَا" آخِر ملُوكهِم، ثمَّ قُتِل منهُم خَلقٌ [كَثِيرٌ][b] فذَلُّوا وانقَطعَ مُلْكهُم[1].

وذكر ابنُ الكَلْبيّ[2]: أنَّ مدِينةَ بَابِل كانت اثْني عَشرَ فَرْسَخًا[3] في مِثْل ذلك. وكان بَابُها ممَّا يلِي الكُوفَةِ. وكان الفُراتُ يجْري ببَابِل حتى صرَفهُ بُخْتُ نصَّرٍ[4] إلى مَوْضِعهِ الآن مَخَافَةَ أنْ يهْدِمَ عليه سُورَ المدِينةِ، لأنَّهُ كان يجْرِي معه.

قَال: ومدِينةُ بَابِل بنَاهَا بيوَرَاسب[5] واشْتَقَّ اسمَهَا من اسمِ المُشْتَرَى، لأنَّ بَابِل باللِّسَانِ البَابِلِيّ الأوَّل اسمٌ للمُشْتَرَى. ولَمَّا بنَاهَا جمعَ فيها كلَّ من قَدرَ عليه من

[a] في الأصل: لطلب الدفى، والتصويب من ياقوت: معجم البلدان.

[b] في الأصل: خلقًا. والزيادة من ياقوت.

[1] أورد ياقوت الحموي هذه الأخبار بتمامها في مادة السواد، وعزاها إلى المصادر المذكورة آنفًا. راجع: ج٣، ص٢٧٣.

[2] هشام بن محمد، انظر فيما تقدم ص١٢٨.

[3] الفرسخ: ثلاثة أميال، وبالأطوال الحديثة حوالي ٦ كيلومترات. انظر: فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٤.

[4] مرت ترجمته ص١٦٣.

[5] بيوراسب أو بيوراسف. وقد تقدمت ترجمته.

العُلَماءِ. وبنىٰ لهم اثني عشَر قَصْرًا علىٰ عدَدِ [٨٠و] البُروج وسمَّاها بأسْمَائِهم. فلمْ تزل عَامِرةً حتىٰ خرَجَ الإِسْكَندرُ فأخْرَبها[١].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].فَرُوِيَ عن الأعْمَشِ[٢] قال: كان مجاهِدٌ[٣] لا يَسْمعُ بشَيءٍ من الأعَاجِيبِ إلَّا مضَىٰ حتىٰ ينْظُر إليه، وإنَّه صَارَ إلىٰ حضْرمَوْتَ حتىٰ نظَر إلىٰ بئر بَرْهُوتَ[٤].

وأتىٰ بَابِلَ فَلقِيهُ رجُلٌ من رُؤسَاءِ أهْلهَا كانَ عَارِفًا به. فلمَّا لقِيهُ أكْبرهُ وقال له: أبا الحَجَّاج، ما تَصْنعُ هَاهُنا؟! قال: حَاجةٌ لي إلىٰ رَأسِ الجَالُوتِ، أُحِبُّ أنْ تُدْخِلني إليه وتُعَرِّفهُ من أنا. فأدْخَلهُ إليه وعرَّفهُ محلَّهُ ومَوْضِعهُ. وقال له: حَاجةٌ إليك؟ قال: ومَا حَاجتُكَ؟ قال: تَأمُر بعضَ اليهُودِ أن يُرِيَني هَارُوتَ ومَارُوتَ.

فامْتَنعَ عليه طَوِيلًا، ثمَّ قال لهُ: أخْشَىٰ أنْ لا تتَمسَّكَ. قال: أرْجُو أنْ لا يكُونَ إلَّا ما تُحِبُّ. فأرْسلَ إلىٰ رجُلٍ من اليَهُودِ فقال: اذْهَبْ بهذا، فأدْخِلهُ إلىٰ هَارُوتَ ومَارُوتَ. فقال له اليهُوديُّ: كيف تجِدُ قَلْبكَ؟ قال: ما شِئتَ.

---

[١] أورد ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه ونسبه إلى هشام بن محمد الكلبي. انظر: مادة بابل، ج١، ص٣١٠.

[٢] سليمان بن مهران الأسدي. أبو محمد، الملقب بالأعمش، من كبار التابعين، وأحد العلماء بالقرآن والفرائض والحديث. توفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م.

انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٤٢-٣٤٣، البخاري: التاريخ الكبير،ج٤، ص٣٧-٣٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٥؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٢، ص٧٦.

[٣] أي مجاهد بن جبر، وقد مرت ترجمته ص١٠٨.

[٤] بئر بحضرموت: يقال إن ماءه أسود منتن تذهب إليه أرواح الكفار. انظر مادة برهوت لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٥-٤٠٦.

فَانْطَلَقَ به إلىٰ مَكانٍ غَامضٍ في الصَّحْراءِ، وإذا صَخْرةٌ عظِيمةٌ فتكلَّم عليها كَلَامـاً ذكَر أنَّه من التَّوْراةِ. فأقْبَلتْ تهتَزُّ، ثمَّ رفعَهَا وأزَاهَا عن مكَانها وكَانتْ لا يقِلُّهَا مائةُ رجُلٍ. وإذا تحتَها شَبِيهٌ بالسَّربِ. فقال له اليهُودِيُّ: تعَلَّقْ بي وانظُر أنْ لا تَذْكُر الله. فنَزلَ معهُ مُجاهِدٌ فلَمْ يزل يَهوي به حتىٰ صَارَ إلىٰ فضَاءٍ عَظِيمٍ، وإذا هُما مِثل الجَبَلَينَ العَظِيمينِ، منْكُوسانِ علىٰ رُؤوسِهمَا، وعلَيْهُما الحَدِيدُ من أعْناقِهمَا إلىٰ أقْدَامِهمَا مُصَفَّدِينَ به ، فلمَّا رآهُما مُجاهِدٌ لم يمْلِك نَفْسَه أنْ ذكَر اللهَ ﷻ فاضْطَربَا اضْطِرابـاً شَدِيدًا حتىٰ كادَا أنْ يقْطَعا ما عليهما من الحَدِيدِ.

وخَرَّ اليهُودِيُّ ومُجاهِدٌ علىٰ وجُوهِهِما وقْتًا طَويلًا، ثمَّ أفاقَا فقال اليهُوديُّ لمُجَاهِدٍ: الم أتقَدَّمْ إليك ألَّا تذْكُر الله؟! كِدنَا والله، أنْ نهْلَك ولا نقْدِرَ علىٰ الخُروجِ أبدًا. فتعَلَّقَ به مُجاهِدٌ، فلم يزل يصْعُد به حتىٰ خَرجَا إلىٰ الأرْضِ[١].

ويُقال أنَّ عُمَر بن الخطَّابِ سأل دَهْقَانَ الفَلُّوجَة عن عجَائِب بِلادِهم. فقال: كانتْ بَابِلُ سَبْع مُدنٍ، في كلِّ مدَينةٍ أعْجُوبةٌ ليْسَتْ في [٨٠ظ] الأُخْرىٰ، فكانَ في المدِينةِ التي ينْزِلُها المَلكُ بيْتٌ فيه صُورةُ الأرْضِ كلِّها برَسَاتِيقِها وقُراهَا وأنهَارهَا. فمتَىٰ التَوىٰ [أحدٌ][a] بحَمْلِ الخَراجِ أو غَيرهُ [من][a] أهْلِ بَلدٍ من جمَيعِ البُلْدانِ، خرَقَ أنهَارهُم فغرَّقتْهُم وأتْلفتْ زُرُوعهُم وجمِيعَ ما في بلَدِهمْ حتىٰ يرْجِعُوا عما همُّوا به. ثمَّ يسُدَّ بأصْبعِهِ تلك الأنهارَ فتَنْسَدُّ في بلَدِهم.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

---

[١] لم أقف على هذه الرواية في أي من المظان المعتبرة، ولا تصح نسبة هذه الحكايات - المختلقة والدخيلة على تراثنا الإسلامي - إلى تابعي كبير في حجم مجاهد بن جبر.

وفي المدِينةِ الثَّانيةِ حوْضٌ عظِيمٌ، فإذا جمعهُم الملِكُ لحضُور مَائِدتهِ حمَلَ كلُّ رجُلٍ ممَّنْ يحْضُرهُ من منْزِلهِ شرَاباً يخْتَارهُ. ثمَّ صَبَّهُ في ذلك الحوْضِ. فإذا جلَسُوا علىٰ الشُّربِ شَرِبَ كلُّ واحِدٍ شَرابَهُ الذي حمَلهُ من منْزِلهِ.

وفي المدِينةِ الثَّالثةِ طَبْلٌ مُعَلَّقٌ علىٰ بَابِها، فإذا غَابَ من أهْلِها إنْسَانٌ وخَفِي أمْرهُ علىٰ أهلِهِ وأحَبُّوا أنْ يعْلَموا أحَيٌّ أم مَيِّتٌ، ضَربُوا ذلك الطَّبْلَ، فإن سَمِعُوا له صَوْتاً فإنَّ الرَّجُلَ حَيٌّ، وإنْ لم يسْمَعُوا صَوْتاً فإنَّ الرَّجُل قدْ ماتَ.

وفي المدِينةِ الرَّابعةِ مِرْآةٌ من حَديدٍ. فإذا غَابَ الرَّجلُ عن أهْلِهِ فأحبُّوا أنْ يعْرِفوا خَبَرَهُ علىٰ صِحَّتِهِ، أتَوا تِلكَ المِرآةَ فنَظَروا فيها، فيَرَونهُ علىٰ الحَالِ التي هو فيها. وفي المدِينةِ الخَامِسةِ إوِزَّةٌ من نُحَاسٍ علىٰ عَمُودٍ من نُحَاسٍ منْصُوبٌ علىٰ بَابِ المدِينةِ. فإذا دَخلهَا جَاسُوسٌ صَوَّتتِ الإوِزَّةُ بصَوْتٍ يسْمعُهُ سَائرُ أهْلِ المدِينةِ، فيعْلَمونَ أنْ قد دخَلهَا جَاسُوسٌ.

وفي المدِينةِ السَّادِسَةِ قَاضِيانِ جَالِسانِ علىٰ الماء. فإذا تقدَّمَ إليهما الخَصْمانِ وجَلسَا بين أيديهما غاص المُبْطِلُ منهُما في الماءِ وثَبَت المُحِقُّ. وفي المدِينةِ السَّابِعةِ شَجَرةٌ من نُحَاسٍ، ضَخْمةٌ، كثِيرةُ الغصُونِ، لا تظِلُّ سَاقُهَا، فإنْ جلَسَ تحْتَها واحِدٌ أظَلَّتهُ إلىٰ ألفِ نفْسٍ، فإنَّما تُظِلُّهم كلُّهم، فإنْ زادُوا علىٰ ألْفِ واحدًا صَاروا كلُّهُم في الشَّمْسِ[1].

---

[1] أورد ياقوت الحموي هذه العجائب السبعة–التي ذكرها ابن الفقيه– بتمامها في مادة بابل معلقًا على تلك المادة بقوله: «... قلت وهذه الحكاية كما ترى خارقة للعادات، بعيدة من المعهودات، ولو لم أجدها في كتب العلماء لما ذكرتها. وجميع أخبار الأمم القديمة مثله، والله أعلم». انظر: معجم البلدان، ج١، ص٣١٠-٣١١.

وقال يَزِيدُ بن عُمَر الفَارِسيُّ[١]: كانت مُلوكُ فَارِسَ تعُدُّ السَّوَاد اثْني عشَر إسْتَانـًا وتحْسُبهُ ستِّينَ طَسُّوجـًا. وتفْسِيرِ الإسْتَانِ[٢] "إحازة" وترْجمَةُ الطَّسُّوج : نَاحِيةٌ[٣]. وكان الـمَلِكُ من ملُوكِهم إذا عُنِيَ بحَيِّزٍ من الأرْضِ عَبْرهُ وسمَّاهُ باسْمِهِ.

وكانوا ينزلونَ [٨١و] السَّوَاد لما جمَعَ الله في أرْضِهِ من مرَافِقِ الخيْراتِ وما يُوجدُ فيها من غضَارةِ العَيْشِ وخِصْبِ المحَلِّ وطِيبِ المُسْتقَرِّ ولِما ينْصبُّ إليها من مَوادِّ الأطْرافِ ومنَافِعهَا وسَعةِ مِيرهَا من أطْعِمتِهَا وأدْوِيتِهَا وأمْتِعتِها وعِطْرِها ولطِيفِ صِناعَاتِها.

وكانوا يشَبِّهُونَ السَّوَاد بالقَلْبِ وسَائِر الدُّنْيا بالبَدَنِ، ولذلك سمَّوهُ: دِلْ إيرَانْشَهْر، أي قَلْبَ إيرَانْشَهْر، وإيرَانْشَهْر: الإقْلِيم المُتوسِّط لجميع الأقَالِيم. وإنما شَبَّهُوهُ بذلك لأنَّ الآراَء تَتَشعَّبُ عن أهْلِه بصِحَّةِ الفِكْر والرَّوِيَّةِ، كما تَتَشعَّبُ من القَلْبِ بدَقائِق العُلومِ ولطَائفِ الآدَابِ والأحْكَامِ الكِتَابيَّةِ. فأمَّا ما حوْلَها من البِلادِ فأهْلُها يسْتَعْمِلون أطْرافَهُم بالمُبَاشَرةِ والعِلاجِ.

وخِصْبُ بِلادِ إيرَانْشَهْر بسُهُولٍ لا عَوائِقَ فيها ولا شَواهِقَ تشِينُها ولا مَفاوِزَ مُوحِشةً ولا بَرارِيَ مُنْقَطِعةً عن تَواصُلِ العِمارةِ. والأنْهار المـُطَّرِدة في رسَاتِيقِها وبين

---

[١] لم أجد له ترجمة، وربما كان: زاذان أبو عمر الفارسي، أدرك عمر، وكان من أصحاب عبد الله، وكان من شيعة علي، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر في ترجمته: الدولابي: الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٧٧٣.

[٢] الإسْتَان والكُورَة واحد. وينقسم الإسْتَان إلى الرساتيق، وينقسم الرستاق إلى الطَّسَاسِيج، وينقسم كل طَسُّوج إلى عدة من القرى. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج١، ص٣٧.

[٣] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٨٨٩م، ص٥-٦.

قُرَاهَا. مع قِلَّةِ جبَالِها وآكَامِهَا وتكَاثُفِ عِمارتِهَا وكثرة أصْنَافِ غَلَّاتها وثِمارِهَا والْتِفافِ أشْجَارهَا وعُذُوبةَ مائِها وصَفْوِ هَوائِها وطِيبِ تُرْبَتهَا. مع اعْتِدالِ طِينَتِها وتَوسُّطِ مِزَاجِهَا وكثْرةِ أجْناسِ[الطَّيْر و][a] الصَّيْد في ظِلالِ شَجَرِهَا وبين عُشْبِها وخِلَال زَهْرتِها من طَائِرِ[بجناحٍ] [a] ومَاشٍ علىٰ ظِلفٍ وسَابحٍ في البَحْرِ.

آمِنة ممَّا ينَالُ البُلْدانَ من غَارَاتِ الأعْداءِ وبوائِقِ المُخَالِفِينَ، مع ما خُصَّتْ به من الرَّافِدين دِجْلَةَ والفُراتِ، إذا هما مَادَّانِ لا ينْقَطِعانِ شِتَاءً ولا صَيْفاً علىٰ بُعْدِ منَابِعِهما، ونُزُوحِ مُبْتَدأهمَا [فإنه][a] لا ينْتَفعُ منهُما بكَثيرِ عِمَارةٍ حتىٰ يدْخُلاها، فيَسِيحُ ماؤهُما في جِنانِها ويَتَبطَّحُ بين رَسَاتِيقِهَا. فتَأْخُذ صَفْوهُ وعُذُوبتهُ وتُرسِلُ كدَرهُ وأجنهُ [إلىٰ البحر][b] . هذا قَليلٌ من كثِيرِ وصْفِها، ويَسِيرٌ من نَعْتِ جَلِيلِها[1] .

قالوا: وأوَّلُ طُولِ السَّوَاد علىٰ ما حَدَّتهُ ملُوكُ فَارِسَ من قَرْيةٍ تُعْرفُ بالعَلْثِ[2] علىٰ حدِّ طَسُّوج بزُرْجَسَابُور من شَرقيِّ دِجْلَةَ، وقَرْيةٍ في غرْبيِّ دِجْلَةَ مُقَابلَتَها حَرْبَىٰ[c][3] علىٰ حَدِّ طَسُّوج مَسْكن، بينهما عَرْض دِجْلَة، إلىٰ آخر الكُورَة المعروفة

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

[b] التتمة من ياقوت.

[c] رسمت في الأصل: تجري.

---

[1] نقل ياقوت الحموي مقالة "يزيد بن عمر الفارسي" بتمامها من ابن الفقيه دونما إشارة أو تصرف. انظر: مادة السواد، ج٣، ص٢٧٣.

[2] العلث: قرية في أول العراق تقع على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص١٤٥.

[3] حربى: بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت. نفسه:ج٢، ص٢٣٧.

[٨١ظ] ببَهْمنْ أرْدَشِيرَ، وهي فُراتُ البَصْرَةِ إلىٰ جَزيرةٍ منها متَّصِلةٍ بالبَحْر تُعْرفُ بمَيَانُ رُوذَان[1] وهو مِائةُ فرْسَخٍ وخمْسةٌ وعشْرُون فرْسَخاً.

وعَرضُهُ من عَقبةِ حُلْوَان إلىٰ أنْ يَنْتَهي إلىٰ العُذَيبِ، وذلك ثمانُون فَرْسخاً[2]، يكون جُملةُ ذلك مُكسَّرًا عشْرةَ آلافِ فَرْسخٍ. والفَرْسخُ اثنيٰ عشَر ألْفَ ذِراعٍ بالذِّراعِ المُرسَلةِ[3]، يكُون بالذِّراعِ الهَاشِميَّةِ تِسْعةَ آلافِ ذِرَاعٍ، وهو مِائةُ وخمْسونَ أشْلًا، يكون ذلك في مِثْلهِ اثْنينِ وعشْرينَ ألفاً وخمْسمائةِ جَريبٍ، هذا لكلِّ فَرْسخٍ.

فإذا ضُربَتْ في عشْرةِ آلافٍ بلغَتْ مائتَي ألْفِ ألْفٍ و[خمْسَة] وعشْرينَ ألْفَ [ألفِ] جريبٍ، يسْقُط منها بالتَّخْمينِ آكَامُها وآجَامُها وسِبَاخُها ومجَاري أنْهَارهَا ومَواضِعُ مدُنها وقُرَاهَا ومدىٰ ما بين طَرفَيْها الثُلثُ، فيَبْقىٰ مائةُ ألْفِ ألْفٍ وخمْسُون ألْفَ ألْفِ جَريبٍ، يُراحُ منها النِّصْفُ ويُعمَّر النِصْفُ علىٰ ما فيها من الكَرمِ والنَّخْلِ والشَّجرِ والعِمَارةِ الدَّائمةِ المتَّصِلةَ. فيقَعُ التَّخْمينُ بالتَّقْريبُ علىٰ كلِّ جَريبٍ قيمَةُ ما يلْزمُهُ للخَراجِ دِرْهَمانِ، وذلك أقلُّ من العُشْرِ، علىٰ أنْ يُضْربَ بعضُ ما يوجَد فيها من أصْنافِ الغَلَّات ببعْضٍ سِوىٰ خَراجِ أهْلِ الذِّمةِ وسِوىٰ الصَّدقةِ، فإنَّ ذلك لا يدْخُل في الخَراجِ، فيَبْلغُ ذلك مائةَ ألْفِ ألْف وخمْسِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ مثَاقِيلَ.

---

[1] ميان روذان: لفظة فارسية تعني وسط الأنهار فلفظة ميان أي وسط، وروذان الأنهر. انظر : ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٩.

[2] قارن: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣٥؛ أبو عبيد البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٤٢.

[3] الذراع المرسلة: هي عين الذراع الشرعية أو ذراع اليد، وتساوي وفق الأطوال الحديثة:[٤٩,٨٧٥] فالترهنتس: المكاييل والموازين، ص٨٩.

وكانتْ غَلَّاتُ السَّوَادِ تجْرِي علىٰ المُقَاسمَةِ[١] في أيَّامِ ملُوكِ فَارِسَ إلىٰ أنْ ملَكَ قُبَاذ بن فيْرُوزَ[٢]، فإنَّه مسَحهُ وجعَلَ علىٰ أهْلِه الخَرَاجَ. وكانَ السَّببُ في ذلك أنَّه خَرجَ ذاتَ يوْمٍ متَصيِّـدًا فانفرَد من أصْحَابهِ في اتِّباعِ صَيدٍ طرَدَه حتىٰ وغِلَ في شَجرٍ ملْتفٍّ، وغَاب الصَّيدُ الذي اتَّبعهُ عن بصَرهِ فقَصد إلىٰ رَابيةٍ يتشرَّفُ عليها فإذا تحْتَ الرَّابيةِ قَريةٌ كَبيرةٌ.

ونظَر إلىٰ بُسْتانٍ قَريبٍ منه فيه نخْلٌ ورُمَّانٌ وغير ذلك من أصْنافِ الشَّجَرِ وإذا امْرأةٌ واقِفةٌ علىٰ تنُّورٍ تخْبزُ ومعهَا صَبيٌّ لها، كلَّما غفَلتْ عنه مضَىٰ إلىٰ شَجَرةِ رُمَّانٍ مثْمِرةٍ ليَتناوَل من رُمَّانِها، وهي تمْنَعهُ من [٨٢و] ذلك ولا تتْركُهُ يأْخذ شَيئًا منه فلمْ تزَلْ كذلك حتىٰ فرَغتْ من خُبْزِها وجميعَ ما هي والصَّبيُّ فيه بمَشْهدٍ من الملِكِ.

فلمَّا ألحَقهُ أصْحَابهُ ووزَرَاؤهُ قصَّ[a] عليهم ما رَأىٰ من المَرْأةِ والصَّبيِّ، ووجَّه إليها من سَألهَا عن السَّببِ الذي من أجْلهِ منَعتْ ولدَهَا أنْ يتناوَل شَيئًا من الرُّمَّانِ فقالت: للمَلِكِ فيه حِصَّةٌ ولم يأتِنَا المُسْتأذُونَ[b] بعْدُ لقَبْضِها وهي أمَانةٌ في أعْنَاقِنا لا يجُوزُ أن نخُونَها ولا نتَناوَلُ من جميعِ ما تحْت أيْدِينَا شيْئًا حتىٰ يَأْخذَ[c] الملِكُ حقَّهُ.

---

[a] في الأصل: قبض. [b] في ياقوت: المأذون. [c] في ياقوت: يستوفي.

---

[١] المقاسمة: من نظم جباية الضرائب لدى الفرس، واستخدم في صدر الدولة الإسلامية. عنه انظر: أبو يوسف القاضي: كتاب الخراج، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ. ص٥٤-٥٥، ٩٢-٩٣؛ الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٩٨.

[٢] قُبَاذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور، من ملوك بلاد فارس، امتد حكمه من سنة "٤٨٨" حتى سنة "٥٣١" للميلاد. وامتد ملكه ٤٣سنة عنه انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٣٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٠-٩٥؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٨٠م، ج٥، ص٢١٠.

فلمّا سمِعَ قُبَاذ قولَها أدْرَكتهُ الرِّقةُ عليها وعلىٰ الرَّعِيَّـةِ وقال لوُزرَائهِ: إنَّ الرَّعيَّةَ في شِدَّةٍ شَدِيدةٍ وسُوءِ حَالٍ[a] بما في أيْدِيهم من غَلَّاتِهم؛ لأنَّهم ممنُوعونَ من الانْتِفاعِ بشَيءٍ من ذلك حتىٰ يرِدَ عليهم من يأخُذُ حقَّنا منهُم، فهَلْ عِنْدكُم حِيلَةٌ نُفـرِّجُ بها عنهم ما هم فيه؟!.

فقال بعض وُزرَائهِ: نعم، يأمُرُ المـلِكُ بالمِسَاحةِ عليهم و[يأمر أن][b] يُلْزِم كلَّ جَريبٍ من كلِّ صَنْفٍ بقَدرِ ما يخصُّ الملِكَ من الغَلَّةِ ليؤدِّي ذلك إليه ويُطلَقُ أيْدِيهِم في غلَّاتِهم، ويكُونُ ذلك علىٰ قُرْبِ مخَارِجِ المِـيَرِ وبُعْدِهَا من المُمْتَارين.

فأمَر قُبَاذ بمِسَاحةِ السَّوَادِ وألْزمَ الرَّعيَّةَ الخَراجَ بعْدَ حطِيطَةِ النَّفَقةِ والمؤْنةِ علىٰ العِمَارةِ والنَّفقَةِ علىٰ كَرْيِ الأنْهَار وسِياقَةِ الماءِ وإصْلاحِ البَرنْدَاتِ[c][1] وأنَّ جميعَ ذلك علىٰ بَيْتِ المال.

فبَلغَ خَراجُ السَّوَادِ في تِلكَ السَّنةِ مائةَ ألْفِ ألْفٍ وخمسِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ مثَاقِيلَ. فحسُنتْ أحْوالُ النَّاسِ ودعَوا للمَلِكِ بطُولِ البقَاءِ لِما أتاهُم من العَدْلِ والرَّفَاهِيـةِ[2].

---

[a] في ياقوت: «في بلية وشدة وسوء حال»

[b] التتمة من ياقوت.

[c] في ياقوت: البريدات.

---

[1] البرندات: ويقال البريدات، وهي لفظة فارسية تعني مفاتيح الماء. انظر: أبو يوسف القاضي، كتاب الخراج، ص١١٠.

[2] انظر: مادة السواد لدى ياقوت الحموي، ج٣، ص٢٧٣-٢٧٤.

(* [كُوَر وطَسَاسِيجِ السَّوادِ]

وكان أوَّلُ ما يعدُّ من السَّوَادِ كُورَة إسْتَانِ خُسْرَوْ شَاذ فَيْرُوز[a] وهي كُورَةُ حُلْوَانَ. خمْسَة طَسَاسِيج: طَسُّوجُ فَيْرُوز قُبَاذ[b]، طَسُّوجُ الجَبل، طَسُّوجُ تَامَرَّا، طَسُّوجُ إرْبِلَ، طَسُّوجُ خَانِقِين.

[الجَانب][c] الشَّرْقِيّ

سَقْي دِجْلَة وتَامَرَّا

كُورَة إسْتَان شَاذ هُرْمُز[d]. سَبْعَةُ طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ بُزُرْجَسَابُور، طَسُّوجُ نَهْرِ بُوقَ، طَسُّوجُ [٨٢ظ] كَلْوَاذَىٰ ونَهْر بِينَ، طَسُّوجُ جَازِرَ، طَسُّوجُ المدِينةِ العتِيقَةِ، طَسُّوجُ رَاذَان الأعْلىٰ والأسْفَلِ. كُورَة[1] إسْتَان شاذ قُبَاذ[e].

ثمانيةُ طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ رُوسْتَقُبَاذ، طَسُّوجُ مهْرُوذَ، طَسُّوجُ جَلُولَاء وجَلُولَاء[f]، طَسُّوجُ الذِيبَيْنِ، طَسُّوجُ البَنْدَنيجَيْنِ، طَسُّوجُ بَرَاز الرُّوز، طَسُّوجُ الدَّسْكَرةِ والرَّساتِيقِ[g]. كُورَة إسْتَان بَازِيجَان، خمْسَة طَسَاسِيج: طَسُّوجُ النَّهْرَوانِ

---

[a] في ابن خُرَّداذْبه: إستان شاذ فيروز.

[b] في قدامة: طسوج شاذ فيروز قباذ.

[c] ساقطة من الأصل: والتتمة من ابن خُرَّداذْبه.

[d] في قدامة: إستان شاذ قباذ.

[e] في قدامة: إستان خسرو شاذ هرمز.

[f] في ابن خُرَّداذْبه؛ وقدامة: جلولاء وجللتا.

[g] في ابن خُرَّداذْبه: الدَّسكرة والرستاقين.

(* من هنا يبدأ النص الذي استخرجه "ابن الفقيه" من كتاب "المسالك والممالك"، لابن خُرَّداذْبه

[1] راجع: ابن خُرَّداذْبه، ص٦-٧؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص١٦٠، وراجع: [مادة شاذ هرمز] لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٠٤-٣٠٥.

الأعلى، طَسُّوجُ النَّهْرَوانِ الأسْفلِ، طَسُّوجُ النَّهْرَوانِ الأوْسَط، طَسُّوجُ بادَرَيا، طَسُّوجُ بَاكُسَايَا.

سَقْي دِجْلَـة والفُرَات

كُورَة إسْتَان شَاذ شَابُور، وهي كَسْكَر. أرْبعَةُ طَسَاسِيج: طَسُّوجُ الزَّنْدَوَرْدِ، طَسُّوجُ البَزْبُون[١] طَسُّوجُ الإسْتَان، طَسُّوجُ الجوَازر[٢].

كُورَة إسْتَان شَاذ بهْمَن[a] [٣]، وهي كُورَة دِجْلَةَ. أربعةُ طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ بهْمَن أرْدَشِيرَ، طَسُّوج ميْسَانَ، طَسُّوجُ دَسْتُميْسَانَ، وهو الأُبلَّةُ.

قال غَيْلَانُ بن سَلَمَةَ الثَّقفِيُّ[٤]، (شِعْر):

[الكامل]

ظَلَّتْ تَحِيدُ من الدَّجَاجِ وصَوْتِهِ ... وصَرِيفِ بَابٍ بالأُبلَّةِ مُغْلَقِ

طَسُّوج أبْزَقُبَاذ. خَراجُ كُور دِجْلَة: ثَمانِيةُ آلاف ألْفِ دِرْهمٍ وخمْسُمائةِ ألْفِ دِرْهمٍ.

---

a) في قدامة: خسرو شاذ بهمن.

---

١ وردت هذه اللفظة لدى ابن خُرَّداذْبه مرتين، مرة طسوج الثرثور، ص٧، ومرة أخرى طسوج البزبون. وهو الصواب، وأيضًا لدى قدامة بن جعفر، ص١٦٠.

٢ راجع: ابن خُرَّداذْبه، ص٧؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٠؛ ومادة شاذ شابور لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٤.

٣ انظر: مادة شاذ بهمن لدى ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٤.

٤ غيلان بن سلمة الثقفي، حكيم وشاعر جاهلي، أسلم بعد فتح الطائف، وتوفي في آخر خلافة عمر في عام ٢٣هـ/٦٤٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٦.

[من غربي دجلة][a]

سَقْيُ الفُرَات ودُجِيلَ

كُورَة إسْتَان العَالِي[b]. أربعةُ طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ فَيْرُوز سَابُور، وهو الأنْبَارُ، طَسُّوجُ مسْكِنَ. قال ابن قَيْس الرُّقَيَّات[1] (شِعْر):

[الكامل]

إنَّ الرَّزِيَّةَ يَوْمَ مَسْكِنَ   والمُصِيبَةَ والفَجِيعَةْ

وطَسُّوج قُطْرَبُّل وطَسُّوجُ بَادُورَيَا.

كُورَة إسْتَان أَرْدَشير بَابَكان[2]. خَمْسَةُ طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ بَهُرَسِيرَ، طَسُّوجُ الرُّومَقَان، طَسُّوجُ كَوثَى، طَسُّوجُ نَهْر دَرْقِيطَ، طَسُّوجُ نَهْر جُوبَر.

كور إسْتَان دونق ماسيان[3] وهي الزَّوابِي. ثلاثَةُ طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ الزَّابِ الأعْلَى، طَسُّوجُ الزَّابِ الأوْسَط، طَسُّوج الزَّابِ الأسْفَلِ.

(a) الزيادة من: ابن خُرَّداذْبه.

(b) في الأصل: إستان الكاليا. والتصويب من ابن خُرَّداذْبه؛ وقدامة؛ وياقوت.

---

[1] ابن قيس الرُّقيَّات: عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، شاعر قريش في العصر الأموي، لقب بابن قيس الرقيات: لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية، توفي بالشام سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٨، ص٩٤-٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات،ج١٩، ص٢٦٣.

[2] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٧-٨.

[3] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٨؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦١.

كُورَة بِهْقُبَاذ الأَوْسَط[١] أَرْبعَةُ طَسَاسِيجَ، طَسُّوجُ الجُبَّةِ [٨٣و] والبُدَاة، طَسُّوجُ سُورَا وبَرْبِيسَما، طَسُّوجُ بَارُسَمَا، طَسُّوجُ [نَهْر][a] المَلِكِ.

كُورَة إِسْتَان بِهْقُبَاذ الأَسْفَلِ. خَمْسَة طَسَاسِيجَ: طَسُّوجُ نِسْتَر، طَسُّوجُ فُرَاتِ بَادَقْلي، طَسُّوجُ السَّيْلَحِينَ، طَسُّوجُ رُوذمسْتَانَ، طَسُّوجُ هُرْمُزْجرْدَ.

تَقْدِيرُ السَّوَاد[٢]

الجانب الغربي

(b سَقْيُ الفُراتِ ودُجَيْلَ b)

طَسُّوجُ الأَنْبَار. رَسَاتِيقُهُ خَمْسَةٌ، بَيَادِرُه[٣] مِائَتَانِ وخَمْسُون بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفَانِ وثَلاثُمِائَةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفُ وأَرْبَعُمِائَةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: ثَلاثُمِائَةِ أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوج قُطْرَبُّل. رَسَاتِيقُهُ: عشَرَةٌ، بَيَادِرُهُ: مِائَتَانِ وعشْرُونَ بَيْدَرًا ، الحِنْطةُ: أَلْفَا كُرٍّ ، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرٍّ، الوَرِقُ: ثَلاثمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ابن خُرَّداذْبه.

(b-b) في الأصل: سقي دجلة والفرات، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المصدر السابق، ص٨، وراجع مادة إستان البهقباذ لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٧٤؛ ص٥١٦.

[٢] أورد قدامة بن جعفر تقديرات السواد مشيرًا إلى ذلك بقوله: «ولنبتدئ بذكر ارتفاع السواد بحسب ما هو عليه في ذلك الوقت وعلى عبرة سنة مائتين وأربع، وهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحضرة، لأن الدواوين أحرقت في الفتنة التي كانت في أيام الأمين، المعروف بابن زبيدة، وهي سنة ثلاث وثمانين ونسق ذلك، وحد العراق من جهة الغرب على هذا التفصيل...» انظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٢.

[٣] البيدر: الجمع بيادر، وهو الموضع الذي يجمع فيه الحب. انظر: المعجم الوسيط، ج١، ص٧٨.

طَسُّوجُ مَسْكِنَ. رَسَاتِيقُه: سِتَّةٌ، بَيَادِرُهُ: مِائَةٌ وخَمْسُون بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: ثلاثَةُ آلافِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفَ كُرٍّ[a] ، الوَرِقُ: مِائَةُ أَلْفٍ وخَمْسُون أَلْفَ دِرْهَمٍ.

طَسُّوج بَادُورَيَا. رَسَاتِيقُهُ: عشرةٌ، بَيَادِرُهُ: أَرْبَعمائةٍ وعشْرُونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: ثلاثَةُ آلافِ كُرٍّ وخَمْسُمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفَا كُرٍّ، الوَرِقُ: أَلْفُ أَلْفِ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ بَهُرَسِيرَ. رَسَاتِيقُه عشَرَةٌ، بَيَادِرُهُ: مِائَةٌ وأَرْبَعونَ[b] بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفٌ وسَبعُ مِائَةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وسَبْعِمائةِ كُرٍّ[c]، الوَرِقُ: مِائَةُ أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ[١].

طَسُّوجُ الرُّومَقَانِ. رَسَاتِيقُهُ: عشرةٌ، بَيَادِرُهُ: مِاتَانِ وأَرْبَعُونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَة ثَلاثَةُ آلافِ وثلاثُمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: ثلاثَةُ آلافِ وخَمْسُونَ كُرًّا، الوَرِقُ: خَمْسُمائةِ أَلْفِ وأَرْبَعُونَ[أَلف] دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ كَوثى. ورَسَاتِيقُهُ تِسعةٌ، بَيَادِرُهُ: مِاتَانِ وعشَرَةُ بَيَادِرَ، الحِنْطَةُ: ثَلاثَةُ آلافِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفَا كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ نَهْر دَرْقِيطَ. رَسَاتِيقُهُ: ثَمانيةٌ، بَيَادِرُهُ: مِائَةٌ وخَمْسَةٌ وعشْرُونَ بَيْدَرًا ، الحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِاتَا أَلْفِ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ نَهْر جُوْبَر. ورَسَاتِيقُهُ: عشرةٌ، بَيَادِرُهُ: مِاتَانِ وسِتَّةٌ [٨٣ظ] وعشْرونَ بَيْدَرًا ، الحِنْطَةُ: أَلْفَان وسَبْعِمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: عشرةُ آلافِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

---

[a] لدى ابن خُرَّداذْبه: ألفا كر.

[b] لدى ابن خُرَّداذْبه: ماتان وأربعون.

[c] لدى ابن خُرَّداذْبه: تسعمائة كر.

[d] في المسالك والممالك: ماتا ألف وخمسون ألف درهم.

---

[١] راجع: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٨-٩؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٣.

كُورَةُ الزَّوَابِي. ثَلاثَةُ طَسَاسِيجَ، رسَاتِيقُها اثنىٰ عشرَ، بَيَادِرُها: مِائتَان وأَرْبَعةٌ وأَرْبعُون بَيْدَرًا ، الحِنْطَةُ: أَلْفٌ وأَرْبعمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: سَبْعةُ آلافٍ ومِائتا كُرٍّ، الوَرِقُ: أَلْفُ أَلْفِ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ بَابِلِ وخَطَرْنِيةَ. الرَّسَاتِيقُ: إثنىٰ عشر، البَيَادِر: ثلاثُمائةٍ وسبْعُونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: ثلاثةُ آلافِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: خمْسَةُ آلافِ كُرٍّ، الوَرِقُ ثلاثُمائةِ أَلْفٍ وخمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ الفَلُّوجةِ العُلْيا. رسَاتِيقُهَا خمْسةَ عشرَ، البَيَادِرُ: مِائتَانِ وأَرْبَعونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: خمْسُمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: خمْسُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: سبْعُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ. طَسُّوجُ الفَلُّوجةِ السُّفْلىٰ. الرَّسَاتِيقُ: سِتَّةٌ، البَيَادِرُ: [a] اثْنَانِ وتسْعُون بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: ثلاثةُ آلافِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفٍ وثمانُون أَلْفَ دِرْهمٍ[a] .

طَسُّوجُ النَّهرَيْنِ. الرَّسَاتِيقُ: ثَلاثَةٌ، البيَادِرُ: مِائةٌ وواحَدٌ وثمانُونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: ثلاثُمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَرْبعمِائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: خمْسَةٌ وأربعُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ. طَسُّوجُ عَيْنِ التَّمْرِ. الرَّسَاتِيقُ: ثَلاثةٌ، البيَادِرُ: أَرْبعَةَ عشَرَ، الحِنْطَةُ: ثَلاثُمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَرْبعُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: خمْسَةٌ وأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ[1] .

طَسُّوجُ الجُبَّةِ والبُداةِ. الرَّسَاتِيقُ: ثَمانِيةٌ، البَيَادِرُ: واحدٌ وسَبْعُون بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفٌ ومِائتَا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وستمِائة كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفٍ وخمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

(a-a) لدى ابن خُرَّداذْبه: « البيادر اثنان وسبعون بيدرًا الحنطة خمس مائة كرّ، الشعير خمس مائة كرّ، الورق سبعون ألف درهم»

---

[1] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٩-١٠؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٣-١٦٤.

طَسُّوجُ سُوارَ وبَرْبِيسَمَا: الرَّسَاتِيقُ: عشرَةٌ، البَيَادِرُ: مِائَتَانِ وخَمْسُونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَةُ: سبْعمِائةِ كرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وأرْبعمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفِ دِرْهمٍ[١]

طَسُّوجُ بَارُوسَمَا ونَهْرِ المَلِكِ. الرَّسَاتِيقُ: عشرةٌ، البَيَادِرُ: سِتُّمائةٍ وأرْبَعةٌ وسِتُّونَ بَيْدَرًا، الحِنْطَة: أَلْفٌ وخَمْسُمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أرْبعَةُ آلافٍ وخَمسمِائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائتَا أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ[دِرهمٍ][٢].

السِّيبَيْنِ [٨٤و] والوقُوفُ[a]. ضِياعٌ جُمِعتْ من عِدَّةِ طَسَاسِيجَ وصُيِّرتْ ضَيعَةً واحِدةً فهي أعْظَمُ قدْرًا من طَسُّوجَيْنِ، وتقْدِيرُ العَشْرةِ منها من الحِنْطَة: خمْسمائةِ كُرٍّ، ومن الشَّعِيرُ: خمسَةُ آلافٍ وخَمْسُمائةِ كُرٍّ، ومن الوَرِقِ: مِائةُ أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ فُرَاتِ بَادَقْلَى[٣] ورَسَاتِيقُهُ عشْرَةٌ، بَيَادِرُهُ: مِائَتَانِ وواحَدٌ وسَبْعُونَ بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وخَمْسمِائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: تِسْعمِائةِ أَلْفِ دِرهَمٍ. طَسُّوجُ السَّيْلَحِينَ. وفيه الخَوَرْنَق وطَيْزَنَابَاذُ، بَيَادِرُهُ: أرْبعةٌ وثَلاثُون بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وخَمْسُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مائَةُ أَلْفٍ وأرْبَعونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ رودمَسْتَانَ وهُرْمُزْجَرْدَ: الحِنْطَةُ: خَمْسُمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ:[خَمْسُمائةِ كُرًّا][b] الوَرِقُ: عشرةُ آلافِ دِرْهمٍ. طَسُّوجُ نِسْتَر.

---

[a] في الأصل: السيين والموقوف، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

[b] ساقطة من الأصل: والتكملة من ابن خُرَّداذْبه؛ قدامة بن جعفر.

---

[١] راجع: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٠.

[٢] قارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٤.

[٣] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المصدر السابق، ص١١؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص١٦٤.

الرَّسَاتِيقُ: سَبْعَةٌ: البَيَادِرُ: مِائةٌ وثَلاثةٌ وسِتُّونَ بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: ألْفٌ ومِائتَانِ وخَمْسُونَ كُرًّا، الشَّعِيرُ والأرُزُّ ألْفَا كُرٍّ، والوَرِقُ: ثَلاثُمِائةِ ألْفِ دِرْهَمٍ.

إيغَارُ يَقْطِينَ. من عدَّة طَسَاسِيجَ. تقْدِيرهُ من الوَرِقِ: مِائتَا ألْفٍ وأرْبَعةُ [آلَافِ دِرْهمٍ][a] وثَمانِمائةٍ وأرْبَعونَ دِرْهمًا بحَقِّ بيْتِ المال[1].

سَقْيُ دِجْلَة والفُرَاتِ

كُوَرُ كَسْكَر. ومنها نَهْرُ الصِّلةِ وبَرْقةُ والرَّيَّانُ، وكان يرْتفِعُ من خرَاجِها وسَائِر أبْوابِ مَالهَا: سبْعُونَ ألْفَ دِرْهمٍ، وتقْدِيرُها من الحِنْطَةِ: ثلاثَةُ آلافِ كُرٍّ، ومن الشَّعِير والأرُزّ: عشْرُونَ ألْفَ كُرٍّ، ومن الوَرِقِ: مِئتَا ألْفِ دِرْهمٍ[2].

الجَانِبُ الشَّرْقِيُّ

طَسُّوجُ بزُرْجَسَابُور. رَسَاتِيقُهُ تِسعةٌ، بَيَادِرُهُ مِائتَانِ وسِتُّونَ بَيْدرًا الحِنْطَةُ: ألْفُ كُرٍّ وخَمْسُمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: ألْفَا كُرٍّ، الوَرِقُ ثَلاثُمِائةِ ألْفِ دِرْهمٍ. الرَّاذَانِينِ. ورسَاتِيقُهما: سِتَّة عشَرَ، بيَادِرُهُما: ثَلاثُمِائةٍ واثْنَانِ وسِتُّونَ،[بَيْدَرًا] الحِنْطَةُ: أرْبعةُ آلافِ وثَمانِمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: ألْفُ كُرٍّ، الوَرِقُ: مائةُ ألْفِ دِرْهمٍ. طَسُّوجُ كَلْوَاذَىٰ ونَهْرَبِينَ.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من ابن خُرّداذبه.

---

[1] راجع: ابن خُرّداذبه: المسالك، ص١١؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٥.

[2] راجع: ابن خُرّداذبه: والمهالك المصدر السابق، ص١٢؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص١٦٥.

الرَّسَاتِيقُ: ثلاثَةٌ، البَيَادِرُ: أربعةٌ وثَلاثُونَ، الحِنْطَةُ: أَلْفٌ وسِتُّمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وخمسُمائةِ [٨٤ظ] كُرٍّ، الوَرِقُ: ثلاثُمائةِ أَلْفٍ وثَلاثُونَ [أَلْفَ][a] دِرْهمٍ[1].

طَسُّوجُ جَازِرَ والمدِينةِ العَتِيقةِ. الرَّسَاتِيقُ: سَبْعةٌ، البَيَادِرُ مِائةٌ وثَمانِيةَ عَشَر بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وخمْسُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفٍ وسبْعُونَ أَلْفَ درْهمٍ. طَسُّوجُ مَهْرُوذُ وسِلْسِلَ. الحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفَانِ وخمْسُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائتَا أَلْفٍ وخمسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ جَلُولَاء وجَلُولَاء[b]. الرَّسَاتِيقُ: خمسَةٌ، البَيَادِرُ: سِتَّةٌ وسِتُّونَ بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفِ دِرْهمٍ. طَسُّوجُ الذَّيبَيْنِ. الرَّسَاتِيقُ: أرْبعَةٌ، البَيَادِرُ: مِائتَانِ وثلاثُونَ، الحِنْطَةُ: سَبْعمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وثلاثُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: أرْبَعونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ الدَّسْكَرةِ والرَّسَاتِيقِ. الرَّسَاتِيقُ: سَبعةٌ، البَيَادِرُ: أربعةٌ وأرْبَعونَ بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفَا كُرٍّ، الوَرِقُ: سبْعُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ. طَسُّوجُ بَراز الرُّوز. الرَّسَاتِيقُ: سَبْعةٌ، البَيَادِرُ: سِتَّةٌ وثمانونَ بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: ثلاثَةُ آلافِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: خمسَةُ آلافِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفٍ وعشْرُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ البَنْدَنِيجَيْنِ. الرَّسَاتِيقُ: خمسَةٌ، البَيَادِرُ: أربعةٌ وخمْسُونَ بَيْدرًا، الحِنْطَةُ: سِتُّمائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: خمسُمائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفِ دِرْهمٍ.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من: ابن خُرَّداذْبه.

[b] في ابن خُرَّداذْبه؛ وقدامة: جلولاء وجللتا.

---

[1] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٣؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٦.

طَسُّوجُ النَّهْرَوَانَاتِ. الرَّسَاتِيقُ: واحَدٌ وعشْرونَ، البَيَادِرُ: ثلاثُمِائةٍ وثَمانُون. النَّهْرَوَانُ الأعْلَىٰ. الحِنْطَةُ: أَلْفَانِ وسَبْعمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: ألفٌ وثَمانمِائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: ثلاثُمِائةِ أَلْفٍ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

النَّهْرَوَانُ الأوْسَط. الحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: خَمْسُمِائةِ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ أَلْفِ دِرْهمٍ. النَّهْرَوَانُ الأسْفَلُ. الحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ ومِائةُ كُرٍّ، الوَرِقُ: مِائةُ وخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ.

طَسُّوجُ بَادَرَايَا وبَاكُسَايَا. الحِنْطَةُ: أَربعةُ آلافٍ وسَبْعمِائةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: خَمْسَةَ آلافِ كُرٍّ، الوَرِقُ: ثَلاثُمِائةِ أَلْفٍ وثَلاثُونَ [٨٥و] أَلْفَ دِرْهمٍ. كُورَةُ إسْتَان شَاذ فَيْرُوز، وهي حُلْوَانُ. ووظِيفَتُها مع الجَابَارِقَةِ وغيرهم من الأكْرَادِ: أَلْفُ أَلْفٍ وثَمانمِائةِ أَلْف دِرْهمٍ*)[١].

[هِيتُ وعَانَاتُ]

وكانت هِيتُ وعَانَاتُ مُضافةً إلىٰ طَسُّوجِ الأنْبَار. فلمَّا ملكَ أنُوشِروَانَ[٢] بلغَهُ أنَّ طَوائِفَ من الأعْرَابِ يعْبُرونَ علىٰ ما قَرُبَ من السَّوَادِ إلىٰ البَادِيةِ. فأمرَ بتَجْدِيدِ سُورِ مدِينةٍ تعْرفُ بألُوسَ[a]، كان سَابُور ذُو الأكْتَافِ بنَاهَا وجعَلَهَا مَسْلحَةً[٣] لِحفْظِ ما

[a] رسمت في الأصل: باليس. والتصويب من ياقوت.

*) إلى هنا ينتهي ما استخرجه ابن الفقيه من المسالك والممالك، لابن خُرَّداذْبه.

[١] راجع: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٤؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٦.

[٢] أنوشروان بن قباذ. انظر فيما تقدم ص٣٤٢.

[٣] الذين يحفظون الثغور من العدو.

قَربَ من البَادِيةِ. وأمَر بحَفرِ خَندقٍ من هِيتَ يَشقُّ طَفَّ البَادِيةِ إلىٰ كَاظِمةِ مما يلي البَصْرَةَ وينفُذُ إلىٰ البَحْرِ. وبنىٰ عليه المَنَاظِرِ والجَوَاسِقَ ونظَمهُ بالمَسَالِحِ ليكون ذلك مَانِعًا لأهْلِ البَادِيةِ عن السَّوَادِ. فخَرجتْ هِيت وعَانَاتٍ، بسَببِ ذلك السُّورِ، عن طَسُّوجِ شَاذ فَيْروز لأنَّ عَانَاتَ كانتْ قُرَىٰ مضْمُومةً إلىٰ هِيتَ[1].

ووجِدَ في بعْضِ كُتبِ الفُرْسِ أنَّ مُلوكَ الأرْضِ قَسَّمُوا الأرْضِ أرْبعةَ أجْزَاء: فجُزءٌ منها: مغَارِبُ الهِندِ وأرْضُ التُّركِ إلىٰ مشَارِقِ الرُّومِ. وجُزءٌ منها: الرُّومُ ومغَارِبُها وأرْضُ القِبْطِ والبَرْبر.

وجُزءٌ منها: أرْضُ السُّودَان، وهو بين أرْضِ البَرْبَرِ إلىٰ الهِنْدِ. وجُزءٌ منها من نَهرِ بَلْخَ إلىٰ أذْرَبيْجَانَ وأرْمِينيَّة [و] القَادِسيَّةِ إلىٰ الفُرَاتِ. ثمَّ برِّيَّةُ العَربِ إلىٰ عُمَانَ وإلىٰ كَرْمَان وأرْضِ طَبَرِسْتَانَ إلىٰ كَابُلَ وطُخَارِسْتَانَ، وهي الأرْضُ التي سمَّتْها الفُرْسُ بِلادَ الخَاضِعِينَ.

وهذا الجُزءُ هو صَفوةُ الأرْضِ ووَسَطُها، لا يَلْحقُهُ عَيبٌ ولا ينَالهُ تقْصِيرٌ. ولذِلكَ اعْتَدلتْ ألْوانُ أهْلِهِ واقْتَدرتْ أجْسَامهُم. فسَلِمُوا من شُقْرةِ الرُّومِ والصَّقَالبةِ وسَوادِ الحبَشَةِ والزَّنْجِ وغِلظِ التُّركِ ودمَامةِ الصِّينِ. واجْتَمعَتْ فيهم محَاسِنُ جميعِ الأقْطَارِ وكل ما اعْتَدلُوا في الحِلْيَةِ. كذلك لطُفوا في الفِطْنةِ والتَّمَسُّكِ بمَحَاسنِ الأمُورِ وشَرِيفِ الأخْلَاقِ.

ولمْ تَزلْ طسَاسِيجُ [٨٥ظ] السَّوَادِ علىٰ العِدَّةِ التي ذكَرْنَا حتىٰ قَدِمَ الحَجَّاج بن يُوسُفَ وَالِيًا علىٰ العِرَاقِ.

[1] مثل هذا التحديد لدى ياقوت، مصرحًا بنقله عن ابن الفقيه الهمذاني. انظر: [مادة: عانة] ج٤، ص٧٢.

وكان كاتِبهُ القَادِم معهُ والمُتولِّي لأمْرِهِ صَالِحُ بن عَبْد الرَّحمنِ[1]. فقال له الحَجَّاجُ: التَمِسْ كَاتِبـًا نَاصِحـًا من الفُرْسِ، عَالمـًا بكِتَابَتِهِم يعمَلُ الحِسَابَ. فوجَدَ رجُلًا يُقَال لهُ: زَاذَنفَرُّوخَ بن بِيرَىٰ[2]، فقَلَّدهُ أمرَ الدِّيوَانِ[3].

فلمْ يكُنْ صَالِحٌ وأصْحَابهُ يهْتَدونَ إلى العمَلِ، وكانَ زَاذَنْفَرُّوخ وكُتَّابه يعْمَلونَ الحِسَابِ بالفَارِسِيَّةِ. فَشكَا صَالِحٌ ذلك إلى الحَجَّاج وعَرَّفهُ أنّه في غيرِ شيءٍ مع زَاذَنفَرُّوخَ فأمر الحَجَّاج زَاذَنْفَرُّوخَ أن يتَجَشَّمَ له نقْلَ الدَّواوِينِ من اللِّسَانِ الفَارِسيِّ إلى اللِّسَانِ العَرَبيِّ ففعَلَ ذلك وميَّزَ النَّواحِيَ وكوَّرَ الكوَرَ، فرَسمَ طَسَاسِيجَ السَّوَاد.

فكانَ ما رَسَم من ذلك أنْ جعَلَ السَّوَادَ عشَرَة كُورٍ، كلُّ كُورَةٍ إسْتَانٌ، وطسَاسِيجُهُ سِتُّونَ طَسُّوجًا[4]، وقد ذكرنَا ذلك في مَوْضِعهِ.

فلمَّا فعَل هذا ونقَلهُ إلى العَرَبِيَّةِ تصَرَّفَ صَالِحٌ وأصْحَابهُ ووقَفُوا عليه[5]. وكان بِنَاحِيةِ كَسْكَرٍ مدِينةٌ عَظِيمةٌ كَثِيرةُ الأهْلِ. فخَرجَ أهْلُها في الزَّمنِ الأوَّلِ حَذَرًا من الطَّاعُونِ إلى بعْضِ المَوَاضِعِ، فهَلكُوا كلُّهُمْ.

---

[1] انظر فيما تقدم ص١٢٧.

[2] زاذنفروخ بن بيري، كاتب الحَجَّاج بن يوسف الثقفي، قتل يوم الزاوية، سنة ٨٢هـ/٧٠١م. انظر حوادث سنة ٨٢هـ/٧٠١م، لدى الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٦٨-٣٨١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٩٣-٤٩٤.

[3] الديوان : فارسي معرَّب، معناه مجمع الصُّحف أو السجل، وقد استخدمت الكلمة للدلالة على دوائر الإدارة المالية التي تتولى الإشراف على دخل الدولة جمعًا وتحصيلًا وصرفًا، وكان يسمى أيضًا دار المحاسبات، أو دار الزمام . راجع : ابن سيده : المخصص ج٤ ص٨؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية ج ٣ص ١٦٨، ج ٥ ص٣٥٢.

[4] انظر تقديرات السواد فيما تقدم.

[5] عن نقل ديوان الفارسية إلى العربية انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢١.

وخَرِبتْ وبقِيَ فيها بيْتُ أصْنَامِهم، فبَنتْهُ النَّصَارىٰ عُمْرًا وسَمَّتهُ بِنِينُس[1] ورُسُوم هذه المدِينةِ وآثَارُ سُورِهَا ثَابتٌ إلىٰ اليَوْمِ لمْ يَدْرُسْ[2]. ومن ذلك خُسْرَو سَابُور، وسَابَاطُ بناهما سَابُور[3]. ومن ذلك شَهْرَابَاذُ، وهي مدِينةُ إبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكَانتْ مدِينةً عظِيمةً، جَلِيلةَ القَدْرِ، رَاكِبةً للبَحْر[a] فنضَبَ البَحْرُ عنها وانْخسَّ مَاؤُهُ فبطَلتْ، ومَوْضِعُ مجْرَاهُ وسَمْتُهُ معْرُوفٌ إلىٰ اليوم[4].

قال: وكانتْ بالقُرب منها أيْضًا مدِينةٌ كَبِيرةٌ جَلِيلةٌ، تُسَمَّىٰ شَاهَا[5] فخَرَّبتْهَا إيَادٌ إيَادٌ لأنَّها كانت تُغِيرُ عليها.ويقالُ: أنَّ إيَادًا أو غَيْرهُم من العَرَبِ غَلَبوا عليها وملَوكُها في أيَّامِ سَابورَ وخَلعُوا [٨٦و] طَاعَتهُ ونَابَذُوه الحَربَ وانْتصروا بمَلِك الرُّومِ وأطْمَعُوه في مَمْلكَةِ فَارِس، فأمَدَّهُم بمَراكِب في البَحْرِ فيها مُقَاتِلةٌ.

واتَّصَل الخَبرُ بسَابُورَ فرحَلَ إليها وأقَامَ عليها حتىٰ فتَحهَا، فقتل فيها مائتي ألْفِ رجُلٍ وأخْرَبهَا وجمَعَ النِّساءَ والذَّرَارِيَّ والمَشَايخَ. فأسْكَنهُم مدِينةً بناهَا، يُقَالُ لها الهَفَّة، ونَهىٰ الرَّعيَّة عن مُخالطَتِهم ومُنَاكحَتِهم، وتقَدَّم ألَّا تَدْخُل العَرَبُ من البَدْوِ إلىٰ الحَضَرِ فمن دخَل بغَيرِ جوارٍ قُتِلَ[6].

---

[a] في ياقوت: بزيادة يعني الفرات.

[b] رسمت في الأصل: بالليس. والتصويب من ياقوت.

---

[1] نينس: اسم إله بابلي باللغة اليونانية، وهو زوج الإلهة سمرميس.

[2] أي يرسم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة:(د ر س) ج٦، ص٧٩.

[3] سابور بن هرمز. تقدمت ترجمته. انظر: ص١٤٥.

[4] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٥.

[5] نفسه، ج٣، ص٣١١.

[6] نفسه، ج٥، ص ٤٠٨.

قال: وكان من يسْخَطُ عليه مُلوكُ فَارِسَ نفتَهُ إلىٰ هذه المدِينةِ، ووسَمَتْها بالنَّفي واللَّعنِ، وسَمتْهَا النَّبطُ "هفاطرناي" وآثَارُ سُورِهَا بَيِّنه لم تَدْرُس. وكان بقُرْبها أيضًا عِدَّةُ مُدنٍ. منها دُورىٰ الزَّنْدَوَرْدِ. ومنها ألُوسُ[a] ومنها دَارَا سَابُورَ والهكَّةُ والهفَّةَ التي بنَاهَا سَابُور وجعَلَها لمن يُنفىٰ.

ويُقال: إنَّ حدَّ كُورَةِ كَسْكَر من الجَانِب الشَّرْقِيِّ في آخِرِ سَقْيِ النَّهْرَوَانِ إلىٰ أنْ يصُبَّ [دِجْلَة][b] في البَحْرِ [كله][b] [c][من كَسْكَر فتدخل فيه علىٰ هذا البَصْرة ونواحِيها][c]، وإنَّ المُبَاركَ وعَبْدَسِيَّ والمَذَارَ ونِغْيا ومَيْسَانَ ودَسْتُمَيْسَانَ وآجَامَ البَرِيدِ في كَسْكَر، وإنَّ العَربَ فرَّقتْها حيثُ مصَّرَتِ البَصْرَةَ، وكذلك إسْكَافُ العُلْيا والسُّفْلىٰ ونِفَّر وسِمَّر وبهَنْدَف وقَرْقُوب، كلُّ هذا منها[1].

وقال المدَائِنيُّ: أوَّلُ من مسَحَ الأرْضَ ووضَع الدَّواوِينَ وحَدَّ حُدُودَ الخرَاجِ والوظَائِفَ قُبَاذُ[2]، فصَيَّر دِيوانَ الخرَاجِ بحُلْوَانَ وسَمَّاهُ "دِيوانَ العَدْلِ" فكان كُلُّ شيءٍ يـُجْبىٰ في مملَكةِ الفُرسِ من السَّوَادِ مِائةُ ألْفِ ألْف دِرْهمٍ مثَاقِيلَ.

وذلك أنَّ المَلِكَ كان يأخذُ نِصْفَ الخرَاجِ، ويتْرُكُ النِّصْفَ للنَّاسِ فتَصلُحُ أحْوَالهُم إلىٰ أنْ كانت أيَّام قُبَاذ[3] فإنَّه جَبىٰ السَّوَادَ مِائةَ ألْفِ ألْفٍ وخمْسِينَ ألْفَ ألْفٍ مثَاقِيل.

---

[a] رسمت في الأصل: بالليس. والتصويب من ياقوت.

[b] تتمة من ياقوت.

[c-c] التتمة من ياقوت.

---

[1] راجع: [مادة: كسكر] لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١.

[2] قباذ بن فيروز العادل، تقدمت ترجمته ص٤٢١.

[3] قباذ الثاني "شيرويه". انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٨٨-٨٩.

وأمَرَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ ﷺ أنْ يُمْسَحَ السَّوَادُ، وطُولهُ من العَلْثِ في الجَانبِ الشَّرْقِيِّ ومن حَرْبَىٰ في الجَانِب الغَرْبِيِّ مادًّا إلىٰ عبَّادَانَ، وهو مِائةٌ وعشْرُونَ فرْسَخـًا. وعرْضُهُ [٨٦ظ] من عقَبةِ حُلْوَانَ إلىٰ العُذَيْبِ، وهو ثَمانونَ فرْسَخـًا.

فكانَ ذلك بعْدَ أنْ أُخرجَ عنه الجِبالُ والأوْدِيةُ والأنْهارُ ومواضِعُ المُدنِ والقُرىٰ سِتَّةً وثلاثُينَ ألْفَ ألْفِ جَرِيبٍ.

فوَضعَ علىٰ جَرِيبِ الحِنْطَةِ أرْبعةَ دَرَاهِم، وعلىٰ جَريبِ الشَّعِيرِ دِرْهَمينِ، وعلىٰ جَريبِ النَّخْلِ ثَمانيةَ دَرَاهمَ، وعلىٰ جَرِيبِ الكَرْمِ [والشَّجر][a] والرِّطَابِ سِتَّةَ دراهِمَ. وختَم الجِزْيةَ علىٰ ستِّمائةِ ألْفِ إنْسَانٍ، وجعَلها طَبقَاتٍ: الطَّبقَةُ العَاليةُ: ثَمانيةٌ وأرْبَعونَ دِرْهَمـًا، والوسْطَىٰ: أرْبَعةٌ وعشْرُونَ دِرْهمًا، والسُّفْلىٰ اثْنَىٰ عشَر دِرْهمًا. فجَبَىٰ السَّوَادَ مائَة ألْفِ ألْفِ وثَمانيةَ وعشرينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ.

وجبَاهُ الحَجَّاجُ بنُ يُوسُفُ علىٰ غَشْمِهِ وظُلْمِهِ وعَسْفِهِ وخُرْقِهِ[b] ثَمانيةَ عشَرَ ألْفَ ألْفِ. فقال: وأسْلَفَ الفَلاحِينَ للعِمَارةِ ألْفي ألْفِ، فحَصَل لهُ سِتَّةَ عشَر ألْفَ ألْفِ.

ومنَعَ أهْل السَّوَادِ لَمَّا شَكَوْا إليه خَرابَ بلَدِهم من ذَبْحِ البَقرِ لتكْثُر العِمَارةُ[1]، فقال الشَّاعِرُ (شِعْر): [المتقارب]

شَكَوْنَا إليهِ خَـرَابَ السَّـوَادِ فحَـرَّمَ جَهْلًا لحُـومَ البَقَـرْ

وكان خَراجُ العِراقِ أيَّامَ زِيادٍ مِائةَ ألْفِ ألْفِ وخَمْسَةً وعشْرِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهَمٍ.

---

[a] التتمة من ياقوت.

[b] لدى ياقوت: «عسفه وظلمه وجبروته».

---

[1] راجع: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٤.

وأيّامَ عُبَيْدِ الله بن زِيادٍ[١] أكثرَ منه أيّامَ زِيادٍ بعشرِينَ ألفَ ألفٍ[٢]. وكان في أيّام ابنِ هُبَيْرَةَ مِائةَ ألفِ ألفٍ سِوىٰ طِعَامِ الجُنْدِ وأرْزَاقِ الفَعلةِ الذين يكُونُونَ في العَسْكَر. وأجْتُبِيَ لكِسْرىٰ أبَرْوِيزَ[٣] خَراجُ مملَكَتِهِ في سَنةِ ثمانِ عشْرَة من مُلْكِهِ أرْبَعُمائةِ ألْفِ ألْفٍ وعشْرِين ألْفَ ألْفٍ، ثمَّ زَادَ خرَاجهُ بعد ذلك[٤].

وذكَر بعْضُ كُتَّابِ الفُرسِ أنَّ العِراقَ كان يـُجْبَىٰ في أيّامِ أنُوشِرْوانَ[٥] سِتَّمائةِ ألْفِ ألْفِ مثْقَالٍ. وزَعَم أنَّه جبَىٰ [a] في آخِرِ أيّامِ أبَرْوِيزَ تسعَمائةِ ألْفِ ألْف مِثْقالٍ. وترَكَ في أيْدِي النَّاسِ [٨٧ر] كلِّهم من جميعِ غَلَّاتِهم مائةَ ألْفِ ألْفٍ، فهَلك النَّاسُ حتىٰ إنَّ الجَارِيَةَ النَّفِيسةَ كانت تُباعُ بدِرْهمٍ.

وجَبىٰ بعْضُ أمْراءِ خُرَاسانَ ثمانِيةً وعشْرِينَ ألْفَ ألْفِ مِثْقالٍ. وجبىٰ الجُنَيْدُ بن عَبْد الرَّحْمنِ[٦] أرْضَ الهِنْدِ خمْسَةً وعشْرِينَ ألْفَ ألْفِ مثْقالٍ. وكانت جِبايَةُ البَصْرَةِ خمْسَةً وسبَعْينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ، وأرْض الكُوفَةِ خمْسةً وعشْرِينَ ألْفَ ألْفِ درْهمٍ.

---

[a] رسمت في الأصل: خبر.

---

[١] تقدمت ترجمته ص١٢٦.

[٢] راجع مادة السواد لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٤-٣٧٥.

[٣] كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان، أحد حكام بلاد فارس، اشتهر بالبطش والجبروت، حكم من سنة ٤٨٤- ٤٩٥م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٧٦-١٨٨.

[٤] راجع: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٥؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٦٦.

[٥] أنوشروان بن قباذ. انظر ترجمته: ص٣٤٢.

[٦] الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث المري الدمشقيّ: تولى إمارة خراسان لهشام بن عبد الملك، وهو أحد الأمراء الشجعان الأجواد. توفي بخراسان سنة ١١٥هـ/٧٣٣م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٤٢-٣٤٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١١، ص٣٢٢-٣٢٦.

وكانَ يُوسُفُ بن عُمَر الثَّقفِيُّ[1] يحْملُ من خَرَاجِ العِراقِ ما بين سِتِّينَ ألْفَ ألْفِ وسَبْعِينَ ألْفَ ألْفِ ويحْتَسِبُ بعطَاءٍ من قبلهِ من جُنْدِ الشَّامِ بِستَّة عشَر ألْفَ ألْفِ، وفي نفَقةِ البَرِيدِ أرْبعَة آلاف ألْفٍ، وفي الطِّرازِ ألْفَي ألْفٍ، ويبْقَى في بيْتِ المالِ للأحْدَاثِ والبَوائِقِ عشَرَةُ آلاف ألْفِ دِرْهمٍ.

وقال المدَائِنيُّ: كانتْ مَيْسَانُ ودَسْتُمِيْسَانُ في دِيوانِ حُلْوَانَ من تعْدِيل قُبَاذ تؤدِّي أرْبعَةَ آلاف ألْفٍ وأبزقُبَاذ تِسْعةَ آلاف ألْفٍ، وكان يؤخَذُ من البُرِّ والشَّعِيرِ والأرُزِّ الخُمْسُ، ولا يؤخَذُ من سَائِر الحُبوبِ شيءٌ، وكان يؤخَذُ من كلِّ أرْبعةٍ وعشْرِينَ نخْلةً دِرْهمٌ، ومن كلِّ سبْعةَ عشَر فَارِسيًّا دِرْهمٍ.

وقال بعْضُ الجُلَساءِ: سَمِعتُ المُعتَزَّ يقولُ لأحْمَد بن إسَرائِيلَ:[2] يا أحْمدُ كمْ خَراجُ الرُّومِ؟ فقال: يا أمِيرَ المُؤمنِينَ، خرَجْنَا مع جَدِّكَ المُعْتَصِم في غَزَاتِهِ، فلمَّا توَسَّطْنا بلدَ الرُّومِ صارَ إلَيْنا بسِيلٌ الخَرْشَنِيُّ[3] وكان علَى خَراجِ الرُّومِ. فسَألَهُ محمَّد بن عَبْد المِلِكِ[4] عن مَبْلغِ خَراجِ بَلَدِهِم فقال: خمسُمائةِ قِنْطَارٍ وكذا وكذا قِنطارًا. قال: فحَسَبْنا ذلك فإذا هو أقَلُّ من ثلاثةِ آلافِ ألْفِ دِينَارٍ.

---

[1] مرت ترجمته ص١٦٧.

[2] أحمد بن إسرائيل بن الحسن الأنباري، أبو جعفر الكاتب، ولي ديوان الخراج للمتوكل والمنتصر، ثم الكتابة للمعتز والوزارة. كان يضرب بحفظه المثل. قتل سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٣٢-٣٣٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٥٢.

[3] نسبة إلى خَرْشَنَة: وهي بلد قرب ملطية من بلاد الروم. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٩.

[4] محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات. تولى الوزارة للخليفة العباسي المعتصم والواثق، كان أديبًا فاضلًا عالمًا بالنحو واللغة، قتله المتوكل ونكل به سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٥٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٧٢.

فقال: المُعْتَصِمُ: اكْتُبْ إلىٰ مَلِكِ الرُّومِ: أنِّي سَأَلتُ صَاحِبكَ عن خَراجِ أرْضِكَ، فذَكر أنَّه كَذا وكَذا وأخَسُّ نَاحيةٍ من مملكتي خَراجُها أكْثر من خَراجِ أرْضِكَ، فكَيفَ تُنابذُني وهذا ارْتِفاعُ بلَدكَ[a]؟! فضَحكَ المُعْتَزُّ وقال: من يَلُومُني علىٰ حُبِّ أحْمَدَ بن إسَرائِيل، ما سَألتهُ قَطُّ عن شيءٍ إلَّا جَاءني بقِصَّةٍ[1].

وقال عَبْد الرَّحمٰن بن جَعْفرِ بن سُلَيْمانِ[2]: مالُ السَّوَادِ ألْفُ ألْفِ ألف دِرْهمٍ [٨٧ظ] ما نقَصَ ممَّا في يَدِ السُّلْطانِ منه فهو في يَدِ الرَّعيَّةِ، ومَا نقَصَ من يدِ الرَّعيَّةِ فهو في بيْتِ مَالِ السُّلْطانِ[3].

وقال الهَيْثَمُ بن عَديٍّ[4]: لم يكُنْ لِفَارِسَ كُورَةٌ أهْلهَا أقْوىٰ من أهْل كُورَتَيْنِ: كُورَةٌ سهْليَّةٌ وكُورَةٌ جَبَليَّةٌ. أما السَّهْليَّةُ فكَسْكرُ، وأمَّا الجَبليَّـةُ فأصْبهَان. وكان خَراجُ كلِّ واحِدةٍ منهُما اثني عشَر ألْفَ ألْفِ مثْقالٍ [ذهبًا][5].

ولمْ تكُنْ بالعِراقِ كُورَةٌ مثل جُوْخىٰ، كان خَراجُها ثمانينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ حتىٰ صُرِفتْ دِجْلَةُ عن جُوْخىٰ فخَربتْ. وأصَابهُم بعد ذلك طاعُونُ شِيرويَه فأتىٰ عليهم.

---

[a] لدى ياقوت: «وهذا خراج أضك».

---

[1] أورد ياقوت الحموي هذا الخبر نقلًا عن ابن الفقيه. انظر: مادة الروم، ج٣، ص١٠٠.

[2] عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان بن علي، أبو الفضل، كان من كملة بني العباس في لسانه وعقله وعلمه. المزي: تهذيب الكمال: ج٢٦، ص٦٣٨.

[3] بنصه لدى ياقوت الحموي، انظر: مادة السواد، ج٣، ص٢٧٥.

[4] تقدمت ترجمته ص١٧٨.

[5] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٧.

ولم يزَلِ السَّوَادُ في إدْبَارٍ منذ كان طَاعُونُ شِيرويَه ولم تَزل فَارسُ في إدْبَارٍ منذ كان ذلك الطَّاعُونُ[١].

٣ «وكان المعْروفُ بأبي الوَزِير الكَاتبِ[٢] عَمِل تقْدِيرًا للدُّنْيَا وعرضَهُ علىٰ يحيىٰ بن خَالِدِ البَرْمَكِيِّ في خِلافةِ الهَادِي سنةَ سبْعِين ومِائةٍ. قال: أثمانُ الغَلَّات بالسَّوَاد: سِتَّةٌ وثمانُون ألْفَ ألْفٍ وسَبعمِائةِ ألْفٍ وثمانون ألْفَ دِرْهمٍ.

٦ ومن أبْوابِ المالِ به أيضًا: أرْبعةُ آلاف ألْفٍ وثمانمِائةِ ألْفٍ دِرْهمٍ. ومن الحُلَلِ البُخْرانِية: مائتَا حُلَّةٍ ومن الطِّينِ الأسْوَد الأنْبَاريِّ ما يُفرَّقُ في الدَّواوِينِ: مائتَان وأرْبعُون حِمْلًا. كَسْكَر: من الوَرِقِ: أحَد عشَر ألْفَ ألْفٍ وستُّمائةِ ألْفٍ دِرْهمٍ. كورُ
٩ دِجْلَةَ: من الوَرِق: عشرِونَ ألْفَ ألْفٍ وثمانمِائةِ ألف دِرْهمٍ.

حُلْوَان: أرْبعةُ آلاف ألْفٍ وثمانمِائةِ دِرْهمٍ. الأهْوَازُ: خمْسةٌ وعشْرونَ ألْفَ ألْفٍ. ومن صُنُوفِ السُّكَّر ثلاثُمائِة الفِ رَطْلٍ.فارس: سبْعةٌ وعشْرُونَ ألْفَ ألْفٍ دِرْهمٍ.
١٢ ومن ماءِ الوَرْدِ: ثلاثُمائةِ ألْفِ قَارُورَةٍ. ومن مَاءِ الزَّبِيبِ والـمَيْبَهِ[٣] وغير ذلك من الأشْرِبةِ: عشرُون ومِائةُ ألْفِ رَطْلٍ ومن السَّفَرجَلِ: مِائتا ألْفِ سفَرْجَلةٍ. ومن الرُّمَّانِ مِثلُ ذلك.

---

[١] انظر مادة جُوخى لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٧٩.

[٢] (* من هنا يبدأ الاتفاق مع كتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري.

أبو الوزير: عمر بن مطرف، من أهل مرو، تولى للمهدي ديوان المشرق، وهو ولي عهد.انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٨١.

[٣] الميبة: لفظة معربة عن الفارسية، تعني الشراب السفرجلي. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [م ي ب] ج٤، ص٢٣٣.

ومن الزَّبِيبِ الفَارسيِّ بالكُرِّ الهَاشِميِّ: سَبعةُ أَكْرَارٍ[a]. ومن السَّكَنْجِبينِ[1]: خمسةُ آلاف رَطْلٍ. ومن الطِّينِ السِّيرَافِيِّ: خمسةُ آلاف رَطْلٍ[b].

كِرْمَانُ: من الوَرِقِ: أربعةُ أَلْفِ أَلْفٍ ومِائَتَا أَلْفِ دِرهمٍ، ومن الثياب البَمِّيَّةِ[2] والخَبِيصِيَّةِ: [ستة] [٨٨و] وتِسعُونَ أَلْفَ دِينارٍ. فِلَسْطِينُ: ثلاثُمائةِ أَلْفٍ وستُّون أَلْفَ دينَارٍ.

ومن جميعِ أَجْنادِ الشَّامِ: من الزَّيتِ: خمسُمائةِ أَلْفِ رطْلٍ. ومن التُّفَّاحِ: مِائتَا أَلْفِ تُفَّاحةٍ. ومن التِّينِ: عشرةُ آلافِ مَنٍّ. ومن الخَرُّوبِ: ثلاثُون أَلْفَ رطْلٍ.

مِصْرُ - سِوىٰ تِنِّيسَ ودِمْيَاط والأَشْمُونِين -: [c] فإنَّ مالَ هذه الكُور مصْرُوفٌ إلىٰ شِراءِ الخَيلِ[c]. والنَّفقَةُ علىٰ الطُّرزِ: ثلاثةُ آلافِ أَلْفٍ وتِسْعُ مِائةِ أَلْفٍ وأربعُونَ أَلْفَ دِينارٍ. ومن أَنواعِ الثِّيابِ: الدَّبِيقِيِّ والقَصَبِ وغير ذلك: عِشْرُونَ أَلْفَ ثَوبٍ. الإِسْكَنْدريَّةُ: أَلْفُ أَلْفٍ وثمانمائةِ أَلفِ دِرْهمٍ.

بَرْقَةُ: أَلْفُ أَلْفِ دِرْهمٍ. إِفْرِيقِيةُ: ثلاثَةَ عشرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ. ومن البُسطِ الكِبَار: خمسُمائةِ بِساطٍ. ومن الزَّيتِ: مِائةُ أَلْفِ رَطْلٍ.

---

[a] لدى الجهشياري: ثلاثة أكرار.

[b] لدى الجهشياري: خمسون ألف رطل.

[c-c] لدي الجهشياري: «فإن هذه وقفت للنفقات».

---

[1] السكنجبين: لفظة معربة عن الفارسية، هو نوع من الشراب المركب من السكر والخل. نفسه، ج١٧، ص٤٧٤.

[2] الثياب البمية: نسبة إلى مدينة بمّ، إحدى مدن كرمان؛ والثياب الخبيصية: نسبة إلى مدينة خبيص بكرمان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٠٤؛ ج٢، ص٤٣٥.

مكَّةُ والمدينة: ثَلاثُمائةِ أَلْفِ دِينارٍ. ومن التَّمرِ الصَّيْحانيِّ: أَلْفُ رَطْلٍ. من الصَّيَّاحِ[1]: خمسُون رطلًا.

اليَمنُ: من العَين: ثمانِمائةِ [ألف] [a] وسَبْعونَ أَلْفَ دِينارٍ. ومن العَنْبرِ: ثمانُونَ رَطْلًا. ومن أَصْنافِ الحُللِ وغَيْرِها من الثِّيابِ: أَرْبعةُ آلافِ ثَوْبٍ. ومن الوَرْسِ[2]: خمسَةُ آلافِ رَطْلٍ. ومن الزَّبِيبِ: خمْسُمائةِ قفِيزٍ.

اليَمامةُ والبَحْرَيْنِ وعُمانُ وسِيرَافُ: من الوَرِقِ: ثلاثةُ آلاف أَلْفِ دِرْهمٍ. ومن الثِّيابِ الصُّحَارِيَّة: خمْسُ مِائةِ ثَوبٍ.

ومن التَّمْرِ اليَمانيِّ: مِائَتا أَلْفِ رطْلٍ. جوَالِي الكُوفَةِ والبَصْرَةِ ومَدِينةِ السَّلام وما بين المِصْرَين: من الوَرِقِ: أَلْفُ أَلْفِ وثَلاثُمائةِ أَلْفِ وسبْعُونَ أَلْفَ دِرْهمٍ. ولم يَثْبتْ في هذا التَّقْديرِ قَزْوِينُ لأنَّها تفَرَّقتْ في الكُوَرِ*.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من الجهشياري.

---

[1] الصياح: نخل باليمامة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ص ي ح] ج٦، ص٥٦٠-٥٦١.

[2] الورس: نبات كالسمسم يوجد باليمن دون غيرها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٥٤.

*) إلى هنا ينتهي الاتفاق بين نص كتاب "ابن الفقيه" و كتاب "الوزراء والكُتّاب" للجهشياري، وقد تصرف فيه بالإضافة والحذف والتقديم والتأخير، ما يظهر تفاوتًا واختلافًا بين القائمتين؛ قارن هذه القائمة بها لدى الجهشياري: في كتاب الوزراء، حيث وضع في نهايتها تقدير بجملة ما كان يُحمل إلى بيت المال في بغداد، وكذلك القائمة المقارنة التي ألحقت بنص الكتاب.

القَوْلُ في الأَهْوَاز

قال المُغِيرةُ بن سُلَيْمَانَ: أرض الأَهْوَاز نحاسٌ ينبت الذَّهب، وأرضُ البَصْرَة [ذَهب][a] تُنْبِت النحَاس[1].

وقال ابنُ المُقَفَّع: أوَّلُ سُورٍ وضِعَ فِي الأرْضِ بعْدَ الطُّوفَانِ سُورُ السُّوسِ وتُسْتَر. [b]ولا يُدْرىٰ من بنَىٰ سُورَ السُّوسِ وتُسْتَر والأُبلَّةِ[b] [2] وتَكْرِ[3].

وقال أبو المنذر: السُّوسُ من بِناءِ سَامِ بن نُوحٍ، فأما تُسْتَر فبعْضُ النَّاسِ[٨٨ظ] يجْعَلها من الأَهْوَاز وبعْضُهم يجْعَلها من أرْضِ البَصْرَة.

وقال ابن عَوْنٍ مَوْلىٰ المِسْوَر[4]: حضَرتُ عُمرَ بن الخطَّابِ ﷺ وقد اختَصمَ إليه أهْلُ الكُوفَةِ وأهْلُ البَصْرَةِ فِي تُسْتَر و[كانوا][c] حضَروا فتْحهَا، فقال: أهْلُ الكُوفَةِ [هي][c] من أرْضِنا. وقال أهْلُ البَصْرَةِ: بل هي من أرْضِنا، فجعَلهَا عُمَر من أرْضِ البَصْرَةِ[5] [لقُرْبها منها][d].

---

[a] ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

[b - b] لدى ياقوت: «ولا يدرى من بناهما والأبلة».

[c] التتمة من ياقوت.

[d] ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

---

[1] بنصه لدى ياقوت الحموي. انظر: مادة الأهواز: ج١، ص٢٨٥.

[2] انظر مادة تُستَر لدى ياقوت الحموي، ج٣، ص٢٧٠-٢٧١؛ ص٣٠.

[3] لم أجد شيئا بهذا الاسم أو ما يقاربه، ولعل هذه الكورة قد اندثرت.

[4] أبو عون مولى المسور بن مخرمة، روى عن الزبير والمسور بن مخرمة. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٧١.

[5] الخبر بتمامه لدى ياقوت. انظر: [مادة تُستر] ج٢، ص٣٠.

و[كور] الأهْوَاز هي: سُوقُ الأهْوَازِ ورَامَهُرْمُز، وإيذَجُ، وعَسْكَر مُكْرَم، وتُسْتَر، وجُنْدَيسَابُورُ، والسُّوسُ، وسُرَّقُ[a]، ونهرُ تِيرَىٰ ومنَاذِرُ[b][1].

وخَراجُ الأهْوَازِ: ثَلاثُونَ ألْفَ ألْفِ دِرهمٍ، وكانت الفُرسُ تُقَسِّطُ علىٰ خُوزِسْتَان[c] ـ وهي الأهْوازُ ـ خمسِينَ ألفَ ألفِ دِرْهمٍ مثَاقِيلَ[2]. وبنىٰ سَابُور بالأهْوَازِ مَدِينتَينِ سمَّىٰ إحْدَاهُما باسم الله تعالىٰ والآخر بِاسم نَفْسِه، وجمعهُما بِاسمٍ واحِدٍ، وهي هُرْمُزْد سَابُور[d] وسمَّتْها العَرَبُ سُوقَ الأهْوَازِ.

وبنىٰ جُنْدَيْسَابُور، وكانت غيْضةً، فمرَّ بها، وأكّـارٌ يحرُثُ أرْضًا بالقُرب منها. فقال له سَابُور: إنِّي أُريدُ أنْ أبْنِي في هذا المَوْضِع مَدِينةً. فقال الأكّـار، وكان شَيْخًا كَبِيرًا وكان اسْمهُ بِيل، تعَجُّبًا من قوله: إنْ جَاء منِّي كاتِبٌ جاء في هذا المَوْضِع مَدِينةٌ. فقال سَابُور: والله ما يتَولَّى بِناءها والنَّفقَة عليها غيرك.

ثمَّ أمَر بحَمْلِ الشَّيْخِ فحُمِلَ، وأمر بحَلقِ رأْسِهِ ولحْيَتِهِ كي لا يشْتغِلَ عن التَّعْليمِ، وضمَّ إليه مُعلِّمًا وأخذ بتَعْليمِهِ، وأمرَ بقَطْع الخشَبِ من الغَيْضَةِ فقُطِعَ. ومهَر الشَّيْخُ في الكِتابةِ وحذَقهَا وعَرفَ جمِيعَ أمُورِهَا في سنةٍ.

---

[a] لدى ابن خُرَّداذْبه بزيادة: سرق، وهي دورق.

[b] لدى المقدسي: «على جميع الإقليم».

[c] لدى ابن خُرَّداذْبه بزيادة: ومناذر الكبرى ومناذر الصغرى.

[d] في الأصل: هرمزد أردشير، والصواب ما أثبت.

---

[1] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٤٢؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة: ص١٧٠-١٧١؛ ياقوت الحموي: ج١، ص٢٨٥.

[2] راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤١٨.

فلما بلَغَ من ذلك غَايَةَ ما يَحتاجُ إليه أدْخَلهُ المُعلِّمُ إلى سَابُور وعرَّفهُ أمرَهُ وأنه قد بلغَ النِّهايَةَ في الكِتابَةِ .فضَحِكَ سَابُور وقال له: يا بيلُ، تعلَّمتَ الكِتابَةَ؟ قال: نعم. قال: اذهَبْ فقد قلَّدْتكَ نفقاتِ المدِينةِ.

وأمرَهُ أنْ يقُومَ علىٰ الفَعَلةِ، فبنىٰ جُنْدَيْسَابُور. فلمَّا فَرغَ منها نظر إلىٰ بعْضِ جَوانِبهَا يُكْرهُ عليه من السَّيلِ. فنَقضَهُ وبنَاهُ بالآجُرِّ والكِلْسِ[1]، وبنىٰ بَاقِيها باللَّبِن. فأهْلُ الأهْوَازِ يُسمُّونَ جُنْدَيْسَابُور "بِيلَاباذ" باسْمِ الشَّيْخِ الذي تَولَّىٰ بِناءها والنَّفقةَ عليها. وفي مُلْكِ سَابُور بن أردشير ظهَر مَانِي[2] [٨٩و] صَاحِبُ الزَّنَادِقةِ. فدَعا سَابُور إلىٰ مَذْهبِه، فما زال يشَوِّقهُ ويُمَاطِلهُ حتىٰ استَخْرجَ ما عنده.

فوجَدهُ دَاعِيةً للشَّيْطَانِ، فأمَر بهِ فسُلِخَ جِلْدُه وحُشِيَ تِبْناً وعُلِّق علىٰ بَابِ مدِينةِ جُنْدَيْسَابُور. فالبَابُ إلىٰ السَّاعةِ يُسمَّىٰ بَابَ المَاني. والزَّنَادقَةُ تحُجُّ إليه وتُعظِّم ذلك الموضع.

ويُقالُ: إنَّ معْنىٰ نَيْسَابُور وسَابُور خُواسْت وجُنْدَيْسَابُور[3]، أنَّ أصْحَابَ سَابُور، لَمَّا فقَدُوهُ لقولِ المُنجِّمينَ له إنَّك تَشْقىٰ سَبْعَ سِنينَ، خَرجَ هَارباً يسِيحُ في الأرْضِ، وخَرجَ أصْحَابهُ يطْلُبونَهُ، فبلغوا نَيْسَابُور، فطَلَبُوه هناك، فلم يجِدوهُ.

---

[1] الكلس: ما تطلى به الحوائط في باطن القصور، وهو ما يعرف بالجص أو الجير. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٩٧.

[2] ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير، اتخذ دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح، فقتله بهرام بن هرمز، وهرب أتباعه إلى الصين. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م، ج٢، ص١١.

[3] قارن: مادة سابور خُواسْت لدى ياقوت، ج٣، ص١٦٧.

فقالوا: نِيستْ سَابُور. أي لَيْسَ سَابُور،[فسُمِّيت نَيسابُور][a] ثمَّ وقعُوا إلى سَابُور خُوَاسْت [فسُئِلوا ما تصْنَعُون؟!][b] فقالوا: سَابُور خُواسْت، أي طُلِب سَابُور هناك [فسُمِّي الموضِع بذلك][c]،ثمَّ وقعُوا عليه بجُنْدَيْسَابُور، فقالوا: وَنْدَ سَابُور[d]، أي وجُدَ الملك، وبنىٰ أرْدَشِير مدِينَة سُوقِ الأهْوَاز.

[أنْهَـار الأهْوَاز]

قال الهَيْثَمُ بن عَدِيّ : أرْدَشِيرخُوره[e] [1] حفَر المَسْرُقَانَ ودُجَيْلَ[2] وأنْهار خُوزِسْتَان السَّبع وهي: سُرَّقُ ورَامَهُرْمُزُ وسُوقُ الأهْوَازِ والسُّوسُ[f] وجُنْدَيْسَابُور ومَنَاذِرُ ونَهْر تِيري. ويقَال: لا بِناءَ بالحِجَارةِ ولا أبْهَىٰ من شَادروَانِ[3] تُسْتَر لأنَّه بالصَّخْرِ وأعمِدَة الحدِيدِ ومِلاطِ الرَّصَاص. ومَخْرَج دُجَيْل الأهْوَاز من أرْضِ أصْبَهانَ ويصُبُّ في البَحْر الشَّرْقيِّ.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

[b] تتمة من ياقوت.

[c] التكملة من ياقوت.

[d] لدى ياقوت: وندي سابور.

[e] لدى ياقوت: أردشير بهمن بن أسفنديار.

[f] رسمت في الأصل: الشوش، والتصويب من ياقوت.

---

[1] انظر مادة نهر تيري لدى ياقوت، ج٥، ص٣١٩.

[2] المسرقان: نهر بالأهواز يجري من ناحية تستر وينتهي إلى عسكر مكرم؛ دجيل: نهر بالأهواز مخرجه من أصبهان ومصبه قرب عبدان. انظر: ياقوت الحموي، ج١، ص٢٨٥؛ ج٢، ص٤٣٤.

[3] الشادروان: لفظة فارسية تعني: الستر العظيم والذي يعمل على سرادق السلاطين والوزراء، وعلى الشرفة من القصر والدار. انظر: السيد آدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٠م، ص٩٩.

وقالوا: من أقامَ بالأهْوَازِ حوْلًا ثمَّ تفقَّد عقْلهُ وجَدَ النُّقْصَانَ فيه بيِّنًا[١]. فأمَّا قَصبةُ الأهْوَازِ فنَقلتْ كلَّ من نزَلها من بَني هَاشِمٍ وأشْرافِ النَّاس إلى طَبِيعتِهَا.

ولابُدَّ للهَاشِميِّ قبيحَ الوَجهِ كان أو حَسنًا من أنْ يكونَ لوَجْهِهِ وشمَائِلهِ (a[طبائعٌ يَبِـينُ بها](a من جميعِ قُرَيْشٍ وجميعِ العَرَبِ. فلقد كادَتِ الأهْوَازُ أن تَنْقلَ ذلك وتُبدِّلهُ، ولقد تحيَّـفتهُ(b) وأدخلتِ الضَّيمَ عليه وبيَّنتْ أثرها عليه.

فما ظنُّك بصَنيعهَا في سِائرِ الأجْنَاسِ؟! ولِفَسادِ عقُولِهم ولُؤْمِ طَبعِ بِلادِهم. لا ترَاهُمْ مع تِلكَ الأموْالِ الكَثِيرةِ والضِّياعِ النَّفِيسةِ يحبُّون من (c البَنِينَ والبَناتِ(c ما يحبُّهُ أوْسَاطُ أهْلِ الأمْصَارِ في الثَّروةِ واليَسارِ، وإنْ طالَ ذلك، والمالُ منبَهةٌ كما يعْلمُ النَّاسُ.

وقد يكْتَسبُ الرَّجلُ من غَيْرهم، [٨٩ظ] المُوَيْلَ اليَسِيرَ، ولا يرْضَىٰ لوَلدِهِ [حتىٰ يفرِضَ](d له المؤدِّبينَ ويحرصُ له علىٰ الأدَبِ بالخَطَرِ النَّفِيسِ، فما يقدرُ عليه.

والخُوزِيُّ بخِلافِ ذلك كلِّه، فإنَّه إذا ترَعْرعَ ولدهُ وكبُرَ وعقَلَ، شغَلهُ بالغُربةِ وأبْلاهُ بالأسْفارِ والكَسْبِ، فهو من بَلدٍ إلىٰ بلدٍ ومن مدِينةٍ إلىٰ أخرىٰ، وليْستْ في الأرْضِ صِناعةٌ مذكُورَةٌ ولا أدَبٌ شَريفٌ ولا مَذْهبٌ محْمُودٌ لهم في شيءٍ منه نصِيبٌ، وإنْ خَسَّ(e) وقَلَّ ودَقَّ وجَلَّ.

(a-a) تكملة السياق من الجاحظ: الحيوان.

(b) رسمت في الأصل: لحقيقه.

(c-c) رسمت في الأصل: التين والبيان.

(d) ساقطة من الأصل.

(e) كما في الجاحظ: في الأصل حشو؛ وفي ياقوت: حسن.

---

[١] انظر: ابن خُرَّداذبه: المسالك والممالك، ص ١٧٠.

ولم يُرَ بها وجنةٌ حمْرَاء لصَبِيٍّ ولا صَبِيَّةٍ، ولا دِماءٌ ظَاهِرًا ولا قَرِيبًا، وهي قتَّالةٌ للغُرَباءِ[1].

---

[1] نقل ابن الفقيه هذه المقولة عن الجاحظ بتصرف يسير دون أن يشير إلى مصدره، ونصها كالتالي: «... فأمّا قصبة الأهواز، فإنها قلَبَت كلَّ من نزلها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشمائلهم، ولا بدَّ للهاشميِّ، قبيح الوجه كان أو حسنًا، أو دميمًا كان أو بارعًا رائعًا، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يبين بها من جميع قريش وجميع العرب. فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدّله، ولقد تخيَّفته وأدخلت الضَّيم عليه، وبيَّنت أثرها فيه؛ فما ظنُّك بصنيعها في سائر الأجناس ؟! ولفساد عقولهم، ولؤم طَبْع بلادِهم، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة، والضِّياع الفاشية، يحبُّون من البنين والبنات ما يحبُّه أوساط أهل الأمصار على الثّروة واليسار، وإن طال ذلك. والمال منْبَهةٌ كما تعلمون. وقد يكتسب الرّجل، من غيرهم، المويل اليسير، فلا يرضى لولده حتّى يفرض له المؤدِّبين، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك. وليس في الأرض صناعةٌ مذكورةٌ، ولا أدبٌ شريفٌ، ولا مذهبٌ محمودٌ، لهم في شيء منه نصيب وإن خسَّ . ولم أر بها وجْنَة حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيّةٍ، ولا دمًا ظاهرًا ولا قريبًا من ذلك. وهي قتّالةٌ للغرباء. وعلى أنَّ حُمَّاها خاصَّة ليست للغريب بأسرع منها إلى القريب. ووباؤها وحُمَّاها، في وقت انكشاف الوباء ونزوع الحمّى عن جميع البلدان. وكلُّ محمومٍ في الأرض فإنّ حُمّاه لا تنزع عنه، ولا تفارقه، وفي بدنه منها بقيّة، فإذا نزعتْ عنه فقد أخذ منها عند نفسه البراءة، إلى أن يعود إلى الخلط، وأن يجمع في جوفه الفساد وليست كذلك الأهواز لأنها تعاود من نزعت عنه من غير حدث، كما تعاود أصحاب الحدث؛ لأنّهم ليسوا يؤتون من قبل النَّهم ، ومن قبل الخلط والإكثار، وإنّما يؤتون من عين البلدة. وكذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعي في جبلها الطّاعن في منازلها، المطلّ عليها؛ والجرّارات في بيوتها ومقابرها ومنابرها. ولو كان في العالم شيء هو شرٌّ من الأفعى والجرّارة، لما قصَّرت قصبة الأهواز عن توليده وتلقيحه. وبليتها أنَّها من ورائها سباخٌ ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ وفيها أنهارٌ تشقُّها مسايلُ كنفهم، ومياه أمطارهم ومُتوضَّآتهم. فإذا طلعت الشّمس فطال مقامها، وطالت مقابلتها لذلك الجبل، قبل بالصَّخرية التي فيه تلك الجرّارات. فإذا امتلأت يبسًا وحرارةً، وعادت جمرةً واحدةً، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم. وقد تُحدث تلك السّباخ وتلك الأنهار بُخارًا فاسدًا، فإذا التقى عليهم ما تُحدث السّباخ وما قذفه ذلك الجبلُ، فسد الهواء. وبفساد الهواء يفسد كلُّ شيءٍ يشتمل عليه ذلك الهواء».

الحيوان، ج ٤، ص٣٢٧-٣٢٨؛ وقارن: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص٣١٩؛ ونص المقولة: لدى الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٥٥٠.

وعلى أن حُمَّاها خَاصَّةٌ ليستْ إلى الغَرِيب بأسْرعِ منها إلى القَرِيبِ، ووَباؤهَا وحُمَّاها في وقْتِ انْكِشافِ الوَباءِ، ونزُوعُ الحُمَّى من جمِيعِ [البُلْدانِ][a] وكلُّ محْمُومٍ في الأرْضِ. فإنَّ حُمَّاها لا تَنْزِعُ عنه ولا تُفَارقهُ، وفي بدَنهِ منها بقِيةٌ. فإذا نزَعتْ فقد وجَد في نَفْسِهِ منها البرَاءةَ إلى أنْ تَعُود بما يجْتَمعُ في بدَنهِ من الأخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ[1].

وليْسَتْ كذلك الأهْوَازُ لأنَّها تُعَاوِدُ من نزعَتْ عنه ومن غير حَدثٍ كما تُعَاود[b] أصْحَابُ[الحَدثِ][c] لأنَّهم ليْسَ يؤْتُون من قِبلَ التُّخَم والإكْثارِ من الأكْلِ، وإنَّما يؤْتُون من عيْنِ البَلْدةِ. ولذلك جمَعتْ سُوقُ الأهْوَازِ الأفَاعِي في جَبلِها الطَّاعنِ في منَازِلها المُطِلِّ عليها، والجَرَّارَاتُ في بيُوتِها [ومنَازِلها][d] ومقَابِرهَا.

ولو كان في العَالمِ شيءٌ هو شرٌّ من الأفَاعِي والجرَّاراتِ[e] [وهي عقَارِب قتَّالة تجرُّ ذنبَها إذا مشَت لَا تَرْفعه كما تَفْعل سَائِر العقَارِب][e] ما قصَّرتْ قصَبةُ الأهْوَاز عن تَوْليدهِ وتلْقِيحهِ.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتكملة من الجاحظ؛ ياقوت.

[b] رسمت في الأصل: تجاوز.

[c] ساقطة من الأصل: والتكملة من الجاحظ.

[d] التتمة من ياقوت.

[(e-e)] ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

---

[1] أورد ياقوت الحموي هذا الخبر نقلًا عن ابن الفقيه وليس عن الجاحظ، مصرحًا بذلك، على عكس ما قاله الأستاذ عبد السلام هارون، محقق كتاب الحيوان: من أن ياقوت الحموي اعتمد في نقله على الجاحظ، بالرغم من تصريح ياقوت. فقد استهل حديثه عن قصبة الأهواز بقوله: «وقال أحمد بن محمد الهمذاني... ».

قارن: الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص١٤٠-١٤٣؛ ومادة: الأهواز، في معجم البلدان، ج١، ص٢٨٦.

وبَلِيَّـتِها أنَّ من ورَائِها سِباخًا ومنَاقِع مِياهٍ غَلِيظَةٍ، وفيها أنْهارٌ تشُقُّها مسَايِلُ كنُفُهِم[a][1] ومِياهُ أمْطَارِهم ومتَوَضَّئاتِهِم.

فإذا طَلَعتِ [الشَّمْسُ][b] فطَالَ مُقَامُها وطَالَتْ مُقَابلتُها لذلك الجبَلِ قبل بالصَّخْرِيَّة التي فيه تِلك الجـرَّارَاتُ. فإذا امْتلأتْ يُبْسًا وحرًّا وعادت جمْرةً واحِدةً قذَفتْ ما قبلَتْ من ذلك عليهم، وقد بخَّرت تلك السِّباخُ و [تلك][b] الأنْهار [بُخَارًا فَاسِدًا] [c] فإذا الْتقَى عليهم ما بخَّر من السِّباخِ وما قَذفهُ ذلك الجبَلُ فسَد الهَواءُ ففَسدَ بَفسادِهِ كلُّ شيءٍ يشْتملُ عليه ذلك الهَواءُ.

وخَبَّر إبْرَاهِيمُ بن العَبَّاسِ بن محَمَّدٍ[2] عن مشْيَخةٍ من أهْل الأهْوَازِ عن القَوابِل أنهُنَّ ربَّما قَبلْن الطِّفْلَ المَوْلودَ فيجِدنهُ في تلك السَّاعة محْمُومـًا [٩٠و]، يعْرِفن ذلك ويتَحدَّثن به[3].

---

[a] في الأصل: مسائل كتفهم.

[b] ساقطة من الأصل: والتكملة من: الجاحظ.

[c] التتمة من: الجاحظ

---

[1] انظر: الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص٣٢٨.

[2] إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق الصولي، من كاتب العراق المعدودين. قرّبه الخلفاء فكان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل، له تصانيف، توفي بسامراء سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٣٧٨-٣٧٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٣٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٧٠.

[3] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من الجاحظ، بتصرف، ودون إشارة. وابتدأ حديثه: بـ «خبر إبراهيم بن العباس بن محمد.. » متجاهلا مصدره، وتمامها في الجاحظ: «وحدّثني إبراهيم بن عباس بن محمد بن منصور، عن مشيخة من أهل الأهواز... ». وربما دلت هذه النقول على تأثر ابن الفقيه الواضح بأسلوب الجاحظ، في طريقة التأليف وكذلك طريقة صياغته للأخبار وعرضه لها. انظر: الحيوان، ج٤، ص٣٨٢.

ولقد أخبرني به زيدُ بن محمّد[١]، وكان صَدُوقًا، وكان أقامَ بالأهْوَازِ حَوْلًا ورأى شِدَّةَ حرِّهَا وكثرةَ هَوامِّها وحيَّاتِها وجرَّارَاتِها بأمْرٍ فظيعٍ. ثمَّ قال: وكيفَ لا يكُون كَذلك وطَعامُ أهْلِها [خُبز][a] الأرُزّ، [ولا يطِيبُ ذلك إلَّا سُخناً][b] وهم يخْبُزونَ في كلِّ يومٍ [في منَازلهم][c]، فيُقدَّر أنَّه يُسْجرُ بها في كلِّ يومٍ خمسُونَ ألفَ تَنُّورٍ. فما ظنُّكَ ببَلدٍ إذا اجْتَمعَ فيه حرُّ الهَواءِ وبُخارُ هذهِ النِّيرانِ؟!.

وحَلفَ بالله ﷻ أنّه عزَمَ مِرَارًا أنْ يُغرِق نَفسِهُ في المسْرُقانِ لما كان يَلقى من الكَربِ وشِدَّةِ الحرِّ والسَّمومِ. ويقُولُ أهْلُ الأهْوَازِ: [إنَّ] جبَلهُم إنَّما هو من غُثَاءِ الطُّوفَانِ تحَجَّـرَ، وهو حجَرٌ ينْبُتُ ويَزِيدُ في كلِّ وقتٍ.

قالوا: ولنا السُّكَّرُ وأنواعُ التَّمْرِ. وهم أحْذقُ الأُمَّةِ في اتِّـخاذِ أنواعِ السُّكَّرِ. ولهم الخزُّ السُّوسيُّ والدِّيباجُ التُّستَرِيّ. وكلُّ طِيبٍ يحْملُ إلى الأهْوَازِ فإنَّه يسْتَحيلُ وتذهَبُ رَائِحتهُ ويبْطُل حتى لا يُنْتَفعَ منه بكَثيرِ شيءٍ[٢].

والأهْوَازُ افْتَتحهَا أبو مُوسَى الأشْعَريُّ في وِلايةِ عُمَر بن الخطَّابِ - رضي الله عنهما - وآخِرُ مدِينةٍ أُفْتتِحتْ من الأهْوَازِ السُّوسُ.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت. [b] التتمة من ياقوت.

[c] والتكملة من ياقوت.

---

[١] أبو الحسن زيد بن محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد العلوي، كان أديبًا مليح الشعر، أسر في الواقعة التي استشهد فيها أبوه ولم يزل عند إسماعيل بن أحمد الساماني مكرمًا وكتب إليه المكتفي في حمله فدافعه ولم يزل على حاله تلك عنده وعند بيته إلى أن مات ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، انظر في أخباره: أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٥٤٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٢٩.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٨٦.

فلمَّا افتتحهَا وأخذَ المدِينةَ وسَبىٰ الذُّرِّيَّةَ وظَفِر بالخَزائنِ، فبينَما هو يُحْصِي ما فيها كان في قَلْعتِها نحو من ثَلاثِمائةِ خَزانةٍ.

فرأىٰ خَزانةً منها وعلَيها سِترٌ عليه الدُّهْنِ. فأمَر خُزَّانَ القَلْعةِ أن يفتَحوهُ، فجَعلُوا يبْكُونَ ويحْلِفونَ أنّه ليس فيه شَيءٌ من الذَّهبِ والفِضَّةِ. فجعَل أبو مُوسَىٰ لا يَزيده ذلك إلَّا حِرصًا علىٰ فتْحِه حتىٰ همَّ بكَسْر البَابِ.

فلمَّا رَأىٰ الخُزَّانُ ذلك قالوا له: نحن نَصْدُقكَ عما فيه. قال: قولوا. قالوا: فيه جَسدُ دَانِيالَ. قال: وكيف عَلِمْتم ذلك؟! قالوا: أصَابنَا القَحْطُ سَبعَ سِنينَ مُتواليةً حتىٰ أشْرفنَا علىٰ الهلاكِ، وكان هذا الجَسدُ عِندنا، وقَومٌ من النَّصَارىٰ يسْتَسْقونَ به إذا أجْدَبوا فيسْقونَ ويخْصَبونَ.

فأتيْنَاهُم وطَلَبنا إليهم أن يعِيرُوناه فأبُوا علينا فرَهنَّاهم خمْسِين أهْلَ بيتٍ منَّا علىٰ أنْ نسْتَقي به في عَامِنا ذلك ونرُدَّهُ. فدَفعُوه إلينا، فلمَّا اسْتَقَينا به سُقِينَا وأخْصَبْنا، فضَننَّا به وحَبَسناهُ عن أصْحَابهِ ورَغِبْنا فيه فهو عِندنا نسْتَسْقِي به في الجُدُوبِ.

فأمَر أبو مُوسَىٰ بفَتْح البَابِ، فإذا في البَيْتِ سَريرٌ عليه رجُلٌ مَيِّتٌ، واضِع [٩٠ظ] مِرْفقهُ علىٰ رُكْبتِهِ اليُمنىٰ فكَتَبَ أبو مُوسَىٰ إلىٰ عُمرَ يُعْلمهُ فتحَ المدِينةِ ويَقُصُّ عليه خَبرَ دَانيالَ عَلَيهِالسَّلامُ فسَأَلَ عُمَر رَضِيَاللَّهُعَنهُ من بحَضْرتهِ من المُسْلِمينَ فأخْبَروهُ أنّه نَبيٌّ وأنَّ بُخْتَ نصَّرٍ لَمَّا غَزا بَيْتَ المَقْدِس وسَبىٰ أهْلهُ، كان دَانيالُ ممَّنْ سُبِيَ ونُقِل إلىٰ أرْضِ بَابِل، فلم يزلْ بها حتىٰ مَاتَ[1].

---

[1] أورد ابن قتيبة قصة العثور على قبر النبي دانيال عليه السلام بطريقة مختلفة، للمزيد: قارن هذا الخبر في كتابه: المعارف، ص٤٩.

(a فكَتبَ عُمَر إلىٰ أبي مُوسَىٰ يُخْبِرهُ بالذي انْتَهىٰ إليه من أمْرِهِ، وأمَرهُ بأن يُحنِّطهُ ويكَفِّنهُ ويُدْفنهِ من غير أنْ يُغَسِّلهُ، ويكُون دَفنه إيَّاهُ في جَوفِ اللَّيْلِ حتىٰ يَكُون الله تَعالىٰ هو الذي يبْعَثهُ كما يَبْعثُ خَلْقَهُ.

فلمَّا انْتَهىٰ كِتابُ عُمر إلىٰ أبي مُوسَىٰ عمَد إلىٰ نَهْرٍ من أنْهَار السُّوسِ فأمَر بسَكْرِهِ فسُكِّر. ثمَّ حفَر لدَانِيالَ في جوْفِ النَّهْر، ثمَّ عمَدَ إليه فحَنَّطهُ وكفَّنهُ وحمَلهُ أرْبَعةٌ من المُسْلِمينَ في جَوْفِ اللَّيْلِ، فقَبَرهُ في ذلك النَّهْر، ثمَّ أجْرَىٰ عليه الماءَ فلم، يعْلمْ أحَدٌ موْضِع قَبرِه إلىٰ يَوْمِنا هذا(a [1].

ويُقَالُ إنَّه أخَذ خَاتِمًا كان في أصْبَعِهِ. وكذلك يُقَالُ أيضًا إنَّهُ وجدَ معهُ كُتبًا فيها أخْبَارُ المَلاحِم وما يَكُون في الفِتَنِ، وإنَّما صَارتْ إلىٰ كَعْبِ الأحْبَار.

وعَسْكَرُ مُكْرمٍ: نُسِبتْ إلىٰ مُكْرمٍ بن [معْزَاء الحَارِثِ] (b أحَدِ بَني جَعْوَنَةَ بن الحَارِثِ بن نُميرٍ [2]، وكان الحَجَّاج بن يوسف وجهه لمحاربة خُرْزَاد بن بَاس حِينَ عصَىٰ ولحِق بالإيذَجِ وتحَصَّنَ في قَلْعةٍ تُعرف به. فلمَّا طَالَ عليه الحِصَارُ نزلَ مُسْتَخْفِيًا ليَلْحقَ بعَبْدِ المَلِك بن مَرْوَان.

(a-a) لدى ابن قتيبة: «فكتب أبو موسى إلى عمر بذلك. فكتب إليه عمر: إن الرجل هو دانيال، فادفنه حيث لا تمسه أيدي الخاطئين. فكفنه، وقطع نهر تستر، ثم جعله في جرن حجارة ودفنه في النهر، ثم أجرى عليه الماء».

(b) الزيادة من ياقوت؛ وفي البلاذري: مكرم بن الفرز.

---

[1] قارن مادة الأهواز والسوس لدى: ابن قتيبة: المعارف، ص٤٤٩؛ البلاذري فتوح البلدان، ص٣٥١-٣٥٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١.

[2] مكرم بن معزاء الحارث، أحد بنى جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة، صاحب الحجاج بن يوسف، وقيل غير ذلك. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٢٣.

فظَفَر به مُكْرِمٌ ومعهُ دُرَّتَانِ في قَلَنْسُوتِهِ، فأَخَذهُ وبعثَ به إلى الحَجَّاج[فضَرب عنقه][a][1]، [b] وكانت هُناكَ قَريةٌ قَدِيمةٌ فبَناهَا مُكْرِمٌ، ولم يزل يَبْني ويَزِيدُ حتى جعَلها
٣ مَدِينةً وسَمَّاهَا "عَسْكرَ مُكْرِمٍ[b]".

وقال التُّوزِيُّ[c][2]: الأَهْوَازُ تُسمىٰ بالفَارِسيَّةِ هُوزمشير[d] وإنَّما كان اسْمُها الأَخْوازَ، فعرَّبها النَّاسُ وقالوا: الأَهْوَاز. وأُنشدَ لأعْرَابيٍّ (شِعْر): [البسيط]

لا تَرْجِعنَّ إلى الأَخْوَازِ ثَانِيةً   وقُعْقِعَان الذي في جَانِبِ السُّوقِ
ونَهْرِ بَطٍّ الذي أَمْسَىٰ يُؤَرِّقُني   فيه البَعُوضُ بسَلبٍ غير تَشْفِيقِ

٦ ونَهْرُ بَطٍّ كان عِنْدهُ مَراحٌ للبَطِّ. فقالت العَامَّةُ نَهْرُ بَطٍّ، كما قَالوا دَار بَطِّيخ. وقالوا: [٩١و] بل كان يُسَمَّىٰ نَهْر نَبَط، وذلك أَنَّه [e] كان لامْرَأةٍ نَبطِيَّةٍ فخُفِّفَ وقيل نَهْر بَطٍّ[e].

---

[a] التتمة من البلاذري.

[b-b] لدى البلاذري: « فسمى ذلك أجمع عسكر مكرم وهو اليوم مصر جامع».

[c] في الأصل الثوري: والتصويب من ياقوت.

[d] كما في الأصل. في البلاذري: هوزمسير؛ وفي ياقوت: هرمشير.

[e-e] كما في الأصل، وياقوت. ولدى البلاذري: « كان لامرأة تسمى البطة فنسب إليها ثُمَّ حذف».

---

[1] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٣٩-٥٤٠؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٨٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٢٣-١٢٤.

[2] أبو يعلى محمد بن الصلت التوزي، ينسب إلى توز [بلدة من أعمال فارس]، نزل البصرة وحدث بها، ووفاته على أقوال منها سنة ٢٢٨هـ/٨٤٣م. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبيرج١، ص١١٨؛ ابن حبان: الثقات، ج٩، ص٨٢؛ ابن ماكولا: أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر المتوفى: ٤٧٥هـ/١٠٨٣م، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف، ج١، ص٥٨٨. وقد نقل ياقوت هذا الخبر وابتداه بقوله: « وقرأت بعد ما أثبته عن التّوزيّ أنه قال: الاهواز ...». انظر: معجم البلدان، ج١، ص ٢٨٤، ج٢، ص٤٠٤.

وأهْلُ الأهْوَازِ ألْأمُ النَّاسِ وأبْخَلهُم، وهم أصْبرُ خَلْقِ الله علىٰ الغُرْبةِ والتَنقُّلِ. ويحَسْبِك أنَّك لا تدخُل بَلدًا من سَائِر البُلْدانِ ولا إقْلِيمًا من جميع الأقَاليمِ إلَّا وجَدْت في تلْكَ المدِينةِ صَفًّا للخُوزِ لشحِّهِم وحَرْصِهِم علىٰ جمعِ المال.

وذكَر الأصْمَعِيُّ قال: الخُوزُ هم الفَعلةُ وهم الذين بَنوْا الصَّرحَ [a] [الفرعون] [b] واسْمُهمْ مُشْتقٌ من الخَنْزِيرِ، وذهبوا إلىٰ أنَّ اسْمهُ بالفَارِسيَّةِ خُوك[c] فجَعلتهُ العَربُ خُوز[d] وإلىٰ هذا ذهَبوا[1]. وقال آخَرونَ: معْنَىٰ قولهم خُوزِيٌّ: أي زِيُّهم زِيُّ الخَنْزِير. ورَوىٰ أبو خَيْرةَ عن عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ قال: ليس في وَلدِ آدَم شَرٌّ من الخُوزِ ولم يكُنْ منهُم نَبِيٌّ قَطُّ ولا نَجِيبٌ[2].

وقال عَبْدُ الله بنُ سَلام[3]: خَلقَ اللهُ البُخْلَ عَشْرة أجْزَاء، تِسْعةٌ في الخُوزِ وجُزءٌ في سَائِر الخلْقِ. وقال عَليٌّ ﷺ فيما رُويَ عنه: علىٰ مُقدَّمةِ الدَّجالِ رجُلٌ خُوزِيٌّ يقال له مَهْران.

---

[a] في الأصل: الطرح. والتصويب من ياقوت.

[b] التتمة من ابن قتيبة: المعارف

[c] في الأصل: خو.

[d] في الأصل: خنزيرًا. والتصويب من ياقوت.

---

[1] راجع: ابن قتيبة : المعارف، ص٦١٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٤.

[2] صرح ياقوت بنقله من ابن الفقيه، مشيرًا إلى الأصمعي أيضا، ولكن دون أن يسمي أي من مؤلفاته.

[3] عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، أبو يوسف، صحابي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه "الحصين" فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. اعتزل الفتنة، وتوفي بالمدينة سنة ٤٣هـ/٦٣٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٥٢-٣٥٣؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٢١-٩٢٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٠٢-١٠٤.

وقال عُمَر ﷺ : لئِنْ عشْتُ إلىٰ قَابلٍ لأبِيعنَّ الخُوزَ ولأجْعلنَّ أثْمانهُم في بيْتِ المال وفي خَبرٍ آخر: من كان جَارهُ خُوزِيًّا واحْتَاج إلىٰ ثَمنهِ فلْيَبِعهُ[1]. وكتَب كسِرْىٰ إلىٰ بعْضِ عُمَّالهِ أنِ ابعثْ إليَّ بِشرِّ طَعامٍ مع شَرِّ النَّاسِ علىٰ شَرِّ الدَّوَابِ. فبعثَ إليه بَرأسِ سَمَكةٍ مَالحةٍ مع خُوزِيٍّ علىٰ حِمارٍ.

وقال أبو وائلٍ[2]: خَرجْنَا مع ابن مسْعُودٍ إلىٰ قَرْيةٍ بالقَادِسيَّةِ، فجَاءهُ رجُلٌ من الأنبَاطِ في حَاجةٍ. فالْتَفتَ عبْدُ الله إلىٰ أصْحَابهِ فقال: سَمِعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول:-

«تَارِكوا التُّرْكَ ما ترَكُوكُم، ولا تُجَاوِروا الأنبَاطَ في بِلادِهم، وإذا رَأيْتُموهُم قد أظْهَروا إسْلَامهُم وقَرؤوا القُرْآنَ وتمكَّنُوا في المربَاعِ واحْتَبوا في المجَالِس ورَاجعُوا الرِّجَالَ في كَلَامِهم فالهَربَ الهرَبَ، ولا تُنَاكِحُوا الخُوزَ فإنَّ لهم أعْراقـًا تَدْعو إلىٰ غَيْرِ الوَفَاءِ»[3].

---

[1] تظهر هذه العبارات المنسوبة إلى كبار الصحابة نوعًا من الشعوبية الفارسية، التي لا يجوز أن تكون موجودة في صحابة رسول الله ﷺ. وقد أشرنا من قبل إلى لجوء المصنف إلى نسبة أقوال موضوعة في أوصاف الشعوب والبلدان إلى كبار الصحابة، إرضاء لعصبية في نفسه.

[2] شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي الكوفي، شيخ الكوفة وعالمها، مخضرم جليل، توفي سنة ٨٢هـ/٧٠١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٩٦. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣٧٠.

[3] أخرج الطبراني: في المعجم الكبير، هذا الحديث بنفس هذا السند، ولفظه هكذا: « اتركوا الترك ما تركوكم؛ فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء ». أما ما زاده ابن الفقيه على هذا فليس من متن الحديث أصلًا. قارن: أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير: تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م. ج١٠، ص١٨١.

القَوْلُ في فَارِس

٣ حدَّثنا أبو عَمْرو عَبْد العَزيز بن مُحَمَّد بن الفَضْل[١]، حدَّثنا إبْراهِيمُ بن الجُنَيْد، حدَّثنا بِشْرُ بن مُحَمَّدِ ابن أبَانٍ[٢]، عن داوُد بن المُحَبَّر[a][٣]، عن الصَّلْتِ بْن دِينَارٍ[٤]،

---

[a] في الأصل: المخبر.

---

[١] أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل بن يحيى بن القاسم بن عون بن عبد الله بن الحارث بن عبد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، حدث بهمذان، ولم أقف على سنة وفاته. له ذكر عند ابن العديم، فقد وقع كتاب ابن الفقيه في يده وهو ببغداد ونقل مادة تخص مدينة أنطاكية من ابن الفقيه بسند يرجع إلى نفس الراوي المذكور، وإن لم يكن في نسب ابن الفقية "الزيات"، حيث صرح بقوله:
« ووقع إلي ببغداد كتاب من تأليف أحمد بن محمد بن إسحاق الزيات الهمذاني الفقيه، فنقلت منه: حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل قال:...». انظر: ابن العديم:بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م. ج١، ص٤٥٤.

[٢] بشر بن محمد بن أبان بن مسلم السكري، أبو أحمد الواسطي، سكن بغداد وحدث بها، وهو من الثقات. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير، ج٢، ص٨٤؛ ابن حبان: الثقات، ج٨، ص١٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٥٢٩.

[٣] داود بن المحبر بن قحذم بن سليمان بن ذكوان، أبو سليمان الطائي البصري، ضعفه رجال الحديث. لأنه يروي عن المجاهيل. انظر ترجمته وأخباره في: ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٩١؛ الدارقطني: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٥٢؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق،ج٩، ص٣٢٦.

[٤] الصلت بن دينار الأزدي الهنائي، أبو شعيب المجنون، من أهل البصرة، ضعيف متروك الحديث: انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج٧، ص٢٧٩؛ ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٣٧٥-٣٧٦؛ الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٥، ص١٢٥-١٢٨.

[٩١ظ]، عن عَبْد الله بن أبي مليْكَةَ[١] قال: قال رسول الله ﷺ «أهْلُ فَارِس عُصْبَتُنَا»[٢]. ويروىٰ عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ قال: إنَّ الله خيَّر بين خَلْقِهِ فَخِيرَتُهُ مِنَ العَربِ قُرَيْش، وخِيرَتهُ مِنَ العجَمِ فَارِس.

ويروىٰ عن النبيِّ ﷺ: «أسْعَد النَّاس بالإسْلَام أهْل فَارِس، (a) وأشقَىٰ العَرب به بَهْراء وتَغْلب»(a).

وقال في قوله ﷻ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] قال النَّاسُ إذ ذَاك: فَارِس والرُّوم.

وفي قوله: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] قال: فَارِس.

ولمَّا هَدمَ ابن الزُّبَيْر البيْت قال: اطْلُبوا من العَربِ من يَبْنيهِ، فلم يَجِدوا فقال: اسْتَعِينوا بأهْلِ فَارِس فإنَّهم [من] ولَدِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولن يَرْفعَ البيتَ إلَّا ولَدُ إبْرَاهيم[٣].

(a-a) في المختصر: «وأشقى العرب هذا الحي من بهراء وتغلب».

---

[١] عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكي، كان قاضيا لعبد الله بن الزبير ومؤذنا له، من كبار أصحاب عبد الله بن عباس وكان ثقة كثير الحديث توفي بمكة سنة ١١٧هـ/٧٣٥. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٧٢؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٤٩٢؛ ابن حبان: الثقات، ج٥، ص٢؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٦٩.

[٢] حديث ضعيف لم يرد في كتب الصحاح الستة، أورده أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المتوفى٤٣٠هـ/١٠٣٩م، في تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩٠م. ونصه كالتالي: «فارس عصبتنا أهل البيت لأن إسماعيل عم ولد إسحاق وإسحاق عم ولد إسماعيل» ج١، ص٢٩.

[٣] قارن مختصر الكتاب، ص١٩٦.

وقال رسُولُ الله ﷺ: «أبْعَد النَّاس من الإسْلاَم الرُّوم ولو كان الإسْلاَم مُعَلقًا بالثُّريَّا لتَنَاولتهُ فَارِس» (a[يعْنِي الإسْلاَم]a).

قال: وذكَر النَّبيُّ ﷺ: كِسْرىٰ أنوشَرْوَان فقال: «ويل أمّه، ما أعمق سِلْمَهُ لو كان أسلم»، ورُوي عن ابن عَبَّاسٍ في قَوْلِ الله ﷻ:﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦] قال: أهْلُ فارس.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تسبُّوا فَارِس فإنَّهم عصَبتُنا. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (b[إنَّ لله جُنْدًا في أهْلِ فَارِس إذا غَضِب علىٰ قَوْمٍ انْتَقَمَ بهم]b).

وقال الشَّعْبيُّ: أوَّلُ من اسْتَنْبطَ الأنهار العِظَام أنوشِرْوَان، وما دبَّر المُلكَ واسْتَصْلحَ الرَّعيةِ بعده مثله.

وكان أنوشِرْوَانُ إذا أفْرضَ يُقدِّم الفَارِسيَّ علىٰ رجُلَينِ من الدَّيْلَم، وعلىٰ خمْسَة من التُّرْكِ، وعلىٰ عشْرةٍ من الرُّومِ، وعلىٰ خمْسةَ عشرَ من العَربِ، وعلىٰ الثَّلاثِينَ من [أهْلِ]c الهِندِ، لأنَّهم كانوا أشْجعَ[النَّاس]c ممن ذكرنا قُلوبًا وأعزَّهُم نفَرًا d وأعْظَمهُم مُلْكًا وأكْثَرهُم عَدَدًا وأوْسَعَهُم بَلدًا وأخْصَبهُم جِنَانًا وأشَدَّهُم قُلوبًا وأرْجَحهُم عُقُولًا وأحْسَنهُم تَدْبِيرًا وأصَحَّهُم جَوَابًا وأطْلَقهُم ألْسُنًا[1].

(a-a) تكملة من المختصر.

(b-b) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

(c) التتمة من مختصر الكتاب.

(d) رسمت في الأصل: ثغرا، وفي المختصر: نفوسا.

[1] قارن: مختصر كتاب البلدان، ص١٦٩–١٧٩.

وقال أبو البَخْتَرِيُّ: بلغَنا أنَّ إسْحَاقَ بن إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام[1] ولدَ ابْنًا يُقال له: نَفِيس فولِدَ لنَفِيس العَيْص قَبائِل من فَارِس منهُم أهْل إصْطَخْر وسَابُور وأرْدَشِير، والدَّليل علىٰ ذلك قول جَرِيْر[2] (شِعْر): [الطويل]

مَنَابِر مُلْكٍ كُلُّها مُضَرِيَّةٌ يُصَلِّي علينا من أعَزْنَاهُ منْبَرَا
وأبْنَاءُ إسْحَاقَ اللُّيُوثُ إذَا ارْتَدَوْا (a[حَمَائِلَ مَوْتٍ لَابِسِينَ السَّنَوَّرَا](a
إذَا انْتَسَبُوا عَدُّوا الصَّبَهْبَذَ مِنْهُمُ وكِسْرَىٰ وَعَدُّوا الهُرْمُزَانَ وقَيْصَرَا

وكان إدْرِيسُ بن عُمْرانَ يقول: أهْلُ إصْطَخْر أكْرَم النَّاس أحْسَابًا مُلُوك أبْنَاء الأنْبِياء(b[3]. وقال أرْدَشير: [٩٢و] الأرْضُ أرْبَعة أجْزَاء، فجُزْء منها أرْض التُّرك ما بين مَغَارِبِ الهِندِ إلىٰ مشَارِق الرُّوم. وجُزْءُ منها أرْض المَغْرب، ما بين مغَارِبِ الرُّومِ إلىٰ القِبْطِ والبَرْبَر. وجُزْءُ منها أرْض كُوَر السُّواد ما بين البَرَابِر إلىٰ الهِنْدِ.

والجُزْءُ الرَّابع، هذه الأرْضُ التي تُنْسَب إلىٰ فَارِس ما بين نَهْر بَلْخٍ إلىٰ منْقَطعِ أذْرَبِيجَان وأرْمِينيَّة الفَارِسيَّةِ إلىٰ الفُرَاتِ، ثمَّ بَرِيَّة العَرَبِ إلىٰ عمَّان ومُكْرَانُ إلىٰ كَابُلٍ وطَخَارِسْتَانٍ، فكان هذا الجُزْء صَفْوةَ الأرْضِ، وهو من الأرْضِين بمَنْزِلةِ الرَّأْسِ

(a-a) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

(b) لدى ياقوت: أبناء ملوك.

[1] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣٠٦-٣١٩؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٩٦.

[2] جرير بن عطية بن الخطفي، أبو حرزة التميمي البصري، الشاعر المشهور. توفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٤٥٦.

[3] انظر مادة إصطخر لدى ياقوت الحموي، ج١، ص٢١١.

والسُّرَّة والسَّنَامِ والبَطْنِ، أمَّا الرَّأس فإنَّ ملُوك أقْطَار الأرْضِ مذ كان إيرَج بن أفْرِيدُون[١]،كانت دَائِنَةً لُموكِنا، يسَمُّونَهم أمْلَاكَ الأرْضِ، ويتَحَاكمُونَ إليهم فيما شَجَر بينهم من أمْرِهم فيما يمْلِكُون علىٰ أنفُسِهم، ويهْدُونَ لهم صَفَايَا ما في أرْضِهم.

وأمَّا السُّرَّة فإنَّ أرْضنَا وضِعتْ من الأرْضِين مَوْضِع السُّرَّةِ من الجَسَد في البَسْطةِ والكَرمِ، وفيها جُمِعَ لنا مما تراسَهُم به، فأعُطِينَا فُروسِيَّةَ التُّركِ، وفِطْنَةَ الهِنْد وصِنَاعةَ الرُّومِ، وأعُطِينَا في كلِّ شيءٍ من ذلك الزِّيادة علىٰ ما أعُطَوا وأصْفَينَا ما حُرِمُوا بأدَبِ الدِّين في أدَبِ المُلْكِ، وأعُفِينَا إلىٰ مَسَام سِيَاء[٢] مَشْنُوعَةٍ في صِوَرنَا وألْوَانِنا وشِعْورَنا، كما شُوِّهَتْ سَائِر الأُممِ بِصُنوفِ الشُّهْرة من لَوْنِ السَّوادِ وشِدَّةِ الجُعُودةِ والسُّبُوطَةِ وصِغَر العُيونِ وقِلَّةِ اللِّحْىٰ، فأعْطِينَا الأوْسَاطَ من [المَحَاسِنِ][a] والشُّعُورِ والألْوَانِ والصُّورِ والأجْسَامِ.

وأمَّا السَّنَام: فإنَّ أرْضِنا علىٰ[صِغَرِها][a] عند بَقِيةِ الأرْضِينَ هي أكْثَر مَنافِعًا وألْيَن من جَميعِ ما سِواهَا. وأمَّا البَطْنُ: فإنَّ الأرْضِينَ كُلَّها تجْلِبُ إليها منَافِعهُا من علْمِها ورِفْقِها وأطْعِمتهَا وأدْوِيتِهَا وأمْتِعتِهَا وعِطْرهَا كما تُجبىٰ الأطْعِمةُ والأشْرِبةُ إلىٰ البَطْنِ.

---

[a] زيادة من المختصر.

---

[١] أيرج بن أفريدون ، من ملوك الفرس، وهو ابن أفريدون الأصغر وحاكم بابل. انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣٤.

[٢] والمعنى: أنهم عرفوا بين الناس بسيات وعلامات تعد من وجوه الحسن، كصغر الفم والأنف والأذن. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [س و م] ج٣٢، ص٤٣٢.

وقال الوَاقِديُّ: شَاوَر عُمَر بن الخَطَّابِ ﷺ الهُـرْمُزانَ في فَارِس وأصْبَهَان وأذْرَبِيجَان فقال: الهُرْمُزانُ: إنَّ أصْبَهَانَ وأذْرَبِيجَان الجِنَاحَان، فإن قطَعْتَ أحَد الجِنَاحَينِ بَقِي الرَّأس، وإنْ قطَعْتَ الرَّأسَ وقَع الجِنَاحان فابْدأ بالرَّأسِ.

وكان أوَّلُ من جَمَعَ فَارِس وملكها أرْدَشِيرُ بن بَابَك بن سَاسَان[١]، وهو أحَد مُلوكِ الطَوائِف وكانَ علىٰ إصْطَخْر، وهو من أولَادِ [٩٢ظ] المُلوكِ المُتقدِّمينَ قبلَ مُلوكِ الطوائِف فرَأىٰ أنَّه وَارِث مُلْكَهم، فكَتَبَ [إلىٰ][a] من [كان][a] بقُربِهِ من مُلوكِ فَارِس، ومن نَأىٰ عنه من مُلوكِ الطَّوائِف يُخْبرهُم بالذي أجْمعَ عليه من الطَلَبِ بالمُلْكِ، لما فيه من صَلاحِ أمُورِ الرَّعيةِ وإقَامةِ الدِّين والسُّنَّة.

[b)] [وكَتَبَ كِتابًا، صَدَّرهُ: «بِسْمِ الله وَلِيِّ الرَّحْمةِ» بإبكار من أرْدَشِير، المُستأثر دُونه بِحقِّه، المَغْلوب علىٰ تُراثِ آبائهِ، الدَّاعِي إلىٰ قَوامِ دِينِ الله وسُنَّتِهِ، المُسْتَنْصِرُ بالله الذي وعدَ المُحِقينَ الفَلج[٢]، وجَعلَ لهم العَواقِب، إلىٰ من بَلغهُ كِتَابي هذا من وُلَاةِ الطَّوائِف. سَلامٌ عَليكُم بِقَدر ما تَسْتَوجِبون من مَعْرفةِ الحقِّ، وإنْكَار البَاطِل والجورِ][b)]، فمنهُم من أقرَّ له بالطَّاعةِ ومنهُم من لم يُقر له، ـ حتىٰ قَدِم عليه ـ ومنهُم من عَصَاه، فصَارَ عَاقبَةَ أمْرهِ إلىٰ القَتلِ والهلاكِ[٣].

[a)] زيادة من ابن قتيبة: المعارف.

[b - b)] ساقطة من الأصل والتتمة من ابن قتيبة: المعارف.

---

[١] انظر فيما تقدم ص١٦٤.

[٢] أي الفوز والظهور والغلبة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة ف ل ج] ج٢، ص٣٤٦-٣٤٨.

[٣] قارن: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٥٣.

حتىٰ اسْتَوثَقَ له مُلْكه، وهو الذي افْتَتحَ الحَضَر[وهو بإزاء مَسْكن][a]. وكان مَلكُ السَّوادِ مُتَحَصِّنًا فيه، وكانت العَربُ تُسَمِّيه السَّاطِرُون[1]. وفيه يقول أبو دَاود[2] (شِعْر): وقد أتينا بخبره فيما تقدم: [الخفيف]

ورَأىٰ المَـوْتَ قـد تَـدَلَّ مِن الحَضر عـلىٰ رَبِّ أهـلِـه السَّـاطِـرُون

وهو أوّل من وضَعَ السِكَك وحَذفَ أذْنَاب [دَوابِّ] البُرُد[3] وبنَىٰ مَدِينة جُور بفَارِس، وكان مَوْضِعها صَحْراء يقَالُ له أخْرِبوه، فمرَّ بها أرْدَشِير فَأمرَ بِبنائهَا وسمَّاهَا أرْدَشِير خُرَّه، وسمَّتْها العَربُ الجُوَر.

وهي مبْنيَّة علىٰ صُورةِ دَرابْجِرْد، ونصَبَ فيها بَيت نَار[4]، وبَنىٰ مدِينة رَام أرْدَشِير، وبَهمن أرْدَشِير خُرَّه وهي فُرات البَصْرَة، وأسْتَارَابَاذ وهي كَرْخُ مَيْسَان وهي من كُورِ دِجْلَة ومَدينة سُوق الأهْوَازُ ومَدِينة الأُبلَّة وغير ذلك، وكانت مُدَة مُلْكِه أربع عَشْرة سَنةٍ وسِتَّة أشْهُرٍ[5].

---

[a] ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

---

[1] نقل ابن الفقيه هذا الخبر بتمامه من ابن قتيبة، ولم يشر إلى مصدره. قارن: المعارف، ص٦٥٣.

[2] أبو داود الإيادي الشاعر، واسمه جويرية بن الحجاج، من الشعراء القدماء. انظر: ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب، ج٣، ص٣٣٦.

[3] السكك جمع سكة، وهي موضع كان يسكنه الفيوج المرتبون من بيت أو قبة أو رباط، وكان يرتب في كل سكة بغال للبريد، والبرد: كلمة فارسية أصلها [بريده دم] أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، فعربت. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٨٦.

[4] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر من ابن الفقيه مصرحًا بمصدره حيث قال: «قال ابن الفقيه: بنى أردشير بن بابك ملك ساسان مدينة جُور بفارس...». انظر: [مادة جور] معجم البلدان، ج٢، ص١٨١.

[5] قارن: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٥٤.

وقالوا[1]: سَمُّوا فَارِس بفَارِس بن طَهْمُورث، وهو الذي تُنْسب الفُرسُ إليه لأنّهم[من] ولَدِه، وكان مَلكـًا عَادِلًا مُتَحنّنًا عاليًا [a] مُحْتاطًا علىٰ أهْلِ عصْرِهِ، وكان له عَشْرة بَنِين منهُم: جَمٌّ وشِيراز وإصْطَخْر وفَسَا وجنَّابا وكَسْكَر وكَلْوَاذىٰ وقَرْقِيسِياء وعَقَرْقُوف [ودَارابجَرْد][b]. فأقْطَع كُلَّ واحِدٍ منهُم البَلَدَ الذي سُمّي به ونُسِبَ إليه، وإنّما كانوا قبل ذلك يسْكُنونَ الخِيام[2]. ويقال أنَّ مُلْكهِ كان ثلاثمائةِ سَنة.

ومن مَدِينةِ سُوق الأهْوَازِ إلىٰ مدِينةِ أرَّجَان - أوّل عمل فَارِس، من هذا الوَجهِ- واحَدٌ وثَلاثُون فَرْسخًا، وأرَّجَان بنَاهَا قُبَاذ بن فيْرُوز لأنّه لما اسْترجَع المُلْكَ من أخِيهِ جَامَاسِف غزَا الرّومَ فافْتَتحَ مدِينتَينِ من مُدنِ الجَزِيرةِ ممّا كانت في أيدي الرّومِ تُدْعَىٰ واحِدَة آمِد والأخرىٰ مَيّـافارِقِين، وأمرَ فَبُنِيتْ فيما بين حدِّ فَارِس والأهْوَاز مَدينةً سمّاها أبَرْقُبَاذ، وهي التي تُسمَّىٰ أرَّجَان، وأسْكنَ فيها سَبي هَمَذان [٩٣و] وكوَّرهَا كُورَة وضَمَّ إليها رَسَاتِيقهَا من كُورَة رامَهُرْمُز، وكُورَة سَابُور، وكُورَة أرْدَشِيرخُرَّة، وكُورَة أصْبَهَان.

وبنىٰ أيضًا مدِينةَ حُلْوان مما يلي المَاهَات. وبنىٰ مَدِينةً يقال لها: قُبَاذخُرَّة، وكَوَّر أيضًا كُورَة أخرىٰ بأرْضِ مَيْسَان وسَمّاها شَاذقُبَاذ، وهي التي تُسمَّىٰ إسْتَان العالِ، ووضَعَ لها أربعة طَسَاسِيج، طَسُّوج فَيْرُوز سَابُور وهي الأنْبَار، وكان منها هِيت

[a] في المختصر: على رعيته.

[b] ساقطة من الأصل.

[1] راجع مختصر الكتاب،ص١٩٩.

[2] نقل ابن الفقيه هذا الخبر من ابن الكلبي ولم يشر؛ راجع: ياقوت الحموي. انظر: مادة فارس في معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٦.

وعَانات فأفْرَدهَا[a] يَزِيد بن مُعَاوِيَةَ في أيَّامِهِ [وجعَلها] إلىٰ الجَزِيرة[1]. وطَسُّوج بَادُورَيَا وطَسُّوج قُطْرَبُّل وطَسُّوج مَسْكِن.

وكَوَّر أيضًا كُورَة بِهْقُبَاذ الأعْلىٰ ووضَعَ لها سِتَّة طَسَاسِيج: طَسُوجَي النَّهْرَيْنِ وطَسُّوجُ عَيْنِ التَّمْرِ والفَلُّوجَتَيْن العُلْيا والسُّفْلىٰ، وطَسُوجَي بَابِل وخَطَرْنِيةِ. وكَوَّر أيضًا بهْقُبَاذ الأوْسَط ووضَع لها أرْبعَة طَسَاسِيج: طَسُّوج سُوارَ وطَسُّوج بَارُوسَمَا والجُبَّةِ والبُدَاةِ وطَسُّوج ونَهْرِ المَلِكِ. وكَوَّر أيضًا بهْقُبَاذ الأسْفَل ووضع لها خمسة طَسَاسِيج: طَسُّوج فُرَاتِ بَادَقْلي والسَّيْلَحِينَ، وطَسُّوج الحيرة وطَسُّوج نِسْتَر وطَسُّوج هُرْمُزْجرْدَ. وفرق كُورَة أصْبَهَان علىٰ شِقَّينِ شِقِّ جِيٍّ، وشِقِّ التَّيْمُرَة.

وأمر فبُنِيتْ مدِينةَ شَهْرَزُور وهي بأرْضٍ به. وفيما بين[b] جُرْجَان وإيرَانْشَهر مَدِينةً سمَّاها شَهْرقُباذ، وبأرَّجَان قنطَرةٌ كِسْرَوية طَوِيلة أكثر من ثَلاثَمِائةِ ذِرَاعٍ مبْنِيةٍ بالحِجَارةِ علىٰ وَادي أرَّجَان.

قال: وأخْبَرَنِي محُمَّد بن أحْمَد الأصْبَهَانِي قال: بأرَّجَان كهْف في جَبلٍ يَنبُع منه مَاء يشَبَّهُ بِالعَرق من حِجَارتِهِ فيكون منه هذا المُومْياي[2] الأبْيَض الجَيِّد، وعلىٰ هذا الكَهْف بَابٌ [من] حَدِيدٍ وحفَظَة: ويُغْلق ويخْتَم بِخَاتمِ السُّلْطانِ وقَاضِي البَلدِ إلىٰ يَوْم من السَّنةِ يُفْتح فيه، ويجْتَمعُ القَاضِي وشُيوخُ البَلدِ حتىٰ يفْتَح بِحضْرَتهم

---

[a] رسمت في الأصل: فأوعرها والتصويب من ياقوت.

[b] في المختصر: وبنى بين جرجان.

---

[1] انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٤.

[2] الموم: لفظة فارسية: مفردها: مُومة، وهي الشمع. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (م و م) ج ١٢، ص ٥٦٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٣، ص ٤٦٨.

ويدْخُل إليه رجُلٌ عُريانٌ ثِقةٌ، فيجْتَمِع ما قد اجْتَمعَ من المُومْيَاي، ويجْعَلهُ في قَارُورَةٍ ويكون مِقْدارُ ذلك مِائةَ مِثْقَالٍ ودونها، ثمَّ يخْرج[a] ويخْتم الباب بعد قَفْلهِ إلىٰ السَّنةِ الأخرىٰ، ويوجه بما قد تجمَّع منه إلىٰ السُّلْطانِ وخَاصيَّتُهُ لكلِّ كَسْرٍ وصَدْعٍ في العَظْمِ يُسْقي الإنْسانُ الذي قد انْكَسر شَيءٌ من عِظَامهِ مثل العَدسةِ فيَنْحطُّ أوَّل ما يَشْربهُ [٩٣ظ] إلىٰ موْضِع الكَسْرِ فيَجْبرهُ ويصْلِحهُ لوَقْتهِ[1].

ومن أرَّجَانِ إلىٰ النُوبَنْدَجان سِتَّةٌ وعشْرونَ فرْسَخًا، وفيها شِعبُ بَوَّان المْوصُوف بالحُسْنِ والنَّزاهَةِ، وكَثْرةِ الشَّجرِ وتَدفُّق المِياهِ، وهي مَوْضعٌ من أحْسَنِ ما يُعْرف فيه شَجَرُ الجَوْزِ والزَّيْتُون وجَميع الفَواكِه النَّابِتةِ في الصَّخْرِ[2].

ورُوي عن المبرِّد[3] أنَّه قال: قَرَأتُ علىٰ شَجَرةٍ في شِعْبِ بَوَّان هذه الأبيات (شِعْر):

[الطويل]

إذا أشْرفَ المكْروب من رَأس تِلْعةٍ   علىٰ شِعْبِ بَوَّانٍ أفَاقَ من الكَرْبِ
وألْهَاهُ بَطْنٌ كالحَرِيرةِ مَسَّه   ومُطَّرِدٌ يجْري من البَارِدِ العَذْبِ
وطِيبُ ثِمارٍ في رِيَاضٍ أرِيضَةٍ   علىٰ قُرْب أغْصَانٍ جَناها علىٰ قُرْبِ
فبِالله يـا رِيـحَ الجَنُوبِ تحمَّلي   إلىٰ أرْضٍ بغْدادَ سَلامَ فتىً صَبِّ

[a] في الأصل: يختم.

[1] صرح ياقوت الحموي بأنه نقل هذا الخبر من ابن الفقيه. انظر: [مادة: أرجان]، ج١، ص١٤٣.

[2] قارن: [مادة: بوَّان] لدى ياقوت الحموي، ج١، ص٥٠٣.

[3] مرت ترجمته ص٣١٤.

وإذا أسْفَل منه مكْتُوب (شِعْر):

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي عن الَّذينَ تَركْنَا   خَلْفَنا في العِراقِ هل يَذْكُرونَا
أمْ لعَلَّ المَدَىٰ تطَاولَ حتَّىٰ   قَدُمَ العَهْدُ دُونَنا فَنَسُونَا

وذكَر بعْضُ أهْل الأدَبِ أنّه قَرأ علىٰ شَجَرةِ دُلْبٍ[1] تَظِلُّ علينا حَسنة بِشِعبِ بَوَّان هذه الأبيات(شِعر):

[الطويل]

متىٰ تبْغِني في شِعبِ بَوَّان تلْقَني   لدىٰ العينِ مشدُودَ الرِّكابِ إلىٰ الدُّلْبِ
أُقَضِّي وإخـوَانِي الفُـتوَّة حقَّها بها   شِئْتَ من جدٍّ وما شِئْـتَ من لَعِـبِ
يُديرُ علينا الكأسَ منْ لَوْ رأيتَهُ   بعينيكَ ما لُمْتَ المُحبَّ علىٰ الحُبِّ

وكَتبَ أحْمَدُ بن الضَّحَاكِ الفَلَكِيُّ[a] إلىٰ صَديقٍ له يصِف شِعب بَوَّان:-

[بِسْم الله الرَّحْمنِ الرَّحِيم][b]، كَتبْتُ إليك من شِعبِ بَوَّان وله عندي يَدٌ بَيْضاءُ مذْكُورَة، ومِنَّةٌ غرَّاءُ[c] مشْهُورة ، بما أولَانِيه من منْظَرٍ أعْدَىٰ علىٰ الأحْزَانِ، وأقَال من صرُوفِ الزَّمَان، وسرَّحَ طَرَفي في جَدَاول تطَّردُ بماءٍ معَينٍ منْسَكِبٍ أرَق من دُمُوعِ العُشَّاقِ مرَّرَتْها[d] لَوْعة الفِراقِ، وأبْرَد من ثغُور الأحْبَابِ عند الالْتِثامِ كأنَّها

---

[a] في المختصر: التكتكي.
[b] ساقطة من الأصل، والتكملة من ياقوت.
[c] في الأصل بزيادة: صرروف.
[d] في الأصل: مزنها، والتصويب من ياقوت.

---

[1] الدُّلْب: شجر الصنار، وهو نوع من الشجر عظيم مفرض للأوراق، لا نور له ولا ثمر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣٧٧.

حين [٩٤ر] جرىٰ إذْ بها تـتَرقرَق، وتَدافَعَ تَيَّارها يتَدفَّق، وارْتجَّ حَبَابها يتكسَّر في خِلالِ زَهْرٍ ورِياضٍ تَرْنُو بحَدقٍ تُولِّد قُضُبَ لُجَـيْنٍ في صفَائح عِقْيان، وسُمُوط دُرٍّ بين زَبَرْجَدٍ ومرْجَان، أثـرٌ علىٰ[a]حِكْمةِ صَانِعه شَهِيدٌ، وعَلمٌ علىٰ لُطْفِ خَالقهِ دَليلٌ، إلىٰ ظِلٍّ سَجْسَجٍ[1] أحْوَىٰ، وخَضلِ ألْمىٰ[2] قد غنَّتْ عليه أغْصَانٌ فينَانة.

وقُضبٌ غيْدَانة تشَوَّرت لها القُدُود المُهَفْهفة خَجَلًا، وتقَيَّلتها الخصُورُ المُرْهفَة [b) تَشبُّهًا يسْتَقِيدُها النَّسِيمُ فتَنْقَاد، ويعْدِل بها فتَنْعَدل، فمن متَورِّدٍ يَروقُ منْظَره، ومُرْتَج يتَهدَّل مُثْمِره مشْتَرِكه فيه حُمْرة نضْجِ الثِّمار، يَنْفحهُ نَسِيم النُّـوَّار، وقد أقَمْتُ فيه يَوْمًا[b)] لخَيَالِك مُنَادِمًا ولشَوْقكِ مُسَامِرًا وشَرِبتُ لك تِذْكَارًا، وإذا تفَضَّل الله بإتْمَامِ السَّلامةِ إلىٰ أنْ أوافِي شِيرازَ كتَبتُ إليك من خَبَرِي بما تَقِف عليه إن شَاءَ اللهُ تعَالَىٰ[3].

---

[a] ساقطة من الأصل، والتكملة من ياقوت

[b-b] في المختصر: «...والخصور المرهفة مِيْلًا ، والأعجاز المثقَّلة حُللا، والمعاصم الشَّبطة، والأبدان الرطبة، والعيون النُّجل، والحدق المِراض، والجاذر النواعم، والحور الحسان، والخرد الطراف، فأقمت فيه يومًا لخيالك... ».

---

[1] ظل سَجسج: أي طيب لين الهواء. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة [س ج ج] ج٦، ص٢٩.

[2] خضل ألمى: أي نديٌّ كثيف الخضرة. انظر الزبيدي: تاج العروس، مادة (ل م ى) ج٣٩، ص٤٨٢-٤٨٣.

[3] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه، وعزاه إلى أحمد بن الضحاك الفلكي.حيث قال: « كتب أحمد بن الضحاك الفلكي إلى صديق له يصف شعب بوّان: بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت إليك من شعب بوّان...». انظر مادة بوانة، ج١، ص٥٠٥.

[كُوَر ورَسَاتِيق فَارِس]

ومن النُوبَنْدَجان إلى شِيراز نَيفٌ وعشرُونَ فرْسَخًا، (*وشِيراز من كُوَر أزْدَشِيرخُرَّة، ورَسَاتِيقُهَا: جُورُ، [ومِيْمَند][a] والخَبْر، والصَّيمكَان، والبَرْجَان، والكَهْرجَان، والخَوارُوسْتَان، وكِير، وسِينِز، وسِيرَاف، والرُّوَيجان، وكَام فَيْرُوز، وكَازَرُون، وكُرَان، وأبزر و[تَوَّجُ] [a]. ومن سُوقِ الأهْوَاز إلى الدُّوْرقِ في الماءِ ثمانِيةَ عشَرَ فرْسَخًا، وعلى الظَّهْرِ أرْبعةٌ وعشرُونَ فرْسَخًا.

كُورة سَابُور: ومدِينَتها النُوبَنْدَجان، ورَسَاتِيقُهَا: الخَشْت، والكِيَارَج، وكَازَرُون وخُـرَّه وبنْدرَهْمان، ودَشْت بَارِين، والهِنْديَجان، والدَّرْخُويْد، وتَنْبُوك، والخُوبَذَان، والمَيْدان، ومَاهَان، والجُنْبَذ، والرَّامجَان، والدَّيْبَنْجَان، والشَّاهِجَان، وموز، ودَاذِين، (b [وشَادرُوز، وجَنَّجان، والسياه مصّ وأنْبُورَان] (b وخُمَايجان السُّفلى، وخُمَايجان العُليا، وتِيرَمَرْدَان[1].

كُورَة إصْطَخْر والمدِينةِ ورَسَاتِيقُهَا: مَدِينةُ البَيْضَاء، وبَهْران، وأسَـار، وإيرِج، ومَائِين، وخَبْر إصْطَـخْر، ونيْرَز، وأبَرْقُـويه، والبَرَانْجَان، والمَيَاذْوان، الكَاسْكَان، والهَرَار.

---

[a] زيادة من ابن خُرَّداذْبه.

[b_b] ساقطة من الأصل والتتمة من: ابن خُرَّداذْبه؛ والمختصر.

(*) من هنا يبدأ ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب المسالك والممالك: لابن خُرَّداذْبه، ص٤٤-٤٧. وانظر مختصر الكتاب، ص٢٠٢.

[1] قارن: ابن خُرَّداذْبه، المسالك والممالك، ص٤٤-٤٥.

ومن شِيرازَ إلىٰ مدِينةِ فَسَا (a [ثَلاثُون فرْسَخًا، ومن مدِينةِ فَسَا إلىٰ مَدِينةِ]a) دَرابْجِرْد ثَمانِية عشَر فرْسَخـًا، ورَسَاتِيقُهَا: كُرْم وجَهْرَم ونَيْرِيز والفَسْتَجان والابْجَرد والأنْدِيان وجُوَيْم وفَرج وطَمَسْتَان.

كُورَة أرَّجَان ورَسَاتِيقها: قَاش رِيشَهْر اسْلِجَان اللَّجانb) فَرْزك. ومن شِيرازِ إلىٰ مَدِينةِ [٩٤ظ] جُور عشْرُونَ فرْسَخـًا، وبين شِيرازِc) وسَابُور عشْرُون فرْسَخـًا، (d [ومنها الىٰ البَيْضَاءِ سَبْعة فَراسِخ، ومن النُّوبَنْدَجان إلىٰ شِيرازِ ثَلاثَةٌ وعشْرُون فرْسَخـًا]d)، وبين شِيراز وإصْطَخْر اثْنا عشَر فرْسَخـًا، (d [ومن شِيراز إلىٰ زُرَّقَان أرْبعةُ فَراسِخ، ثمَّ إلىٰ اصطخر ثَمانِيةُ فَراسِخ]d).

زَمُّومe) الأكْرَادِ بفَارِس: وتفْسِيرُ الزَّمُوم محَالُّ الأكْرَادِ ومنَازِلهُم وهي أرْبعةُ زمُوم: زَمُّ الحُسَيْن ابن جِيلَوَيْه يسَمَّىٰ البَازِنْجَان، وهو من شِيراز علىٰ أرْبعَة عشَر فَرْسَخًا، وزمُّ أرْدَامُ بن جوانَانه، من شِيرَاز علىٰ سِتَّة وعشْرِينَ فرْسَخًا، وزَمُّ القَاسِمِ بن شَهْريَار ويسَمَّىٰ الكُوريَان من[شِيرَاز]f) علىٰ خمْسِينَ فَرْسَخًا[1].

(a-a) ساقطة من الأصل والتتمة من ابن خُرَّداذْبه؛ والمختصر.

b) رسمت في الأصل: البحار.

c) في الأصل: بين سابور.

(d-d) ساقطة من الأصل: والتتمة من ابن خُرَّداذْبه.

e) في الأصل: رموم؛ وكذا ياقوت. والصواب ما أثبت.

f) ساقطة من الأصل والتتمة من ابن خُرَّداذْبه؛ المختصر؛ ياقوت.

---

[1] قارن: ابن خُرَّداذْبه، المسالك والممالك، ص٤٤-٤٧.

وزَمُّ الحُسَيْن بن صَالحٍ يسَمَّىٰ السَّورَان، من شِيرَاز علىٰ سَبْعةِ فرَاسِخ*)[١].

وقال المدَائِنيُّ: كانت إصْطَخْر تُجْبَىٰ سِتَّة عشرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ، وسَابُور: أرْبَعةَ عشرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ، وأرْدَشِيرُ: ثمانِيةَ عشرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ، ودَرابْجِرْد: ثمانِيةَ عَشرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ.

وكانت أرَّجَان بعْضُها إلىٰ أَصْبَهَان، وبعْضُها إلىٰ إصْطَخْر، وبعْضُها إلىٰ رَام هَرْمَز، فصُيِّرَتْ في الإسْلَامِ كُورَةً واحِدةً. فصَارتْ فَارِس خَمْسَ كُورٍ وهي: إصْطَخْر، وسَابُور، وأرْدَشِير خُرَّة، ودَرابْجِرْد، وفَسَا وأرَّجَان، وفَارِس مِائةٌ وخَمْسُونَ فرْسَخـًا في مِثْلِها.

وافتُتِحتْ عُنوةً علىٰ يَدِي أبِي مُوسَىٰ الأشْعَرِيِّ، وعُثْمَان بن العَاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ويُقَالُ أنَّ نَمْرُوذ إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من إصْطَخْر، ويُقَالُ: بل كان من [قَرية يُقَالُ لها][a] أبَرْقُويْه. وخَراجُ فَارِس ثَلاثةٌ وثَلاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهمٍ بالكِفَاية.

وذكَر الفَضْلُ بن مَروان: أنَّه قَبِلهَا بخَمْسَةٍ وثَلاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ بالكِفَايةِ، علىٰ أنَّه لا مَؤُونةَ علىٰ السُّلْطَان.

---

[a] ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

---

*) إلى هنا ينتهي ما استخرجه ابن الفقيه من المسالك والممالك: لابن خُرَّداذْبه، فارن، ص٤٤-٤٧.

[١] في المختصر بزيادة: «... قال صاحب كتاب المسالك والممالك وهو عبد الله بن محمد بن خُرَّداذْبه: هي أربعة زموم: زم الحسين بن جيلويه... الخ». ويتضح من هذه العبارة: أن "الشيرازي" حين اختصر كتاب ابن الفقيه كانت بيده مبيضة الكتاب التي ربما صرح فيها ابن الفقيه بما أخذه من كتاب المسالك والممالك لابن خُرَّداذْبه.

وجبَاهَا الحجَّاجُ بن يُوسُف والأهْوَاز ثمانِيَةَ عَشْرَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ.وكان عَمْروُ بن اللَّيْثِ[١] يجْبِي من خَراجِها واحدًا وثَلاثين ألْفَ ألْفَ دِرْهمٍ، ومن ضِيَاعِها أرْبعَة عَشْرَ ألْفِ دِرْهمٍ، ويُحْمَلُ إلىٰ السُّلْطَانِ في كلِّ سَنةٍ خَمْسةَ عَشر ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ. وجَباهَا النَّاصِرُ[٢] في سَنةِ ثَمانٍ وسَبْعِينَ ومائتَيْن سِتِّين ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ. وكانت الفُرسُ قَسَّطَتْ علىٰ كُورِ فَارِس أرْبَعينَ ألْفَ [دِرهم][a] مثاقِيل[٣].

ومن العجَائِب بفَارِس، شَجَرة تُفَاحٍ بشِيراز، نِصْفُ التُّفَاحَة حُلوٌ في نِهايةِ الحَلَاوةِ، ونِصْفهَا حَامِضٌ في غَايةِ الحمُوضَةِ[٤]، [b) [وليس بفَارِس كلّها من هذا النَّوعِ إلَّا هذه الشَّجرة الواحِدة[b) ، ولهم سَابُور: وفيها الأذْهَانُ الكَثِيرة [c) [والرَّوائِحُ السنيَّة، وهذا معْدُومٌ في شيءٍ من البُلدانِ إلَّا فيها لأنهم زعموا جميعًا أنَّ] [c) [٩٥و] من دخَل سَابُور لم يزل يَشْتَمُّ ريحًا طَيِّبَةً حتىٰ يخْرُج منها، وذلك لكثرة رَيَاحِينهَا وأنْوَارِهَا وبسَاتِينهَا. ولهم جُور وبها يُعْملُ المَاوَرد الجُورِيُّ، وهو النِّهايةُ من المَاوَرد.

---

[a] التتمة من ابن خُرَّداذْبه.

[(b-b)] ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر

[(c-c)] التتمة من المختصر.

---

[١] عمرو بن الليث الصفار، ثاني أمراء الدولة الصفاريَّة. وأحد الشجعان الدهاة. ولي بعد وفاة أخيه يعقوب بن الليث* مؤسس الدولة الصفارية، وأقره الخليفة العباسي المعتمد على أعمال أخيه كلها، وهي: خراسان وأصبهان وسِجِسْتانَ والسند وكرمان. ثم عزله فامتنع ثم أسر إلى بغداد، وتوفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. انظر في ترجمته وأخباره:- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١٣؛ الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥١٦-٥١٧.

[٢] هو الموفق بالله العباسي، ولي عهد الخليفة المعتمد على الله، وقد مرت ترجمته.

[٣] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٤٨؛ وقارن مختصر الكتاب ص ٢٠٤.

[٤] انظر: مادة شيراز لدى ياقوت الحموي، ج٣، ص٣٨١.

وهم الثِّيابُ السِّينِيزِيةُ[١] والجنَّابيَّة[٢] والتُوزِيَّة[٣] والسَّابُورِيَّة[٤] وهم أَحْذَقُ النَّاسِ[a] باتخاذِ المَرايَا والمجَامِع وغير ذلك من [آلات][b] الحَدِيد.

وقال الأصْمَعيُّ: حشُوشُ[c][٥] الدُّنْيَا ثَلاثة: عُمَان والأُبلَّة وسِيرَاف[٦]. ٣

---

[a] في المختصر: الأمة.

[b] ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

[c] ساقطة من المختصر.

---

[١] تنسب الثياب السُينِيزية إلى مدينة سينيز، بلدةٌ على ساحل بحر فارس [الخليج] أقرب إلى البصرة من سيراف وتقرب من جنّابة، اشتهرت بنسيج الكتان الرقيق المعروف بالسينيزي، خرَّبها القرامطة وقتلوا أهلها سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. راجع ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ص٣٠٠.

[٢] تنسب الثياب الجنَّابية إلى جنَّابة، بلدة صغيرة من سواحل فارس، وقبالتها فى وسط البحر جزيرة خارك، فى شماليّها من جهة البصرة مهروبان، وجنوبيّها سينيز، وقد قيل: جنّابة بالبحرين، وهو غلط. راجع ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ص٣٤٨.

[٣] تُنسب الثياب التوزية إلى مدينة توز، يُقَال لها أيضاً توج بالجيم، بلدة صغيرة من أعمال إقليم فارس، تقع على بحيرة لها بين نهرين، ترتفع منها الثياب التوزية التي تُحمل إلى الآفاق، وهي ثيابٌ رقيقة مهلهلة النسج كأنها المنخل، إلا أن ألوانها حسنة، ولها طُرزٌ مذهَّبة، تُباع حِزمًا بالعدد، وكان أهل خراسان يرغبون فيها، وتجلب إليهم كثيرًا، راجع:- حدود العالم ص ١٤٥؛ معجم البلدان ج٢ ص٥٦.

[٤] الثياب السابورية نسبة إلى كورة سابور، تعرف أيضًا بالثياب الكازرونية، وسابور كورة مشهورة بأرض فارس ومدينتها النّوبندجان في قول ابن الفقيه، وقال المقدسي مدينتها شهرستان، وقال الإصطخري: مدينتها سابور، وبهذه الكورة مدن أكبر منها مثل النوبندجان وكازرون، ولكن هذه كورة تنسب إلى سابور الملك لأنّه هو الذي بنى مدينة سابور. راجع معجم البلدان ج٣ص ١٦٧-١٦٨.

[٥] الحشوش جمع حشّ، وهو البستان، أو مجتمع النخل. ابن منظور: لسان العرب ج٦ص ٢٨٦.

[٦] قارن :- مختصر كتاب البلدان، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، بتحقيق كرامز، كرامز، طبعة دار بريل، ليدن، ١٩٣٩م المصورة في دار ومكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٥م . ص٢٩٩.

القَوْل في كَرْمَان

قال ابن الكَلْبيّ: سُمّيتْ كَرْمَانُ بكَرْمَان بن فَلوج من بني لَنْطي[a] بن يَافِث بن نُوحٍ عَلَيْهِالسَّلَامْ. ويقال: إنَّ بعْض مُلوكِ الفُرْسِ أخذَ قوْمًا فَلاسِفةً فحَبسَهم [في حَبْسٍ له][b] وقال: لا يَدْخُل إليكُم إلَّا الخُبْز وحْدَه، وخَيِّروهُم في إدَامٍ واحِدٍ[c]، فاخْتَاروا الأُتْرجَّ، [d][فأُخبِر الملك بذلك وباختيارهم][d] فقِيلَ لهم كيف اخْتَرْتُم الأُتْرجَّ دون غيره؟! قالوا: لأنَّ قِشْرةُ الظَّاهِرُ طَيِّبٌ فنشُمهُ، وأمَّا دَاخِلهُ ففَاكِهةٌ، وأمَّا حُمَّاضُه فَأدمٌ[e]، وأمَّا حبُّه فَدِهن[1].

فأمِر بهم فأسْكَنوا كَرْمَان، وكان مَاؤهَا لا يخْرُج إلَّا علىٰ خَمْسِينَ ذِرَاعًا فهَنْدسُوه حتىٰ أظْهَروهُ علىٰ وجهِ الأرْضِ، ثمَّ غَرسُوا بها الأشْجَار، فالتفَّتْ كَرْمَانُ كلُّها بالشَّجَرِ، فعَرِف المَلِكُ ذلك فقال: أسْكِنوهُم الجِبالَ، فأسْكَنوهَا فعَمِلوا الفَوَّارات وأظْهَروا الماءَ علىٰ رُؤوسِ الجِبال فقال المَلِكُ: اسْجِنوهُم فعَمِلوا في السِّجْنِ الكِيمْيَاء وقالوا: هذا عِلمٌ لا نُخْرجَه إلىٰ أحدٍ، وعَمِلوا منه ما عَمِلوا أنَّه يكْفِيهم مُدة أعْمَارِهم، ثمَّ أحْرَقوا كُتبهم وانْقَطعَ عِلمُ الكِيمْياء.

وقال بعْضُ عُلَماءِ الفُرْسِ: كانت الأكَاسِرةُ تجْبي السَّواد مِائةَ ألْفَ ألْفَ وعشْرِينَ ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ سِوىٰ ثلَاثِينَ ألْفَ ألْفٍ من الوَضَائِع لموَائِد المُلوكِ.

(a) رسمت في الأصل: ليطي، والتصويب من المختصر؛ وياقوت.

(b) التتمة من المختصر.

(c) في المختصر: «ويخيرون الإدام في سائر الأيام».

(d-d) التتمة من المختصر.

(e) في المختصر: «فإنه خل نافع طاهر».

---

1 قارن مختصر الكتاب، ص ٢٠٥؛ وعن الاترج: انظر فيما تقدم ص٣١٥.

وكانوا يجْبُون فَارِس أرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، وكانوا يَجبُون كَرْمَانَ سِتِّينَ أَلْفَ أَلْفٍ لسِعتَها، وهي ثمَانُونَ ومِائةِ فرْسَخٍ في مِثْلها، وكانت كُلُّها عَامِرةً، وبلغَ في عِمَارتها أنَّ القَنَاةَ تَجْرِي من مسِيرةِ خَمْسِ ليَالٍ، وكانت كَرْمَان ذاتَ أشْجَارٍ وعُيونٍ وأنْهار.

ومن شِيراز إلى السِّيرجَان مدِينةِ كَرْمَان أرْبعةٌ وسِتُّونَ فَرْسَخًا، وكَرْمَان خَمْسةٌ وأرْبعونَ مِنْبَرًا صِغَارًا وكِبَارًا[١] ومن مُدنِها: القُفْصُ، والبَارِز، والمُرَاج، والبُلُوص، [٩٥ظ] وجِيرَفْت ـ وهي من أعْظَمِ مُدنِها ـ والسِّيرجَان وبها تَنْزِلُ الوُلَاة، وهُرْمُز[a] [٢] ولَافت وهي الرِّبَاطُ وقَلْعةِ بني عَبْد الله، إلَّا أنَّ قَصَبتَي البَلدِ جِيرَفْتُ والسِّيرجَانُ.

وأخْبَرنِي عَبْد الرَّحْمٰنُ بن سُلَيْمَانَ الْكَرْمَانِيُّ قال: بكَرْمَان مدِينةٌ يُقال لها: دَمِنْدان. وهي مدِينةٌ كَبيرةٌ واسِعةٌ وبها أكثر مَعادِن كَرْمَان، بها معْدَنُ الحَدِيدِ والنُّحَاسِ والذَّهبِ والفِضَّةِ [والتُّوتِيا][b] والنُّوشَادِرِ ومعْدنهُ بَجبلٍ يقال له دُنْبَاوَنْد، مرتفِعٌ شَاهِقٌ ارْتِفاعه ثَلاثة فَرَاسِخ، وهذا الجَبلُ من مدِينةٍ يقال لها خُوَاش[c] على سَبعةِ فَرَاسخ من المدِينةِ، وفي هذا الجَبلِ كَهفٌ عَظِيمٌ مظْلمٌ يُسْمعُ من دَاخِله دَوِيٌّ وخَرِيرٌ

---

[a] في الأصل: هزوركند، والصواب ما أثبت.

[b] ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت؛ وفي المختصر: الصفرة.

[c] كما في الأصل، والمختصر. في ياقوت: جواشير.

---

[١] نقل ياقوت الحموي كل ما تقدم ذكره عن مدينة كرمان من ابن الفقيه مصرحًا. قارن مادة كرمان، ج٤، ص٤٥٤–٤٥٥؛ مختصر كتاب البلدان، ص

[٢] هرمز: فرضة كرمان، وإليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسِجِسْتانَ وخراسان، ومن الناس من يسميها هرموز. وربما قصد هُرْمُزْغَنْد: وهي قرية من قرى مرو. وليست من إقليم فارس، والصواب ما أثبت في المتن. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٠٢.

مثل خَرِير الماء، ويَرتفِعُ منه بُخارٌ مثل الدُّخان فيلْتَصِقُ حَوالَيه، فإذا كَثُفَ وكَثُر، خَرجَ إليه أهْلُ تِلكَ النَّاحِية، فيُقْلع في كلِّ شَهْرٍ أو شَهْرينِ، وقد وكَّل السُّلْطَانَ به قَوْمًا حتىٰ إذا اجْتَمعَ سَائِرهُ أخَذَ السُّلْطانُ منه الخُمْسَ وأخذَ أهْل البَلدِ بَاقِيهِ فاقْتَسمُوه بينهم علىٰ سِهامٍ قد تَراضُوا [بها]، فهو النُّوشَادر الذي يُحْملُ إلىٰ سَائِر الآفَاقِ[1].

وبها مدِينةٌ يقال لها خَبِيص لم يُمْطَر داخِلهَا قَطُّ ويُمْطَر خَارجهَا، فرُبَما أخرجَ الإنْسَانُ يَدهُ من السُّورِ فيُصِيبهُا المَطرُ ولا يُقْطَر داخِلهَا قَطْرة[2]، وبها خَشبٌ لا تحْرِقهُ النَّار يُلْقىٰ فيها ويُتْرك الوَقْت الطَّويل ثمَّ يخْرجُ منها وهو صَحِيحٌ ما احْتَرق.

والنَّصارىٰ يُمَوهُونَ الخَشَبَ ويزْعِمُونَ أنَّه من الخَشَبِ الذي صُلِبَ عليه ـ بقولهم ـ المسِيحُ عَلَيْهِالسَّلَامْ.

وكان مع بعْضِ الرُّهْبان صَلِيبٌ من هذا الخَشب فافْتَنن به خَلْق من النَّاسِ، وذلك أنَّه كان يُلْقِيه في النَّارِ سَاعاتٍ من النَّهارِ ثمَّ يُخْرجهُ عنها ولم تَعْمل فيه شَيئًا، فلم يَزل علىٰ ذلك حتىٰ فَطِن له رَجلٌ من أهْلِ هذه المدِينة.

فأتىٰ بقِطْعةِ خَشبٍ كانت معه، ففَعلَ بها كفِعلِ الرَّاهبِ فبطِل ما كان بمَخْرقٍ[1].

---

[1] نقل "ياقوت الحموي" ما ذكره ابن الفقيه عن مدينة دمندان، وصرح بذلك قائلًا: «...هذا كله منقول من كتاب ابن الفقيه». انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٤٧١؛ كذلك صرح "القزويني" إلا أنه تصرف في هذه المادة بالاختصار. قارن: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٩٢.

[2] علق ياقوت الحموي على هذا الخبر بقوله: «...وهذا من العجب الخارج عن العادات، والعهدة في هذه الحكاية عليه». انظر: ج٢، ص٣٤٥.

وقال المَأمُونُ: لوأُخِذ الطُّحْلُب فجُفِّفَ في الظِّلِّ وطُرِحَ في النَّارِ لم يَحْتَرِق[٢]. وطَائِرٌ يُعْرفُ بالسَّمَنْدل[٣] يدْخُل النَّار ثمَّ يَخْرُج منها كما دَخلَ لا يَحْتَرِق من رِيشِه ولا وَاحِدةً. وذكر طَمْيَاثُ الحَكِيم في كِتابِ الحَيَوانِ: أنَّ بالمَشْرِقِ طَائِرًا يقال له بَنْجَس في مدِينةٍ يقال لها مدِينةَ الشَّمس ولَيْس له أُنثىٰ ولا شَكلٌ يُشْبِهُهُ، وأهْلُ تِلْكَ المدِينة يَعْبدونَ الشَّمس ويَسْجِدونَ [٩٦ر] لها سَاعةَ طُلوعِها.

وتسَمَّىٰ المدِينةُ اغفَطُوس، وهذا الطَّائِرُ يكون بها ولا يُعْرفُ في غيرها، فإذا أَرَادَ اللهُ بإذْنهِ جمَعَ بمِنْقَارِهِ شيئًا كَثيرًا من عِيدَانِ الدَّارصِيني ثمَّ لا يَزال يَضْربُ تِلْكَ العِيدَان بجَناحَيهِ مُكِبًّا علىٰ ذلك لا يَفْتُر حتىٰ تَشْتَعِلُ فيه النَّار، فإذا عَلا لَهَبُها قَذفَ نَفْسِه يحْتَرِق وتَأكُله النَّار فيَصِيرُ رَمَادًا. فإذا كان بعْد أيَّامٍ يَعْرِفُون عددَهَا، تَصُّور من

---

[١] أورد "الجاحظ" هذه الرواية في كتابه الحيوان باختلاف طفيف، وهذا نصها: « وزعم ابن أبي حرب أن قسًّا راهن على أن الصليب الذي في عنقه من خشب، أنه لا يحترق؛ لأنه من العود الذي كان صلب عليه المسيح، وأنه كان يفتن بذلك ناسا من أهل النظر، حتى فطن له بعض المتكلمين، فأتاهم بقطعة عود يكون بكرمان. فكان أبقى على النار من صليبه». انظر: ج٥، ص١٦٧.

ومن الجدير بالذكر أن النص المذكور يتفق مع النص الموجود في المختصر، وليس مع نسخة الأصل التي بين أيدينا، وربما كان تفسير ذلك: أن " الشيزري" مختصر الكتاب فطن إلى أن مصدر ابن الفقيه في هذه الرواية هو الجاحظ فآثر رواية الجاحظ على رواية ابن الفقيه. قارن المختصر: ص٢٠٧؛ وانظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص١٢٢؛ الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٤٥٢.

[٢] نقل ابن الفقيه هذه الرواية أيضا عن الجاحظ دون أن يشير، وتمام القول في الجاحظ: « ونُبِّيتُ عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال: لو أخذ الطُّحلبُ فجفف في الظِّلِّ، ثم أسقط في النِّيران لم يحترق». الحيوان: ج٥، ص١٦٧.

[٣] السمندل: حَيَوَان من رُتْبَة البرمائيات صَغِير الجِسْم غَالِبا يشبه العظاءة فِي شكلها الْعَام ، و زعموا أنه طائر بالهند لا يحترق بالنار. المعجم الوسيط ج١ص ٤٥٢؛ وانظر: الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص٣١٠، ج٥، ص١٦٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٣٤٨؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٤٥-٤٦.

ذلك الرَّمَاد دُودةٌ كَبِيرةٌ فلَا تَزال تَكْبُر حتىٰ تَصِيرَ مِثْل الفَرْخِ، ثمَّ يُنبِت الله له جنَاحين ورِيشًا وتَعُود صُورة ذلك الطَّائِر لا يُغَادِر منه شَيئًا. وأهْلُ هذه المدِينة يَذْكرون أنَّ ذلك يكون في كلِّ خَمْسُمائةِ سَنة.

وفي بَعْضِ مُدِنِ خُرَاسَانِ هُوَّة عظِيمَة في جَبلٍ فيها نَارٌ تَتَّقِدُ ولا تطْفِأ شِتَاءً ولا صَيْفًا، وفي هذه الهوَّةِ جِرْذانٌ كبَارٌ بِيضٌ تخْتَرِقُ النَّارَ في دخولِها وخُروجِها، فإذا كانت خَارِجَةً من الهُوَّةِ ونظَرتْ إلىٰ إنْسَانٍ بَادَرْت فخَاضَتْ النَّار مُخْترقَة الهُوَّةِ إلىٰ موَاضِعها لا تؤْذِيها النَّارُ ولا تحْرِقهَا.

ومن كَرْمَان إلىٰ سِجِسْتانَ مِائةٌ وثَمانُونَ فرْسَخًا، ولها من المُدنِ: زَالِقٌ، وكَرْكُويَه، وهَيْسُوم، وزَرَنْج، ورُوَشْت، وناشِرُوذ، والقَرْنَين. وبها أثَرُ مَرْبَط فَرس رُسْتم المعْرُوف بالشَّدِيد، ونهرهَا المعْرُوف بالهِنْدمند[a] [1].

يقول أهْلُ سِجِسْتانَ: أنَّه ينْصَبُّ إليه مِياه ألْفِ نَهْرٍ فلا يظْهَرُ فيها زِيادَة، وتنْشَقُّ منه ألْفُ نَهْرٍ ولا يُرىٰ فيها نُقْصَان.

وفي شَرطِ أهْلِ سِجِسْتانَ علىٰ المُسْلِمينَ [لمَّا فتَحُوهَا][b] ألَّا يُقْتلُ من بَلَدِهم قُنْفِذٌ ولا يُصَاد؛ وذلك أنَّ كلَّ بَيتٍ ليْسَ فيه قُنْفِذٌ فهو كَثيرُ الأفَاعِي، والقَنَافِذ تَأكُل الأفَاعِي، ولوْلَا ذلك لأتَتْ عليهم. والقَنافِذُ بسِجِسْتانَ مثل النُّمْس بِمصِر فَلْولاهَا لأتَتْ الثَّعابِينُ علىٰ أهْلِ مِصر.

---

[a] كما في الأصل، وكذلك ابن خُرَّداذْبه؛ ولدى ياقوت: بست.
[b] الزيادة من ياقوت.

---

[1] انظر مدن سجستان لدى ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٥٠؛ وقارن: مادة هندمند لدى ياقوت، ج٥، ص٤١٨.

ومن مُدِنها [a] الرُّخَّج وبِلاد الدَّوَار[١]، وهي مَمْلَكة رُسْتُم الشَّدِيد[٢] ملَّكهُ إيَّاهَا كَيْقاوس[٣].

وبين مدِينةِ سِجِسْتانَ إلى مدِينةِ هَراة ثَمانُون فرْسَخاً، ومن شِيراز إلى نَيْسَابُور مِائةٌ وعشْرُونَ فرْسَخاً، ومن شِيراز إلى دَرابْجِرْد سَبْعةٌ وأرْبَعونَ فرْسَخاً، ومن إصْطَخْر إلى السِّيرجَان مدِينةِ كَرْمَان تِسْعةٌ وخمْسون فرْسَخًا، [b] [ومن السُّرمقَان، وهو آخر عمَل فَارِس تِسْعَة عشْرَ فَرْسَخًا] [b] ومن كَرْمَان إلى حدِّ عمل فَارِس سِتَّة عَشرَ فرْسَخاً[٤].

---

[a] لدى ابن خُرَّداذْبه: والرّخّج وبلاد الداور وهى مملكة رستم الشديد ملّكه كيقاوس ومن مدينة سجستان الى مدينة هراة ثمانون فرسخا.

(b-b) التتمة من المختصر.

---

[١] نقل ابن الفقيه هذا الخبر عن ابن خُرَّداذْبه دون إشارة. انظر: المسالك والممالك، ص٥٠٤ بينماصرح ياقوت الحموي بنقله هذا الخبر من ابن الفقيه الهمذاني. انظر معجم البلدان: مادة سجستان، ج٣، ص١٩١.

[٢] رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب، بطل فارسي مشهور وكان جبارا مديد القامة، شديد القوه، عظيم الجسم ولاه كيقاوس ممكلة سجستان وخراسان. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٠٤-٥٠٦.

[٣] كيقاوس بن كنعان، ملك فارس هزمه وأسره "ذو الأذعار" في اليمن، ثم أنقذه من يده وزيره رستم، وزحف إليه بجموع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره. وانصرف رستم بكيقاوس إلى بابل، وكتب كيقاوس لرستم عتقًا من عبودة الملك، وأقطعه سجستان وزابلستان، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجه، وأمره أن يجلس على سرير من فضة، قوائمه من ذهب، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهرًا طويلًا. وكان ملكه مائة وخمسين سنة.

انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٠٧-٥٠٩.

[٤] انظر: مختصر كتاب البلدان، ص٢٠٨.

[٩٦ظ] ومن جِيرَفْت إلى بَمّ عشرون فرسَخًا، ومن جِيرَفْت إلى أوّل عمل مُكْرَان واحدٌ وأربَعونَ فرسَخًا، ومن أوَّل عمل مُكْرَانُ إلى مَنْصُورة مُلْتَان السِّنْد ثلاثُمائةٍ وثمانِية وخمسُونَ فرسَخًا، [a] [والطريق في بلاد الزط وهم حفاظ الطريق][a] ومن [زَرَنج][b] مدينة سِجِسْتانَ إلى المُولْتَان مسِيرة شَهْرينَ.

القَوْل في الجَبل

ويُسَمّى [هذا الصُّقعُ][b] بلاد البَهْلَويِّين، وهي هَمَذان، ومَاسَبَذَان [ومِهْرجَانِقَذْق - وهي][b] الصَّيْمَرة -[c] وقُمٌّ، ومَاهُ البَصْرَة ومَاهُ الكُوفَةِ وقَرْمِيسِين[١]، وما يُنْسبُ إلى الجَبلِ وليس منه: الرَّيُّ وأصْبَهَان، وقُومِس[c)(٢]، وطَبَرِسْتَان، وجُرْجَان، وسِجِسْتانُ، وكَرْمَان، ومُكْرَانُ، وقَزْوين، والدَّيْلَمُ، [والبَبر][d]، والطَّيْلَسَان[٣].

(a - a) التتمة من ابن خُرَّداذْبه

(b) ساقطة من الأصل والتكملة من المختصر.

(c - c) حدد المقدسي إقليم الجبل بقوله: [بلاد البهلويّين وانّما هي: همذان وماسبذان ومهرجانقذق وهي الصّيمرة وماه البصرة وهي نهاوند وماه الكوفة وهي الدّينور، ولها من المدن أسداواذ آوه بوسته رامن وبه سيراوند روذراور طرز والنواحي ماه الكوفة ماه البصرة ماسبذان].

(d) التتمة من المختصر.

[١] حدد ابن خُرَّداذْبه بلاد البهلويّين بأنها تضم [الرّيّ، واصبهان، وهمذان، والدّينور، ونهاوند، ومهرجانقذق، وماسبذان، وقزوين وبها مدينة موسى ومدينة المبارك]: المسالك والممالك، ص ٢٠.

[٢] قارن المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٨٦.

[٣] قارن: مختصر كتاب البلدان ص٢٠٩.

القَول في قَرْمِيسِين

وقال أبو المُنْذِر هِشَامُ بن السَائِب الكَلْبيُّ: لَمَّا ظَفَرَ قُتَيْبة بن مُسْلِم[1] بفَيْرُوز بن كِسْرَىٰ يَزْدَجِرْد[2]، حيث افْتَتح خُرَاسَانَ أخذ ابْنتهُ شَاهْ آفَرِيْدَ ومعها سَفَطٌ مختومٌ فوَجَّه بها إلىٰ الحجَّاج، فحَملَها الحجَّاجُ إلىٰ الوَليد بن عَبْد المَلِك، فوَلدت له يَزِيد النَّاقِص، وفضَّ الحجَّاجُ السَّفَط فإذا فيه كِتابٌ بالفَارِسيَّة.

فدعا زَاذَنفرُّوخَ بن بِيرَىٰ الكَسْكَريُّ فقَرأهُ، فإذا فيه: بِسْم الله المُصوِّر ميَّز قُبَاذ بن فَيْرُوز إقْلِيمهِ، ووَزَن المِياه [والتراب][a] ليَبْني لنَفْسِه مَدِينةً يَنْزِهَا، فوجَد أنْزَه بِقَاع إقْلِيمه بعد أنْ بَدأ بِالعِراق التي هي سُرَّة الأقَالِيم ثلاثَة عشَر مَوْضِعًا: المَدائِن، والسُّوس، وجُنْدَيسَابُور، وتُسْتَر، وسَابُور، وأصْبَهَان، والرَّيُّ، و بَلْخَ، و سَمَرْقَنْد، وبَاوَرْد، وبَطْن بنهَاوند- يعني رُوذَرَاور- ومَاسَبَذَان، ومِهْرجَانِقَذْق، وتلُّ مَاسِير. ووجَد أبْرد بِقَاع إقْلِيمه سِتَّة مَوَاضِع: قَالِيقَلا، ودَبِيل[a]، وهَمَذان، وقَزْوِين، وجُوانِق[b].

---

[a] التتمة من المختصر. [b] كما في الأصل، والمقدسي، في المختصر: أردبيل.

[c] كما في المختصر، والمقدسي؛ في الأصل: جوالق.

---

[1] قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص، أحد الأمراء الشجعان الدهاة، يعد من مفاخر العرب، تولى الري لعبد الملك بن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد. وافتتح من المدائن: خوارزم، وسجستان، وسمرقند. وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية. وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها. وتوفي سنة ٩٦هـ/٧١٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص٤٠٦-٤٠٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٢-٢٣.

[2] عن فيروز بن كسرى بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى إبرويز. انظر فيما تقدم ص٢٣٢ .

[بَطْنًا بنهَاوند][a] وخُوارِزْم، ومَرْوُ، ووجَد أوبَأ بِقاع إقْلِيمِه سِتَّة مَوْاضِع: البنْدنِجيْن، وبَطْن مَاسْتُون- وهو سَابُور خُوَاسْت- وجُرْجَان، والخُوَار [بطْنًا بالرَّيّ] [a][1]، وبرْذَعة، وزَنْجَان.

ووجَد أقْحَطَ بِقَاع إقْلِيمِه ثمانية مَواضع: مَيْسَان، وبَادَورَايَا ، ودَسْتمِيْسَان، والكلْتَانِيَّة، وباكُسايَا ومَاسَبَنْذَان والرَّيَّ وأصْبَهَان، ووجَد أبْخَل أهْل إقْلِيمِه تِسْعة مَواضِع: خُرَاسَان، وأصْبَهَان، وأرْدَبِيل، ومَاسَبَنْذَان، وبَادَورَايَا، وباكُسايَا، وإصْطَخْر، وشِيراز، وفَسَا.

وأخْصَبُ بِقَاع إقْلِيمِه عشَرَة مَواضِع: أرْمِينيَّة، وأذْرَبِيجَان، وجُور، ومُكْرَان، وكَرْمَان، ودَسْتَبي، [٩٧و] ومَاهُ الكُوفَةِ، ومَاهُ البَصْرَة، وأرَّجَان، ودَوْرَق.

ووجَد أجْمَلَ بِقَاع إقْلِيمه عشَرَة مواضِع: الحِيرَة، والمَدَائِن، وكَلْوَاذى، وسَابُور، وإصْطَخْر، وجَنَّابَا، والرَّيَّ، وأصْبَهَان، وقُمَّ، والنَّشَوى.

ووجَد أعْقلَ أهْل إقْلِيمِه سَبْعة مَواضِع: عُكْبَرا، و قُطْرَبُّل، وعَقرْقُوق، والرَّيَّ، وأصْبَهَان، ومَاسَبَنْذَان، ومهْرجَانِقَذْق. ووجَد أفْطَن أهْل إقْلِيمِه سِتَّة مواضِع: إسْكَاف العُلْيَا، وإسْكَاف السُّفْلى، ونِفَّر وسِمَّر، وكَسْكَر، وعَبْدَسِي.

ووجَد أحْسَد أهْلِ إقْلِيمِه خمْسَة مواضِع: جَرْجَرايَا، وحُلْوَان، وسَحَارَان، وهَمَذان، مَاسَبَنْذَان.

---

[a] زيادة من المختصر.

---

[1] قارن: مختصر كتاب البلدان ص٢١٠.

ووجَد أعْلَم أهْلِ إقْلِيمِه بالسِّلاح أرْبَعة مَواضِع: هَمَذان، وحُلْوَان، وأصْبَهَان، وشَهْرَزُور.

ووجَد أخفَّ مِياه إقْلِيمِه عشْرَة موَاضِع: دِجْلَة، والفُرَات، وجُنْديسَابور، ومَاسَبَنْذَان، وبَلْخ، وسَمَرقَنْد وقَزْوِينَ، ومَاء سُوَار ـ وهي عين بقَرْمِيسِينَ ـ ومَاء ذَات المَطَامِير، ومَاء ملَّجان[a] قَرْيةُ الثَّلج بمَاسَبَنْذَان. ووجد أمْكَر أهْلِ إقْلِيمِه أحدَ عشَرَ موْضِعًا: خُرَاسَان، وأصْبَهَان، والرَّيّ، وهَمَذان وأرْمِينيَّة، وأذْرَبِيجَان، ومَاسَبَنْذَان، ومهْرجَانِقَذْق، وتُسْتَر، والمَذَار، وأرْتَوىٰ.

ووجَد أسْرَىٰ فَواكِه إقْلِيمِه سَبْعة موَاضِع: المَدَائِن، وسَابُور، وأرَّجَان، والرَّيَّ، ونَهَاوَنْد ومَاسَبنْذَان، وحُلْوَان [الجبل][b].

ووجَد أقلَّ [أهل][b] إقْلِيمِه نظَرًا في العَوَاقِب أهْل ثمانِية موَاضِع: البنْدنِجيْن ومَاسَبَنْذَان، ومهْرجَانِقَذْق، وأرْدَشِيرخُرَّة، ورَامَهُرْمُز، وأرْمِينيَّة، وأذْرَبِيجَان، وبَخْروذ ـ قَرْية من قُرىٰ قُمّ[1]. خَرجَ منهُم في وقْتِ مُوافَاةِ العَرَبِ أرْبعَة آلافِ رجُلٍ مع كلِّ رجُلٍ خَادِمٍ وسَائِس وخَبَّاز وطَبَّاخ إلىٰ نَهَاوَنْد ليُقَاتِلوا العَرب ويَمْنعُوهم من المُقَامِ في بَلدِ العَجم، فقُتلوا كلُّهم [عن آخرهم][c] بالإسْفِيذْهَان فلم يَفْلِت منهُم إلَّا رجُل واحِد.

---

[a] في المختصر: «ماء منجاي».

[b] التتمة من المختصر.

[c] التكملة من المختصر.

---

[1] قارن: الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ج١، ص١٧٠-١٧٥؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٥٧-٢٥٨؛ أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٥٧-٦١.

ووجدَ أسْفلَ أهْلِ إقْلِيمِه أهْلَ سِتَّة مواضِع: البنْدنِجيْن، وبَادَورَايَا، وباكُسايَا، وبهَنْدَف، وقَهْقُور -بطْنَا بمَاسَبَذَان- وجَرُود -بطْنَا بنهَاوَنْد- ولم يجِدْ ما بين المدَائِن إلى نَهْرِ بَلْخٍ بُقْعَةً علىٰ الجادَّةِ أنْزَهَ وَلَا أعْذَبَ مَاءً وَلَا [ألَذَّ][a] نَسِيمًا من قَرْمِيسِينَ إلى عقبة هَمَذان.

فأنشأ قَرْمِيسِين [٩٧ظ] وبَنَىٰ فِيهَا لِنَفْسِهِ بِنَاءً مُعَمَّدًا عَلَىٰ ألْفِ كَرْمٍ، فقَرْمِيسِينَ كلمة فَارِسيَّة معناها كَرْمَان شَاهَانْ[1].

وبنَىٰ الأكَاسِرةُ من المدَائِن إلى عَقبَةِ هَمَذان وقَصْر شِيرِين[2] مُعْتَبرةِ آل سَاسَان وعَقَرقُوف مقْبَرَةَ الكَيانيِّين[3]، ثمَّ نقلَ قُبَاذ الأشْرَافَ من فَارِس وخُرَاسَانَ، وكذلك أهْلَ [الشَّرف][a] والجمَالِ والأدَبِ والفُروسِيَّةِ فأسْكَنهُم حَافتَي دِجْلَة.

وأنْزلَ أصْحَابَ الصِّنَاعَات بَطْن جَوْخَى، وأنْزل من كان من وجُوهِ النَّاسِ الذين هم دُونَ الأشْرافِ، النَّهْرَوَانَات. وأنْزلَ الحَاكَةَ [السُّوس، وتُسْتَر][b]، والحجَّامِين بَادَورَايَا وباكُسايَا، وأنْزلَ التُّجَّار الأهْوَاز، وأنْزلَ الأطِبَّاء، السِّيرَوَان، قرية بمَاسَبَذَان.

---

[a] التتمة من المختصر.

[b] التتمة من ياقوت.

---

[1] قارن: الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ج١، ص١٧٥؛ أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٦١.

[2] انظر: مادة قرميسين، ومادة قصر شيرين لدى ياقوت الحموي، ج٤، ص٣٢٩-٣٣٠؛ ص٣٥٨-٣٥٩.

[3] الكيانيون: أمة من النبط كانوا ملوكا بالعراق قبل الفرس. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٢.

فلمَّا ميَّز قُبَاذ إقْلِيمَه، وعرِفَ أهْلَ بِقَاعِهِ، مسَحَ البِلاد، ووقفَ علىٰ الحُدُودِ وعَدد الفَرَاسِخ، اخْتَار النُّزولَ بالمدَائِن ليَقْرُب من الرُّومِ [وكَانت الأنْبَار رُومِيَّة][a]، وأخَذَ في بِنَائِها وابْتَدأ بِعمَلِ قَصْرٍ ليَسْكُنه، فكان كُلَّما رفَعَ من حَائِطهِ شيئًا هبَّت رِيحٌ عَظِيم فَاقْتلَعتهُ، فلمَّا رأىٰ ذلك وجَّه إلىٰ بَلَنْيَاسٍ[1] المُطَلْسِم فأحْضَرهُ من بَلدِهِ وأمَرَهُ أنْ يُطَلْسِم موَاضِع آفَاتِ إقْلِيمِهِ، وقَال له: ابْدَأ بالمدَائِن.

وجعَلَ له [علىٰ كلٍّ][a] طَلْسمٍ يعْملهُ أرْبعة آلافِ دِرْهمٍ، فاتَّخذ له في مَوْضِعِ الإيْوانِ - مكَان وسَطِ القَصر - طَلْسَمًا كَبِيرًا، وجعَل حَوْلهَ أحَد عشَرَ طَلْسَمًا، فأمَّا الكَبِيرُ فاللرِّيح التي كانت تقْتَلعُ الحَائِط فسَكنتْ وتمَّ البِنَاء.

وطَلْسَمٌ للعَقَارِبِ فقلَّتْ بها، وآخَرُ للحُمَّىٰ [فقلَّت الحُمَّىٰ بها][b]، وآخَر للجَرَّارَاتِ[2] [فقَلَّتْ][b]، [c]وآخَر للسِّبَاعِ[c]، وآخَر للبَرَاغِيث، وآخَر لاجْتِمَاعِ كلِمَة أهْلهَا [شهِدوا أو غَابُوا مَا دَامَ المُلْكُ فيهم][d]، وآخَر ليُطِيعَ أهْلهَا مُلوكَهم ما بَقوْا، وآخَر لمُلُوكِ الأقَالِيم أنْ يهَابُوا مَلكَ العِرَاقِ ولا يخَالِفُوه، وآخَر لتَعفَّ نِسَاؤهُم عن الفجُورِ، وآخَر لتَزْكُو غَلَّاتهم وثِمارُهم[3].

---

[a] ساقطة من الأصل.
[b] زيادة من المختصر.
(c-c) في المختصر: وآخر للأسد فقلت، وآخر للريح.
[d] زيادة من المختصر.

---

[1] بلنياس الحكيم، أبو لونيوس الطيَّاني حرف اسمه بالعربية إلى بلنياس، صاحب كتاب الطلاسم الأكبر، النديم: الفهرست، ج٢، ص٣٤١.

[2] الجرارات: جمع جرارة و هي عقارب صفراء صغيرة على شكل التبنة من أخبث العقارب. انظر: المعجم الوسيط، ج١، ص١١٦.

[3] انظر: مختصر كتاب البلدان ص٢١٠-٢١١.

وجَعلَ علىٰ يَمِينِ كلِّ طَلْسَمٍ منها وشِمَالِهِ وقدَّامِه وورَائِه كَنْزًا بينَه وبَيْنَهُ أرْبعُونَ ذِرَاعًا، ثمَّ طَلْسَمهَا وكُنُوزَها أنْ تُخْفَىٰ عن النَّاسِ فخُفِيتْ.

٣ ويُقَال إنه ما بُنِي بالآجُرِّ والجصِّ بَنِيَّةٌ أبْهَىٰ ولا أجَلُّ ولا أحْكَمُ ولا أعْلَىٰ سَقْفًا ولا أكْثَرُ ذَرْعًا من إيوَان كِسْرىٰ بالمدَائِن[١].

وفيه يقول البُحْتُرِيُّ من شِعْرٍ طَوِيلٍ (شِعْر):

٦ [الخفيف]

وكأنَّ الإيوَانَ من عَجَبِ الصَّنْعةِ جَوْبٌ في جَنْبِ أرْعَن جَلْسِ
[٩٨و] مُشْمَخِرٌّ تَعْلو له شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ في رُؤُسِ رَضْوَىٰ وقُدْسِ
لَيْسَ يُدْرَىٰ أصُنْعُ إنسٍ لجنٍّ سَكَنوهُ أم صُنْعُ جِنٍّ لإنسِ

وأنْشَدَنِي ابنُ الحَاجِب[٢] لنَفْسِه يَصِفُ إيوَانَ كِسْرَىٰ (شعر):

[الكامل]

إنْ خَانَني زَمنٌ فمَنْ هذا الذي لم تَسْتَبِحْهُ خِيانَةُ الأزْمَانِ
أخنَىٰ علىٰ عَادٍ وأهْلَكَ تُبَّعًا (a وسَطَا بقُدْرَتِهِ a) علىٰ النُّعمَانِ
وأزَالَ مُلْكَ الفُرسِ بعد ثُبوتِهِ وهَوىٰ بكِسْرَاها أنُوشَرْوانِ
آثَارُهم تُنْبِيك عن أخْبَارِهم نَصًّا ولَيْسَ مُغَيَّبٌ كعِيَانِ

(a-a) في المختصر: وخنى بكلكله.

---

[١] صاحب هذه المقولة هو الرحالة الفارسي ابن خُرَّداذْبه. حيث قال: «... وأنا أقول ما بناء بالجصِّ والآجرِّ أبهى من إيوان كسرى بالمدائن...» انظر: المسالك والممالك، ص١٦٢.

[٢] محمد بن أحمد المعروف بابن الحاجب، أديب شاعر، كان صديقًا لابن الرومي. انظر في أخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص٤٥٢-٤٥٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص٣٦.

هل أُسْمِعَتْ أذْنَاكَ مثل حدِيثِهم	أو عَايَنتْ عيْنَاكَ كالإيوَانِ[١]
قَصْرٌ يكَادُ يَرُدُّ حُسْـنَ بِنـَائِه	[a]عنـد التَّـأمُّلِ أعْـيُنَ العُمْـيَانِ[a]
تَعْـلُو له شُــرفٌ كأنَّ شُخوصَها	بِيضُ الحَـمائِمِ في ذُرَىٰ الأغصَـانِ
حَفَّـتْ به كَحُفُوفِ وفْـدٍ أحدقوا	بحَــرِيمِ بَيْتِ الله ذِي الأرْكَـانِ
وكـأنَّها في وَسْـطِ كلِّ دُجَنَّةٍ	نَـارٌ تُشـبُّ لعَـابِدِ الرُّهْـبَانِ
أو فِتْيةٌ شَربُوا فَـأثَّر فيهـمُ	فِعْلُ الشَّـرَابِ مخِيلَةَ النَّشْوانِ
وضَعُوا الأكُفَّ علىٰ الخُصُورِ ورَفَّعُوا	فَوْقَ الرُّؤوسِ أكلَّةَ الـمَـرْجَانِ
مُضْطَفَّةٌ كبَنَاتِ نَعْشٍ في ذرَىٰ	عَالِي السُّموكِ مُوَثَّقُ البُنْيَانِ
اِلفَتْ مجَاوَرةَ السِّماكِ سُمُوكهُ	وتَرفَّعتْ عن يَذْبُلٍ وأبَانِ
فكَـأنَّما بين السِّــماكِ وبَيْنهُ	شَرٌّ فـما يَنـيَانِ يتَّحِبَانِ
صُــورٌ من الآسَادِ في جَنبَاتِه	مَا إنْ لها أجَمٌ سِوىٰ الجُدْرَانِ
أُسْــدٌ علىٰ فَـرَسِ الرِّجَالِ قَدِيرةٌ	لـو أنَّها كانت مـن الحَيَــوَانِ
ومُعَسْكَـرانِ لكـلِّ حِـزْبٍ منهُما	لم يَبْقَ مــن جمْعَيْهِـما رَجُلَانِ
لوْلَا وقُوعِ اليَـأسِ من حرَكَاتِهم	لظَننتَ أنَّهـما سَيَقْـتَتِلَان
فَفتَىٰ يَقِيهِ من السِّـنَان مجُـبُّه	ومُقحَّـمٌ يَهْوي بحَـدِّ سِنَانِ
لَبِسُوا من الألْوَانِ أصْفَر فَاقِعًا	فأتَاهُ نَاصِعـهُ بِأحْمَــر قَـانِ
ومُوَرَّدٌ في خضـرَةٍ فكأنَّه زَهْرٌ	تـكَـنَّفَ حَـافَتـي بُـسْتَانِ

(a – a) في المختصر: «بصراء عنه نواظر العميا».

[١] انظر: مختصر كتاب البلدان ص٢١٣.

ثمَّ رجعَ بِنا القَوْلُ في قَرْمِيسِين وذِكْر عجَائِبها

[٩٨ظ] قال أبو المُنْذِر: طَلْسَماتُ إيرَانشَهْر عَيْنٌ ظَاهِرة، وعند كلِّ طَلْسَمٍ منها عَلَامةٌ إمَّا صَخْرةٌ وإمَّا تِمثَالٌ، وجميعُ ذلك من كلِّ طَلْسَمٍ على أرْبَعِينَ ذِرَاعًا، (a [ثم وجهه إلى ناحية الجبل]a) قال: ولمَّا انْتَهى بَلنيَاس إلى طَرَارِسْتَان وعمِلَ بإزَاءِ القَنْطَرةِ طَلْسَمًا للغَرقِ فسَلِمَ أهْلهَا منه، وآخَر خَلفَ القَنْطَرةِ فتمَّ بنَاؤهَا، وآخَر عن يمِينهَا فجَرى المَاءُ الذي عندها، وآخر عن يَسَارِها فسَلِمتْ من السِّحْرِ.

وعمل بالبنْدنِجيْن طَلْسَمًا للغَرقِ فأمِنُوا، وآخَر للقيَّارة (b [1] ـ عَيْنُ القِيرِ ـ حتى نضُبَتْ. لوْلَا ذلك ما أمْكَن أحَدٌ أنْ يَشْرب من المَاءِ الذي هُناك.

وكذلك عمِلَ آخَر(c [فَوْقَهَ على فَرْسخٍ] c) للنفَّاطَةِ (d حتى انْصَرف شَعْبُ النَّفْطُ إلى جِهةٍ أخْرى عن الماءd). وعمل عن يَسَارِ البنْدنِجيْن طَلْسَمًا للزَّنَانِير[2] وآخَر للذِّئْبَة[3] [فسَلِمُوا منها]e) فقلَّتْ، وكانت أكثر الأرْضِ ذِئبةً وزنَانِير.

(a_a) التتمة من المختصر.

b) في المختصر: للمنارة.

(c_c) ساقطة من الاصل.

(d_d) في المختصر: «حتى نضبت ولولا ذلك لأفسد ماءهم».

e) التتمة من المختصر.

---

[1] القيارة: عين بالموصل ينبع منها القار وهي حمّة يقصدها أهل الموصل ويستشفون بمائها. انظر [مادة: القيارة] لدى ياقوت، ج٤، ص٤١٩.

[2] الزنانير: ذباب صغير يسكن في الحشائش. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ز ن ر] ج١١، ص٤٥٢.

[3] الذئبة: داء يصب الدواب في حلوقها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ذ أ ب] ج١، ص٣٧٩.

وعمَلَ بقَرْيةٍ من قُرىٰ مَاسَبَنذَان ـ تُسمَّىٰ تُومَان[a] ـ طَلْسَمًا لأجَمَّةٍ كانت هناك لا يَسْلُكهَا أحَدٌ في الشِّتاءِ إلَّا غَرِقَ في طِينهَا، وعمل في هذه القَرْية أيضًا: [b]طَلْسَمًا لِحَمَّةٍ كانت هناك مَاؤُهَا شَدِيدُ الحرِّ كانت تَظْهرُ في الشِّتاءِ وينقَطِع مَاؤهَا في الصَّيفِ، فلمَّا طَلْسَمها أُجْرِيَ مَاؤهَا شِتَاءً وصَيْفًا ولم يَنْقَطِع في وَقْتٍ من أوْقَاتِ السَّنةِ[b].

ومن عَجَائِبِ قَرْمِيسِينَ أنَّ [c] الهَوَاءَ لم يَكُن يَهبُّ فيها في الصَّيفِ لَيْلًا ولَا نَهارًا[c]، فشَكَا قُبَاذ إلىٰ بَلنَيَاسِ ذلك فعَمِل لها طَلْسَمًا حتىٰ هَبَّ الهَوَاءُ بها علىٰ ما يهِبُّ في غيرها.

وطَلْسَم أيضًا قَرْيةً بالقُرْبِ منها يُقَال لها: كِرْكَان، وكَانتْ تَقُوم بها سُوقٌ[عظِيمة] في كلِّ عامٍ ([d] فيَتْلفُ فيها خَلقٌ كثِيرٌ بالعَقَاربِ[d])، فقَلَّتْ العَقَاربُ فيها وخَفَّ عن أهْلهَا ما كانوا يَلْقَونَ منها.

فيُقَالُ إنَّه لا يُوجَد فيها عَقْربٌ، وإنْ وجِدَ لم يَضُر. ومن أخَذَ من تُرَابِها وطَيَّن به حِيطَان دَارِه في أي بَلدٍ كان لم يُـرَ في دَارِهِ عَقْرب، ومن أخذ منه أيضًا عند لسْعَةِ العَقْرب عُوفِي لوقْتهِ، ومن أخذَ منه شيئًا وأخَذَ العقَارِب بيدهِ لم يخْشها[1].

---

[a] في المختصر: ترمان.

(b – b) في المختصر: «ترمان حمة يتخيل إلى الإنسان أن النار يتقد فيها تعمل في الشتاء ولا تعمل في الصيف، وحمَّة ترمان شظية من حمة ماه الكوفة».

(c – c) في المختصر: «أن الريح كانت لا تهب فيها أيام الصيف بالليل».

(d- d) في المختصر: «فكان في كل سنة يموت عالم من الناس».

---

[1] نقل هذا الخبر عن ابن الفقيه كل من ياقوت الحموي والقزويني، انظر: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٢؛ آثار البلاد، ص٤٤٥.

[صُورَة الفَرَسِ شَبْدِيز]

ومن عَجَائِبها ـ وهو أحَد عجَائِب الدُّنْيا ـ صورَةُ شَبْدِيز، وهو في قَرْيةٍ يقال لها جَانَان[a]، ومُصوِّره قَنطُوس[b] بن سِنمَّار [الروميُّ][c].

و سِنمَّارُ هو الذي بنَىٰ [٩٩و] الخَوَرْنَق بالكُوفَةِ[d]، وكان سَببُ صُورَته في هذه القَرْيةِ أنّه كان أذْكَىٰ الدَّوابِّ واعْظَمهَا خَلقًا[e] واظْهَرُها خُلُـقًا، واصْبَرها علىٰ طُولِ الرَّكْضِ، وكان مَلكُ الهِندِ أهْدَاهُ إلىٰ أبَرْوِيز المَلِك[١] [مُؤدَّبًا][f] فكان لا يَبُول ولا يَرُوث مَادَامَ عليه سِرْجُه ولجَامِهِ، ولا يَنْخَر ولا يُزْبِدُ، وكانت اسْتِدَارَةُ حَافِرِه سِتَّة أشْبَارٍ. فلمَّا نفَقَ ووقَف المَلِكُ علىٰ ذلك من غناء البَهْلَبنْد[g] أمر قَنطُوس بتَصْويرَه، [h]فلمَّا فرغَ منه أعْلَم أبَرْوِيز بذلك[h]. فجَاء حتىٰ وقفَ عليه ونظَر إليه، واسْتَعبر بَاكِيًا عند تَأمُّلِهِ إيَّاهُ وقال: لشدَّ ما نعَىٰ هذا التِّمْثَالُ إلينا أنْفُسنَا وذكَّرنا ما نَصِيرُ إليه من فسَادِ حَالِنا[٢].

---

[a] كما في الأصل: وأبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان؛ وفي ياقوت: خاتان.

[b] في الأصل: قطرس، والتصويب من:ياقوت.

[c] زيادة من المختصر.

[d] لدى القزويني: «بظاهر الحيرة».

[e] لدى ياقوت: «أعظمها خلقة».

[f] زيادة من المختصر.

[g] رسمت في الأصل: الفلهبذ.

[h-h] لدى ياقوت: «فصوَّره على أحسن وأتمّ تمثال حتى لا يكاد يفرق بينهما إلّا بإدارة الروح في جسدهما».

---

[١] تقدمت ترجمته ص٤٣٨ .

[٢] راجع: من ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣١٩؛ القزويني : آثار البلاد بأخبار العباد: ص٣٤٣.

ولئِنْ كان في الظَّاهِرِ [a(أمرٌ من أمُورِ الدُّنْيا يخْلُو من أمُورِ الآخِرةِ a)] إنَّ فيه لَدَلِيلًا علىٰ الإقْرَارِ بمَوْتِ جسَدِنَا وانهِدَامِ بَدَنِنا وطمُوسِ صُورَتنَا ودَرسِ أثَرِنا للْبِلىٰ

٣ الذي لابُدَّ منه، [b(مع الإقْرَارِ باليَأْسِ من البَقَاءِ الذي لا سَبِيلَ إليه b)] أنْ [c(يُبْقِي من جمَالِ صُورَتِنا ومِثَال بدَنِنا إلّا رَسْمًا يتَجدَّد به أمْرُنا من البَاقِينَ بعْدَنا مع مَا يَدْرُس من آثَارِنا وذِكْرِنا c)][1].

[a-a] في المختصر: «فقال ولئن كان في الظاهر أمر من أمور الدنيا يدلّ على أمور الآخرة».

[b-b] لدى ياقوت: «مع الإقرار بالتأثير الذي لا سبيل إليه».

[c-c] لدى القزويني: «وسيبقى هذا التمثال أثرًا من جمال صورتنا للواقفين عليه حتى كأننا بعضهم ونشاهدهم».

---

[1] نقل كلّ من ياقوت الحموي: في معجم البلدان، والراغب الأصفهاني: في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، هذه القصة عن ابن الفقيه. وقد أكمل ياقوت هذا الخبر بقوله: «... فاتفق أن شَبْدِيز اشتكى وزادت شكواه، وعرف أبرويز ذلك وقال: لئن أخبرني أحد بموته لأقتلنّه. فلمّا مات شَبْدِيز خاف صاحب خيله أن يسأله عنه فلا يجد بدًّا من أخباره بموته فيقتله. فجاء إلى البَهْلَبَنْد مغنيه - ولم يكن فيما تقدم من الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود والغناء - ، قالوا: كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله: فرسه شَبْدِيز ، وسريته شيرين، ومغنيه بَهْلَبَنْد.

وقال: اعلم أن شَبْدِيز قد نفق ومات. وقد عرفت ما أوعد به الملك من أخبره بموته، فاحتل لي حيلة ولك كذا وكذا. فوعده الحيلة. فلما حضر بين يدي الملك غنّاه غناء ورّى فيه عن القصة إلى أن فطن الملك وقال له: ويحك! مات شَبْدِيز ؟ فقال: الملك يقوله. فقال له: زِهْ. ما أحسن ما تخلصت وخلصت غيرك. وجزع عليه جزعًا عظيمًا ...».

هذا ولم نجد هذه التتمة في النسخة التي بين أيدينا، ولا في مختصر الكتاب، بالرغم من تصريح ياقوت في بداية الخبر أنه نقله من ابن الفقيه. وربما كانت النسخة التي اعتمد عليها ياقوت أكمل من التي بين أيدينا. انظر: ج٣، ص٣١٩-٣٢١.

فمن يَخْطُر ببَالِهِ هذا فلْيَنْظُر إلىٰ ما أمَرنَا به من هذا التِّمْثالِ، وليَسْتَيْقِنْ بدُروسِ رَسْمِهِ وذِهَاب بهْجَتِهِ، وإلّا فالهَلاكُ غَالِبٌ علىٰ أمْرِه، وقد أحْدَث لنَا وقُوفنَا علىٰ هذا التِّمْثالِ ذِكْرًا لمَا يصِيرُ إليه حَالُنا، وتَوهُّمنَا وقُوفَ الوَاقِفِينَ عليه بعْدَنا حتىٰ كأنَّنا بعْضُهم ومُشَاهِدُون لهم، أومن حَضَر ذلك منهُم من ذِكْرِ الحَالتَينِ اللتين اخْتَلفتا بصَاحِبه من الحَياةِ وصِحَّةِ البَدنِ ونفَاذُ الأمْرِ وما حَارَ إلىٰ ذلك محَارَّهُ.

ومن عجَائِب هذا التِّمْثال أنَّه لم يُرَ مِثْلَ صُورَتِهِ صُورَةٌ، ولم يقِف عليه أحَدٌ منذ صُوِّرَ من أهْلِ الفِكْر اللَّطِيفِ والنَّظَرِ الدَّقِيقِ إلّا اسْتَرابَ بصُورتِهِ وعَجِبَ منها وأطَالَ الفِكْرَ فيها، حتىٰ لقد سَمِعتُ كَثِيرًا من هذا الصِّنْفِ يحْلِفُون أو يُقَارِبُون اليَمِينَ أنَّها ليْسَتْ من صُنْعِ العِبَادِ ولا تَصْوِير المَخْلُوقِين.

وسَمِعتُ رجُلًا من كبَار المُعْتَزِلة ونَظَائِرِهِم يحْلِف بالأيْمانِ المُغَلَّظَةِ أنَّه ليس من صُنْعِ العِبَادِ، وأنَّ الله ﷻ فيه خَبِيئَةً سَوفَ يُظْهِرها يَوْمًا ما.

وسَمِعتُ بعْضَ الفُقَهَاءِ العُلَماءِ يقول: [٩٩ظ] لو أنَّ رجُلًا خَرجَ من فَرْغَانَةَ القُصْوَىٰ، وآخَرُ من السُّوسِ الأبْعَد قَاصِدِينَ إلىٰ شَبْدِيز حتىٰ يَنْظُرا إليه ما عُنِّفا علىٰ ذلك.

وأنْتَ إذا فكَّرتَ في أمْرِ صُورَة شَبْدِيز هذه وجَدْتَّها كما ذكَر المُعْتَزِليُّ، فإنَّه إنْ كان من صِنْعَةِ الآدَمِيينَ فقد أُعطِي هذا المُصَوِّرُ ما لم يُعْطَ أحَدٌ من العَالَمِين، فأيُّ شَيءٍ أعْجَبُ وأظْرَفُ وأشَدُّ امْتِنَاعًا من أنَّه سُخرتْ له الحِجَارة كما يُرِيد، ففِي المَوْضعِ الذي يَحْتَاج إليه أنْ يكُونَ أسْوَد اسْودَّ، وفي المَوْضِع الذي يَحْتَاجُ أنْ يكُونَ أحْمَر احْمَرَ، كذلك البَياضُ وسَائِرُ الألْوَانِ فتبَارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخَالِقِين.

وقال بعضُ أهْلِ العِلْم[١]: ما يكُون أنْ تكُون حَجَرةٌ واحِدةٌ اخْتَفَر فيها هذه الألْوَان في المَوَاضِع التي أُحْتِيجَ إليها، (a)ولكنَّه لمَا فَرغَ من الصُّورةِ صَبغَها بما احْتَاجَ إليه من الأصْبَاغِ. ثمَّ دهَنهَا بعد ذلك بِدهْنٍ كان يقِفُ عليه(a). يُوهِم أنَّ تِلْكَ الألْوَانَ خِلْقةٌ فِي الحَجرِ غَيرُ معَالجَةٍ بشَيءٍ من الأشْياءِ.

قال: وأنشَدنِي أبو مُحمَّد العَبْديُّ الهَمذَانيُّ[٢] لنَفْسِه من صورة شَبْدِيز (شِعْر):

[السريع]

مَنْ نَاظِرٌ مُعْتَبِرٌ أبصَرتْ ... مُقْلَتُه صُورَة شَبْدِيزِ
تَأمَّلَ الدُّنيَا وآثَارَها ... في مَلِكِ الدُّنْيا أبـرْوِيزِ
يُوقِنُ أنَّ الدَّهْرَ لا يَأتَلِي ... يُلْحِقُ مَوْطُودًا بمَهْزُوزِ
أبعْدَ كِسْرىٰ اعْتَاضَ من ... مُلْكِهِ مُحطُّ رَسْمٍ ثمَّ مَرْمُوزِ
يغْبِطُ جِيرانًا علىٰ عِيشَةٍ ... رَنْـقٍ يُعَـاينُهَا بتَـوْفِيـزِ
الغَمُّ علىٰ الدُّنْيَا فلا طَائِلٌ ... فيـهـا لِذي لُـبٍّ وتَمْييزِ
نُعْمَىٰ وبُؤسَىٰ أعْقَبَتْ هذه ... تِيك فَـذُو العِـزِّ كمَعْزُوزِ

(a-a) في المختصر: «محال أن يكون حجر واحد بجميع هذه الألوان، ولكنَّه لمَّا فرغ من الصُّورة دهَنها بالدُّهن الصيني».

[١] سُمِّي في المختصر: أبو علي محمد بن هارون بن زياد. وتمام الخبر في المختصر كالتالي: «... وقال لي أبو علي محمد بن هارون بن زياد. وكان حكيمًا فيلسوفًا. وقد تجارينا ذكر شبديز فوصلنا إلى هذا الفصل...». انظر: ص٢١٥.

[٢] أبو محمد العبدي الهمذاني، أحد الشعراء المعاصرين لابن الفقيه نقل عنه غير مرة مصرِّحًا بلفظ أنشدني، ولم أجد له ديونًا مطبوعًا، ولم أقف على ترجمة له في المظان.

وأنشدني الحُسَين بن أبي سَرحٍ[1] لأبي عِمْرانَ الكِسْرَويِّ[2] من شِعْرٍ يذْكُر فيه الفَرَس (شِعْر):

٣ [الطويل]

وهم نَقَروا شَبْدِيز في الصَّخْرِ عِبْرَةً ورَاكِبُه بَرْوِيزُ كالبَدرِ طَالِعُ
عليهِ بَهاءُ المُلْكِ والوَفدُ عُكَّفٌ يُخَالُ به فَجْرٌ من الأُفقِ سَاطِعُ
تُلاحِظُهُ شِيرِينُ واللَّحْظُ فَاتِنٌ وتعطُو بكفٍّ حَسَّنَتْها الأشَاجِعُ
يَدوم علىٰ كُرِّ الجَدِيدينِ شَخْصهُ ويُلْقَىٰ قَوِيمَ الجِسْمِ واللونُ نَاصِعُ

وقال آخَر[3] (شِعْر):

[البسيط]

شَبْدِيز مَنْحوتُ صَخْرٍ بعد بهْجتِهِ للنَّاظِرِين فلا جَزْيٌ ولا خَبَبُ
[١٠٠و]عَليه بَرْوِيزُ مثل البَدرِ مُنْتَصِبًا للنَّاظِرينَ فلا يُجْدِي ولا يَهبُ
وربَّما فَاضَ للعَافِينَ من يَدِهِ سحَائِبٌ وَدْقُها المَرْجَانُ والذَّهبُ
فلا تَزالُ مَدىٰ الأيَّامِ صُورتُهُ تَحِنُّ شَوْقًا إليها العُجْمُ والعَرَبُ

٦

[1] الحسين بن أبي السرح، أبو عبد الله، الأخباري من المصادر التي اعتمد عليها ابن الفقيه في كتاب أخبار البلدان، إذ هو من شيوخه وأصدقاء أبيه. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٤٦٠.

[2] لم أقف على ترجمته.

[3] ثم علق ياقوت في نهاية الخبر بقوله: «قلت: وعندي أشعار وأراجيز اكتفيت منها بهذا القدر تجنّبا للإطالة». انظر: مادة شبديز، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١.

وقال أبو الحَسَنِ العِجْلِيُّ [1] في صُورَةِ شَبْدِيز (شِعْر):

[الرجز]

أَبَاحَ للطَّرْفِ السُّهادَ والسَّهَرَ وَوَكَّـلَ الجَفْـنَ بمَـاءٍ مُنْهَـمِرْ
طَيـفٌ سـرىٰ وهِـنـاً لريَّا فظهر يا حبَّذا الطَّارِقُ فِي وجهِ السَّحرْ
في اللَّيلِ يبدو والنَّهار يَسْـتَتِرْ تلكَ التي تَزْري بشمسٍ وقَمَـرْ
وغُـرَّةَ زاهـرٍ تُغْشِي البَـصَـر حَـالَ بَهـائـهَا الجَـمَالَ فَـقطَـرْ
شَبَّهْتُها حين تَبدَّتْ في خَضَر شِيرينَ في حُسْنِ اعْتِدالٍ وقَـدَرْ
كَأنَّما تَنْفُثُ سِحْرًا مُسْتَمِر تَكادُ تَسْبِي نَاظِراهَا مـن نَظَـرْ
بِطُـرَّةٍ مُـشْـرِقةٍ من الطُّـرَر وحَاجِبٌ خُطَّ بمِسْكٍ فَشُطِرْ
وشَاهِدٍ عَقْرَبَ في الخَدِّ النَّضِر مـا إنْ به من نُـدَبٍ ولا أثَـرْ
لَوْلَا الذي من أنْفِ شيرينَ كُسِر شُلَّـتْ يَـدا آمِـرُهُ والمُـؤْتَمِـرْ
لقَدْ أتَىٰ بِفعْلِه إحْدَىٰ الكُبَر مـا كان أقْـوَىٰ قَلْبهُ حِينَ جَسَرْ
ويْلُ أُمِّهِ لقَـدْ تَعَـاطَىٰ فَعَـقَر فجَـاءهُ أمْـرُ الأمِـيرِ فَـحـبَرْ
وعَمَّر البَهْو وقَدْ كان دَثَر وهي كهَاتِيكَ ولكن من حَجَرْ
كِسْرىٰ وشِيرينُ وشَيْخٌ ذُو كِبَر عَلَيهِم التِّيجَانُ من فَوقِ الوَفَرْ

---

[1] أحمد بن عبد الله بن صالح، أبو الحسن العجلي الكوفي، الإمام الحافظ القدوة، من أئمة أصحاب الحديث الحفاظ المتقنين، خرج إلى المغرب أيام فتنة القرآن وسكن طرابلس المغرب، صاحب تصانيف، توفي سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م.

انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٤٩؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص١٠٧-١٠٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٥١.

تَسْقِيهِمُ شِيرِينُ رَاحًا بِقَدَر في البَهْوِ والبَهْو عليه مُحْتَجَرْ
يَحُثُّهُم مُدجَّجٌ علىٰ ظَهْر مُنْصَلِتٌ حَرْبَتُهُ ذَاتُ شَرَرْ
كأنَّما يطْرُدُ مَهْدُوبَ الوَبَر أو الشَّبيهَاتِ بعِيْرَانِ البَقَرْ
لا الزَّامَ أنْسَىٰ ولا الطَّرْفَ أغر عَادَتَهُ صَيْدُ الظِّبَاءِ والعُفَرْ
والتُّرْسُ في يُمْنَاهُ لَمَّا يَسْتَتِر شَاكِي السِّلاحَ كَالكَمِيِّ المُنْكَدِرْ
كأنَّما الدِّرعُ عليه قد سُمِر وعن يَمِينِ البَهْوِ نَهْرٌ قد زَخَرْ
فِيه صُنوفِ الصَّيْدِ من بَحْرٍ وبَر والفُلْكُ والنُّونُ فيه مُنْشَمِرْ
وفَارِس عن الشَّمال مُسْتَدِر تكَادُ أن تَنْبُضَ يُمْنَاهُ الوَتَرْ
[١٠٠ظ]ونَائمٌ فَوْقَ الحِصَانِ من سَكَر تَكُفُّه شَمْسَتِيه من حَرٍّ وقَرْ
وفَوْقَ عَقْدِ البَهْوِ عند المُخْتَبَر خلْقَانِ مَكْتُوبانِ في خَلقِ البَشَرْ
والشُّرُفاتِ فوقَ هَاماتِ الحَزَر والمَلَكَانِ صَعَدا كمَا أمَرْ
في الطَّاقِ لُنَّ بالحَدِيدِ والدُّسُر وفي التَّماثِيلِ علىٰ المَاءِ بِقَرْ
ثَلاثَةٌ من عَاقِرٍ ومُعْتَقَر يَحُثُّهم مُنَازِعٌ فيه طَمَرْ
وعَقْدُ طَيْقَانٍ وَنَهرٍ مُحْتَفَر وصَاحِبُ النَّهرِ علىٰ المَاءِ خَطَرْ
يَدْفَعهُ من نَهْرٍ إلىٰ نَهر فَانظُر فهذا وَصْفٌ ما منه ظَهَرْ
فيهِ لمن عُمِّرَ وعْظٌ وعِبَر يَا أيُّها السَّيدُ ذُو الوَجهِ الأغَرْ
شَرَّفْتَ كِسْرىٰ وأنْكَرتَ ما ذُكِر من شَرفِ المُلْكِ القَدِيمِ والخَطَرْ[1]

---

[1] انفرد ابن الفقيه الهمذاني بإيراد هذه القصيدة عن أبي الحسن العجلي، وتعد من القصائد الرائقة التي تنبض بالمعاني الجميلة والتصاوير الدقيقة التي يظهر منها حسن تصوير الفرس شبديز.

قال: وأنْشَدَني ـ أبو نَصْرٍ ـ رجُلٌ من الأهْوَازِ، من أهْلِ قَصْرِ اللصُوص يذْكُر شَبْدِيز والبِنَاء الذي بقَصْر اللصُوصِ(شِعْر):

[مجزوء الكامل]

ياطَالِبي غُررَ الأمَاكِن ... حَيُّوا الدِّيَار بَبرْزَماهَنْ
وسَلوُا السَّحابَ تُجودُهَا ... وتَسحُّ في تِلْكَ الأمَاكِنْ
وتَزُورُ شَبْدِيز المُلُوكِ ... وتَنْثَني نحو المَسَاكِنْ
وَاهًــا لـشِيرينَ التي ... قَرعَتْ فُؤَادَكَ بالمحَاسِنْ
تَمْضــيٰ عــلىٰ غُلَوَائِه ... لا تَسْتكِين ولا تُدَاهِنْ
وَاهًا لِمَعْصَمِها المَلِيح ... وللـسَّوَالِف والمغَابِنْ
في كَفِّهَا الوَرِقُ المَسَّكُ ... والمُطَيَّبُ و المُـدَاهِـنْ
وزُجَاجَةٌ تَدْعُ الحَكِيم ... إذا انْتَشَىٰ في زِيِّ مَاجِنْ
أنْعَـظْتُ حـين رَأيتـهَا ... واهْتَاجَ منِّي كلُّ سَاكِنْ
فَسَقَىٰ رِبَاعَ الكَسْروِيَّة ... بالجِـبَالِ وبالمَـدَائِــنْ
دَانٍ يَـسِـفُّ ربَـابُـهُ ... وتَنَالُهُ أيْدِي الحَوَاضِنْ[1]

وقال بعْضُ الشُّعَراءِ في شَبْدِيز، وقد اجْتَازَ بمَوْضِعه رجُلٌ من المُلُوكِ فاسْتَحْسنَ المكَانَ وشَرِبَ هناك، (a ثمَّ أمرَ أنْ يُخلَّقَ وجهُ شَبْدِيزَ وشِيرينَ بالزَّعْفَرانُ، ففعَل ذلك a).

(a-a) لدى ياقوت: « فاستدعى خلوقا وزعفرانا فخلّق وجه شبديز وشيرين والملك».

[1] أورد ياقوت هذه الأشعار عند حديثه عن مدينة برزماهن وقصر شيرين. انظر: معجم البلدان، ج١، ص٣٨٢؛ ج٤، ص٣٥٨، وانظر ايضا: القزويني : آثار البلاد بأخبار العباد، ص٤٤٢.

(شعر):

[الخفيف]

كَادَ شَبْدِيز أنْ يُحَمْحَم لَمَّا خُلِّقَ الوجهُ منه بالزَّعْفرانِ
[١٠١و] وكأنَّ الهُمَامَ كِسْرىٰ وشِيرين مــع الشَّيْخ مُوبَذ المُوبِذَانِ
(aمن خَلوقٍ قَدْ ضمَّخُوه جَمِيعًاa) أصْبَحُوا في مَطَارِقِb) الأرجُوانِ[1]

وبقَرْمِيسِينَ[2] الدُّكَّان الذي اجْتَمع عليه جَمَاعة من مُلوكِ الأرْضِ، منهُم فَغْفُور مَلكُ الصِّين وخَاقَان مَلك التُّرك ودَاهر مَلِك الهِنْدِ وقَيْصر مَلِك الرُّوم عند كِسْرىٰ أبَرِويز، وهو دُكَّانٌ مُربَعٌ مِائةِ ذِراعٍ في مثلها من حِجَارةٍ مُهَنْدَمةٍ مُسمَّرةٍ بمسَامِير الحَديد، لا يتبيَّنُ فيه ما بين الحجَرينِ c) فلا يشُك من رَآهُ أنَّه قِطْعةٌ واحِدة.

وقال أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن إسْحَاق[3]: رأيتُ الحُسِينَ بن أبي سَرحٍ في المَنَامِ بعْد مَوْتِهِ، وكأنِّي أسْألُهُ أنْ يُمْلي عليَّ خَبرَ شَبْدِيز، ومن صَوَّرهُ وكيف صُوِّر فقال: اسْتَأنَسُوا بمَلابِس الصُّخُورِ ولم يسْتَوقِفُوا من صَغَائِر الأمُور، وصَوَّروا الجَوَاري الأبْكَار في الصُّخُور الكِبَارِ كأنْ لم يَسْمعُوا بجَنَّـةٍ ولا نَارٍ.

(a-a) في المختصر: «من خلوق عمدا قد أريق عليهم».

(b) في المختصر: قطائف.

(c) في المختصر: «فلا يتبين فيه خرق بين حجرين».

---

[1] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٠.

[2] قارن مادة قرميسين لدى ياقوت، ج٤، ص٣٣١.

[3] أبو عبد الله محمد بن إسحاق، والد المؤلف. وقد ذكر ياقوت الحموي: أنَّ ابن الفقيه الهمذاني قد روى عن أبيه. انظر: ترجمة ابن الفقيه الهمذاني لدى ياقوت: معجم الأدباء، ج١، ص٤٥٩-٤٦٠.

[وأنشد لأحمد بن محمد:

[الطويل]

(ه) بوَسْتَان طَاقٌ لَيسَ في الأرْضِ مثلُه وفيه تَصَاوِيرُ من الصَّخْرِ مُحْكَمُ
وبَرْوِيزُ فيه والمَرازِبُ حَوْله وشِيرينُ تَسْقِيهم وشَيْخٌ مُزَمْزَمُ
وبَهْرامُ جُورٍ والمقاوِلُ مُثَّلٌ وشَرْوِينُ فيهم قَاعِدٌ متعَمِّمُ
وخُرِّينُ قد أجْرَىٰ وأوْمَىٰ بِسَهْمِهِ إلىٰ طِفْلَةٍ حسَّانة لا تكلَّمُ
ومُوبَذُهم في الطَّاقِ صُوِّر عِبْرةً وهِرْبذُهم بالجَهْلِ والجَوْر يحْكُمُ
وكَتٌّ يحُوزُ المَاء في النَّهر واقِفٌ ليَقْسِم فيما بينهم ليس يظْلِمُ
وأسْرابُ عينٍ والكِلابُ تحُوشُها وطِرْفٌ عليه المَرْزُبانُ المكرَّمُ
وصُوِّر فيه كلُّ وحْشٍ وطَائرٍ من الطَّيْر والعَنْقَاء ما اللهُ أعلَمُ
وأسْدٌ وثِيرانٌ وشَاةٌ وأعْنُزٌ وحِيتَانُ بحْرٍ في السَّفِينِ تَعَوَّمُ
ومَا دَبَّ من ذَرٍّ ونَمْلٍ وعَقْربٍ وفِيلٌ وفَيَّالٌ عليه يُدَمْدِمُ
وقَبْجٌ ودُرَّاجٌ وظَبْيٌ وأرْنَبٌ وبَازٌ وصَقْرٌ قد يَصِيدُ وقَشْعَمُ
ومَكْتبُ صِبْيانٍ وتأدِيبُ غلْمةٍ وشَيْخٌ عدِيمٌ قيل هذا مُعَلِّمُ
وصَوَّر فنطُوسٌ علىٰ الطَّاقِ نفْسَه عليه جِنَاح طَائِرٍ لا يُحَوِّمُ
فسُبْحَانَ ربٌ سَخَّر الصَّخر عَنْوةً فَصوِّر فيه كلُّ شيءٍ مُقَوَّمُ
لقد أبْدعَ الرُّوميُّ في الطَّاقِ بِدْعةً أقرَّ له بالحِذْق عُرْبٌ وأعْجَمُ](ه)

(ه-ه) زيادة من المختصر.

ولأحْمَد بن مُحَمَّد[١] فيه أيضًا:

[البسيط]

[a)بَيْن القَنَاطِرِ والدُّكَّان أَبْنِيَةٌ فَاقت علىٰ كلِّ آثار وبُنْيانُ
دُكَّانُ صخرٍ علىٰ تلٍّ بنَوه فما نَدْرِي لجنٍّ بنَوْه أم لإنسَان
لأنَّها صَخرةٌ مَلْسَا مُلَمْلَمةٌ عَجِيبةُ الشَّأن فيها كلُّ ألْوَان
قَدْ هندَسوُه فَأوْفُوه علىٰ عَمَدٍ وهَنْدَمُوه فما يَخْفَىٰ علىٰ جَان
قَالوا بأنَّ ملُوك الأرْضِ اجْتَمعُوا عليه عند أَبْرَوِيز بن سَاسَان](a

---

(a-a) زيادة من المختصر.

---

[١] ربما قصد ابن الفقيه نفسه بهذه الإشارة.

في أبنيةِ البُلْدَانِ وخَواصّها وعجَائِبها

قال بَطْلَمْيُوس[1]: إنَّ اخْتلاف الأُمَمِ في أَلْوَانِهم وأَخْلاَقِهم وأجْسَامِهم وطَبَائِعِهِم، وجميع حَالاَتِهم من ثَلاثَةِ وجُوه. واحِدُاهَا: من بعْدِ الأرْضِ من خَطِّ الاسْتِواءِ. وهو مِثْلُ البِلادِ وانْحِرافِها عن الخَطِّ يَمنهِ أو يَسْرِه. والثَّانِي: من قِبلِ طَبَائِع البُروجِ المُحَاذِيَةِ لسَمْتِ تِلْكَ البِلادِ والغَالِبة علىٰ طَبَائِعها. والثَّالِثَة: بُعْد البِلاد من مَدارِ الشَّمس وقُربِها منه.

فأمَّا الأرْضُ العَامِرةُ في رُبعِ الأرْضِ الشَّماليِّ، فما كان منها مُتَيامِنًا وهو مَا بينَ تَغيُّر الرَّبيعِ إلىٰ تَغيُّر الصَّيْفِ، وهو الذي يُحاذِيها في البُروجِ ما بين الحَمَل إلىٰ السَّرطَانِ.

فإذا تَوسَطتْ الشَّمس وسَط السَّماءِ كانت علىٰ سَمْتِ رُؤُوسِهم فَأَحْرقَتْهُم؛ فلِذَلك صَارتْ أجْسَادهُم سَوْداء، وشُعورهُم قطَطًا، وجُثَثِهِم ذَابِلَة، وطَبَائِعهُم حَادَة وعَامَة أشْكَالِهِم متَوحِشَة لشِدَّةِ حَرِّ أرْضِهم.

---

[1] بطلميوس القلوذي الفلكي السكندري صاحب كتاب المجسطي، عاش في مصر ما بين سنة ٨٧-١٥٠ للميلاد، من أوائل صانعي الآلات الفلكية، ويعتبره المؤرخون أهم مؤسسي علم الجغرافيا، راجع في ترجمته: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢١٤-٢١٦؛ وانظر: المراجع التي أوردها المحقق في الهوامش، وراجع أيضًا:- فؤاد سزجين: مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، بجامعة فرانكفورت، ١٩٨٧م. ص١٠-١٨.

وهم الحَبشَةُ والزَّنجُ والنُّوبة وأنْوَاع السَّوْدَان، وليْسَ يكون ذلك فيهم وحْدَهُم، ولكنَّه يكون في الهَواءِ المُحِيط بهم، وكذلك يُبْسِ دَوابِ أرْضِهِم وشَجَرهِم في جميع ذلك تَحرقهُ أرْضهم[1].

وأمَّا من كان مُتَيامِنًا [١٠١ظ] من الأرْضِ فلِتَباعُد سَمْتِ رُؤُوسِهِم عن مَدَارِ الشَّمْسِ وحَرارتِها ومَدارِ البُروج، كان مكَانهم بَارِدًا تنالهم كَثرةُ الرُّطُوبةِ، وتكُون ألْوَانُهم بَيْضَاء، وشُعُورهُم سَبِطَة، وأجْسَادِهم عِظَامًا، وطَبَائِعهُم [تَمِيلُ] إلى البَرْدِ، وشَكْلُهم مُتوحِشٌ لشِدَّةِ بَرْدِ أرْضِهم، وشِتَاؤهُم شَدَيدٌ مُفرطُ البَرْدِ، وشَجَرُهم عِظَامٌ ودَوابُّهم علىٰ مِثل هَواءِ أرْضِهم. وهم التُّرك.

وأمَّا مَنْ كان مِن الذين سَمْتُ رُؤُوسِهِم تحت السَّرطانِ، ومَنْ سَمْتُ رُؤُوسِهِم تحت الدَّنيَّة[a] فلأنَّ الشَّمس لا تسْتَوي علىٰ رُؤُوسِهِم، ولأنَّهم لم يَمِيلُوا إليها جِدًّا فلذلك هَواؤهم حَسن التَمْزِيج ومَوْضِعهم مُعْتَدل، لَيْس فيه بَردٌ شَدِيدٌ ولا حَرٌّ شَدِيدٌ، وألْوانَهم وأجْسَامَهم وَسط، وطَبَائِعهُم ممتَزِجة، ومَراتِبهم في جميع حَالَاتِهم مُتقَاربة.

---

[a] في الأصل: الدينة.

---

[1] أورد ابن الحائك الهمذاني صيغة أخرى لما نُقل عن بطلميوس. قال: «فالذين مساكنهم فيما بين رأس الحمل ورأس السرطان وهو ما بين خط الاستواء وموسط الحجاز وما أخذ أخذه شرقاً وغرباً فقد يعرض لهم أن الشمس يحرقهم ممرها على سمت رؤوسهم، فتكون أبدانهم سوداً وشعورهم سودًا جَعِدة كثيفة، ووجوههم قَحِلة، وجثّهم قصيفة، وطبائعهم حارة وأخلاقهم في أكثر الأمر وحشية لدوام الحر في موضع مسكنهم واتصاله بهم. قال: وهم الذين نسميهم باسم عام الحبش، ولسنا نراهم على هذه الحال من الحرارة فقط بل يظهر الحر الشديد في الهواء المحيط بهم أيضاً في سائر الحيوان والنبات الذي عندهم». قارن صفة جزيرة العرب، ليدن، ١٨٨٤م، ص٢٩-٣٠.

ومَنْ كان مِنْ هؤلاء مُتَيامِنًا فعَامَّتهُم أهْلُ ذَكاءٍ وفِطْنةٍ ودِقةِ نَظرٍ وعِلْمٍ بالنُّجومِ وغير ذلك من العُلومِ، لِقُربِ سَمْتِ رُؤُوسِهِم من مَدارِ الكَواكِب الجَارِية والبُروجِ. فمن أجلِ ذلك تُنَازِعهُم نفُوسُهُم إلى طَلَبِ عِلم النُّجومِ والآدَابِ.

ومن كان مُشَرِّقًا فهم مُذَكُّونَ وأنفُسُهم شَدِيدة، وهم أهْلُ تنَافُس في الشَّرفِ والرِّيادةِ لأنَّ المَشْرِقَ فيه طَبِيعةِ الشَّمسِ.

ومَنْ يُعرَفُ منهُم مُغرِّبًا فإنَّهم مُؤنَّثون وأجْسَامَهم لَيِّنة، وعَامَّة أعْمَالِهم خَفِيةٌ، لأنَّ المغْرِب للقَمرِ.

وأوَّلُ رُؤيَتهِ من مَهلِّ المَغربِ، فلذلك جُعِلَ المَغْربُ مُؤنَّثـًا لَينـًا[١]. والشَّمالُ خِلَافُ المَشرِق. وفي هذه الأقْسَام قِسَمٌ مختَلِفٌ في الشَّبهِ والطَبَائِعِ والآدَابِ، علىٰ نحْوِ ما يُحِيطُ بهم من الهَواءِ الحَارِّ والبَارِدِ والممْتَزِجِ، وذلك ينْقُصُ ويَزِيدُ في كلِّ كَوكَبٍ ومكَانٍ علىٰ نحو ارْتِفاعِ الأرْضِ وانْخِفاضِها.

والدَّليلُ علىٰ ذلك، أنَّ بعْض النَّاسِ صَاروا نَواتِيَّة. وهم أصْحابُ السُّفنِ البَحْرِية لقُربِ أرْضِهم من البَحْرِ . وصَار آخَرونَ أهْلَ دِعةٍ ورَاحةٍ لِخِصْب بِلَادِهم وكثْرَةِ خَيْرِهم.

وكذلك مُوافَقةُ الأقَالِيم للبُروجِ التي تَلِيهَا في الطَّبائِع؛ فإنَّ طَبائِع كلِّ إقْلِيم علىٰ مِثل طَبَائِع البُروجِ التي تتولاه. وقُسِّمتِ [١٠٢و] الأرْض العَامِرة علىٰ أرْبعَةِ أجْزَاء:

---

[١] قارن نص ترجمة بطلميوس لدى ابن الحائك الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص٣٠.

فأوَّل الأجْزَاء: أورُبا [a]، وهي بين الشَّمالِ والدَّبُور، يُوافِقها من مُثلَّثاتِ البُروجِ [1]
التي لها ما بين الشَّمالِ والدَّبُورِ، وهي مُثلَّثةُ الحَمَل، والأسَدِ، والقَوْس، ويُدَبِّرهَا
٣ المُشْتَرِيْ والمَرِّيخ. وجميعُ ما في هذا الرُّبع من الأُممِ وبِرْطَانيَّة[b]، وغَاليا[c]،
وجِرْمَانيـَّة، وأبُوليَّـة[d]، وسَقِلِيَّـة، وطُورِينُـيا[e][2].

---

[a] في الأصل: أورس، والتصويب من: ثابت بن قرة: جوامع لما قاله بطلميوس في قسمة الأرض.

[b] رسمت في الأصل: بريطانية.

[c] رسمت في الأصل: عليا.

[d] رسمت في الأصل: أنولية.

[e] رسمت في الأصل: طونيا.

---

[1] طبقا لنظرية طبائع أهل الأرض، قسّم بطلميوس القلوذي دائرة البروج إلى أربعة أقسام وهي المثلثات، وقسم كل ثلاثة أبراج على طبيعة من الطبائع الأربعة وهي: النارية، والترابية، والهوائية، والمائية. فأول المثلّثات النارية: هي الحمل والأسد والقوس. والمثلثة الثانية الترابية وهي: الثّور والعذراء والجدي، والمثلثة الثالثة الهوائية وهي: الجوزاء والميزان والدّلو، والمثلثة الرابعة المائية وهي: السرطان والعقرب والحوت. وقد رأى أن كل قسم من هذه المثلّثات يطبّع الإقليم الذي يحيط به بطابعه. لمزيد من التفاصيل انظر:- ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٥٨؛ ثابت بن قرة:جوامع لما قاله بطلميوس في قسمة الأرض على البروج والكواكب، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ٢٠١٠م، ص١١٥.

[2] يتناول ابن الفقيه مجمل الأراضي الأوروبية حيث تشمل المناطق المشار إليها الجزر البريطانية، وبلاد الغال [فرنسا] وجرمانية وأبولية التي تضم أراضي [ألمانيا والنمسا، وبولندا] أما صقلية، وطورينيا فهي [إيطاليا الحالية]. للمزيد عن أوصاف هذه البلدان. انظر: ابن الحائك الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص٣٣-٤٣؛ و لدى المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٥٩؛ بعض أوصافها القديمة ، وكذا عند الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة تشرولي وآخرون، نابولي. روما، ١٩٧٩م. ج٢، ص٧٩٤.

وهم أعِزَّاءُ غير خَاضِعينَ يُحْسِنُون أخْذَ السِّلاحِ والعَمَلَ به، وهم أصْحَابُ زيٍّ ولِبَاسٍ يحِبُّونَ مُجَامَعةِ الذُّكْرانِ ويغَارُونَ عليهم ولا يَروْنَ [في] ذلك شيئًا ولا مَأثمـًا، وأنفُسُهُم مُذَكَّرة وليْسَت لهم غِيرة علىٰ نِسائهم، ويَهُون عليهم الجِمَاع.

والرَّبعُ الثَّاني: هو الذي بين الجَنوبِ والصَّبَا. [a] [في النَّاحِية الجنوبيَّة من بلاد آسيا العُظمىٰ فإنَّ النَّواحي مِنْه تشتَمل علىٰ بلاد الهِند والصِّين ومَكران وكِرْمان وفَارِس وبَابل ومُلتقىٰ النَّهرين وآشور] [a] وهم المُثلَّثات: الثَّور والعَذْرَاء والجَدْي، ووالي تَدْبِيرهم الزُّهرة و زُحَل مُشَرِّقينَ. وطَبَائِعُ هذه الكَواكِبُ علىٰ نَحوِ طَبَائِع الذي يُدَبرهم، فإنَّهم يسْجِدونَ لها ويسَمُّون الزُّهرةَ إسِيس[b]، والـزُحَلُ مَيْسُون[c][1].

وفيه كَهنةٌ يُخْبرون عن الأشْيَاء قبل أن تحدث، ويُـعَظِّمونَ أُمهَاتِهم وأخَواتِهم وجمِيع الإنَاثِ لتَدْبِير الزُّهرةِ وزُحَل إيَّاهُم، وفيهم الوَرعُ لأنَّ الزُّهرةَ طبيعَتَهَا الوَرعُ، وبِلَادهم حَارةٌ ويحُبونَ المُجامَعةَ والرُّقىٰ والرَّقْصَ واللَّهوَ والمُجُونَ من أجلِ الزُّهرةِ أيضًا، ولا يجَامِعُون الذُكْرانَ وينكَحونَ أُمهَاتِهم ويُولِدونهم، ويَرونَ أنَّ ذلك تعْظِيمًا لهنَّ، وأنفسُهُم عَظِيمةٌ وهم أشِدَّاءُ مقَاتِلون لتَشْرِيق زُحَلٍ.

---

[a] - [a] تكملة من ابن الحائك الهمذاني.

[b] رسمت في الأصل: انيس.

[c] لدى ابن الحائك الهمذاني: «مترا الشمس».

---

[1] عن أسماء الكواكب السبعة بالهندية انظر: البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبعة القاهرة عام ٢٠٠٣م،المصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية النظامية، بحيدر آباد- الدكن ١٩٥٨م ص١٧٣؛ وعن أسماء الكواكب السبعة بالفلوسية، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج٢، ص١٦٨-١٧٣.

ونَصِيبُ هذا الرُّبع من وسَطِ الأرْضِ أرُومِية وقُوقلَادس[a] وأثُورِيا[b] وحَـالديا [d]. وهذه البُلْدانُ بين الشَّمالِ والدَّبُورِ وهو الحَمَل والأسَدِ والقَوْس.

٣ ووالي تَدْبيرهُم المُشْتَرىٰ، والمَرِّيخ والشَّمس وعُطَارِد ولذلك صَارُوا أهْلَ تَدْبِيرٍ وصِنَاعةٍ وتِجَارةٍ وعَقْلٍ وسَخَاءٍ وكِتابَةٍ وفَهْمٍ وغشٍ وخُبْثٍ.

وأمَّا الرُّبعُ الثَّالثُ: [هو] القسَائِمُ من أسْيَا الكُبْرىٰ. فالبُلْدان التي فيها علىٰ

٦ لضِيِ فمنها أرْمِينيَّة الأولىٰ والثَّانِية والثَّالِثة والرَّابِعة، والبُلْدان التي بين الشَّمالِ والصَّبَا، وهو أحَدُ الأرْبَاع التي يُقال لها الجَامِع ووالِيها من المُثلَّثاتِ التي بين الشَّمالِ والصَّبَا، وهي الجَوزَاء والمِيزَان والدَّلْو[١٠٢ظ] وأصْحَابُ تَدْبِيرها زُحَل والمُشْتَرىٰ

٩ مُشرِّقينَ، فلذلك صَار الذين في هذه الكُور يَسْجدونَ للشَّمْسِ والمُشْتَرىٰ، وهم يُشبِهُون المَجُوس[1].

---

[a] رسمت في الأصل: قيلسوسينا. [b] رسمت في الأصل: توريا.

[c] رسمت في الأصل: حلبايا.

---

[1] وتمام النص لدى ابن الحائك: «... وأما سائر أجزاء هذا الربع الذي يلي وسط جميع الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منها مثل إيدوما وأرض سورية وأرض فلسطين وبلاد اليهود العتيقة من إيليا وتسمى بالعبرانيّة يرشلم، وتعربها العرب فتقول أوراشلم، وبلاد الأعراب الخصيبة يريد فلاة العرب من نجد والحجاز والعروض وبلاد فونيقا يريد اليمن وما وإلى هذه البلدان، فإنه يقبل أيضاً مشاكل المثلث المنسوب إلى ناحية الشمال والدبور وهو مثلث الحمل والأسد والرامي الذي يدبره المشتري والمريخ وعطارد أيضًا، ولذلك صار أهل هذه البلدان أكثر تقلباً في التجارة من غيرهم، أصحاب معاملات وأصحاب مكر وغش متهاونين للأموال للسخاء الذي فيهم ومعهم رجاحة عقل وذكاء وتدبير في الأخذ والعطاء ويحبون أنفسهم وهم بالجملة ذوو وجهين ولسانين لأجل مشاكلتهم لهذه الكواكب...». قارن: ابن الحائك الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٣٦.

وعِبَادَاتهم وآدَابهم حَسنَةٌ، ولهم مَلاحَةٌ وقَبُول قَاضِين للحَقِّ مُقْتَصِدين في مُجامَعةِ النِّسَاءِ ويحبُّونَ البـرَّ والصِّلة وعَامةُ ذلك من تَشْرِيقِ زُحَل والمُشْتَرِىْ.

فأمَّا الرُّبْعُ الرَّابِع الذي بين الحُوت والمِيزَان وإليه من المُثلَّثاتِ: السَّرطَان والعَقْرَب والحُوت. ومُدَبِّرهِم من الكَواكِب المَـرِّيخ والزُّهرةِ مُغرِّبين،[a) [-يريد أنهما من حيز المغرب - جنوبيان لأن الزهرة جنوبية وشرق المريخ جنوبي][a)]، فأسْمَاء الأُمَم التي في هذا الرُّبع: برتنية[b)] ونوميدية[c)] وإفْرِيقِيَّـة ومُورطَانِيا وطَنْجَة ومَراقِيَّـة[1].

فلذلك أهْل هذه البِلَاد يُملِّكُون رجُلًا وامْرَأة. فأمَّا الرَّجُل فيَمْلُك الرِّجَال، والمَرأةُ تَمْلُكَ النِّسَاء. ويحبُّونَ مُجَامعِةِ الإنَاثِ وعَامة نِكَاحِهِم زِنَا. ويحبُّونَ الزِّينَة والمَال ويتَزَيَّنُون بِزِيَنِ النِّسَاءِ من أجْلِ الزُّهرةِ.

(a-a) تكملة من ابن الحائك الهمذاني.

(b) في الأصل: توبية، والتصويب من أوروسيوس: تاريخ العالم.

(c) في الأصل: ميدنية. والتصويب من أوروسيوس: تاريخ العالم.

---

[1] يرى الجغرافيون القدامى أن مثلثة السرطان والعقرب والحوت تؤثر على الإقليم الإفريقي، الذي يضم الشمال الإفريقي وبلاد النوبة، والسودان الغربي، ويتضح من سياق النص أنه يتناول تأثير الكواكب على منطقة الساحل الإفريقي على البحر المتوسط من غربي مصر إلى طنجة، إذ عرفت هذه المنطقة في الجغرافيا اليونانية بإقليم "لوبيا"، وتعرف المنطقة الساحلية المطلة على جبل طارق باسم مورطانية الإفريقية [ما بين سبتة وطنجة]. راجع: باولوس أوروسيوس: كتاب تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م. ص٦٩-١٧٠؛ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م، ص٤-٦.

وهم أَهْلُ غِشٍّ وسِحرٍ وجُرأةٍ، [يُلقُون] أنفسَهم في المهْلَكةِ من أجْلِ المرِّيخ وولَايتهُ إيَّاهم. ونصِيبُ هذا الرُّبعِ من وَسطِ الأرْضِ: سُورُومَاطِيقا[a] والبُرط السُّفلىٰ[1]، وأطَرُز المَغرِب[2]، ومَارِثُ[b][3]، والحَبَشَة الأوسَطُون.

وهم ما بين الشَّمالِ والصَّبَا.[4] ولهم من المُثلَّثاتِ: التَّومِين والمِيزَان والدَّلْو، ومُدَبِّرهُم من الكَواكِب: زُحَل والمُشتَرىٰ وعُطَارِد.

وهذه الكُورُ فقَرِيبةٌ من مدَارِ الكَواكِب الخَمْسةِ الجَارِية إذا كانت مُغَرَّبة، ولذلك هم أَهْلُ تَديُّنٍ وتعْظِيم الآلهة، يعْرِفُون حقَّها ويحِبُّون النِّياحَة، ولهم آدابٌ كَثيرةٌ مُختلفَةٌ وأديَانٌ مُتفرِّقةٌ، وإذا مُلِكُوا كانوا أذِلَّاء جُبَناء صَابِرين، وإذا مَلكُوا كانوا أهْلَ طِيب أنفُسٍ وعَطِيَّةٍ كَثِيرة، وخلُقهُم علىٰ نحوِ طَبِيعةِ أرْضِهم، وعَامة ذُكرَانهم ضُعَفاءُ مُؤنَّثُونَ، يترُكُون الجِماعَ من حيث يَنبَغي، ويَأتُون النِّسَاء من حيث لا يَنبَغي لتَقْرِيب الزُّهرة.

---

[a] رسمت في الأصل: سقى وثمر بقى، والتصويب من ابن الحائك.

[b] رسمت في الأصل: مارثنا، والتصويب من ياقوت.

---

[1] البُرط السفلى: يُقصد بها جبال البُرت، أو البرتات الفاصلة بين شبه الجزيرة الإيبيرية والأراضي الفرنسية. وهي كلمة لاتينية تعني الممر أو الميناء. للمزيد انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٧٣٠.

[2] أطرز المغرب: يقصد بها سلسلة جبال أطلس المغربية، وهي مجموعة جبلية تمتد موازية لساحل البحر المتوسط حتى الصحراء الإفريقية.

[3] مارث: ناحية من جبال عمان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨.

[4] قارن ترجمة ثابت بن قرة: لجوامع ما قاله بطلميوس في قسمة الأرض المسكونة على البروج والكواكب، ص١١٢-١١٦.

وذكَروا أنَّ الأرْضَ والمَاءَ وسَائِر الطَبائِع كُرَيّة، وأنَّ اسْتِدَارة الأرْضِ كلّها وجِبالِها وبِحَارِها أَرْبَعةٌ وعشْرُونَ ألفَ مِيلٍ، وأنَّ قُطْرَها وعُمْقُها وعَرْضها سَبْعةُ آلافٍ [وسِتُّمائةٍ][a] وستة وثلاثون [مِيلًا][b][1].

وأنّهم اسْتَدْركُوا ذلك بأنّهم أخَذُوا ارتِفاع القُطْبِ الشّمالي في مَدِينتَين، وهما على [خَطٍّ واحدٍ من][c] خَطِّ الاسْتِواء مثل مدِينة تَدْمُر[١٠٢و] [d][الّتي في البَرِيَّة بين العِرَاق والشّام][d] و[مثل مدِينَة][c] الرَّقَّة، فوجَدُوا ارْتِفَاع القُطْب في مدِينةِ الرَّقَّة خَمْسة وثَلاثِين جُزْءًا وثُلثًا، وارتِفَاع القَطْب في مدِينة التَّدْمُر أرْبَعة وثلاثين بينهما زيَادة جُزْء وثُلث، ثمّ مسَحُوا ما بين الرَّقَّة وتَدْمُر فوجَدُوه سَبْعةً وسِتّين[e] ميلًا فعَلِمُوا أنَّ لكل جُزء وثُلث جُزْءًا من أجْزَاء الفَلَكِ الأعْظَم[2].

فالظَّاهِر من الفَلَكِ سَبْعةٌ وسِتُّون ميلًا من الأرْضِ، والفَلَك ثلاثمائة وستُّون جُزْءًا على ما اتفقَ عليه عُلماء الرُّومِ والهِنْد وبَابِل.

وإنّما قسّموه هكذا لأنّهم وجَدُوا الفَلَك قد اقْتَسمَتهُ البُرُوج الاثْنَا عَشر، ووجَدُوا الشّمس تقْطَع كل بُرجٍ منها في شَهْر، وتقْطَع البُرُوجَ كلّها في ثَلاثمائةٍ وسِتِّينَ يومًا. فبهذه القِسْمةِ والمقَايِيس اسْتَدركُوا عِلْم السَّاعاتِ والكُسُوفَيْن.

---

[a] التتمة من المسعودي: مروج الذهب.
[b] الزيادة من ياقوت.
[c] تكملة من : المسعودي.
[d- d] التتمة من المسعودي: مروج الذهب.
[e] في الأصل عشرين: والتصويب من المسعودي.

---

[1] انظر ما نقله ياقوت في مقدمة معجمه حول قطر الأرض من كتاب المجسطي: لبطلميوس ج١، ص ٢٠.

[2] قارن: المسعودي: مروج الذهب،ج١، ص١٠٦ –١٠٧ أبو عبيد البكري: المسالك والمالك،ج١، ص٤٨٠.

وبها اسْتَخْرجُوا الآلَات والإسْطِرلَاباتِ[١] وعليها وضَعُوا كتبهم. وقالوا أيضًا: بأنَّ الفَلكَ مُسْتَدِيرٌ. واستدلُّوا بذلك: لأنَّه يَدُور علىٰ مِحْوَرينِ وقُطْبين، اللذين هما القُطب الشَّماليّ والجنُوبيّ[a]. فأمَّا أهْل البُلْدَان التي مَالت إلىٰ ناحيةِ الشَّمال، فإنَّهم يَرُون القُطْب الشَّماليّ وبَنَاتِ نَعْش ولا يَرُونَ القُطْب الجَنوبيّ ولا الكَواكِب القَرِيبة منه. ولذلك صَار سُهَيْلًا لا يُرىٰ بنَاحيةِ خُراسَان ويُرىٰ بالعِراقِ أيَّامًا في السَّنة[b].

فأمَّا في البُلْدَان الجنُوبيَّة فإنَّه يُرىٰ فيها السَّنة كلَّها. فمتىٰ مالَ إلىٰ نَاحيةِ الجنُوب غَابَ عنه القُطْب الشَّماليّ والكَواكب التي تُقَاربه. وهذه الكَواكِب التي هي قَرِيبةٌ من القُطْبِ تَدور حَوْله دَورَانًا مُسْتَدِيرًا مُسْتَوِيًا يُرىٰ بالعِيان مثل الشَّمس، فإنَّها بالصَّيفِ تطْلع من وسطِ المَشْرق ثمَّ تصْعَد في الفَلكِ صُعودًا مسْتوِيًا، ثمَّ تَهْبط علىٰ مِثال ذلك الدَّور، ثمَّ تَغِيبُ تحْتَ الأرْضِ فتَدُور هناك مثل ما تَدُور هاهُنا حتىٰ تَطْلع[٢].

---

[a] لدى المسعودي بزيادة: «وأنها بمنزلة محوري النجار والخراط الذي يخرط الكُرة والقِصَاع وغيرها من الآلات الخشب، وأن من كان مسكنه وسط الأرض وعند خط الاستواء استوت ساعاتُ ليله ونهاره سائر الدهور، ورأى هذين المحورين، أعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي جميعًا».

[b] في مروج الذهب بزيادة: «ولا تقع عين جمل من الجمال عليه إلا هلك، على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان خاصة».

---

[١] الإسطرلاب: لفظة معربة عن اليونانية وتعني «مرآة النجوم» وهي آلة رصد فلكية قديمة طوَّرها العرب واستخدموها في مجال القياسات الفلكية. انظر: مادة إسطرلاب بدائرة المعارف، ج١، ص٧٤٤-٧٤٩؛ وما جمعه فؤاد سيزكين عن ما كتب عن الآلات الفلكية في كتاب: «نصوص ودراسات حول الآلات الفلكية ودور الرصد في العالم الإسلامي»، فرانكفورت، ١٩٩٨م.

[٢] قارن: المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٠٦-١٠٧.

وزَعَمُوا أنَّ البَحْر أيضـًا كُرِيٌّ مُدوَّر[a]. وبُرْهَان ذلك أنَّك إذا لجَجْتَ فيه غَابت عنك الأرْض والجِبال شيئـًا بعد شَيءٍ حتىٰ خَبىٰ ذلك كلُّه، ولا تَرىٰ شيئـًا من شَوامِخ الجِبَال فإذا أقبَلت نحو السَّاحل ظَهرتْ [١٠٣ظ] لك قُلَلُ الجِبَال وأجْسَامُها شَيئـًا بعد شَيء. فإذا قَربْتَ من السَّاحلِ ظَهَرَتْ الأرْضُ والأشْجَار.

والأرْضُ قِسْمَان: أحدُهُما مسْكُون والآخَر غير مسْكُون، [b) والمسْكُون منه قسمان أحدُهُما مُفْرِط الحَرِّ وهو جِهَةُ اليَمِين[b] لأنَّ الشَّمسَ تقْرُب منه فيَلْتَهِب هَواؤه. والآخَرُ جِهَةَ الشَّمالِ وهو مُفْرِط البَرْدِ لبُعْدِ الشَّمسِ منه[١].

فكُلُّ مدِينَةٍ موْضُوعةٍ في جِهةِ المشْرِقِ فهي أشَدُّ اعْتِدَالًا وأقلُّ أسْقَامًا، لأنَّ الشَّمسَ تُصَفِّي تلك المياه التي تجري فيها. والمُدن الموضُوعَة بإزَاءِ المغْرِب تكْثُر أمْرَاضُ أهْلها، لأنَّ مياهَهُم كَدِرةٌ مُتَغيِّرةٌ وهواءهُم غَلِيظ لأنه يُبْقِي تلك الرُّطُوبَات فيه فتَغْلُظ مياهُهُم، والمُدن الموضُوعَة علىٰ جِهةِ الجَنُوبِ تكون مياهُها حَارَّةٌ كَدِرةٌ مُتَغيِّرةٌ مَالِحةٌ ليِّنةٌ تسْخُنُ في الصَّيفِ وتَبْردُ في الشِّتاءِ. وأبْدَانُ أهْلها رَطْبةٌ ليِّنةٌ لما ينْجَلِبُ إليها من الرُّطُوبَات من أرْضِهِم. وتُكْثِر نسَاؤهم الإسْقَاط بسبب الرُّطُوبَات ولا يقْدِرونَ أنْ يُكْثِروا من الطَّعامِ والشَّرابِ لضَعفِ رؤوسِهم، لأنَّ كثرة ذلك يعمُّ أدْمِغَتَهُم ويُغيرها وقلَّما يعْرِضُ لهم الحُمَّيات الحَارة.

---

[a] لدى المسعودي: «أن البحر مستدير على مواضع الارض».

[b-b] في التنبيه والإشراف: «والعامر المسكون منها على أقسام أحدها مفرط الحر وهو ما كان من جهة الجنوب».

---

[١] قارن: المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٠٧؛ وانظر أيضا: التنبيه والإشراف، ص٢٣.

والمُدنُ الموضُوعَة في جِهةِ الشَّمالِ علىٰ إزائِه فإنَّ مِيَاهَها فَاسِدةٌ رطِبةٌ ثقِيلةُ النُّضجِ وأهْلها [a] [أقْوِياء أشِدَّاء عِراضُ الصُّدُورِ دِقَاق السَّوقِ رؤوسُهم صَحِيحَةٌ يَابِسةٌ وأعْمَارهُم][a] طَويلَةٌ لِصِحَّةِ أبْدَانهِم وكثرة فُضُولِ الرُّؤوس.

وتكون أخلَاقهُم وحْشِيَّة، ويقِلُّ حَمْلُ نِسَائهِم، لكنَّهنَّ لا يُسْقِطْنَ لبردِ الماءِ ويُبْسه ويلِدنَ بشدَّةٍ وصُعوبةٍ، وتتَّسِعُ لذلك صُدورَهُنَ، وإنَّما رقَّتْ سُوقَهُنَ لارتِفَاع الحَرارَة عنها، ويُكْثِرنَ الأكلَ ولا يُكْثِرن الشَّرابَ. قال: وسُكَّان نَاحِية الجَنُوب سُودٌ جِعَاد رِقَاقِ الكُعوبِ كُحْل العُيونِ سُود الشُّعورِ خِفَافِ اللحُومِ، فيهم الحِفْظُ والذَّكاءُ والبرُّ [والكَذِب][b] والطَّربُ والحِرصُ والسَّرِقةُ.

وسُكَّان ناحِية الصَّبَا أقْربُ شَبهًا بأهْل نَاحِيةِ الجَنُوبِ وهم دُونَهم[c] [فيما وصَفْتُ، وسُكَّان ناحِية الدَّبُور أقْربُ شَبهاً بأهْل نَاحِية الجَنُوب وهم دُونَهم][c]. وأهْل المَغرب يختَلِفونَ في هَيْئاتِهم، فأمَّا سُكَّانُ سَواحِلِ البَحْرِ منهُم فقَريبٌ شَبهُهُم من سُكَّانِ نَاحِية الجَنُوب، وسُكَّانُ نَاحِية الصَّبَا قَرِيبٌ شَبَههُم بنَاحِيةِ الشَّمال. وأهْل[١٠٤و] الهِنْد ممتَزجُون لأنَّ بلَادهُم من بِلَادِ الشَّمالِ والجَنُوب[١].

ولذلك حَسُنَت أخلَاقهُم وأجْسَامُهُم ووجُوههُم واعْتَدلت. وكذلك من كانت محلَّتهُ بين الشَّمالِ والجَنُوب وهم أعْدلُ مَزاجاً وأحْسنُ عُقولًا.

(a-a) التتمة من المختصر.

(b) تتمة من المختصر.

(c-c) ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

---

[١] قارن: المختصر [باب في مدح البناء]، ص ١٥١-١٥٢.

وأهْلُ مِصْرَ أهْلُ غَفْلةٍ وقِلَّة فِطْنة. والبَرْبَر الفِطْنةُ فيهم فَاشِية، وليس فيهم كِبرٌ ولا لهم مَكرٌ. والرُّوم لهم صَلفٌ[1] وتكلُّفٌ. وأهْلُ الشَّام أهْلُ غَفْلةٍ وسَلَامةٍ. وأهْل الحِجَاز أهْل معَازِف ولهو ومُدَاعبةٍ وتأنِيث.

وأهْل العِراق أهْل فِطْنةٍ وغَدرٍ، وأهْل الهِنْد أهْل غَفْلةٍ وشَجَاعةٍ ولِينٍ. وأهْل الصِّين أهْل طَلَبٍ وخِفَّةٍ وجُبنٍ وحَذقٍ بالصِّناعَات. وأهْل اليَمَن أهْل غَفْلةٍ وخِفَّةٍ ولِينٍ. وأهْل خُرَاسَان أهْل غَفْلةٍ وبُخلٍ وحِرصٍ وشَجَاعةٍ.

وقال بُقْرَاط[2] في كِتَاب الأهْوِية والبُلْدَان: إنَّ ما كان في الأمْصَار مُقَابل شَرق الشَّمس، فريَاحُه سَلِيمةٌ ومَاؤهُ عَذبٌ وأهْله قلَّما يضرُّهم تَغيُّر الهَواءِ، وكان يقول: المِياه التي تَنْبُع من مَواضِع مُشْرِقةٍ ومن تِلاعٍ[3] ورَوابِي أفْضَلُ المِياهِ وأصَحُّها، وهي عَذْبةٌ وبُلْدانها أصحُّ البِلاد ولا تحتَاج إلى كثْرة مَزْج الشَّراب، ولا سِيَّما الشَّرقيُّ والصَّيْفيُّ، لأنَّها تكون [برَّاقة][a] طَيِّبة الرِّيح اضْطِرارًا.

---

[a] ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

---

[1] الصلف: هو التجاوز في الظرف والادعاء والتكبر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ص ل ف]ج٩، ص ١٩٦-١٩٧.

[2] بقراط بن إيراقليس، أشهر أطباء العالم القديم، ويطلق عليه بقراط الكبير والحكيم الإلهي، صاحب تصانيف توفى على الأرجح سنة ٣٥٧ق.م. انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢٧١-٢٧٤؛ ابن جُلجُل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٦-٢٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٩٠-٩٥؛ فؤاد سيزكين: نصوص ودراسات حول بقراط عند العرب، سلسلة الطب الإسلامي، فرانكفورت، ١٩٩٦م.

[3] التلاع جمع تلعة: وهي مجرى الماء من أعلى الوادي. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج١، ص ٤٠٣.

وقال قَسْطُوس[١] في كتاب الفِلاحَة: أَصْلَحُ مواضِع البُنْيَان أنْ يكون علىٰ تلٍّ أو كِرشٍ[a] [٢]وثِيقٍ ليكُونَ مُطِلًّا، وأحقُّ ما جُعِلتْ إليه أبْوابُ المنَازل وأفنِيَتُها وكِواؤُها المشْرِقُ واسْتِقبالُ الصَّبَا.

فإنَّ في ذلك صَلاحُ الأبْدَانِ لسُرعةِ طُلوع الشَّمسِ ومرِّها[b] عليهم[٣]، وأنْ تُوَسَّع البِيوتُ ويُرْفعَ سَمْكُها، وتكونَ أبْوابُها إلىٰ المشْرِق لأنَّ رِيحَ الجَنوبِ أشَدُّ حَرًّا وأثْقلُ وأسْقَمُ. وأَصَحُّ البُلْدَان ما كانت علىٰ الجِبالِ والأمَاكن التي تُواجه مَهبَّ الصَّبَا ، وما كان في قُعورٍ وأغْوَارٍ ومواجَهَةٍ لرِيحِ الجَنُوبِ، أو الدَّبُور فهي مَواضِع رَدِّية موَلِّدة للأمْراضِ.

والصَّواب أنْ تُتَّخذ الدُّور بين الماءِ والمَشْرِق، وأنْ تكون شَرْقيَّةً والبَساتِين غَرْبيَّةً. ومن قَرُبَ منْزِلهُ من النَّهرِ كان أقلَّ آنيةٍ ممن[١٠٤ظ] بعُدَ عنه، وقالوا: لتكُن دُورکُم شَرْقيَّة وضِياعُکُم غَرْبيَّة.

---

[a] في المختصر: كبس.

[b] في المختصر: وضوئها.

---

[١] الحكيم قسطوس بن سكوار أسكينه، صاحب كتاب الفلاحة الرومية، ترجمه: سرجس الرومي، من اليونانية إلى العربية، ويشتمل على اثني عشر بابا - وعربه أيضا: قسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى سنة ٣١١هـ/٩٢٤م. للمزيد انظر:حاجي خليفة:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة بيروت المصورة عن طبعة مكتبة المثنى ببغداد، سنة ١٩٤١م، ج٢، ص١٤٤٧.

[٢] الكرش: كل ما علا من الأرض كالجبال والهضاب. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ك ر ش]، ج١٧، ص٣٥٣.

[٣] قارن: مختصر الكتاب، ص ١٥٢-١٥٣؛ وانظر: ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج١، ص٤٣٢.

وقال ابن كَلَدَةَ [١]: جَمِيعُ خِصَالِ الدَّار أنْ تكونَ علىٰ طَرِيقٍ نَافِذ، ومَاؤُهَا يخرج وليس عليها مُتَشَرِّف وحُدودُهَا لها، وتكون بين المَاء والسُّوق، وتصْلُح أفنِيَتُها لحطِّ الرِّحالِ وبلِّ الطِّين ومَوقفِ الدَّوابِ، وإنْ كان لها بَابان فذلك أمْثَل،

وكان إيَاس بن مُعَاوِيَة [٢] يقول: شَرقيُّ كلِّ بلدٍ أفْضَل من غَرْبيِّه. وكان يقول: [a]الجَار ثمَّ الدَّار كما الرَّفِيق ثمَّ الطَّرِيق[a].

وقال يحيىٰ بن خَالِد [٣]: دَارُ الرَّجلِ دُنْيَاه. فيَنْبغِي أنْ يَتَنَوَّقَ في دِهْلِيزه [٤]، فإنَّه وَجهُ دَارِهِ ومَنْزِل ضَيْفِه، ومَجْلِسُ صَدِيقِهِ إلىٰ أنْ يُؤذَن له، ومُسْتَرَاحُ خَدمِهِ، ومَوْضِعُ مؤدِّبِ ولَدِهِ [b]، ومُنْتَهىٰ حدِّ المُسْتَأْذِنِ عليه.

[a-a] في المختصر: «وتكون نقي الجوار لأن الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق».

[b] في المختصر: المعلم.

---

[١] الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف، طبيب العرب المشهور، وكان شاعرًا حكيمًا، من أهل الطائف، رحل إلى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن أهلها. وتعلم الضرب على العود بفارس واليمن. انظر في ترجمته: الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ص٢٢٦؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص١٠٩.

[٢] إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو واثلة: ولي قضاء البصرة، فكان يضرب به المثل في الفطنة والذكاء والفراسة، كان عجيب الفراسة، ملهما وجيها عند الخلفاء، قال عنه الجاحظ: أنه من مفاخر بني مضر. وتوفي بواسط سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٣٤-٢٣٥؛ وكيع: أخبار القضاة، ج١، ص٣١٢-٣٢٥.

[٣] انظر ترجمته فيما تقدم ص٢٨٦.

[٤] يتنوق بمعنى يتأنق، والمعنى: أن يعتني بأمر دهليز داره فيوسعه ويجوّده، ويبالغ في تنظيفه وأثاثه. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج٩، ص٢٤٤.

ولمّا قَدِمَ مُوسَىٰ بن جَعْفَر[١] علىٰ المَهْدِيِّ، كلَّمهُ في رَدِّ فَدَك[٢]. فقال له: أنا نَاظِرٌ في ذلك، ولكنْ أين حُدودهَا؟! قال: أمَّا الأوَّل: فعَرِيشُ مِصْر. والثَّاني: دَوْمة الجَنْدَل. والثَّالث: أُحد. والرَّابع: سَيفُ البَّحْرِ طَرفُه. فقال المَهْدِيُّ: هذه الدُّنيا كلها؟! فقال مُوسَىٰ بن جَعْفَر: هذا كان في أيْدِي اليَهُود فأفاءه الله علىٰ رسوله ﷺ[٣].

وكان علىٰ رجُلٍ من ثَقِيفٍ دَيْنٌ فطُولبَ به، فقال له الحَسَنُ البَصْرِيُّ: بع أرْضَك واقْضِ دَيْنَك وأرِح نَفْسَك. فقال يا أبَا سَعِيد: إنَّا أهْلُ بَيتٍ لا نَبِيعَ التُّرابَ حتىٰ نَصِلَ إلىٰ التُّرابِ[٤].

وقال عِيسَىٰ بن بِشْرِ الكُوفِيُّ: أرَدْتُ شِراءَ دَارٍ، فسَألْتُ جَعْفَر بن مُحَمدٍ[٥] عن ذلك، فقال: اشْتَرِها، فإنَّ الدَّار مَكْرُمة. وفي بعض الخبر قال: من قَدِم بَلدًا فأخَذ من تُرابِهِ وجَعلهُ في مَائِهِ وشَربه، عُوفِيَ من وَبَائِهِ.

---

[١] موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية، توفي بالبصرة سنة ١٨٣هـ/٧٩٢م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٥، ص١٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٧٠-٢٧٣.

[٢] فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨.

[٣] قارن هذا الخبر بما أورده الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٦٠.

[٤] انظر مختصر الكتاب ص، ١٥٤.

[٥] جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين القرشي، الملقب بالصادق، سادس الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية. من أجلاء التابعين، ولم يعرف عنه الكذب قط. توفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م.

انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٩٨- ٩٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٦٠-٢٦٩.

وقال قُتَيبةُ بن مُسْلِم[١]: للحُضَيْنِ بْن المُنْذِر[٢]: ما السُّرور؟! قال: امْرَأةٌ حَسْناء، ودَارٌ قَوْرَاء وفَرسٌ مُرْتَبطٌ بالفَناءِ[٣].

وقيل لرَجلٍ بنى دَارًا وأعْظَم النَّفقةَ عليها: ما أشدُّ ما مرَّ عليك في بِناءِ هذه الدَّار؟! (a قال: أشدُّ ذلك جميعًا فإنَّها الفَعَلة، وأسْهلُ الأمُورِ النَّفقَةَa).

وقال بعضهم: سِعَةُ الدَّار تزِيدُ في عَقلِ الرَّجلِ، كما أنَّ ضِيقَها تَنْقُص من عَقْلِه، وذلك أنَّ الرَّجلَ إذا كان ضَيقَ المَسْكن فدخَل إليه داخلٌ فيضِيقُ عَقْلُه عند حُرمِهِ، مَخَافةَ أنْ تَبْدو منهنَّ عَورةٌ [أو عثْرة] b)، أو يَظْهَر منهنَّ ما لا يحبُّ ظُهُوره. فإذا كان وَاسعَ المَسْكن[٥٠١و] فجَمِيعُ عَقْلِهِ معه.

وذكر بَهْبُوذ بن القَرْدُمَان[٤]: أنَّه لَمَّا فَرغَ من بِناءِ الدَّارِ التي بُنِيتْ لأنُوشِرْوَان[٥] بالمدِينةِ العتِيقة، أعْلَم بذلك. فأمر المُنجِّمينَ باخْتِيار يومٍ لينتَقلَ إليها فيه. ففَعَلوا ذلك. فلمَّا دخَلهَا وقد نُصِبَ سَرِيرهُ وسُدِلت سُتوره وهُيئ له تَاجه.

(a-a) في المختصر: «أسهل الأمور النفقة وأعظمها معاذاة الفعلة».

(b) التتمة من المختصر.

---

[١] مرت ترجمته ص٤٨٢.

[٢] الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي، من التابعين، صاحب راية علي يوم صفين، وتوفي سنة ٩٧هـ/ ٧١٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٥٥؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٣٤٢؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج٢، ص٥٥٣.

[٣] الخبر بتمامه لدى كلٍّ من: الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٢٠؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار: ج١، ص٣٦٧.

[٤] لم أجد له ترجمة.

[٥] أنوشروان بن قباذ. وقد مرت ترجمته ص٣٤٢.

فلمّا اسْتوىٰ علىٰ السَّريرِ ورأىٰ بهَائَها وحُسْنَها وجَلالةَ فُرُشِهَا وآلتهَا، اسْتَعْبر عند ذلك بَاكِيـًا لخَطْرةٍ خطَرت ببَالهِ من ذِكر المَوتِ وقال: إذا كان سُرورُ الدُّنيا الذي يمْنَعهُ فنَاؤه وكثرة ما ينُوبه من العَاهَاتِ، فكيف بِسُرورِ الآخِرةِ مع بقَائه وخُلوصِهِ من كلِّ مكْروهٍ؟! وإنَّ في هذا لعِبرةً يَنْبَغِي ألَّا تَسْقُط علىٰ ذي حِجَىٰ، فيَرفُضَ الكَثِيرَ الفَانِي للْقَلِيل البَاقي، وما أحْسَبنا إلَّا ونَجِد إسْرافنَا من الدُّنيا فيما رفَضْنَا من مخْفُوضِ مخايِلهَا وأشْخَصنَا الأبْصَار إلىٰ ما تَطأطأ من أعْلامِ غُرورهَا، ونحن أحْرِياء أنْ نُوجِّه ذلك جِهَتهُ، فيكون غُفْرانًا لما بَلغتْهُ الدُّنيا فِينا من نهْمَتهَا.

ثمَّ قال: أيُّها النَّاس! إنَّ الذي بَلغنَا منه بأقْصَىٰ قُدْرتِنا لا يمتَنعُ من الخَرابِ والبِلىٰ بتوْزِيعنا إيَّاه وفَقْدهِ إيَّانا، وإنَّ مدَاه قَليلُ الغِنا عنَّا عند طُولِ الأجَلِ بنا.

ثمَّ نَادىٰ بمُنَادِيه أنَّ المَلكَ يَعْزمُ علىٰ كلِّ من حضَر إلَّا قَام فأخْبَر بِعيبٍ إنْ عَرِفه في بِنَاءِ المَلِكِ، فأحْجَم النَّاسُ جمِيعًا عن ذلك، فأقَام رجُلٌ ذَمِيم المَنْظرِ رثُّ الهَيْئةِ فقال: إنَّ المَلِكَ قد عَزمَ علينا بما عَزمَ، فَلوْلَا التَأثُّم من عَزمِهِ لكانَ موْضُوعًا عنَّا ما أَمر به، فلذلك نسْتَجِيزُ أنْ نقولَ ما وافَقهُ أو خَالفه.

ومن عُيوبِ بِنَائهِ أنَّه بُنِي في هَبْطَةٍ من الأرْضِ لا تَقع عليه العُيون حتىٰ تَقْربَ منه، وأولىٰ المَوَاضِع بِبنَاءِ المُدنِ والدُّورِ المُشْرِفُ من الأرْضِ ليعْلُو علىٰ ما حَوْلها، وتنْظُرُ[ها] الوفُود من بعد، ومنها أنَّ منْزِل نِسائهِ أعْلَىٰ منَازله، وذلك دَليلٌ في الطِّيرةِ علىٰ أنَّ أمْرَ النِّساءِ سَيعْلُو علىٰ أُمورِ الرِّجالِ.

ومنها: أنَّ حَقَّ صَحِنِ الدّار أنْ يُعمَر بالخَدمِ والحَاشِية، وكثْرةُ من يَدْخل ويخرج. وهذا الصَّحنُ يَفْضُل عن حاشِية المَلكِ وخَواصهِ ويتَّسِع عنهم.

وأخرىٰ ولسْتُ أذكُرها، فإنْ يكن المَلِك قد عَرفها [١٠٥ظ] وإلّا فليَعْفِني من ذكرها. فقال له أنُوشِرْوَان: كأنّك تقول إنّي لم أنفِق فيها عَلمتُ من هذا دِرْهَماً من بُيوتِ أمْوَالِنا، وإنّما عمِلتُ ذلك مما أفَاءتْ علينا أطْرافُ الأسِنَّةِ ونُحورُ الخَيْلِ من أمْوالِ أهل حرْبِنا، وأعْداء أهْلِ مِلَّتِنَا المُكْتَنفين لحوْزَتِنا. قال: لئن قال المَلِكُ ذلك فما أفَاء دِرْهمًا إلّا بإتْلافِ رأسٍ من رُؤوسِ أسَاوِرَتِهِ ولا عِوضَ منهُم بما خطَر بهم فيه وعرَّضَهُم له. فهذا الذي عِندي من عُيوبِ هذا البِناء.

فقام رَجُلٌ آخر فقال: قد سَمِعتُ مقَالة هذا في عَيْبِ ما عَاب في بِنَاءِ المَلِك. وإنَّا لنقول مثل قوله عن فَضِل طَاعتِهِ مِنّـةً ورِضَا منّـا عنه. فقد بلغَ غَايَةَ الإسْخَاط للذي رِضَاهُ خِلافَ رِضَانا، وإنْ كان المَلِكُ أبَاه بجَهالةٍ بما فيه، فلَيْس بأصْغَر الخطأين ولَا أقَلهما، فبما لزِمهُ من وِزْرِه، بل لو كان ذلك علىٰ معْرِفةٍ فيما لا نشُكُّ فيه من التَّـقْصِير عن شُكْرِهِ، لكان المَلِكُ هو الجَاني علىٰ نَفْسِه.

وأشَدُّ من هذا وأفْحَش أنَّ المَلِكَ عسىٰ أنْ يقول: إنّي إنّما أردت بما شَيَّدت من هذا البِنَاءِ إعْزَازَ الدِّين وتَفْخِيم أمره. فليَنْظُر، فإنْ كان شيءٌ من أمْرِ الدُّنْيا مِوَافِقاً لأمَرِ الدِّين، أو يُعَزُّ احَدهما إلّا بما أذَلَّ الآخَر، فقد صَدقَ في ظَنِهِ، وكذلك العَائِب له، وإلّا فالعَيبُ في ذلك لَازِم له دون غيره.

وقام آخَر فقال: قد سَمِعتُ أيُّها المَلِك ما قَالا وسَبَقانِي به. وأشَدُّ منه وأعْيَب إنْ كان خاصَّةُ المَلِك وأحبَاؤه لم يَجْهلُوا هذا وأغْضُوا عليه فلم يُؤدِّ أحَدٌ منهُم إليه شيئًا من حَقِّه في تَبْيِينهِ له، أو جَهِلُوه ولم يَعْرِفوه. فكلُّ أحدٍ أغْنَىٰ له وأفْصَح منهُم له، وأحَقُّ بالمَوْضِع الذي وضَعَهم به. ثمَّ أطْرَق النَّاس.

فقال المَلِكُ خَافِضًا صَوْتهِ: قد عَلِمْنَا أنَّ أُمَ الفَواحِش لم تكن لتَسَوغنا ما هُجِينا به من مَجْلِسنا هذا حتىٰ يُكَدِّرهُ علينا من طَمِعَ في ذلك من ورَائهَا فقد لزِمتهُ الحِيرةِ والخَطأ. ثمَّ سَأل عن النَّفرِ المُتكَلِمين فإذا هم قَومٌ متَظَلِّمون: اثنان من أهْلِ تُسْتَر والآخَر من أهْل أرْدَشِير خُره، فأمر بإنْصَافهم.

وأنْشَد أبي لمُحَمَد القَاسِم بن يَحْيىٰ المُرْتجىٰ في بِناءِ دَارٍ[١٠٦و] (شِعْر):

[البسيط]

أتـمَّها اللهُ من دَارٍ وأكْمَلهَا ‏ وبالأمَانِ من الآفَاتِ ظَلَّلَها
لله مَا هي أبهَاهَا وأنْبَلهَا ‏ لله مَا هيَ أحْلاهَا وأشْكَلهَا
هذا تَلؤلُؤهَا قَبلَ التَمامِ فلو ‏ تمَّتْ حَمتْ كلَّ ذِي طَرفٍ تَأمُّلهَا
اللهُ جَلَّلها نُورًا وجَمَّلهَا ‏ وبالحُسَينِ فتىٰ الأفْضَالِ فَضَّلهَا
سُبْحَانَ خالِقهِ سُبْحَانَ خَالِقهَا ‏ سُبْحَانَ من منه بالتَشْرِيفِ سَرْبَلهَا
لم يَبقَ في الدُّورِ بل في الأرْضِ من ‏ حُسنٍ إلَّا وأصْبحَ مَجْموعًا بها ولها
فالحُسْنُ خَارجُها والحُسْنُ داخلها ‏ والحُسْنُ يَضْحَك أعْلاها وأسْفَلهَا
لو كملت صُورةٌ من حُسْنِها بَشَرًا ‏ لكُمِّلَتْ وهي تِمْثَالٌ ممُثلها
كأنَّها غَادةٌ أهْدَتْ لمَالِكها ‏ عِشقًا فَوشَّحهَا حِليًا وكَلَّلهَا

حَبا أعَاليَها من عسْجدٍ بِدَعًا   صِيغتْ وبالدُّرِ والمرْجَانِ فصَّلهَا
ما يُبْصِر المَرءُ فيها بِدْعةً بَعُدتْ   إلا رَأىٰ حَسْرةً ألَّا يُقبِّلهَا
كأنَّها دُرةٌ بَيْضَاءُ أبْدَرها   لا تعرِفُ العَينُ أُخراهَا وأوَّلها
كأنَّها رَوْضَةٌ زَهْراءُ نَاضِرةٌ   جَاد الحَيا زَهْرها لَيْلًا فأخْضَلهَا
كأنَّها جنَّةُ الفِرْدَوْسِ أنْزَلهَا   إليه ذُو العَرْشِ إكْرامًا ليَنْزِلهَا
لم يَقْضِ في مصرَ أنْ تَبْدو محاسِنها   إلا ليَؤمنها من أنْ يُزلْزِلهَا
في بُقْعَةٍ حُرةٍ كَالمِسْكِ تُرْبتُها   فلمْ يكُن لسِوىٰ حُرٍّ ليَجْعَلهَا
لقد حَبا دَارهُ منه وحوَّلها   فتًىٰ يَرىٰ الأرْض نَزْرًا أن يُخوِّلها
لم يَبْنِها ويُوسِّع بَابَ مَدْخَلها   إلَّا ليَقصِدها الرَّاجِي ويَدْخُلهَا
فلن يُساوِيه حُرٌّ فَيعْدِلهُ   حتىٰ تساوِيَها دَارٌ فتَعْدِلها

[ما جَاءَ في ذَمِّ البِنَاء]

[١٠٦ظ] وقد كَرِه قَومٌ البِنَاء وذمُّوه، ورَووا في ذلك أخْبارًا كَثيرةً، أنا ذَاكِر
٣ بَعْضها إنْ شاء الله: رَووا أنَّ النبي ﷺ قال: «ومَا أنْفَقَ الرَّجلُ مِنْ نَفَقَةٍ فَعلَىٰ الله
خَلَفُهَا ضَامِنًا إلَّا مَا كان من نَفَقَةٍ فِي بُنيَانٍ أو في مَعْصِيَةٍ»[1].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وإنَّ من المَعْرُوفِ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وأنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إنَاءِ أخِيكَ. مسند الأمام أحمد، حديث رقم ١٤٩٣٦؛ بينما أخرجه الدارقطني في سننه بلفظ: «كلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وما أنْفَقَ الرَّجُل على أهْلِه وَنَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ، وما وقَى به المُرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ له به صَدَقَةٌ، ومَا أنْفَقَ المُؤْمِنُ من نَفَقَةٍ فَإنَّ خَلَفَهَا عَلَى اللهِ ضَامِنٌ، إلَّا مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أوْ مَعْصِيَةٍ». حديث رقم ٢٨٩٥، بتحقيق: شعيب الأرنوؤط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٤٢٨.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا أَرَادَ الله بِعبدٍ هَوانًا، أنفق مَاله في البُنْيَان[١].

وقال عُبَيْدُ الله[a] بن زَحْرٍ[٢]: من كَسبَ مَالًا حَرامًا بعثَ اللهُ عليه مُنْتَصِراتٍ من الأرْضِ. وقال مَروانُ لأبي هُرَيرةَ: اكْتب لنا شيئًا نذْكُرك به. فقال: تَبْنُونَ ما لَا تَسْكُنُون، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُون، وتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكلُون، قال: اكْتب لنا غَير هذا. قال: ما عِندي غَيره[٣].

وقال الله ﷻ في ذَمِّ البِنَاءِ: ﴿ أتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]. ودخل النبي ﷺ المَسْجِد، فإذا هو بعَبْدِ الله بن رَوَاحة وأبي الدَّرْدَاء بمَساحَته. فقال ما هذا؟ قال أرَدْنَا أنْ نَمْسَحه ثم نَسْأل في الأنْصَارِ فنَبَنِيهُ مثل المَسْجِد الذي بالشَّامِ. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خُشَيْبَات وثُمامٌ، ظُلَّةٍ كظُلَّة موسىٰ والأمْرُ أعْجَل من ذلك»[٤].

---

[a] في الأصل: عبد الله.

---

[١] لم أقف على هذه الرواية في أي من المظان المعتمدة.

[٢] عُبَيد الله بن زحر الضمري الإفريقي، ولد بأفريقية ودخل العراق في طلب العلم، ضعيف متروك الحديث. انظر في ترجمته: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٥، ص٣١٥؛ المجروحين لابن حبان، ج٢، ص٢٦-٣٦؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال،ج١٩، ص٣٦-٣٩.

[٣] جاء مضمون هذه الرواية في أكثر من مصدر منسوبة لأبي الدرداء، في وصية منه لأهل حمص وقيل لأهل دمشق، وليست من مرويات أبي هريرة. ونصها كالتالي: «... يأهل دمشق، مالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون...» قارن: ابن قتيبة: عيون الأخبار،ج٢،ص٣٥٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤٧، ص١٣٣-١٣٤.

[٤] لم أعثر في أقوال النبي ﷺ على حديث بهذا اللفظ لا صحيحًا ولا حسنًا ولا ضعيفًا.

وقال إسْحَاقُ بن سُويدٍ[١]: كانت المَسَاجِد بالقَصَبِ مُدةً، ثمَّ صَارت بِالرَّهْصِ حِينًا، ثمَّ صَارت باللَّبنِ [والطِّين][a]، زَمنًا، ثمَّ صَارت بالآجُرِّ [والجَصِّ][b]، فكان أَصْحَابُ القَصبِ خَيرٌ من أَصْحَابِ الرَّهْصِ، وأَصْحَابُ الرَّهْصِ خَيرٌ من أَصْحَابِ اللَّبنِ [والطِّين][a]، وأَصْحَابُ اللَّبنِ [والطِّين][a]، خَيرٌ من أَصْحَاب الآجُرِّ [والجَصِّ][b].

وقيل للمَسِيح عَلَيهِ السَّلَام: لو اتَّخَذتَ بَيْتًا جَدِيدًا. قال: يكْفِينَا خُلْقَانُ من كان قَبْلنا.

وقال حُذَيْفةُ لسَلْمَان[٢]: ألَّا تَبْنِي لك بَيْتًا؟ فكأنَّه كره ذلك فقال حُذَيْفةُ: رُوَيْدًا حتىٰ أُخْبِرك، أي ابْنِ لك بَيْتًا إذا اضْطَجَعت فيه كان رَأسكَ من هذا الجَانب ورجْلِك من الجَانبِ الآخَر، وإذا قُمتَ أَصَابَ رأْسَك سَقْفهُ. قال: كأنَّك كُنت في نَفْسِي.

ولما بَنىٰ مُعَاوِيةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخَضْراءَ قال لأبي هُرَيْرة: كيف تَرىٰ هذا البِنَاء؟ قال: إنْ كُنْتَ بَنَيْتهُ من مَالِ الله فإنَّك من الخَائِنين، وإنْ كُنْتَ بنَيْتهُ من مَالك فإنَّك من المُسْرِفين[٣].

---

[a] تتمة من المختصر.

[b] تكملة من المختصر.

---

[١] إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي البصري، من التابعين الثقات، توفي سنة ١٣١هـ/٧٤٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٤٣؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٨٩؛ ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٧.

[٢] الصحابيان الجليلان حذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي.

[٣] ذكر ابن عساكر أن هذا الحوار كان بين عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن الحارث، انظر: تاريخ دمشق ج٢٩، ص٤٠.

وكان الثَّوريُّ يقول: ما أنفقتُ دِرْهمًا قَطُّ في بِناء.

وبَلغَ عُمرَ أنَّ رجُلًا من عُمّالِهِ يُقال [١٠٧و] له هَارُون جَصَّص بَيْتِهِ. فكَتبَ إليه إلى هَارُون بن أُمّ هَارون وبَيْتِهِ المُجَصَّص.

وبنى ابن مُسْعُودٍ فقال له عمَّار: بَنَيْتَ شَدِيدًا، وتَأملُ بَعِيدًا، وتَموتُ قَرِيبًا. وبَنى رجُلٌ بِناءً عَالِيًا، فقال له بَعْضُ الزُّهاد: نَزلتَ حيثُ رحَل النَّاس.

وأنْشَد (شِعْر): [البسيط]

أَبَعْدَ عَادٍ تَرْجُونَ الخُلُودَ وهل يَبْقَى على الدَّهْرِ بَيتٌ أسُّه المَدَرُ
إلى الفُراقِ وإنْ طَالت سَلامتُهم يَصِيرُ كلُّ بَنِي أُمٍّ وإنْ كثرُوا

وبَنى رجُلٌ دَارًا فقال للحَسَن البَصْري: كيف تَرى هذا البِنَاء؟ قال: أمَّا أهْلُ الأرْضِ فغَرُّوك، وأمَّا أهْلُ السَّماءِ فمَقتُوك. وقال الحَسنُ لرَجُلٍ بَنى بُنْيانًا عَالِيًا: عمَدت إلى رِزْقِ الله فجَعلتَه في رِأسِ قَصْر جَبَّار.

وقال المَدَائِنيُّ: لما بَنى عُبَيْدُ الله بن زِيادٍ [بن أبيه] البَيْضاءَ [b] بالبَصْرَةِ أمر وُكَلاءه أنْ لَا يَمْنَعوا أحَدًا دَخولَها، وأن يحتَفظُوا كَلامًا ما إنْ تكلَّم به إنْسَان[1]. فدَخلَها أعْرَابيٌّ، وكان فيها تَصَاوِير فتَأمَّلَها ثمَّ قال: لا يَنْتَفِعُ بها صَاحِبهَا، ولا يلْبَثُ فيها إلَّا قليلًا، فأُتِيَ به ابن زِيَاد وأُخبِر بمقَالتِهِ فقال له: لِمَ قُلت هذا؟! قال: إنِّي رَأيتُ أسَدًا

[a] تتمة من ياقوت.

[b] لدى القزويني: «دارا عجيبة سمّاها البيضاء»

[1] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٣٠؛ القزويني: آثار البلاد، ٣١٠.

كَالِحًا، وكَلْبًا نَابِحًا، وكَبْشًا نَاطِحًا. فكان الأمْرُ علىٰ ما قال. لمْ يَسْكُنْهَا إلَّا يَسِيرًا حتىٰ أخْرَجهُ أهْل البَصْرَةِ إلىٰ الشَّامِ ولم يَعُد إليها[1].

وفي خَبرٍ آخر: أنّه لمَّا بنىٰ البَيْضَاء أمَر أصْحَابه أنْ يَسْمعُوا ما يقُول النَّاس[a]، فجَاؤوهُ برَجلٍ فقيل له: أنّه قَرأ وهو يَنْظُر إليها: ﴿ أتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لعَلَّكُمْ تَخْلُدُون﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩].

فقال ما دَعَاك إلىٰ هذا؟ قال: آيةٌ من كِتابَ الله عرضتْ لي. فقال: والله لأعْملَنَّ فِيك بالآيةِ الثَّالثة ﴿وَإذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] ثمَّ أمرَ فبُنِي عليه رُكنٌ من أرْكَانِ القَصْر.

وأنْشَد لبَعْضهم (شِعْر):

[الرجز]

يَا أيُّها البَانِي بِنَاء يَفْنَىٰ   هل أنتَ مُحْتَالٌ فبَانِي حِصْنا
من حَدَّثَ الدَّهرَ يَكن مُحِبًّا   أم للْخَرابِ يا ضَعِيفٌ بينا
إنْ كُنْتَ لا تَبْقىٰ فَلِمَ تُعنَّىٰ   يكْفِيك بَيْتٌ أنْ يكُونَ كُنَّا
أمَا تَرىٰ الدَّهرَ الذي قدْ أخْنَىٰ   علىٰ بَنِي آدمَ كيف أفْنَا
السَّلف المَاضِينَ قَرنًا قَرنًا   فلم يَذَر منهُم أبًا ولا ابْنًا

---

[a] في المختصر: «أن يستمعوا من أفواه الناس»

---

[1] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه من ابن الفقيه. انظر: مادة البيضاء، ج١، ص٥٣٠؛ وقارن: القزويني: آثار البلاد، ص٣١٠.

[١٠٧ظ] وقال بَعْضُ الشُّعراءِ وقد نَظرَ إلى قُصورِ آلَ طَاهرٍ بالشَّاذِياخ وقد خَرِبتْ[١] (شِعْر):

٣ [الوافر]

وكان الشَّاذِياخُ مُنَاخَ مَلِكٍ فزَالَ المُلْكُ عن ذَاكَ المُنَاخِ
وكانت دُورُهم للَّهوِ وَقْفًا فصَارتْ للنَّوائِحِ والصُّرَاخِ
فعَيْنُ الشَّرقِ بَاكيةٌ عَليهم وعَينُ الغَربِ تُسْعَدُ بانْتِضَاخِ
(aكَذاكَ يكونُ من صَحِبَ التَّراخِي فذَاكَ الدَّهرُ يَعْقُبهُ التَّراخِa)

وقال آخر في ذلك:

[الطويل]

فإنْ يُمْسِ وحْشًا بِبابهِ(b فلرُبَّما(c تَزاحَم(d أفواجًا لديهِ الرَّكَائبُ
يُحيُّونَ بَسَّامًا كأنَّ جَبِينهُ هِلالٌ بَدا وانْجَابَ عنه السَّحائِبُ
وما غَائِبٌ من غَابَ يُرْجَى إيَابهُ ولكنَّ من قد ضَمَّهُ القَبْرُ غَائبُ

(a-a) زيادة من المختصر.
(b في المختصر: داره.
(c في المختصر: فلطالما.
(d في المختصر تناطح.

[١] هذه الأبيات ذكرت في المختصر منسوبة إلى الشاعر: محمد بن حبيب الضبي، والتي قالها في دور آل طاهر؛ والشاذياخ: هو البستان الذي اتخذه عبد الله بن طاهر والي خراسان، فلما خطَّه وتوسع في عمارته صار ملاصقًا لمدينة نيسابور ثم أصبح بعد ذلك من جملتها. انظر: ياقوت الحموي: مادة الشاذياخ، ج٣، ص٣٠٥-٣٠٧؛ وقارن: مختصر الكتاب، ص١٧٥-١٥٨.

وقال آخر في ذلك[١]: [الطويل]

فتِلْكَ قُصورُ الشَّاذِياخ بَلاقِع خَرابٌ يبَابٌ والمِيانُ مزَارِعُ
وأضحَتْ خَلاءَ شاذَمِهْرُ وأصبَحتْ معَطَّلَةً في الأرْضِ تِلكَ المصَانِعُ
وغَنَّى مُغنِّي الدّهر في آلِ طَاهِرٍ (a بما هو رَأيُ العَينِ في النَّاسِ شَائِعُ
عَفَا المَلِكُ من أولَادِ طَاهِرٍ مثلَما a) عَفَا جَشمٌ من أهْلِهِ والفَوارِعُ
b) وأيَّامُهم كانت لدَيْهم ودَائعًا فَأزهقهُم دَهرٌ فرَدَّ الودَائِعُ b)

وقال آخر في البرامكة (شعر): [الخفيف]

أوْحَشَ النُّوبَهارُ[٢] من بعْدِ جَعْفَر ولقَدْ كان بالبَرامِكِ يَعْمر
قُلْ ليَحْيَى أين الكَهانَةُ والسِّحْر وأين النُّجُومُ عن قتْلِ جَعْفَر
أنَسِيتَ المِقْدَار أم زَاغت الشَّمسُ عن الوقْتِ حين قُمْتَ تُقدِّر
كيف لمْ تَسحرِ السُّيوفَ فلا تعْمَلُ في جَعْفَرٍ كما كانت تَسْحَر
إنَّ يَحْيَى بن خَالِدٍ وبَنِيه أصْبَحُوا فِكْرَةً لمن يَتفكَّر

٣ وقال آخرمنهُم (شعر): [الطويل]

مرَرتُ علىٰ رَبْعٍ ليَحْيَىٰ بن خَالِدٍ وبَاطنهُ يَشْكُو الخَرابَ وظَاهِرُه
فكَادتْ مغَانِيهِ تقولُ من البَلَىٰ لسَائله عن أهْلِهِ مَات عَامِرُه

(a-a) زيادة من ياقوت.

(b-b) زيادة من المختصر.

[١] جاءت هذه الأبيات في نص المختصر بعد الخائية السابقة، ومنسوبة أيضًا إلى الشاعر: محمد بن حبيب الضبي. ص١٧٥؛ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٦.

[٢] النُّوبهار: بناء كان للبرامكة بمدينة بلخ. انظر: المصدر السابق، ج٥، ص٣٠٧، وما يلي ص ٧٧٨.

وقال آخر (شعر)[1]: [١٠٨و] [الطويل]

مَررتُ علىٰ دَارٍ لظَبْياءَ باللّوىٰ ... ودَارٍ للَيْلىٰ إنَّهن قِفَارُ
فقُلتُ لها يَا دَارُ غَيرك البِلىٰ ... وعَصْرانِ ليْلٌ مَرةً ونَهارُ
فقَالتْ نَعم أفْنَىٰ القُرونَ التي مَضتْ ... وأنتْ سَتُفْنىٰ والشَّبابُ معَارُ
لئِنْ طِلنَ أيَّامٌ بحَزْوىٰ لقد أتَتْ ... عَليَّ لَيالٍ بالعَتِيقِ قِصَارُ

وقال يَحيَىٰ بن مُعَاذٍ[2]: اصْرِف طَرفَكَ في القُصُورِ المُشَيَّدةِ، والحُصُون المُمَرَّدةِ، والأرْكَان الشَّاهقةِ، والجُدْرَان السَّامِيةِ. وانْظُر إلىٰ الأَبْوابِ العَجِيبة البُنْيَان كيف نُظِمَتْ بَكيد المُحْتَالِين، وإنْفَاق المُشْرِفِين ومَهارةِ الشَّائِدين، عَرِيضَة القَواعِد، مُحْكَمة الوَسَائِد، مُنِيفةُ الذُّرىٰ، صَعْبة المُرْتقَىٰ للطَّير في جوانِبِهَا وُكُور.

وللْقَطْرِ في معَالِها نُدوب، قد أنَافَت علىٰ الأَبْنِية بِاعْتِلَائِها، وتطَاوَلَت علىٰ الهِضَاب بارْتِفاعِها، وأحْكَمهَا عَامِلُوهَا وجرَّدوا أفْكَارهُم فيها وبَذَلُوا ذَخَائِرهُم فيها وأزاحُوا عِلل مُشَيِّديهَا وبَلغُوا أقْصَىٰ الأمَل ببَنْيِها، وجَعلُوهَا عِدَةً للدَّهرِ، وحِصْنًا للزَّمنِ؛ فما يَنَالُهم فيها نَابُ مُنَاوِلٍ، ولا ظُفُر مُحَاوِلٍ، فيها العُيونُ الجَارِيةُ والقِبَابُ العَالِيةُ والحُجَر السَّامِية.

---

[1] ذكر ياقوت الحموي هذه الأبيات عند حديثه عن مدينة حزوى، ج٢، ص٢٥٥.

[2] يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا، الإمام الواعظ الزاهد،لم يكن له نظير في وقته، أقام ببلخ، وتوفي بنيسابور سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م. انظر في ترجمته وأخباره: أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٨م؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١٦، ص٣٠٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٥.

والخُرَّد[١] النَّواعِم والأَبْكَار الفَواتِن يَـجْرُرنَ في عَرَصَاتِها الذُّيول، يَسْطَع منهن ذَكيُّ المِسْكِ وأنِيقُ العَنْبر، ترىٰ بَاطِنَ حِيطَانها كَلوَاذيَّة تَبْرقُ بماءِ الطُّراةِ، قد مُثِّـلَ فيها التَّصاوير من الطَّيرِ والسِّباعِ والبَهائِم، والنِّساء المُرْسَلاتِ الشُّعورِ الفَاتِناتِ الثُّغور، إذا تَأَمَلهَا النَّاظِر تَوهَّمهَا تَنْطِقُ بَادِية الابْتِهاجِ، فكانت لهم مسَاكِن مُدَةً من الدَّهْرِ يُكَلفُون بعِمَارتهَا، ويفِيئُون في فِنُون نَعْمتهَا، ويرْتَعُون في صُحُونِ عَرصَاتِها.

حتىٰ إذا قَصَدتهُم العُزْم بابْتِزاز ما في أيْدِيهِم من عَوارِف النِّعم، وصَحِبتْهُم المُثْل بخَواطِف التَّكبُّر فأسْلَمتْهُم إلىٰ مُدةِ الفَناءِ ونزَعَتهُم من البقَاءِ، فعَادَتْ القُصُور خَلاءً لا أنِيسَ فيها ولا دَيَّار بها، قد أخَذ الخَرابَ في أطْرَافِها، واسْتَحالَتْ إلىٰ تَحيُّر القَصْدِ محَارتُها، وتَنكرتْ لها الأيَّامُ مُتَرجِمةً عما تَؤولُ إليه عَواقِب أمْرِها، فللْرِّياحِ فيها هَتِيف، وللْجِنِّ بها عرِيفٌ، تَصْفقُها هَوجُ الأعَاصِير.

وتَنْبُت في أعْرَاضِها أسْهُم الدُّهَار، يُوقَد من متْنِها عين البِلىٰ، وتَناولتْها يَدُ الفَنا، يَحارُ الطَّرفُ في حُجرَاتِها وتَعْجَبُ الأفْكَارُ من عَرَصَاتِها، لا أنِيسَ فيها ولا أحَدَ يُخْبِرُ عنها، ولا عَالمَ يُنْبِئكُ عن أهْلها، ولا يُحدِّثكَ عن سُكَّانها، يَرْتَاع قَلْبُكَ إذا دَخلتَها، وتَخْفِقُ جَوانِحُكَ متىٰ تَأمَّـلْتَها، ويَسْتُرهُنَّ اعْتبَارك [١٨٠ظ] نقُوشَ طِيقَانِها، وأصْبَاغَ حِيطَانِها بعد ما كانت قُرَّة عينِ النَّاظِرينَ، عَادتْ عِبرةً للمُتَأمِّلين. وكذلك فِعْلُ الله ﷻ بالعِبادِ وآثارهُ في البِلادِ.

[١] لفظة فارسية معربة، تطلق على نوع من الطيور. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٩٠.

[قَصْر شِيرِين]

قال: وكان السَّببُ في بَناءِ قَصْر شِيرِين ـ وهو أحَد عجَائِب الدُّنْيا ـ أنَّ أبَرْوِيز المَلِك[1] [وكان مُقَامه بقَرْمَيسِين][a] أمَر أنْ يُبْنَىٰ له بَاغٌ[2] يكون فرْسَخَيْنِ في فَرْسَخَيْنِ، وأنْ يُحصَّلَ فيه من كلِّ صَيدٍ حتىٰ يتَناسَل جميعه. ووكَّل بذلك ألْفَ رجُلٍ، وأجْرَىٰ علىٰ كلِّ رجُلٍ من كلِّ يَوْمٍ خَمْسَةَ أرْغِفةٍ [من الخُبْزِ][b] ورَطْلَينِ لحمًا ودَوْرَق خَمرٍ.

فأقَامُوا في عَملِهِ، وما أمَر أنْ يُجْعَل فيه من الصَّيدِ سَبْع سِنِين حتىٰ فَرغُوا من جَمِيعِ ذلك. فلمَّا تمَّ واسْتَحْكَم صَارُوا إلىٰ البَهْلَبنْد المُغَنِّي وسَألوه أنْ يُخْبِرَ المَلِك بفَراغِهم مما أمَرهُم به.

فقال أفْعَل: ثمَّ عَمل صَوْتًا وغَنَّاه بين يَدي المَلك، وسمَّاه "بَاغ نخْجِيران" أي: بَاغُ الصَّيدِ. فَطَرب المَلِكُ عليه، وأمَر للصُّنَّاع بِمالٍ فَجعَلُوه للبَهْلَبنْد.

فلمَّا سَكِر أبَرْوِيز قال لشِيرِين: سَلِيني حَاجَةً، قالت: حَاجَتي أنْ تُصَيِّرَ في هذا البَاغ نَهْرَينِ من حِجَارةٍ تَجْري فيها الخَمْر، وتَبْنِي لي بينهما قَصْرًا لم يُبْنَ في مَمْلكتك مثله. فأجَابَها إلىٰ ذلك، وكان السُّكر قد عَملَ فيه فأُنْسِي ما سَألتهُ، ولم تَـجْسُر علىٰ أنْ تُذَكِّره له، فقالت للبَهْلَبنْد: ذكِّره حَاجَتي وإليك عَليَّ أنْ أهَبُ لك ضَيْعَتي

---

[a] التتمة من ياقوت.

[b] زيادة من ياقوت.

---

[1] مرت ترجمته ص٤٣٨.

[2] لفظة فارسية تعني: البستان. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ١٨٣.

بأَصْبَهان، فأجَابهَا إلىٰ ذلك، وعمِلَ صَوْتًا ذَكَّره فيه مَا وعَد شِيرين وغنَّاهُ إيَّاه. فقال: أذْكَرتَنِي ما كُنْت قد أُنْسِيتهُ، [a] وأمَر بِبناءِ النَّهرين والقَصْر[a] فبَنِي ذلك[b]. ووفَتْ شِيرِين للبَهْلَبْند بضَمانهَا. فنقَلَ عِيَاله إلىٰ هناك، فلذلك صَار من يَنْتَمِي إليه بأصْبَهَان[1].

وقال بَعْضُ أهْلِ الأدَبِ قَرأتُ علىٰ بَابِ قَصْرِ خَرابٍ في المَفَاوزِ هذه الأبيات (شعر):

[البسيط]

يَابَانِي القَصْرِ كم أنْفَقْتَ من مَالِ ... علىٰ بِنَائِك هذا والبِنَا بَالِي
أطْمَعْتَ نفْسَك في سُكْنَاه مُجْتَهِدًا ... فصَارَ منك ومن يَقْتَنِي خَالِي
وعَادَ بعْدَك قَصْرًا لا أنِيسَ به ... لمْ يَبْقَ منه سِوىٰ رَسْمٍ وأطْلَالِ
هذا دَلِيلٌ علىٰ تَوْحِيدِ خَالِقنَا أرْضَنَا ... وتَنقُّلٍ من حَالٍ إلىٰ حَالِ

[١٠٩و] ومَرَّ مُعَاويةُ بُوادِي القُرىٰ فَتلا هذه الآيَة: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٤٧] ثمَّ قال نزَلَتْ هذه الآيةُ في أهْلِ هذه البَلْدةِ وهي بِلاد عَادٍ. فَأين العُيون؟ فجَاءنَا رجُلٌ وقال: صَدقَ اللهُ في قوله. أفتُحِبُّ أنْ أسْتَخْرجَ العُيون؟ قال نعم: فاسْتَخْرجَ ثمانِين عَيْنًا، وعَرفَ مُعَاوية ذلك فقال: اللهُ أصْدَقُ من مُعَاوية.

(a-a) لدى ياقوت: «وأمر بعمل النهرين وبناء القصر».

(b) لدى ياقوت: «فبني على أحسن ما يكون وأحكمه».

---

1 هذه المادة بتمامها لدى ياقوت، مصرحًا بنقلها من ابن الفقيه. انظر: مادة "قصر شيرين"، ج٤، ص٣٥٨.

وقال مُحَمَّد بن[أبي] عُيَيْنَة المُهَلَّبي[1]: البِئْر التي بِالمَاوِيَّة[2] وهي بِئْر عَادٍ لا يَقِلُّ مَاؤهَا، ولو وَرَدهَا سَائِر أهْل الأرْضِ.

وإياها عنى أبو النَّجْم الْعِجْلِيُّ[3] بقوله (شِعْر)[4]: [الرجز]

من نَحْتِ عَادٍ في الزَّمَانِ الأوَّلِ

وذكر الكَلْبيُّ قال: بَيْنما قَومٌ من كَلْب يُعْرفُون ببَني عمد الله بن كِنانةِ على ماءٍ لهم، وقد نَحرُوا جَزُورًا ومعهم زُهَيْرُ بْنُ جَنَابِ الْكَلْبِيُّ[5]، إذ أقْبل رَجلٌ من بقَايا عَادٍ يقُال له: عُبَيْد بن مسْهرٍ، وكان أعْظَمَ النَّاسِ جِسْمًا حتى وقَف عليهم فهَالهَم لَمَّا نَظروا إليه فقَال: هل من طَعامٍ؟ فقال له زُهَيْر دُونك الجَزُور فَأهْوى إليها فَأكَلها كلَّها ثمَّ قال: هل من مَاءٍ؟!

---

[1] محمد بن أبي عيينة بن المهلب العتكي المهلبي، شاعر مطبوع من أهل البصرة اشتهر بالهجاء ورواية الحكايات. انظر في ترجمته: الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج٣،ص١٦٠٥؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب،ج٦، ص١٢٥-١٢٦.

[2] الماوية: بئر مشهورة يعد من أعذب مياه العرب، ويقع في طريق البصرة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٨.

[3] الفضل بن قدامة العجلي، مرت ترجمته.

[4] انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٤٨.

[5] زهير بن جناب بن هُبل الكلبي، من أهل اليمن، وهو أحد أمراء العرب وشجعانهم المشهورين في الجاهلية، وخطيب قضاعة وسيدها وشاعرها ووافدها إلى الملوك، يدعى الكاهن لصحة رأيه، توفي سنة ٦٤ق.هـ/٥٦٠م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٣٦٧-٣٦٩؛ ابن سلام الجمحي: المصدر السابق، ج١، ص٣٥-٣٧.

فقال: دُونك الرّكاء[١] فشَرب جَميعه. ثمَّ وقع نائماً، فأقَام في نَوْمِهِ سَبْعة أيَّامٍ وهَرب القَوْمُ فُزَّعًا، وثَبتَ زُهَيْر. فلمَّا اسْتَيْقَظ قال: أين قَوْمك؟ قلت: هَرَبُوا من رهْبَتِكِ. فقال: أمَا ليَنْفعنَّك ذلك. قُم اركَب معي. فرَكبَ معه فدَلَّه علىٰ مِياهٍ كانت لعَادٍ مُنْدَفِنة.

ولم يكن بقِي أحَدٌ يَعْرِفها غيره. منها: الدَّمْعَانَة[a]، وأثرىٰ، ونكْبٌ، ورَجٌ والحَالَةُ وغير ذلك. ثم قال عُبَيْدٌ لزُهَيرٍ: أخْبِرني عن رِيحكُم. قال: زَفْزَف[٢] تُسْقِطُ الوَرقَ. فقال: أخْبِرني عن مَطركُم. قال: يُزِيلُ العُودَ ويَقْلِبُ الحَجر. قال: بحَسَبِ رِيحكُم يكون مَطُركُم.

قال: والعَربُ تَزْعُم أنَّ بَنِي زُهَيْر بْن جَنَاب أقْوَم العَرب مِياهًا، وهي التي أوْقَف إيَّاهم عليها عُبَيْد بن مَسْهَرٍ العَادِيّ.

ولبني غَاضِرَة[٣] مِياهٌ تُعْرفُ بلِينَةَ[٤] يقال أنَّها ثَلاثُمائةِ عَين، ويَزْعُم أهْل السِّير أنَّ سُلَيْمان بن دَاود، عليهما السلام، خرَج من بَيتِ المَقْدس يُرِيدُ الشَّام، فلمَّا صَار إلىٰ

[a] في الأصل: الدمقانه، والتصويب من: ياقوت.

[١] الرّكاء: وادٍ بديار بني عجلان. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٦٢؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٨٦.

[٢] الزفزفة: رياح شديدة لها صوت في الشجر. انظر: ابن منظور: المصدرالسابق، مادة: [ز ف ف] ج٩، ص١٣٦-١٣٧.

[٣] انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [غ ض ر] ج١٣، ص٢٤٣-٢٤٤.

[٤] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة: [لينة]، ج٥، ص٢٩-٣٠.

هذا المَوْضِع الذي يُقال له لِينَة -وهي أرْضٌ خَشِنة- عطِش النَّاسُ ولحِق أهْلَ العَسْكر أمْرٌ عظِيم من ذلك.

ووجَّه سُلَيْمانُ [١٠٩ظ] عَلَيْهِ السَّلَام جَماعةً يطْلُبون الماء، ونَزل في ذلك المَوْضِع لعَطشِ النَّاس. قال: فبَيْنما هو كذلك إذ نظَر إلىٰ شَيْطَانٍ يضْحَكُ ويسْتَغرب من الضَّحكِ فغَاظَ سُلَيْمان عَلَيْهِ السَّلَام وأمَر بقَتْلِهِ.

فقال: لِمَا تقْتُلني يا نَبِيُّ الله؟! فقال: لضَحَكَك والنَّاسُ مِشْرفُون علىٰ الموت. فقال: إنَّما الضَّحِكُ لعَطشِهم وهم علىٰ لُـجَّةِ بَحرٍ. قال سُلَيْمان عَلَيْهِ السَّلَام وكَيف ذلك؟! قال: مُرْهُم أنْ يَحْفُروا فإنَّ الماءَ علىٰ ذِراع. فَأمَرهُم بذلك، فحَفَروا وأنْبَطُوا المَاء. وكان كلُّ رَجُلٍ منهُم قد حفَر حَفِيرةً لنَفْسِه، فلمَّا طَال علىٰ ذلك الدَّهْرُ يُدْفنَ عَامتَها وبقِي نَمِيرها ما ذكرنا. وفيها يقول مُضَرِّس الأسَدِيُّ [1] (شِعْر):

[الكامل]

لِمَنَ الدِّيارُ غَشِيتُها بالإثْمَدِ   بصفاء[a] لِينَةَ كالحَمامِ اللُّبَدِ[b] [2]

---

[a] في الأصل: فصرنا، والتصويب من ياقوت.

[b] لدى ياقوت: الرُّكد.

---

[1] مضَرِّس بن ربعي بن لقيط الأسدي، شاعر جاهلي اشتهر بحسن التشبيه والوصف، ولم تذكر له المصادر سنة وفاة. انظر في ترجمته وأخباره: الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص٢٥١؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٩٠.

[2] اطلع ياقوت الحموي على ديوان مضَرِّس الأسدي، وقد أضاف بعض الأبيات لإتمام المعنى. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٢٩-٣٠.

ويُقَال: إنَّه لم يَمُتْ قَومٌ قَطُّ عَطَشًا إلَّا علىٰ مَاء. ومَات قَومٌ من العَطَشِ بالشَّجِيِّ[1] في أيَّامِ الحجَّاجِ. والشَّجِيُّ مَنْزِلٌ من منَازِل طَرِيقِ مَكَّة من نَاحِية البَصْرَة، فاتَّصلَ خَبرهُم بالحجَّاجِ، فقال: إنِّي أظنُّهُم دعَوا الله حين بَلغ بهم الجَهْد، فاحْفُروا في مكَانِهم الذي كانوا فيه لعلَّ الله أنْ يَسْقِي النَّاس.

فقال رَجلٌ من جُلسَائِه: قد قَال الشَّاعِر (شِعْر): [الطويل]

تَراءَتْ له بين اللَّوىٰ وعُنَيْزَة وبين الشَّجِي مِمَّا أحالَ علىٰ الوَادِي

مَا تَراءَتْ له إلَّا علىٰ مَاءٍ فأمرَ الحجَّاجُ عُبَيْدَةَ السُّلَمِيَّ[2] أنْ يَحْفُر بالشَّجِيِّ بِئْرًا، فحَفر فَأنْبطَ ماءً لا يُنْزَح[3].

وكانت الفَلاسِفةُ تقول: أفْضَلُ مُسْتَنْبطِ المِياهِ ما كان مُحاطًا بِشعَابِ الأوْدِية، وأمْثلُ منَازِل السَّفرِ ما اتُّخذَ علىٰ مجَامعِ الطُّرقِ، وأمْثلُ الغَيْثِ ما أمْرع. وقال بعْض العَربِ: إنَّ اللهَ اجْتبَىٰ مَاءَ بإرَمَ والبَدِيعَة[4]، ونَعْمَانُ[5] وعلَلَان[6] لعِبَادِهِ المُؤْمِنين.

---

[1] انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة شجي، ج٣، ص٣٢٦-٣٢٧.

[2] عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي، تولى إفريقية والأندلس للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وتوفي بعد سنة ١١٤هـ/٧٣٢م. انظر ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٥٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٠٩-٢١٠.

[3] الخبر بتمامه لدى ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٣٠؛ وأيضًا لدى: ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، شرح وتحقيق: أحمد أمين وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م، ج٥، ص٢٧٧.

[4] البديعة: ماءة بحسمى. وحسمى جبل بالشام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٩.

[5] نعمان: واد قريب من الفرات على أرض الشام. نفسه، ج٥، ص٢٩٣-٢٩٤.

[6] عللان: ماء بحسمى. نفسه، ج٤، ص١٤٧.

وهذه المِياهُ كلُّها [بحِسْمى][a] . وقال المَنْصُورُ يوْمًا لجُلَسَائِه، وقد تذَاكَرُوا البرَّ والبَحْر، عدُّوا أرْبعَ عشْرة مَرْحَلةً من أيِّ مَوْضعٍ شِئْتُم، فإنَّكم لا تَبْلغُوا آخِر العَددِ حتىٰ تَصِلُوا إلىٰ البَّحْرِ، إنْ شِئْتُم شَرْقًا وإنْ شِئْتُم غَرْبًا.

وقال السُّدِّيُّ[1]: الجَبل الذي تطْلَعُ الشَّمسُ من وَرَائِهِ ارْتِفاعه في السَّماءِ ثمانون فَرْسَخًا.

[١١٠و] وقال الـمَـروَزِيُّ[2]: قَرَأتُ علىٰ المَـأمُونِ جَوابَ أرِسْطَاطَاليس[3] أُسْتَاذ الإِسْكَنْدرِ إلىٰ الإسْكَنْدرِ فيما أعْلَمهُ من فَتحِهِ[b] البُلْدانِ وجَمْعِهِ الأمْوالِ التي يَتعَذَّر عليه حَمْلُها، وعَجَبه من بَيتٍ ذَهبٍ ظَهر عليه بِالهِند. فأجَابهُ: إنِّي رَأيْتُك تَعْجَب من عَملٍ عَمِلتْهُ أيْدِي الآدَمِيِّين، وتَتْرُك التَّعجُب من هذا السَّقْفِ الرَّفيعِ الذي يَمُرُّ فَوْقكَ وتَزيِينِ مَن زَيَّنهُ بالكَواكِب ونصَبه علىٰ الحِكْمةِ البَالِغة.

---

[a] زيادة من ياقوت.   [b] رسمت في الأصل: قيمة.

---

[1] إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي الكوفي. صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيام الناس. توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٢٣؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٦٦٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٢٤-٧٢٥.

[2] أبو يحيى المروزي السرياني، الطبيب المشهور بمدينة السلام، كان فاضلًا عالمًا بالمنطق وباللغة السريانية. انظر في ترجمته: النديم: الفهرست،ج٢، ص٢٠٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٤٣٥؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١، ص٢٣٤-٢٣٥.

[3] أرسطاطاليس بن نيقوماخس بن ماخاتن، عاش بين سنتي ٣٨٤-٣٢٢ق. م . وقد أولع به العرب وترجموا الكثير من مؤلفاته في المنطق والطبيعة والطب. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج٢، ص١٥٧-١٦٠؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٢٥-٣٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٢٧؛ وانظر ما جمعه فؤاد سيزكين: في كتابه أرسطوطاليس عند العرب، نصوص ودراسات، فرانكفورت، ٢٠٠٠م.

فأمّا البُلْدانُ التي افْتَتَحْتَها فلْيكُن مُلْكك إيَّاها بالتَوَدُّدِ إلىٰ أهْلها، ولا تَـمْلكها عليهم بالقَهْرِ والبَغْضاءِ، فإنَّ طَاعةَ المَودَّة أحْمَدُ بَدءًا من عَاقِبة القَهْر والاسْتِكْراه.

فأمّا الأمْوالُ، فلْيكُن حَمْلُكَ إيَّاها في جِلْدِ ثَورٍ. ففَهِمَ عنه الإسْكَنْدرُ ما رَمَزَ به إليه في هذه اللَّقْطَةِ، ودفَن في كلِّ بَلدٍ شَيْئًا من الأمْوالِ، وأثْبتَ مَواضِع الكُنوزِ في جِلدِ ثورٍ مَدْبُوغ وحَمَلَهُ إلىٰ الرُّومِ فهو إلىٰ اليَوْمِ بَاقٍ في خَزانةِ المَلكِ. فربَّما أمَر بإخْراجهِ وانْتِساخ مَواضِعَ منه، وأنفذَ قَوْمًا من أصْحَابِه وكَتبهَا لهم فاسْتَخْرجُوها. وأكْثَرُ ذلك في المَواضِع التي يُخْفىٰ أمْرهَا.

واجْتَازَ رجُلٌ من بَني تَميم وهو يَغرِسُ فَسِيلًا، وكان الغَارِسُ شَيْخًا كَبِيرًا. فقال له: كم أتىٰ عليك من السِّنين أيُّها الشَّيخ؟! قال: قد جُزْتُ السَّبْعِين[a]. قال: فمِثْلُك يعْمَلُ ما أرىٰ؟! فأنْشَأ الشَّيخُ يقول (شِعْر):

[البسيط]

اغْرِسْ فَسِيلًا ونَمْ عنه فَسَوف تَرىٰ   يَوْمًا فَسِيلكَ إنْ عُمِّرتَ عِيدَانَا
[b][فالعِرْقُ يَسْرِي إذا ما نَامَ صَاحِبُهُ   ولَيْسَ يَسْرِي إذا مَا كان يَقْظَانَا] [b][1]

نَغْرِسُ يا أخَا تَميم ما تَرىٰ، فإنْ عِشْنَا أكَلْنا من ثمرِهِ، وإنْ مُتْنَا خَلَّفْناهُ الأوْلَاد. قال: إنَّك لبَعِيدُ الأَمل. قال: إي والله. إنِّي لبَعِيدُ الأمَلِ خَائِفٌ لقُربِ الأَجلِ، ولسْتُ ممن يُفرِّطُ في عُمْرانِ دَارٍ لا يَدْري لَعلَّهُ سَيطُول مَقامُه فيها، ومنها يتَزَوَّدُ إلىٰ الدَّارِ

[a] في المختصر: الستين.   (b-b) زيادة من المختصر.

[1] انظر: الثعالبي: التمثيل والمحاضرة: تحقيق: محمد عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٦٨.

التي لا يَدْرِي متىٰ يَصِيرُ إليها. ولو أنَّ من كان قبْلَنا أخذُوا بمِثل رَأيكَ ما خَلَّف الوَالدُ لوَلدِه شَيْئًا ولا وَرَّث ميِّتٌ حَيًّا.

قال التَّمِيمِيُّ: فانْصَرفتُ عنه وغَبرتُ بُرهَةً من الدَّهْرِ، ثمَّ مَرَرتُ بذلك المكَان. فرَأيتُ نَخْلًا عَالِيًا مُثمِرًا وآخَر دُونهُ. وإذا فِتيان وأحْدَاث، فقَعدتُ إليهم وقلت: [١١١و] من غَرسَ هذا النَّخل؟ قالوا: ذَاك الشَّيخ. فأتَيتهُ فسَلَّمتُ عليه ثمَّ قُلتُ له: أتَعْرفنِي؟ فتَأمَلنِي ثمَّ قال: لأحسَبُكَ صَاحِبُنا المُعنِّفُ لنا علىٰ غَرْسٍ ما نرىٰ. قلتُ: أنا والله هو، وأنْشَدتهُ بيتيه، فعَانَقنِي وأقْبلَ يُحدِّثني وقال: إنَّ الله فَاعلٌ ما يَشاء.

فلا يكُوننَّ خَوْفكَ مَاحِقًا لرَجائِكَ ولا يأسُك غَالِبًا لطَمَعك. وإذا الفِتْيان بَنُوه وبَنُو بَنِيه فأقَمْتُ في ضِيافَتِهِ أيـَّامًا ثمَّ انْصَرفت.

وقال بعْضُهم[1]: قرَأتُ علىٰ بَابِ قَصْرِ خَراب[a] (شِعْر): [البسيط]

كَمْ قَد تَوارَثَ هذا القَصْرُ من مَلكٍ [فمَات] [b]والوَارِثُ البَاقِي علىٰ أثَرِ

قال: وقَرَأتُ علىٰ بَابِ مدِينةٍ خَرَاب (شِعْر): [البسيط]

كَمْ من مَدائِن بالآفَاقِ خَاليةٍ أمْسَتْ خَرابًا وذَاقَ المَوتَ بَانِيهَا

---

[a] في المختصر: على قصر بالعقيق.

[b] ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

---

[1] روى ابن أبي الدنيا أن من رأى هذا البيت مكتوبًا على قصر بالعقيق هو: عمر بن عبد الله بن محمد العمري. انظر: قِصَرُ الأمل، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م، باب البناء وذمه، ص٢١١.

وقال بعضُهم: مَررتُ في رَبَضِ أبي يَزِيد الشَّرويّ[١] وقد خَرُبَ. وإذا علىٰ بَابِ قَصْرِهِ مَكْتوبٌ (شِعْر): [الكامل]

أفْنَىٰ جميعَهُمُ وخَرَّبَ دُورَهم   مَلِـكٌ تَفـرَّدَ بالبَقاءِ عَزِيزُ

وقُرِئ علىٰ بَابِ قَصْر (شِعْر): [مجزوء الخفيف]

نَزَل المَوتُ مَنْزِلًا   سَلبَ القَوْمَ وارْتَحلْ

وقال صَالِحٌ المرّيُّ[٢]: دخَلتُ قصرًا بالبَصْرَةِ قد بَاد أهْلهُ فَرأيتُ في بعض مجَالِسِهِ مكْتُوبًا: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]. وإذا في الجَانِب الآخَر: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]. وفي الجَانِب الآخَر: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]. وفي الرَّابع: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

وقُرِئ علىٰ حَائط بَيْعةٍ بالحِيرةِ: بُنِيتْ هذه البَيْعةُ، والمَلِكُ النُّعمان بن المُنْذِر بن الشُّقيقَةِ[٣]. علىٰ يَدي عَمْرو بن حَيان، فالإلهُ يَغْفِر خَطِيئتهُ ويقْبلُ نَقْلتهُ إلىٰ دَارِ الحَقّ.

---

[١] أبو يزيد الشروي: مولى علي بن عبد الله بن عباس. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٤٠١.

[٢] صالح بن بشير المري البصري، كان يجلس للقص في مسجد البصرة، متروك الحديث. توفي سنة ١٧٦هـ/٧٩٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٨١؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٤، ص٣٩٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤١٥.

[٣] النعمان بن امرئ القيس بن المنذر، ملك الحيرة في الجاهلية، كان شجاعًا رفيع الذكر، وهو الذي بنى القصرين الشهيرين الخورنق والسدير، توفي ١٩٨ق. هـ/٤٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: محمد بن حبيب: المحبر، ص٣٥٨؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٤٧.

وأسفل من ذلك مكتوب (شِعْر): [الوافر]

رَأيتُ الخَطْبَ بالإنْسَانِ جَمًّا ولا تُنْجِي من الدَّهرِ الحُدودُ
ولا تُنْجِي من الآجَالِ أرْضٌ تِحلُّ بهـا ولا قَصْـرٌ مَشِـيدُ

وحدَّثَنا بعْضُ إخْوانِنَا أنَّه قرأ علىٰ بَابِ قَصْرِ أشْنَاسَ[1] بسُرَّمرَّىٰ (شِعْر):

٢ [البسيط]

هَـــذِي منَـــازِلُ أقْـــوَامٍ عَهِدْتُهُمُ في ظِلِّ عَيْشٍ خَصِيبٍ مَا له خَطرُ
دَارَتْ عليهم صُروفُ الدَّهْرِ فانْتَقلوا إلىٰ القُـبـــورِ فـــلا عَينٌ ولا أثَـرُ

وقُرِئ علىٰ حَائِط قَصْرِ عَادِيٍّ (شِعْر): [١١١ظ] [الطويل]

يَمُوتُ الذي يَبْنِي ويبْقَىٰ بِنَاؤُهُ ألسْتَ تَرىٰ بالله في ذلك عِبْرة
فيا غَافلًا عن حِينهِ أين من بَنىٰ مَدائِن أضْحَت بعده اليَوْم قَفِرة
رَمتْ بهمُ الأيّامُ في عَرْصَةِ البِلىٰ كأن لم يكُونوا زِينةَ الأرْضِ مَرة
وما زَالَ هذا المَوْتُ يَغْشَىٰ دِيارَهم يـكـرُّ عليـهم كَـرَّةً بعــد كَرَّة
فأجْلَاهُم عنها سَرِيعًا فأصْبَحت مسَاكُنهم في الأرْضِ لحْدًا وحفْرَة

وقُرِئ علىٰ بَابِ قَصْرِ (شِعْر): [الرجز]

ما حَالُ من عَمل القُصُورا وبَاتَ فيها آمِنًا مَسْرُورا
ثمَّ غَدا في رمسِهِ مَقْبُورا يُقِيمُ فيها أبَدًا مَأسُورا
حتىٰ يُرىٰ من قَبْرِهِ مَحْشُورا إمَّا قَرِيرَ العَينِ أو مَثْبُورا

---

[1] أشناس التركي، من موالي الخليفة هارون الرشيد. وقد تقدمت بعض أخباره.

وعلىٰ آخر (شِعْر): [الكامل]

يَا من يُشَـيِّدُ للخَـرابِ بِناءَه   شَيِّد بِناءك في الثَّرىٰ وتَحصَّن

وذكَر رجُلٌ من الصُّوفِيَّة أنَّه قَرأ علىٰ بَابِ قَصْرٍ في بعضِ السَّواحِلِ مَكْتُوبًا (شعر) [البسيط]

كم كَان يَعْمُر هذا القَصْر من مَلِكٍ   سَهْلِ المُحَيَّا كَرِيم الشِّيمِ[a] والنَّسبِ
دَارَتْ عليه المنَـايَا في تَقلُّبِهَا   فصَار مأْواهُ بعد العِزِّ في التُّرُبِ

قال: ودَخَلتُ قَصْرًا فرَأيتُ قَصْرًا حَسنًا كَثِير المَجالِس. فبَيْنما أنا أدُورهُ إذ دخَلتُ مجْلِسًا ما رَأيتُ أحْسَن منه، وفيه قَبْرٌ مَكْتوبًا عليه (شِعْر): [الطويل]

ولَمَّا بَنيْتُ القَصْرَ أمَّلتُ نَفْعهُ   وإنِّي فيــه بَـاقِـيًا آخِـرَ الدَّهْرِ
فلَمَّا اسْتَوىٰ والتَام بُوِّأتُ كارِهًا   من القَصْرِ في بَيْتٍ هناك وفي قَبْرِ
كذلك كان الدَّهرُ يَفْعل قَبْلَنا   ولكن تجَاهْلنا وحْدَنا عن الأمْرِ

قال: ورَأيتُ في مجَالِسه أيضًا مَكْتُوبًا (شِعْر): [البسيط]

جَارَ الـزَّمانُ علَـيْنا بعد غِبْطَتنا   فلم يُغَادِر لنا في القَصْرِ إنْسَانَا
وصَار مَأوىٰ لِوحشِ الأرْضِ تَسْكنُهُ   أفْنَاهُ ريْــبُ زَمَـانٍ ثُـمَّ[b] أفْنانَا

ولو لم يُفِدْكَ هذا الكِتاب من الأخْبَارِ العَجِيبةِ والأشْعَار الظَّريفة والأوَّليَّات الغَرِيبة، لكان فيما يُفِديكَ من أخْبَار البُلْدان وعجَائِب الكُوَرِ والأمْصَار بَلاغًا ومُنْتَفعًا؛ فكيف وقد أفَادكَ [١١٢و] عِلمُ المَاضِين وأخْبَار الأوَّلين.

---

[a] في الأصل: الخيم
[b] في الأصل: خير

وذلك عِلْمُ المَعْنَيَّن ووقَفكَ علىٰ الطَّرِيقَيِنِ وأرْشَدكَ إلىٰ الأمْرَينِ جميعًا. حِكْمةٌ بَالِغةٌ ومَوْعِظَةٌ مُوجَزةٌ تعرَّفت منه أخْبار المَاضِين، وأبْنِية من قد سَلفَ من الأوَّلين.

وفي هذا الخَبر الذي أُثْبتهُ هَاهُنا عِبْرةٌ لمن اعتَبر، وفِكْرةٌ لمن تَفكَّر، ودَليلٌ علىٰ وحْدَانيَّةِ الله تعالىٰ، ومُخَبِّرٌ عن آيَاتهِ وقُدرتهِ. فصَفِّ ذِهْنك وفرِّغ قَلْبكَ واقْبل عليه بسَمْعِكَ وتفكَّر فيه، وفيما تَضمنتهُ من الأعجُوبةِ. فإنَّ فيه لعِبْرةً لأولي الألْبَاب.

قال عَبْدُ الرَّحمن بن مُحمَّد بن نَصْر[١] سَمِعتُ أحْمد بن الحسَن يَذْكُر عن عليِّ بن عَاصِم عن أبيه قال: كان الخِضْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأتي شَابًّا زَاهِدًا من بَنِي إسْرَائِيل فيحَدِّثه كما يأتي الرَّجُل أخَاه وصَديقه.

وكان الشَّابُّ خيِّرًا فاضِلًا. فبَلغَ ذلك مَلك بَنِي إسْرَائِيل، فأرسَلَ إلىٰ الشَّاب فَدعَاه وقال: بلَغَني أنَّ الخِضْر يَأتِيك فيُحدِّثك كما يُحدِّثُ الرَّجُلُ أخَاه. قال الفَتىٰ: نعم. قال: فإذا جَاء فأتِني به. قال: كيف آتِيك به أيُّها المَلِكُ؟! قال: والله لتَأتِيَنِّي به أو لأقتُلنَّك. قال: أجْهَد. ثمَّ انْصَرفَ الفَتىٰ.

فلمَّا كان بعد أيَّامٍ أتَاهُ الخَضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: إنَّ مَلك بَنِي إسْرَائيل قال لي كَذا وكَذا. قال الخَضِر: انْطَلِق بنا إليه. فانْطَلَقَا حتىٰ دخَلا عليه.

فوَقفَ الخَضِر فقال المَلكُ: أنْتَ الخَضِر؟ قال: نعم. فأعْظَمهُ وبَجَّلهُ ثمَّ قال له: حدِّثْني بأعْجَب ما رَأيت في الدُّنْيا. فقال: أعْجَبُ ما رَأيْت أنِّي مَررَتُ بمَدِينتكِ هذه، وهي مَدِينةٌ لم أرَ علىٰ وجهِ الأرْضِ مثْلها حُسْنًا وجَمالًا، وكَثْرة أهْلٍ وأسْواقِ

[١] لم أقف على ترجمته.

وعِمَارة، فدَنوْتُ من بعْضِ البَوابِين فقُلْت: متى بُنِيتْ هذه المدِينة ومن الذي بنَاها؟ فقال لي: ما يَذْكُر أحَدٌ من النَّاسِ متى بُنِيتْ ولا من بنَاهَا!. فتَركْتُها ومضَيتْ وغَبرتُ عنها خمسَمِائةِ عَامٍ، ثمَّ اجْتَزتُ بها، فإذا هي تُلولٌ وخرابَات ولم أرَ أحَدًا أسْألهُ عنها، فعَلوتُ بعض تِلْكَ التُّلول، فإذا أنا بِرَاعٍ يرْعَىٰ غَنمًا فنزلْتُ إليه، وسَألْتهُ عن المدِينةِ ومَتىٰ خَرُبت.

فقال: ما نَعْلم أنَّه كانت هَاهُنا مَدِينةٌ قَط، ولا نعْرِف غير هذه التُّلول والخَرابَات ولا يُدْرىٰ أيُّ شيءٍ أمْرهَا!. فتَركْتُه ومضَيت. وغَبرتُ خمسُمِائةِ عام، ثمَّ مررَتُ بها [١١٢ظ] فإذا موْضِعهَا بَحْرٌ وقد زَالت هذه التُّلول والخَرابَات فصَارت كلُّها فيه. وإذا الجَماعة يغُوصُون فيُخْرجُون اللُّؤْلُؤ من قَراره، فدَنَوتُ من بعْضُهم وقلت: مُذْ كَم صَار هذا البَحرُ هَاهُنا فضَحِكَ ثمَّ قال: سُبحَان الله ما زَال هذا البَحْر وهذا المكَان منذ كانت الدُّنيا.

فمَضَيت وغَبرتُ خمسمِائةِ عامٍ ثمَّ اجْتَزت بالمَوْضِع فإذا ذاك البَحْر قد غَاضَ مَاؤه وفي مكَانه غَيْضَةٌ مُلْتَفةٌ بالقَصب والبَرْدِي، وبَين ذلك القَصب والبَردِي منَاقِع مَاء فيها سَمكٌ كَثِير وصيَّادُون يَصِيدون ذلك السَّمك في زَوارِيقَ صِغَار. فقلتُ لبَعْضِهم: أكان هَاهُنا بَحرٌ؟! قال: لا. ما كان هَاهُنا إلَّا هذه الآجَام وهذه المِياه لا غَير ذلك. فانْصَرفت وغبَرتُ خمسَمِائةِ عَامٍ ثمَّ اجْتَزتُ بالمكَان فإذا رِمالٌ مُتصِلةٌ بينهما حَمَّة.

وإذا [هي] أَكْثرُ بِلاد الله ظِباءً، فالْتمَستُ أنْ أرىٰ إنْسَانًا فلم أرَ إلَّا رَجُلًا يصِيدُ تلك الظِّباءُ بحِبَالةٍ له، فدَنوتُ منه وسَأَلتهُ عن تِلكَ الآجَام، فقال: والله ما نَعْرف ولا آباؤنَا ولا أجْدَادنا هذا البَلْدَ إلَّا علىٰ ما تَراه وما كانت فيه أجِمةٌ ولا شَجرٌ ولا مُسْتَنقعٌ قَط.

فانْصَرفتُ مُتعَجِبًا وغَبرتُ خمْسَمائة سَنةٍ ثمَّ اجْتَزتُ به فإذا هو جَبلٌ وعِرٌ وفيه كُهوفٌ يخْرجُ منه الدُّخان، فلم أر أحَدًا أسْألهُ عنها إلىٰ أنْ رأيتُ رجُلًا مُتعَسِّفًا فقَصدْته وسَألتهُ عن تلك الرِّمالِ فقال: ما نَعْرف المَوْضِع إلَّا علىٰ ما تَرىٰ.

فتَركتُه ومضَيْت. وغِبْتُ خمْسَمائةِ عَامٍ ثمَّ عُدْتُ فإذا مَدِينتكَ هذه في تلك المَوَاضِع، وإذا هي أحْسنُ ما يَراهُ النَّاس من قُصُورهَا ودُورهَا وحَدائِقهَا وأسْوَاقهَا، فدَنوتُ من بعض البوَّابِين وسَألتهُ عنها ومُذْ كم بُنِيتْ فقال: يا هذا ما نَعْرفُ هذه المدِينةَ إلَّا كما تَراها، ولا حدَّثَنا أحَدٌ من أوَّلِينا أنَّه يعرف بَانِيها. فهذا أعْجبُ شيءٍ رَأيته فيما أطَـوِّفهُ من البُلْدانِ واخْتَرقْتهُ من المَفَاوزِ والقِفَار .

فوَثبَ المَلكُ عن سَرِيرهِ فسَجدَ للخَضِر. فقال له: ارفَع رَأسكَ واسْجُد للذي خَلقَني وخَلَقكَ، فقال: إنِّي أُرِيدُ أنْ اصْحَبكَ وأُخلِّي ما أنا فيه من المُلْك. فقال: لا تقْدِر علىٰ ذلك. لأنِّي اليَوْم هَاهُنا وغَدًا بِبَيْت المَقْدِس، وبعد غَدٍ بَمكةِ، ولكن إنْ أرَدْت العِبَادةِ فاصْحبْ هذا الفَتىٰ وكنْ معه. قال: فتَرك [١١٣و] المَلِكُ مملَكتهُ وخَرج هو والشَّابُّ يسِيحَانِ في الأرْضِ.

وأنْشَد لبَعْضِهم [في] الزَّمانِ (شِعْر):

[الكامل]

ولَرُبَّ حِصْنٍ قد تخَرَّم أهْلَه   رِيَبُ الزَّمانِ فبَابُهُ مَسْدُودُ
عَدتِ المنُونُ عليهم من فَوقِهمْ   والقَومُ فيه آمِنُونَ هُجُودُ
فتفرَقَتْ أجْيَادُهم وجُنودُهم   عنهم فكلُّهم هناك شَدِيدُ
لمْ يُدفعُوا عنهم وإنَّ سِلاحَهم   مُتَيسِّرٌ بفِـنَائِهم موجُـودُ
من نَسْجِ دَاودَ النَبيِّ أعَدهَا   للحَربِ يَوْمَ أعَدهَا دَاودُ
لو أنَّهم سُئلوا القِتَالَ لقَاتَلوا   ولَنِيلَ منهمْ فِيهـمُ المَجْهُودُ
فابْتزَّهم رِيبُ المنُون نفُوسَهم   قَسْرًا وإنَّ حُماتَهم لشُهودُ
حَلُّوا بُطونَ الأرْضِ بعد ظِهُورهَا   ومَضىٰ بهم سَفرٌ هنَاك بَعِيدُ
صَارت نسَاؤُهم حَلائلَ غَيْرهم   خَلَفَتْ عليهم سِفْلةٌ وعَبِيدُ
فَاسْمَعْ وأبْصِر أين عَادٌ أصْبَحتْ   أخْلَتْ منَازِلهَا وأين ثَمُودُ
أين الذين بَنوا فَأصْبحَ ما بَنوا   فيها إلَّا غُرورًا أو [خَرابَ][a] مَشِيدُ

٣ وقال خَالِد بن عُمَيْرِ بن الحُبَاب السُّلَمِيُّ[1]: كنَّا مع مَسْلَمَةَ بن عَبْدِ المَلِكِ في غَزْوةِ القُسْطَنْطينيَّةِ فخَرج إلَيْنا في بعْضِ الأيَّامِ رَجلٌ من الرُّومِ يدْعُو إلى المُبَارَزةِ فخَرجتُ إليه فلم أر فَارِسًا كان مثله.

---

[a] ساقطة من الأصل.

---

[1] خالد بن عمير بن الحُبَاب بن جعده بن إياس بن هلال السلمي الذكواني، ممن غزا القسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك، وكان فارسًا شاعرًا. انظر في ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٦، ص١٧٩-١٨٠.

فتَجاولْنَا عَامة يَوْمِنا فلم يَظْفَر واحِدٌ منَّا بِصَاحِبه ثمَّ تدَاعَيْنا إلىٰ المُصَارعَةِ، فصَارعتُ منه أشَدَّ البَأْس، فصَرعَني وجلَس علىٰ صَدْرِي ليَذْبَحني، وكان رَسْن دَابتِهِ مَشْدُودًا في عَاتِقِهِ، وأنّه ليُعَاجِلني للذَّبحِ إذ حاصَتْ دَابتَهُ حَيْصَةً جذَبتهُ عني ووقَع من علىٰ صَدْري، وبَادَرتُ إليه وجَلسْتُ علىٰ صَدْرهِ فنفَسْتُ به عن القَتلِ، وأخَذْتهُ أسِيرًا وجِئْتُ به إلىٰ مَسْلَمةَ فسَألهُ فلم يُجِبه بحَرف.

وكان أجْسَم الرِّجالِ وأعْظَمهُم فأرَادَ أنْ يَبْعث به إلىٰ هِشَام وهو يَوْمئذٍ [١١٣ظ] بِحَرَّان فقلتُ: ولِّني الوِفَادَة به [إليه]. قال: إنَّك لأحَقُّ النَّاسِ بذلك، فبعَث به مَعِي، فأقْبَلتُ أكلِّمهُ وهو لا يُكلِّمني حتىٰ انْتَهينا إلىٰ مَوْضعٍ من دِيارِ مُضَر يُعْرف بالجُرَيْش[١] وتَل مَحْرىٰ[٢] فقال لي: ما يُقالُ لهذا المكان؟ قلت: الجُرَيْش وتَل مَحْرىٰ فقال(شِعْر):

[الوافر]

ثَوَىٰ بَيْنَ الجُرَيْشِ وَتَلِّ مَحْرَىٰ فَوَارِسُ مِنْ نُمَارَة غَيْرِ مِيلِ
فَلَا جَزِعِينَ إنْ ضَرَّاء نابَتْ وَلَا فَرِحِينَ بِالخَيْرِ القَلِيلِ

فإذا هو أفْصَحُ النَّاس. ثمَّ سكَت فكَلَّمناه وهو لا يُجِيبنا. فلمَّا صِرنَا إلىٰ الرُّهَا قال: دَعُوني أُصَلِّ في بَيْعَتها. قُلنَا دُونَك فَصلِّ.

---

[١] الجريش: قرية من كورة الفرج من أعمال الموصل. وذكرها ياقوت في تل محري، الجريش بالجيم. انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٠.

[٢] تل محرى: بليدة بين حصن مسلمة بن عبد الملك والرقة. نفسه،ج٢، ص٤٣-٤٤.

فلمَّا صِرَنا إلى حرَّان قال: أما إنَّها أوَّل مَدِينةٍ بُنِيت بعد بَابِل. ثم قال: دعُوني استَحِمَّ في حمَّامهَا وأُصَلِّي، فترَكْناهُ فخَرجَ إلينا كأنَّه بِرْطِيلُ[١] فِضَّةٍ بيَاضًا وَعِظمًا.

فأدْخَلْتهُ إلى هِشَام وأخبَرتهُ جميع قِصَّته فقال له: من آينَ أنت؟ قال: رَجُلٌ من إيَادٍ أحَدَ بني حُذَافَة. قال له: أرَاك غَرِيبًا، لك جَمالٌ وفَصَاحةٌ، فَأسْلِم تَحْقِن دَمك. قال: كما أنَّ لي بِبِلادِ الرُّومِ أولَادًا. فقال: ونَفُكُّ أولَادكَ ونُحْسِن عَطَاءك.

قال: ما كُنتُ لأرْجَع عن دِيني. فأقْبَلَ به وأدْبرَ فأبى. فقال دونك فاضْرِب عُنقَهُ. فضَرْبتُ عُنقهُ[٢].

*

* *

---

[١] البرطيل: حجر عظيم مستطيل شبه به رأس الناقة. والمعنى: أن الرجل صار نظيفًا شديد البياض كقطعة كبيرة من الفضة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٥٠-٥١.

[٢] صرَّح ياقوت بأنه نقل هذا الخبر من ابن الفقيه الهمذاني، راجع: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣-٤٤؛ كما نجده لدى ابن عساكر: في تاريخ دمشق من مصدر آخر. قارن: تاريخ دمشق، ج١٦، ص١٧٩-١٨٠.

القَوْل في هَمَذَان

قال أبو المُنْذِر هِشَام بن السَائِب الكَلْبيُّ[1]: سُمِّيت هَمَذَان بهَمَذَان بن الفَلُّوجِ بن سَامِ بن نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهَمَذَان وأصْبَهان أخْوَان، بنَىٰ أحَدهمَا أصْبَهان والآخَر هَمَذَان، فسُمِّيت كلُّ مدَينةٍ منها بِاسْم بَانيهَا.

وسُمِّيت نَهَاوَنْد: لأنَّهم وجَدوهَا كما هي. ويقال أنَّها من بنَاء نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وإنَّما هي نُوح أونْد أي أنَّها من بِنَاء نُوح، وهي أعْتَقُ مَدِينةٍ بالجَبلِ.

قال: وقَرأ عليَّ بعْضُ النَّصارىٰ كِتابًا بالسُّريَانيَّة فيه أخْبَار المُلوك والبُلْدان، فتَرجمهُ لِي وذَكَر أنَّ الذي بَنىٰ هَمَذَان مَلِكٌ يقَال له كَرمِيس بن حَلْيَمُون. وذكَر بعْضُ الفُرْس أنَّ اسْم هَمَذَان مَقْلُوب، إنَّما هي نَاذِمه ومعْنَاه المحْبُوبة[2].

وروي عن شُعْبَة[3] قال: الجِبَال عَسْكَر وهَمَذَان مَعْمَعَتُها وهي أعْذَبهَا مَاءً وأطْيَبهَا هَوَاءً. وروي عن رَبِيعَة بْن عُثْمَان[4]: [١١٤و] كان فَتحُ هَمَذَان في جمَادىٰ الأولىٰ علىٰ

---

[1] تقدمت ترجمته: ص١٢٨.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: همذان]، ج٥، ص٤١٠.

[3] شُعبة بن الحجاج بن الورد العتكيُّ الأزدي البصري، كان عالمًا بالأدب والشعر، صاحب تصانيف، توفي بالبصرة سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٨٠؛ ابن قتيبة: المعارف ص٥٠١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣٥٣.

[4] ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن عبد الله بن الهدير القرشي التميمي، يعد في الكوفيين، توفي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م. انظر في ترجمته وأخباره: طبقات خليفة بن خياط، ص٤٧٤؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٧٦-٤٧٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٩، ص١٣٢-١٣٥.

رَأسِ سِتَّةِ أشهُرٍ من مَقْتلِ عُمَر بن الخَطَّابِ ﷺ وكان الذي فَتحهَا المُغِيرَة بن شُعْبَة[١] في سَنةِ أرْبَع وعِشْرِينَ من الهِجْرةِ.

وفي خَبرٍ آخر قال: وجَّه المـُغِيرة بن شُعبَة- وهو عامل عُمَر بن الخَطَّابِ ﷺ علىٰ الكُوفَةِ بعد عَزْلِ عَمَّـار بن يَاسِر عنها - جَرِير بن عَبْد الله البَجْليَّ[٢] إلىٰ هَمَذَان في سَنةِ ثَلاثٍ وعِشْرِين، فقَاتَلهُ أهْلهَا وأُصِيبتْ عَيْنهُ بسَهمٍ فذَهَبتْ. فقال: أحْتَسِبُها عند الله الذي زَيَّن بها وجْهِي ونَوَّر لي ما شَاءَ ثمَّ سَلَبنيهَا في سَبِيله.

وجَرىٰ أمْرُ هَمَذَان علىٰ مِثْلِ صُلْحِ نَهَاوَنْد[a][٣] وذلك في آخر سَنةِ ثَلاث وعِشْرِينَ.

وقال بَعْضُ عُلَماء الفُرْس: كانت هَمَذَان أكْبَر مَدِينةٍ بالجَبلِ، وكَانت أرْبَع فَرَاسِخ في مِثْلهَا، وكان طولها من الجبل إلىٰ قرية يقال لها "زَينواباذ".

وكان صفُّ الفَاخَرانِيين[٤] بها وصَفُّ الصَّيارفة بسِنْجَابَاذ[٥][b]. وكان القَصْرُ الخَرَاب الذي بسِنْجَابَاذ تكون فيه الخَزَائِن والأمْوَال.

---

[a] لدى ياقوت بزيادة «... وغلب على أرضها قسرًا وضمّها المغيرة إلى كثير بن شهاب والي الدينور، وإليه ينسب قصر كثير في نواحي الدينور...».

[b] في الأصل: سيجاباد. والتصويب من ياقوت.

---

[١] مرت ترجمته: ص١٠٠.

[٢] مرت ترجمته: ص٣٧٩.

[٣] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٣٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: همذان]، ج٥، ص٤١٠.

[٤] الفاخرانيين: صناع آنية الفخار.

[٥] سنجاباذ: وذكرت أيضًا سبجاباذ. قرية من همذان، كانت قديمًا داخلة في جملة المدينة، اشتهرت بالنشاط الصيرفي. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٦١.

وكان صَفُّ البَزَّازِين بقَرية يقال لها: بَرْشِيقَان [a]. فيقال أنَّ بُخْت[نَصَّر] بعَث إليها قَائِدًا يقال له صُقْلاب في خَمْسِمائةِ ألف رجُلٍ، فَأَنَاخ عليها وأقَامَ يُحَارب أهْلها مُدَة وهو لا يَقْدِر عليها، فلما أعْيَتْه الحِيلَةَ فيها وعزَم علىٰ الانْصِرافِ اسْتَشار أصْحَابه. فقالوا له: الرَّأي أنْ تَكْتُب إلىٰ بُخْت نَصَّر تُعْلمهُ أمْرك وتَسْتأذِنهُ في الانْصِراف .

فكَتَبَ إليه: أمَّا بعد فإني ورَدتُ علىٰ [مَدِينةٍ] حَصِينةٍ كَثِيرة الأهْلِ، مَنِيعة واسِعَة الأنْهَار مُلْتفَة الأشْجَار كَثِيرة المُقَاتلة، وقد رُمتُ فَتْحهَا فلم أقْدِر عليها، وقد ضَجِر أصْحَابي بالمُقَام وضَاقَت عليهم المِيْرة والعُلُوفة، فإنْ أذِنَ لي المَلِكُ بالانْصِراف أنْصَرِف.

فلمَّا ورَد الكِتَابُ علىٰ بُخْت نَصَّرٍ كَتبَ إليه: أمَّا بعد: فقد فَهِمتُ كتَابك وقد رَأيتُ أنْ تُصَوِّر لي المَدِينَة بجِبَالها وعُيونهَا وطُرقهَا وقُراهَا ومَنْبعُ مِيَاهها، وتُنْفذُ إليَّ بذلك حتىٰ يَأتِيك أمْرِي، ففعل صُقْلَاب ما أمَرهُ به وصَوَّر له المَدِينة، وأنْفَذ الصُّورة إليه وهو بِبَابِل، فلمَّا وقَف عليها جمَعَ الحُكَماء وقال: أجِيلوا الرَّأي في هذه الصُّورةِ وانْظُروا من أين تُفْتَح هذه المدِينة. [b) فأجْمَعوا علىٰ أنْ تُسدَّ عُيونهَا [١١٤ظ] حَوْلًا ثمَّ يُفْتَح السَّد ويُرْسَل علىٰ المَدِينةِ فإنَّها تَغْرق[b] [1] .

---

[a] في الأصل: بريشقان.

[b) _ b)] لدى ياقوت: «..فأجمعوا على أن مياه عيونها تحبس حولا ثم تفتح وترسل على المدينة فإنها تغرق».

---

[1] قارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، [مادة همذان]، ج٥، ص٤١١.

فكَتَبَ بُخْت نَصَّر إلىٰ صُقْلَاب بذلك وأمَره بما قاله الحُكَماء. ففعل ذلك، فلمّا كان عند الحَول فتَح المَاء وأرْسَلهُ علىٰ المدِينةِ فهَدَم سُورهَا وغَرَّق أكْثَرها ودخَلها صُقْلَاب، فقَتلَ المُقَاتلةِ وسَبىٰ الذُّرِّيّة وأقَام بها، فوقَع في أصْحَابه الطَّـاعون فمَات عَامتهُم ولم يَبْق منهُم إلّا القَلِيل. ودُفِنُوا في أحْوَاضٍ من خَزَف فقُبُورهُم معْرُوفةٌ إلىٰ وقْتِنا هذا تَبِينُ في المحَال والسِّكَكِ.

ولم تَزل هَمَذَان خَرابًا حتىٰ كَانت حَرْبُ دَارَا بن دَارَا[1] و الإسْكَندر. فإنَّ دَارَا اسْتَشَار أصْحَابه في أمْرهَ فلمّا أظَلّهُ الإسْكَندر فأشَارُوا عليه بمحَارَبتهِ بعد أنْ يُـحْرِز حُرمهُ وأمْوَالهُ وخَزَائِنهُ بمكَانٍ منِيع لا يوصَلُ إليه ويتجرَّد هو للقِتَال.

فقَال: انظُرُوا مَوْضِعًا حرِيزًا حصِينًا لذلك. فقالوا له: من ورَاء الماهَيْنِ جبَالًا لا تُرام وهي شَبِيهةٌ بالسِّنْدِ. وهناك رَسْم مَدِينةٍ عَتِيقَة قد خُرِّبت وبَادَتْ وهَلكَ أهْلهَا، وحَوْلهَا جِبالٌ شَامخةٌ يقال لها هَمَذَان .

فالرَّأيُ للمَلِك أنْ يَبْعَث إليها من يَأمُره بِبنَائهَا وإحْكَامها، وأنْ يَجْعلَ في وسَطِها حِصْنًا يكُون للحُرُمِ والخَزَائن والعِيَال والأمْوَال، وتُبْنىٰ حَوْل الحِصْن دُورٌ لعِيالِ القُوادِ والخَاصَّة والمَرازِبة. ثمَّ يوكِّلُ بالمَدِينةِ اثنا عَشْر ألف رَجُلٍ من خَاصَّةِ المَلِك وثِقَاته يَحْمُونها ويقَاتِلون عنها متىٰ رَامهَا أحَد.

فأمَر دَارَا بِبنَاء هَمَذَان وبنىٰ في وسَطِها قَصْرًا عَظِيمًا مُشْرِفًا له ثَلاثَةُ أوْجُه وسَمَّاه سَارُوق، (a وجَعَل فيه ألف مَخْبأ لخَزائِنه وأمْوَالِه، وأغلَق عليه ثمانيةِ أبوَاب حَدِيد،

---

[1] مرت ترجمته ص١٦٤.

كلُّ بابٍ في ارْتِفاع اثنا عَشر ذِرَاعًا، ثمَّ أمَر بأهْلِهِ وولَدِه وخَزَائِنه فحُوِّلُوا إليها واسْكِنُوها، وجعَل في وسَطِ القَصْرِ قَصْرًا آخَر صَيَّر فيه خَواصَّ حُرُمِهِ وأحْرَز أمْوَاله في تِلْكَ المخَابِئ[a]. ووكَّل بالمدِينةِ اثنا عَشر ألف رجُلٍ وجَعَلهُم حَرسًا عليها.

وذكَر بعْضُ مشَايخ هَمَذَان: أنَّها أعْتَقُ مَدِينة بالجَبَل واسْتَدلوا علىٰ ذلك من بَقِيَّة بِنَاءٍ قَدِيمٍ بَاقٍ إلىٰ اليَوْم. وهو طَاقٌ عَظِيمٌ شَاهِقٌ لا يُدْرىٰ من بَناهُ وللعَامَّةَ فيه أخْبَارٌ عَامِّيَّةٌ[1] يذْكُرون [١١٥و] أنَّهم وجَدُوا في الطَّاقِ حَجَرًا مكْتُوب عليه: من إصْطَخْر غَدَوْنَا، وفي هذا الطَّاقِ قِيَّلْنا، وبالشَّامِ مبيتنا.

ويزْعمُونَ أنَّ بعض أصْحَاب سُلَيْمان بن دَاود كَتَبهُ، وأنَّ سُلَيْمان عَلَيْهِالسَّلَامُ اجْتَاز هذا المكَان فرَأىٰ غُرَابًا سَاقِطًا عليه ـ ويُقَال إنَّ الغُرابَ يعيش ألْف سَنة ـ فقال له سُلَيْمان: خَبِّرني خَبر هذا الطَّاق ومن بَنَاه. فقال: أنا هَاهُنا منذ ستمائةِ سَنةٍ، وأقَام أبي قَبل هَاهُنا ألْفَ سَنةٍ، وجِدي قبل ذلك ألْفَ سَنةٍ وهو علىٰ حَالته كذا وجْدَناه ما تَغيَّر منه شَيء.

وأخْبَرَ بَعْضُ أصْحَاب الأخْبَار: أنَّهم وجَدوا في بَعْضِ المخَابِئ التي في القَصْرِ المعْرُوف بسَارُوق، رُقْعةً فيها كِتَابة بالفَارِسيَّة فترُجِمتْ فكانت: وظَّف المَلِكُ علىٰ أهْلِ مَرْو لِبَناءِ هذه المَدِينة من الطِّين كذا وكذا ألف وقر.

(a - a) في المختصر: «واستعجلوا الفعلة في بنائها، وصيروا في القصر ثلاثمائة مخبأة لخزائنه وأمواله... ».

---

[1] قارن: مختصر كتاب البلدان، ص٢١٩؛ وقد نقل ياقوت في مادة همذان جميع الأخبار السابقة عن ابن الفقيه، بنفس نسق الترتيب والصياغة، غير أنه لم يشر إلى نقله منه. قارن: معجم البلدان، مادة همذان: ج٥، ص٤١٠-٤١٢.

قال: وإذا تَفقَّدتَ طِين المَدِينة ونَظَرت إلى أبنيتهَا القَدِيمةِ رَأيت الطِّين مُختلفًا ما بين أبيَض وأحمَر وأسوَد وغيرِ ذلك، وزَعَمُوا أنَّ المُلوكَ كانت تُوظِّفُ علىٰ رعَايَاهَا حمل الطِّين في وَقْت، والمَاء في وَقْت، والآجُر والحِجَارة في وَقْت إلىٰ ما يَبْنُونهُ من المُدن ليَعْرِفُوا بذلك سَمْعهُم وطَاعتهُم.

وعن بعْضِ أهْلِ هَمَذَان قال: قدمتُ علىٰ جَعْفَر بن محَمدٍ الصَّادِق ﷺ فقال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من الجَبلِ. قال: من أيِّ مَدِينةٍ؟ قلت: من مدِينةِ هَمَذَان. قال: أتَعْرِف جبَلهَا الذي يُقالُ له رُونْدَا؟ قلتُ : جعَلَنِي الله فِدَاك إنَّما يقال له أرْوَنْد. قال: نعم. أمَا إنَّ فيه عَينًا من عُيونِ الجَنَّة.

قال: فأهْلُ البَلدِ يَرونَ أنَّها الحَمَّة التي علىٰ قُلَّةِ الجَبلِ، وذلك أنَّ مَاءها يخْرُج في وقتٍ من أوقَاتِ السَّنةِ معْلُوم، ومَنْبعهُ من شِقٍّ في صَخْرةٍ. [a]وهو مَاءٌ عَذبٌ[a] يشْربُ منه الواحِد في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ مَائةُ رَطْلٍ وأكْثَر ولا يُروىٰ ولا يُؤْذِيه[b] كَثْرة ما يشْرَبُ منه، بل ينْفعَه[1]. فإذا تجاوَزت أيَّامهُ المعْدُودةِ التي يخْرُج فيها، وذهَب إلىٰ وقْتِه من العَامِ المُقْبِلِ لا يزِيدُ يَوْمًا ولا ينْقُص يَوْمًا في خُروجِه وانْقِطَاعه[c][2].

(a-a) في المختصر: «وهو ماء عذب طيب شديد البرودة خفيف».

(b) في المختصر: ولا يضره.

(c) لدى ياقوت بزيادة: «...وهو شفاء للمرضى يأتونه من كل وجه. ويقال إنّه يكثر إذا كثر الناس عليه ويقلّ إذا قلّوا عنه».

[1] قارن مختصر كتاب البلدان، ص٢١٩.

[2] قارن ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة أروند] ج١، ص١٦٣-١٦٤

وقال محمَّد بن بَشَّارٍ[١] يَذْكُر أرْوَنْد في شِعْرٍ طَوِيل (شِعْر): [١١٥ظ]

[الكامل]

ولقَـد أقُـولُ تيَـامَني وتَشاءَمي   وتَواصَـلي دِيَمًـا عـلىٰ هَمَـذَانِ
بَلَـدٌ نَبَـاتُ الـزَّعْفَـرانِ تُـرابُهُ   وشَـرابُهُ عَـسَلٌ بِمـاءِ قِنَـانِ
سَقْيًا لأوْجهِ من سُقِيت لذِكْرِهِم   مَاءَ الجَوىٰ بزُجَاجَةِ الأحْـزَانِ
كَـادَ الفُـؤادُ يـطِيرُ ممَّا شَـفَّـهُ   شَـوْقًا بأجْنِحَةٍ مـن الخـفَقَـانِ
فكَسَا الرَبِيعُ بِلادَ أهْلِكِ روْضَةً   تَفْـتَرُّ عـن نَفْـلٍ عـن حَـوذَانِ
حتىٰ تَعـانَقَ من خُـزامَاكِ الـذَّرىٰ   بالجَـهْلَتينِ شَـقَـائقُ النُّعْـمانِ
وإذا تَبجَّسَـت الثُّـلوجُ تَبـجَّسـت   عن كَـوْثرٍ شَبِـمٍ وعن حَـيَوانِ
مُتَسلْسِليـنَ عـلىٰ مـذَانِب تَلْـعَةٍ   تَثغُو الجِـداءُ بها مع الحُمْلَانِ

٣ وقال أيضًا:

[الطويل]

تزَيَّنتِ الدُّنْـيَـا وطَـابَتْ جِـنَانُها   ونَاح علىٰ أغْصَانِها ورْشَانُها
وأمْرَعَت القِيعَانُ واخْضَرَّ نَبْتُها   وقَام علىٰ الوَزْنِ السَّواءِ زَمَانُها
وجَاءَتْ جنُودٌ من قُرىٰ الهِنْدِ لم   لتَأْتِي إلَّا حِينَ يَأتِي أوَانُها
مُـسَوَّدةٌ دُعْـجُ العُـيون كـأنَّمـا   لُغَات بنَاتِ الهِندِ يَحْكِي لِسانُها
لعَمْرُك ما فِي الأرْضِ شَيءٌ نَلَذُّهُ   من العَيْشِ إلَّا فَوْقَه هَمَذَانُها

---

[١] محمد بن بشار بن داود بن كيسان البصري البُنداري، الإمام الحافظ، لقب ببُندار الحديث لكثرة حفظه، توفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٧٣؛ ابن حبان: الثقات، ج٩، ص١١١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٤٥٨.

إذا اسْتَقْبلَ الصَّيفُ الرَّبيعَ شَماريخُ من أرْوَنْد شُمَّ قِنَانُها
وهَاجَ عَلَيْهم بِالعِراقِ وأرْضِهِ هَوَاجِرُ يَشْوي أهْلَها لهَبَانُها
سَقَتكَ ذُرىٰ أرْوَنْد من سَيْحِ ذَائبٍ من الثَّلجِ أنهارًا عِذَابًا رِعانُها
تَرىٰ المَاءَ مُسْتَنًّا علىٰ مَتْنِ صَخْرِهِ يَنابِيعَ يَزْهِي حُسْنُها واسْتِنانُها
كَأنَّ بها شَوْبًا من الجَنَّة التي يَفِيضُ علىٰ سُكَّانها حيَوانُها
فيا سَاقِي كَأسِي أَصْبِحَاني مُدَامةً علىٰ رَوْضَةٍ يَشْفِي المُحِبَّ جِنَانُها
مُكَـلـلَّةٍ بالنُّورِ تحْـكِـي مَضَاحِكًا شقَائقُها في غَايةِ الحُسْنِ بانُها
كأنَّ عَرُوسَ الحَيِّ بَثَّتْ خِلالهَا قَلائِدُ يَاقُوتٍ زهَاهَا اقْتِرانُها
تَهاويلُ من حُمْرٍ وصُفْرٍ كأنَّها ثَنايا العَذَارىٰ ضَاحِكًا أقْحُوانُها

وقال أيْضًا[١]: [١١٦و] [البسيط]

سُقْيا لظِلِّك يا أرْوَنْدُ من جَبلٍ وإنْ رَمَيناك بِالهِجْرانِ والمَلَلِ
هل يَعْلمُ النَّاسُ ما كَلَّفْتني حِجَجًا من حبِّ مَائكَ إذ يَشْفِي من العِلَلِ
لازِلْت تُكْسَىٰ علىٰ الأنوارِ أرْدِيةً من نَاضِرٍ أنِقٍ أو نَاعِمٍ خَضِلِ
حتىٰ تَزُور العَذَارىٰ كلَّ شَارِقةٍ أفياءَ سَفْحِك يَسْتَصْبِينَ ذا الغَزَلِ
وأنت في حُلَلٍ والجَوُّ في حُلَلٍ والبِيْضُ في حُلَلٍ والرَّوْضُ في حُلَلِ

٣

[١] انظر: [مادة: أرْوَند] لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، ص١٦٣-١٤٦.

[فَضْلُ الماءِ وخَواصُّه]

وقالوا: أطْيبُ البُلْدَان ما طَابَ هَواؤهُ وعَذُبَ مَاؤهُ وكَثُر كِلاؤه، والماءُ [البارد][a] مِزَاجُ الرَّوحِ وصَفْي [النَّفْسِ][a] وقِوامُ الأبْدَانِ [b]النَّاطِقُ وغيرُ النَّاطِقِ[b] بمجَانسَتِه لها ومُعَادَلته إيَّاها، ومن فَضِيْلَتِهِ أنَّ كلَّ شَرابٍ وإنْ رَقَّ وصَفا وعَذُب وحَلا فَلَيْسَ بعِوَضٍ منه ولا مُغْنٍ عنه، بل يَطِيبُ بمُمازَجةِ العَذْبِ وبمُخَالطَتِهِ حتىٰ يَسري في العُروقِ بلطَافتِهِ ويَنْسَاب في المَفَاصِل برقَّته مع خَاصَّيتِهِ في ريِّ الظَمأ وإطْفَائِه ضِرام نَار الحَشا، ولوْلَاهُ ما عُرِفَ فَضْلُ البُسْتَانِ علىٰ الجِنَانِ، ولكَان وغيرُه سِيَّان. ولقد جعَلتهُ العَربُ مثلًا فقال القُطَاميُّ[1] (شِعْر):

[البسيط]

فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به … مَوَاقعَ الماءِ من ذِي الغُلَّة الصَادِي

وقال آخر[2]:

[الطويل]

أمانيَّ من سُعْدَىٰ عِذَابٌ كأنَّما … سَقَتْكَ بها سُعْدَىٰ علىٰ ظَمأ بَرْدَا

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر.

[b-b] في المختصر: « من الناس والحيوان».

---

[1] تقدمت ترجمته ص١٨٣؛ وانظر مختصر كتاب البلدان، ص ٢٢١.

[2] البيت للشاعر: الرمَّاح بن ميادة المري، أحد الشعراء المشهورين. انظر في ترجمته: الدارقطني: المؤتلف والمختلف،ج٢،ص١١٠٠.

وذكر أبوجَعْفَر مـَخْبَرَةُ النَّدِيم[١] أنَّه حَمَل للمُوَفق عند خُروجِهِ إلى الجَبَلِ من مَاءِ دِجْلَةِ ألف خُمَاسِيَّة فلما وَافَى هَمَذَان وُصِف له مَاؤها فشَرِبَ منه واسْتَطَابه وتَرَكَ ماء دِجْلَة وجَعلهُ شَرابُه.

(* وطَلَبَ الشَّعْبِيُّ[٢] علىٰ مائِدةِ قُتَيْبة بن مُسْلِم- وقد قِيل غَيره - مَاءً، فلم يُدْرَ اللَّبنُ يُرِيدُ أم العَسَلُ أم الماءُ، فقِيل له: أيُّ الأشْرِبةِ تُرِيد؟ فقال: أعَزُّها مَفْقُودًا وأهْونُها مَوْجُودًا. فقال قُتَيْبة: اسْقُوه ماءً.

وكان أبو العَتَاهِية[٣] في جَماعةٍ من الشُّعراءِ عند بعض المُلوك فشَرِبَ رَجلٌ منهُم ماء وقال:

بَـرُدَ المـاءُ وطَابا .

فقال أبو العتاهية: حَبَّذا المـاءُ شَرَابًا.

وقال الله ﷻ مُفخمًا لأمرِ الماءِ[١١٦ظ]: ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥].

---

[١] مخبرة النديم هو: محمد بن يحيى بن أبي عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري اللغوي المعروف بالنديم، كان حسن الأدب ونادم المعتضد، صنف كتابًا في اللغة سماه "جامع النطق". انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج١، ص١٧٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٦٢؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة،ج٣، ص٢٣٢.

(* من هنا تبدأ نقول "ابن الفقيه" من كتاب "الحيوان"، للجاحظ.

[٢] مرت ترجمته ص١٩٨.

[٣] أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، الشاعر المشهور المتوفى سنة٢١١هـ/٨٢٦م. انظر في ترجمته وأخباره:ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٨١؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٢٧-٢٣٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٢٢٦-٢٣٧.

أَلَا تَرىٰ أَنَّه لم يَذْكُره بغيرِ السَّلامةِ من التَّغيُّرِ إذا كان [المَاءُ] [a]متىٰ كان خَالِصًا لم يَحْتَج أنْ يُشْرَب بِشيءٍ [b]غَرِيبًا في[b] خلقته من الصفاء والعذوبة والبرَد والطيب والحسن[١].

قال عَدِيُّ بن زَيد[٢]:

[الرمل]

لَوْ بِغَيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ   كُنْتُ كَالغَصَّانِ بالمَاء اعتِصَاري

وفي قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قال: عن المَاءِ البَارِدِ في الصَّيفِ وعن الحَارِّ في الشِّتاءِ.

وقالوا في النَّظرِ إلىٰ المَاءِ الدَّائِم والجَاري ما قالوا.

وجَاء في الأَثَر: من كان به مَرَضٌ فليَأْخُذ دِرْهمًا حَلالًا وليَشْتَري به عَسلًا ثمَّ ليشَربهُ بمَاءِ السَّماءِ فإنَّه يَبْرأ بإذنِ الله.

---

[a] زيادة من الجاحظ: الحيوان.

[b_b] لدى الجاحظ: غير ما .

---

[١] ينقل هنا ابن الفقيه عن الجاحظ بتصرف يسير دون أن يشير إلى مصدره قارن: الحيوان:[باب ما قيل من الشعر في الماء] ج٥، ص٧٦.

[٢] عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي، شاعر من دهاة الجاهليين، كان يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، واتخذه في خاصته وجعله ترجمانا بينه وبين العرب، توفي سنة ٣٥ق.هـ/٥٩٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٢١٩-٢٢٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٢٤٩.

والرِّيقُ[a] هو الماء عند العَرب[١]. وما ظنُّك بشَرابٍ إذا مَلُحَ وخَبُثَ[b] أثْمَر العَنْبر وولَّدَ الدُّر، وإذا صَفا وطَاب أحْيَا الأنْفس. وقال الله ﷻ:﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ﴾.[النمل:٤٤] لأنَّ الزُّجاج أكْثَر ما يَخرج به أنْ يُقال كأنَّه الماءُ الجَاري.

وقال الله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [فاطر:١٢] ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور:٤٥] ويقال: إنَّه لَيْس شَيءٌ إلَّا وفيه مَاءٌ، أو قد أصَابهَ مَاءٌ، أو قد خُلِق من مَاءٍ، والنُّطْفَةُ تُسمَّى مَاءً والمَاءُ يُسمَّى نُطْفَة. وقال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]. وقال ابن عبَّاس: السَّماءُ مَوْجٌ.

وقال الله تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾. [ق:٩-١١] .

وحين اجْتَهدُوا في تَسمِيةِ امْرَأة بالجَمالِ والحُسْنِ والصَّفاءِ والبَياضِ قالوا:[ابنة][c] مَاء السَّماء، وقالوا: المُنْذِر بن مَاءِ السَّماء[٢] ويقولون: [d]صِبْغٌ له مَاءٌ، ولَوْنٌ له ماءٌ[d][٣]

---

[a] رسمت في الأصل: ريف.
[b] رسمت في الأصل: خشب.
[c] ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.
[d-d] ساقطة من الأصل والتتمة من الجاحظ: الحيوان.

---

[١] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة[ر ي ق]ج١٠، ص١٣٢-١٣٦.

[٢] لقبت به أم المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عدي، واسمها ماوية بنت عوف بن جشم، وسميت بماء السماء تشبيهًا به في الحسن والصفاء والطهارة. انظر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٥٦٢.

[٣] انظر: الجاحظ: الحيوان،ج٥، ص٧٩.

وفُلانٌ لَيْسَ في وجْهِه مَاء، ورَدنِي فُلانٌ ووجْهِي بِمائه[١].

قال الشاعر:

[الطويل]

مَاءُ الحَيَاءِ يـجُولُ في وجَنَاتِه

ووصَف الرَّاجِز جملًا كَرِيمًا فقال:

أرَاكَ في مَاءِ المهَاري[٢] مُنقَّعُ.

وقالت أم فَروَة[٣] في صِفةِ الماء (شِعْر) :

[الطويل]

وما مَاءُ مزنٍ أيَّ مَاءٍ تَقُولُهُ تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طُـوَالِ الذَّوَائِبِ
بِمُنْعَرِجٍ أَوْ بَطْنِ وَادٍ تحَدَّبَتْ عليْهِ رِيَاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ عَنْ مُتُونِهِ فَمَا إِنْ بِهِ عَيْـبٌ تَرَاهُ لِعائِبِ
(a [بِأَطْيَبَ ممَّا يَقْصُرُ الْوَصْفُ تُقَى الله واسْتِحْيَاءُ تِلْكَ الْعَوَاقِبِ]a)

[١١٧و] والأبْيضَان: المَاءُ واللَّبنُ، والأسْوَدانِ: التَّمرُ والمَاءُ. وسَوادُ العِرَاق: مَاؤه الكَثِير. والمَاء إذا كان له عُمْقٌ أشْتدَّ سَوادُه في العَيْن[٤].

(a-a) زيادة يتم بها المعنى. الجاحظ: الحيوان.

---

[١] انظر: الجاحظ: الحيوان،ج٥، ص٧٩.

[٢] المهاري: الإبل المهرية نسبة إلى مُهرة وهو حي من قضاعة. والإبل المهرية نجائب تسبق الخيل. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج١٤، ص١٥٨.

[٣] زينب بنت فروة المرية.انظر: أبو علي القالي: الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة،٢٠٠٢م،ج٢، ص٨٧.

[٤] قارن: الجاحظ: المصدر السابق، ج٥، ص ٧٩؛ ج٣، ص ١٢٠.

وقال الْعُكْلِيُّ[1] في صِفَةِ الماءِ (شِعْر)[2]:

[الرجز]

عَاوَدهُ من ذِكْرِ سَلْمَىٰ عُوَّدَهْ   واللَّيْلُ دَاجٍ مُطْلَخِمٌّ أسْوَدُه
فَبِتُّ لَيْلِي سَاهِرًا ما أرْقُدُهْ   مُرْتَفِعًا أو قَائِمًا ما أقْعُدُه
حتَّىٰ إذا اللَّيْلُ تولَّىٰ كَبِدُه   وانْكَبَّ للغَورِ انْكِبَابًا فَرْقَدُه
وحَثَّهُ حَادٍ كَمِيشٍ يطْرُدُه   أغَرُّ أجْلَىٰ مُغْرِبٌ مُجَرَّدُه
أصْبَحَ بالْقَلبِ جوًىٰ ما يُبردُه   مَاءُ غَمَامٍ في الرَّصَافَةِ مِقْلَدُه
زَالَ به من رَأسِ نَتِنٍ صَلْدُه   عن ظَهْرِ صَفْوانٍ مُزِلٌ مجْسَدُه
حتَّىٰ الخَلِيلُ تَناهَىٰ مَدَدُه   ومُنْكِرِ المَاءِ الذي يَسْتَنْكِدُه
بين خُزَامىٰ وأنَاجٍ تُلهِدُه   ظِلُّ نَسِيمٍ من صِبا يَسْتَودُه
كأنَّمَا تَشْهدُهُ أو تَفْقِدُه   فهو سَقَا الصَّبْرُ مما يَعْمدُه

٣ وقال جرير[3] (شِعْر):

[الكامل]

لو شِئْتُ قد نَقَعَ الفُؤادُ بشَرْبَةٍ   تَجِدُ الحوائم لا يجِدْنَ مقيلا
العَذْبُ مِنْ وسْطِ الفَلَاتِ مَقِيلَةٌ   قصر الأَبَاطِحِ لَا يزالُ ظَلِيلَا

---

[1] سويد بن عمرو العكلي، شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل. توفي سنة١٠٥هـ/٧٢٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٦١٩؛ ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص١٧١-١٧٧.

[2] قارن الأبيات لدى الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص٨٠.

[3] مرت ترجمته ص ٤٦١.

قالوا: وفي المَاءِ، أنَّ أطيبَ شرابٍ عُمِلَ ورُكِّبَ مثل الجُلَّاب[1] والسَّكَنجَبين[2] والمَيعَةُ[a][3] وغير ذلك، مما يُشرَب من الإنبَجَاتِ والإفشَرجَاتِ، فإنَّ تمام لذَّتهِ وغَايةِ طَعْمِهِ أنْ يَجرع شَاربِهِ بعد شُرْبِهِ إيَّاه جَرْعًا من الماءِ يَغسِل بها فمَهُ ويُطَيِّبُ بها نَفسِه، فهو في هذا المَوْضُوع كالخَلَّةِ والحَمْضِ جميعًا، وهو لتَسويغ الطَّعامِ في المَرِيء، وهو المُوصِّلُ الغِذَاءَ في الأعْضَاءِ.

فالمَاء يُشرَب صِرفًا وممزُوجًا، والأشرِبةُ لا تُشرَب صِرفًا ولا يُنتَفَعُ بها إلَّا بممَازجَته. وهو بعدُ طهُورُ الأبدَان وغَسُولُ الأدرَانِ. وقالوا : هو الماءُ الذي يُطهِّر كلَّ شَيءٍ ولا يُنجِّسهُ شيء.

ولذلك قال النبي ﷺ :"المَاءُ لا يُنَجِّسهُ [١١٧ظ] شَيءٌ إلَّا ما ظَهر في طَعْمِهِ ورِيحِهِ"[4]. ومنه يكُون الثَّلجُ، والثَّلجُ يجمَع الحُسْنَ في العَينِ والكَرَمَ في البَياضِ والصَّفاءَ وحُسنَ المَوْقِعِ من النَّفْسِ.

---

[a] لدى الجاحظ: البنفسج.

---

[1] الجلاب: لفظة فارسية معربة، تعني ماء الورد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٧٤.

[2] السكنجبين: كلمة فارسية معربة، مركبة من سك أنكبين، وتعني شراب مركب من الخل والعسل. انظر: معجم الألفاظ الفارسية: ص٩٢.

[3] الميعة: عطر طيب الرائحة، انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج٨، ص٣٤٥؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ:« قال رسول الله ﷺ: المَاءُ لا يُنَجِّسهُ شَيءٌ ». أما ما زاده ابن الفقيه على هذا فليس من متن الحديث أصلًا.

انظر: مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، حديث رقم ١١٢٨٨، ص٦٩٩.

ومن فَضْل الجَبلِ علىٰ العِرَاق: أنّك لو قُلتَ لمَرِيضٍ قد نَقَهَ من عِلّتِهِ ببغْدَاد في أيّام حُزَيْرانَ وتَـمُّوز وبنَاحِية الكُوفَة والبَصْرَة ما تَشْتَهي؟! لقال: أشْتَهي شَرْبةَ ماء بَارِد أو قِطْعَة ثَلْجٍ أو جَلِيد.

وقد أقْسَمُوا بالمَاءِ قال الشَّاعِر: [السريع]

غَضْبَىٰ فلَا واللهِ يا أهْلَها لا أشْرَب البَارِدَ أو تَرْضَىٰ

وسمىٰ اللهُ ﷻ أصْلَ المَاء غيْثاً بعد أنْ قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]. وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبا:١٤- ١٦] ومن المَاءِ زَمْزَم وهو لِما شُرِبَ له[١]، ومنه ما يكُون دَوَاءً من الأدْواءِ الغَلِيْظَة كالحَـمَّـات[*].

وبهَمَذَان حَمَّاتٌ كَثِيرةٌ نَافِعةٌ من أدْوَاء غَلِيظَةٍ مثل النَّقْرسِ والجَرَبِ، والرِّيَاح المُسْتَصعَبة وغير ذلك فيَنْفَعها مَنْفعةً تَامة. منها مَاءُ [حَمَّـة][a] أرْوَنْد ولُونْدَان، و حَمَّـة بسازقين[b]، وحَمَّـة دَار نَبْهَان، وماء آست، وعَبْد الله أبَاذ، [وماء بذين] [a] ومَاء سَامِين[c]، وغير ذلك[٢].

---

[a] سافطة من الأصل والتتمة من المختصر.

[b] كذا في الأصل.

[c] في المختصر سامير.

---

[١] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، [باب الشرب من ماء زمزم] مجلد٤، حديث رقم: ٣١٧٨.

[*] إلى هنا تنتهي نقول "ابن الفقيه" من كتاب "الحيوان" للجاحظ.

[٢] قارن: مختصر الكتاب: ص٢٢٢-٢٢٣.

وقالوا: أحسنُ الأشْيَاء: صَفْو هَواءٍ وعُذُوبةِ مَاءٍ وخُضرةِ كِلاءٍ. والمَاءُ حَياةُ كُلِّ شَيءٍ، وهو أحَدُ الأرْكَان الأرْبَعةِ التي هي: الأَرْض والمَاءُ والنَّارُ والهَواء.

وقالوا: أفْضَلُ المِياه مَاء السَّماء إذا أُخِذَ في ثَوبٍ نَظِيفٍ، ثمَّ ما وقَع علىٰ جَبلٍ فاجْتَمعَ علىٰ صَخرةٍ، ثمَّ مَاءُ الغُدْرَان العِظَام، [ثمَّ مَاء] المُسْتَنْقَعِ في الصَّحَاري إذا لم يَكُن فيه عُشب، ثمَّ مَاءُ القُنْي، ثمَّ مَاءُ الحَوْضِ الكَثِيرِ العُمْق، ثمَّ مَاءُ العُيون وما يَنْحِدر من الجِبَال والمَاء الجَاري المَغْلِي جيد من كلِّ شَيءٍ، وهو جيد للحُمَّىٰ والزُّكَامِ وجَيِّد للرِّياحِ والبَلْغَم.

وقالوا: لَوْلَا أنَّ مَاءَ هَمَذَان مُتَفرِّق ـ وهي أنهَارٌ كَثِيرةٌ ـ في أقْطَارِها، لكان إذا اجْتَمع مَاؤها مثل دِجْلَة والفُرَات.

وقال ثَاذِينُس[a][1]: المَاءُ حيَاةُ كلِّ شَيءٍ وهَلاكُ كلِّ شَيءٍ وغَضَارةُ كلِّ شَيءٍ وكَاسِفُ بَالِ كلِّ شيءٍ. فأمَّا قوله حَياةُ كلِّ شَيءٍ: فبه يَحْيَا الإنْسَانُ الذي لم يَخْلُق الله أشْرَف صَنِيعةً منه، والنَّبات والشَّجَر وكلُّ مأكُولٍ من الثَّمرِ وغيره.

وهو غَضَارةُ هذه الأشْياء ونَضْرتهَا، وأمَّا كُسُوف بَال كلِّ شَيءٍ فإذا عدم منه المَاء تَغيَّرت نَضْرته وذلك كُسُوف باله، (b [وأمَّا هَلاكُ كلِّ شَيءٍ. فإنَّ الغَرق منه وكَثْرة شُربهِ تُورِث الأدْواء كما أنَّ الاقْتِصَادَ فيه يُذْهِب كلَّ دَاءٍ](b.

(a) رسمت في الأصل: تياذوس، والتصويب من النديم.

(b–b) تتمة النص من المختصر.

---

[1] ثَاذِينُس: فليسوف يوناني تكلم في علم الفلك وما تحدث به الكواكب، وله تصانيف منها كتاب الطُّوفانات، وكتاب الكواكب المُذنَّبة. انظر: النديم: الفهرست،ج٢، ص٢٢٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٨٠. (وهو فيه: باذنيوس).

وماءُ السَّماء إذا أُخِذ في شيءٍ نَقيٍّ وصُفِي [١١٨و] وشَرِبَ منه صَاحب السُّلِّ واليَرَقَان[١] نفَعهُما، وإذا أُخِذ منه في جَامٍ قبل أنْ يَقع إلىٰ الأرْضِ وشَربه من أَرَاد الذَّكاء زَادَ في حِفْظِه وذَكَائِه.

وإنْ أُخِذ ماءُ السَّماء وخُلطَ مع العَسل والمُصْطُكىٰ[٢] وشُرِب نَفعَ من البَهق، وماء البَـرَد إذا أُخِذ وأُلْقِي علىٰ قَصَبٍ فَارِسيٍّ مُحَـرَّق واسْتِيك به نفَع من الحُفَرِ والقُلْحِ[٣] وأُذْهِب بذلك وصَلَّب الأسْنَان.

ومَاءُ الثَّلج إذا أُخِذ مع عَرَقِ إنْسَانٍ ثمَّ سُقِي به من الكُزَاز[٤] سَكَنَ فيه. وإذا أُخِذَ مع لَبَنِ الإبِل وسُقِي من به خَفقَان الفُؤاد سَكَّنه.

وإنْ خُلِطَ به زبَدُ البَحْرِ ثمَّ طُلِيَ به الجَربُ ذهَب به. وإنْ أُخِذ مع رَمَاد الزَّيْتُون فطُلِيَ بهما البَهق الأسْوَد نفعه. وإنْ أُخِذ مَاءُ البِئْر أوَّل ما يَنْبُع ثمَّ شَربه من سُقِي السُّم كان نَافِعًا له.

---

[١] اليرقان: مرض يصيب الإنسان والحيوان، يمنع وصول الصفراء إلى المعدة، ويُغيّر لون الإنسان إلى الصفرة أو السواد. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٨٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٤٤؛ المعجم الوسيط ج٢ ص١٠٦٤.

[٢] المصطكى: العلك الرومي، لبان تجاري ثمين معروف يستخرج من شجر الكيا أو الضرو، يكثر استخدامه في الأدوية. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة،ج١٠، ص٢٦؛ دوزي : تكملة المعاجم العربية ج٦ص٥١٢.

[٣] القُلح: جمع قَلح، وهو صفرة ووسخ تعتلي الأسنان من طول ترك السواك. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة ق ل ح] ج٧، ص٦٠-٦١.

[٤] الكُزاز: رعدة من حُمى أو برد وقيل: داء يصيب الإنسان فيرعد حتى يموت. انظر: ابن سيده: المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.ج١، ص٤٧٥.

وإنْ أُخِذ أيْضًا ثمَّ فُتَّ فيه خُبْز من حِنطَةٍ حدِيثةٍ وجُعِل معه قَنْد[١] وأكَلَه من به وجَع الفؤَاد نفعَه. وأوَّل مَا يَظْهَر من العَينِ عند حَفْرهَا فهو نَافعٌ من الجُنونِ والوَسْوَاس.

وإنْ ظَهرتْ عَينٌ في سَبْخَةٍ فطُرِح فيها الإسْقِيل المَشْوي[٢] وأصْلُ الكَبَر كان دَواءً للمَجْذُومِين. والعُيون الكَبْرِيتيَّه تَنْفَع من الجَربِ. ومَاءُ البَحْرِ إذا أُخِذ مع السُّنْبُل المَدْقُوق والسُّعْد[٣] ودُلِّكَ به اللِّسَان قَطَع البَخْر وطَيَّب رَائِحة الفَم.

وأُنْشِد لأبي صَالِحِ الحَذَّاء[٤] من شِعْرٍ طَويلٍ كتَب به إلىٰ ابْنِه ـ وكان غَائِبًا ـ يذْكُر له طِيب هَواء هَمَذَان وحُسْنها ونُزْهَتها وعُذُوبَةَ مَائها ويُشوِّقه إليها (شِعْر):

[السريع]

فَارْحَل إلَيْنَا رِحْلَةً قَبْل[a] ... [b]أنْ تَرني بِرَمْسٍ مَدْفُونِ[a]
فَقَد هَدَتْ سُورَةُ أيَّامِنا ... وانسَلَخَتْ أيَّامُ تِشْرِينِ

---

[a] في المختصر: تنجلي.
[b-b] في المختصر: منا غيابات لمحزون.

---

[١] القند: عصارة قصب السكر، وقيل: عسل قصب السكر إذا جمد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٦٨؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة [ق ن د] ج٩، ص٧٣-٧٤.
[٢] الإسقيل: نبتة طبية تنبت في البراري على الماء والندى، يقال لها بصل العُنصل، وتعرف عند العامة ببصل الفَار. انظر: الزبيدي، المصدر السابق، مادة[ع ص ل] ج٢٩، ص٤٨٩؛ المعجم الوسيط، ج١، ص٤٣٦.
[٣] السعد: نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح. الأزهري: تهذيب اللغة، ج٢،ص٤٤-٤٥؛ ابن منظور: المصدر السابق، ج٣، ٢١٦.
[٤] لم أجد له ترجمة.

وجاءَنا الشَّهرُ الذي صُفِّدَتْ فيه عَفارِيتُ الشَّياطِينِ
وطَابَ للسَّارِينَ وجَه السُّرىٰ في طُرقِ الرَّيِّ وقَزْوِينِ
والدَّهْرُ في تَقْوِيمِ سَاعَاتِهِ كَدِرْهَمٍ أبيَض مَوزُونِ
هَذا وبنْتُ الكَرْم قد أُكْمِلَتْ عِدَّتُها في النَارِ والطِّينِ
عَذْوَا يَاقُوتَتَه أُبرِزَتْ تُخْطَبُ من خدْرِ الدَّهَاقِينِ
قَومٌ تَراهُم فترىٰ أنَّهم تُجَّارُ عِطرٍ في الدَّكَاكِينِ
والطَّيْرُ قد آبَت إلىٰ آبَائِهَا بكلِّ ألْوانِ التَّزَايِينِ
قَدْ أقْبَلَتْ وَارِدةً أرْضَنا يَقْدُمها سِرْبُ الشَّفَانِينِ
من بَعْد أنْ أفْحَمهَا عُجْمَة غَنَّتْ بلَحْنٍ غَيْر مَلْحُونِ

[١١٨ظ]

تَزيَّنتْ في الجَوِّ مُخْتَالة تحْتَدي تَرْجِيع الوَرَاشِينِ
والوُرْقُ من ذِكْرِ فَواخِيتِها تُسْعدُها خُضْرُ الوَرَاشِينِ
تَبْكِي علىٰ فُرْقَة أُلَّافِهَا شَجْوًا بَدمْعٍ غير مَهْتُونِ
وقَدْ بدا أَرْوَنْد يُبْدِي لنا من سَفْحِه كلَّ التَّحَاسِينِ
تَزيَّنتْ غُرَّةُ أفْيَائِهِ بوَشْيِهِ أحْسَن تَزْيِينِ
وانْحَسَرت منه رُؤوسُ الرُّبىٰ عن نَاضِرٍ أخْضَر مَسْجُونِ
والقَبْجُ من نَسْمهِ أرْدَفتْ فِرَاخَها خَوفَ الشَّواهِينِ
وللظِبَا سِرْبٌ إذا أقْبلَتْ من فَجِّه كالخُرَّدِ العِينِ

والشَّاءُ تَثْغُوا بين حِمْلانِها قد أَمِنتْ كَيدَ السَّراحِينِ
والمَاءُ يَجْري من مِتُونِ النَّدىٰ علىٰ الخُـزَامىٰ والـرَّيَاحِينِ
نَسِيمُها عند هُبُوب الصَّـبا أطْيَب من نَفْحَةِ نِسْـرِينِ
واللهُ يَسْقِي الـرَّيَّ ريَّانَةً من كَان من سُكَّانِ رامِينِ
إنَّ لهم من فَرْطِ شُكْري بما صَانُوك أجْرًا غير ممْنُونِ
أجْرُ الأُلىٰ صَانُوا إمَامَ الهُدَىٰ أعْني عَلِيًّا يَـوْمَ صِفِّينِ
فهَاكَها مَكْنُونَةً صُغْـتُهـا حُلْيًا لعَرْضٍ لك مَكْنُونِ
أبْكَارُ ألفَاظٍ ومَا بِكْر ما يُهْدَىٰ من الألْفَاظِ كَالْعُونِ
تَمَّـتْ ثَمـانِينَ وتَـأْرِيخُها في سَنةِ الإحْدَىٰ وتِسْعِينَ[a][١]

[b] [وقالوا: كل جبل في الدنيا إلا القليل فماؤه من أسفله ومنابعه من سفوحه إلا أروند، فإن منابعه من أعلاه ومنابعه في ذروته][b]

٣ وقال آخر (شِعْر): [الطويل]

تَذكَّرْتُ أَرْوَنْدا وطَيْب نَسِيمهِ فقُلْتُ لقَلْبٍ بالفُرَاقِ سَقِيمِ
سَقَىٰ الله أَرْوَنْدا ورَوْض شِعَابِه ومن حَلَّـهُ من ظَاعِـنٍ ومُقِـيمِ
وأَيَّامَنا إذْ نحنُ في الدَّارِ جِيْرة وإذ دَهْرُنَا بالوَصْلِ غير ذَمِيمِ

---

[a] في المختصر: وسبعين.

[b-b] ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

---

[١] قارن هذه الأبيات بما في المختصر، ص٢٢٤-٢٢٥.

وقال آخر (شِعْر):

[البسيط]

سَقْيًا لأَرْوَنْد مَا أهْنَا المَصِيفَ به ... ظِلٌّ ظَلِيلٌ ومَاءٌ يَنْفَع الكَبِدَا

وتُرْبَةٌ كسَحِيقِ المِسْكِ نكْهَتُها ... وجِيرةٌ كبُحُورٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

٣ وقال آخر (شِعْر):

[البسيط]

قالوا تَرىٰ النِّيلَ في مِصْر فتَأَلُّقُه ... إذ تَرَامىٰ علىٰ آذَيْه الزَّبَدُ

فقلتُ أحْسَنُ من نِيلٍ بمِصْركُم ... مَاءُ العُيون علىٰ الرَّضْراضِ يَطَّرِدُ

في جانِبَيه رِيَاضُ الزَّهْر زَيَّنَهَا ... نَسِيمُ نَوَّارها والطَّائِرُ الغَرِدُ

تَرىٰ الخُزامَىٰ يُنَاغِي الأقْحُوانَ بها ... عند الغُدُو كما نَاغَىٰ أبًا وَلَدُ

وأنْشَد لوَهْبِ بن شَاذَان الهَمَذَانيِّ[1] (شعر): [١١٩و]

٦ [البسيط]

ألْقَىٰ الرَّبِيعُ علىٰ أَرْوَنْدَنا خُلَعًا ... خُضْرًا وخُلعَتهُ البَيْضَاءُ قد نَزَعا

كَسَاه ثَوْبًا من النَّوَّارِ تَنْسجُه ... أَيْدِي الذي لَفَّها خَفْضًا ومُرْتَفعَا

مَلَاءَةٌ نَسَجتْها دِيمَةٌ فلها ... بَدائِعُ جَمَّةٌ قد فَاقتِ البِدَعَا

إذا بَكتْ مُزْنَةٌ من فَوْقِها ضَحِكَتْ ... شَقَائِقُ اخْرجتْ من سِمْطِها لُمَعَا

طَوْدٌ مَنِيفٌ عليه شَمِيلةٌ نُسِجتْ ... خَضْراء فَارْتَفعتْ فيه كما ارْتَفعَا

---

[1] له أشعار استشهد بها كل من الراغب الأصفهاني في: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج٢، ص٧٥٨؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان، قارن :[مادة همذان] ج٥، ص٤١٣.

فانْظُر إلىٰ بَطْنِ أَرْوَنْدَائِهم تَرىٰ   بَابًا إليه من الفَرْدَوْس قد شُرِعَا
واسْمَع إذا قَرْقَر القُمْرِيُّ من طَربٍ   وهَاجَ وَرْشَانُه في سَفْحِه و دَعَا
من لم يَكُن في ذُرىٰ أَرْوَنْد مُعْتَكِفًا   فذاك عن صُحْبَةِ اللَّذَّات قد جَزَعَا

ويقُال: إنَّ أكثر الجِبالِ مَاؤُه من أسْفَلِهِ إلَّا أرْوَنْد فإنَّ مَاءهُ في أعْلَاه ومنَابِعهُ في ذَرْوَتِهِ. وأنشد لبعضهم في أروند (شعر): [الكامل]

أرْدَىٰ الشِّتَاءُ وهَاجَ كلُّ مُغَرِّدِ   وبَدَتْ معَالِمُ للرَّبيعِ الأَغْيَدِ
عكَفتْ علىٰ أَرْوَنْدَ كلُّ سَحَابَةٍ   سَوْدَاءَ مُظْلِمَةٌ كلَوْن الإثْمَدِ
تَبْكِي مَدَامِعُها ويَضحكُ ثَغْرُهَا   عن مُشْرِقٍ كَالكَوْكَبِ المُتَوَقِّدِ
هَمَلَتْ بها حَمَلَتْ فَأَلْبَستْ الرُّبَىٰ   من نَسْجِهَا حُلَلًا وإنْ لم تُعْقَدِ
من كلِّ أخْضر كالحَرِيرِ وفَاقِعٍ   غَضٍّ وأحْمَرَ سَاطِعٍ ومُوَرَّدِ
شَمِلَتْ عِصَابَةُ نُورِهِ هَامَ الثَّرىٰ   فتَعمَّمتْ منها هِضَابُ الفَدْفَدِ
صَارتْ عُيونًا للرُّبَىٰ لما بَكتْ   فيها السَّحَابُ بأعْيُنٍ لم تَجْمُدِ
وكأنَّها قَمَرٌ وقَدْ طَلعَتْ لها   شَمْسُ الضُّحَىٰ من جَوْهَرٍ مُتَبَدِّدِ
حَسُنَتْ فحَسَّنتِ الثَّرىٰ ببَدائِعٍ   حَسَرتْ مَسَاوِئَ للشِّتَاءِ الأنْكَدِ
شَرِبتْ من الوَسْمِيِّ أوَّل صَوْبِه   ومن الزُّلَالِ البَارِد المُتَطَّرِدِ
وكأنَّها لَبِسَ البِقَاعُ مُعَصْفَرًا   منها ووَشَّحَ صَدْرَه بمُوَرَّدِ
نفَتْ الصَّبا عنه القَذَىٰ بنَسِيمَها   فكأنَّه لَمَعَانُ مَتْنِ مُهَنَّدِ

[١١٩ظ] وكانوا يقُولُون: شِتَاء بَغْدَاد، ورَبِيعُ هَمَذَان، ومَصِيفُ أَصْبَهَان، وخَرِيفُ الرَّيِّ. ٣

وقالت الحكماءُ: أحْسَنُ الأرْضِ مَخْلُوقَةً الرَّيُّ ولها السُّرُّ والسَّرْبَان، وأحْسَنها مَصْنُوعة نَيْسَابُور ولهَا حُسْنُ الآبَار، ومَرْو لها الزُّرِيقُ والمَاجَان، ودِمَشْقُ لها الغُوطَةُ والوَادِيَان، ونَصِيبِين ولها هِرْمَاس، والصَّيْمَرَة ولها يَحْوِي الحِصْنَان، والبَصْرَة ولها النَّهْرَوان، وفَارِس ولهَا شِعْب بَوَّان، وشَهْرزُور ولها المُسْتَشْرَف، وبَاكَرْخىٰ ولها من هَاهُنا بُسْتَان ومن هَاهُنا بُسْتَان، ونَهْرٌ [في] المَيَان، والمَدَائِنُ ولها دِجْلَة والسُّوس وتُسْتَر وهما بين أرْبَعَةَ أنْهَارٍ: دُجَيْل والمَسْرُقَان ومَهْرُوبان[a] ويَرُوقان[b]، وبَلْخ ونَهاوَنْد وأصْبَهان[1].

---

[a] في الأصل: ماهينان، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه. [b] رسمت في الأصل: نرويان، والتصويب من ياقوت.

---

[1] نقل ابن الفقيه هذه المقولة عن ابن خُرَّداذْبه بتصرف يسير دون أن يشير إلى مصدره، ونصها كالتالي: «وقالت الحكماء: أحسن الأرض مخلوقة الرىّ ولها السر والسربان، وأحسنها مصنوعة جرجان، وأحسنها مفروقة طبرستان، وأحسنها مستخرجة نيسابور، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جنديسابور ولها حسن أنهار، ومرو ولها الزّريق الرفيق والماجان، والغوطة ولها الواديان، ومن دام فيها يأكل البصل أربعين يومًا كلف وجهه، ونصيبين ولها الهرماس والصَّيمرة ولها ما يحوي الحصنان، والبصرة ولها النهران، وفارس ولها شعب بوَّان، ومستشرف شهرزور وباكرخىٰ ولها من هاهنا بستان ومن هاهنا بستان، ونهر فى الميان، والمدائن والسُّوس وتستر وهن بين أربعة أودية دجيل والمسرقان ومهرويان والباسيان، ونهاوند وأصفهان وبلخ، وأنزهها وأجمعها طيبًا وحسنًا مستشرف سمرقند من جبل السّغد، وقد شبّهها حضين بن المنذر الرقاشيُّ فقال: [كأنّها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للأشراق ونهرها المجرّة للاعتراض وسورها الشمس للأطباق]. وقال قباذ الملك: أجود مملكتى فاكهة المدائن وسابور وأرّجان والريُّ ونهاوند وحلوان وماسبذان».

انظر: المسالك والممالك، ص١٧١-١٧٢؛ وقارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٣، ص٢٠٦.

وقال أبُو الوَفَاء الهَمَذَانيُّ[1] في إقْبالِ هَمَذَان ومُتنزَّهَاتها في شِعْرٍ طَويلٍ(شِعْر):

[الكامل]

رَيَّانُ مِن مَاءِ الكُرُومِ كأنَّني غُصْنٌ أمَالَتْه الصَّبا فتَأوَّدَا
أرْمِي بعَيْنَيَّ الرِّيَاضَ واجْتَنِي من حُلْيهنَّ لآلِئًا وزَبرْجَدا
مَا بَيْن أعْلَى مُتَوَّجَين ودُونَها مُتَصوِّبًا طَوْرًا وطَوْرًا مُصْعِدَا
وإذا عَلوتَ إلى بِقَاعِ سَنيْنَس واحَثَّ عَيْنَيْكَ المُرَادَ الأبْعَدَا
عَايَنْت أحْسَن مَنْظَرٍ ما جَال النَّدى وشَمَالُهُ من نَسْجِهِ لَن يَنْفِدا
زَهْرًا زَهَت غُرَرُ الرِّيَاضِ بنُورِهِ لَمَّا غَدا أعلى الرُّبَى مُتَسرِّدا.
حَمْرَاءُ نَاصِعَةٌ وأصْفَر فَاقِعَة ومُزَعفَرًا في لَوْنِه ومُوَرَّدَا
يَفْتَرُّ مُبْتَسِمًا كأنَّ وَمِيضُه شَررٌ أطَارَتْهُ الصَّبَا فَتوقَّدَا
وإذا الغَزَالَةُ حُلَّ عَقْدُ خِمَارِهَا أهْدَتْ له منها نَدَى مُتَجدِّدَا
نُورٌ تُنِيرُ له الرِّيَاضُ وتَغْتَدِي تَبْدُو لـه أسْرَارَهُنَّ إذا بَدَا
وتَرَى الجِنانَ قد اكْتَسَين نَضَارةً وجُلِينَ دُرًّا في الغُصُونِ مُنَضَّدَا

٣

[1] لم أقف على ترجمته، وربما يكون هو محمد بن عبد العزيز بن سهل، أحد أمراء الجبل من آل دلف، الذي نسب إليه أبو حيان التوحيدي هذه الأبيات في كتاب، البصائرو الذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م،ج٥، ص٢٠٨.

وقال أيضاً [١] [١٢٠و]:

[البسيط]

يَاللَّيَالِي تَرْمِينِي بَأَسَهُمِهَا ... ومَا لَهَا تِرَةٌ عِنْدِي ولا ثَارُ
إذا اصْطَفَيْتُ خَلِيْلًا أو أخَا ثِقَةٍ ... لا تَنْثَنِي منه أو تَنْأىٰ به الدَّارُ
يا أيُّها المُغْتَدِي نحو الجِبَالِ له ... فِيها هُنَاك لُبَانَاتٌ وأوْطَارُ
اقْرَا السَّلامَ علىٰ أَرْوَنْدَ من جَبلٍ ... يَهِجنِي نَحْوَهُ شَوْقٌ وتِذْكَارُ
واخْصُص أمَاكِنَ فيه كُنْتُ أعْهدُهَا ... فيهنَّ مِنِّي عَلامَاتٌ وآثَارُ
واربَع بمُرتَبعٍ كنَّا نَلُوذُ به ... قد أيْنَعتْ فيه اللَّذَاتُ أشْجَارُ
بِسَفْحِ مَرْجَانَةَ المَحْسُودُ سَاكِنُها ... رَوضٌ أرِيضٌ ومَاءٌ ثمَّ مَوَّارُ
شِعْبٌ قَرَوَّدَ فيه كلُّ مُونَقَةٍ ... وفيه للَّهْوِ أشْجَارٌ وأنْهَارُ
سَفْحٌ تزَين في الدُّكَّان مجْتَمَع ... فحَلَّهُ كُلَّما حَلَّتْهُ أمْطَارُ
مُسْتَشْرِفٌ فيه للأبْصَارِ مُتَسعٌ ... يَزوقُنا زَهْرٌ فيه وأنْوَارُ
وفيه للْقَلبِ والأسْمَاعِ ما طَلبَا ... من السُّرورِ إذا غرَّدْنَ أطْيَارُ
يُجِيبُ ألْحَانَها منا إذا هزَجَتْ ... وغَرَّدتْ طَرَبًا عُودٌ ومِزْمَارُ
تلك البِلادُ التي تَحْيَا النُفُوسُ بها ... لا مَا تَلهَّبَ في حَافَاتِهِ النَّارُ
أرْضٌ تُنعِّمُ أهْليهَا إذا نَعِمُوا ... بأنْ تَكُنَّهم في الأرْضِ آبَارُ

---

[١] قارن: أبو حيان التوحيدي، البصائر و الذخائر، ج٥، ص٢٠٨.

[مُجَاراة عَبْد القَاهِر والحُسَين بن أبي السَّرح في مَدْحِ هَمَذَان والعِرَاق وذَمـِّهِما]

وكان عَبْد القَاهِر بن حمْزَة الوَاسِطِيُّ والحُسَيْن بن أبي سَرْح[1] كَثِيرًا ما يَلْتَقِيان فيَتجَارَيانِ[a]) الآدَابَ ويَتذاكَرانِ العُلوم.

وكان عَبْد القَاهِر لا يَزال يَذُمُّ الجَبلَ وهَواءَهُ وأهْلَهُ وشِتَاءهُ، لأنّه رجُلٌ من أهْلِ العِرَاق، وكان ابنُ أبي سَرْحٍ مخَالِفًا له، كَثِيرُ الذَّمِّ للعْرِاق والطَّعْنِ علىٰ أهْله، فالْتَقيا يَوْمًا عند مُحَمَّدِ ابن اسْحاق بن الفَقِيه[2] وكان يَوْمًا شَاتِيـًا صَادِق البَرْدِ كَثِيرَ الثَّلْجِ.

وكان البَرْدُ قد بَلغَ إلىٰ عَبْد القَاهِر، فلمَّا دخَل وسَلَّم قَال: لعَنَ اللهُ الجَبَلَ ولعَن سَاكِنيه، وخَصَّ اللهُ هَمَذَان من اللَّعْنِ[١٢٠ظ] بأوْفَرِهِ وأكْثَرِهِ.

فما أكْدَرَ هَواءَهَا وأشَدَّ بَرْدَهاوأذَاهَا وأكْثَر مَؤونَتها وأقَلَّ خَيْرهَا (b [وأكثر شرها] b)، قد سَلَّط اللهُ عليها الزَّمْهَرِير الذي يُعَذِّب به أهْلَ جَهنَّم مع ما يَحْتَاجُ الإنْسَانُ فيها إليه من الدِّثَار والمُؤَن المُجْحِفةِ.

(a لدى ياقوت: فيتحادثان.

(b - b) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت .

---

[1] الواسطي وابن أبي السرح: من المصادر الشفهية التي اعتمد عليها ابن الفقيه في بناء مادة كتاب أخبار البلدان، حيث يصرح في أكثر من موضع بالأخذ عنهما، ويبدو أنهما من أصدقاء أبيه كما يتضح من سياق النص؛ وقارن الخبر بتمامه لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤١٢-٤١٣.

[2] أبو عبد الله محمد بن إسحاق، والد المؤلف. وقد مر ذكره.

فوجُوهُكُم يا أهْلَ هَمَذَان مُتَشقِّقةٌ[a] وأنُوفُكُم سَائِلةٌ وأطْرَافُكُم خَصِرة وثِيابُكم مُتَّسِخَة ورَوائِحُكُم قَذِرة ولِحَـاكُم دُخَانِيَّةٍ[b] وسُبُلكُم مُنقَطِعةٌ والفَقْرُ علَيْكُم ظَاهِرٌ والمَستورُ في بَلَدِكُم مَهتُوك؛ لأنَّ شِتَاءَكُم يَهْدِم الحِيطَان ويُبْرِزُ الحُصَّان ويُفْسِدُ الطُّرُقَ ويُشْعِثُ الآطَامَ[1].

فطُرُقُكم وحِلَةٌ تتهافَتُ فيها الدَّوابُّ، وتَقْذُر فيها الثِّياب وتَتحطَّم الإبِـل وتنْخَسِف فيها الآبَار وتغِيضُ المِياه، وتَكِفُّ السُّطُوح وتَهيجُ الرِّياح العَواصِف، وتَكونُ فيه الزَّلازِلُ والخُسُوفُ والرُّعُودُ والبُرُوقُ والثُّلُوجُ والدَّمَقُ[c] فتَنْقَطِعُ عند ذلك السُّبل ويَكْثُر المَوْت وتَضِيقُ المَعَايِش.

فالنَّاسُ في جبَلِكُم هذا سَائِرَ[d] أيَامِ الشِّـتاء يتوقَّعُونَ العَذَاب ويخَافُون السَّخط والعِقَاب، ثمَّ يُسمُّونهُ العَدِوَّ المُحَاصِر والكَلْب الكَلِب. ولذلك [كَتَبَ] عُمَرُ بن الخَطَّاب ﷺ إلى بَعْضِ عُمَّاله: أنَّه قد أظَلَّكُم الشِّتَاءُ وهو العَدوُّ المُحَاصِر فاسْتَعِدوا له الفِرَاء واسْتَنعِلوا الحِذَاءَ[2].

---

[a] لدى ياقوت: مائلة. [b] رسمت في الأصل: دخانيكم. والتصويب من ياقوت.

[c] رسمت في الأصل: التيق، والتصويب من ياقوت. [d] لدى ياقوت: جميع.

---

[1] الأطام: الحصون والبيوت المرتفعة المبنية من الطين. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٤، ص٣٢؛ المعجم الوسيط،ج١، ص٢١.

[2] نقل ياقوت هذه المجارة بأكملها في مادة همذان ، وقد دارت بين عبد القاهر بن حمزة الواسطي والحسين بن أبي سرح في بيت محمد بن اسحاق الفقيه، والد مصنف كتابنا هذا ، وهي مجارة أدبية رفيعة المستوى، ووثيقة معبرة عن ثقافة العصر الذي كتبت فيه، ولعل معجم البلدان هو المصدر العربي الوحيد الذي اعتنى بذكرها. قارن: معجم البلدان، [مادة همذان]ج٥، ص٤١٢-٤١٧ .

وقد قال الشَّاعر[١]: [الوافر]

إذا جَـاءَ الشِّـتاءُ فـأَدْفِئُوني   فإنَّ الشَّـيخَ يهدِمُـهُ الشِّـتَاءُ

فالشِّتاءُ يَهْدِمُ الحِيطَانَ فكيف الأَبْدَان لاسيَّما شِتَاؤكُم الملعُون؟!.

ثمَّ فِيكُم أخْلَاقُ الفُرْسِ وجِفَاءُ العُلُوج وبُخْلُ أهْلِ أصْبَهان ووقَاحَةُ [a] أهْل الرَّيِّ وفَدَامةُ[٢] أهْلِ نهاوند وغِلَظُ طَبْعِ أهْلِ همَذَان.

علىٰ أنَّ بَلدَكُم هذا أشدُّ البُلْدان بَرْدًا وأكْثَرُها ثَلْجًا وأضيَقُها طُرقًا وأوْعَرُها مَسْلَكًا [b][وأغلَظها مؤونة][b] وأفقَرُها أهْلًا.

وكان يقال: إنَّ أبْرَد البُلْدَان ثَلاثة: بَرْذَعَة[٣] وقَـالِيقَلا[٤] وخُوارِزْم. وهذا قَوْلُ من لم يَدْخُل بلَدكَم ولم يُشَاهِد شِتَاءكُم.

[c] وقد حَدَّثَني أبو جَعْفَر مُحَمَّد بن إسْحَاق المُكـتِّب قال: لمَّا قَدِمَ [c] عَبْد الله بن المُبَارك[١] همَذَان أُوقِدَتْ بين يَدَيهِ نَارٌ فكان إذا سَخِنَ بَاطِنُ كَفِّه أصَابَ ظَاهِرَهَا البَرْدُ، وإذا سَخِنَ ظَاهِرُهَا أصَابَ بَاطِنَها [البَرْد].

(a) في المختصر: رقاعة.   (b - b) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

(c - c) في المختصر: «وقد روى ثقاتكم عن عبد الله بن المبارك».

---

[١] ينسب هذا البيت إلى: ربيع بن ضبع الفزاري أحد المعمرين. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٢١، ص٤٨.

[٢] الفدامة: من الفدم، والفدم من الناس، العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٤٥٠.

[٣] بلد في أقصى أذربيجان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٩-٣٨٠.

[٤] قاليقلا: ناحية بأرمينية العظمى. نفسه، ج٤، ص٢٩٩-٢٣٠.

فقال (شِعْر) [١٢١و]:

[الوافر]

أقُولُ لها ونحنُ علىٰ صِلَاءٍ   أمَا للنَّارِ عِنْدكِ حَرُّ نَارِ
لِئن خُيِّرتُ في البُلْدَانِ يَوْمًا   فما هَمَذَانُ عِنْدِي بِالخِيَارِ

ثمَّ الْتَفتَ إلىٰ ابن أبي سَرْحٍ وقال: يا أبَا عَبْد الله! وهذا والدُكَ يقول (شِعْر):

[الكامل]

النَّارُ في هَمَذَان يَبْرُدُ حَرُّهَا   والبَرْدُ في هَمَذَانَ دَاءٌ مُسْقِمُ
والفَقْرُ يُكْتَمُ في بِلَادٍ غَيْرِهَا   والفَقْرُ في هَمَذَان مَالَا يُكْتَمُ
قَدْ قَال كِسْرىٰ حِينَ أبْصَر بلدَكُم   هَمَذَان فانْصَرِفُوا فتِلْكَ جَهنَّمُ

والدَّلِيلُ علىٰ هذا أنَّ الأكَاسِرةَ كانت لاتَدْخُل هَمَذَان؛ لأنَّ بِنَاءهُم مُتَّصِل من المَدَائِن إلىٰ أزْرَمِيدُخْت[٢] من أسَدَآباذ[٣] ولم يَجُوزوا عقَبة أسَدَآباذ.

وبلَغنا أنَّ كِسْرىٰ أبَرْوِيز همَّ بدخُول هَمَذَان، فلمَّا بلَغ مَوْضِعًا يقال له: دُزوخ دره ومعْنَاه بالعَرَبيَّة: كَهْفُ جهنَّم. قال لبعْضِ وزَرَائِه: ما يُسَمَّىٰ هذا المكان؟ فعرَّفه. فقال: انْصَرفُوا[a] لا حَاجةَ لنَا في دخُول مَدِينة فيها ذِكرُ جهنَّم.

---

[a] في المختصر: انطلقوا.

---

[١] مرت ترجمته ص٣٨٥.

[٢] أزرميدخت: بليدة قرب قرميسين. سميت باسم ملكة من أواخر ملوك الفرس. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٨.

[٣] أسَدَآباذ: مدينة قريبة من همذان، كما تقع بالقرب من العراق. نفسه، ج١، ص١٧٦.

وقال شَاعِرِكُم: وهو وهْب بن شَاذَان الهَمَذَاني[1] (شِعْر):

[المتقارب]

أما آنَ من هَمَذَانَ الرَّحِيلُ   من البَلْدَةِ الحَزْنَةِ الجَامِدة

فَما في البِلادِ ولا أهْلِهَا   من الخَيْـر من خِصْلَةٍ واحِدة

يَشِيبُ الشَّبابُ ولا يَهْرمُوا   بها مـن ضَـبَابتها الـرَّاكِدة

سَأَلْتُهم أين أقْصَىٰ الشِّتَاء   ومُسْتَقْـبَلُ السَّنـةِ الـوَارِدة

فقالوا إلىٰ جَمْـرةِ المُنْتَهىٰ   فقد سَقَطتْ جَمْرةٌ خَامِدة

٢ وقال أيضًا (شِعْر):

[المنسرح]

يَوْمٌ من الزَّمْهَرِير مَقْرُورُ   عليه جُبُّ الضَّبَابِ مَزْرُورُ

كأنَّـما حَشْوُ جَوِّه إبَرٌ   وأرْضُه وَجْهُها قَوارِيرُ

وشَمْسُـــهُ حَـرَّةٌ مُـخَدَّرةٌ   تَسلَّبَتْ حين حُمَّ مَقْدُورُ

تُخَالُ بالْوَجهِ من ضَــبَابتِها   إذا أخَذتْ جِلْدَةٌ زنَانِيرُ

يرىٰ البَصِيرُ الحَديد نَظْرتهُ   منها لأجْـفَانهِ سَمــادِيرُ

وسَأَلَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ ﷺ رجلًا فقال: من أين أنت؟ فقال: من هَمَذَان. قال

٦ أمَا أنَّهَا مَدِينَة همٌّ وأذَىٰ تَـجْمَدُ قُلوبُ أهْلِهَا كما يجْمَد مَاؤهَا.

---

[1] مر ذكره ص٥٧٠.

وقال شاعركم أيضًا أحْمَد بن بَشّار[١] يَذُمُّ بَلدكُم ويَذْكُر شِدَّة بَردِه وغِلَظَ طَبْعِ أهْلهِ وما يَـحْتَاجُون إليه من المؤَنِ المُجْحِفةِ الغَلِيظَة (شِعْر) [١٢١ظ]:

[الطويل] ٣

أتتْكَ إمَارَاتُ الشِّتَا ودَلَائِلُه   ووَافَاكَ من بَرْدِ الخَرِيفِ أوائِلُهْ
فأصْبَحْتُ محْزُونًا ودَمْعِي كأنَّه   جُمانٌ علىٰ الخَدَّينِ يَنْثُر هَامِلُهْ
أمَامِـي صَـيفٌ رَعَـانِي بها   وتِينٌ رحِيبٌ جَوْزُهُ ومجَاهِلُهْ
إذا الثَّلْجُ رَدَّاهُ رِدَاءً كأنَّه   مَلاءٌ عليه قد تَنوَّقَ غَاسِلُهْ
وهَبَّتْ له رِيحُ الصَّبَا ثمَّ أعْقَبتْ   جَنُوبًا وهَبَّتْ بعد ذَاك شَمائِلُهْ
وجَدْتُ فُؤادِي طَائِرًا من حذَارِهِ   وقَلْبِي كَئِيبًا ما تكُفُّ بَلابِلُهْ

وقال آخر:

[المتقارب]

أتَانَا الزَّمَانُ بِبَرْدِ الشِّتَاءِ   وسَال به سَيْلُه مُكْفَهِرًّا
وهَبَّتْ سُيولُ شَمالِ الرِّيَاحِ   فَكَزًّا الفَقِيرُ لها واقْشَعرًّا
يُقَـرِّبُ مـن رَأسِـهِ منْكِبيهِ   ويَغْدُو إلىٰ نَارِهِ مُشْمِرًّا
وأحْجَرتِ الكَلبَ هَوْجُ الرِّيَاحِ   وصَرَّ بأذْنَيْهِ للبَرْدِ صَرًّا
وفَـارقَـتِ الـوحْشُ أوْطَـانَها   إلىٰ كُلِّ غَوْرٍ يَقِيهِنَّ شَرًّا
وكَرَّ الوِلَاة علىٰ من يكونُ   فلمْ يَجِد المَرْءُ منهُم مَفرًّا
وشَـحَّ البَـخِيلُ عـلىٰ مَالِهِ   وزَوَّىٰ له حَـاجِبيهِ وهَـرًّا

---

[١] أحمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو العباس الأنباري. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٨٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢١٥.

(*) وقِيل لأعْرابيٍّ دخَل هَمَذَان ثمَّ انصَرف إلى البَادِية: كيف رَأيتَ همَذَان؟ فقال: أما نَهارهَا فرُقَّاص وأما ليْلُهم فحَمَّال.

يعني أنَّهم بالنَّهار يَرْقُصونَ لِتَدفأ أرْجُلهُم، وبالْلَيلِ حَمَّالون لكَثْرةِ دِثَارهم. ووقَع أعرابيٌّ إلى همَذَان في الرَّبِيعِ فاسْتَطابَ الزَّمَان وأنسَ بالأشْجَار والأنهَار، فلما جاء الشِّتاءُ، ورَدَ عليه ما لم يَعْهَده من البَرْدِ والأذَىٰ فقال:

[الرجز]

بهمَذَانَ شَقِيتْ أمُورِي عند انْقِضَاءِ الصَّيفِ والحَرُورِ
جَاءتْ بِشَرٍّ شَرَ من عقُور ورَمتْ الآفَاقَ بالهَرِيرِ
والثَّلْجُ مَقْرونٌ بزَمْهَرِير لَوْلَا شِعَارُ العَاقِرِ النَّزُورِ
أمُّ الكَبِيرِ وأبُو الصَّغِير لمْ يَدْفَ إنْسَانٌ من التَخْصِيرِ

ولقد سَمِعتُ شَيْخًا من عُلمَائكُم وذَوي المَعْرفةِ منكم أنَّه يقول: يَرْبح أهْلُ همَذَان إذا كان يَوْمٌ في الشِّتَاءِ صَافِيًا له شَمْسٌ حَارَّةٌ، مِائةَ ألْفِ دِرْهمٍ، لأنَّهم لا يَحْتَاجُون فيه إلى الوَقُود.

وقِيمتهُ في همَذَان ورَسَاتِيقها في كلِّ يَوْمٍ مِائة ألْفِ دِرْهمٍ. وقيل لابْنَة الخسِّ[1]: أيُّها أشَدُّ الشِّتاء أم الصَّيف؟ فقالت: من يَجْعل الأذَىٰ كالزَّمَانة[2].

(*) وقع هنا سقط بمقدار لوحتين تقريبًا.

[1] ابنة الخس: هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادي، امرأة فصيحة جاهلية، كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه، ولقبت حكيمة العرب. انظر أخبارها لدى: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٥٥؛ ابن طيفور: بلاغات النساء، ص٥٨ ـ ٦٩.

[2] الزمانة: العاهة والآفة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص١٩٩.

وقيل لأعْرَابيٍّ: ما غَايَةُ البَرْدِ عِنْدكم؟ فقال: إذا كانت السَّماءُ نَقِيَّة والأرْض نَدِيـَّة والرِّيحُ شَاميـَّة فلا تَسْأل عن أهْلِ البَرِيَّة.

وقد جَاء في الخَـبَر أنَّ همَذَان تَـخْرُب لِقلَّة الحَطَبِ. ودخَل أعْرَابيٌّ همَذَان فلمَّا رأىٰ هَواءَهَا وسَمِعَ كَلام أهْلهَا ذكَر بِلَاده وقال: [الوافر]

كَيْفَ أُجِيبُ دَاعِيكُم ودُوني جِبَالُ الثَّلْجِ مُشْرِفَةُ الرِّعَانِ
بِلَاَّد شَكْلُها من غَيْرِ شَكْلي وألْسُنُها مُخَـالِفَةٌ لِسَـانِي
وأسْمَاءُ النِّسَاء بهـا زَنَـانٌ وأقْرِبْ بالـزَّنَان من الـزَّوَانِي

ودخَل بعْضُ الأعْرَابِ الجَبل في الشِّتاءِ فجَعلَ أنْفهُ يَرْعَم[1]. فَرفعَ يَدهُ ووجَاه فقال: لا والذي جلَّ وعَلَا، ما رَأيْتُ عِضوًا أنْتَن منك. إذا جَمَدَ كلُّ شَيءٍ فأنْت تَذُوب، وإذا ذَاب كلُّ شَيءٍ فأنْت تَجْمُد. أبَيْت إلَّا خِلافًا وقال شَاعِرِكُم وهو أحْمَدُ بن بَشْارٍ: [البسيط]

قد آنَ من همَذَان السَّيرُ فانْطَلِق وارْحَل علىٰ شَعْثِ شَمْلٍ غير مُتَّفِقِ
بِئْسَ اعْتِيَاضُ الفَتَىٰ أرْضَ الجِبَالَ له من العِرَاقِ وبَابُ الرِّزْقِ لم يَضِقِ
أمَّا المُلوكُ فقد أوْدَتْ سُراتُـهُمُ والغَابِرون بها في شِيمَة السُّوَقِ
ولَا مُقَامَ علىٰ عَيْشٍ تُرَنِّقُهُ أيْدِي الخُطُوب وشَرُّ العَيْشِ ذُو الرَّنَقِ
قد كُنتُ أذْكُر شَيْئًا من محَاسِنِها أيَّامَ لي فَننٌ كَـاسٍ مـن الوَرِقِ
فَاليَوْم لا بُدَّ من نَعْتِي مَسَاوِئَها كما يَغصُّ بها الشَاوِي علىٰ شَرَقِ
لا خَيْرَ فيها ولَا في أنْ تُقِيمَ بها ولَوْ تقَلَّبْتَ بين التِّبْرِ والوَرِقِ

[1] أنفه يرعم: يسيل منه المخاط. لسان العرب ج١٢ ص٢٤٥.

أرْضٌ يُعَذَّبُ أَهْلُوهَا ثَمانِيَةً من الشُّهورِ كما عُذِّبتُ بالرَّهَقِ
ثُلثي حَياتكَ ما تَهْنَىٰ بِنَافِعةٍ إلَّا كما انْتَفعَ المَجْرُوضُ بَالرَّمقِ
فإنْ رَضيتَ بثُلْثِ العَيْشِ فارْضَ به علىٰ شَرَائِطَ من يَقْنَع بها يُبقِ
إذا ذَوَىٰ البَقْلُ هَاجتْ في بِلَادهم من جِربيَائِهم نَشَّافةُ العَرَقِ
تُبشِّر النَّاسَ بِالْبَلوَىٰ وتُنْذِرهُم مَا لَا يُداوىٰ بلِبْسِ الدِّرْع والدَّرَقِ
تَلفُّهم في عَجَاجٍ لا تَقُومُ لها قَوائِمُ الفِيل قبل المَأقِطِ الشَّبِقِ
لا يَمْلُك المَرءُ فيها كَوْرَ عِمَّتِهِ حتىٰ تُطيِّرَهَا من فَرطِ مختَرِقِ
فإنْ تكَلَّم لَاقَتْهُ بِمَسْكَنةٍ مِلءَ الخَيَاشِيم والأفْوَاهِ والحَدَقِ
فعِنْدها ذَهبَتْ أَلْوَانُهم جَزعًا واسْتَقْبلوا الجمعَ واسْتَولُوا علىٰ العَلَقِ
حتىٰ تفَاجِئَهم شَهْباءُ مُعْضَلةٌ تَسْتَوعِبُ النَّاسَ في سِرْبَالهَا اليَقَقِ
خَطْبٌ بها غير هَيِنٍ من خُطُوبهِمُ كالخَنْق ما منه من مَلْجَا لُمخْتَنِقِ
أمّا الغَنِيُّ فمَحْصُورٌ يكَابِدهَا طُولَ الشِّتَاءِ مع اليَرْبُوع في نفَقِ
يقُول أطْبِقْ واسْبِلْ يا غُلَام وأرْخِ السِّتْرَ واعْجِل بردِّ البَاب واندِفِقِ
وأوْقِـدُوا بتَـنَانِـيرٍ تُذكِّـرهم نَارَ الجَحِيم بها من يَصْلِ يَحْتَرِقِ
والمُخْلِـقُون بها سُبْحَان ربِّهم ماذا يقَاسُون طُولَ اللَّيلِ من أرَقِ
تَنسَدُّ أبْوَابُهم بالثَّلْج فهو لهم دُونَ الرِّتَاج رِتَاجٌ غير مُنْطَبِقِ
والأرْضُ تُصْبحُ والدُّنْيَا لها طَبَقٌ تَحارُ فيه عُيونُ النَّاسِ في الطُّرُقِ
حتىٰ إذا اسْتَحْكَمت برْدًا غَدا طَبَقٌ من الضَّبَابِ فقد أوْفَىٰ علىٰ طَبَقِ
يَنْهَلُّ منها عليهم دَائِبًا ديَما بالزَّمْهَرِير عَذَابًا صَبَّ من أُفُقِ
صِبغُ الثِّيابِ إذا حلَّ الشِّتاءُ بها صِبْغُ المَآتَم للحُسَّانةِ الفُنُقِ
والذِّئبُ لَيْس إذا أمْسَىٰ بُمحْتَشِم من أنْ يُخَالِط أهل الدَّارِ في النَّسَقِ
فوَيْلٌ من كان في حِيطَانِهِ قِصَرٌ ولمْ يُحَصَّ رِتَاجَ البَابِ بِالغَلَقِ

يَدْعُو الثُّبورَ علىٰ صِبْيانهِ فَرقًا … بعد العِشَاءِ ويَدْعُوهُ من الفَرَقِ
وصَاحِب النُّسكِ ما تَهْدا فَرائِصهُ … والمُسْتَغِيثُ بشُرْبِ الخَمْر في غَرَقِ
أمّا الصَّلاةُ فوَدَّعْهَا سِوَىٰ طَلَلٍ … أقْوَىٰ وأقْفَر من سُلْمَىٰ بِذِي العَمَقِ
تُمْسِي وتُصْبِحُ والشَّيْطانُ في قَرنٍ … مُسْتَمْسِكًا من حِبَالِ الكُفْرِ بِالرَّبَقِ
والماءُ كَالمِلْح والأنهارُ جَامِدةٌ … والأرْضُ أضْرَاسُها تَلْقَاكَ بالدَّبَقِ
حتىٰ كَأنَّ قُرُونَ العُفْرِ نَاتِئةٌ … تَحْتَ المَوَاطِئ والأقْدَام في الطُّرقِ
والنَّاسُ بِيْضُ اللُّحَىٰ تَهْمي أنوفُهمُ … فَوْق الشَّوارِب كالمَصْدُوم ذي البَلَقِ
تِسْعِينَ يَوْمًا وعَشْرًا أكْلَمتْ مِائةً … يَدْعُونَ لَيْلَة تَمَّت لَيْلَةَ السَّدَقِ
كأنَّهم عَسْكَرٌ هَاجَ الحَرِيقُ بهم … فهم يَمُوجُونَ والضُّوضَاءُ في فَرَقِ
كأنَّهم حين أفْضُوا في ثِيَابِهم … خَلفَ الغَرابِيلِ أوْهَاهَا من الخَرَقِ
فما تَرَىٰ بعْدَها يَلْقَوْنَ من عَذَبٍ … من الوحُولِ التي طمَّتْ علىٰ اللَّـثَقِ
والمَشْي شَهْرَين بالمِيزَانِ قد زَهَقتْ … نفُوسُهم فَرَقًا من خَشْيَةِ الزَّلَقِ
فكلُّ غَادٍ بها أو رَائِحٌ عَجِلٌ … يَمْشِي علىٰ أهْلِهَا غَضْبَانَ ذا حَنَقِ
قَومٌ غِذَاؤهُم الألْبَانُ مُذْ خُلِقُوا … فما لهم غَيْرهَا من مَطْعَمٍ أنِقِ
لا يعْبَقُ الطِّيبُ في أصْدَاغِ نُسْوَتِهم … ولا جُلُودهمُ تَبْتَلُّ من عَرَقِ
فهم غِلَاظٌ جُفَاةٌ في طِبَاعهمُ … إلَّا تَعِلَّةَ مَنْسُوبٍ إلىٰ الحُمُقِ
أفْنيتُ عُمْري بها حَوْلَينِ من قَدرٍ … لم أقْـوَ منها علىٰ دَفْعٍ ولمْ أطِـقِ(*)[1]

(*) إلى هنا ينتهي السقط الذي وقع في نسخة الأصل. وقد وجدنا جزءًا منه في الصفحات الأولى من الكتاب ضمن مادة الكوفة، وبتتبع النقول التي وردَت في المختصر، ومعجم البلدان، أكملت المادة الخاصة بهمذان على نفس النسق الذي نقله ياقوت بأكمله من ابن الفقيه.

[1] قارن: مختصر كتاب البلدان، ص٢٣٠-٢٣٣؛ معجم البلدان مادة : [همذان]، ج٥، ص٤١١_٤١٥.

فلمَّا بَلغَ عَبْد القَاهِر [إلى] هذا المكَان الْتَفتَ إليه ابنُ أبي سَرْحٍ فقال: قد أكْثَرتَ المَقَال وأسْرَفتَ في الذَّمِ وأطَلْتَ الثَّلبَ وطَوَّلْت الخُطْبة، ولَوْلا ما أجَزْتَ إليه من سُوءِ المَقَالِ وكَثْرةِ الهَذَيان لكُنَّا عن مجَاوَبتَك بمَعْزلٍ وعن محَاوَرتَك في شُغْلٍ فمَهْما كان فِينَا ـ أبا عَلِيٍّ أعْزَكَ الله ـ وفي هَوائِنا وأرْضِنَا وبَلْدِنا وصُقْعِنَا. فلَيْس فِينَا جَفاءُ النَّبطِ وعَجْرَفيَّـة أهْل[١٢٢و] السَّوادِ وأخلَاقُ الخُوزِ وغَدْرُ أهْلِ الكُوفَةِ ودِقَّةُ نَظَر أهْلِ البَصْرَةِ وبُخْلُ أهْلِ الأهْوَاز وسُوءُ معَاشَرة أهْل بَغْدَاذ وشِدَّةُ حِيَلهِم وجَفَاءُ أهْل الجَزِيرةِ [a] وغَباوَةُ أهْلِ الشَّام [a].

وأهْلُ الجَبل فقد سَلِمُوا من شِدَّةِ حَرِّ البَصْرَةِ [ومن وبَائِها] [b]، ومن كَثْرةِ ذُبَاب بَغْدَاذ، ومن بَقِّ البَطَائِح وبَراغِيث الكُوفَة، وتَغيُّر هَواءَ مِصْر، ومن جرَّارَات الأهْوَازِ وسَمَائِمهَا ومن عقَارِب نَصِيبِين، وثعَابِين مِصْر ومن أفَاعِي سَجِسْتَان.

وهل الخِصْبُ والخَيْر والنِّعمَةُ والدِّعةُ والأكْلُ والشُّربُ إلَّا [عندنا] [b] في الشِّتاءِ الذي فيه تَغِيبُ الهَوام وتَنْحَجِز الحشَرات ويمُوتُ الذُّبَابُ ويَهلَكُ البَعُوضُ ويَبْردُ المَاء ويَصْفُو الجَوُّ ويَطِيبُ فيه العِنَاقُ ويَظْهَر فيه الفُرشُ والبِزَّةُ [c] والنِّعْمةِ المُلوكِيَّة والسَّرو[1] والخُـرَّهيَّة[2].

(a-a) في المختصر: «وغلظ طبع أهل الشام وجهلهم».
(b) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.
(c) في المختصر: الكسوة.

[1] السَّرو: الجمال والنعمة، والسرو أيضًا: شجر ينبت بالجبال . انظر: ابن سيده: المخصص، ج١، ص٢٣٤؛ وقارن: ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٧٧.

[2] الخرهية: لفظة فارسية تعني: الطلاوة والكرم. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج٢، ص٩٢٦.

وإذا مَـيَّزتَ [a] الأقَالِيم صُعْقًا صُعْقًا وبَلدًا بَلدًا و كُورَة كُورَة وطَسُّوجًا طَسُّوجًا، عَلِمتَ أنَّه لَا يَخْلُو بَلدٌ من البُلْدَان ولَا إقْلِيمٌ من الأقَالِيمِ في شَرقِ الأرْضِ وغَرْبِهَا وبَرِّهَا وبَحْرِهَا وسَهْلِها وجبلها من حرٍّ وبرْدٌ أرْبَعة أشْهُرٍ.

ولذلك قال أبو دُلَف[١] (شِعْر): [المتقارب]

إنِّي امْرؤٌ كِسْرَويُّ الفِعَالِ   أصِيفُ الجِبَالَ وأشْتُو العِرَاقَا
وألْبَسُ للْـحَربِ أثْـوَابَها   وأعْـتَـنِقُ الـدَّرِاعِـينَ اعْـتِنَاقَا

فاخْتَار بِفَضلِ رَأْيِهِ وجَوْدَة تَمييزِه أنْ يَصِيفَ الجِبالَ ليَسْلَم من سَمائِم العَرِاق وذُبَابِهِ وهَوامِّه وحَشَرَاتِهِ وسُخونَةِ مَائِهِ وهَوائِهِ، واخْتَار أنْ يَشْتُو العَرِاق لَيسْلمَ من زَمْهَرير الجِبالِ وكَثْرةِ أنْدَائِهَـا ووحُولهَا وثُلُوجِهَا[٢].

وقد قال أيضًا في غَيرِ هذا المعْنَىٰ بل في ضِدِّه لسَببٍ دعَاهُ إلىٰ ذلك (شِعْر):

[المتقارب]

ألَمْ تَرَ حِينَ حَالَ الزَّمَانُ   أصِيفُ العِرَاقَ واشْتُو الجِبَالَا
سمُومُ المصيف وبَرْدُ الشِّتَاءِ   حَنَانَيْكَ حَالًا أزَالَتْكَ حَالَا
فَصَبْرًا علىٰ حَدَث النَّـائِبَاتِ   [b]فإنَّ الخُطُوبَ تَذِلُّ الرِّجَالَا[b]

---

[a] في المختصر: سبرت.

[b-b] في المختصر: «تأبى الحوادث إلا انتقالا»

---

[١] القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، أبو دلف العجلي، أمير الكرج. كان شجاعًا سخيًا فصيحًا شاعرًا وله شعر كثير، ولاه الخليفة المعتصم إمارة دمشق، توفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٠٧-٤٠١٦.

[٢] قارن مختصر الكتاب، ص٢٣٣-٢٣٤.

والسَّببُ الذي من أجْلِهِ قال هذه الأبْيَات: أنَّه لما قال الأبْيَاتَ القَافِيَّة التي كَتَبْنَاهَا قَبْلهَا اتَصلَتْ بعَبْدِ الله بن طَاهِرٍ - وكان سَيئُ الرَّأي في أبي دُلَفٍ- فقال (شِعْر): [١٢٢ظ]

[المتقارب]

أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَلَبْنَا العَنَاقَ إِلَىٰ أَرْضِ بَابِلَ قَبًّا عِتَاقَا
فَمَا زِلْن يَعْسِفنَ بالدَّراعِينَ طَوْرًا حَزونًا وطَوْرًا رِفَاقَا
إِلَىٰ أَنْ دُوينَ بأَدْوَائِهَا قُلُوبَ رِجَالٍ أَرادُوا النِفَاقَا
وأَنْتَ أَبَا دُلَفٍ نَاعِمٌ تَصِيفُ الجِبَالَ وتَشْتُو العِرَاقَا

فلمَّا وقَف أبُو دُلَف علىٰ هذه الأبْيَات آلَىٰ علىٰ نَفْسِه أنْ لَا يَصِيفَ إلَّا ببَغْدَاد ولا يَشْتُو إلَّا بالجَبلِ[١].

فإذا صَحَّ لنا ما قُلْنَا وتَبيَّـنَ ما حَكيْنَا ثمَّ مَـيَّزتَ وتفَـكَّرتَ ونظَرتَ وأنْصَفتَ، عَلِمتَ أنَّ البَرْدَ أصْلَحُ من الحَـرِّ، لأنَّك إذا أضَفْتَ البَرْدَ وهو الجِبَالُ إلىٰ ما يُقَاسِيهِ أهْلُ عُمَان وأهْلُ البَصْرَةِ وسِيْراف وبَغْدَاد من أذَىٰ السَّمَائِم القَاتِلَة وإلىٰ مَا يتْبعُ السَّمَائِم من الهَواءِ الكَدِر الغَلِيظ، والمَاءِ السَّخِنِ الزُّعَاق، وكَثْرَةِ الذُّبَابِ والجِعْلَانِ[٢] والخَنَافِسِ والحَيَّاتِ والعَقَارِبِ والجَرَّارَاتِ والنَّمْلِ والبَعُوضِ، والبَقِّ والجِرْجِس وغيرِ ذلك ممَّا يَطُول ذِكْره[٣]، عَلِمتَ أنَّ العَيْش عَيْشُنا والنِّعْمة نِعْمَتنَا.

---

[١] الخبر والأبيات لدى ياقوت الحموي: انظر: [مادة: الجبال] ج٢، ص٩٩.

[٢] الجعلان: دويبة تشبه الخنفساء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١١٢.

[٣] الجرجس: لفظة عامية يقصد بها القرقس: وهو حشرة تشبه البق. نفسه، ج٦، ص١٧٣؟.

ومُلُوكُ الجَبَلِ لا يعُدُّونَ العَيْشَ عَيْشًا والنَّعْمَةَ نِعْمةً إلَّا في أيَّام الشِّتاءِ؛ لأنَّهم يَفرشُونَ من الفِرَاشِ أمْرَاه ويَلْبَسُون من الثِّيابِ أحْسَنَهَا وأدْفَأهَا.

يَلْبسُونَ الثَّعَالِبَ البِيْض والسُّودَ والحُمَر والفَنَك[١] والسَّمُور[٢]، والقَاقُم[٣]، والحَوَاصِل[٤] والوَشَق[٥] والدَّلْق[٦]، والفِرَاءَ اليَمانيَـةَ.

([a]ويَفرشُون الخَزَّ الرَّقْم[٧] والأَرْمَني المحْفُور والـمَيْسَانِي والقُطُوع والمِرْعِزَّي[a]) والسُّوسِنْجَرْد[٨]. ولهم المَضَاربُ والأبْنِيَةُ والسَّتَارات والسُّرادِقَات[٩].

[(a-a)] في المختصر: «ويفرشون الخز والأرمني والديباج والمرعزي، وغير ذلك من الخز والبز».

---

[١] الفنك: نوع صغير من الثعالب في حجم القطط فروته أجود أنوع الفراء. انظر: المعجم الوسيط: ج٢، ص٧٠٣.

[٢] السمور: حيوان ثديي ليلي يقطن شمالي آسيا، يتخذ من جلده فرو ثمين. نفسه، ج١، ص٤٤٨.

[٣] القاقم: دويبة تشبه السنجاب، يشبه جلده جلد الفنك، لكنه أعز قيمة من السنجاب. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٣٢٤.

[٤] الحواصل: المراد بها جلود صدور النسور وبطونها بما عليه من الريش الزغبي يتخذ منها فراء خفاف طيبة الريح مدفئة. انظر: رينهات دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٩م. ج٢، ص٢٢١.

[٥] الوشق: حيوان يشبه القط، يتخذ فراءه للتدفئة. انظر: المعجم الوسيط: ج٢، ص١٠٣٤.

[٦] الدلق: لفظة فارسية معربة تطلق على فراء حيوان يشبه السمور، يقال إنه النمس. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص١٤٧.

[٧] الخز الرَّقِم: الحرير المطرز. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٤٨-٢٥٠.

[٨] جميعها فرش من الحرير الموشى بخيوط الذهب والفضة. انظر: الجاحظ: التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م. ص٢١.

[٩] قارن مختصر الكتاب، ص٢٣٥.

والقِبَابُ التُّرْكِيَّة [a][وأثْوَاب عَدَن وثِيَاب نَيْسَابُور ومَرْو وأصْبَهان والنِّعْمَة][a] عِنْدنا في الشِّتاء أظْهَر، والخَيْرُ أكثر.

ولَوْلَا الشِّتاءُ وثَلْجه وبَرْدُه ورِيحه ومَطَره لما نَبتَ لنا في الصَّيفِ زَرْعٌ ولا دَرَّ [لنا] ضَرْعٌ ولا اخْضَّر [لنا] شَجَرٌ ولا اجْتني [لنا] ثَمرٌ. ولذلك قال الشَّاعِر :

[البسيط]

لَوْلَا الشِّتَاءُ ولَوْلَا قُبْحُ مَنْظَرِهِ لَمَا بَدا من رَبِيعٍ مَنْظَرٌ حَسَنُ

وفي الشِّتَاءِ يسْتَلِذُّ المُلوك شُرْب المُدَامِ لطُولِ اللَّيْلِ وقِلَّةِ الهَوامِّ. والشَّرابُ صَدِيقُ النَّفْسِ وحَياة الأَبْدَان والسَّببُ إلى الزِّيادَةِ في الأعْمَار وصِحَّةِ الأجْسَام، ومُصَفاةُ الألْوَانِ، ومَهْضَمةُ الطَّعَامِ، وبَاعِثُ الحَرارَة الغَرِيزيَّة، ومُرطِّبُ الأعْضَاءُ اليَابِسةِ، وطَارِدُ الهمِّ والفِكْرِ، والزَّائِدُ في ارْتِفَاعِ الهِمَّة.

وله اتُّخِذَت القُصُور[١٢٣ر] المُشَيَّدةُ والمجَالِس المُنجَّدَةُ والنَّمارِقُ المُمَهَّدة. هذا في الشِّتاء فإذا جَاء الرَّبِيعُ فلَنا الأفياءُ الحَسنَة والرِّيَاضُ الخَضِرة والجِنَانُ المُتَّصِلة والمِياهُ والمُطَّرِدةِ والأَرْوَاحُ الطِّيبة والمَواضِع النَّزِهة.

ثمَّ لنَا من الأنوارِ والزَّهْر في الرِّيَاضِ والغُدْرَان ما لا يكون في بِلَادِكُم ولا يُعْرفُ عِنْدكم حتى لقد جَهِد مُلوكُكُم وكتَّابكم وذُوو النِّعْمةِ منكم أنْ يغْرِسُوه في بَسَاتِينهَم وجِنَانِهُم فلمْ يَسْتَوِ ذاك لهم ولا أفْلَح عندهم[1].

(a-a) التتمة من المختصر.

[1] راجع الخبر في المختصر: ص٢٣٥.

من ذلك الزَّعْـفَران والـدردار[a)][١] والجِـارْيَال[b)][٢] والـكَـسْنَج[٣] [c)] والسخالة[٤] والكركنيس، [d)][النُّستروالنَّدير والسَّوسن آزاد] [d)] وغير ذلك من الأنْوَار الجَلِيَّلة التي لا تكُون إلَّا في بِلَادنا.

ومما هو لنَا من دُونكُم ويَنْبُت في بِلَادِنا لا بِلادِكُم الرِّيبَاس[٥] [d)][الذي يتَداوون به] [d)] وهو من أنْفَعُ ما يُؤكَل ويقال إنه يقوم مقام السَّكَنْجَبِينُ.

ولنَا أنْوَاعٌ من الفَواكِه لَيْسَت لكم، وإذا حُمِلَ إليكم شَيءٌ منها تَفْتَخِرونَ به وتَتَهَادُونه منها: الكُمَّثْرىٰ النَّهاوَنْدِي والصِّيْنِي والتُّفَّاح الشِّيري.

[a)] رسمت في الأصل: الزردلال .

[b)] في الأصل: الجاولال.

[c)] في الأصل: كسبج.

[d_d)] ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

---

[١] الدردار: شجر له زهر أصفر يعرف بلسان العصافير يستخدم للتداوي. انظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٤، ص٣٢٣.

[٢] الجريال: نوع من الأصباغ، واسم من أسماء نبات شقائق النعمان. انظر:آدي شير:الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م. ص٤٠.

[٣] الكسنج: جنس من الكمأة ينبت في الرمال.نفسه ص١٣٥؛ دوزي، المصدر السابق، ج٩، ص٨٩.

[٤] السخالة : نوع من التمر رقيق النوى صغير الجرم. الأزهري: تهذيب اللغة ج٧ ص٨٠.

[٥] الرِّيباسُ: بالكسر نبات معمر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذوات الثلوج تؤكل ضلوعه، وتربب ويعصر منه شراب الريباس ينفع الحصبة، والجدري، والطاعون، وعصارته تحد النظر كُحلًا. الزبيدي: تاج العروس ج١٦ص١١٢؛ المعجم الوسيط ج١ ص٣٨٥.

ولنَا أيضًا أشيَاء نَتَّخِذُهَا من الألبَانِ (a لَيسَت لكم بل هي مُستَطرفٌ عندكم a)، منها اللُّورُ[١] والشِّيرَازُ[٢] وأنوَاع الشَّوَارِير[٣] والكَشْكُ[٤] المَعْمُول باللَّبَن.

وإذا دخَل الكَاتِبُ أو العَامِلُ هَمَذَان ثمَّ انصَرفَ عنها إلى بَلْدةٍ وسُئِل عمَّا فيها قال: إذا كَان خُبْزك من حِنطَة أزنَاوه b)[٥] مع جُبْنِ المِهْروَان ولَحم الشَّرَّاهِين فلا تَسأل عن شَيءٍ آخَر، (c [وحسبُك فضِيلة بشيءٍ يُنادىٰ علىٰ الخُبز بالحَرمينِ من مكَّة والمدِينة، في أيَّام الموسم والنَّاس مجمعون من كلِّ فجٍّ عميق المِهْروانيّ المِهروانيّ]c) ولقد دخَل بها المُعْتَضِد فوصِفَ له ما يُتَّخذُ بها من الألبَانِ فأكَلَ منه واستَطَابه، فلمَّا انصَرفَ إلى العِرَاق أمَرَ أنْ يُحمَلَ إليه. فكان يُوجَّهُ به مع الفُرَانقِيِّين[٦] وأصحَاب البُرد.

(a-a) في المختصر: «ويُتمنى عندكم منها». (b) رسمت في الأصل: أزنارد، والتصويب من ياقوت.

(c-c) ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

---

[١] اللور: خليط من اللبن والسمن متوسط الصلابة يشبه الجبن، وأهل الشام يسمونه قريشة. انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص٢٢٥.

[٢] الشيراز: صنف من الجبن يتخذ من السمن والزبد وماء الجبن يغلي فيسخن جدًا يصير فيه حموضة. نفسه.ج٩، ص٢٨٦.

[٣] الشوارير: أنواع من العسل. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ش و ر] ج١٢، ص٢٥٢.

[٤] الكشك: لفظة فارسية معربة، وهو طعام يصنع من دقيق الحنطة أو الشعير مع اللبن ثم يجفف ويطبخ متى احتيج إليه. نفسه. ج٢٧، ص٣١٣.

[٥] حنطة أزناوه: نوع من القمح ينسب إلى قلعة الأجم وهي قلعة من نواحي همذان. معجم البلدان، ج١، ص١٦٩.

[٦] فرونق: كلمة محرفة من برونك الفارسية. ومعناها: مفتشو البريد المعنيون بملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات. انظر: نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة، ١٩٥٣م، ص١٩-٢٠.

ولما مَيَّز قُبَاذ[1] إقْلِيم بَلده وجدَ أنْزَه بِقَاعه ثَلاثَة عَشَر مَوْضِعًا: المَدَائِن والسُّوس وجُنْدَيسَابُور وتُسْتُر وسَابُور وأصْبَهان والرَّيّ وبَلْخ و سَمَرْقَنْد وبَاوَرْد ومَاسَبَذَان ومِهْرجَانِقذَق وتلّ مَاسِير وبَطْنًا بنهَاوند- تُسمَّى رُوذَرَاور، وهي ثَلاثَة فَرَاسِخ فيها ثَلاثَةٌ وتِسْعُونَ قَرْية مُتَّصِلة مع جِنَانٍ مُلْتَفةٍ وأَنْهُرٍ مُطَّردةٍ، نبَاتُها الزَّعْفَران(a وأشْجَارهَا جَمِيع الفَواكِه(a) .

وقال [لِي] بَعْضُ الدِّمَشْقِيِّين ممن قد جَالَ الآفَاق ودَارَ البُلْدَان: دَخلْتُ غُوطَة دِمَشْق وأُبُلَّة البَصْرَة واسْكَنْدَريَّة مِصر وصَنْعَاء اليَمَن ورأيْتُ خَورْنَق الكُوفَة وتُرْبَتهُ المُسَمَّاة خَدُّ العَذْرَاء[2] وحَافَّتي دِجْلَة والفُرَات وبَغْدَاد وبَاب الطَّاق وبَاب [١٢٣ظ] الكَرْخ مع سَائِر الأسْوَاق، وشَاهَدْتُ شَبْذِير وقَرْمِيسِين وزَرَنْرُوذ[3] وأصْبَهَان وجُنْدَيسَابُور والأَهْوَاز، ودَخلْتُ سَابُور فَارِس، ونَظَرتُ إلى شِعبِ بَوَّان ومَاجَان مَرْو، وسَرْبان الرَّيّ، وشَاهدْتُ سَمَرْقَنْد والسُّغْد وبَلْخ فما رَأيْتُ بَلدًا أطْيَبُ هَواءً ولا أعْذَبُ ماءًا ولا أكْثَرُ خَيْرًا من (c رُوذَرَاور(c) ، (b [وما ظَنك ببلدٍ حَشِيشةُ الرَّيحَان والزَّعفَران وشَرابهُ العَسل والسَّمنان وثَمرةُ العِنب والرُّمَّان] (b [4] .

(a-a) في المختصر بزيادة: «... نباتها الزعفران وأشجارها جميع الفواكه العنب والرمان والجوز واللوز والتفاح والكمثرى وغير ذلك...».

(b) في الأصل: إقْبَالٍ هَمَذَان.

(c-c) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

---

[1] مرَّ هذا الخبر في ذكر مدينة قرميسين، نقلًا عن أبي المنذر هشام بن السائب الكلبي. قارن: فيما تقدم ص٢٣٢.

[2] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: خدوراء] ج٢، ص٣٤٨؛ و[مادة: الكوفة] ج٤، ص٤٩٠.

[3] زرنروذ: اسم لنهر بأصبهان موصوف بعذوبة الماء. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص١٣٩.

[4] انظر : مختصر الكتاب، ص٢٣٤-٢٣٧.

فلمَّا بَلغَ ابنُ أبي سَرحٍ هذا المكان قال له صَاحِبُ المنْزِل[1]: يا أبا عَبْد الله! ما فرَّطْتَ وقُلْتَ في الجَبلِ عَالِهِ وعليِّه وهذا وقتٌ ضَيِّق وقد حَضَرت الصَّلاة. والصَّوابُ قَطْعُ هذه المُفَاخرَةِ وتَرْكُ هذه المُناظَرةِ فقال: قد قَطَعْتُ ذلك وإنْ عَاد عُدْنَا ثمَّ قامَ وهو يقول (شِعْر):

[السريع]

إنْ عَـادتْ العَقْـرَبُ عُـدْنَا لهـا وكَانـت النَّعْـلُ لهـا حَـاضِرة

وقال بعْضُ الشُّعَراء:

[الطويل]

[a] [وبِالقَوْسِ لَمَّا حلَّتِ الشَّمْسُ وأطْبَقَ أرْوَنْد علىٰ هَمَذَانِ
وهَبَّتْ رِيَاحُ الزَّمْهَرِيرِ فأحْرَقَتْ بها كلَّ ذِي جِنْسٍ من الحَيَوانِ
فمَا أنْ ترىٰ شَيْئًا بها غَيرَ جَامِد مع النَّفْطِ والنُّفَّاطِ والقَطْرَانِ
ترَىٰ النَّاس بين السُّوقِ والدُّورِ جُمَّدًا عَداهُم من التَّرْدَادِ والجَوَلَانِ
فطُرقُهُم والدُّورِ مطْمُوسَةٌ بهم يزيدُهُم طَمْسًا ولَيْسَ بِفَانِ
تَرىٰ الطَّيرَ في جَوِّ السَّماءِ مُعَلَّقًا من البَرْدِ ممْنُوعًا من الطَّيَرَانِ
وتَجْمُدُ بين الحَائِطَينِ كِلابُهم وكانت تُبَاري الخَيلَ يَوْمَ رِهَانِ
ولَيْسَ يَقِي من بَرْدِهَا جِلْدُ ثَعْلَبٍ بخُوَارِزْم مَدْبُوغٌ بغَيْر تَوانِي

---

[1] صاحب المنزل هو: والد مؤلف الكتاب، والذي تمت المناظرة في بيته بين عبد القاهر بن حمزة الواسطي، والحسين بن أبي سرح.

وَلَا جِلْدُ سَمُّورٍ ولَا الفَنَكِ الذي ... يُوَقَّى بـه المَقْرُورُ حَرَّ عُمَانِ
ولَيْسَ يَقِيهم منه لَفْحُ جَهَنَّم ... وما لهم بِالزَّمْهَرِيرِ يَدَانِ
أمَا مَهْرَبًا من ذا العِذَارِ فقد وَهتْ ... عِظَامي ولا تَشْعُر به القَدَمَانِ
إلى الكَرْجِ الحَسْنَاء دَارِ أمِيرِنَا ... فنُوسِعُها حَمْدًا بكلِّ لِسَانِ
مُبَارَكَةٍ حَفَّت بخَصْبٍ ونِعْمَةٍ ... بِماءِ عُيونٍ عَذْبَةٍ وجِنَانِ
فأهْلُ التُّقَى والبِرِّ والفَضْلِ أهْلُها ... ولَيْسَ لهم في المَشْرِقَين مُدَانِ[a]]

٣ * * *

(a-a) زيادة من المختصر.

[١] انفرد صاحب المختصر بهذه الأبيات. ص ٢٣٧.



مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة